الجزء الثانى من كتاب ألف با
للامام الكامل والعالم الفاضل فريد الدهر
و وحيد العصر أبى الحجاج يوسف بن
محمد البلوى تغمده الله بالرحمة
والغفران وأنزل عليه
شآبيب العفو
والاحسان
آمين

بسم الله الرحمن الرحيم

(باب الالف مع الدال وأختها)

*(وأدوآدوادواد * وادواذودل ودل)*

أد أما أدّ فقال لرجال منهم والدعمر وبن أدّ العامرى له خبر سيأتى ان شاء الله تعالى
وأدّبن طابخة بن الياس بن مضر قال الشاعر

أدّبن طابخة أبونا وانسبوا * يوم الفخار أبا كأدّ تنفروا

تنفروا من قولهم نافر فلان فلانا فنفر عليه اذا حكم له بالغلبة ويقال نسب ينسب
فى الشعر اذا شبب به و ينسب من النسب والفخار المصدر والفخار الاسم ويحتمل
أن تكون الهمزة فى أد منقلبة عن واو لانضمامها على عادتهم فى أرّخ وورّخ
فيكون أدّ مأخوذا من الود وكذلك قال صاحب العين أدّ لغة فى ود بمعنى الحب
و فى التنزيل سيجعل لهم الرحمن ودا قيل معناه محبة فى قلوب المؤمنين والود
والود والود المحبة تقول بودى أن يكون كذا وكذا ودود اوودا وودادة ووداداً أى
تمنيت قال الشاعر ودت ودادة لو أن حظى * من الخلان أن لا يصرمونى
وقال تعالى ودوا لو تدهن فيدهنون والود والوداد والمودة سواء وفلان ودك

ووديك

ووديك مثل حبك وحبيبك ويجمع ود على أود كما قال النابغة

انى كأنى لدى النعمان خبره * بعض الاود حديثا كاه كذب

ود وود اسم صنم وفى القرآن العزيز ولا تذرن ودّا ولا سواعا قرأ نافع بالضم
والباقون بالفتح وود لغة فى الوتد أسكنت التاء ثم أدغمت فى الدال فقيل ود
قال ثابت رحمه الله ود لغة بنى تميم وأهل نجد يقولون ود وقال يعقوب عن أبى عبيدة
يقال وتد تقديرها فضم وقوم يقولونها وتد تقديرها جمل ومن قال ود فى الوتد على
الادغام قال فى الجمع أوتاد كمثل من قال وتد بغير ادغام وفى القرآن العزيز وفرعون
ذى الاوتاد وود أيضا جبل معروف قاله البكرى واستشهد عليه بقول
امرئ القيس تظهر الود اذا ما أشجذت * وتواريه اذا ما تشتكر
يصف سحابة وقوله اذا ما أشجذت أى سكن مطرها وقال الاعلم فى شرح القصيدة
الود هنا الوتد يبدو عند سكون الديمة و يستتر عند احتفال مطرها ثم قال وقيل
دو الود أيضا اسم جبل * ومعكوس ود دو والدو موضع معلوم وبلد لبنى تميم بين
البصرة واليمامة قال الاخطل

وأنى اهتدت والدو بينى وبينها * وما كان سارى الليل بالدو يهتدى

والدو والدوية والداوية المفازة ومن شكله دو تقول دوى الرجل فهو دو ورجل
دوى وامرأة دوى اذا كان به داء باطن والدواء الشفاء ويقال فيه أيضا دواء
بالكسر ويقال الدوى مقصورا الرجل الاحمق ويقال رجل دوى ودو أيضا
للفاسد الجوف والدواة معروفة وجمعها دويات ودوى ودوى * ويجى من
ودى مقلوب هذه اللفظة ودى يدى من الدية ومنه قول الشاعر

يدى كل قتال وطرفك لا يدى * فلا تخش فى قتلى سوى الله بالطبى

وودى الحمار اذا أنعظ واذا قطر أيضا والودى الماء الابيض الذى يخرج
على أثر البول يعترى من طول العزبة والودى الفسيل واحدته ودية وهى فراخ
النخل وجمعه ودايا والودى الهلاك وأودى الرجل هلك وأودى به الموت أهلكه
والوادى معروف وجمعه أودية و يقال أدوى الرجل اذا دخل الداوية فهو مدو
دواية وكذلك أدوى القوم اذا أخذوا الدواية فأكلوها والدواية جلدة رقيقة
تعلو اللبن الحليب اذا برد وقال الشاعر

بدا منك داء طالما قد كتمته * كما كتمت داء ابنها أم مدوى

آد وأما آد فمعناه مال ورجع يقال آد القمر والشمس اذا مالا للغروب وربما قالوا
فى هذا هاد بالهاء والاشهر آد قال الهذلى

أقت به نهار الصيف حتى * رأيت ظلال آخره تؤود

وآد أيضا أثقل من قوله تعالى ولا يؤوده حفظهما أى لا يثقله يقال آدنى الامر
يؤودنى أودا أى أثقلنى وفى هذه لغة أخرى وأدنى يئدنى وأدا ومثله تأدى الشئ
أثقل قال الشاعر * ولا يتأداه احتمال المغارم * أى لا يثقله وقال يعقوب أراد
ولا يتأدده فقلب كما قال * لا ث به الاشاء والعبرى * أى لا ئث وقد تقدم والموؤدة
من هذا لانها تثقل بالتراب اذا دفنت حية وفى القرآن العظيم واذا الموؤدة
سئلت وسيأتى الكلام عليها ان شاء الله تعالى ومنه الوئيد قالت الزباء
وئيد *ما للجمال مشيها وئيدا * ولها خبر يذكر ان شاء الله تعالى * ويقال الوئيد
والوأد دوى يسمع صوته والتؤدة التأنى والرزانة يقال اتئد وتوأد والتاء مبدلة من
الواو والتواد من الودة والتأود التثنى قال * كالغصن فى غلوائه المتأود * وأدت
أود العود عجمته وأود مصدر آد وقد تقدم واود أيضا موضع وأود قبيلة ينسب اليها
الاودى من أصحاب الحديث والاود بالفتح الاعوجاج قال النابغة

وظل يعجم أعلى القرن منقبضا * فى حالك اللون صدق غير ذى أود

ومنه قولهم يقيم أوده أى اعوجاجه ومن شكل أود أود تقول فلان أود البلث
من فلان وأنشد

ألارب من تدرى وتحسب أنه * يودك والنائى أود وأنصح

اذ وأما اذ من قوله تعالى لقد جئتم شيئا اذا فان معناه جئتم عظيما وكذلك فسر قوله
تعالى لقد جئت شيئا امرا والاد قولهم اتخذ الرحمن ولدا تعالى الله عما يقول
الظالمون علوا كبيرا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا
قال قتادة بلغنا ان كعبا قال غضبت الملائكة وأسعرت جهنم حين قالوا ما قالوا وهى
تلك الكلمة كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون الا كذبا الحمد لله على نعمة
الاسلام ومن الاد قول الشاعر

لما رأيت الامر أمرا ادا * ولم أجد من الفرار بدا
ملأت لحمى وعظامى شدا

يقال

يقال اد واد وادد واداد بمعنى * وأما اد فانه القوة قال الراجز

أبرح اذا الصكنان ادا * أو ركبت أعوادهم أعوادا

معنى أبرح جاء بالبرحاء وهى الشدة من المرض والمشقة ومعنى ركبت أعوادهم
أعوادا أى السهام على القسى وقال الآخر فى الاد المشدد الذى هو بمعنى الاد

نضوت عنى شرة وادا * من بعد ما كنت صملا نهدا

والصمل الشديد يقال رجل صمل وامرأة صملة والصمل القطع والصيلم الامر
المتأصل والصلامة الفرقة من الناس ومنه قيل للظليم مصلم قال النابغة
أصك مصلم الاذنين أجنى * البيت وسيأتى ان شاء الله تعالى يقال رجل ذو أد
وذو اد وذو أيد أى قوة قال الله عز وجل والسماء بنيناها بأيد أى بقوة عن
ابن عباس رضى الله عنهما وغيره وكذلك قال فى قوله تعالى أولى الايدى والابصار
الايدى القوة والعبادة والطاعة والابصار الفقه فى الدين ويقال الايدى النعم
التى أنعم الله بها عليهم وقيل المعنى أصحاب النعم التى قدموها من الاعمال
الصالحة وهذا اختيار الطبرى قال وهو تمثيل بالرجل يكون له على الرجل يد على
ما تستعمله العرب كذا قال المهدوى الا أنهم قد فرقوا بين يد النعمة ويد الرجل
فجمعوا التى من النعمة على أيادى ويدى والاخرى أيدى والله أعلم بكتابه * ومن
أحسن ما رأيت فى أيادى جمع أيد قول أبى تمام يمدح

لقد زدت أوضاحى امتدادا ولم أكن * بهيما ولا أرضى من الارض مجهلا
ولكن أيادا صادفتنى جسامها * أغر فخلتنى أغر محجلا

ذكر هذين البيتين البكرى فى اثر قول أبى نخيلة يمدح مسلمة بن عبد الملك بالشعر
الذى أوله

* أمسلم انى يا ابن كل خليفة * وفيه * ونبهت من ذكرى وما كان خاملا *

قلت يحتمل قول أبى تمام ولم أكن بهيما انه يعرض بأبى نخيلة لانه كان أسود
والله أعلم ويقال ما أيدى فلانة وامرأة أيدية أى صناع ورجل يدى وثوب يدى
وأدى أيضا واسع وأصل يد يدى على فعل ساكنة العين لان جمعها أيد ويدى يد
مثل فلس وأفلس قال الشاعر

فلن أذكر النعمان الا بصالح * فان له عندى يديا وأنعما

وقد جمعوا اليد فى الشعر على أياد قال الشاعر * قطن سخام بأيادى غزل *

وهو جمع الجمع مثل اكرع وأكارع ولا يجمع فعل مفتوح العين على افعل الا فى حروف يسيرة معدودة مثل زمن وأزمن وجبل وأجبل وعصا وأعص وجاء فى الخبر الاياد فى ثلاثة وسيأتى تفسيرها ان شاء الله تعالى ويقال يديت الرجل اذا أصبت يده ورجل ميدى مقطوع اليد ويقال ماله يدى من يديه وهو دعاء عليه كما يقال تربت يداه واليد أيضا من النعمة ويقال أديت اليه يدا ولفلان مال يبدى به أى يبسط به يديه ويد الدهر مداه وتقول لا أفعله يد الدهر ويد المسند مثله وتفرقوا أيادى سبأ ويد القوس سيتها واليد من القوة ويقال لا يدلى بكذا ولا يدان أى لا طاقة قال الشاعر

فلو كنت مولى الظلم أو فى ظلاله * ظلمت ولكن لا يدالك بالظلم

ومنعوا أن يقال لا يدان قلت كذا قال ووقع فى كتاب مسلم من قول أفصح الخلق فى حديث الدجال ويأجوج ومأجوج فذكره وفيه فبينما هم كذلك اذ أوحى الله الى عيسى عليه السلام انى قد أخرجت عبادا لى لا يدان لاحد بقتالهم فحرز عبادى الى الطور وذكر تمام الخبر * وتقول أيدت الرجل بمعنى ثبتته وقويته من قوله تعالى وأيدناه بروح القدس وقرئ آيدناه بالمد ومنه قولهم فى الامير آيده الله وفلان أيد أى قوى شديد وقال الشاعر * اذا القوس وترها أيد * البيت * وسيأتى بخبره ان شاء الله تعالى واياد كل شئ مايقوى به واياد العسكر الميمنة والميسرة واياد اسم رجل مشهور * وقال صاحب الغريبين اليد فى كلام العرب تتصرف على وجوه فاليد النعمة والقدرة والملك والقوة والسلطان والطاعة والجماعة يقال هذا الشئ فى يدى أى فى ملكى واليد الاكل يقال ضع يدك أى كل وتكون للندم يقال سقط فى يده ورددت يده فى فيه أى غظته وخرج فلان نازعا يده أى عاصيا وهم عليه يد أى مجتمعون وأخذتهم يد البحر أى طريق الساحل واليد العطاء وفلان طويل اليد وطويل الباع وضده كذلك حتى قالوا جعد الكف والانامل واليد الحفظ والوقاية ويد الله على الفسطاط أى على أهل الفسطاط أى المصر الجامع وردوا أيديهم فى أفواههم أى كذبوا الرسل واليد الاستسلام وفى الحديث هذه يدى اليك بالطاعة قاله فى مناجاته عليه الصلاة والسلام ويعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون أى نقدا والاصل ان التصرف لما كان باليد أضيف اليه من عمل شيئا وبخ عليه وقيل * يداك

أو كتا وفوك نفخ * وفى القرآن العزيز وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم أى ممسكة عن الاتساع ويفترينه بين أيديهن وأرجلهن وقالوا فى قوله تعالى لما خلقت بيدى وقوله مما عملت أيدينا ويداه مبسوطتان قال المهدوى رحمه الله نحوا مما قال صاحب الغريبين من ان اليد تتصرف فى الكلام فتكون للجارحة والقوة والنعمة والملك ولاضافة الفعل الى المخبر عنه ويجوز وصف البارى سبحانه بجميع هذه الوجوه الا الجارحة وقوله تعالى بل يداه مبسوطتان هما يدا صفة توصف بها كما وصف نفسه وذكر اليدين فى قوله تعالى لما خلقت بيدى تشريفا لآدم عليه السلام وقد تقدم الكلام عليه وتصرفه على وجوه فقيل يداه نعمتاه نعمة النفع ونعمة الدفع وقيل نعمة الدين ونعمة الدنيا ونعمة الدنيا ونعمة الآخرة أو النعمة الظاهرة والنعمة الباطنة لقوله تعالى وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة فالظاهرة ما حسن من خلقك والباطنة ما ستر من سئ عملك عليك * وقال السدى معنى يداه قوتاه بالثواب والعقاب بخلاف ما قالت اليهود ان يديه مقبوضتان عن عذابهم وقيل المعنى نعمتاه اللتان هما المطر والنبات اللتان النعمة منهما وبهما * وقيل ان التثنية للمبالغة فى وصف النعمة كقول العرب لبيك وسعديك وكذلك قالوا فى اليمين أقوالا فقالوا القدرة والقوة فى قوله تعالى فراغ عليهم ضربا باليمين أى بيمينه وقيل بالقوة والقدرة وقيل باليمين التى حلف بها حين قال وتالله لاكيدن أصنامكم وكذلك قوله تعالى انكم كنتم تأتوننا عن اليمين * قال ابن عرفة أى تمنعوننا عن الطاعة أى تأتوننا من قبل الحق فتلبسونه علينا وتزينون لنا الباطل يقال أتاه عن يمينه اذا أتاه من الجهة المحمودة والعرب تنسب الفعل المحمود والاحسان الى اليمين وما ضاده الى اليسار يقولون فلان عندنا باليمين أى بمنزلة حسنة وقوله لاخذنا منه باليمين أى بالقدرة والقوة أى أخذنا قدرته وقوته قال الشماخ

اذا ما راية رفعت لمجد * تلقاها عرابة باليمين

قال ابن عرفة لاخذنا بيمينه فمعناه التصرف * قال بعض أهل اللغة يذهب به الى القوة وهذا خلاف ظاهر القرآن والقول على ظاهره ما احتمل الظاهر وقال الحكيم خير الاخوان من تلقاك باليمين واذا حدثك لا يمين وشرهم من كان لسانه موافقا وقلبه منافقا وقالوا فى قوله تعالى أصحاب الميمنة أصحاب المنزلة الرفيعة وأصحاب المشأمة يعنى أصحاب المنزلة الدنيئة الخسيسة وقال ابن عرفة

يسلك بهم يمنا الى الجنة وتقول يامن بأصحابك أى خذبهم يمنا وشائم بهم أى خذ بهم شمالا وقال أيضا خذيمنة أو يسرة ومنه فى الحديث اذا استقبلتك المرأتان فلاتمر بينهما خذيمنة أو يسرة ويقال تيامن القوم وتشاءموا اذا أخذوا نحو اليمن والشأم وقد يقال فى هذا تيمن قال الشاعر

تيمن الانسان يبغى الغنى * من بعد مابصر أوكوفا

وسيأتى أيضا فى باب الكاف بكماله ان شاء الله تعالى وقيل انما يقال تيمن اذا انتسب الى اليمن قبل اليمن فاذا أتى اليمن قيل أيمن ويامن و يمن وقال الخطابى يقال أيمن الرجل وأتهم وأنجد وأسهل وساحل وأخيف وأعمن وعال وعان وأغار وأجبل وأشأم وأحزن وبصر وكوف وألوى اذا نزل الساحل والخيف وعمان والجبل والعالية والعين والغار والسهل والحزن واللوى وهذه الاماكن زاد غيره وأمنى اذا نزل منى وأجلس اذا أراد الجلس وهو بلد بنجد والجلس أيضا الرجل الضخم وكذلك الجمل الضخم و يقال للعسل أيضا جلس تقول فى اللغز رأيت جلسا على جلس فوق جلس يأكل جلسا

ياصاح ان كنت كثير الحس * فاسمع لما أبصرته بالامس
رأيت جلسا فوق ظهر جلس * يسوق جلسا قد أتى من جلس
فلتخبرنى ليكون أنسى * به وعجله فدتك نفسى

وفى الحديث من ذكر اليمين يمين الله ملاءى وفى حديث آخر وكلتا يديه يمين وهذا يحمل على الخير الذى عند الله واليمن ألا تراه يقول وكلتا يديه يمين أى ليس فى صفة الله لفظ محظوظ سبحانه وتعالى وانما سميت اليمين يمينا لنسبتها الى الشمال وهذا لا يوصف به البارى سبحانه أعنى يمينا وشمالا كما تقدم وكلتا يديه يمين انما عبر عن قدرته وان المقدورات تقع منه على نسبة واحدة ولا تختلف كما تختلف أيماننا فى الفعل وشمائلنا ولذلك قال فى الحديث الآخر وبيده الاخرى القبض والبسط فكأنه أعلم تعالى وان كانت قدرته واحدة أنه يفعل بها المختلفات ولما كان ذلك فينا لا يمكن الا باليدين خبر عن قدرته على التصرف فى ذلك بذكر اليدين على ما اعتادوه من الخطاب على سبيل المجاز قاله المازنى

(فصل وتقدم تفرقوا أيادى سبا) وفى القرآن العزيز لقد كان لسبأ فى مساكنهم آية وهم الذين مزقوا كل ممزق وسبأ هذا هو ابن يشجب بن يعرب

الذى بنى السد بالرخام وساق اليه سبعين واديا ولم يستتمه فأتم بعده وهو سد مأرب ومأرب اسم لكل ملك كان يملكهم كما أن كسرى اسم لكل من ملك الفرس وسيأتى هذا المعنى وقيل مأرب اسم لقصر كان لهم وسيل العرم فى القرآن مذكور وقيل هو وصف للسيل من العرامة وقيل هو السد بلغة حمير وقيل هو اسم للفأر الذى خرق السد وكان ذلك أمرا من الله لكفرهم يقال كان الجرذ يقتلع الصخرة العظيمة من موضعها حتى انخرق السد مع السيل الذى أرسله الله عليهم * وقع فى البخارى ان السيل الذى هدم السد الذى كان فى سبأ ماء أحمر أرسله الله عليهم من حيث شاء * وفى رقائق ابن المبارك بسنده الى ربيعة بن لقيط انه كان مع عمرو بن العاص وهم راجعون من مسكن قد مطروا فيه دما قال ربيعة فقد رأيتنى أنصب الاناء فيمتلئ دما غبيطا يظن الناس انها هى وماج بعضهم فى بعض فقام عمرو بن العاص فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال أيها الناس أصلحوا ما بينكم و بين الله ولا يضركم لو اصطدم هذان الجبلان ذكره رحمه الله فى باب اليقين والتوكل ورأيت فى آخر كتاب الاستاذ أبى القاسم رحمه الله ومتصلا به ما هذا نصه ثم كان فى زمن جعفر المتوكل من بنى العباس بعد الاربعين ومائتين أحداث عظيمة منها ما ظهر فى الشمس ومنها ما ظهر فى الكواكب ومنها زلازل وخسوف وظلمة لم ير الناس فيها بعضهم بعضا ومنها مطر أحمر كالدم الغبيط نزل من جهة المشرق قال ولم يسمع بمثل هذا فى تاريخ علمته حتى كان بعد الستين والخمسمائة نزل بأكثر بلاد اشبيلية مطر يشبه الدم ثم كان فى ذلك العام سيول كثيرة قال الشيخ الفقيه الحاج أبو الحجاج بن الشيخ رضى الله عنه * حدثنى من أثق بحديثه انه حضر باشبيلية نزول ذلك الماء الاحمر الذى يشبه الدم وانه هال الناس أمره ورآه الذى حدثنى وقال حدثنى رجل فى ذلك الوقت انه كانت فى وسط داره صحفة فيها بيض فنزل ذلك الماء فى الصحفة واستنقع فيها فحيث وصل الماء من البيض صبغ بقدرة الله تعالى حدثنى بذلك فى سنة احدى وستين وستمائة وذكر الحجاج فى سنة أربع وخمسين وأربعمائة انه عصفت بخراسان ريح كريح عاد تقلعت منها الجبال وفرت الوحوش فظن الناس انها هى وابتهلوا بالدعاء العظيم فيما نزل بهم ونظروا فاذا نور عظيم قد نزل من السماء على جبل من تلك الجبال ثم تأملوا

الوحوش فاذا هى منصرفة الى الجبل الذى سقط فيه ذلك النور فساروا معهم اليه فوجدوا به صخرة طولها ذراع فى عرض ثلاث أصابع وفيها ثلاثة أسطر سطر أنا الله لا اله الا أنا فاعبدون وسطر يليه محمد رسول الله القرشى وسطر ثالث فيه احذروا وقيعة المغرب فانها تكون بعد سبعة وتسعة والقيامة قد أزفت نسأل الله العافية وحسن العاقبة فى الدنيا والآخرة بكرمه ومنه وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم * وخرج ثابت عن شهر بن حوشب رضى الله عنه قال كان يقال فى رمضان صوت وفى شوّال همهمة وفى ذى القعدة تميز القبائل وفى ذى الحجة سفك الدماء وانتهاب الحاج وفى المحرّم ما ان حدّثتكم به * قيل وما الصوت قال هدة من السماء توقظ النائم وتفزع اليقظان وتخرج الفتاة من خدرها * زاد على ابن معبد فى كتاب الطاعة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يكون فى رمضان صوت قالوا يا رسول الله فى أوّله أو فى وسطه أو فى آخره قال لا بل فى النصف من شهر رمضان اذا كانت ليلة النصف ليلة جمعة يكون صوت من السماء يصعق له سبعون ألفا ويخرس فيه سبعون ألفا ويغشى فيه على سبعين ألفا وتنفتق فيه سبعون ألف عذراء * وذكر أنه صوت جبريل عليه السلام قالوا فمن السالم يا رسول الله قال من لزم بيته وتعوّذ بالسجود وجهر بالتكبير وذكر تمام الحديث وفيه المحرم وما المحرم أوّله بلاء على أمتى وآخره فرح على أمتى * وفى حديث آخر عن الاوزاعى ذكر الآية التى تكون فى شهر رمضان فقال انها كائنة فى شهر رمضان فى يوم جمعة فيما بين أوّل الشهر الى نصف الشهر فى يوم صاح فى نصف النهار فكانوا اذا مضى النصف من شهر رمضان يقولون احمدوا ربكم قد سلمت لكم سنتكم هذه وكانوا يقولون اذا كانت فيلزم كل انسان مكانه الذى وافته فيه مسجدا كان أو بيتا ولا يظهر لها فانه يرى هولا لا يحمله قلبه منهم من يذهب عقله ومنهم من يخرس لسانه قال ابن معبد فى حديث ابن وهب قال يرجع الى بيته فيغلق بابه ويسدّ الكوى ويخر ساجدا يقول قدوس قدوس سبحان ربنا القدوس * رجع الكلام الى تفسير الهاذّ والهاد صوت يسمعه أهل الساحل يأتيهم من قبل البحر له دوى فى الارض وربما كانت منه الزلزلة ودويه هديره ومنه قول الشاعر

داع شديد الصوت ذو هديد * والفعل منه هدّ يهدّ هديدا وانما سمى الهدهد لهدهدته وهى صوته والهدهد طائر يشبه الحمام وقوله فى الحديث همهمة الهمهمة نحو

أصوات البقر والفيلة والهمهمة أيضا دبيب الهوام * والهوام ما كان من خشاش الارض نحو العقارب لانها تهم أى تدب قال الراجز

قد سالم الحيات منه القدما * الافعوان والشجاع الشجعما

وذات نابين ضموز ضرزما * همهم فى رجليه حتى هدما

ثم اغتدين وغدا مسلما

الضموز الذى لا يتكلم والضرزم الشديد العض والشجعم الطويل مع عظم جسمه والجشم مثله والهدّ الهدم الشديد كحائط يهد بمرة فينهدم تقول هدّنى الامر يهدنى وكذلك هدّركنى اذا بلغ منه وكسره وقد تقدّم كلمون هدّ ركنى والهدّة صوت شديد تسمعه من سقوط ركن أو ناحية جبل ذكر هذا ثابت رحمه الله فى تفسير حديث ابن أبى نجيح أنه كان يتعوّذ من الهدّ والهدّة وفسره بما تقدّم * وقد طال الكلام فى هذه اللفظة وتسلسل وتولد وتنسل وقد كان الاولى لو شاء المولى أن يكتب فى فصل الفوائد لكن العلم كله واحد فحيث وقع نفع * وأما اد فانك تقول أدت الابل تئد اذا حنت الى أوطانها * وأما اذ فعناه قطع تقول أذ يؤذ أذا اذا قطع مثل هذ يهذ هذا سواء قلبوا الهاء همزة ويقولون شفرة هذوذ وأذوذ اذا كانت قاطعة قال الشاعر أد أذ

يؤذ بالشفرة أى أذ * من قمع ومأنة وفلذ

القمع طرف السنام والمأنة بيت اللبن وقيل الشحم الذى فى الخاصرتين وقد قيل فى المأنات انها الامعاء وقيل الحوايا وقد تقدّم ومأنة الصدر لحمة فى أسفله والفلذ القطعة من الكبد قال الشاعر

أتسهدين من لحم فأهدى * من المأنات أو طرف السنام

وقال آخر فى الفلذ * تكفيه حزة فلذان ألم بها * البيت وقد تقدّم وقال كعب ابن مالك فى القمع * وانا لنقرى الضيف من قمع الذرى * وتقدّم فى الحديث البيض قمعهم وفسر * (رجع) * يقال سيف هذ هاذ وهذاهذ اذا كان صارما ومن الهذ قول وحشى يخبر عن حمزة رضى الله عنه قال رأيته مثل الجمل الاورق يهذ الناس بسيفه ما يقوم له شئ ثم ذكر الخبر وفسره ثابت فى الدلائل من الهذ وهى السرعة وفى الهذ لغة أخرى هذأته بالسيف أهذؤه هذءا والهذم بالميم سرعة القطع يقال سيف مهذم وفى الحديث أكثروا من ذكر

هاذم اللذات كذا يروى بالذال المنقوطة اى قاطعها وبالدال المهملة من الهدم
ومن الهذ الذى هو السرعة حديث النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان يهذ راحلته
فى وادى محسر وقول بعض الصحابة رضى الله عنهم ينكر على من أسرع القراءة
أهذا كهذ الشعر ونثرا كنثر الدقل وقول الشاعر *ضربا هذاذيك وطعنا وخضا*
يريد هذا بعد هذ ومخرجه مخرج سعديك ولبيك أى سعدا بعد سعد وتلبية بعد
تلبية وكذلك دواليك من المداولة وسيأتى دواليك فى الكلام على الدال وجازيك
بأمر أن يحجز وقال ثابت رحمه الله هذه حروف خلفتها فى هذا اللفظ لا تغير على
حال مثل قولك عليك ولديك ومن حنانيك قول زيد بن عمرو بن نفيل

حنانيك ان الجن كانت رجاءهم * وأنت الهى ربنا ورجائيا

جاء بلفظ التثنية قال النحويون يريد حنانا بعد حنان كأنهم ذهبوا الى التضعيف
والتكرار لا الى القصر على اثنين خاصة دون مزيد * قال الاستاذ رحمه الله يجوز
أن يريد حنانا فى الدنيا وحنانا فى الآخرة ولذا قيل هذا المخلوق نحو قول طرفة
* حنانيك بعض الشر أهون من بعض * فانما يريد حنان دفع وحنان نفع لان كل
من أمل ملكا فانما يؤمله ليدفع عنه ضيرا وليجلب اليه خيرا قال المازنى رحمه الله
قال بعض النحويين أصل لبيك لببك مأخوذ من لب بالمكان وألب اذا أقام فاستثقل
الجمع بين ثلاث باآت فابدلوا من الثالثة ياء كما قالوا تظنيت والاصل تظننت قال وفى فائدة
معنى لبيك أربعة اقوال بعد أن قال هى نصب على المصدر أحدها اجابة لك يارب
وثنوا لانهم أرادوا اجابة بعد اجابة كما قالوا حنانيك وقد تقدم والثانى اتجاهى اليك
يارب وقصدى فثنوا للتأكيد أخذا من قولهم دارى تلب دارك أى تواجهها
والثالث محبتى اليك يارب من قول العرب امرأة لبة اذا كانت محبة لولدها عاطفة
عليه ومنه قول الشاعر *وكنتم كأم لبة ظهر ابنها* والرابع اخلاص لك يارب من
قولهم حب لباب اذا كان خالصا محضا ومن ذلك لب الطعام ولبابه * بقى هنا من هذا
الشكل مما يتزن أد أمر من الاداء تقول أد الى فلان حقه وفى الحديث أد الامانة
الى من ائتمنك ولا تخن من خانك وفى القرآن العزيز أن أدوا الى عباد الله *جاء
فى التفسير عن مجاهد رحمه الله أن أرسلوا معى عبادى بنى اسرائيل وفى القرآن
أيضا يؤده ولا يؤده * ومن شكله واد اذا جعلت أصله اسم فاعل من ود يود فهو واد
وفى الحديث فى قصة الرؤيا قال النبى صلى الله عليه وسلم الرؤيا على رجل طائر ما لم

تعبر فاذا عبرت وقعت وفى آخر الحديث لا تقصها الا على واد أو ذى رأى * ومن
هذا الشكل أيضا واد واحد الاودية وذلك معلوم * ومما لا يتزن أذ على وزن فعل
يقال بعير أذ وناقة أذية اذا كان لا يقر فى مكان خلقة من غير وجع * ومما لا يتزن
أيضا اذ أخت اذا وهما ظرفان لما مضى وهى محذوفة من اذا التى هى لما يستقبل
وتدخل ما على اذ فتصير من حروف الجزاء فتجزم بها كما قال
* اذ ما أتيت على الرسول فقل له * البيت وقد تزاد فى مثل قوله تعالى واذ واعدنا
موسى أربعين ليلة تقديره وواعدنا وبقى من هذا الشكل اذ تقول رجل أذ شديد
داء الاذى *معكوس البيت ليس فيه الاداء وذا أما الداء فمعلوم أعاذنا الله منه وجمعه
أدواء يقال رجل دواء وامرأة دواة وقد داء يداء داء ويقال اداء أيضا وقد تقدم
ذا فى أول البيت ذوى الرجل وكيف يقال فيه وكيف يصرف * واما ذا فاسم مبهم
يتصل به من أوله ها التنبيه فتقول هذا تشير الى حاضر ويتصل به من آخره الكاف
فتقول ذاك للغائب والبعيد وتدخل اللام فيزداد البعد فتقول ذلك قال الله تعالى الم
ذلك الكتاب لا ريب فيه وكما تقول ذلك للمذكر الغائب وهذا للحاضر تقول تلك للمؤنثة
الغائبة وللحاضرة وبحسب من تخاطب تصل ضميره بذا فتقول ذلك للرجل
وذلك بكسر الكاف للمرأة وذلكما للاثنين وذلكم لجماعة الرجال وذلكن لجماعة
النساء وفى القرآن العزيز ذلكما مما علمنى ربى ذلكم يوعظ به فذلكن الذى لمتننى
فيه وتقول ذا للرجل وذى للمرأة وتصغير ذا ذيا وزعم سيبويه ان ذا وحده بمنزلة
الذى كقولهم ماذا رأيت فتقول متاعا حسنا قال لبيد

ألا تسألان المرء ماذا يحاول * أنحب فيقضى أم ضلال وباطل

واذا أدخلتها على ما أجريتها بوجوه الاعراب تقول ماذا رأيت فتقول خيرا وماذا
عندك فتقول خير وكذلك قال سيبويه رحمه الله ان أصل ذيا ذييا فحذفت ياء واحدة
استثقالا لاجتماع الياآت كما فعل فى تيا وقد تقدم وكذلك قالوا فى تصغير ذاك ذياك
وتصغير ذلك ذيالك تفتح الكاف للمذكر وتكسرها للمؤنث وأنشد
*انى أبو ذيالك الصبى * وهذا البيت لعربى قدم من سفر فوجد امرأته قد ولدت
فى غيبته فقال يخاطبها

لتقعدن مقعد القصى * أو تحلفى بربك العلى
أنى أبو ذيالك الصبى * قد رابنى بالمنظر الزكى

ومقلة كمقلة الكركى

فأجابته لا والذى ردّك ياصفيى * مامسّنى بعدك من أنسى

من رجز مطول اختصرته وأماذيت فأصلها اذية وأما الذى فاسم للمذكر لابدّ له
من الصلة وفيه لغات وسيأتى الكلام على ذلك فى معكوس قافية البيت الثانى من
هذا ان شاء الله تعالى وأما التى فكذلك من أسماء الصلات وهى للمؤنث
ويجمع على اللاتى واللائى واللواتى وفى القرآن العزيز واللاتى يأتين الفاحشة
من نسائكم واللائى لم يحضن وقد تقدم تى وتا بمعنى ذه للمرأة وكما تقول
ذو للمرأة تى تقول للرجل ذا وتقول رأيت فلانا ذامال وذاعلم وذاجاه تضيفه
الى جنس من الاجناس ولابدّ لانه انما دخل فى الكلام وصلة الى الوصف
بالاجناس فلا يضاف الى صفة فلا تقول جاءنى ذوعالم ولا يضاف الى مضمر وخطؤا
من قال صلى الله على محمد وذويه قال هذا الطاهر بن أحمد وتقول فى الرفع ذو وفى
الخفض ذى وفى التثنية ذوا وذوى وفى الجمع ذووا وذوى وفى القرآن العزيز
لينفق ذوسعة واثنان ذوا عدل منكم وسيأتى الذى واللذان واللذون ان شاء الله
ذات تعالى * وللمؤنث ذات قال الله تعالى سيصلى نارا ذات لهب وفى التثنية ذواتى أكل
خمط وفى الجمع ذوات وأولات الاحمال ويقال لقيته ذا صباح وذا يوم وافعل
هذا بذى تسلم أى سالمتك وكذلك يقولون لا بذى تسلم كأنه قال أفعلت كذا وكذا
فقلت لا بسلامتك أى لا أفعله وتدعوله بالسلامة مع ذلك وتقول للمرأة لا بذى
تسلمين قال ثابت فى الدلائل العرب تزيد ذا فى الكلام وأنشد

عزمت على اقامة ذى صباح * لامر مايسود من يسود

وربما كانت بدلا من الذى قيل لاعرابى هل بامرأتك من حبل قال لا وذو بيته
فى السماء قال أبو حاتم ولغة بعض العرب يقولون فلان ذو سمعت به يعنى الذى سمعت
به ولا يغير هذا اللفظ فى رفع ولا نصب ولا جرّ وهو على هيئة واحدة فى التثنية والجمع
والتذكير والتأنيث ويقال أتى عليه ذو أتى أى الذى أتى عليه وفى وصية حفصة أم
المؤمنين رضى الله عنها وأوصت بأشياء وفى آخرها هذه وصيتى ان أتى علىّ ذو أتى
مالم أغيرها قال ومما يتكلم به مؤنثا اللهم أصلح ذات بيننا وفى القرآن العظيم وأصلحوا
ذات بينكم ويقال لقيته ذات العويم وذات الزمين ولقيته ذات غبوق وذات صبوح
وقال أبو حاتم وقد يقال لقيته ذا صباح ومما تكلموا فيه بالتأنيث قولهم فلان قليل

ذات اليد اذا كان مقلا ومن شكل ذا ذاى ولا تظنن انى جهلت ان وزن لفظة
ذاى فعل انما أردت الصورة وقصدت أن تكون الفائدة فيه مع ذا محصورة يقال ذأى
ذأى البعير يذأى ذأوا وهو ضرب من عدوه ويقال فيه أيضا ذأيا وتقول ذأى
العود يذأى ذبل ويقال فى هذا أيضا ذوى يذوى ذياوذويا ذبل وضعف * ومن
شكله أيضا داء بالدال غير منقوطة تقول دأى الذئب يدأى دأوا وهو شبه الختل
والمراوغة وقد يقلب هذا فيقال فيه أدى الذئب الغزال يأدو اذا ختله وقد قالوا
دأى البعير بالدال غير معجمة والدأى منه الموضع الذى يقع عليه ظلفة الرحل فتعقره
فيقع عليه الغراب ولذلك سمى ابن دأية قال الشاعر يصف الشيب

ولما رأيت النسر عز ابن داية * وعشش فى وكريه جاشت له نفسى

ومن مضاعف هذا دأدأ الرجل الشئ حركه وتدأدأ هو والدأدأة صوت وقع دأدأ
الحجارة فى السيل قال

تداركه فى منصل الال بعدما * مضى غير دأداء وقد كاد يعطب

ويقال دأدأ البعير دأدأة وديداء اذا عدا بأشدّ عدوه والدأدأ واحد الدآدى
وهى ثلاث ليال من آخر الشهر قبل ليالى المحاق فهى على هذا ليلة خمس وعشرين
وست وعشرين وسبع وعشرين من الشهر وليلة دأداة شديدة الظلمة كذا قاله
أهل اللغة ووقع فى كتاب مسلم رحمه الله نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صيام
الداداه يعنى آخر يوم من الشهر كذا وقع مفسرا فى الحديث بغير همز مع
سكون الهاء

(فصل من الفوائد) تقدم قبل هذا ذكر الادّ وجاء منه فى الحديث أدّك أدّ أبيك
لا تقطع أدّ أبيك فيطفأ نورك خرجه ثابت رحمه الله وقال أدّ الرجل أهل مودة
أبيه خرج الاسم مخرج المصدر وفى باب الفاء من قول النبى صلى الله عليه وسلم
ان أبرّ البرّ صلة الرجل أهل ودّ أبيه بعد أن يولى (ومن الاد) حديث عمرو بن منقبة
أدّ العامرى ذكر ابن اسحاق فى السير فى غير رواية البكالى أن عمرو بن أدّ خرج
يوم الخندق فنادى هل من يبارزنى فقام على بن أبى طالب رضى الله عنه
وهو مقنع بالحديد فقال أنا له يانبى الله فقال انه عمرو اجلس ونادى عمرو ألا رجل
وهو يؤنبهم ويقول أين جنتكم التى تزعمون ان من قتل منكم دخلها أفلا
تبرزون لى رجلا فقام على رضى الله عنه فقال ألا أبرز يارسول الله فقال اجلس

انه عمرو ثم نادى الثالثة فقال

ولقد بححت من النداء * بجمعكم هل من مبارز
ووقفت اذ جبن المشجع * موقف القرن المناجز
وكذاك انى لم أزل * متسرعا قبل الهزاهز
ان الشجاعة فى الفتى * والجود من خير الغرائز

فقام على رضى الله عنه فقال يارسول الله أنا له فقال انه عمرو فقال وان كان عمرا فأذن له صلى الله عليه وسلم فمشى اليه على حتى أتاه وهو يقول

لاتعجلن فقد أتا * ك مجيب صوتك غير عاجز
ذو نية وبصيرة * والصدق منجا كل فائز
انى لأرجو أن أقيـ * ـم عليك نائحة الجنائز
من ضربة نجلاء يبـ * ـقى ذكرها عند الهزاهز

فقال له عمرو من أنت قال أنا على قال ابن عبد مناف قال أنا على بن أبى طالب قال غيرك يا ابن أخى من أعمامك من هو أسن منك فانى أكره ان أهريق دمك فقال له على رضى الله عنه لكننى والله ما أكره أن أهريق دمك فغضب عمرو ونزل فسل سيفه كأنه شعلة نار ثم أقبل نحو على مغضبا وذكر انه كان على فرسه فقال له على كيف أقاتلك وأنت على فرسك ولكن انزل معى فنزل عن فرسه ثم أقبل نحوه فاستقبله على رضى الله عنه بدرقته وضربه عمرو فيها فقدها وأثبت فيها السيف وأصاب رأسه فشجه وضربه على رضى الله عنه على حبل العاتق فسقط وثار العجاج وسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم التكبير فعرف أن عليا قد قتله ثم أقبل نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متهلل فقال له عمر بن الخطاب هلا سلبته درعه فانه ليس فى العرب درع خير منها فقال انى حين ضربته استقبلنى بسوأته فاستحييت ابن عمى أن أسلبه وخرجت خيله منهزمة حتى اقتحمت الخندق فن هنا لم يأخذ على سلبه وقيل تنزه عن أخذها وقيل انهم كانوا فى الجاهلية اذا اقتتلوا القتيل لا يسلبونه ثيابه * وقول عمرو لعلى انى والله أكره ان أهريق دمك زاد غيره فان أباك كان لى صديقا قال الزبير كان أبو طالب نادم مسافر بن أبى عمرو فلما هلك اتخذ عمرو بن أد نديما فلذلك قال لعلى حين بارزه ما قال وتقدم فى القرآن سيجعل لهم الرحمن ودا وفى الموطأ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا أحب الله

العبد قال لجبريل عليه السلام قد أحببت فلانا فأحبه فيحبه جبريل ثم ينادى فى أهل السماء ان الله قد أحب فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء ثم يضع له القبول فى الارض واذا أبغض العبد قال مالك لا أحسب الا أنه قال فى البغض مثل ذلك وقال أبو الدرداء رضى الله عنه يحذر المرء أن تبغضه قلوب المؤمنين من حيث لا يشعر ثم قال أتدرى ما هذا قلت لا قال العبد يخلو بمعاصى الله تعالى فيلقى الله بغضه فى قلوب المؤمنين من حيث لا يشعر (قلت) وكذلك على الطاعة وجاء فى الحديث تصديق ذلك مر أبو ذر رضى الله عنه على النبى صلى الله عليه وسلم ومعه جبريل عليه السلام فقال هذا أبو ذر قال أوتعرفه ياجبريل قال هو فى السماء أعرف منه فى الارض وفى البخارى فى فضائل أهل بدر جاء جبريل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال ما تعدون أهل بدر فيكم قال من أفضل المسلمين أو كلمة نحوها قال وكذلك من شهد بدرا من الملائكة قال بعض العلماء وذكر قتال الملائكة مع المسلمين فى وسع أحد الملائكة أن يهزم جميع من فى الارض ألا ترى أن جبريل عليه السلام اقتلع مدائن قوم لوط بريشة من ريش جناحه ثم صعد بها الى السماء حتى سمع أهل السماء نباح الكلاب ونهيق الحمير ثم ألقاها من هناك وهى المؤتفكة يعنى المنقلبة وانما سأل الملائكة ربهم أن يردهم الى قوى البشر حتى ينالوا فضل الجهاد ففعلوا ما فعلوا يوم بدر وغيره هذا معنى كلامه والله أعلم * وتقدم فى القرآن العزيز ولا تذرن ودا ولا سواعا كان ود لكلب بدومة الجندل وسواع لهذيل ويغوث لمراد ويعوق لهمدان ونسر لحمير وهذه أسماء رجال صالحين حزن عليهم قومهم لما ماتوا فسول لهم الشيطان أن صوروا صورهم ليتسلوا بالنظر اليها فلما مات أولئك عبدها أبناؤهم وكذا كان أصل عبادة الصليب عافانا الله من الخذلان صوروا صورته أولا ليظهر والحزن عليه والتأسف عند معاينته فى زعمهم ثم آل ذلك الى عبادته * وتقدم فى القرآن العزيز وفرعون ذى الاوتاد قال أبو هريرة رضى الله عنه ان فرعون وتد الاوتاد لامرأته أربعة أوتاد وأضجعها على ظهرها ووضع عليها رحارح واستقبل بها عين الشمس فرفعت رأسها الى السماء وقالت رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة ونجنى من فرعون وعمله ونجنى من القوم الظالمين ففرج لها عن بيتها فى الجنة فرأته خرجه ثابت وفسر الرحارح بالحجارة العريضة المنبسطة كالارحى ونحوها والرحح انبساط الحافر وكل شئ كذلك فهو أرح وانشد

في صفة فرس

لا رح فيه ولا اضطرار * ولم يقلب أرضها البيطار

الزباء وجذيمة

ومن الوتد حديث ابن عون قال رأيت مسلم بن يسار يصلي كأنه وتد خرجه ثابت
وتقدم قول الزباء (ما للجمال مشيها وئيدا) ولذلك خبر أرويه فيما قرأته بالاسكندرية
على الشريف العثماني رحمه الله في مقصورة ابن دريد قال الشارح لما ملك جذيمة
الابرش بن مالك بن فهم الازدي شطي الفرات الى مراة جاماس والى الانبار وما
والى ذلك الى السواد ستين سنة قتل أبا الزباء وكان من العماليق وغلب على ملكه
وألجأ الزباء الى أطراف مملكتها وكان أبرص فهابت العرب أن تقول الابرص
فقالت الابرش والوضاح وكانت الزباء أديبة عاقلة فبعثت اليه تخطبه على نفسها
لتصل ملكه بملكها فدعته نفسه الى ذلك فشاور وزراءه في ذلك فكلهم أشار
عليه أن يفعل الا قصير بن سعد القضاعي فانه قال له أيها الملك لا تفعل فان هذا
خديعة ومكر فعصاه وخالفه وأجابها الى ما سألت وقال لقصير (لا يطاع لقصير رأي)
فجرت مثلا ثم كتبت له بعد ذلك أن سر الي فجمع أصحابه ببقة وهي قرية على الفرات
فأشاروا عليه بالخروج اليها وقال قصير أيها الملك لا تفعل فانما يهدي النساء الى
الرجال فعصاه فقال أيها الملك أما اذ عصيتني فاذا رأيت جندها قد أقبلوا اليك
وترجلوا وحيوك ثم ركبوا وتقدموك فقد كذب ظني وان رأيتهم أطافوا بك
فاني معرض لك العصا وهي فرس لجذيمة لا تدرك فاركبها وانج فلما أقبل أصحابها
حيوه ثم أطافوا به فقرب اليه قصير العصا فشغل عنها وركبها قصير فنجا وأخذ جذيمة
فنظر الى قصير على العصا وقد حال دونه السراب فقال (ما ضل من تجري به العصا)
فجرت مثلا وأدخل جذيمة على الزباء وكانت قد ربت شعر عانتها حولا فلما دخل
عليها تكشفت له وقالت أذات عروس ترى يا جذيمة أما انه ليس من عوز المواسي
ولا قلة الاواسي ولكنها شيمة في أناسي وأمرت به فأجلس على نطع وجيء بطست
من ذهب وقطعت رواهشه وكان قيل لها احتفظي بدمه فان أصابت الارض قطرة
من دمه طلب بثاره فقطرت قطرة من دمه على الارض فقالت لهم لا تضيعوا دم
الملك فقال جذيمة (دعوا دما ضيعه أهله) فذهبت مثلا ومات فسار قصير بن سعد
الى عمرو بن ربيعة بن مضر وهو ابن أخت جذيمة فقال ألا تطلب بثار خالك قال
كيف أقدر على الزباء وهي (أمنع من عقاب الجو) فأرسلها مثلا فقال قصير اجدع

انفى

أنفي وأذني واضرب ظهري بالسوط حتى تؤثر فيه ودعني واياها ففعل به ذلك فلحق
بالزباء وقال لها لقيت هذا البلاء من أجلك قالت وكيف قال ان عمرا زعم اني أشرت
على خاله بالخروج اليك حتى فعلت به ما فعلت ثم أحسن خدمتها وأظهر لها النصيحة
حتى حسنت منزلته عندها وزين لها التجارة فبعثت معه بعيرا الى العراق فسار
قصير الى عمرو مستخفيا فأخذ منه مالا وزاده في مالها واشترى لها طرفا من طرف
العراق ورجع اليها فأراها تلك الارباح فسرت بها ثم كر كرة أخرى فأضعف المال
فلما كان المرة الثالثة اتخذ جوالق كجوالق الجص وجعل ربطها من أسافلها الى
داخل وأدخل في كل جوالق رجلا بسلاحه وأقبل اليها وأخذ غير الطريق الذي
كان يسلكه وجعل يسير الليل ويكمن النهار وأخذ عمرا معه وكانت الزباء قد صور
لها عمرو قائما وقاعدا وراكبا وكانت قد اتخذت لنفسها نفقا أجرت عليه الفرات
من قصرها الى قصر أختها زبيبة وبعد عليها خبر قصير فلما قرب قصير من بلدها
تقدم العير وكان قد أبطأ عنها فقيل لها أخذ الغوير فقالت (عسى الغوير أبؤسا)
فأرسلتها مثلا ودخل قصير الى الزباء وقال لها قومي فانظري الى العير فرقت سطحا
عاليا فجعلت تنظر الى العير مقبلة تحمل الرجال مثقلة فقالت

ما للجمال مشيها وئيدا * أجندلا يحملن أم حديدا
أم صرفانا تارزا شديدا * أم الرجال جثما قعودا

ووصف قصير لعمرو باب النفق ووصف له الزباء فلما دخلت العير المدينة وعلى
الباب بوابون من النبط وفيهم واحد ومعه مخصرة فطعن جوالقا منها فأصابت
المخصرة رجلا فضرط فقال البواب بالنبطية الشر الشر وحلت الرجال الجوالقات
ومشوا في المدينة بالسلاح ووقف عمرو على باب السرب فلما رأت عمرا عرفته
بالصفة فمصت فصها وكان مسموما وقالت بيدي لا بيد عمرو ويقال ان عمرا جللها
بالسيف حتى قتلها واستباح بلدها وملكها وفي ذلك قال ابن دريد رحمه الله في
المقصورة التي تقدم ذكرها

وقد سما عمرو الى أوتاره * فاحتط منها كل عالي المستمى
فاستنزل الزباء قسرا وهي من * عقاب لوح الجو أعلى منتمى

وفي قصير المذكور جاء المثل (لامر ما جدع قصير انفه) وقد احتجت أنا الى ذكر
المثل في حديث جرى فقلت في أبيات منها

وان كان قولى حيلة فاقصة * أصار قصيرا أنفه صفة الحد
وقبله يقولون فى التصغير نقص وانه * لأوفى من التكبير فى القدر والعد
والا فباسم الله عدوا حروفه * أليس عبيد الله أكثر من عبد

وكان ولد لى ولد سميته عبيد الله وكان له أخ أكبر منه اسمه عبد الله فكان ثم من عز عليه تصغير الاسم فقلت ما تقدم فى أبيات انظرها فى التكميل * وتقدم ذكر الموؤدة يقال وأد الموؤدة يئدها دفنها حية وكانت العرب فى الجاهلية تفعل ذلك قيل من أجل الغيرة وقيل خوف الفقر كما قال تعالى خشية املاق ومنه قول الفرزدق موؤدة
ومنا الذى منع الوائدات * وأحيى الوئيد فلم يوأد

يعنى جده صعصعة بن ناجية بن عقال وكان يفدى الموؤدة أن تقتل يروى أنه لما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم قال يا رسول الله انى كنت أعمل عملا فى الجاهلية أفينفعنى ذلك اليوم قال وما عملك فأخبره بخبر طويل فيه أنه حضر ولادة امرأة من العرب بنتا فأراد أبوها أن يئدها قال فقلت له أتبيعها قال وهل تبيع العرب أولادها قال قلت انما أشترى حياتها ولا أشترى رقها فاشتراها منه بناقتين عشراوين وجمل وقد صارت لى سنة فى العرب على أن أشترى ما يئدونه بذلك فعندى الى هذه الغاية ثمانون ومائتا موؤدة وقد أنقذتها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينفعك ذلك لانك لم تبتغ بذلك وجه الله وان تعمل فى اسلامك عملا صالحا تثب عليه وكان زيد بن عمرو بن نفيل الذى قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث أمة وحده يحيى الموؤدة أيضا يقول للرجل اذا أراد أن يئد ابنته لا تقتلها أنا أكفيك مؤنتها فيأخذها فاذا ترعرعت قال لابيها ان شئت دفعتها اليك وان شئت كفيتك مؤنتها وسيأتى خبره فى باب الميم ان شاء الله تعالى وقال الله تعالى واذا الموؤدة سئلت بأى ذنب قتلت قيل سؤال الموؤدة على وجه التوبيخ لقاتلها وهى لا تعقل كما يقال للطفل الذى لا يعقل لم ضربت اذا ضرب وما ذنبك وكما قال الله تعالى واذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله وقيل انها تكون يومئذ كاملة فى العقل وغيره ومعنى سئلت سئل عنها كما قال تعالى ان العهد كان مسئولا أى مسئولا عنه ويقرأ سألت وسيأتى * ومن الموؤدة حديث نعيم بن قعنب الرياحى قال أتيت أبا ذر رضى الله عنه فلم أجده ورأيت امرأته فسألتها عنه فقالت هو ذا فى صفة لنا فجعل يسوق أو يقود بعيرين قاطرا أحدهما فى عجز صاحبه

فى عنق كل واحد منهما قربة فوضع القربتين فقلت أبا ذر ما كان من الناس أحد أحب الى من أن ألقاه منك ولا أبغض الى أن لا ألقاه منك فقال لله أبوك وما جمع هذا فقال انى كنت وأدت فى الجاهلية وكنت أخشى فى لقيك أن تخبرنى أنه لا توبة لى وكنت أرجو فى لقيك أن تخبرنى أن لى توبة وفرجا قال أوفى الجاهلية قلت نعم قال عفا الله عما سلف ثم عاج رأسه الى المرأة فأمرها بطعام فالتوت عليه ثم أمرها فالتوت عليه حتى ارتفعت أصواتهما فقال ايها الآن دعينا عنك فانكن لن تعدون ما قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكن قلت وما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهن قال قال المرأة من ضلع فان ذهبت تقومها تكسرها وان تدعها ففيها أود وبلغة فجاءت بثريد كأنها قطاة فقال كل ولا أهولنك فانى صائم ثم قام يصلى فجعل يهذب الركوع ويخففه ومعنى يهذب يسرع ورأيته يتنظرنى أن أشبع أو أقارب ثم انصرف فجعل يده معى فقلت انا لله وانا اليه راجعون فقال ومالك فقلت من كنت أخشى من الناس أن يكذبنى فما كنت أخشى أن تكذبنى فقال لله أبوك ان كذبتك كذبة منذ لقيتنى فقلت ألم تقل انى صائم ثم أراك تأكل قال نعم قد صمت من هذا الشهر ثلاثة أيام فوجب لى أجره وحل لى الطعام معك قوله قاطرا أحدهما هو من القطار وهو أن يربط أحدهما بالآخر ومنه قول عمر رضى الله عنه فى الناقة العمياء يقطر بها بالابل وقوله عاج رأسه هو من العوج وهو عطف رأس البعير بالزمام وكل شىء تعطفه من قضيب أو غيره تقول عجته فانعاج ومن هذا قيل ناقة عاج اذا كانت مذعان السير لينة الانعطاف وتقول ما عجت بخبر فلان ولا أعوج به أى ما أباليه وكذلك ما عجت بكذا أى لم أنتفع به قال أبو زيد يقال شربت ماء ملحا فما عجت به أعيج به عيجا أى لم أرو منه والابل تعيج بالماء الملح وتبضع به بضوعا ونقوعا وهو الرى وأنشد

وبعض القوم ليس له معاج * كمخض الماء ليس له اناء
وبعض خلائق الاقوام داء * كداء الشيخ ليس له دواء

وجاء فى بعض الأخبار أنهم كانوا يئدون من البنات ما كانت زرقاء أو شيماء أو برشاء أو كسحاء تشاؤما منهم بهذه الصفات ومن هذا حديث سودة بنت زهرة بن كلاب وذلك أنها لما ولدت على بعض هذه الصفات ورآها أبوها كذلك أمر بوأدها فأرسلها الى الحجون لتدفن هنالك فلما حفر لها الحافر وأراد دفنها سمع هاتفا يقول

لا تئد الصبية وخلها فى البرية فالتفت فلم ير شيئا فعاد لدفنها فسمع الهاتف يسجع بسجع آخر فى المعنى فرجع الى أبيها فأخبره بما سمع فقال ان لها لشأنا وتركها فكانت كاهنة قريش فقالت يوما لبنى زهرة ان فيكم نذيرة أو تلد نذيرا فاعرضوا على بناتكم فعرضن عليها فقالت فى كل واحدة منهن قولا ظهر بعد حين حتى عرض عليها آمنة بنت وهب فقالت هذه النذيرة أو ستلد نذيرا فى خبر طويل ذكره أبو بكر النقاش وفيه ذكر جهنم أعاذنا الله منها ولم يكن اسم جهنم مسموعا عندهم فقالوا لها وما جهنم فقالت سيخبركم عنها النذير قلت واذ قد جرى ذكر التكهن فاحسن ما رأيت فى ذلك حديث سواد بن قارب رضى الله عنه قال فيه ابن الكلبى دوسى وقال غيره سدوسى وكان كاهنا فى الجاهلية وفيه يقول القائل كهانة

ألا لله علم لا يجارى * الى الغايات فى جنبى سواد

يروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه مازحه فى الاسلام فقال له ما فعلت كهانتك يا سواد فغضب فقال قد كنت أنا وأنت على شر من هذا من عبادة الاصنام وأكل الميتات أفتعيرنى بأمر قد تبت منه فقال عمر حينئذ اللهم غفرا ثم حدث أن رئيه جاءه ثلاث ليال متواليات هو فيها كما بين النائم واليقظان وقال له قم يا سواد واسمع مقالتى واعقل ان كنت تعقل قد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم من لؤى بن غالب يدعو الى الله وعبادته وأنشده فى كل ليلة من الثلاث الليالى ثلاثة أبيات معناها واحد وقافيتها مختلفة فأنشده فى الليلة الاولى

عجبت للجن وتطلابها * وشدها العيس بأقتابها
تهوى الى مكة تبغى الهدى * ما صادق الجن ككذابها
فارحل الى الصفوة من هاشم * ليس قداماها كأذنابها

وفى الثانية عجبت للجن وابلاسها * وشدها العيس بأحلاسها
تهوى الى مكة تبغى الهدى * ما طاهر الجن كأرجاسها
فارحل الى الصفوة من هاشم * ليس ذنابى الطير من راسها

وفى الثالثة عجبت للجن وتنفارها * وشدها العيس بأكوارها
تهوى الى مكة تبغى الهدى * ما مؤمن الجن ككفارها
فارحل الى الصفوة من هاشم * ليس قداماها كأدبارها

ثم قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنشده ما كان من الجنى رئيه اليه ثلاث

ليال متواليات وأنشده

أتانى نجيى بعد هدء ورقدة * ولم يك فيما قد بلوت بكاذب
ثلاث ليال قوله كل ليلة * أتاك نبى من لؤى بن غالب
فرفعت أذيال الازار وشمرت * بى العرمس الوجنا جهول السباسب
فأشهد أن الله لا شئ غيره * وانك مأمون على كل غائب
وأنك أدنى المرسلين وسيلة * من الله يا ابن الاكرمين الاطايب
فمرنا بما يأتيك من وحى ربنا * وان كان فيما جئت شيب الذوائب
وكن لى شفيعا يوم لا ذو شفاعة * بمغن فتيلا عن سواد بن قارب

ولسواد بن قارب هذا مقام حميد فى دوس حين بلغهم وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام حينئذ سواد فقال يا معشر الازد ان من سعادة القوم أن يتعظوا بغيرهم ومن شقائهم أن لا يتعظوا الا بأنفسهم وان من لم تنفعه التجارب ضرته ومن لم يسعه الحق لم يسعه الباطل وانما تسلمون اليوم بما سلمتم به أمس وقد علمتم أن نبى الله قد تناول قوما أبعد منكم فظفر بهم وواعد قوما أكبر منكم فأخافهم ولم تمنعه منهم عدة ولا عدد وكل بلاء منسى الا مابقى أثره فى الناس ولا ينبغى لاهل البلاء الا أن يكونوا أكثر من أهل العافية للعافية وانما كف نبى الله عنكم ما كفكم عنه فلم تزالوا خارجين مما فيه أهل البلاء داخلين فيما فيه أهل العافية حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبكم ونقيبكم فعبر الخطيب ونقب النقيب عن الغائب ولست أدرى لعله تكون للناس جولة فان تكن فالسلامة منها الاناة والله يحبها فأحبوها وقال فى ذلك

جلت مصيبتك الغداة سواد * وأرى المصيبة بعدها تزداد
أبقى لنا فقد النبى محمد * صلى الاله عليه ما يعتاد
حزنا لعمرك فى الفؤاد مخامرا * أو هل لمن فقد النبى رقاد
كنا نحل به جنابا ممرعا * جف الجناب فأجدب الرواد
فبكت عليه أرضنا وسماؤنا * وتصدعت وجدا به الاكباد
قل المتاع به وكان عيانه * حلما تضمن سكرتيه رقاد
ان النبى وفاته كحياته * الحق حق والجهاد جهاد
لو قيل تفدون النبى محمدا * بذلت له الاموال والاولاد

وتسارعت فيه النفوس ببذلها * هـذا له الاغياب والاشهاد
هـذا وهـذا لا يرد نبينا * لوكان يفديه فداه سواد
انى أحاذر والحـوادث جمـة * أمرا لعاصف ريحه ارعاد
ان حل" منه مايخاف فأنتم * للارض ان رجفت بنا أوتاد
لوراد قوم فوق منية صاحب * ردتم وليس لمنيـة مرتاد

فأعجب القوم شعره وقوله فأجابوه الى ما أحب * وروى أبو جعفر العقيلي فى كتاب الصحابة رضى الله عنهم عن رجل من بنى لهب يقال له لهب أولهيب قال حضرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت عنده الكهانة فقلت بأبى أنت وأمى نحن أوّل من عرف حراسة السماء وزجر الشياطين ومنعهم من استراق السمع عند قذف النجوم وذلك اننا اجتمعنا عند كاهن لنا يقال له خطر بن مالك وكان شيخا كبيرا قد أتت عليه مائتا سنة وثمانون سنة وكان من أعلم كهاننا فقلنا له يا خطر هل عندك علم من هذه النجوم التى يرمى بها فانا قد فزعنا لها وخشينا سوء عاقبتها فقال عودوا الى" السحر أخبركم الخبر أ لخير أم ضرر ولا" من أم حذر قال فانصرفنا عنه يومنا فلما كان من غد فى وجه السحر أتيناه فاذا هو قائم على قدميه شاخص الى السماء بعينيه فناديناه يا خطر يا خطر فاومأ الينا أمسكوا فأمسكنا وانقض نجم عظيم من السماء وصرخ الكاهن رافعا صوته أصابه اصابه خامره عقابه عاجله عذابه أحرقه شهابه زايله جوابه ياويله ماحاله بلبله بلباله عاوده خباله تقطعت حباله وغيرت أحواله ثم أمسك طويلا فاذا هو يقول

يامعشر العرب بنى قحطان * أخبركم بالحق والبيان
أقسمت بالكعبة والاركان * والبلد المؤتمن السدّان
قد منع السمع عتاة الجان * بثاقب بكف ذى سلطان
من أجل مبعوث عظيم الشان * يبعث بالتنزيل والقرآن
وبالهدى وفاصل الفرقان * تبطل به عبادة الاوثان

فقلنا ويحك يا خطر انك لتذكر أمرا عظيما فما ترى لقومك فقال

أرى لقومى ما أرى لنفسى * أن يتبعوا خير نبى الانس
برهانه مثل شعاع الشمس * يبعث فى مكة دار الحمس
بمحكم التنزيل غير اللبس

فقلنا يا خطر ومن هـذا فقال والحياة والعيش انه لمن قريش ما فى حكمه طيش ولا فى خلقه هيش يكون فى جيش واى جيش من آل قحطان وآل ايش فقلنا له بين لنا من أى قريش هو فقال والبيت ذى الدعائم والركن والاحائم انه لمن نجل هاشم من معشر أكارم يبعث بالملاحم وقتل كل ظالم ثم قال هـذا هو البيان أخبرنى به رئيس الجان ثم قال الله أكبر جاء الحق وظهر وانقطع عن الجن الخبر ثم سكت وأغمى عليه فما أفاق الا بعد ثالثة فقال لا اله الا الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد نطق عن مثل نبوة وانه يبعث يوم القيامة أمة وحده * نقلت هـذا أيضا من كتاب الاستاذ رحمه الله * قوله أصابه اصابه أراد وصابه جمع وصب مثل جمل وجمال وقوله وآل ايش يحتمل أن تكون قبيلة من الجن ويحتمل أن يريد وايش بمعنى وأى شئ على جهة المدح والاحائم يريد الاحاوم * ومن الكهان أيضا شق وسطيح وخبرهما مذكور فى السيرة واخبارهما عما لم يقع * كان سطيح جسدا ملقى لا جوارح له فيما يذكرون ولا يقدر على الجلوس الا اذا غضب انتفخ فجلس وكان شق شق انسان فيما يذكرون انما له يد واحدة ورجل واحدة وعين واحدة ويذكر عن وهب بن منبه رضى الله عنه أنه قال قيل لسطيح أنى لك هذا العلم فقال لى صاحب من الجن استمع أخبار السماء من طور سيناء حين كلم الله موسى فهو يؤدّى الى" من ذلك ما يؤدّيه وولد شق وسطيح فى اليوم الذى ماتت فيه طريفة الكاهنة امرأة عمرو بن عامر بن مزيقيا وهى بنت الخير الحميرية ودعت بسطيح قبل أن تموت فأتيت به فتفلت فى فيه وأخبرت انه سيخلفها فى علمها وكهانتها وكان وجهه فى صدره لم يكن له رأس ولا عنق * ودعت بشق ففعلت به ما فعلت بسطيح ثم ماتت وقبرها بالجحفة وعمر سطيح زمانا طويلا حتى أدرك مولد النبى صلى الله عليه وسلم فرأى كسرى أنوشروان وتفسيره بالعربية مجدد الملك فيما ذكروا وهو ابن قباذ ما رأى من ارتجاس الايوان وخمود النيران ولم تكن خمدت قبل ذلك بألف عام وسقطت من قصره أربع عشرة شرفة وأخبره الموبذان ومعناه القاضى او المفتى بلغتهم انه رأى ابلا صعابا تقود خيلا عرابا قد قطعت دجلة وانتشرت فى بلادهم وغارت بحيرة ساوة فأرسل كسرى عبد المسيح بن عمرو بن حيان بن نفيل الغسانى وكان سطيح من اخوال عبد المسيح ولذلك أرسله

كسرى فيما ذكر الطبرى الى سطيح يخبره عن ذلك و يستعبره رؤيا الموبذان فقدم
عليه وقد أشفى على الموت فسلم عليه فلم يحر سطيح جوابا فأنشأ عبد المسيح يقول

أصم أم يسمع غطريف اليمن * أم فاد فازلم به شأو العنن
يا فاصل الخطة أعيت من ومن * أتاك شيخ الحى من آل سنن
وأمه من آل ذئب بن حجن * أبيض فضفاض الرداء والبدن
رسول قيل العجم يسرى للوسن * لا يرهب الرعد ولا ريب الزمن
تجوب بى الارض علنداة شزن * ترفعنى وجنا وتهوى بى وجن
حتى أتى عارى الجآجى والقطن * تلفه فى الريح بوغاء الدمن
كأنما حثحث من حضنى ثكن

ثكن اسم جبل فلما سمع سطيح شعره رفع رأسه فقال عبد المسيح على جمل مشيح
جاء الى سطيح حين أوفى على الضريح بعثك ملك بنى ساسان لارتجاس الايوان
وخمود النيران ورؤيا الموبذان رأى ابلا صعابا تقود خيلا عرابا قد قطعت دجلة
وانتشرت فى بلادها يا عبد المسيح اذا كثرت التلاوة وظهر صاحب الهراوة
وخمدت نار فارس وغارت بحيرة ساوة وفاض وادى سماوه فليست الشام لسطيح
شاما ولا بابل للفرس مقاما يملك منهم ملوك وملكات على عدد الشرفات وكل ماهو
آت آت ثم قضى سطيح مكانه * قوله ازلم معناه قبض قاله ثعلب وقوله شأو العنن يريد
الموت وما عن منه قاله الخطابى وفاد مات يقال منه فاد يفود وأما يفيد فمعناه يتبختر
وتقدم قبل هذا ذكر الفسطاط وهو اسم مصر المشهورة سميت بهذا الاسم من
اجل ان عمرو بن العاص رضى الله عنه لما نزل عليها وحاصر أهلها ضرب فسطاطه
بها وهو الخباء ثم تشاغل عن دخوله بالقتال والمحاصرة فلما افتتح البلد وأراد
النزول الى الاسكندرية وجد فى الفسطاط حماما قد عشش فيه وباض فكره أن
يقوضه فأمر بالخباء أن يبقى على حاله ووكل به من يحفظه حتى يفرخ الحمام فكان
ذلك فسمى البلد بالفسطاط من أجل ذلك ذكر معنى هذا الخبر أبو عبيد البكرى رحمه
الله وجاء من ذكر الفسطاط فى الحديث عن أبى الدرداء رضى الله عنه ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال ان فسطاط المسلمين يوم الملحمة بالغوطة الى جانب
مدينة يقال لها دمشق من خير مدائن الشأم وتقدم * اذا القوس وترها أيد *
وهو شعر حسن له معنى بديع أوله

اذا

نسكنة

اذا القوس وترها أيد * رمى فأصاب الكلا والذرى
واحيى بملدته بلدة * عفت بعد أن قد عفاها الصرى

يعنى بالقوس الذى يقول له الناس قوس قزح و يقولون هو الملك الموكل بالسحاب
وقوسه هو الذى تراه فى الجو ذا ألوان قبل نزول المطر يقول اذا الله عز وجل
وترهذا القوس لهذا الملك الايد يعنى القوى أسقى الارض فأنبت الله به
النبت فرمى به فى كلى الابل وفى ذراها بالسمن والشحم وقوله وأحيى بملدته
بلدة فالبلدة الاولى من المنازل ومطرها فى أكثر الاحيان لا يختلف والثانية
البلدة التى من الارض وعفت كثرت من قوله تعالى ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة
حتى عفوا أى بدلنا مكان الضر والبأس الرخاء والعافية حتى عفوا أى كثروا
وفى الحديث من هذا اللفظ أمره عليه الصلاة والسلام باحفاء الشوارب واعفاء
اللحى أى تكثيرها وتوفيرها * تقدم قوس قزح كره بعض العلماء أن يقال كذلك
خرج القاسم بن سلام فى كتاب آداب الاسلام له قال لا تقولوا قوس قزح فان
قزح شيطان ولكن قولوا القوس وأما القزح الموضع الذى بالمزدلفة فمعلوم وسيأتى
ذكر القوس فى باب الواو ان شاء الله تعالى * وتقدم ذكر الايادى وانها ثلاثة خرج
أبو داود ان النبى صلى الله عليه وسلم قال الايدى ثلاث فيد الله العليا ويد المعطى
التى تليها ويد الآخذ السفلى فأعط الفضل ولا تعجز عن نفسك وقال بعض الحكماء
الايادى ثلاث بيضاء وخضراء وسوداء فاليد البيضاء الابتداء بالمعروف واليد
الخضراء المكافئة واليد السوداء المن بالمعروف ولى من قطعة كتبت بها الى
صاحب لى أهدى لى كتف شاة بيدها وكان اسمه على فقلت

ثلاثة أيد مننت بها * على أبا حسن لا تعد
وذلك انك أهديت لى * فواحدة ذاك فاحسب وعد
وثانية أن بدأتم بها * وثالثة أن بعثتم بيد

انظرها فى التكميل * وتقدم يد بحر وفسره ابن قتيبة فى حديث النبى صلى الله
عليه وسلم انه استأجر هو وأبو بكر رضى الله عنه من بنى الديل رجلا هاديا خريتا
فأخذ بهم يد بحر قال يريد الساحل لان الطريق كان عليه ومن هذا يقال للقوم
اذا تفرقوا فى البلاد تفرقوا أيدى سبا يريد أخذوا طريق سبأ الذى مزقهم الله
كل ممزق فى البلاد قال والخريت الماهر بالدلالة والدلالة جميعا وانما سمى

خربتا الا انه يهتدى بمثل خرت الابرة ولا يخفى عليه شئ وجاء فى البخارى اسم هذا الدليل أرقط ويقال أريقط وللفقيه الخطيب أبى محمد عبد الوهاب فى الخريت

رب غاو كأنه عفريت * ذو مجاز الى الخنا خريت

وتقدم أيضا اليدا العطاء جاء فى الحديث قال النبى صلى الله عليه وسلم لنسائه أسرعكن لحاقا بى أطولكن يدا فكانت سودة وكانت تحب الصدقة كذا قال سودة وفى موضع آخر زينب بنت جحش وفى آخر صفية فالله أعلم رضى الله عنهن وتقدم (يداك أوكتا وفوك نفخ) يقال هو رجل نفخ زقا وأوكاه وسبح عليه حتى اذا لجج فى البحر انحل الوكاء فاستغاث برجل لينجيه من الغرق فقال له ذلك وقيل انه رجل أتى الى بئر وعليه بنات حى من أحياء العرب فجعل ينفخ فى قربهن ويوكى يمزح معهن فرآه بعض أهل الحى فحملته الغيرة على قتله فأخبر بذلك أهل المقتول فقال رجل منهم ذلك أى لا يؤخذ له بثار قلت ثم صار هذا مثلا لكل من فعل فعلا يلام عليه حتى رأيت الهمدانى قد ذكره فى تفسير سورة يوسف عليه السلام ان يوسف لما قال رب السجن أحب الى مما يدعوننى اليه أتاه جبريل عليه السلام فقال له لم قلت كذا هلا قلت رب العافية أحب الى يداك أوكتا وفوك نفخ * وللخطيب أبى محمد عبد الوهاب رحمه الله كلام منتظم فى هذه اللفظة جوابا لى على رسالة كتبتها اليه وتدخل فى ملح هذا الكتاب المستملح عند ذوى الالباب المستلحق فى آخر الابواب وسببها انى كنت قد اكتريت رجلا اسمه يحيى لخدمة العصر وذلك فى رمضان وكان رحمه الله كثير التفلت بعد الربط قليل التلفت الى الشرط ان لم يغتبط لم يرتبط بل ربما حال فى الحال تاب الله ذو الجلال علينا وعليه من هذه الخلال فكتبت اليه أستفهمه عن حاله بعد بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على النبى الكريم وبعد كلام كثير

كتبته مستفهما عن يحيى * لا زلت فى عز وبر تحيى
هل أنت يا يحيى على تباقى * أم قد قرأت سورة الطلاق

الى آخر الرجز نحو مائة بيت فكتب لى رضى الله عنه كذلك برجز مطول فيه

وأنت عندما اكتريت يحيى * كجاهل بالعوم أوكى نحيا
من بعد نفخ المرء مل ءفيه * والامر فيه لو درى ما فيه
حتى اذا أحكم هذا الامرا * وقد أتى شيئا لعمرى امرا

يمم عجلان مهول اليم * فكان أتاباله من أم
بناه فى لهو وفى التظام * والبحر عند ذاك فى اغتلام
اذ فتح الزق هناك فاه * وزج كف الجهل فى قفاه

الى آخر الرجز انظر الحكايتين والرجزين بكمالهما فى التكميل وتقدم الكلام فى الدال غير المعجمة فمن ذلك * داء وجمعه أدواء والداء من قدر الله تعالى يخلقه متى شاء وفيما شاء وفيه خير كثير اذا كان فى الجسم وشر كثير اذا كان فى القلب فعلل القلوب هى العلل المهلكة للدين نعوذ بالله من البلاء قليله وكثيره ظاهره وباطنه ومن رحمة الله سبحانه أنه خلق الدواء وخلق الداء وجعل لكل علة مايزيلها حتى الكفر دواؤه الايمان وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أخبركم بدائكم قالوا بلى يا رسول الله قال فان داءكم الذنوب ثم قال ألا أخبركم بدواء دائكم قالوا بلى يا رسول الله قال فان دواء دائكم الاستغفار فالحمد لله على جميع نعمه الظاهرة والباطنة * جاء فى الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل داء دواء فاذا أصيب دواء الداء برئ باذن الله تعالى وقال تداووا فان الذى أنزل الداء أنزل الدواء أو كما قال عليه الصلاة والسلام وقال اذا وقع الذباب فى اناء أحدكم فليغمسه كله ثم ليطرحه فان فى أحد جناحيه داء وفى الآخر شفاء خرجه البخارى رحمه الله وزاد أبو داود وأنه يتقى بجناحه الذى فيه الداء وقال أبو عبيد وأنه يقدم السم ويؤخر الشفاء وجاء فى حديث آخر فى الطعام وفى آخر فى الشراب وجاء فى بعض طرقه فامقلوه ومعناه اغمسوه والمقل فى غير هذا الموضع النظر يقال ما مقلته عينى هذا اليوم وقد تداوى رسول الله صلى الله عليه وسلم من العقرب وغيرها وروى عنه أنه كان اذا انزل عليه الوحى صدع رأسه فكان يغلفه بالحناء وكان اذا خرجت به قرحة جعل عليها حناء وقد جاء عنه فى حديث أهل البيت أنه كان يكتحل كل ليلة ويحتجم كل شهر ويشرب الدواء كل سنة وقد داوى غيره وقطع لبعضهم عرقا وكوى آخر وأمر بالدواء وقال تداووا عباد الله وأمر بالحجامة فقال احتجموا لسبع عشرة وتسع عشرة واحدى وعشرين لا يتبيغ بكم الدم ذكر ذلك أبو طالب فى كتاب قوت القلوب وقال أحسبه لاهل الحجاز خاصة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتداوى كما تقدم وهو رأس المتوكلين وامام العابدين وكان رحمة للعالمين فاذا لا يقدح التداوى فى التوكل اذا كان المتوكل عالما وقصد

بالتداوى اتباع السنة كما قال عليه الصلاة والسلام من رغب عن سنتى فليس منى والتداوى رخصة وسعة وقد قال الله تعالى ما جعل عليكم فى الدين من حرج والله تعالى يحب أن يؤخذ برخصه كما يحب أن يؤخذ بعزائمه وقد صام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى السفر وأفطر وكان ظاهره للخلق ليقفوا آثاره فأفطر لاجل الناس لان الصوم قد كان شق عليهم وامتنع قوم من الفطر مع المشقة فقال فيهم أولئك العصاة فاذا نوى المتداوى اتباع السنة ونوى حكم الله تعالى فى العقاقير التى أودعها سبحانه المنافع واستعجل البرء للطاعة والخدمة لمولاه والسعى فى أوامره اذ كانت العلل قاطعة عن التصرف فى العمل وشاغلة للنفس عن الشغل فى الآخرة كان فاضلا فى فعله ولم يقدح ذلك فى توكله لعلمه ان لكل شئ قدرا وان الدواء من قدر الله وان النافع والضار والمبتلى والمعافى هو الله وحده ولكن يعافى بسبب وبغير سبب كما يرزق بواسطة وبغير واسطة كما روى أن موسى عليه السلام اعتل علة فدخل عليه بنو اسرائيل فعرفوا علته فقالوا ان دواء هذه العلة معروف مجرب وانا نتداوى به فنبرأ فقال لا اتداوى قد امت علته فأوحى الله تعالى اليه وعزتى لا أبرأتك حتى تتداوى بما ذكروه لك فقال داوونى بما ذكرتم فداووه فبرئ فأوجس فى نفسه من ذلك فأوحى الله اليه ياموسى أردت أن تبطل حكمتى لتوكلك على من أودع العقاقير منافع الاشياء * وفى بعض الاخبار أن نبيا من الانبياء عليهم الصلاة والسلام شكى الى الله الضعف فأوحى الله تعالى اليه كل البيض ولآخر كل اللحم باللبن فان فيهما القوة قال الشيخ أحسبه للضعف عن الجماع * فهذه طريقة درج عليها طائفة من العمال وثم طريقة أخرى أقوى من هذه للاقوياء لان فى الدين طريقتين طريق تبتل وعزيمة وطريق توسع ورخصة فمن عوفى سلك الطريق الاشد وهو الاقرب والاعلى وهذا للآخرين وهم السابقون ومن ضعف سلك الطريق الادنى وهو الاوسط الا أنه أبعد وهو لاصحاب اليمين وهم المقتصدون وفى المؤمنين أقوياء وضعفاء ولينون وأشداء وفى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم المؤمن القوى أحب الى الله من المؤمن الضعيف وفى كل خير وقد ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قوما ومدحهم أنهم لا يسترقون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون وذكر أنهم يدخلون الجنة بغير حساب وقد نهى عن الكى فى غير حديث وقال لرجل أراد أن يداوى أخاه الا انه مات من علته فقال أما لو برئ لقلت أبرأه لعله بما يحس

فى بعض النفوس ان الشفاء والنفع من قبل الدواء وذلك من الشرك وكره المحققون بالتوحيد التداوى خشية دخول ذلك عليهم وروى عن موسى عليه السلام أنه قال يارب ممن الدواء والشفاء قال منى قال فما يصنع الاطباء قال يأكلون أرزاقهم ويطيبون نفوس عبادى حتى يأتى شفائى أو قبضى وقد كان ابن حنبل رضى الله عنه يقول أحب لمن اعتقد التوكل وسلك هذا الطريق ترك التداوى من الاشربة وغيرها واعتل عمران بن حصين رضى الله عنه فأشاروا عليه أن يكتوى فامتنع فلم يزالوا به وعزم عليه زياد بذلك وكان أميرا حتى اكتوى فكان يقول كنت أبصر نورا وأسمع صوتا وأسمع تسليم الملائكة على فلما اكتويت انقطع عنى ذلك وفى خبر كانت الملائكة تزوره فيأنس بها حتى اكتوى فكان يقول اكتوينا كيات فوالله ما أفلحنا ولا أنجحنا ثم تاب من ذلك وأناب الى الله تعالى فرد الله عليه ما كان يجد من أمر الملائكة * ومرض أبو بكر الصديق رضى الله عنه فقيل له لو دعونا لك طبيبا فقال قد نظر الى الطبيب فقال انى فعال لما أريد انظر قوله الطبيب أمرضنى يعنى الله عز وجل وكذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم للرجل الذى قال انى طبيب أنت رفيق والله عز وجل هو الطبيب من رواية السلفى رحمه الله وقيل لابى الدرداء رضى الله عنه فى مرضه ما تشتكى قال ذنوبى قيل فما تشتهى قال مغفرة ربى قيل أفلا ندعو لك طبيبا قال الطبيب أمرضنى وقيل لابى ذر رضى الله عنه وقد رمدت عيناه لو داويتهما قال انى عنهما المشغول قيل فلو سألت الله أن يعافيك قال أسأله فيما هو أهم الى منهما وقيل لابى محمد متى يصح للعبد التوكل قال اذا دخل عليه الضرر فى جسمه والنقص فى ماله فلم يلتفت اليه شغلا بحاله وينظر الى قيام الله عليه وقد كان أصاب الربيع بن خيثم الفالج فقيل له لو تداويت فقال قد هممت ثم ذكرت عادا وثمود وقرونا بين ذلك كثيرا كانت فيهم الاوجاع وكانت فيهم الاطباء فهلك المداوى والمداوى ولم تغن الرقى شيئا وفى هذا المعنى قال الشاعر

مالطبيب يموت بالداء الذى * قد كان يشفى منه فيما قد مضى
ذهب المداوى والمداوى والذى * جلب الدواء وباعه ومن اشترى

وقال آخر عزم الفناء على ترحل من ترى * فالخلق بين مقدم ومؤخر
ذهب المداوى والمداوى والذى * جلب الدواء وباعه والمشترى

وقال آخر تؤمل أن تعمر عمر نوح * وأمر الله يحدث كل ليله

وقد كان أصاب عبد الرحمن بن زيد الفالج فعطل عن القيام فسأل الله تعالى أن يطلقه في أوقات الصلوات ثم يرده الى حاله بعد ذلك فكان اذا جاء وقت الصلاة فكأنما أنشط من عقال فاذا قضى الصلاة رجع اليه الفالج كما كان قبل ذلك ومن لم يتداو من الصديقين والسلف الصالحين أكثر من أن يحصى وسئل سهل عن شرب الدواء فقال كل من دخل الى شئ من الدواء فانما هو سعة من الله لاهل الضعف ومن لم يدخل فيه فهو أفضل لانه ان أخذ شيئا من الدواء ولو كان الماء البارد سئل عنه لم أخذت ومن لم يأخذه فليس عليه سؤال والاصل في هذا أن ذرة من أعمال القلوب مثل التوكل والرضاء والصبر أفضل من جبال من أعمال الجوارح وكان يقول علل الاجسام رحمة وعلل القلوب عقوبة وقال مرة أمراض الجسم للصديقين وكان ابن مسعود رضى الله عنه يقول تجد المؤمن أصح شئ قلبا وأمرضه جسما وتجد المنافق أصح شئ جسما وأمرضه قلبا وقد قيل لا يخلو المؤمن من علة في جسمه أو قلة في ماله وقيل لا يخلو من علة وذلة وللعبد ان لم يتداو أعمال حسنة منها أن ينوى الصبر على بلاء الله والرضاء بقضائه والتسليم لحكمه اذ قد يحسن عنده لانه مؤمن اذ قد عرف الحكمة في ذلك والخيرة في العافية لانه حكيم ومنها أن مولاه أعلم به وأحسن نظرا واختيارا وقد حبسه وقيده بالامراض عن المعاصى كما يروى عن الله تعالى الفقر سجنى والمرض قيدى أحبس بذلك من أحبه من خلقى والانسان يطغى بالعوافى كما يطغى بالمال قال بعضهم انما حمل فرعون على أن قال أنا ربكم الاعلى طول العوافى لبث أربعمائة سنة لم يصدع له رأس ولا حم له جسم ولم يضرب عليه عرق فادعى الربوبية ولو أخذته الشقيقة والمليلة في كل يوم لشغله ذلك عن دعوى الربوبية ومن فائدة المرض أنه يكفر الذنوب فاذا كره الامراض بقيت ذنوبه عليه موفورة وفي الخبر لا تزال الحمى والمليلة بالعبد حتى يمشى على الارض وما عليه خطيئة وفي خبر حمى يوم كفارة سنة وذلك لان في الانسان ثلثمائة وستين مفصلا تدخل حمى اليوم في جميع المفاصل وقد تقدم وقيل في قوله تعالى وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة قيل الظاهرة العوافى والباطنة البلاوى لانها نعم في الاخرى * وروى أن موسى عليه السلام رأى رجلا عظيم البلاء فقال يارب ارحمه فأوحى الله عز وجل اليه كيف أرحمه مما به أرحمه وجاء في الحديث من طريق أهل البيت اذا أحب الله عبدا ابتلاه فان صبر اجتباه

وان رضى اصطفاه (ومن فوائده) أن الملك يكتب له مثل أعماله الصالحة التى كان يعملها في صحته وأنه يجرى له من الحسنات مثل ما كان يجرى له على أعماله وفي الخبر يقول الله للملائكة اكتبوا العبدى صالح ما كان يعمل فانه في وثاقى ان أطلقته أبدلته لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه وان توفيته توفيته الى رحمتى (ومن فوائده) تجديد التوبة والحزن على الذنوب وكثرة الاستغفار منها وحسن التذكرة وقصر الامل وكثرة ذكر الموت وقد كانوا يستوحشون اذا خرج عنهم عام لم يصابوا فيه بنقص من نفس أو مال ويقال لا يخلو المؤمن في كل أربعين يوما أن يروع بروعة أو يصاب بنكبة وكانوا يكرهون فقد ذلك في ذهاب هذا العدد من غير أن يصابوا فيه بشئ لكن هذا الفضل كله اذا لم يشتك المريض مولاه الى العبيد الذين لا يغنون عنه من الله شيئا ففى الخبر اذا مرض العبد أوحى الله الى الملكين انظرا ما يقول لعواده فان حمد الله وأثنى عليه دعوا له وان شكى وذكر شرا قالا كذلك يكون وعن طاوس ومجاهد رضى الله عنهما يكتب على المريض أنينه في مرضه قالوا وكانوا يكرهون أنين المريض لانه اظهار معنى يدل على شكوى وكره بعض العلماء العيادة خشية الشكاية وخوف الزيادة في القول أن يخبر عن العلة بأكثر منها فيكون في ذلك كفر للنعمة وكان بعضهم اذا مرض أغلق أبوابه فلم يدخل عليه أحد حتى يبرأ فيخرج منهم فضيل ووهيب وكان بشر يقول أشتهى ان أمرض بلا عواد وقال فضيل ما أكره العلة الا لاجل العواد وهذا الباب كبير والكلام فيه كثير

ولما لم أجد في البيت قولا * أصرفه ولا لغة أفسر
رجعت الى حديث الناس فأقبله واقرأه ويسر لا تعسر
ولكن بدئى أرجع للذى قد * بدأت أتممه يارب يسر

(فصل واما اذا بدال معجمة) فمن فوائده قوله تعالى ذلك الكتاب لا ريب فيه بلفظ الغائب وهو حاضر قالوا فيه أقوالا منها أن ذلك بمعنى هذا وقيل المعنى هذا القرآن ذلك الكتاب الذى كنتم تستفتحون به على الذين كفروا ومعنى تستفتحون تستنصرون وقال الكسائى قال ذلك الكتاب لان الكتاب من السماء والرسول من الارض * وقال بعض المفسرين ذلك الكتاب اشارة الى الكتاب الذى جاء به جبريل عليه السلام في نمط من ديباج فيه كتاب فقال له اقرأ وقيل انها اشارة الى ما تضمنه قوله تعالى الم لان هذه الحروف المقطعة تضمنت معانى الكتاب كله فهى

كالترجمة له وقالوا فى قوله تعالى تلك الجنة وفى موضع آخر تلكم الجنة بلفظ الغائب وقال فى النار هذه جهنم بلفظ الحاضر أقوالا أحسنها عندى ماذكر ابن خالويه رحمه الله أشار الله تعالى الى جهنم بهذه ليخوف بها وليؤكد التحذير منها وجعلها بلفظ الاشارة القريبة كالحاضرة التى ينظر اليها أعاذنا الله منها برحمته وتقدم قولهم فلان قليل ذات اليد خرج ثابت رحمه الله عن الحسن رضى الله عنه من وسع عليه فى ذات يده ولم يخف أن يكون ذلك مكرا فقد أمن مخوفا ومن ضيق عليه فى ذات يده فلم يرج أن يكون ذلك نظرا من الله تعالى فقد ضيع مأمولا انتهى كلامه رضى الله عنه (قلت) قد ذم الله تعالى من تخلق بغير هذا قال الله تعالى فأما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربى أكرمن وأما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربى أهانن كلا وقال تعالى فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شئ حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون وقال تعالى أيحسبون أن ما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم فى الخيرات بل لا يشعرون وقال تعالى عسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم وقال تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وأملى لهم وقال تعالى هذا عارض ممطرنا الآية الى غير ذلك من الآى كثير فينبغى للعبد أن يشكر الله على كل حال ويتهم نفسه ويخاف ذنبه ولا يأمن من مكره فانه لا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون ولذلك قال بعضهم انما الراحة عند أول قدم يضعه فى الجنة جعلنا الله تعالى ممن خشى ربه وخاف ذنبه بمنه وعينه وتقدم ذا وفى القرآن منه كثير وفى الحديث أيضا ولكن لا بد من شاهد ولنذكر حديث واحد انظر قول ثمامة بن اثال للنبى صلى الله عليه وسلم اذ أخذ أسيرا فربط الى سارية من سوارى المسجد فمر به النبى صلى الله عليه وسلم وقال له ما عندك يا ثمامة فقال خير يا محمد ان تقتل تقتل ذا دم وان تنعم تنعم على شاكر وان كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت قالها ثلاث مرات فى ثلاثة أيام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أطلقوا ثمامة فانطلق الى نخل قريب من المسجد فاغتسل ثم دخل المسجد فقال أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله والله يا محمد ما كان على الارض وجه أبغض الى من وجهك فقد أصبح وجهك أحب الوجوه كلها الى وقال مثل ذلك فى الدين وفى البلد وثبت على اسلامه وعيره أهل مكة بالاسلام فقال لهم أسلمت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

ولا

ولا والله يأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قام بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما حميدا حين ارتد أهل اليمامة مع مسيلمة الكذاب فقال يا بنى حنيفة أين عزبت عقولكم بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول لا اله الا هو اليه المصير أين هذا من يا ضفدع نقى كم تنقين لا الشراب تكدرين ولا الماء تمنعين فيما كان يهذى به مسيلمة فأطاعه منهم ثلاثة آلاف وانحازوا الى المسلمين ففت ذلك فى أعضاد بنى حنيفة وقد صنع سهيل بن عمرو رضى الله عنه نوعا من هذا بمكة شرفها الله تعالى لما انتهى اليهم موت رسول الله صلى الله عليه وسلم وارتداد العرب تكلم بمكة أقوام بكلام قبيح وارتجت مكة فسمع أبو قحافة والد أبى بكر الصديق رضى الله عنهما الرجة فقال ما هذا فقالوا توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فمن ولى بعده قالوا ابنك قال ورضى بذلك بنو عبد مناف وبنو المغيرة قالوا نعم قال اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطى لما منعت وأبو بكر الصديق رضى الله عنه حين بلغه موت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان غائبا قدم فدخل عليه فقبله وقال بأبى أنت وأمى أما الموتة التى كتب الله عليك فقد ذقتها ثم خرج على الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حى لا يموت ثم تلا هذه الآية وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزى الله الشاكرين وكان الناس قد دهشوا الموته وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول ما مات ولكنه ذهب الى ربه كما ذهب موسى بن عمران فقد غاب عن قومه أربعين ليلة ثم رجع اليهم بعد أن قيل قد مات حتى قدم أبو بكر فقال مقالته المتقدمة قال فوالله لكان الناس لم يعلموا ان هذه الآية نزلت حتى تلاها أبو بكر رضى الله عنه يومئذ وأخذها الناس عن أبى بكر رضى الله عنه فانما هى فى أفواههم فقام سهيل بن عمرو رضى الله عنه بمكة حين بلغه موت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بعض أهل مكة ما قالوا فقال مثل خطبة أبى بكر بالمدينة كانه كان سمعها قال يا أيها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حى لا يموت وقد نعى الله تبارك وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم اليكم وهو بين أظهركم ونعاكم الى

أنفسكم فهو الموت حتى لا يبقى أحد ألم تعلموا ان الله عز وجل قال انك ميت وانهم ميتون وما محمد الا رسول الآية وكل نفس ذائقة الموت وكل شئ هالك الا وجهه فاتقوا الله واعتصموا بدينكم وتوكلوا على ربكم فان دين الله قائم وكلمته تامة وان الله ناصر من نصره ومعز دينه وقد جمعكم الله على خير رجل فلما بلغ عمر بن الخطاب رضى الله عنه منطقه قال أشهد ان ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حق لما أسرنا سهيلا أى ابن عمرو يوم بدر وكان أعلم الشفة السفلى قلت يا رسول الله انزع ثنيته فلا يكون عليك خطيبا أبدا فى موطن فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أمثل به فيمثل الله بى وان كنت نبيا وعسى أن يقوم مقاما لا تذمه أبدا قال عمر رضى الله عنه هذا والله هو المقام

(مقلوب البيت حرف بى ألفين)

وأداوا داوأدا وأذا * وأدى وآذى وذل ودل

أما الكلمات الاربع فقد تقدم الكلام عليها فى البيت قبلها من فوقه وما زدت على أن نصبتها هنا * وأما الكلمة الخامسة فأدى وهى أفعل من أدى فلان دينه أداء وتأدية اذا قضاه وتقول فلان أدى الامانة عن فلان ومنه فى الحديث يقول عن نفسه صلى الله عليه وسلم قد علموا انى من أتقاهم وأداهم للامانة ويكون أدى أيضا من الاداة وهى السلاح تقول أدى فلان السلاح اذا لبسه فهو مؤد بالهمز أى شاك وأما مود بلا همز فانه من أودى اذا هلك وتقول أديت للسفر فأنا مؤد بالهمز أيضا اذا تهيأت له وأخذت لذلك الامر أدية ونحن على أدى للصلاة أى على تهيؤ وأدى أيضا بمعنى أعان وأنصف ومنه قول الاعرابى من يؤدينى على أبى الحكم يعنى أبا جهل وقد كان مطله بحقه قال بعض أهل اللغة هذه الهمزة مبدلة من عين اعداه وأعدى ومعنى يؤدينى على هذا يعدينى والادى الآلة وأداه يؤديه قواه وأدى الرجل قوى على الاداة فهو مؤد بالهمز كما تقدم ورد على هذا الشكل ادا المتقدم فى قوله * أبرح أدا الصكان ادا * وان كانت الالف عوضا من التنوين فهو من الشكل وأدى فلان دينه وقد تقدم وهو يتزن * ومما لا يتزن أيضا أداء المصدر المتقدم وأدى الذئب الغزال يأدو وقد تقدم وقال الشاعر

أدوت له لآخذه * وهيهات الفتى حذرا

ومن هذا الشكل أدى الرجل يدى اذا صار فى جوفه الداء قال يعقوب يقال قد ديت يا فلان فأنت تداء داء او قال غيره وأدت فأنت مدى اذا أصابه الداء وأدأته أنا أصبته بداء يتعدى ولا يتعدى لغتان وقولهم به داء ظبى أى ليس به داء كما ليس بالظبى داء * والكلمة السادسة آذى يؤذى من الاذاية تقول آذى يؤذى اذى واذاية وأذية وتأذية وأذيت له أذى قال الشاعر

لقد أذوا بك ودوا لو تفارقهم * أذى الهراسة بين النعل والقدم

ومما لا يتزن أذى من قوله تعالى ويسئلونك عن المحيض قل هو أذى واذا الظرف المتقدم الذكر وفى القرآن منه كثير واذا الحرف الناصب بالالف ومنهم من يكتبها اذن وقد يجازى بها كما قال الشاعر اذا جاء الشتاء فأدفئونى * وتأتى اذا لشئ يوافقك كقولك خرجت فاذا زيد قائم المعنى خرجت ففاجأنى زيد فى الوقت بقيام ومثلها اذ ولا يليها الا الفعل الواجب تقول بينا أنا كذا اذ كان كذا

(فصل من فوائد هذا الباب تقدم أدى) وفى الحديث الذى جاء فيه ما ذكر الترمذى من حديث عائشة رضى الله عنها قالت كان على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثوبان قطريان غليظان فكان اذا قعد فعرق ثقلا عليه فقدم بز من الشام لفلان اليهودى فقلت لو بعثت اليه فاشتريت منه ثوبين الى الميسرة فأرسل اليه فقال قد علمت ما يريد انما يريد أن يذهب بمالى أو بدراهمى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذب قد علم انى من أتقاهم لله وأداهم للامانة ووقع فى الطرة فى كثير من النسخ الرواية أداهم والصواب أوداهم * وتقدم اذا الحرف الذى يجازى به ومنه قول الشاعر

اذا قصرت أسيافنا كان وصلها * خطانا الى أعدائنا فنضارب

ونظر هذا البيت الى قول بعضهم وقد عرضه أميره فى الجند وقال له وكان له سيف قصير ان سيفك هذا القصير فقال خطوة تطيله فقال المشى الى الهند أقرب من تلك الخطوة أو كما قال مثل قول كعب بن مالك

نصل السيوف اذا قصرن بخطونا * قدما ونلحقها اذا لم تلحق

ومما قيل فى الاقدام

وقولى كلما جشأت وجاشت * رويدك تحمدى أو تستريحى

وقد تقدم وقول الآخر

وقولى كلما جشأت لنفسى * من الابطال ويحك لن تراعى

وتقدم ذكر الاذاية والاذى وقد جاء فى القرآن والحديث منه كثير قال الله تعالى ويسئلونك عن المحيض قل هو أذى أى قذر ونتن والله أعلم وقوله ان الذين يؤذون الله ورسوله ولا تكونوا كالذين آذوا موسى وجاء فى الحديث من قول النبى صلى الله عليه وسلم ما أحد أصبر على أذى سمعه من الله يدعون له الولد ثم يعافيهم ويرزقهم وفى حديث آخر كذبنى ابن آدم وشتمنى ابن آدم ولم يكن له ذلك فاما تكذيبه اياى فقوله لن يعيدنى كما بدأنى وليس أول الخلق بأهون على من اعادته وأما شتمه اياى فقوله اتخذ الرحمن ولدا وأنا الاحد الصمد لم ألد ولم أولد ولم يكن لى كفوا أحد وجاء فى الحديث أيضا حكاية عن الله تعالى من آذى لى وليا فقد بارزنى بالمحاربة أما الذى فى حق البشر من هذا فممكن وأما الذى فى حق الله تعالى فيحمل على التأويل اذ يتقدس سبحانه أن يناله ضرر أو تلحقه اذاية من مخلوق كما يتقدس عز وجل أن يصل اليه نفع أو تدركه مصلحة هو الغنى عن المسرة المتعالى عن المضرة وانما يحمل الحديث والله أعلم أنه يصبر على الاذى أى يترك المعاجلة بالاخذ ويمهل العاصى ولا يعاجله بالعقوبة وذلك أيضا لعلمه أنه سيتوب ويقلع أو يملى له ليزداد اثما كما قال تعالى ليس لك من الامر شئ أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون * ومن أسمائه تعالى الصبور وهذا معنى قوله ما أحد أصبر على أذى سمعه من الله تعالى ويحتمل أن تكون الاذاية المذكورة فى القرآن فى قوله تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله على حذف المضاف أى يؤذون أولياء الله ورسله كما قال تعالى من آذى لى وليا الحديث وهذا شائع فى لسان العرب قال تعالى واسأل القرية أى أهل القرية وقس على هذا يحادون الله ورسوله ويشاقون الله ومن يشاق الله وما كان مثله فيحمل منه ما كان فى المخلوقين على الحقيقة وما كان فى الله على المجاز والتأويل المتقدم أو يكون يشاق الله بمعنى يعادى لان من شاقك أو حادك فقد آذاك أو يكون على جهة المجازاة مثل ومكروا ومكر الله وهو خادعهم ويستهزئ بهم ونسوا الله فنسيهم أى جازاهم بما جازوه وعاملهم بما عاملوه على معنى الموافقة والمطابقة وكذلك ما ورد منه فى الحديث مثل قوله عليه الصلاة والسلام يضحك الله الى رجلين

يقتل

يقتل أحدهما الآخر كلاهما يدخل الجنة وكما قال فى الحديث الآخر يضحك الله منكم أزلين لقرب الغيث منكم قال فقال رجل من باهلة يا رسول الله وان ربنا ليضحك قال نعم قال فلا والله لا عدمنا الخير من رب يضحك وبعد هذا يأتى تمام الحديث عن لقيط بن المنتفق أكثر من هذا وفيه ألفاظ كثيرة من هذا الباب وسيأتى تفسير أزلين فى باب الزاى ان شاء الله تعالى وكما جاء فى الحديث الآخر لله أشد فرحا بتوبة عبده من أحد كم يجد راحلته بالفلاة وقوله عليه الصلاة والسلام ما يوطئ رجل المساجد للصلاة والذكر الا يتبشبش الله به كما يتبشبش أهل الغائب بغائبهم اذا قدم عليهم وقوله من تقرب الى شبرا تقربت اليه ذراعا ومن تقرب الى ذراعا تقربت اليه باعا واذا أقبل الى يمشى أقبلت اليه أهرول وما جرى هذا المجرى فانما هى كلها كنايات وتقريب أمثلة فالضحك كناية عن الرضا وهذا خلق الكريم ألم تسمع قول الشاعر

أضاحك ضيفى قبل انزال رحله * فيخصب عندى والمحل جديب

معناه يتلقاه بكل مبرة وكل كرامة وان لم يكن هنالك الضحك حقيقة وكذلك التقرب المذكور انما هو ضرب مثل كناية عن الوصلة والمحبة الا تراه ذكر الشبر والباع والذراع وليس ثم من ذلك شئ حقيقة نعم ولا عندك وانما هو كناية عن المجازاة منه على الطاعة التى أوجدها منك وهذا هو الكريم المحض يعطى ويمنح ثم يثنى على الفاعل ويمدح والشئ يعرف بضده * اعلم ان ضد الضحك والرضا الغضب والسخط فكما تقول رضى الله عن فلان وضحك اليه كذلك تقول غضب على فلان وسخط عليه ولا تقسه على رضاك وغضبك لكون ذلك منك يتغير فى أشكالك من اشراق فى وجهك وتهلل عند الرضا وتربد وانتفاخ أوداج عند الغضب والله سبحانه يتعالى عن التغير والتبدل * وانما مثل ذلك على جهة التقريب فى حق الله تعالى وله المثل الاعلى أن تدخل دار الملك فى المخلوقين وهو قد احتجب عن الرعية فترى موائد منصوبة وأطعمة موضوعة ووصائف وولدانا فتعلم ان الملك راض وان لم تر وجهه ثم تدخل تارة فترى سيوفا وأنطاعا وقيودا وأغلالا وسياطا وسودانا فتعلم ان الملك غضبان وان لم تره ألم تسمع قول الانبياء عليهم الصلاة والسلام يوم القيامة ان ربى غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله الحديث انما يقولون ذلك لما يرون من الهول ويتوقعون من العذاب نعوذ بالله من غضبه

وقس على هذا جميع الباب * وقال المازرى رحمه الله تعالى فى معنى قول
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لا يمل حتى تملوا قال الملل الذى بمعنى السآمة
لا يجوز على الله تعالى وقد اختلف فى تأويل هذا الحديث قيل ان ذلك على معنى
المقابلة أى لا يدع الخير حتى تدعوا العمل وقيل حتى هنا بمعنى الواو فيكون قد نفى عنه
الملل و يكون لا يمل وتملوا وقيل حتى بمعنى حين وسيأتى طرف منه فى باب الميم فى قافية
مل ومل ومثله ما أحد أغير من الله أن يزنى عبده أو تزنى أمته وقال المازرى أيضا
معناه ما أحد أمنع للفواحش من الله تعالى والغيور يمنع حريمه وكلما زادت غيرته
زاد منعه فاستعير لمنع البارى سبحانه عن معاصيه غيرته مجازا واتساعا وخاطبهم
بما يفهمونه * وقع هذا الحديث فى صلاة الكسوف وفسره بما تقدم وزاد فائدة
كبيرة أذكرها لك اذ هذا الكتاب مبنى على جلب الفوائد قال رضى الله عنه
ذكرها ان الركوع كثرفيها ليكمل فى ركعتين ركوع أربع ركعات كما جعل
فى تكبير صلاة العيدين تكبير أربع ركعات كما جعلت الخطبة فى الجمعة عوضا
من الركعتين ليكون الفضل والكمال وتضعيف الاجر لهذه الامة والحمد لله
رجع الكلام الى المعنى الاول و فى معنى ما تقدم قوله عليه الصلاة والسلام
اذا كان أحدكم يصلى فلا يبصق قبل وجهه فان الله تبارك وتعالى قبل وجهه اذا
صلى انما معناه ثوابه و رحمته وجاء فى موضع آخر اذا صلى أحدكم واجهته الرحمة
فما وجدت من هذا المعنى فاحمله على ما يليق بجلاله وعظمته ونزهه عن سمات
البشر ونقصهم فانه قدوس عن النقائص متعال عن المنافع والمضار سبحانه
وتعالى وسيأتى كثير من هذا اثر حديث لقيط بن عامر بن المنتفق مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقد كنت وعدتك بذكره فها كه بكماله * قال ابن
عبد ربه رحمه الله وفد لقيط بن المنتفق الى النبى صلى الله عليه وسلم ومعه صاحب له
يقال له نهيك بن عاصم بن المنتفق قال لقيط فخرجت أنا وصاحبى حتى قدمنا المدينة
لانسلاخ رجب فأتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انصرف من صلاة الغداة
فقام فى الناس خطيبا فقال أيها الناس ألا انى ما خبأت لكم صوتى منذ أربعة
أيام الا لاسمعكم اليوم الا مثل من قبل امرئ بعثه قومه فقالوا اعلم لنا ما يقول
رسول الله الا ثم لعله أن يلهيه حديث نفسه أو حديث صاحبه أو يلهيه الضلال
ألا انى مسئول هل بلغت ألا اسمعوا ألا اجلسوا فجلس الناس وقمت أنا وصاحبى

حتى

حتى اذا فرغ لنا فؤاده وبصره قلت يارسول الله ما عندك من علم الغيب قال فضحك
لعمر الله وهز رأسه وعلم انى أبتغى سقطة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ضن
ربك بمفاتيح خمس من الغيب لا يعلمهن الا الله وأشار بيده قلت ماهن يارسول الله
قال علم المنية قد علم متى منية أحدكم ولا تعلمونه وعلم المنى متى يكون فى الرحم
قد علمه ولا تعلمونه وعلم ما فى غد قد علم ما أنت طاعم غدا ولا تعلمه وعلم يوم الغيث
يشرق عليكم أزلين مشفقين فيظل يضحك قد علم ان غوثكم قريب قال لقيط
لن نعدم من رب يضحك خيرا وعلم يوم الساعة قلت يارسول الله انى سائلك عن
حاجتى فلا تعجلنى قال سل عما شئت قلت يارسول الله علمنا ما تعلم الناس وما نعلم
فانا من قبيل لا يصدقون تصديقنا أخبرنا عن مذحج التى تدنو علينا وخثعم التى توالينا
وعشيرتنا التى نحن منها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلبثون ما لبثتم ثم يتوفى
نبيكم ثم تلبثون ما لبثتم ثم تبعث الصيحة فلعمر الهك ما تدع على ظهرها من شئ الا
مات والملائكة الذين عند ربك فيصبح ربك يطوف فى الارض وقد خلت عليه
البلاد فيرسل ربك السماء تهضب من عند العرش فلعمر الهك ما تدع على ظهرها
من مصرع قتيل ولا مدفن ميت الا شقت القبر عنه حتى تلقيه من قبل رأسه
فيستوى جالسا ثم يقول ربك مهيم لما كان فيه فيقول يارب بعيد عهد بحياة
جسمه حديث عهد بأهله فقلت يارسول الله كيف يجمعنا بعد ما تمزقنا البلى
والرياح والسباع قال أنبئك بمثل ذلك فى آلاء الله الارض أشرفت عليها مدرة
بالية فقلت لا تحيي هذه أبدا ثم أرسل ربك عليها السماء فلم تلبث الا أياما
حتى أشرفت عليها فاذا هى شربة واحدة ولعمر الهك لهو أقدر على أن يجمعكم
من الماء على أن يجمع نبات الارض فتخرجون من الاصواء من مصارعكم
فتنظرون اليه ساعة وينظر اليكم قال فقلت يارسول الله كيف ونحن ملء الارض
وهو واحد ينظر الينا وننظر اليه قال أنبئك بمثل ذلك فى آلاء الله الشمس
والقمر آية صغيرة ترونهما ساعة واحدة ويريانكم لا تضامون فى رؤيتهما
ولعمر الهك لهو أقدر على أن يراكم وترونه منهما على أن تروهما ويريانكم
قال فقلت يارسول الله فما يفعل بنا ربنا اذا لقينا قال تعرضون عليه بادية له
صفحاتكم لا تخفى عليه منكم خافية فيأخذ ربك بيده غرفة من الماء فينضح بها
قبلكم فلعمر الهك ما تخطئ وجه واحد منكم منها قطرة فأما المسلم فتدع وجهه

مثل الربطة البيضاء وأما الكافر فتخطه بمثل الحميم الاسود ثم ينصرف نبيكم وينصرف على أثره الصالحون قال فتسلكون جسرا من النار يطأ أحدكم الجمرة يقول حس يقول ربك وبه الا فتطلعون على حوض الرسول لا يظما واالله ناهله فلعمر الهك ما يبسط أحد منكم يده الا وقع عليه قدح يطهره من الطوف والبول والاذى وتخنس الشمس والقمر فلا ترون منهما أحدا قال فقلت يارسول الله فبم يبصر يومئذ قال بمثل بصرك ساعتك هذه وذلك مع طلوع الشمس فى يوم سترته الارض أو واجهته الجبال قال فقلت يارسول الله فبم نجزى من حسناتنا وسيآتنا قال الحسنة بعشر أمثالها والسيئة بمثلها أو تغفر قال فقلت يارسول الله فما الجنة أم ما النار قال لعمر الهك ان للنار سبعة أبواب ما منهن بابان الا يسير الراكب بينهما سبعين عاما وان للجنة ثمانية أبواب ما منهن بابان الا يسير الراكب بينهما سبعين قال فقلت يارسول الله فعلام نطلع من الجنة قال على أنهار من عسل مصفى وأنهار من كأس ما بها صداع ولا ندامة وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وماء غير آسن وفاكهة لعمر الهك خير مما تعلمون وخير من مثله معه وأزواج مطهرة قال فقلت يارسول الله أولنا فيها أزواج مطهرة أو منهن مصلحات قال الصالحات للصالحين تلذون بهن مثل لذاذتكم فى الدنيا ويتلذذن منكم غير أن لا توالد قال اقيط أقصى ما نحن بالغون ومنتهون اليه قال فقلت يارسول الله علام أبايعك قال فبسط يده ثم قال على اقام الصلاة وايتاء الزكاة وزيال الشرك فلا تشرك بالله الها غيره قال فقلت وان لنا ما بين المشرق والمغرب قال فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم يده وظن انى أشترط شيئا لا يعطنيه فقلت نحل منها حيث شئنا ولا يجر على المرء الا نفسه قال فبسط يده وقال ذلك حل حيث شئت ولا يجر على نفسك الا نفسك فانصرفنا عنه صلى الله عليه وسلم * قلت ذكر فى هذا الحديث ألفاظا يعظم أمرها فى صدور الجهال ولو عرفوا معناها وما عهدته العرب فى كلامها من الاستعارة وتقريب المعانى واستنزال الالفاظ لتقرب من فهم المخاطب لم يستعظموا ذكرها الا ترى المخاطب بها لقيطا رضى الله عنه لما كان عربيا لم يستغرب بها ولو استبشعها لسأل عنها النبى صلى الله عليه وسلم وكذلك الصحابة رضوان الله عليهم فهموا معانى الالفاظ فلم تبعد عنهم فتلقوها بالقبول ولم يحتاجوا الى أن يسألوا عنها الرسول صلى الله عليه وسلم حتى تلقيناها نحن بألسنتنا الفاسدة

واذهاننا

وأذهاننا الراكدة فوقع الاشكال واحتيج الى السؤال وقد ورد فى القرآن العزيز وفى حديث الرسول من هذا القبيل الكثير لا القليل مثل قوله تعالى لما خلقت بيدى وتجرى بأعيننا وجاء ربك والملك صفا صفا وأتى الله بنيانهم من القواعد وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وكل شئ هالك الا وجهه وغير ذلك فمن فهمه الله معناها ورزقه علمها فليحمد الله على ذلك ومن قصر علمه عن معرفتها فليؤمن بها ويعتقد أن لها تأويلا يعلمه العلماء ولذلك قالوا رضى الله عنهم لهذا الصنف من الناس اقروا هذه الاحاديث كما وردت وآمنوا بها ولا تتكلفوا ما لا علم لكم به ويكفيكم ذلك وقالوا هذا فى الصدر الاول ثم لما كان بعد ذلك وكثر أهل البدع والاهواء خشوا رضى الله عنهم أن يسبق الى وهم السامع من هذه الالفاظ شئ ينطق بها ملحد فى الدين يعتقده على غير وجهه فيقع فى شبهة ففسروا هذه الاحاديث وحملوا معناها على مذاهب الصحابة ولغة العرب فقالوا ما تقدم فى ذكر اليدين وفى ذكر اليمين وقال المهدوى رضى الله عنه فى الوجه الوجه ينصرف على وجوه منها الوجه الذى هو الجارحة ومنها أول الشئ وصدره نحو قوله تعالى وجه النهار ومنها القصد والفعل نحو قوله وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض ومنها الحيلة نحو قولك ما الوجه فى كذا ومنها المذهب والجهة والمنزلة والقدر نحو لفلان وجه عند الناس والوجه الرئيس ووجه الشئ نفسه وذاته وقال فى قوله تعالى بلى من أسلم وجهه لله أى أخلص عمله وخص الوجه لانه أشرف ما فى الانسان والعرب تخبر بالوجه عن جملة الشئ وقال فى قوله تعالى كل شئ هالك الا وجهه قال الثورى الا ما أريد به وجهه وقال أبو عبيدة الا جاهه أى الا الوجه الذى يطلب به الوجه عند الله والجاه عنده وقيل الا وجهه الا اياه كقولك أكرم الله وجهك أى أكرمك الله انتهى كلامه *قلت وهذه الوجوه كلها فى الوجه فانظر أولاها وأليقها بصفة القديم تعالى فاجعلها له وانف عنه ما لا يليق بجلاله وليس فيها عندى أولى من قوله الوجه كناية عن الذات وكذا فسر قوله تعالى كل شئ هالك الا وجهه أى الا هو وكذلك قالوا فى قوله تعالى تجرى بأعيننا أى حفظنا وكلاءتنا وكذلك فانك بأعيننا ولتصنع على عينى وقيل بأعيننا أى بمرءى منا حمله على معنى البصر الذى أثبته لنفسه مع السمع فى قوله اننى معكما أسمع وأرى وقوله سميع بصير وقال الشاعر * فان الله راء وسامع * وقالوا

فى قوله تعالى يوم يكشف عن ساق أى عن شدة عظيمة وهو أن يقال قامت الحرب
على ساق أى اشتدت وقالوا فى قوله تعالى الله نور السموات والارض أى هادى
أهل السماء والارض ألا تراه قال يهدى لنوره من يشاء وقالوا فى قوله تعالى فأتى
الله بنيانهم من القواعد أى فعل فى البنيان فعلا ومعناه هدمه من قواعده
فانخسفت أعاليه وكذلك قوله تعالى وجاء ربك والملك صفا صفا معناه جاء حكمه
وعدله فكان اتيان فعل لا اتيان ذات وقيل جاء أمر ربك وكذلك أن يأتيهم الله
فى ظلل من الغمام أى بظلل أو بعذاب فى ظلل وكذلك قالوا فى قوله تعالى ونحن
أقرب اليه من حبل الوريد أى بالغوث والاحاطة وان الله مع المتقين أى بالنصر
والمعونة وهو معكم أينما كنتم أى بالعلم والرعاية ويحذركم الله نفسه أى عقوبته
وتعلم ما فى نفسى أى غيبى ولا أعلم غيبك وكذلك ما جاء فى الحديث من هذا القبيل
مثل قوله صلى الله عليه وسلم ينزل ربنا تبارك وتعالى الى السماء الدنيا قال مالك رحمه
الله ينزل أمره وقيل ينزل ملك من ملائكته وقد روى ينزل بضم الياء أى ينزل
الله ملكا من الملائكة أو يكون هذا على حذف المضاف كما قال تعالى واسأل القرية
أى أهل القرية وهذا معروف فى لسان العرب يقولون ضرب الامير اللص وقطع
السارق أى أمر بذلك * قال المازرى ويحتمل أن يكون عبر بالنزول عن تقريب
البارى للداعين حينئذ واستجابته اهم خاطبهم بذلك عليه السلام بما جرت به
عادتهم ففهموا عنه وكان المتقرب منا اذا كان فى بساط واحد مع من يدنيه عبر عن
ذلك بأن يقال جاء وأتى واذا كان فى علو قيل نزل وتجلى * وقد ورد هذا فى القرآن
والسنة نعم وعندنا اليوم سمعت بحريا يقول لآخر أمس قذف السلطان وكان سأله
عن القطائع متى تخرج من بلد كذا وكذلك يقولون بنى السلطان مدينة كذا وهدم
سور كذا فلا تنكر هذه الالفاظ واحملها على معانيها وقدس القدوس عما لا يليق به
من الانتقال والزوال والنزول والتغير واعتقد أنه ليس بجسم ولا جوهر
ولا عرض ولا جزء ولا مصور ولا مركب ولا له بنية ولا هيئة ولا كيفية ولا حركة
ولا سكون ولا طعم ولا رائحة ولا لون ولا صورة ولا جارحة الا ترى كيف قال
أهل العلم فى الاشياء التى تقدم ذكرها مما يشبه الجوارح فى الاسم كالوجه واليدين
والعينين وما أشبه ذلك عدلوا الى تأويلها ولو كانت جوارح كما يقع فى نفس من ليس
عنده معرفة لما احتاجوا الى تأويلها كما أولوا قوله عليه الصلاة والسلام اذا ضرب

أحدكم عبده فليتق الوجه فان الله خلق آدم على صورته أى على صورة
المضروب وفى رواية خلق الله آدم على صورته طوله ستون ذراعا على أن عبد
الرزاق قد خرج حديثا أزاح به من الاشكال قال ان الله خلق وجه آدم على صورته
وقد تقدم حديث ان قلوب بنى آدم كلها بين اصبعين من أصابع الرحمن وتقدم
أيضا أين الله وقول الامة فى السماء ومر تفسيره فى أول الكتاب * وفصل الخطاب
فى هذا أن تعتقد أن الله ليس كمثله شئ ومهما قام فى نفسك شئ فالله بخلافه فهذا
والحمد لله يدفع عنك وسوسة الشيطان وتخييله الا ترى أن الرسول صلى الله عليه
وسلم قال فيه يجرى من ابن آدم مجرى الدم ولذلك قال يأتى الشيطان أحدكم
فيقول هذا الله خلق الخلق فمن خلق الله فقال عليه الصلاة والسلام وعلمنا المخرج
من ذلك فاذا وجد ذلك أحدكم فليقل آمنت بالله ولينته ولذلك حذر العلماء
من التمادى مع النفس فى هذا المعنى فقال تفكروا فى مخلوقاته ولا تتفكروا فى ذاته
وقد تقدم قال الترمذى رحمه الله وقد ذكر حديث النزول وقد قال غير واحد
من أهل العلم فى هذا الحديث وما يشبه هذا من الروايات فى الصفات ونزول الرب
تبارك وتعالى كل ليلة الى السماء الدنيا قالوا قد ثبتت الروايات فى هذا ونؤمن بها ولا
نتوهم ولا يقال كيف هكذا روى عن مالك وسفيان بن عيينة وعبد الله بن المبارك
رضى الله عنهم أنهم قالوا فى هذه الاحاديث اقروها بلا كيف وهكذا قول أهل العلم
من أهل السنة والجماعة * وأما الجهمية فأنكرت هذه الروايات وقالوا هذا التشبيه
وقد ذكر الله عز وجل فى غير موضع من كتابه اليد والسمع والبصر فتأولت الجهمية
هذه الآيات ففسروها على غير ما فسر أهل العلم وقالوا ان الله لم يخلق آدم بيده
وقالوا انما معنى اليد ها هنا القوة وقال اسحاق بن راهويه انما يكون التشبيه اذا
كان يد كيد أو مثل يد أو سمع كسمع أو مثل سمع فهذا التشبيه وأما اذا قال كما قال الله
عز وجل يد وسمع وبصر ولا يقول كيف ولا يقول مثل سمع ولا كسمع فهذا لا يكون
تشبيها وهو كما قال الله تعالى فى كتابه ليس كمثله شئ وهو السميع البصير ومثل
ما تقدم قوله عليه الصلاة والسلام ان الله جميل يحب الجمال قال المازرى أطلق
فى هذا الحديث تسمية البارى جميلا ويحتمل ان يكون سماه بذلك لانتفاء النقص
عنه لان الجميل منا من حسنت صورته ومضمون حسن الصورة انتفاء النقائص
والشين منها ويحتمل ان يكون جميلا بمعنى مجمل أى محسن كما كان كريما بمعنى مكرم

والله أعلم وقد تقدم أن الله لا يمل وهذا النوع كثير فقس ما يرد عليك بما ورد ونزه ربك عما لا يليق به أيها الولد ولا تستشنع اللفظ الذى جاء فى حديث لقيط المتقدم فيصبح ربك يطوف فى الارض وقد خلت عليه البلاد واحمله على ما تقدم من قوله وجاء ربك والملك صفا صفا وقوله هل ينظرون الا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام والملائكة وقد جاء فى تفسير قوله تعالى لمن الملك اليوم يسأل الخلائق فلا يجيبه أحد فيرد على نفسه فيقول لله الواحد القهار وهذا بين النفختين حين لا يبقى أحد غيره مصداقه كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام وأختم لك هذا الفصل الذى هو نعم الاصل بحديث من نوع ما تقدم فيه ذكر الرجل والقدم وهو حديث كبير وفيه لغة وعلم كثير شرحه بعضهم وفسره وكره بعضهم أن يفسره بغير ألفاظه وأنكره والحديث لا تزال النار يلقى فيها وتقول هل من مزيد حتى يضع رب العالمين فيها قدمه فتقول قط قط ويروى رب العزة ويروى قطنى قطنى وقال الاستاذ رحمه الله معنى قدمه قوم قدمهم الى النار كما أن المسلمين قدمه الى الجنة من قوله تعالى لهم قدم صدق عند ربهم أى قد سبق لهم عند الله خير وهو اضافة الملك كما قال سماؤه وأرضه ونار الله الموقدة وفى حديث آخر رجله والرجل أيضا بمعنى جماعة معلوم فى لسان العرب يقال رجل من جراد وقوله قطنى أو قطى أو قط أصل الكلمة من القط الذى هو القطع ثم خففت وأجريت مجرى الحروف وكذلك قدنى بمعنى قط هى أيضا من القد وهو القطع طولا والقط بالطاء هو القطع عرضا يقال ان على بن أبى طالب رضى الله عنه كان اذا استعلى الفارس قده واذا استعرضه قطه وسيأتى ادخال العرب الطاء على الدال وجمعها فى قافية واحدة فى آخر الباب ان شاء الله ولما كان الشئ الكافى الذى لا يحتاج معه الى غيره يدعو الى قطع الطلب وترك المزيد جعلوا قط وقد يشعر بهذا المعنى فاذا ذكرت نفسك قلت قطى وقدى كما يقال حسبى وان شئت ألحقته نونا فقلت قطنى وقدنى قال الراجز فجمع بين اللغتين * قدنى من نصر الخبيبين قد * وأما قط المبنى على الضم فهى ظرف لما مضى وهى تقال بالتخفيف والتثقيل وهى من القطع أيضا وفى مقابلتها فى المستقبل عوض تقول ما فعلته قط ولا أفعله عوض مثل قبل وبعد انتهى كلامه رحمه الله وقال ثابت فى الدلائل فى هذا الحديث لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد حتى يضع فيها رب العالمين عز وجل قدمه فينزوى بعضها

الى

الى بعض فتقول قد قد بعزتك وكرمك أو كما قال ولا يزال فى الجنة فضل حتى ينشئ الله تعالى لها خلقا فيسكنهم فضل الجنة وفسر الحديث ولفظة قد قد على نحو ما ذكره الاستاذ وقال فى القدم نحو ما تقدم ونسب القول فيه الى الحسن على ما رواه عنه أصحاب السنن ثم قال وهذا تفسير رغب عنه ولا أحسب الحسن أيضا قاله وهذا وأشباهه يولده عليه من أراد التنزيه وحمل مذهبه عليه وانما ذكرناه لننبه عليه وتقدم فى النهى عنه والقول به والحديث صحيح كما جاء لا ندفعه ولا نتكلف تفسيره بغير ألفاظه التى جاءت به وقال الاوزاعى من الله التنزيل وعلى رسوله التبليغ وعلينا التسليم لامر حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تقدم هذا المعنى (قلت) قد فسر هذه الاحاديث العلماء رضى الله عنهم بما فسروه ونحن أيضا نذكر ما ذكروه ونحمله على ما يقتضى الاجلال لربنا تعالى والاكرام ونؤمن بما قاله نبينا عليه أفضل الصلاة والسلام ونقول آخر ذلك كله والله أعلم والسلام * وبقى من لفظ قط الذى بمعنى قطع قط السعر اذا غلا ذكره الخطابى رحمه الله وقال يقولون أتينا أرضا قاطا سعرها وأنشد

أشكو الى الله العزيز الجبار * ثم اليك اليوم بعد الستار

وحاجة اليوم وقط الاسعار

وبقيت أيضا مسئلة نحوية من هذا الباب هى عندى من لباب اللباب استشهد ثابت على قطى بقول الشاعر

قطى أبدا من كل ما ليس نافعى * ومن طلبى ما ليس لى بنصيب

وقال سئل بعض أهل اللغة عن قولهم عنى وقطنى ولدنى ومنى ما بالهم جعلوا علامة اضمار المجرور هاهنا كعلامة المنصوب فقال انه ليس فى الدنيا حرف تلحقه ياء الاضافة الا كان متحركا مكسورا ولم يريدوا أن يحركوا الطاء التى فى قطنى ولا النون التى فى منى فلم يكن لهم بد من أن يجيئوا بحرف كياء الاضافة متحرك اذ لم يريدوا أن يحركوا الطاء والنونات فصار الاولى من كلامهم أن تكون الياء والنون علامة المتكلم فجاؤا بالنون لانها اذا كانت مع الياء لم تخرج هذه العلامة من علامة الاضمار وانما حملهم على أن لم يحركوا الطاء والنونات كراهية أن تشتبه بالاسماء نحو يد وهن فرغ هذا فانرجع بحول الله الى بقية الكلام والله أعلم

(فصل) مذهب أهل السنة أن يعتقد العبد أن لله عز وجل ارادة جارية

فى المرادات حتى لا حادث فى الوجود من خيراً وشرا الا وهو جار على مشيئته وارادته وان محبته وبغضه ورضاه وسخطه ورحمته وغضبه وولايته وعداوته راجعة الى ارادته وان الارادة صفة لذاته قديمة فهو مريد بها لكل حادث فى سمائه وأرضه واكتساب العبد مخلوق لله تعالى والعبد مكتسبون لكن بتقدير الله وخلقه ومشيئتهم بعد مشيئته ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وسيأتى ذلك ان شاء الله تعالى فعلى هذا ينبغى لك أن تعلم ان الطاعة التى ظهرت منك انما هى كسبك والله خلقها لك وخلق لك القدرة عليها وهو يجزيك بها وعد حلك بفعلها كما تقدم وكذلك المعصية التى اكتسبت هى خلق الله قدرها عليك ويعاقبك عليها ويذمك بفعلها وكل ذلك بارادته وقدرته وسبق ذلك فى علمه الازلى قبل أن يخلقك واياك فهو الهادى المضل المعز المذل وكله عدل وحكم لا يسأل عما يفعل وهم يسألون اذ لو سئل عما فعل لكان محكوما عليه وهو الحاكم ومقدورا عليه وهو القادر ولكن لله تعالى سر فى عباده وهو القدر الذى لا يحل افشاؤه ولا الاستكشاف عنه قال رجل لهشام ابن الحكم وكان صاحب مذهب أترى الله فى فضله وكرمه وعدله كلفنا ما لا نطيق ثم يعذبنا عليه قال هشام قد والله فعل ولكنا لا نستطيع أن نتكلم قلت انما ترك التكلم فى هذا لانه من القدر الذى هو سر الله كما تقدم ان كان سنيا أو قال ذلك لستر مذهبه لان أبا عبد البكرى ذكر انه كان من الحشوية المشبهة وله أصحاب يروون أحاديث فى التشبيه كثيرة وكلها والحمد لله مضمحلة وحجتهم انهم يقولون لا يقوم فى المعقول الا جسم أو عرض فلما بطل وقوع الفعل من العرض صح من الجسم وقيل لهم هذا أفسد قياس لانه لا يقوم فى المعقول جسم الا مركب مؤلف فان قالوا ذلك فقد أقروا ان البارى سبحانه وتعالى مخلوق تعالى الله عن قولهم فانما يؤخذ من قول مثل هذا ما وافق الحق وما يرد به على من هو أخبث مذهبا منه * والله ولى التوفيق برحمته * وقد اختلف العلماء رضى الله عنهم فى تكليف ما لا يطاق فمنهم من أجازه واحتج بقوله تعالى ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به قالوا فلولا أنه ممكن لما سأل الله أن لا يفعله وقالت طائفة لا يجوز هذا وانما يعنى به الوسوسة التى لا يقدر الانسان على دفعها عن نفسه فيكون معنى لا تحملنا ما لا طاقة لنا به منها أى لا تؤاخذنا به وفى الحديث قال الله تعالى قد فعلت وقالت طائفة انما هو مثل أن يقول الله تعالى للعبد صل وصم ويقول للصلاة والصوم لا تأتيانه فلم تأته واحدة

منهما فلم يصل ولم يصم فاستحق العقاب وهذا موضع السر ليقضى الله أمرا كان مفعولا وسيأتى الكلام على هذه المسألة فى باب الرأى عند قوله تعالى تؤزهم أزا فانظرها ثم ان شاء الله تعالى * وقد تقدم لا يسأل عما يفعل وهم يسألون والكل ملكه وخلقه يفعل ما يشاء وما ربك بظلام للعبيد قال اياس بن معاوية رضى الله عنه ما كلمت أحدا بعقلى كله الا أصحاب القدر قلت لهم ما الظلم فى كلام العرب قالوا هو أن يأخذ الرجل ما ليس له قلت فان الله له كل شئ (قلت) والعجب ممن يطلب أن يطلع على سر الله فى قدره هلا طلب السر الذى قد جعل الله فى بعض الاشياء حتى يستخرجه الا ترى ان المغناطيس يجذب الحديد دون غيره ليت شعرى لاى شئ اختص بهذا نعم وثم حجر آخر يجذب الاظفار وآخر يجذب اللحم على ما ذكره ابن السيد قال وثم نبات يلقى فى النار فلا يحترق صدق الله العظيم حيث يقول فى الانسان انه كان ظلوما جهولا

فصل الواجب على العبد أن يستسلم لقضاء مولاه ويحسن الادب معه فمتى رأى خيرا فليحمد الله ومتى رأى غير ذلك فلا يلومن الا نفسه ولينزه مولاه عن الظلم ولا يقس غائبا بشاهد فليس الا رب واحد كيف وقد نهى ذو العظمة والجلال أن تضرب له الامثال فقال سبحانه وتعالى فلا تضربوا لله الامثال ان الله يعلم وأنتم لا تعلمون ان الانسان لجرئ أن ينسب الى مولاه الظلم وهو منه برئ وهل يصح الظلم الا منا نحن مملوكون فان وضعنا شيئا فى غير موضعه فقد ظلمنا وهو تعالى مالك والخلق كله ملكه فمهما فعل شيئا فقد وضعه موضعه كما تقدم ثم ليعتقد بقلبه ما يلفظ به لسانه اذ يقر أن الله حكيم عليم ومن كانت هذه صفته فلا معقب لحكمه وما أقبح بعبد الرجل منا أن يسأل سيده عن حاله وسره وهو عبد مثله فى الحقيقة فكيف بالمالك ذى القوة المتين الملك الحق المبين ثم بماذا يستفهم ان قال أين فسؤال عن المكان وان قال متى فسؤال عن الزمان واين كان الله تعالى قبل أن يخلق الزمان والمكان وان قال كيف فسؤال عن تشكيل وهيئة وان قال لم فسؤال عن علة وان قال من فسؤال عن جنس وان قال كم فسؤال عن عدد وهذه الاستفهامات كلها لا تصح فى حق القديم سبحانه لقيام الحدث معك عند نفس السؤال فان ابتليت بسائل فقال لك لم كان كذا فتوقف فان علمك الله حكمة فاذكرها واحمد الله وقل اثر ذلك والله أعلم وان كنت لا تدرى فقل لا أدرى وربما يعلمه غيرى أو يكون

مما استأثر الله بعلمه وانسب العجز والجهل والعيب لنفسك وتأدب فى ذلك بآداب
الانبياء عليهم الصلاة والسلام وتمعن الى قوله تعالى حكاية عن ابراهيم عليه
السلام الذى خلقنى فهو يهدين والذى هو يطعمنى ويسقين واذا مرضت فهو
يشفين فأضاف المرض الذى هو عيب الى نفسه وأضاف الخلق والهداية والاطعام
والشفاء الذى كله شرف وفضل الى مولاه تعالى وقد علم ان كلا من عنده لا اله
الا هو له الخلق والامر وكما قال المصطفى صلى الله عليه وسلم بيدك الخير ومعلوم
ان الخير والشر فى يده وقوله فى الحديث الآخر لبيك وسعديك والخير كله فى يديك
والشر ليس اليك معناه والشر ليس مضافا اليك على جهة الادب وكذلك فعل
الخضر عليه السلام حيث يقول الله تعالى حكاية عنه عند ذكر الخير فأردنا
أن يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة وأقرب رحما وقال فى مثله فأراد ربك أن يبلغا
أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك ولما انتهى الى ذكر العيب قال
فأردت أن أعيبها نسبه الى نفسه ونزه مولاه عن أن يضيفه اليه وكل من عنده
سبحانه ولكن فعل ذلك أدبا منه صلى الله عليه وعلى جميع الانبياء والاولياء وسلم
فسبحان ربك ما كان أعلمهم بما استعملهم لما علمهم * ونوع من هذا ذكر أبو طالب
فى قوت القلوب قال قال أبو محمد سهل رحمه الله اذا عمل العبد حسنة فقال يارب
أنت استعملتنى شكر الله له ذلك فقال أنت عملت واذا انظر الى نفسه فقال أنا عملت
يقول الله تعالى بل أنا استعملتك واذا عمل سيئة فقال أنت قدرت وأنت أردت يقول
الله تعالى أنت ظلمت وأنت عصيت بشهوتك وهواك واذا قال العبد ظلمت نفسى
وعصيت بجهلى استحيى الله تعالى منه فقال بل أنا قدرت وأنا قضيت قد غفرت لك
باعترافك بالظلم على نفسك هكذا أدب العاملين مع رب العالمين ويعتقدون مع ذلك
ان الكل من عند الله تبارك وتعالى وان الخير والشر والنفع والضر من الله تعالى
وحده لا شريك له كما قال تعالى قل كل من عند الله وهذا هو المحكم الذى
ليس فيه تبديل ولا تأويل ثم قال تعالى حكاية عن المنافقين فما لهؤلاء القوم
لا يكادون يفقهون حديثا ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن
نفسك كذا أوله بعض العلماء رضى الله عنهم * وقد روى عن أبى صالح أنه قال فمن
نفسك وأنا قدرتها عليك وروى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال كنت جالسا
عند رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثنا اذ أقبل أبو بكر وعمر رضى الله عنهما

فى فئام من الناس وقد ارتفعت أصواتهم فكف رسول الله صلى الله عليه وسلم
واستمع فلما دنوا جاء أبو بكر فسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جلس الى جنبه ثم
جاء عمر فسلم ثم جلس منتبذا منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هذا الذى
ارتفعت فيه أصواتكم يا أبا بكر فقال بعض القوم يارسول الله قال أبو بكر الحسنات
من الله والسيئات من أنفسنا وقال عمر الحسنات والسيئات من الله فتابع بعض
القوم أبا بكر وتابع بعض القوم عمر فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبى
بكر وقال كيف قلت يا أبا بكر قال قلت الحسنات من الله والسيئات من أنفسنا
فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أقبل على عمر وقال كيف قلت
يا عمر قال قلت الحسنات والسيئات كلها من الله قال فانبسط رسول الله صلى الله
عليه وسلم حتى عرف البشر فى وجهه ثم قال أما انى سأقضى بينكما بما قضى به اسرافيل
بين جبريل وميكائيل والذى نفسى بيده ان أول من تكلم فى القدر من جميع الخلق
جبريل وميكائيل فأما جبريل فقال مقالتك يا عمر وأما ميكائيل فقال مثل مقالتك
يا أبا بكر فقال جبريل لميكائيل انا ان نختلف يختلف أهل السماء واذا اختلف
أهل السماء اختلف أهل الارض فهلم نتحاكم الى اسرافيل فاحكم بيننا رضينا
فأتيا اسرافيل فقضى بينهما ان القدر كله خيره وشره من الله وهذا قضائى بينكما
ثم قال يا أبا بكر لو أراد الله أن لا يعصى فى الارض لم يخلق ابليس * وقال بعض العلماء
كل ما صدر من العباد من قول أو فعل أو حركة أو سكون فهو خلق الله سبحانه
وانه لا يخلق ولا يحدث شيئا من الاشياء الا الله تعالى فيخلق للانسان قدرة وقوة
واستطاعة يكتسب بها أفعاله مختارا غير مجبر ولا ملجأ ولكنه لا ينفك من اكتساب
ما سبق له فى العلم القديم أنه يكتسبه وبذلك يتوجه عليه العقاب وله الثواب
كما قال تعالى لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت وجزاء بما كانوا يكسبون خلافا لما يقوله
أهل البدع والجهالة والزيغ والضلالة منهم من يقول انهم يخلقون أفعالهم
ويحدثونها ومنهم من يقول ان الله يخلق الخير وغيره يخلق الشر ويقولون لا يشاء
الله المعاصى ولا يريدها وقد رد عليهم عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه فقال لهم لو لم
يشأ الله المعاصى لما خلق ابليس وقال رجل قدرى لمجوسى ما لك لا تسلم قال حتى
يشاء الله قال القدرى قد شاء الله ولكن الشيطان لا يدعك قال فأنا مع أقواهما
تبا للمعتزلة وتعاهر بوا من شئ وقعوا فى الكفر المحض نسبوا الى الله العجز وانه

يكون في ملكه ما لا يريد تعالى الله عن قولهم وويل للجبرية الذين يزعمون أنهم لا قدرة لهم ولا استطاعة وانهم كالحجر الذي لا يتحرك الا بتحريك محركه وكالباب الذي لا ينفتح ولا ينغلق الا بفاتح ومغلق وانهم مجبورون على أفعالهم التي خلقت لهم غير مكتسبين لها وقد وفق الله أهل السنة وسددهم وهداهم الى الطريق الاوسط وأرشدهم فجمعوا بين الامرين وألفوا بين القولين فأحكموا الامور وسددوا رباطها وكان خير الامور أوساطها وقد تصدى المعري لهذا المعنى فقال

لا تعش مجبرا ولا قدريا * واجتهد في توسط بين بينا

قال ابن السيد رحمه الله في شرحه المجبرة والقدرية كلاهما في عقيدته واصف ربه بغير صفته لان القول بالاجبار يبطل التكليف والامر والنهي ويوجب أن لا يكون للفاضل مزية على الناقص ولا للمطيع مزية على العاصي لان كل واحد منهما مجبر على ما هو فيه وقد أبطل الله تعالى هذه الدعوى في مواضع كثيرة من كتابه كقوله ولا يرضى لعباده الكفر وقوله فأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى وقوله تعالى ان الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون والقول بالقدر يوجب تجهيل الباري تعالى بأمر عالمه وعجزه عن نفوذ مشيئته فهم وان العباد يفعلون ما لم يتقدم له علم به قبل كونه وكلاهاتين الصفتين لا يليق بمن شهدت العقول السليمة بأنه أحكم الحاكمين وانه موصوف بالكمال مبرأ من جميع النقص وان كل موجود واقع تحت أمره متصرف تحت حكمه وقد شهدت نصوص الشرع بمثل ذلك كقوله تعالى وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين وقوله ولو أننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا الا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون وقد روى عن جعفر الطيار رضي الله عنه ان فلانا قال له العباد مجبورون فقال له الله أعدل من أن يجبر عبده على معصيته ثم يعاقبه عليها فقال له السائل فأمرهم مفوض اليهم فقال له جعفر الله أعز من أن يجوز في ملكه ما لا يريد فقال له السائل كيف هذا فقال أمر بين الامرين لا اجبار ولا تفويض انتهى كلامه قال انما رضى الله تعالى للجميل لا للقبيح وارادته لهما جميعا تعالى الله أن يكون في ملكه ما لا يريد ويشهد لهذا المذهب قول علي رضي الله عنه الاعمال ثلاثة فرائض وفضائل ومعاصي فأما الفرائض فبأمر الله وبقدر الله واختيار الله وبحب الله وتخصيص

الله وأما الفضائل فبترغيب الله لا بأمر الله وبقدر الله واختيار الله تعالى وبحب الله وتخصيص الله وأما المعاصي فبقضاء الله لا برضاء الله وبعلم الله لا بحب الله وبقدر الله لا باختيار الله ويروى انه لما رجع الى الشام قام اليه شيخ من أهل الوقعة فقال يا أمير المؤمنين أخبرنا عن سيرنا هذا أكان بقضاء وقدر فقال علي رضي الله عنه والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما وطئنا موطئا ولا هبطنا واديا ولا علونا تلعة الا بقضاء وقدر فقال الشيخ أحتسب عند الله عنائي وما أرى لي من الاجر شيئا فقال له علي رضي الله عنه بل قد أعظم الله لك الاجر في سيرك وفي رجوعك ولم تكن في شيء من ذلك مكرها ولا مضطرا فقال الشيخ وكيف لا أكون كذلك والقضاء والقدر ساقاني وعنهما كان سيري فقال له علي رضي الله عنه لعلك يا شيخ ظننت قضاء الله لازما وقدرا حتما لو كان ذلك لبطل الثواب والعقاب وسقط الوعد والوعيد وما كانت تأتي من الله سبحانه لائمة لمذنب ولا محمدة لمحسن ان الله سبحانه أمر تخييرا ونهى تحذيرا وكلف يسيرا ولم يعص مغلوبا ولم ينزل القرآن لعبا ولم يرسل الانبياء وخلق السموات والارض باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار فنهض الشيخ مسرورا وهو يقول

أنت الامام الذي نرجو بطاعته * يوم القيامة من ذي العرش رضوانا
أوضحت من ديننا ما كان ملتبسا * جزاك ربي عنا فيه احسانا

انظر كيف أنكر علي رضي الله عنه على الشيخ قوله وأخبره أن المسير وان كان بقضاء الله فانه لم يجبرنا عليه ولا اضطرنا اليه بل قدره علينا وجعله مطابقا لقصده واختياره فالانسان يعلم بالضرورة كونه قادرا على الحركة كما يعلم عجزه عن السكون في ذلك الزمن ويجد فرقا بين حركة ارتعاشه التي اضطر اليها وبين حركته التي ترجع الى قصده واختياره كما يفرق بين حالتيه في القوة والضعف فقدرة العبد على قدرة الله تعالى ومشيئته وارادته كما تقدم وما تشاؤن الا أن يشاء الله ان الله كان عليما حكيما وبهذه الآية احتج سني على قدري قال القدري قال الله تعالى انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا فقال له السني قرأت أول السورة ولم تقرأ آخرها وما تشاؤن الا أن يشاء الله ان الله كان عليما حكيما وهذا الخبر روى عن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه بلغه ان غيلان يقول بالقدر فبعث اليه فحجبه أياما ثم قال له

ياغيلان ماهذا الذى بلغنى عنك قال يا أمير المؤمنين ان الله تعالى يقول هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا حتى بلغ اماشاكرا واما كفورا فقال عمر اقرأ آخر السورة وما تشاؤن الا أن يشاء الله فقال غيلان كنت أعمى فبصرتنى وأصم فأسمعتنى وضالا فهديتنى فقال عمر اللهم ان كان عبدك غيلان صادقا والا ووقف هنالات المعنى مفهوم كما تقدم فأمسك غيلان عن الكلام فى القدر فلما مات عمر وأفضت الخلافة الى هشام تكلم فى القدر فقطع هشام يده فمر به رجل والذباب يقع على يده فقال ياغيلان هذا قضاء وقدر فقال كذبت لعمر الله ماهذا قضاء ولا قدر قال فبعث اليه هشام فصلبه وفى رواية ان غيلان لما قرأ على عمر رضى الله عنه هل أتى على الانسان حين من الدهر حتى بلغ اماشاكرا واما كفورا فقال له عمر ويحك من ها هنا تأخذ الامر وتدع بدء خلق آدم قال هات يا أمير المؤمنين فقال عمر واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الارض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء الى قوله تكتمون فقال غيلان يا أمير المؤمنين والله لقد جئتك ضالا فهديتنى وأعمى فبصرتنى وجاهلا فعلمتنى والله لا أتكلم فى شئ من هذا الامر أبدا فقال عمر والله لئن بلغنى انك تكلمت فى شئ منه لاجعلنك نكالا للعالمين فلم يتكلم حتى مات عمر فلما مات عمر سال فيه سيل الماء أو سيل البحر (قلت) فالايمان بالقدر فرض واجب دلت على ذلك العقول وجاء به الشرع المنقول خرج مسلم رحمه الله عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه عده فى الايمان فقال وأن تؤمن بالقدر كله خيره وشره * وسئل سلمان رضى الله عنه عن القدر والايمان به فقال أن تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك ولا تقل لولا كذا وكذا لم يكن كذا وكذا ولو كان كذا وكذا لم يكن كذا وكذا * ويروى أن نفرا من أصحاب على بن أبى طالب رضى الله عنه قالوا لو حرسنا أمير المؤمنين فانه محارب ولا نأمن أن يغتال قالوا فبتنا عند حجرته حتى خرج لصلاة الصبح فقال ماشأنكم فقلنا خشينا أن تغتال فحرسناك فقال أمن أهل السماء تحرسونى أم من أهل الارض قلنا لا بل من أهل الارض فكيف نستطيع أن نحرسك من أهل السماء قال فانه لا يكون فى الارض شئ حتى يقدر فى السماء وليس من أحد الا وقد وكل به ملكان يدفعان عنه ويكلآنه حتى يجئ قدره فاذا جاء قدره خليا بينه وبين قدره وكذلك قال ابن عباس رضى الله عنهما وقد سئل لم تفقد سليمان عليه السلام

الهدهد قال لانه كان يعرف بعد الماء فقال له السائل يعرف بعد الماء والصبيان يأخذونه بالحبالة فقال أوليس القدر يسبق البصر وسأل رافع بن خديج رضى الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال جعلت فداك يارسول الله قل لى كيف الايمان بالقدر قال تؤمن بالله وحده وأنه لا يملك أحد معه ضرا ولا نفعا وتؤمن بالجنة والنار وتعلم أن الله خلقهما قبل الخلق ثم خلق الخلق فجعل من شاء منهم الى الجنة ومن شاء منهم الى النار عدلا ذلك منه فكل يعمل لما قد فرغ منه وهو صائر لما قد خلق له قال قلت صدق الله ورسوله (قلت) وممارويته من الحديث المسلسل من شيخى القاضى محمد العثمانى الديباجى رحمه الله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال أخوف ما أخاف على أمتى تصديق بالنجوم وتكذيب بالقدر وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بلحيته وقال آمنت بالقدر خيره وشره حلوه ومره وكل شيخ فى السند يأخذ بلحيته ويقول ذلك حتى قاله شيخى وأخذ بلحيته وقلته أنا اذ حدثت به من قرأه على وأخذت بلحيتى وتسلسل الحديث منى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسند الصحيح والحمد لله وجاء فى الموطأ عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل شئ بقدر حتى العجز والكيس أو الكيس والعجز وعن عبد الله أيضا أنه كان يقول فى خطبته ان الله هو الهادى والفاتن وقد تبرأ رضى الله عنه ممن زعم أنه لا قدر وان الامر أنف أى مبتدأ ليس قديما فأكذب قائل ذلك وتبرأ منه كما تقدم وقال والذى يحلف به عبد الله ابن عمر لو أن لاحدهم مثل أحد ذهبا فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر وذكر الحديث المتقدم عن النبى صلى الله عليه وسلم وقال وتؤمن بالقدر خيره وشره ذكره مسلم رحمه الله وخرج الترمذى رحمه الله عن أبى هريرة رضى الله عنه قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نتنازع فى القدر فغضب حتى احمر وجهه حتى كأنما فقئ فى وجنتيه الرمان فقال أبهذا أمرتم أم بهذا أرسلت اليكم انما هلك من كان قبلكم حين تنازعوا فى هذا الامر عزمت عليكم أن لا تنازعوا فيه وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال آخر الكلام فى القدر لشرار هذه الامة وقال سهل رحمه الله تثبتوا القدر لله حتى يتخالجكم أن المعاصى هو الذى قدرها فاذا تخالجكم ذلك فتنزهوا عن المعاصى وتثبتوا القدر فان القدر ثابت وقد فسر قوله تعالى يؤمنون بالغيب على أقوال منها القدر وجاء فى الحديث عن معمر رضى

الله عنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله أرأيت رقى نسترقها ودواء نتداوى به وتقى نتقيها هل ترد من قدر الله تعالى شيئا قال هى من قدر الله فان قال قائل مامعنى قوله صلى الله عليه وسلم لا يرد القضاء الا الدعاء قيل له قد يكون القضاء والقدر من الله تعالى مطلقا او بسبب فاذا كان مطلقا وقع لا محالة واذا كان بسبب كان الحكم للسبب الآخر وهو القضاء المبرم وقد علم الله أنه كذا يكون ومثاله صلة الرحم تزيد فى العمر مثله فى أحد الاقوال ان الله كتب أجله مثلا عشرين سنة ان قطع رحمه وان وصلها بلغه أربعين سنة وقد علم الله أنه يصلها فبلغه الاربعين ولا بد وقوله تعالى يحفظونه من أمر الله فقيل معناه بأمر الله وأيضا فالحفظ من قدر الله فلا بد منه (قلت) والعجب ممن ينكر القدر من أهل الاهواء فى الاسلام وأهل الكفر قد أثبتوه فى جاهليتهم هذا لبيد يقول قبل الاسلام

ان تقوى ربنا خير نفل * وباذن الله ريثى والعجل

من هداه سبل الخير اهتدى * ناعم البال ومن شاء أضل

وقال آخر

هى المقادير فلمنى أو فذر * ان كنت أخطأت فما أخطا القدر

وهذا كثير قيل لبعضهم بأى شئ عرفت ربك قال بنقض عزائمى وقال بشد

يريد المرء أن يؤتى مناه * ويأبى الله الا ما يريد

يروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال كان رجل يكذب بالقدر وكان مسيئا الى امرأته فخرج الى الجبانة فوجد قحف رأس مكتوب عليه يحرق ثم يذرى فى الريح قال فأخذه فجعله فى سفط ثم دفعه الى امرأته ثم أحسن اليها ثم سافر فجاءتها جاراتها فقلن يا أم فلان لم كان زوجك يحسن الصنعة اليك فهل استودعك شيئا قالت نعم هذا السفط قلن فان فيه رأس حليلة له فقامت غيرى مغضبة ففتحته فاذا فيه قحف رأس قلن يا أم فلان ما تصنعين فيه احرقيه ثم ذريه فى الريح ففعلت فقدم زوجها من سفره وهى مغضبة فقال لها ما صنع السفط فحدثته بالحديث فقال آمنت بالله وصدقت القدر فرجع عن قوله (قلت) والاخبار عن هذا كثيرة وأما أهل الاهواء فقد اطلعت على كثير من أقوالهم فاذا هى هباء وبحق ذلك فان أفئدتهم هواء لا يوالمثهم عليها العقل ولا النقل ثم ان أولئك الفساق ليسوا بحذاق بلفظة يغلبون وبلحظة يقلبون * ويروى أن هشام بن عبد الملك أتى بقدرى فقال له يا أمير المؤمنين ابعث الى من شئت يحاجنى فبعث الى الاوزاعى وأتى بالقدرى

فقال

فقال له يا أبا عمرو أحب أن تحاجج لنا هذا القدرى فقال نعم فقال له أسألك عن ثلاث أخبرنى عن الله عز وجل هل حال دون ما أمر فقال القدرى ليس عندى من هذا شئ قال هذه واحدة ثم قال له يا هذا هل تعلم أن الله عز وجل قضى على ما نهى قال القدرى هذه أشد من الاولى قال هذه ثنتان ثم قال له يا هذا أخبرنى عن الله عز وجل هل أعان على ما حرم فقال هذه أشد من الاولى ومن الثانية ما عندى من هذا شئ قال الاوزاعى يا أمير المؤمنين هذه ثلاث فأمر به فضرب عنقه ثم قال يا أبا عمرو فسر لنا هذه الثلاث كلمات قال نعم يا أمير المؤمنين ان الله تعالى أمر ابليس بالسجود لآدم فحال بينه وبين السجود قال صدقت ثم قال أما علمت أن الله تعالى قضى على آدم بأكل الشجرة ثم نهاه عنها فقال هشام صدقت ثم قال أما علمت ان الله تعالى حرم الميتة ولحم الخنزير وأعان على أكلهما بالاضطرار قال صدقت * وقال رجل لهشام بن عبد الملك المتقدم الذكر أنا أقول بالهين وقد عرفت انصافك فلست أخاف مشاغبتك فقال وهو مشغول بثوب بنشره حفظك الله يقدر أحدهما أن يخلق شيئا لا يستعين بصاحبه عليه قال نعم قال هشام فما ترجو من اثنين واحد خلق كل شئ أصح لك فقال لم يكلمنى أحد بهذا قبلك (قلت) قد سبق هذا المعنى من النبى صلى الله عليه وسلم قبل هشام قال حصين بن عتبة وهو والد عمران ابن حصين قال لى النبى صلى الله عليه وسلم يا حصين ما تعبد قلت أعبد عشرة آلهة قال ما هم وأين هم قلت تسعة فى الارض وواحد فى السماء قال فمن لحاجتك قلت الذى فى السماء قال فمن لطلبتك قلت الذى فى السماء قال فمن لكذا قلت كذا قال فمن لكذا قلت كذا كل ذلك أقول الذى فى السماء فقال صلى الله عليه وسلم فالغ التسعة وكان من دعائه عليه الصلاة والسلام اللهم لست باله استحدثناه ولا رب ابتدعناه ولا كان لنا من قبلك اله نلجأ اليه ونذرك ولا أعانك على خلقنا أحد فنشركه فيك تباركت وتعاليت * وقال المأمون لثنوى يناظر عنده أسألك عن حرفين فقط خبرنى هل ندم مسئ قط على اساءته قال بلى قال فالندم على اساءته اساءة أو احسان قال احسان قال والذى ندم هو الذى أساء أو غيره قال هو الذى أساء قال فأرى صاحب الخير هو صاحب الشر وقد بطل قولكم ان الذى ينظر نظر الوعيد ليس هو الذى ينظر نظر الرحمة قال فانى أزعم أن الذى أساء غير الذى ندم قال فندم على شئ كان من غيره أو على شئ كان منه فأسكته * ودخل على هشام بن عبد الملك رجل ثنوى

لطيفة

فدار الكلام بينهما الى أن قال هشام أهما فى القدرة سواء قال نعم قال فجوهرهما واحد فقال الثنوى لنفسه ومن حضر يسمع ان قلت ان جوهرهما واحد عاد الى نعت واحد وان قلت مختلف اختلفا أيضا فى الهمم والارادات ولم يتفقا فى الخلق فان أراد هذا قصيرا أراد هذا طويلا وسكت * وقد تقدم ذكر هشام هذا وما قيل فيه انظر كيف قطع كلام هؤلاء بالحجة البينة وقد خصم أيضا الموبذ الذى دخل عليه والموبذ بلغة العجم العالم أو القاضى وقد تقدم فقال ياهشام حول الدنيا شئ قال لا قال فان أخرجت يدى فثم شئ يردها قال هشام ليس ثم شئ يردها ولا شئ تخرج يدك فيه قال فكيف أعرف هذا قال ياموبذ أنا وأنت على طرف الدنيا فان قلت لى ياموبذ انى لا أرى شيئا قلت لك ولم لا ترى وليس هنا ظلام يمنعك قلت أنت لى ياهشام انى لا أرى شيئا قلت لك لم لا ترى شيئا قلت ليس ضياء أنظر فيه فهل تكافأت المسئلتان فى التناقض قال نعم قلت فاذا تكافأنا فى التناقض لم لا نتكافأ فى الابطال أى ليس ثم شئ فأشار الموبذ بيده أن قد أصبت (قلت) أظنك لا تفهم هذا الكلام لانك تعتقد أن العدم شئ وليس كذلك انما العدم التلاشى المحض فى حقنا ولا فرق بين من يقول أعطيتك لا شئ ومن يقول لم أعطك شيئا وقولهم خرج فلان من العدم الى الوجود انما هو ظهر بعد أن لم يكن كما قال تعالى وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا وقوله تعالى هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا أى فى الخلق وهو عند الله مذكور أنه خالقه فقول هشام ليس ثم شئ يريد التلاشى المحض اذ لو كان بعد طرف الدنيا شئ لم تكن متناهية وكل المخلوقات متناهية لها أول وآخر وأقطار وحدود بخلاف القديم الذى ليس له أول ولا آخر وهو الاول والآخر أى قبل كل شئ و بعد كل شئ والظاهر والباطن أى العالم بما ظهر و بما بطن فلا تقس الخالق بالمخلوق ولا علمك بعلمه فليس الامر سواء والله يعلم من لم يعلم حتى يعلم ولا قوة الا بالله رجع القول الى المعنى الاول (قلت) ومن ابتلى بأحد من هؤلاء الطوائف فليفر منه ولا يفاتحه بكلام فانهم على جهلهم قد أوتوا جدلا كما جاء فى الحديث الصحيح ماضل قوم بعد هدى كانوا عليه الا أوتوا الجدل ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ماضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون فاحتفظ بدينك خشية أن يلق فى قلبك شبهة تحيرك وتغيرك كما روى أن أحدهم جاء الى أحد العلماء فقال له أريد أن أقرأ عليك آية من كتاب الله تعالى فقال له لا أسمعها منك فقيل له

فى ذلك فقال أخاف أن يقرأ آية قد تأولها على غير ما أتأولها يحتج بها لمذهبه الفاسد فيدخل على شبهة فبعده أحسن من قربه أو كما قال * ويروى أن رجلا جاء الى الحسن رضى الله عنه فقال ياأبا سعيد تعال حتى أخاصمك فى الدين فقال الحسن أما أنا فقد أبصرت دينى فان كنت أضللت دينك فالتمسه * وقال رجل يقال له أبو الجويرة وكان يتهم بالارجاء لمالك بن أنس رضى الله عنه ياأبا عبد الله اسمع منى شيئا أكلمك به وأحاجك وأخبرك فقال مالك فان غلبتنى قال ان غلبتك اتبعنى قال فان جاء رجل آخر فغلبنا قال نتبعه فقال مالك ياعبد الله بعث الله الينا نبيه صلى الله عليه وسلم بدين واحد وأراك تتنقل من دين الى دين * وقال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه من جعل دينه غرضا للخصومات أكثر التنقل وقال ابن مسعود رضى الله عنه من أراد أن يكرم دينه فلا يخاصم أهل الاهواء * واذ وقع ذكر أهل الاهواء فلنذكر فيهم حديثا خرجه أبو داود عن معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ألا ان من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملة وان هذه الامة ستفترق على ثلاث وسبعين ثنتان وسبعون فى النار و واحدة فى الجنة وهى الجماعة وانه سيخرج فى أمتى قوم تتجارى بهم تلك الاهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه لا يبقى منهم عرق ولا مفصل الا دخله وقال أبو عاصم خشيش بن أصرم النسائى رضى الله عنه بلغنا أن أول من افترق من هذه الامة الزنادقة وهم خمس فرق والجهمية وهم ثمان فرق والقدرية وهم سبع فرق والمرجئة وهم اثنتا عشرة فرقة والرافضة خمسة عشر فرقة والحرورية خمس وعشرون فذلك ثنتان وسبعون فرقة فهذا اجماع الفرق وأصولها ثم تشعبت كل فرقة من هذه الفرق على فرق واختلفت فى الفروع فكفر بعضهم بعضا وجهل بعضهم بعضا فافترق من الزنادقة فرقة على ست فرق منهم الروحانية ومنهم المعطلة ومنهم المانوية نسبوا الى مانى رجل منهم يدعو الى اثنين ومنهم العبدلية نسبوا الى رجل اسمه عبدل وأما الجهمية فنسبوا الى جهم بن صفوان أنكر العرش والكرسى وأنكر أن يكون الله فى السماء والاجازة على الصراط والميزان والملائكة الحافظين والحجاب والنزول والنظر الى الله تعالى والسمع والبصر وأنكر أن ملك الموت يقبض الارواح وعذاب القبر ومنكرا ونكيرا وأنكر أن الله تعالى يتكلم وأنه كلم موسى صلى الله على نبينا وعليه وسلم والشفاعة وأن يخرج أحد من

النار وأنكر خلق الجنة والنار وزعم أنهما يخلقان ثم يفنيان بعد خلقهما وأنكر أشياء غير هذه مما يعتقده أهل السنة ويؤمنون به وأما المرجئة فأصناف أيضا ومذاهب نعوذ بالله من ذلك وكذلك الرافضة تفترق الى ما تقدم منهم البيانية نسبوا الى رجل اسمه بيان والجمهورية نسبوا الى جمهور والسبائية والمنصورية والمختارية والكاملية والمغيرية والخطابية والزيدية والشيعة وأما الحرورية فهم أيضا أصناف منهم الازارقة نسبوا الى نافع بن الازرق والنجدية سموا بنجدة ابن عامر والاباضية سموا بعبد الله بن اباض والصفرية سموا بعبيدة بن الاصفر والبيهسية والثعلبة ومن هؤلاء الاصناف خرجت الخوارج وهم المارقون الذين أراح الله منهم على يد علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأما القدرية فهم أيضا أصناف كما تقدم سبعة نسبوا الى القدر لانهم يقولون لا قدر وقد احتج رجل منهم بهذه التسمية لأهل السنة فقال انهم أحق بهذا الاسم الذي تثبتونه لا تفسكم منا نخصمه والحمد لله * ومن الشيعة ممن لم يذكره حشيش وذكرهم ابن السيد قوم يقال لهم المخمسة يزعمون أن محمدا صلى الله عليه وسلم وعليا وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم كالشخص الواحد وان الروح كان مجراه فيهم مجرى واحدا ومن ظريف أمرهم أنهم زعموا أن فاطمة كانت امرأة في الظاهر ورجلا في الحقيقة والباطن وكانوا يسمونها فاطما بغير هاء ولذلك قال بعض شعرائهم

تولبت بعد الله في الدين خمسة * نبيا وسبطيه وشيخا وفاطما

ومن غريب أمر هذه الطائفة أنها لا تأكل الكرنب ويعتلون في ذلك بأنه نبت على دم الحسين رضي الله عنه وعن أهل السنة (قلت) أجمع الناس على قول لا حول ولا قوة الا بالله ومعناه لا حول عن معصية الله الا بعصمة الله ولا قوة على طاعة الله الا بالله فمن قالها موقنا بها فينبغي أن يستعملها فعلا كما نطق بها قولا فيعلم أنه لا يملك مع الله ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا ولا خلقا ولا رزقا وأنه لا فاعل الا الله وحده ألم تسمع قوله تعالى الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم انظر هذا الترتيب العجيب هل يشك عاقل في أنه كذلك وهذه أربعة أحوال منتظمة لا تخرج واحدة منها عن صاحبتها ألا ترى انك لا تقول أبي خلقني وان كان السبب فيك ولا تقول هو يميتني ولا هو يحييني فكذلك ينبغي أن تقول هو يرزقني والا فأي فائدة في قراءتك ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين ان كنت متوكلا على فلان أو على

صحة أو على صناعة أو على مال وان كانت هذه كلها أسبابا فانظر المسبب الاول الذي عليه المعول ولي قطعة مطولة فيها

شغلنا عن الرزاق جهلا بما نرى * من السبب البادي فأين المسبب

انظرها في التكميل أما علمت أن الله يرزق بسبب وبغير سبب نعم وقد يرزق بالسبب اليسير كما يرزق بالكثير كم رأينا من رجل ما تساوي سلعته التي تصرف بين يديه درهما ومثله يأكل ويلبس ويسكن هو وعياله مثل ما يصنع الذي يصرف الالوف وان لم يستويا في الرفاهية فقد استويا في المعيشة اذ لو لم يأكل هذا القليل المال شيئا لمات فاذا لا يزيد عليه الغني الا بالشبع والشهوات ومعلوم أن الفقير أحسن منه في الآخرة وأقل حسابا اذا صبر وسلم دينه ورضي بحاله وأيضا فتلك الشهوات التي تلذذ بها هذا الغني انما التذ بها وطيبها ما دامت في فيه فاذا جاوزت الحلقوم فقد ذهب طيبها وفي هذا المعنى قال الشاعر

اذا ما شئت أن تعلم * يوما كذب الشهوه
فكل ما شئت يغنيك * من المرة والحلوه
وطأ من شئت يحصنك * عن الحسناء في الذروه
وقد ينسيك ما تهواه * نيل الشيء ولم تهوه

وقال بعض الحكماء فساد الذات في اللذات وقسمها فقال لذة ساعة الاكل الشهي وقيل الجماع ولذة اليوم مجالسة صلحاء الاخوان ولذة الجمعة الثوب الجديد ولذة الشهر المركب الحسن ولذة العام العروس المحمودة والدار الجديدة ولذة العمر اخلاص العبادة ومما قلته في القناعة بما قل

لأكل الحوت مشويا بتين * ويسلم لي من الآفات ديني
أحب الي من دين سقيم * وأكل الخبز باللحم السمين

في أبيات كثيرة أنظرها في التكميل رجع الكلام (قلت) والحكمة في ارتباط هذه الاسباب بالمسببات انخراق العادة للانبياء عليهم الصلاة والسلام والاولياء رضي الله عنهم كما تقدم قبل ومشغلة أيضا المؤمن من يؤمن فيقول الله يرزقني ويكفر من يكفر فيقول لولا فلان ولولا كذا لهلكت ومن نظر بعين الحقيقة رأى أن رزقه قد كتب وهو في بطن أمه ومن زاد علمه رآه مكتوبا في اللوح المحفوظ ومن علا علمه رأى رزقه في علم الله القديم قبل أن يخلق القلم

واللوح والنون وهى الدواة قال ابن عباس رضى الله عنهما أول ما خلق الله القلم ثم خلق النون وهى الدواة ثم خلق اللوح ثم قال للقلم اكتب قال وما أكتب أى رب قال اكتب القدر وخلق الدنيا وما يكون فيها من خلق أو مخلوق أو عمل ومعمول من بر أو فجور أو رزق حرام أو حلال أو رطب أو يابس ثم ألزم كل شئ من ذلك شأنه ثم جعل لذلك الكتاب ملائكة وجعل للخلق ملائكة فتنطلق ملائكة الخلق الى ملائكة الكتاب فيلقون اليهم النسخ بما هو كائن فى الليل والنهار بما وكلوا به فتهبط ملائكة الخلق الى الخلق فيحفظونهم بأمر الله ويسوقونهم الى ما فى أيديهم من النسخ وذلك قول الله تعالى انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون فقال رجل لابن عباس ما كنا نرى ذلك الا نسخ أعمالنا فقال ابن عباس ألا تحضبون ألستم قوما عربا وهل كان النسخ الا من كتاب مكتوب فوالله ان الملك ليبعث اليه صحيفتان احداهما مختومة والاخرى منشورة فيقال له اكتب فى هذه ولا تفتح المختومة ولا تكسر لها خاتما فاذا صعد فلك الخاتم ثم عارض فلا يغادر صغيرة ولا كبيرة وذلك قوله تعالى وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين * ومن وصية لقمان لابنه يا بنى وارد درغتك الى الله ان شاء أعطاك وان شاء منعك فان حيلتك لن تزيدك ولن تنقصك من قسمة الله التى قسم لك شيئا واعتبر رزقك بخلقك فان استطعت أن تزيد فى واحد منهما فان من الخلق المحتال الجلد البطش ولا يزداد الا فقرا ومنهم الضعيف الواهن المهين ولا يزداد ماله الا كثرة ولو كان من الحيلة لسبق القوى الضعيف الى كل شئ وقال الشاعر

قد يرزق المرء لا من فضل حيلته * ويصرف الرزق عن ذى الحيلة الداهى

ما نالنى من غنى يوما ولا عدم * الا وقلت عليه الحمد لله

وقال آخر قد يرزق المرء لا من فضل حيلته * لكن جدود بأرزاق وأقسام

كالصيد يحرمه الرامى المجيد وقد * يرمى فيرزقه من ليس بالرامى

وقيل لبعضهم من أين تأكل فقال لو كنا نعلم من أين نأكل لطال جوعنا وقيل لآخر كذلك من أين تأكل فقال ليس هذا الى ولكن قل لربك من أين تطعم وكذلك يروى أن حكيما سئل ما بال العاقل محروم وما بال الاحمق مرزوقا فقال أراد الصانع أن يدل على نفسه ولو كان كل عاقل مرزوقا أو كل عاقل محروما لوقع فى العقول أن العاقل رزق نفسه والاحمق حرم نفسه فلما رأوا الامر بخلاف هذا علموا أن

الصانع

الصانع هو الرازق * وقال حكيم آخر السبب الذى أدرك به العاجز حاجته هو الذى أقعد الحازم عن درك بغيته والامر الذى يحول بين العاقل وسعة الرزق هو الذى يوصل الجاهل الى نيله وفى كل شئ حيلة الا فى القضاء وكل شئ يستطاع نقله الا الطباع وقال الشاعر * وتأبى الطباع على الناقل * وقال آخر * ان التخلق يأبى دونه الخلق * وقال مجاهد الشقاء والسعادة لا يعدوان وقال ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب الا الشقاء والسعادة والحياة والموت وقال أبى بن كعب رضى الله عنه قرأت فى اثنين وسبعين كتابا من كتب الله عز وجل من أضاف الى نفسه شيئا من الاستطاعة فقد كفر وبعد هذا فيخرج من هذا كله أنه لا اله الا الله المعطى المانع الضار النافع المعز المذل الهادى المضل الفعال لما يشاء والعبد متصرف متكلف محكوم مغلوب مقهور مطلوب لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا ولا يستطيع عنها من المقدور دفعا قد وكل به شيطان يعده بالفقر ويأمره بالفحشاء ونفس أمارة بالسوء يخاف عليها الوقوع فى المعاصى ويخشى والمعصوم من عصمه الله وقال بعض الحكماء ان استطعت أن لا تضر من تحب فافعل قيل كيف قال نفسك أحب الاشياء اليك وأنت تضرها بالمعاصى وقال الشاعر

ركوب المعاصى يذل النواصى * فخذ فى الخلاص فما من مناص

وكان الحسن رضى الله عنه كثيرا ما يقول ما خير من لا يرحم نفسه ولى فى هذا المعنى

من ليس يرحم نفسه ويصدها * عما سيهلكها فليس بمشفق

فى قطعة مطولة تقدم بعضها وقال يحيى بن معاذ رضى الله عنه مسكين ابن آدم جسم معيب وقلب معيب يريد أن يخرج من معيبين عملا بلا عيب ولقد اعتذر واستقال من قال

لى نفس يسرها * كل شئ يضرها

فهى تبلى مع الزما * ن فيزداد شرها

وقال آخر وقد يهلك الانسان من باب أمنه * وينجو بحول الله من حيث يحذر

يرى الشئ مما يتقى فيخافه * وما لا يرى مما يقى الله أكثر

وقد ذكر النقاش هذا المعنى فقال ان الله تعالى يأتى بالمنفعة من حيث المضرة قال الله عز وجل فاذا خفت عليه فألقيه فى اليم ويأتى بالمضرة من حيث المنفعة قال الله عز وجل فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا * ومن كلام

الحكماء رب مسرة هي الداء ومرض هو الشفاء والى هذا المعنى نظر أبو الطيب

لعل عتبك محمود عواقبه * فربما صحت الاجسام بالعلل

حدثني بعض الاصحاب عن مالك رضي الله عنه انه كان له ابن أصابه الجذام فحبس في القصر وعولج بكل دواء فلم ينفعه فبينما هو ذات يوم قاعد وهو يتفكر في حاله وما يقاسي من البلاء اذ رأى حية قد خرجت من ثقب وعمدت الى صحفة كانت في البيت فيها لبن فولغت فيه ثم انصرفت فقال الغلام في نفسه أقوم الى هذا اللبن فأشربه لعل فيه سما من الحية فيقتلني فأستريح فقام اليه فشربه فكان فيه شفاؤه فبرأ باذن الله تعالى هذا معنى كلامه ومن قول الحكماء لن ينجي الحذر من القدر وقال الشاعر

ما قد قضي يا نفس فاصطبري له * ولك الامان من الذي لم يقدر

وقال آخر اذا لم يكن عون من الله للفتى * فأكثر ما يجني عليه اختياره

وقال آخر وكم من طالب يسعى لشيء * وفيه هلاكه لو كان يدري

وقال آخر من نال من دنياه أمنية * أسقطت الايام منه الالف

وقال آخر واياك المطامع والاماني * فكم أمنية جلبت منيه

وقال آخر واذا خشيت من الامور مقدرا * ففررت منه فنحوه تتوجه

يروى ان رجلا نزل الوباء في أرضه فركب حماره يفر فهو يعدو اذ سمع هاتفا يقول له

لن تسبق الله على حمار * ولا على ذي منعة طيار

قد يصبح الله امام الساري

وقد أخذ الشاعر هذا المعنى فقال

كأن فجاج الارض كفاك ان يفر * بها خائف تشدد عليه الانامل

فأين يفر المرء عنك بجرمه * اذا كان يطوى في يديك المراحلا

رأيت هذا الشعر لابي الغوث الصقلي وهو

كأن بلاد الله كفاك ان يسر * بها هارب تجمع عليه الاناملا

فان كان له فتلك رواية وان كان لغيره فقد وقع الحافر على الحافر ومثله من يقول

كأن بلاد الله وهي عريضة * على الخائف المطلوب كفة حابل

وقد سبق هؤلاء النابغة اذ يقول

وانك كالليل الذي هو مدركي * وان خلت ان المنتأى عنك واسع

خطاطيف حجن في حبال متينة * تمد بها أيد اليك نوازع

قال منوجهر بن ايرج حين عقد التاج على رأسه في خطبة له طويلة أيها الناس ان الحمد للخالق وان الشكر للمنعم وان التسليم للقادر وانه لا أضعف من مخلوق طالبا أو مطلوبا ولا أقوى من طالب طلبته في يده ولا أعجز من مطلوب هو في يد طالبه خرجه الطبري وقال آخر

تعلم رسول الله أنك مدركي * وأن وعيدا منك كالاخذ باليد

اذا قيل مثل هذا في المخلوق المملوك فكيف بالخلاق مالك الملوك ومن نوع ما تقدم قول الشاعر

ترجو خلودا بدار البلى * ان الذي تطلبه مختلف

وقال آخر تؤمل أن تعمر عمر نوح * وأمر الله يحدث كل ليله

جاء في التفسير ان نوحا عليه السلام أرسله الله بعد آدم بثمانمائة سنة وهو أول نبي بعثه الله الى قومه وهو ابن أربعمائة سنة فلبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما كما قال الله عز وجل فلم يؤمن معه الا قليل فدعا عليهم فأنزل الله عليهم الطوفان وهو الماء الكثير نزل عليهم أربعين يوما وأربعين ليلة وفجرنا الارض عيونا فأتلف كل شيء على الارض الا من كان في السفينة وكانوا أربعين رجلا وأربعين امرأة وأولاده الثلاثة سام وحام ويافث ونساؤهم ومن كل زوجين اثنين من غير بني آدم وأقاموا في السفينة مائة وثمانين يوما من عشر خلون من رجب الى عشر من المحرم وعاش الاربعون رجلا ولم يتناسلوا وتناسل أولاد نوح فكل بني آدم من أولادهم وعاش نوح بعد خروجه من السفينة ثلثمائة وخمسين عاما والله أعلم فرغ

هذا خرجت من شيء الى غيره * وكله علم وقول سديد

يحتاجه القارئ والسامعو * ن الكل منهم راغب في المزيد

وها أنا آخذ في قلب ذا البيت بعون الله ربي المجيد

(مقلوب البيت ألف بين حرفين)

داد لم أجد فيه غير دادود أودوذاذ فأما داذ فنبات عندنا معلوم ولا أدرى أعربي هو أم لا وقد سألت عنه بعض أشياخي فقال لا أعرف غير داذ بدال غير معجمة بعدها ذال معجمة وهو نبات أحمر توصف به الخمر وأنشدني بيتا لاحد الشعراء يصف الخمر أنسيته غير اني أحفظ أوله * حكته حمرة الداذي * وقال صاحب كتاب العين الداذي

ذاد

نت و يقال هو شئ يجعل فى النبيذ وقال الشاعر * شربنا من الداذى حتى كاننا * البيت و يقال دأد اللحم وأد أدود ودّد * أماذاد فعلوم ذاد الرجل ابله عن الحوض اذا طردها عن الشرب وفى الحديث فليذادن رجال عن حوضى كما يذاد البعير الضال نعوذ بالله من تلك الحال واسم الفاعل من هذا ائذ وقد يقال للرجل الشديد البأس فى القتال مذود ومنه قول كعب بن مالك رضى الله عنه

ونحن وردنا خيبرا وفروضه * بكل فتى عارى الاشاجع مذود

نذود ونحمى عن ديار محمد * وندفع عنه باللسان و باليد

و يجمع مذود على مذاو يد قال تميم بن أبى نفيل

مذاويد بالبيض الحديث صقالها * عن الركب أحيانا اذا الركب أوجفوا

ومعنى أوجفوا حركوا وأتعبوا من قوله تعالى فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ويقال من هذا الفعل ذدت الرجل عن كذا أذوده ذودا اذا دفعته (والذود) القطيع من الابل والذود من الثلاث الى العشر ولا يكون الذود الا اناثا كذا قال الزبيدى ولا واحد لها من لفظها وقال عيسى بن دينار فى قوله عليه الصلاة والسلام وليس فيما دون خمس ذود من الابل صدقة قال الذود هو جمل واحد ويشهد لهذا قوله الذود الى الذود ابل والى هنا بمعنى مع وذياد وذواد وذويد من أسماء الرجال * تفسير القوافى أما قافية البيت الاول * دل وذل تقول دل فلان على كذا اذا هدى اليه وأرشد من قوله تعالى مادلهم على موته يعنى أرشدهم وأعلمهم والله أعلم * ومن شكله دل على كذا اذا أمرت وكذلك اذا بنى لما لم يسم فاعله ومصدر دل وفى الحديث ودل الطريق صدقة والدل أيضا دلال المرأة اذا أدلت فى غنج وشكل وامرأة ذات دل والدل مثل السمت والهدى والسكينة والوقار والمنظر والشمائل أدل الرجل على صاحبه ادلالا اذا وثق بمحبة صاحبه فأفرط عليه ومن أمثالهم أدل فأمل والاسم الدالة ويقال فلان يدل على أقرانه فى الحرب كالبازى يدل على صيده والدلالة والدلالة مصدر الدليل ومصدر دل أيضا وكذلك دلولة ودلالة بالفتح أشهر وهو اسم لما يجعل للدلال والدلال فعال من دل و يجمع دليل على أدلاء وأدلة والاسم الدليلى ومثله الخصيصى من الخصوصية والنميمى لكثير النميمة والمنينى من المن والخليفى من الخلافة والهجيرى الكلمة التى يلهج بها قائلها والخطيبى من الخطابة والبزيزى من التغلب والسلب من قولهم من عز بزأى من غلب سلب

دل وذل

الذود

الدليلى وماماثلها

يقال

ردّ

اجريا

يقال كانت بينهم رميبى ثم حجزت بينهم حجيزى والهزيمى من الهزيمة والميسى من المماسة والرديدى من الردّ وجاء فى الحديث لا رديدى فى الصدقة فسر بالردىء وكذلك المردود ويقال له الردّ ويقال أيضا هذا الشئ ردّ أى ردىء وفى لسانه ردة اى حبسة والمردودة أيضا المرأة اذا طلقت ثم ردت الى بيت أبيها وفى الحديث عن بعض الصحابة أظنه عبد الله بن عمر وذكر مسكا قال هو للمردودة من نسائى أو كما قال والمردودة أيضا الموسى لانها ترد فى نصابها وقريب مما تقدم اجريا وليس فى الكلام غيره واهجيرى وقال الكميت فى اجريا

على تلك اجرياى وهى ضريبتى * ولو أجلبوا طرّا على وأحلبوا

أى عادتى وأحلبوا مثل تألبوا واجتمعوا وقال آخر

وكل باجريا أوائله يجرى * أى على عادة آبائه ودلة اسم امرأة والدلدل أعظم من القنفذ وقال ابن دريد هو الشيهم وهو القنفذ العظيم الطويل الشوك ودلدل اسم بغلة النبى صلى الله عليه وسلم وسيأتى و يقال تدلدل الشئ تحرك والدلدل الاضطراب والدلدلة تحريك الرجل رأسه وأعضاءه فى المشى وان جعلت الواو من نفس الكلمة فى ودل جاء من مقلوبها دلو و ولد وولد وولد وولد والملب نصب * ومقلوب دل لد يقال منه لد يلد لدا واللدود دواء يجعل فى أحد شقى الفم فان كان فى الانف فهو السعوط تقول منه لد اذا أمرت وكذلك اذا بنيته لما لم يسم فاعله وفى الحديث لدّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن شكله لد جمع ألد وفى التنزيل وتنذر به قوما لدا ولدا اسم بلد والتلدد التلفت ولديد الوادى أحد جانبيه وهما اللديدان واللديدان أيضا صفحتا العنق والملتدد العنق واللد شدة الخصومة ورجل ألد وقوم لد والالندد والينندد مثله الخصم العسر واللدد مثل الالد ولدّه عن كذا أى حبسه * الكلام فى الدال * قد تقدم ان مخرجها قريب من التاء والطاء ولذلك جعلوا الدال والطاء فى قافية واحدة كما قال الشاعر

كأن تحت درعها المنقد * شطا رميت فوقه بشط

وقال غيره اذا نزلت فاجعلونى وسطا * انى كبرت لا أطيق العندا

كذا رويته فى أدب الكتاب وقال العند الجانب ووقع فى تاج اللغة

اذا ركبت فاجعلانى وسطا * انى كبرت لا أطيق العندا

وفسره جمع عاند كراكع و ركع وهو البعير الذى يجور عن الطريق عند عن

الدلدل

اللدود

التلدّد

الكلام فى الدال

الطريق يعند بالضم عنودا أى عدل فهو عنود والعند فى قوله تعالى انه كان
لآياتنا عنيدا أى معاندا لنا جاحدا بها قاله ابن سلام وقد تقدم قد وقط وسيأتى
فى باب الطاء اجتماعهما فى أطت الابل وأدت وقد تقدم اجتماع الطاء مع التاء
فى اقطار واقتار وتصغير دال دويلة وكذلك الذال * ومن تكرير الدال دد
دد وليس فى الكلام غيره وسيأتى ومن شكل دال دال اسم فاعل وفى الحديث الدال
على الخير كفاعله ومن شكله أيضا دأل يدأل دألا مشية فيها ضعف وعجلة ويقال هذا
بالذال المعجمة أيضا وسيأتى والدأل الختل ومعكوس دأل لاذ اسم فاعل من لذ كما
تقدم لات اسم فاعل من لت ومقلوبه أدل جمع دلو ويجمع أيضا على دلاء ودلى وقد
تقدم قول حسان * وبحر لا تكدره الدلاء * والدلاة لغة فى الدلو وقد تقدم

آليت لا أعطى غلاما أبدا * دلاته انى أحب الاسودا

وفسر دلاته أى سجله ونصيبه وتقول أدل دلوك يا هذا اذا أمرته أن يرسلها
وفى القرآن العظيم فأدلى دلوه ودليت الدلو استقيتها والامر من هذا أدل بالكسر
وهو من الشكل والادل وجع فى العنق والادل أيضا ضرب من اللبن يتغير عن
مخضه يقال جاءنا بأدلة ما تطاق حمضا والدالى هو المستقى قال الراجز

سلم ترى الدالى منه أزورا * اذا يعب فى السرى هرهرا

السلم الدلو وكذلك الذنوب والغرب مثله والغرب فى غير هذا الحدة يقال فل من
غربك أى من حدتك وقوله هرهرا هو مضاعف هر ومنه حديث عبد الله الخولانى
قال قدم علينا رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم دمشق فرأى ماهم فيه
من الدنيا فقال وما تغنى عنهم أليس من ورائهم الفلق قيل وما الفلق قال جب
فى النار اذا فتح هر منه أهل النار ذكره ثابت وقوله من ورائهم يعنى أمامهم وسيأتى
فى الباب بعد هذا ان شاء الله تعالى وأزور مائل وقد تقدم يعب والسرى النهر وكذا
فسره ابن سلام فى قوله قد جعل ربك تحتك سريا قال السرى الجدول وهو النهر
الصغير وسمى السيد سريا تشبيها بالنهر وتقول أدل بحجتك بالفتح أى أظهرها
وأحضرها وكذلك تقول أدلى اليه بماله اذا دفعه اليه وبنو الدؤل وبنو الديل
حيان من العرب وكذا بنو الدويل والدولة والدولة لغتان والادالة منه وهى الغلبة
يقال اللهم أدلنى على فلان أى انصرنى عليه ومنه قولهم دالت الايام أى
الدولة دارت وفى التنزيل وتلك الايام نداولها بين الناس وقولهم دواليك من هذا أى

تداول بعد تداول قال الشاعر

اذا شق برد شق بالبرد غيره * دواليك حتى كلنا غير لابس

ويأتى من هذا الفعل أدل وهو من الشكل وكذلك فلان أدل من فلان والدولة
والتولة مثل الهمزة الداهية وكذلك الدولات يقال جاء بالدولات والتولات أى التولة
بالدواهى قال الخليل التولة والتولة بكسر التاء وضمها شبه السحر وفلان ذو تولات
اذا كان ذا لطف وتأت كأنه سحر صاحبه وقال الاصمعى التولة ما تتحبب به المرأة الى
زوجها * ومعكوس أدل لدى لو كتبتها بالالف قال تعالى انك اليوم لدينا مكين لدى
أمين ومعناه عندو يقال فيها أيضا لدن قال الله تعالى من لدن حكيم عليم وقد بلغت
من لدنى عذرا ومقلوب أدل ألد وقد تقدم * ولى فى الدال التزام غريب وللخطيب
عليه جواب عجيب قلت شعرا ضمنت كل كلمة فيها دالا والتزمت أن يكون كله دون
خلط ولا نقط وبعثت به الى الطلبة وكتبت قبله

يا أهل مالقة هل فيكم رجل * يقول شعرا بلا خلط ولا نقط
ما لفظة فيه الا فى مضمنها * دال فى الاول أو فى الطرف والوسط
وما تكرر منها لفظة ذكرت * فى مصدر أو سواه نحو ذا النمط
داود ود ود ر وده درك * هذا المثال فأبرز درة السفط

فى أبيات كثيرة كتبت بها اليهم وموهت بها عليهم والابيات المثبر وطة من هذا
القبيل فما أجاب عنها أحد منهم بكثير ولا قليل الا الفقيه الخطيب فانه أجاب على
ذلك بمنظوم ومنثور جميع ذلك فى التكميل مسطور * قافية البيت الثانى وذل
ودل أما ذل فمعلوم فعل ماض ذل يذل ومصدره ذل المذكور ويقال ذلة أيضا يقولون ذل
ماله من الذل والقل أى من الذلة والقلة ويقال الذل بالكسر اللين والضعف وكذا
قرأ سعيد بن جبير ويحيى بن وثاب وعاصم الجحدرى واخفض لهما جناح الذل بكسر
الذال قال النحاس ومعنى هذه اللفظة اسم لهما يقال رجل ذليل بين الذل اذا كان
سمح النسا مواتيا وكذلك يقال فى الدابة وقد تقدم والجمع أذلال من قولهم أمور الله
جارية على أذلالها وكذلك ان الامور تجرى على أذلالها أى على مسالكها
وطرقها ودعه على أذلاله أى على حاله وجاء فلان على أذلاله أى على وجهه
وطريقته وذلل الكرم اذا تدلى وكذلك النخل وفى التنزيل وذللت قطوفها تذليلا
وفى الحديث والنخل قد ذللت وفى القرآن أيضا هو الذى جعل لكم الارض ذلولا

فامشوا فى مناكبها جاء فى التفسير سهلة تمشون عليها ومناكبها طرقها وقيل
فى أطرافها وفجاجها وتقول ذلت الدابة بعد شماس وتصعب ذلا والرجل ذليل
والدابة ذلول والذلذل والذلذال والذلذول أسفل القميص والجمع ذلاذل قال الشاعر

نفرجت أحضر فى ذلاذل جبتى * لولا الحياء أطرتها احضارا

والذليل يجمع على أذلة قال الله تعالى أذلة على المؤمنين أى لينون لهم ليس من
الهوان انما هو من الرفق من قولك دابة ذلول كما تقدم أى منقاد سهل لين وضده
أعزة على الكافرين أى يغاز ونهم ويغالبونهم ويمانعونهم من قولهم من عزبز
لذ — كما تقدم أيضا * ومعكوس ذل لذ يقال شراب لذ ولذيذ وهو يلذ الطعام والشراب
لذاذة اذا وجد ذلك لذيذا واستلذه استلذاذا والطعام لذ ولذيذ ويجمع على لذاذ
وأنشد * ملاذة فى الاعصر اللذاذ * ويمكن أن يكون لذاذ جمع لذيذ مثل
اللذلذة — سمين وسمان وقد قالوا من مضاعفه اللذلذة وهى السرعة والخفة يقال رجل لذلذ
اذا كان خفيفا سريعا فى عمله وبه سمى الذئب لذلاذا ويقال للذة اللذوا
وفى حديث عائشة رضى الله عنها وذكرت الدنيا فقالت قد مضى لذواها وبقى بلواها
ذكره الخطابى ومن أحسن ماقيل فى هذه اللفظة وأجوده وأقنعه وأزهده

ألذ جميل الصبر عما ألذه * وأهوى لما أهواه تركا فأتركه

واللذ أيضا النوم قال الشاعر

ولذ كطعم الصرخدى طرحته * عشية خمس القوم والعين عاشقه

وصرخد موضع ينسب اليه الشراب وسترى فى التكميل قول الخطيب الجليل

انّ الشطون لذيذ * طبيخه والجنيذ

وكنت وعدت بالكلام فى الذى وهذا موضعه لان أصله لذى فهو يليق بهذا
الذى — الباب قالوا لذى أدخلت عليه الالف واللام ولا يجوز أن ينزعامنه وهو اسم مبهم
للمذكر وفيه أربع لغات الذى بياء والذ بغير ياء وكسر الذال والذ باسكانها
والذىّ بياء مضمومة مشددة وفى تثنيته ثلاث لغات اللذان كما قال تعالى واللذان
يأتيانها منكم فآذوهما واللذا بغير نون كما قال الشاعر

أبنى كليب انّ عمىّ اللذا * قتلا الملوك وفككا الاغلالا

واللذانّ بالنون المشددة وفى جمعها لغتان الذين فى الرفع والنصب والخفض وهو
المشهور والذى كما قال الشاعر

وانّ الذى حانت بفلج دماؤهم * هم القوم كل القوم يا أمّ خالد

يعنى الذين ومنهم من يقول فى الرفع اللذون وتصغيره اللذيا فاذا ثنيته مصغرا أو جمعته
قلت اللذيان واللذيون قاله الجوهرى
(فصل آخر) بقى الكلام فى شكل الذال وقد تقدم تصغيرها وتقدم الكلام
فى مخرجها ايضا عند ذكر الطاء والتاء لان ذلك واحد وقريب بعضه من بعض
ألا تراهم جمعوا بين الذال والظاء فى قافية واحدة كقول الراجز

كأنها والعهد منذ أقياظ * أس جراميز على وجاذ

ذكره ابن قتيبة وقال الجرموز الحوض الصغير والوجاذ المشرف من الارض * ومن
ذالّ — شكل ذال ذالّ اسم فاعل من ذل قاله النحاس يقال ذل يذل ذلة ومذلة وذلا فهو ذالّ
وذليل * ومن شكله أيضا ذأل يذأل ذألانا وهو مشى خفيف وبه سمى الذئب
ذؤالة وهو معرفة يقال خش ذؤاله بالحباله وقد ذكرت هذه اللفظة فى التكميل
فى خبر طويل عجيب يقال ذألت الناقة تذأل ذألا وذألانا والذولان ابن آوى
ويقال هو جمع ذؤالة وقال ابن السكيت ذألان الذئب ويجمع على ذآليل ومن
لاذ — معكوسه لاذ فعل ماض تقول لاذ يلوذ لوذا ولواذا ولياذا اذا استتر بشئ وفى التنزيل
قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا وقال الشاعر * وقريش تفر منا لواذا *
وقيل هو مصدر لاوذ واللاذ أيضا ثياب من حرير تنسج بالصين واحدتها لاذة
وسيأتى فى التكميل قول الخطيب

بك يا ابن الكرام وبل * لم ترض طلا ولا رذاذا
أضحى بك الجود ذا اهتزاز * وجرّت المكرمات لاذا

من شعر حسن فى رسالة على حروف المعجم وجاء من مقلوب ذال أذل أمر من
أذال يذيل اذالة والفاعل مذيل والمفعول مذال وهو المهان ومنه قول مالك بن أنس
رضى الله عنه من اذالة العلم أن ينطق به قبل أن يسأل عنه أى من اهانته وضعته
يقال أذل هذا وارفع هذا أى ارفع وضع وقال الشاعر

أذال الشيب يا صاحى شبابى * فعوضت البغيض من الحبيب

ولو قال فى هذا الشعر أدال بدال غير معجمة لكان صوابا * ومن هذا الشكل فلان
أذل من فلان وفى التنزيل لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل
وفى الآية قراءة شاذة لكن لها معنى مليح وهى ليخرجن الاعز منها الاذل بجعل

الفعل غير متعدّ والاعز فاعلا به والاذل حالا أى ذليلا ولا يقال من شرط الحال التنكير فقد قالوا ادخلوا الاوّل فالاوّل

خرجت من شئ الى غيره * كذلك العلم طويل مديد
ان قلت ما للعلم من آخر * فأنت فى ذاك صدوق سديد
العلم لله وما عندنا * منه سوى النزر القليل الزهيد
وها أنا أذكر من بعد ذا * فصل ددو والدد شغل الوليد

دد (فصل) تقدّم ذكر دد وهذا موضعه وان ألحقته بالفوائد لم تظلم انه منوّر غير مظلم قيل دد اسم موضع وقيل هو اللهو وهو محذوف من ددن وهو اللهو أيضا ويقال سيف ددان كهام وهو الذى لا يقطع والددان أيضا الرجل الذى لا غناء عنده جاء فى الحديث من قول النبى صلى الله عليه وسلم ما أنا من دد ولا الدد منى وقال الشاعر

ما للدد ما للدد ماله * يبكى وقد أنعمت ماباله

وما فى قوله ما باله زائدة تقديره أنعمت باله قال أبو عبيد الدد اللهو واللعب قال الاحمر فى الدد ثلاث لغات دد على مثال يد ودم وددا على مثال عصا وقفا وددن على مثال حزن قال الاعشى

أترحل من ليلى ولما تزوّد * وكنت كمن قضى اللبانة من دد

وقال عدى بن زيد

أيها القلب تعلل بددن * انّ همى فى سماع وأذن

قال وأنشد الاحمر

من يكن فى السواد والدد والاغرام زيرا فاننى غير زير

الديدبون والديدبون أيضا اللهو وقال المعرى

قد قطعنا من حندس ونهار * وكان الزمان فى ديدبون

قال ابن السيد فى شرحه أصل الديدبون العادة التى يعتادها الانسان يقال مازال ذلك دأبه ودينه وديدنه وديدانه وديدبونه وفى التنزيل كدأب آل فرعون أى كعادة والله أعلم ٭ تقدّم الكلام فى الزير والدد بقى القول فى الاذن والسواد وما يذكر فى السواد وما يتصرّف من الددن مثل الدن والدنن * فأمّا الدنّ فواحد الدنان وهى أوعية الخمر وجاء منه فى الحديث عن أبى طلحة رضى الله عنه قال يارسول الله انى اشتريت خمرا لايتام فى حجرى قال أهرق الخمر واكسر الدنان وقال الشاعر

*وصلى على دنها وارتسم * ومعنى صلى دعا لان الصلاة تكون بمعنى الدعاء ومنه قوله عليه الصلاة والسلام فى اتيان الوليمة فان كان مفطرا فليطعم وان كان صائما
الدن فليصل والدن فى كل ذى أربع اذا قرب صدره من الارض وهو عيب فى الخيل وذكر ثابت فى الدلائل انّ الدنن دنوّ العنق من الارض وتطأطؤ فيه من خلقة أو كبر يقال رجل أدن وامرأة دناء من قولهم دن وقال حسان بن ثابت رضى الله عنه

وجدا بشماء اذ شماء بهكنة * هيفاء لادنن فيها ولا خور

ويقال أيضا أذن وامرأة ذناء ذكر هذا حين فسر قول المرأة التى عرضت للحجاج فى الطريق فأنشدته

من لعجول تبتغى بوّها * فرّقها الصادر والوارد

ذناء فقال الحجاج كلام والله عربى أدنوها فقال لها ما حاجتك فقالت عجوز ضهياء ذناء وابنى فى حبسك فأرسل اليه فاخرج قال العجول من الابل التى فقدت ولدها والجمع العجل والبوّ غيره هو زجلد يحشى تبنا تعطف عليه الناقة وسيأتى فى باب النون والضهياء التى لا تحيض خلقة فأرادت ههنا انها قاعد عن الولد والحيض والذناء التى يسيل منخراها تريد أن الكبر انتهى بها أن يسيل مرغها يقال رجل أذن وامرأة ذناء وقد ذن أنفه يذن ذنينا وقد ذننت يا رجل ذننا وقال يعقوب الذنين والذنان هو المخاط الذى يسيل من الانف وقد يجوز أن يكون ضهياء دناء بالدال غير معجمة وهو أشبه بمعنى قول العجوز ثم قال والدنن دنوّ العنق من الارض الكلام المتقدّم الذكر فى تفسير حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان لا يأخذ أحدا بقرف ولا يصدق أحدا على أحد * قال يعقوب يقال قرفت فلانا بكذا أو كذا اذا اتهمته بشئ ونسبته اليه وتقول بنو فلان قرفتى أى عندهم أظن طلبتى ومنه حديث الحجاج وساق البيت المتقدّم الذى للعجوز *وقريب من هذه اللفظة الدندن والدنين
الدنين وهو نبت يقال خرج القوم يتدانون أى يأخذون الدنين كما يقال خرجوا يتغفرون أى يأخذون المغافير وهو نبت أيضا وسيأتى والدندن حطام العشب اذا جف والدندنة كلام يردده الانسان فى صدره لا يفهم عنه وفى الحديث من هذا قول الاعرابى للنبى صلى الله عليه وسلم أمّا أنا فأسأل الله الجنة وأستعيذ به من النار وأمّا دندنتك ودندنة معاذ فلا أحسنها فقال النبى صلى الله عليه وسلم حولها ندندن وقال ع والدندنة والدنين أصوات النحل والزنابير ونحوه من هينمة الكلام * ومن شكل

دن
دن دن معناه جازمن قولهم كما تدين تدان يقال دنته بما صنع اى جازيته ومنه يوم
الدين أى يوم الجزاء ومنه قوله تعالى فلولا ان كنتم غيرمدينين أى مجزيين محاسبين
وقد يكون دن بمعنى بل أمر من ودن الشئ يدنه ودنا وودانا بله بالماء جاء قوم الى ابنة

لطيفة
الحسن بحجر فقالوا احذى لنا من هذا نعلا فقالت دنوه أى بلوه ومنه حديث أبى محلم
حين كتب الى حذاء فى نعل له عنده وقال له دنها فاذا همت تأدن فلا تخلها تمرخه
وقبل أن تفعل فاذا اتدنت فامسحها بخرقة غير وكبة ولا خشنة وامعسها معسا
رفيقا ثم سن شفرتك وامهها فاذا رأيت عليها مثل الهبوة فسن رأس الازميل ثم سم
باسم الله وصل على محمد صلى الله عليه وسلم وكوف جانبها كوفا رفيقا وأقبلها بقبالين
أخنسين أفطسين غير خليطين ولا أصمعين وليكونا وثيقين من أديم صافى البشرة
غير غش ولا حلم ولا كدش واجعل فى مقدمها كمنقار النغر فلما وصل الكتاب الى
الحذاء لم يعلم منه الا ولا كدش فقال صبرنى كداشا والله لاحذوت له نعله والادن
من الخيل الذى تطامن صدره ودنا من الارض وذلك عيب فى الفرس والمستحب

الاذن
اشرافه وارتفاعه (وأما الاذن) فهو الاستماع من قوله وأذنت لربها وحقت أى
سمعت وأطاعت وحقت أى حق لها أن تفعل كذا قاله ابن سلام وقال أبو عبيد
عن مجاهد سمعت أو استمعت شك أبو عبيد قال يقال أذنت للشئ آذن له اذنا اذا
استمعت وأنشد البيت المتقدم الذى فى آخره (ان همى فى سماع وأذن) ساق هذا
شاهدا على قول النبى صلى الله عليه وسلم ما أذن الله لشئ كاذنه لنبى يتغنى بالقرآن
يجهر به قال معناه ما استمع الله وذكر الآية وتفسيرها بما تقدم قال ويروى كاذنه
من الاستئذان وليس له وجه انتهى كلامه وجاء فى حديث آخر لله اشد اذنا للرجل
الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة الى قينته يقال آذنت بالشئ أعلمت
وآذننى غيرى أعلمنى وفعله باذنى أى بعلمى والآذن والاذين سواء ويقال للرجل
أذن اذا كان يسمع من كل أحد ولهذا قال المنافقون عن النبى صلى الله عليه وسلم
هو أذن وتقول أذنت النعل جعلت له أذنا وتقول تأذنت لافعلن أى أوجبت من
قوله تعالى واذ تأذن ربكم والاذان اسم للتأذين وفى التنزيل وأذان من الله
ورسوله الى الناس (ومن) شكله أذن الجارحة وفى القرآن العزيز وتعيها اذن
واعية (ومن) شكله أذن أمر من الاعلام ومنه قوله تعالى وأذن فى الناس بالحج
(ومن) شكله أيضا اذن جواب شرط وقد تقدم (ومن) الاذن بالقصر الذى هو

بمعنى استمع قول قعنب ابن أم صاحب

صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به * وان ذكرت بسوء عندهم أذنوا

من قطعة حسنة أولها

بانت سعاد وأمسى دونها عدن * وغلقت عندها من قلبك الرهن

ومنها يصف حاله مع قومه

ان يسمعوا ريبة طاروا بها فرحا * منى وما سمعوا من صالح دفنوا

صم اذا سمعوا خيرا البيت

جهلا علىّ وجبنا من عدوهم * لبئست الخلتان الجهل والجبن
ولن يراجع قلبى ودهم أبدا * زكنت من أمرهم مثل الذى زكنوا

وفى هذا الشعر

مهلا أعاذل قد جربت من خلقى * أنى أجود لاقوام وان ضننوا

(قال) سيبويه رحمه الله وقد يبلغ بضعف الكلام الاصل فيقال فى راد رادد وفى
ضنوا ضننوا وأنشد البيت وكقول رؤبة * الحمد لله العلىّ الاجلل *
قال أبو زيد تثقيل المخفف لغة لبعضهم وأنشد

تعرضت لى بمكان حلى * تعرض المهرة فى الطول

وأنشد أبو زيد أيضا

كأن مهواها على الكلكل * موضع كفى راهب يصلى

ومثله انى لارجو أن تروه اجدبا * فى عامكم ذا بعد ما اخصبا
اذا دبى فوق المتون دبا * وهبت الريح بمور هبا
تترك ما أبقى الدبا سبسبا * أو كحريق وافق القصبا

التغنى بالقرآن
ويروى القصبا بفتح القاف وكسرها ذكره الخطابى (رجع الكلام) الى
شرح بقية الحديث فسر أبو عبيد رحمه الله قوله عليه الصلاة والسلام يتغنى
بالقرآن قال معناه يتحزن بالقراءة وذكر عن طاوس انه قال أقرأ الناس أخشاهم
لله وجاء فى حديث آخر ليس منا من لم يتغن بالقرآن قيل معناه يستغنى به واستشهد
قائل هذا بما قيل من حفظ القرآن فرأى أن أحدا أغنى منه فقد عظم ما صغر الله
وحقر ما عظم الله أو نحو هذا الكلام هذا معناه يقال تغنيت وتغانيت بمعنى
استغنيت وقال غيره انما معناه أن يجعله مكان الغناء الذى كانت الاعراب

تستعمله فى خلواتهم وعند طربهم يقول من حفظ القرآن أو شيئا منه فليجعله
عوض ما كان يستعمله اهل الجاهلية من الغناء واللهو والله أعلم بما أراده رسوله
صلى الله عليه وسلم من ذلك وجاء فى الحديث المتقدم فى رواية كاذنه لنبى حسن
الصوت يتغنى بالقرآن أراد حسن الصوت وقد تقدم ان معنى كاذنه كاستماعه
واستماعه كناية عن اجابته كما يقال سمع الله لمن حمده أى أجابه ومنه قولهم سمع الله
منك واللهم اسمع منا دعاءنا معناه كله أجب ويحتمل أن يكون تخصيصه بحسن
الصوت أى يحبه أكثر من غيره لانه أكثر عملا لا سيما وقد قال يجهر به فالجهر
عمل زائد على السر كما جاء فى الحديث زينوا القرآن بأصواتكم وقد قيل فى هذا
انما هو على القلب أى زينوا أصواتكم بالقرآن لان القرآن ليس مخلوقا فكيف
يزينه المخلوق اللهم الا أن يرتله ويرفع به صوته اذا سلم من الآفات ويحسن قراءته
ويجتهد فى ذلك ما استطاع ويتدبر آياته فهذا فى وسع العبد وعليه يثاب ومنه يسمع
أكثر ان شاء الله تعالى ولحسن الصوت معنى فى المقروء كالخط الحسن معنى
فى المكتوب وقد قالوا الخط الحسن يزيد الحق وضوحا والله أعلم (وأمّا السواد) السواد
بكسر السين فهو السرار قال أبو عبيد قال الاصمعى يقال منه ساودته سوادا ومساودة
اذا ساررته ولم يعرفها سوادا برفع السين قال أبو عبيد ويجوز الرفع وهو بمنزلة جوار
وجوار فالجوار المصدر والجوار الاسم قال الاحمر هو من أدنى سوادك من سواده
وهو الشخص قال أبو عبيد وهذا من السرار أيضا لان السر لا يكون الا بادناء
السواد من السواد قال أبو عمرو وسئلت ابنة الحسن لم زنيت وانت سيدة قومك قالت
قرب الوساد وطول السواد ذكر هذا أبو عبيد رحمه الله (قلت) ولقد صدقت ابنة
الحسن فى هذا الفعل النحس رأيت فى بعض الكتب ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال لابنته فاطمة رضى الله عنها أيما خير للمرأة وخير للرجل قالت أن لا ترى
المرأة رجلا ولا يرى الرجل امرأة فضمها رسول الله صلى الله عليه وسلم الى صدره
وقال ذرية بعضها من بعض أو كما قالت وقال صلى الله عليه وسلم ورضى عنها نقلت
الحكاية من حفظى (وفى حديث) آخر باعدوا بين أنفاس الرجال والنساء وقال عمر
رضى الله عنه لقوم رآهم يتناضلون انتشوا عن البيوت فان للرجال كلاما لا يصلح
أن يسمعه النساء وقال على رضى الله عنه ان النساء لحم على وضم الا ماذب عنه وقال
غيره امش خلف الاسد والاسود ولا تمش خلف المرأة وقال ابن مسعود رضى الله

عنه من أراد أن يكرم دينه فلا يخلون بالنسوان وقال الشاعر

لا يأمنن على النساء أخ أخا * ما فى الرجال على النساء أمين

وقال المعرى اذا بلغ الوليد لديك عشرا * فلا يدخل على الحرم الوليد
وان خالفتنى وأضعت نصحى * فانت وان رزقت حجا بليد
ألا ان النساء حبال غى * بهن يضيع الشرف التليد

(قلت) قد نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن الدخول على النساء حيث يقول
اياكم والدخول على النساء فقال رجل من الانصار يا رسول الله أفرأيت الحمو
قال الحمو الموت خرجه مسلم وقال الحمو أخو الزوج وما أشبهه من أقارب الزوج
كابن العم ونحوه * خرج أبو عبيد فى حديث عبادة بن الصامت رضى الله عنه ألا
ترون انى لا أقوم حتى أرفد ومالوق لى معناه ما الين لى واللوقة الزبدة ويقال لها
أيضا ألوقة وأنشد

وانى لمن سالمتم لألوقة * وانى لمن حاربتم سم أسود

وقوله وصاحبى اصم اعمى يريد الفرج ولكنه كره ان يخلو بامرأة * ومن
السواد حديث النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لابن مسعود رضى الله عنه آذنك على
ان ترفع الحجاب وتستمع سوادى حتى أنهاك * وامّا السواد بفتح السين فضد
البياض والسواد أيضا الشخص ومنه قول النبى صلى الله عليه وسلم لعائشة رضى
الله عنها ليلة خرج من عندها فى الليل فتبعته حتى جاء البقيع ورجع فرجعت
وسبقته الى البيت فقال لها حين علم ذلك فأنت السواد الذى رأيتك أمامى
وجمعه أسودة ومنه حديث النبى صلى الله عليه وسلم فى قصة آدم عليه السلام ليلة
الاسراء واذا عن يمينه أسودة وعن يساره أسودة ثم فسر فى الحديث وأما الاسودة
فنسم بنيه ومنه قول بعض الشجعان اذا رأيت سوادا بالليل مقبلا اليك فلا تكن
أجبن السوادين او كما قال وصدق لان الذى تهاب منه يهاب منك وقد تسمى
الخضرة سوادا والسواد خضرة وفسر الحسن قوله تعالى فجعله غثاء أحوى قال
الاحوى الاسود من شدة الخضرة وكذلك قولهم فى الفرس والبغل والحمار اخضر
اذا كان أسود وتقدم قول الشاعر

وانا الاخضر من يعرفنى * أخضر الجلدة فى بيت العرب

وقد تسمى العرب ايضا السواد صفرة قالوا فى قوله تعالى جمالات صفر أى سود

فمن قرأ أجمالات بكسر الجيم جمع جمال ومن قرأ أجمالات بالضم فانه يعنى حبال السفينة والله اعلم (وتقدم ذكر السواد) وتمام الحديث قال مسلم رحمه الله حدثنى من سمع حجاجا الاعور واللفظ له قال حدثنا حجاج بن محمد قال حدثنا ابن جريج قال اخبرنى عبد الله رجل من قريش عن محمد بن قيس بن مخرمة بن المطلب انه قال يوما ألا أحدثكم عنى وعن امى فظننت انه يريد أمه التى ولدته قال قالت عائشة رضى الله عنها ألا أحدثكم عنى وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم قلنا بلى قالت لما كانت ليلتى التى النبى صلى الله عليه وسلم فيها عندى انقلب فوضع رداءه وخلع نعليه فوضعهما عند رجليه وبسط طرف ازاره على فراشه فاضطجع فلم يلبث الاريثما ظن أن قد رقدت فأخذ رداءه رويدا وانتعل رويدا وفتح الباب فخرج ثم أجافه رويدا فجعلت درعى فى رأسى واختمرت وتقنعت ازارى ثم انطلقت على اثره حتى جاء البقيع فقام فأطال القيام ثم رفع يديه ثلاث مرات ثم انحرف فانحرفت فأسرع وأسرعت فهرول فهرولت فأحضر فأحضرت فسبقته فدخلت فليس الا أنى اضطجعت فدخل فقال مالك ياعائش حشياء رابية قالت قلت لاشئ قال لتخبرينى أو ليخبرنى اللطيف الخبير قالت قلت يارسول الله بأبى انت وامى فأخبرته فقال فأنت السواد الذى رأيته أمامى قلت نعم فلهدنى فى صدرى لهدة أوجعتنى ثم قال أظننت أن يحيف الله عليك ورسوله قالت مهما يكتم الناس يعلمه الله قال نعم قال فان جبريل صلى الله عليه وسلم أتانى حين رأيت فنادانى فأخفاه منك فأجبته فأخفيته منك ولم يكن يدخل عليك وقد وضعت ثيابك وظننت أن قد رقدت فكرهت ان أوقظك وخشيت ان تستوحشى فقال ان ربك يأمرك أن تأتى أهل البقيع فتستغفر لهم قالت قلت فكيف أقول لهم يارسول الله قال قولى السلام على أهل الديار من المؤمنين ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين وانا ان شاء الله بكم لاحقون (وتقدم فى حديث ابنة الحسن قرب الوساد) يقال وساد وإساد مثل وشاح وإشاح ويقال أيضا وسادة

الوسادة والنوم

وقد تقدم بدل الهمزة من الواو واذ قد وقعنا فى ذكر الوسادة فلنذكر فيها فصلا عن الفضلاء السادة عن أفضل السادة وأعلى القادة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان وسادته من أدم حشوها ليف وكان يكرم بها جليسه وربما ألقاها اليه وجلس هو عليه الصلاة والسلام على الارض ويقال ان وهب بن منبه رضى

الله

الله عنه ماوضع جنبه على الارض ثلاثين سنة كانت له وسادة من أدم اذا غلبه النوم وضع صدره عليها وخفق خفقات ثم يفزع الى القيام وكان يقول لأن أرى فى بيتى شيطانا أحب الىّ من أن ارى فيه وسادة يعنى لانها تدعو الى النوم فكان النوم عند هذه الطائفة مذموما لا ينامون الا من غلبة * يروى ان سليمان التيمى رضى الله عنه صلى الغداة بوضوء العشاء الآخرة أربعين سنة وكان من مذهبه ان النوم اذا خامر القلب وجب منه الوضوء وقال بعضهم النوم منه محمود ومنه مذموم فالمذموم منه نوم الغفلة والعادة مثل نوم نائم تهدله ونوطئ وفى بعض الاخبار المروية النوم اخو الموت وقيل لو كان فى النوم خير لكان فى الجنة نوم وكان الشبلى رضى الله عنه يكتحل بالملح لئلا يأخذه النوم وكان يقول نعسة فى ألف سنة فضيحة لان النوم ضد العلم * ويروى ان ابراهيم قال لاسماعيل عليهما السلام يابنى انى ارى فى المنام انى أذبحك فقال اسماعيل ياابت هذا جزاء من نام عن حبيبه لولم تنم لما أمرت بذبح الولد وقيل لما ألقى على آدم النوم فى الجنة أخرج منه حواء وكل بلائه انما حصل حين حصلت حواء وقيل أوحى الله الى داود عليه السلام ياداود كذب من ادعى محبتى واذا جنه الليل نام عنى وفى معناه أنشدوا

عجبا للمحب كيف ينام * كل نوم على المحب حرام

ونوم الصالحين انما هو عن غلبة كما تقدم وهو صدقة من الله تعالى عليهم وجاء فى الخبر ان الله يباهى بالعبد اذا نام فى سجوده يقول انظروا الى عبدى روحه عندى وجسده بين يدى فى محل النجوى وجسده على بساط العبادة وقيل من نام على الطهارة يؤذن لروحه أن تطوف بالعرش وتسجد لله وقيل اشترى رجل مملوكة فلما دخل الليل قال افرشى الفراش فقالت المملوكة يامولاى ألك مولى فقال نعم فقالت أينام مولاك فقال لا فقالت ألا تستحى أن تنام ومولاك لم ينم * وقد يحمد النوم فى مواطن منها أن ينوى التقوى على العبادة مثل نوم القائلة يتقوى بذلك على قيام الليل وقد قالوا النوم فى القائلة من غير قيام الليل بمثابة السحور من غير صيام وفى النوم رؤية الانبياء والصالحين والبشرى من الله تعالى بالخير ونشكر الله على هذه الرحمة فانه قد قال تعالى ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله وفيه راحة من التعب ومن الكسل ومن المرض ومن الهم ان تركك تنام فقد قالوا الانوم مع الهم * ويروى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه انه قال جنود ربك

عشرة الجبال الرواسى والحديد يقطع الجبل والنار تذيب الحديد والماء يطفئ النار والسحاب يحمل الماء والريح يحمل السحاب وابن آدم يغلب الريح يستتر بالثوب ويمضى لحاجته والسكر يغلب ابن آدم والنوم يغلب السكر والهم يغلب النوم فأقوى جنود ربك الهم هذا لمن كان له نية فى نومه وأما أمثالنا من العصاة فالنوم أصلح لهم لان الوقت ان لم يكن لهم لم يكن عليهم فغيبة السلامة و يقال لا شئ أشد على ابليس من نوم العاصى يقول متى ينتبه حتى يعصى الله وقلت فى المعنى

اننا العصاة كسلى فالرقاد لهم * خير وأسلم يا صاحى من اليقظه
يقول ابليس للعاصى النووم أيا * نومان قم فاعص كيما تشهد الحفظه
أخس بهمة من حال المنام له * من أحسن الحال هذى عبرة وعظه

(فصل) من فوائد هذا الباب تقدم دأد الحسم وجاء من هذا فى الحديث قول النبى صلى الله عليه وسلم المؤذن المحتسب كالمتشحط فى دمه وان مات لم يدد *(وتقدم داذ)* وقول الشاعر شربنا من الداذى * وتمام البيت

شربنا من الداذى حتى كأننا * ملوك لنا برّ العراقين والبحر
فلما انجلت شمس النهار رأيتنا * تولى الغنى عنا وعاودنا الفقر

قاله هذا الشاعر على جهة المدح فكان فيه أعظم القدح وصف الخمر وزعم انه يثنى عليها فجلب الذم اليها ومن انتهت به حالته الى هذا فقد هذى وعرّض نفسه للاذى شهد على نفسه بهذا القول ان ليس له معقول ولله الذى يقول

مدح المدامة شاربوها انها * تنفى الهموم وتطرد الغما
صدقوا سرت بعقولهم فتوهموا * ان السرور لهم بها تما
سلبتهم أديانهم وعقولهم * أرأيت فاقد دينه مهتما

وقال المعرى اذا حلت الخمر فى دار قوم * فقد رحل الدين عن دارهم

فما وقفوا عند ايرادهم * وما صدروا عند اصدارهم
وفى رفع أصواتهم بالغنا * دليل على حط أقدارهم

وهذا الشاعر أيضا قد صدق فيما به نطق ان شارب الطلا ليس من العقلا ولذلك قال بعض الظرفاء لما دعاه للمنادمة أحد الامراء فاحتال على نفسه بأن قال ليس بحرام ما أحللت ولكنى أنهى عنه أهل طاعتى وأكره أن أنهى عن شئ ثم أفعله فأكون كما قال الله تعالى وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه ومثل

هذا اعترى لنصيب الشاعر وكان اسود اللون لكنه من أهل الصيانة والصون دعاه بعض الولاة للمنادمة فقال أصلح الله الامير انى كما ترى أسود اللون وانما أقعدنى مثل هذا المقعد عقلى فلا أحب أن أدخل عليه ما ينقصه ومن أجل هذا المعنى تركها أقوام فى الجاهلية وحرموها على أنفسهم تعففا وتظرفا وتكرما وتأثما كأبى بكر الصديق وعثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وعباس بن مرداس وقيس ابن عاصم وغيرهم رضى الله عنهم قيل لعباس بن مرداس حين كبر لو أخذت من الشراب شيئا فانه يزيد فى قوتك فقال أصبح سيد قومى وأمسى سفيههم لا أدخل رأسى شيئا يحول بينى وبين عقلى (وقيل) هؤلاء فى الجاهلية ولم يدركوا تحريمها فى الاسلام عبد المطلب بن هاشم جد رسول الله صلى الله عليه وسلم وورقة بن نوفل وعبد الله ابن جدعان وشيبة بن ربيعة والوليد بن الوليد وعامر بن الظرب وغيرهم وشربها قوم فى الاسلام قبل تحريمها فلما نزل تحريمها بادروا فى الاوان الى كسر الاوان والى شق الزقاق وسفك ما فيها فى الزقاق ومنهم أيضا من شربها متأولا قول الله تعالى ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات فشربها أبو جندل واسمه العاصى ابن سهيل وشربها معه أبو الازور وضرار بن الخطاب وهم بالشام فكتب أبو عبيدة ابن الجراح بذلك الى عمر بن الخطاب رضى الله عنهم فأمره أن يحدّهم فلما جاء الكتاب بذلك قالوا لابى عبيدة دعنا نلق العدو فان قتلنا فذاك والا حددتمونا فلقوا العدوّ فقتل أبو الازور وحد الآخران ثم ان أبا جندل رضى الله عنه بعد الحد أشفق من الذنب حتى قال لقد هلكت فبلغ ذلك عمر بن الخطاب رضى الله عنه فكتب اليه الذى زين لك الخطيئة هو الذى حظر عليك التوبة بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول لا اله الا هو اليه المصير معنى قوله رضى الله عنه الذى زين لك الخطيئة يريد ابليس هو الذى زينها وحظر عليك التوبة يعنى منعك من التوبة أى نهاك عنها أراد عدوّ الله أن يقنطه من الرحمة ويؤيسه من المغفرة فنبهه عمر رضى الله عنه بما كتب اليه أى ليس الامر كما زين لك ابليس والله أعلم وتأويل الآية الاولى قوله تعالى ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا قال الحسن رضى الله عنه لما نزل تحريم الخمر قالوا كيف باخواننا الذين ماتوا وهى فى بطونهم وقد أخبر الله تعالى

انها رجس فأنزل الله الآية وقوله اذا ما اتقوا يعني شربها وآمنوا أي صدقوا بتحريمها كرّ لتأكيد ثم قال آخر ذلك وأحسنوا أي أحسنوا العمل بعد تحريمها فمن فعل ذلك فهو محسن والله يحب المحسنين الذين يأخذون بالسنة (وكان ابو محجن) رضي الله عنه مولعا بشرب الخمر وكان سعد بن ابي وقاص قد حدّه فلما اتم حبسه وقيده في منزله وحال بينه وبينها فلما كان يوم القادسية وحضر القتال وكان في موضع مرتفع يشرف على القوم رأى الحطمة في المسلمين فجعل رضي الله عنه يتأسف ويقول

لطيفة

كفى حزنا أن يطعن القوم بالقنا * وأترك مشدودا علىّ وثاقيا

في أبيات كثيرة ثم سأل امرأة سعد أن تطلقه ويحضر القتال فان قتل فذاك وان سلم عاد الى قيوده وعاهدها على ذلك وأقسم لها فأطلقته فخرج على فرس لسعد بلقاء حتى أتى المعترك فشق صفوف المشركين وقتل خلقا كثيرا وأبلى بلاء حسنا ولم يزل كذلك حتى فرج الله عن المسلمين وأهلك المشركين وكان مدججا في السلاح لا يعرفه أحد وكان سعد يقول أمّا الفرس ففرسي وأمّا الشدّات فشدّات أبي محجن ومن الناس من يقول هذا ملك من السماء نزل ثم رجع الى محبسه وألقى رجليه في القيود كما كان فلما رجع سعد الى منزله جعل يحدث امرأته بما رأى من ذلك الفارس فقالت له امرأته هو أبو محجن وخبرته الخبر فقال له سعد اذهب فوالله لا جلدتك أبدا فقال أبو محجن والله لا أشربها أبدا كنت أشربها فأحدّ فيكفر عني الذنب وأمّا على هذه الحالة فلا سبيل اليها أو كما قال والحكاية أطول من هذا اختصرتها وقول سعد لا جلدتك أبدا علم رضي الله عنه من أخلاقه ورجولته انه كذا يصنع فحقق الله ظنونه وبر يمينه ويروى انه قال وأنا والله لا أشربها أبدا كنت آنف أن أدعها من أجل جلدكم قال فلم يشربها من بعد ذلك وقال في تركها

رأيت الخمر صالحة وفيها * مناقب تهلك الرجل الحليما
فلا والله أشربها حياتي * ولا أشفي بها أبدا سقيما

وكان قد قال قبل ذلك

اذا مت فادفني الى جنب كرمة * تروي عظامي بعد موتي عروقها
ولا تدفنوني بالفلاة فانني * أخاف اذا مامت أن لا أذوقها

روى بعض أهل الاخبار أن ابنا لابي محجن دخل على معاوية رضي الله عنهما فقال له لله أبوك الذي يقول وأنشد البيتين فقال له ابن أبي محجن لو شئت ذكرت أحسن من

لطيفة

هذا من شعره فقال وماذاك فقال قوله

لا تسأل الناس عن مالي وكثرته * وسائل الناس عن حزمي وعن خلقي
القوم أعلم اني من سراتهم * اذا تطيش يد الرعديد بالفرق
قد أركب الهول مسدولا ستائره * واكتم السر فيه ضربة العنق
أعطي السنان غداة الروع حصته * وعامل الرمح أرويه من العلق
وقد أجود وما مالي بذي قنع * وقد أكر وراء المحجر الغرق
قد يعسر المرء حينا وهو ذو كرم * وقد تثوب سوام العاجز الحمق
سيكثر المال يوما بعد قلته * ويكتسي العود بعد اليبس بالورق

فقال معاوية لئن أسأنا القول لنحسن الصلة ثم أجزل جائزته وقال اذا ولدت النساء فلتلدن مثلك * وذكر الهيثم بن علي انه أخبره من رأى قبر أبي محجن بأذربيجان أو قال في نواحي جرجان وقد نبتت عليه ثلاثة أصول كرم وقد طالت وأثمرت وهي معرشة على قبره مكتوب على القبر هذا قبر أبي محجن قال فجعلت أعجب وأذكر قوله (اذا مت فادفني الى جنب كرمة) البيت وممن أقلع عن شرب الخمر أيضا رجل مولع كذلك يشربها فمر يوما بطرزماباد وهو موضع فرأى كرما فأعجبه فقال

بطرزماباد كرم ما مررت به * الا تعجبت ممن يشرب الماء

فسمع هاتفا يقول

وفي جهنم ماء ما تجرعه * حلق فأبقى له في الجوف أمعاء

خبر عبدالله بن جدعان

فكان سبب توبته * تقدم ذكر عبدالله بن جدعان وكان ممن حرم الخمر في الجاهلية وكان مغرى بشربها وذلك انه سكر فتناول القمر ليأخذه فأخبر بذلك حين صحا فحلف لا يشربها وابن جدعان هذا هو صاحب الجفنة التي كان يأكل منها الراكب على البعير وسقط فيها صبي فغرق فمات وفي الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كنت أستظل بظل جفنة عبدالله بن جدعان صكة عمي يعني في الهاجرة وكان يكنى أبا زهير وهو تيمي ابن عم عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها ولذلك قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابن جدعان كان يطعم الطعام ويقري الضيف فهل ينفعه ذلك يوم القيامة فقال لا لانه لم يقل يوما رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين خرجه مسلم رحمه الله وكان يطعم الناس أيام الموسم التمر والسويق وكان بنو الديان يطعمون أيامه البر والشهد فقال أمية بن أبي الصلت

ولقدرأيت الفاعلين وفعلهم * فرأيت أكرمهم بنى الديان
البر يلبك بالشهاد طعامهم * لاما يعللنا بنو جدعان

فبلغ الشعر عبدالله بن جدعان فأرسل بعدا الى الشام ألفى بعير تحمل اليه البر والشهد والسمن وجعل على الكعبة منادياينادى ألاهلموا الى جفنة عبدالله بن جدعان فقال عند ذلك أمية بن أبى الصلت

له داع بمكة مشمعل * وآخر فوق كعبتها ينادى
الى ردح من الشيزى عليها * لباب البر يلبك بالشهاد

قوله ردح جمع رداح كسحاب وهى الجفنة العظيمة والشيزى خشب أسود للقصاع كما فى القاموس

وكان فى أول أمره صعلوكا شريرا فاتكا لايزال يجنى الجنايات فيعقل عنه أبوه وقومه حتى أبغضته عشيرته ونفاه أبوه وحلف أن لا يؤويه أبدا لما أثقله به من الغرم فخرج فى شعاب مكة حائرا يتمنى الموت أن ينزل به فرأى شقا فى جبل فتعرض للشق يرجو أن يكون فيه ما يقتله فيستريح فلم ير شيئا فدخل فيه فاذا ثعبان عظيم له عينان تقدان كالسراجين فحمل عليه الثعبان وأقبل اليه كالسهم فأفرج له فانساب عنه لا ينظر اليه فوقع فى نفسه انه مصنوع فأمسكه بيده فاذاهو مصنوع من ذهب وعيناه ياقوتتان فكسره وأخذ عينيه ثم دخل الى بيت فاذا فيه جثث طوال على سرير عند رؤسهم لوح قيل من ذهب وقيل من رخام فيه عظات وأبيات من الشعر وفيه أنا نفيلة بن عبد المدان بن خشرم بن عبد ياليل ابن جرهم بن قحطان بن هود نبى الله عشت خمسمائة عام وقطعت دور الارض باطنها وظاهرها فى طلب الثروة والملك فلم يكن ذلك ينجينى من الموت ووجد فى وسط اللوح

قد قطعت البلاد فى طلب الثروة والمجد قالص الاثواب
وسريت البلاد قفرا بقفر * بقناتى وقوتى واكتسابى
فأصاب الردى بنات فؤادى * بسهام من المنايا صياب
فانقضت شرتى وأقصر جهلى * واستراحت عواذلى من عتابى
ودفعت السفاه بالحلم لما * نزل الشيب فى محل الشباب
صاح هل ريت أو سمعت براء * رد فى الضرع ماقرا فى الحلاب

ووجد فى وسط البيت كوما عظيما من الياقوت واللؤلؤ والذهب والفضة والزبرجد فأخذ منه ما أخذ ثم علم على الشق بعلامة وأغلق بابه بالحجارة وأرسل الى أبيه بالمال الذى خرج به يسترضيه ويستعطفه ووصل عشيرته كلهم فسادهم وجعل

ينفق من ذلك الكنز ويطعم الناس ويفعل المعروف ولما كبروهرم أراد بنو تميم أن يمنعوه من تبذير ماله ولاموه فى العطاء فكان يدعو الرجل فاذا دنا منه لطمه لطمة خفيفة ثم يقول له قم فانشد لطمتك واطلب ديتها فاذا فعل ذلك أعطاه بنو تميم من مال ابن جدعان حتى يرضى وهو جد عبدالله بن أبى مليكة الفقيه وتقدم فى الحديث المتقدم صكة عمى وقد فسره أهل العلم منهم البكرى قال عمى رجل من العماليق أوقع الغدر فى مثل ذلك الوقت وذكر أبو حنيفة فى الانوار أن عميا رجل من عدوان وقيل من اياد وكان فقيه العرب فى الجاهلية فقدم فى قوم معتمرا أوحاجا فلما كان على مرحلتين من مكة قال لقومه وهم فى نحر الظهيرة من أتى مكة غدا فى مثل هذا الوقت كان له مثل أجر عمرتين فصكوا الابل صكة شديدة حتى أتوا مكة من الغد فى مثل ذلك الوقت وأنشد

صكة عمى

وصلت بها نحر الظهيرة صكة * عمى وما يبغين الا طلالها

فى أبيات وعمى تصغير أعمى على الترخيم وسميت الظهيرة صكة عمى به * نقلت هذا الكلام من كلام الاستاذ رحمه الله تعالى مختصرا وقد جاء فى الخمر اخبار وأشعار أضربت عنها للاقتصار على الاختصار والذى نعتقده ونعتمده انها محرمة باجماع نطق بذلك القرآن فى قوله تعالى انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون فهذا أمر ثم قال فى آخر الآية فهل أنتم منتهون ولما سمعها المسلمون قالوا انتهينا ياربنا قال ابن سلام فى تفسيره الآية جاء تحريم الخمر فى هذه الآية قليلها وكثيرها ما أسكر منها ومالم يسكر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أسكر كثيره فقليله حرام ونهى ان تستقاه البهائم وسأله رجل عنها فنهاه فقال انما أصنعها للدواء فقال انه ليس بدواء ولكنه داء ولعن فيها عشرا عاصرها ومعتصرها وشاربها وحاملها والمحمولة اليه وساقيها وبائعها وآكل ثمنها والمشترى له وكان لاحد العلماء أظنه سعيد بن المسيب أو سعد بن أبى وقاص رضى الله عنهما كرم فقطعه من أصله وقال بئس الشيخ أنا ان بعت الخمر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من شرب الخمر ثم لم يسكر أعرض الله عنه أربعين صباحا ومن شرب الخمر ثم سكر لم يقبل الله منه صرفا ولا عدلا أربعين ليلة فان مات فيها مات كعابد الاوثان وكان حقا على الله يوم القيامة أن يسقيه من طينة الخبال قيل وما طينة الخبال يارسول الله قال عصارة أهل النار القيح والدم خرجه ابن سلام

رضى الله عنه وقال أبو داود ذكر معنى الحديث أنجس صلاته أربعين صباحا وقال فى
آخر قوله قيل وما طينة الخبال يا رسول الله قال صديد أهل النار و زاد فى رواية من
سقاه صغيرا لا يعلم حلاله من حرامه كان حقا على الله أن يسقيه من طينة الخبال وقال
الدارقطنى عن النبى صلى الله عليه وسلم مدمن الخمر كعابد وثن وجاء فى حديث آخر
من مات وهو فى بطنه مات ميتة جاهلية وفى رواية والخمر جماع للاثم وخرج مسلم
من قول النبى صلى الله عليه وسلم كل مسكر حرام ومن شرب الخمر فى الدنيا فمات
وهو مدمنها لم يشربها فى الآخرة (وأما ذاد) فقد جاء منه فى القرآن قوله تعالى ووجد ذاد
من دونهم امرأتين تذودان قيل فى تفسيره أى تمنعان وقيل تذودان غنمهما عن
الماء قاله السدى وقال قتادة تذودان الناس عن شياههما أى تمنعان غنمهما أن
تختلط بأغنام الناس قال لهما موسى ما خطبكما أى ما شأنكما قالتا لا نسقى حتى يصدر
الرعاء ويقرأ حتى نصدر أى لا طاقة لنا على الاستقاء مع الرعاء وأبونا شيخ كبير أى
لا يستطيع السقى فسقى لهما قال عمر رضى الله عنه رفع حجرا عن بئر لا يرفعه الا عشرة
رجال فسقى لهما ثم تولى الى الظل فقال رب انى لما أنزلت الى من خير فقير قال ابن
عباس رضى الله عنهما أدركه جوع شديد فسأل الطعام فجاءته احداهما تمشى على
استحياء قيل جاءته ساترة وجهها بكم درعها قالت ان أبى يدعوك ليجزيك أجر
ما سقيت لنا ثم ذكر القصة وأبو المرأتين قيل هو شعيب النبى عليه السلام وقيل هو
رجل أخذ الدين عن شعيب وكان اسمه أيضا شعيبا سيد أهل الشام يومئذ
والجاريتان اسم احداهما ليا والاخرى صفورة وقيل صوريا وهى الصغرى وهى
التى تزوج بها موسى عليه السلام وقد تقدم قول الشاعر فى هذا المعنى

أحبوا البنات فحب البنات فرض على كل نفس كريمه
فان شعيبا من أجل البنات أخدمه الله موسى كليمه

وجاء فى الحديث من هذه اللفظة فى الموطأ وليذادن رجال عن حوضى كما يذاد البعير
الضال ويروى فلا يذادن رجل ومعناه فلا يفعلن أحدكم فعلا يذوده عن الحوض
وجاء فى مسلم عن معدان بن أبى طلحة اليعمرى عن ثوبان ان نبى الله صلى الله عليه
وسلم قال انى لبعقر حوضى أذود الناس لاهل اليمن أضرب بعصاى حتى يرفض
عليهم فسئل عن عرضه فقال من مقامى الى عمان وسئل عن شرابه فقال أشد بياضا
من اللبن وأحلى من العسل يغت فيه ميزابان يمدانه من الجنة احدهما من الذهب

والآخر

والآخر من ورق كذا ذكر وبينه عمان بضم العين وفى الطرة عمان بضم العين
وتخفيف الميم وبعضهم يشدد الميم قاله الخطابى ويروى بعب بعين مهملة وباء من
العب وهو مفهوم ومن قال يغت فمعناه يصب وسيأتى مع اخواته ان شاء الله تعالى
وجاء فى الحوض ترى فيه أباريق الذهب والفضة كعدد نجوم السماء وفى رواية
أكثر من نجوم السماء وفى رواية انى فرطكم على الحوض فان عرضه كما بين أيلة الى
الجحفة انى لست أخشى عليكم ان تشركوا بعدى ولكنى أخشى عليكم الدنيا أن
تنافسوا فيها وتقتتلوا فتهلكوا كما هلك من كان قبلكم * قال عقبة فكان آخر
ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر وفى رواية ليردن على الحوض
رجال ممن صاحبنى حتى اذا رأيتهم قد رفعوا الى اختلجوا دونى فلاقولن أى رب
أصحابى أصحابى فيقال لى انك لا تدرى ما أحدثوا بعدك وفى رواية ما شعرت
ما عملوا بعدك والله ما برحوا بعدك يرجعون على أعقابهم قال فكان ابن أبى مليكة
يقول اللهم انا نعوذ بك أن نرجع على أعقابنا أو نفتن فى ديننا قال بعض العلماء هم
الخوارج الذين قاتلهم على رضى الله عنه قلت فالحمد لله الذى خرجوا بهذا الاسم
وتسموا بهذا الاسم فحق لهم القسم بهذا القسم ومن عصا فلا ينكر العصا لابد
أن تعرض على من أعرض وترفض على من انفض هذا كله من حديث مسلم
رحمه الله والايمان بالحوض واجب وصفته كما تقدم وجاء فى الخبر ان لكل نبى
حوضا وانى لارجو أن أكون أكثرهم واردة * ولى فى الحوض من قطعة مطولة
ذكرت فيها النبى صلى الله عليه وسلم

وصاحب الحوض الرواء الذى * أقسمه منه غدا تشرب
اذ ليس ماء لهم غيره * والشمس من أوجههم تقرب

وقد تقدم ذكرها فانظرها فى التكميل سقانا الله منه ولا جعلنا ممن يذاد عنه
وتقدم ذويد فى الاسماء وهو أيضا لقب رجل من المعمرين اسمه ذويد بن نهد أخبار المعمرين
عاش أربعمائة عام فيما ذكروكانت له وقائع فى العرب وغارات فلما جاءه الموت قال

اليوم يبنى لذويد بيته * كم مغنم يوم الوغى حويته
ومعصم موشم لويته * لو كان للدهر بلى أبليته
أو كان قرنى واحدا كفيته

وبهذا كان عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما يتمثل اذ كان يحمل على الجيوش فى

المسجد الحرام حتى قتل رضى الله عنه كذا ذكرناه واذ ذكرناذويدا فى المعمرين فلنذكر معه آخرين منهم المستوغر بن ربيعة وهو لقب له واسمه كعب عاش ثلثمائة سنة وثلاثين سنة وكان أطول مضر كلها عمرا وهو الذى يقول

ولقد سئمت من الحياة وطولها * وعمرت من عدد السنين مئينا

مائة حدتها بعدها مائتان لى * وازددت من عدد الشهور سنينا

هل ما بقى الا كما قد فاتنا * يوم يمر وليلة تحدونا

ذكر هذا الخبر ابن اسحاق فى السيرة وقال بعض الناس تروى هذه الابيات لزهير ابن جناب الكلبى وكان المستوغر قد أدرك الاسلام وأسلم وحضر هدم رضاء بيت كان يعبد فى الجاهلية وفيه يقول

ولقد شددت على رضاء شدة * فتركتها قفرا بقاع أسحما

وذكر القتيبى ان المستوغر حضر سوق عكاظ ومعه ابن ابنه وقد هرم والجد يقوده فقال له رجل ارفق بالشيخ فقد طالما رفق بك فقال ومن تراه فقال هو أبوك أو جدك فقال ماهو الا ابن ابنى فقال ما رأيت كاليوم ولا المستوغر بن ربيعة فقال أنا المستوغر بن ربيعة ومنهم زهير بن جناب المتقدم ذكره وعمره مذكور فى الشعر ان كان له والا فهو من المعمرين بلا خلاف وهو الذى يقول

أبنى ان أهلك فانى قد تركت لكم بنيه

وتركتكم أولاد سادات زنادهم وريه

من كل ما نال الفتى * قد نلته الا التحيه

يريد بالتحية البقاء وقيل الملك ومن المعمرين أيضا ممن زاد على المائتين والثلثمائة عبيد بن شرية ودغفل بن حنظلة النسابة والربيع بن ضبيع الفزارى وهو الذى يقول أصبحت لا أحمل السلاح ولا * أملك رأس البعير ان نفرا

والذئب أخشاه ان مررت به * وحدى وأخشى الرياح والمطرا

وقبل هذا البيت

أصبح منى الشباب مبتكرا * ان ينأ عنى فقد ثوى عصرا

أصبحت لا أحمل البيتين وبعدهما

ها أنا ذا آمل الخلود وقد * أدرك عمرى ومولدى حجرا

ويا امرئ القيس قد سمعت به * هيهات هيهات طال ذا عمرا

شرية بالفتح بوزن جرية على ما فى ترجمة الشريف الرضى من الوفيات أو بوزن عطية على ما فى الشهاب على درة الغواص قاله نصر

ومنهم

ومنهم ذو الاصبع العدوانى ونصر بن اصبع بن دهمان بن أشجع وكان قد اسود رأسه بعد ابيضاضه وتقوم ظهره بعد انحنائه وفيه يقول القائل

لنصر بن دهمان الهنيدة عاشها * وعشرين حولا ثم قوم فانصاتا

وعاد سواد الرأس بعد ابيضاضه * ولكنه من بعد ذلك قد ماتا

وأمره عند العرب من أعجب العجب ومن المعمرين النابغة الجعدى عاش نحو مائتى سنة كذا رأيت فى موضع ورأيت فى موضع آخر نيف على المائة وكان فاه البرد المنهل ونال هذا بدعاء النبى صلى الله عليه وسلم له وفد عليه فأنشده فقال له أجدت لا يفضض الله فاك فما سقطت له سن وسيأتى خبره فى باب الهاء ان شاء الله تعالى ومن المعمرين أبو الطفيل عامر بن واثلة وهو آخر من مات من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وكان رضى الله عنه عاقلا فاضلا شاعرا محسنا وهو الذى يقول

أيدعوننى شيخا وقد عشت حقبة * وهن من الازواج نحوى نوازع

وما شاب رأسى من سنين تتابعت * على ولكن شيبتنى الوقائع

وكان سريع الجواب حاضره وله مع معاوية رضى الله عنهما أجوبة ومراجعات ذكرها أبو عمرو رحمه الله استشهد فى آخرها بقول بعض بنى جعف

لا ألفينك بعد الموت تندبنى * وفى حياتى ما زودتنى زادى

وتقدم عمر حسان بن ثابت رضى الله عنه وانه عاش مائة وعشرين سنة ستين فى الجاهلية وستين فى الاسلام وكذلك أيضا كان عمر الموفق للخير حكيم بن حزام رضى الله عنه ولدته أمه فى جوف الكعبة دخلتها به وهى متم مع نسوة من قومها فأصابها الطلق فوضعته هنالك عاش مائة وعشرين سنة ستين فى الجاهلية وستين فى الاسلام وأعتق مائة رقبة وحمل على مائة بعير فى الجاهلية وفعل مثل ذلك فى الاسلام وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله أرأيت أشياء كنت أصنعها فى الجاهلية أتحنث بها أى أتبرر بها من صدقة أو عتاقة أو صلة رحم فهل فيها من أجر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أسلمت على ما سلف لك من خير يريد أنه ينتفع بذلك وان الاسلام يحرز له ذلك أجمع * ولحكيم هذا فضائل ومكارم صارت اليه دار الندوة المشهورة بمكة فباعها فى الاسلام بمائة ألف درهم فلامه معاوية فى ذلك وقال أبعت مكرمة آبائك وشرفهم فقال حكيم ذهبت المكارم الا التقوى والله لقد اشتريتها فى الجاهلية بزق خمر وقد بعتها بمائة ألف فى الاسلام وأشهدكم

خبر حكيم ابن حزام

أن ثمنها فى سبيل الله فأ بنا المغبون * ذكر هذا الخبر الدارقطنى رحمه الله وقد فعل نحو هذا معاذ بن عفراء رضى الله عنه باع حلة واشترى خمسة رؤس فأعتقهم ثم قال ان رجلا اختار قشرتين على عتق هؤلاء لغبين الرأى وكان حكيم هذا من أفضل الزهاد قال البخارى رحمه الله قال حكيم سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطانى ثم سألته فأعطانى ثم قال يا حكيم ان هذا المال خضرة حلوة فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه ومن أخذه باشراف نفس لم يبارك له فيه كالذى يأكل ولا يشبع اليد العليا خير من اليد السفلى قال حكيم يا رسول الله والذى بعثك بالحق لا أرزأ أحدا بعدك شيئا حتى أفارق الدنيا فكان أبو بكر رضى الله عنه يدعو حكيما الى العطاء فيأبى أن يقبله منه ثم ان عمر رضى الله عنه دعاه ليعطيه فأبى أن يقبل منه فقال عمر أشهدكم يا معشر المسلمين على حكيم انى أعرض عليه حقه من هذا الفىء فيأبى أن يأخذه فلم يرزأ حكيم أحدا من الناس بعد النبىّ صلى الله عليه وسلم حتى توفى رضى الله عنه ولى فى هذا المعنى مقطوعة لزومية قلتها على لسان الغير اذ لم يكن فىّ خير ولقد ذكرتها فى التكميل وأوّلها

عشت فى الناس كما * عاش حكيم بن حزام
قابض الكف خميص البطن مشدود الحزام

الى آخرها وكان هذا من ورع حكيم وقناعته رضى الله عنه والا فقد خرج ابن سلام فى قوله تعالى وهو خير الرازقين قال قد يجعل الله رزق العباد بعضهم من بعض برزق الله اياهم فجعل يقسم رزق هذا على يدى هذا وهو خير أفضل الرازقين وهو تفسير الذى ثم ساق حديثا عن أم الدرداء ما بال أحدكم يقول اللهم ارزقنى وقد علم أن الله لا يمطر عليه من السماء دراهم ولا دنانير وانما يرزق بعضهم من بعض فمن ساق الله اليه رزقا فليقبله فان كان عنه غنيا فليضعه فى أهل الحاجة من اخوانه وان كان محتاجا استعان به على حاجته ولا يردّ على الله رزقه الذى رزقه وعن عمران القصير قال لقيت مكحولا فأعطانى شيئا فانقبضت عنه فقال خذه فانى سأحدثك بحديث فانه أحب الىّ منه فقال أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر شيئا فكأنه انقبض عن أخذه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أتاك الله بشئ لم تطلبه فان كنت محتاجا اليه فأنفقه وان لم تكن اليه محتاجا فضعه فى أهل الحاجة وعن قبيصة بن ذؤيب أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه دفع الى

عبد

عبد الله بن سعد رجل من قريش ألف دينار فقال لا ارب لى فيها يا أمير المؤمنين ستجد من هو أحوج اليها منى فقال خذها فانما قلت كما قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لى يا عمر ما آتاك الله من عطاء غير مشرفة له نفسك ولا سائلة فاقبله

خبر أنس ابن مالك

ومن المعمرين أنس بن مالك رضى الله عنه خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن مملوكا انما كان من الانصار جاءت به أمه أم سليم واسمها الغميصاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فسألته أن يخدمه ليتعلم من علمه وليتأدب بأدبه تبركا به وشرفا بخدمته صلى الله عليه وسلم فكان كذلك قال أنس خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين ما قال لى أف قط وما قال لشئ صنعته لم صنعته ولا لشئ تركته لم تركته وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحسن الناس خلقا ودعا له عليه الصلاة والسلام بالبركة فقال اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيما أعطيته قال أنس فوالله ان مالى لكثير وان ولدى وولد ولدى ليتعادون نحو المائة وقال هذا فى وقت ثم زادوا بعد ذلك حتى انتهوا الى مائة وعشرين وانتهى عمره كذلك الى مائة وعشرين سنة رضى الله عنه وذكر أبو عمر بن عبد البر أن ولده الذكور كانوا ثمانية وسبعين وفضائله رضى الله عنه كثيرة مدوّنة ولو لم يكن الا ما ذكرهنا لكفاه خدم رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين وكان اذ ذاك ابن عشر سنين وامتدّ عمره الى زمن الحجاج كما تقدم فى غير هذا الموضع رواه ابن اسحاق صاحب السير ذكر ذلك على بن ثابت الخطيب فقال ان ابن اسحاق رأى أنس بن مالك رضى الله عنه وعليه عمامة سوداء والصبيان خلفه يشتدّون فيقولون هذا صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يموت حتى يلقى الدجال وأغرب من هذا ما ذكره أبو محمد عبد الله بن ابراهيم الاصيلى رحمه الله ان البنت التى قال عنها سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ليس يرثنى الا ابنة لى أفأتصدّق بثلثى مالى قال لا الحديث بكماله قال الاصيلى كان اسم هذه الابنة عائشة وعمرت حتى أدركها مالك بن أنس رضى الله عنه فرأت عائشة هذه النبىّ صلى الله عليه وسلم ورآها مالك رضى الله عنه وممن بورك له فى ولده أيضا بدعاء النبىّ صلى الله عليه وسلم سعد بن بحير رآه النبىّ صلى الله عليه وسلم يقاتل يوم الخندق قتالا شديدا فدعاه فمسح على رأسه ودعا له بالبركة فى نسله وولده فكان عما لاربعين وخالا لاربعين وأبا لعشرين ومن ذريته ابو يوسف القاضى رضى الله عنهم أجمعين وسعد هذا هو سعد بن حبتة عرف بأمه

ردّه النبيّ صلى الله عليه وسلم يوم أحد لانه كان صغيرا وقاتل يوم الخندق كما تقدم ومن قاتل صغيرا أيضا يوم بدر عمير بن أبي وقاص أخو سعد بن ابي وقاص خرج مع الناس فردّه رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه كان صغيرا فبكى فلما رأى بكاءه أذن له في الخروج فخرج فقتل رضي الله عنه وهو ابن ست عشرة سنة * رجع الكلام بعد هذه الاخبار البديعه الى خبر لبيد بن ربيعه وكان من المعمرين أيضا ولما بلغ سبعين حجة قال كأني وقد جاوزت سبعين حجة * خلعت بها عن منكبيّ ردائيا

خبر لبيد ابن ربيعه

فلما بلغ سبعا وسبعين قال

باتت تشكى اليّ النفس موهنة * وقد حملتك سبعا بعد سبعينا
فان تزادي ثلاثا تبلغي أملا * وفي الثلاث وفاء للثمانينا

ثم لما بلغ تسعين سنة قال

ولقد سئمت من الحياة وطولها * وسؤال هذا الناس كيف لبيد

ولما بلغ عشرا ومائة قال

أليس في مائة قد عاشها رجل * وفي تكامل عشر بعدها عبر

ولما بلغ عشرين ومائة قال

أليس ورائي ان تراخت منيتي * لزوم العصا تحنى عليها الاصابع
أخبر أخبار القرون التي خلت * أنوء كأني كلما قمت راكع

ولما بلغ ثلاثين ومائة سنة وحضرته الوفاة قال

تمنى ابنتاي أن يعيش أبوهما * وهل انا الا من ربيعة أو مضر
ونائحتاي تندبان بعاقل * أخا ثقة لاعين منه ولا أثر
وفي ابني نزار أسوة ان جزعتما * وان تسألاهم تنبآ فيهم الخبر
وفي من رأينا من ملوك وسوقة * دعائم عرش هدّه الدهر فانعقر
فقوما فقولا بالذي تعلمانه * ولا تخمشا وجها ولا تحلقا شعر
وقولا هو المرء الذي لا صديقه * أضاع ولا خان الخليل ولا غدر
الى سنة ثم السلام عليكما * ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر
وقد كنت جلدا في الحياة مرزأ * وقد كنت أنوي الخير والفضل والدخر

ذكر ابن عبد ربه أن الشعبي دخل على عبد الملك بن مروان فوجده مهتما فقال ما بال أمير المؤمنين قال ذكرت قول زهير

كأني وقد جاوزت تسعين حجة * خلعت بها عني عذار لجامي
رمتني بنات الدهر من حيث لا أرى * وكيف بمن يرمى وليس برامي

في أبيات فقال له الشعبي ليس كذلك يا أمير المؤمنين ولكن كما قال لبيد بن ربيعة وأنشده الابيات كلها من أوّلها الى آخرها قال فلقد رأيت السرور في وجه عبد الملك طمعا أن يعيشها ولبيد هذا هو القائل (ألا كل شئ ما خلا الله باطل) وهذا البيت هو الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم أصدق كلمة قالها الشاعر قول لبيد وذكر الشطر (ألا كل شئ ما خلا الله باطل) وعجز البيت (وكل نعيم لامحالة زائل) ولم يكمله رسول الله صلى الله عليه وسلم لان فيه اعتراضا بأن نعيم الآخرة لايزول وقد اعترض هذا العجز عثمان بن مظعون رضي الله عنه وكان قد أسلم فحضر مجلسا فيه لبيد المذكور ينشد هذا الشعر لنفسه وكان اذ ذاك لبيد مشركا فحين قال ألا كل شئ ما خلا الله باطل قال له عثمان صدقت فلما قال وكل نعيم لامحالة زائل قال له كذبت نعيم الجنة لا يزول وقلت أنا فيه

يارب يا حميد * قلبي لك الشهيد * بأنه سديد * وصالح رشيد
ما قاله لبيد * حق ولا مزيد * ويوسف يزيد * ما لك يا ودود
كفؤ ولا نديد * قريب او بعيد * بل أنك الحميد * المبدئ المعيد
ملكك لا يبيد * رسولك الرشيد * محمد العميد * للخلق أن يعيدوا
يوم يرى الوليد * مشيبه جديد * وهوله شديد * وأقبل العبيد
وكلهم فريد * مستوحش وحيد * وجمعهم بريد * عفوك يا مجيد
فمن به تجود * له هو السعيد

وعاش لبيد في الاسلام ستين سنة ولم يقل فيها بيت شعر على كثرة شعره وسرعته وسأله عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن تركه الشعر فقال ما كنت لاقول شعرا بعد أن علمني الله البقرة وآل عمران فزاده عمر في عطائه خمسمائة من أجل هذا القول فكان عطاؤه ألفين وخمسمائة فلما كان معاوية رضي الله عنه أراد أن ينقصه من عطائه الخمسمائة وقال له ما بال العلاوة فوق الفودين فقال له لبيد الآن أموت فتصير لك العلاوة والفودان فرق له فتركها له فمات لبيد اثر ذلك بأيام قليلة وقيل انه لم يقل في الاسلام الا بيتا واحدا وهو

الحمد لله اذ لم يأتني أجلي * حتى اكتسيت من الاسلام سربالا

ويقال ان قبله بان الشباب فلم أحفل به بالا * وأقبل الشيب والاسلام اقبالا
ويروى أيضا انه قال

ماعاتب المرء الكريم كنفسه * والمرء يصلحه الجليس الصالح

ونوع من هذا مايروى أن أبا الدرداء رضي الله عنه قيل له مالك لا تشعر فانه ليس رجل له بيت فى الانصار الا قال شعرا قال وأنا قد قلت فاسمعوا

يريد المرء أن يعطى مناه * ويأبى الله الا ما أرادا
يقول المرء فائدتى ومالى * وتقوى الله أفضل ما استفادا

خرجه أبونعيم فى الحلية * ومن كتاب الشبان روى أبوعبيدة عن يونس بن حبيب ان لبيد بن ربيعة رضي الله عنه آلى أن لا يقول شعرا بعد حفظه سورة البقرة وآل عمران وكان ينزل الكوفة وكان نذر أن يطعم الناس كلما هبت الريح الصبا فدامت أياما متوالية حتى أضر به فبلغ خبره الوليد بن عقبة بن أبى معيط وهو أمير الكوفة من قبل عثمان رضي الله عنه وكان أخاه لامه فوجه اليه بنوق ودراهم وكتب اليه

أبى الجزار يشحذ مديتيه * اذا هبت رياح أبى عقيل
طويل الباع أروع جعفرى * كريم الجد كالسيف الصقيل

فلما وصل ذلك الى لبيد شكره وقال كيف بأن أجيبه وقد نذرت أن لا أقول شعرا فقالت بنية له صغيرة كانت تروى شعره أنا أحسن بأن أجيبه أفتأذن لى قال قولى ماعندك فقالت

اذا هبت رياح أبى عقيل * دعونا عند هبتها الوليدا
طويل الباع أروع عبشميا * أعان على مروءته لبيدا
أباوهب جزاك الله خيرا * نحرناها وأطعمنا الثريدا
فعدان الكريم له معاد * وظنى بابن أروى أن يعودا

فقال لها أحسنت لولا انك استزدتيه فى شعرك فقالت ان الامراء لا يستحيا من سؤالهم فقال أنت فى هذا القول أشعر ونرجع الى تفسير العلاوة قوله فى الخبر الاول العودان والعلاوة فالعودان العدلان والعلاوة مايعلى به عليهما كعدل ثالث ومنه قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه فى قوله تعالى وبشر الصابرين الى قوله أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون فقال نعم العدلان الصلاة والرحمة ونعمت العلاوة الهدى بعد ذلك أو كما قال رضي الله عنه واذ وقعنا فى ذكر العلاوة فاسمع حديثا فيه حلاوة وعليه طلاوة * يذكر أن رجلا من اليهود

خرج مسافرا مع رجل من المسلمين ثم ان المسلم رجع وفقد اليهودى صاحبهم فاتهموا به المسلم وزعموا أنه قتله واستدلوا على ذلك بشعر قاله بعد قدومه وهو

ياصاحبى أقلا اللوم والعذلا * ولا تقولا لشئ فات مافعلا
ردا على كميت اللون صافية * انى لقيت بأرض خاليا رجلا
ضخم الجزارة لو أبصرت هامته * وسط الرجال اذا شبهته جملا
سايرته ساعة مابى مخافته * الا التلفت حولى هل أرى دغلا
أمسى يسائلنى ماسعر ارضكم * فقلت أربحت ان زينا وان عسلا
يدعو اليهود وقد مالت علاوته * ولا يهود له اذ قارب الاجلا
غادرته بين أحجار بمضيعة * لا يعلم الناس غيرى بعد مافعلا

وكان ذلك فى زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه فرفعوه اليه وقالوا هذا قتل صاحبنا فقال له عمر لم قتلته قال مافعلت قال أليس شعرك هذا يدل على قتله فقال يا أمير المؤمنين أما سمعت الله تعالى يقول والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون وانهم يقولون مالا يفعلون فقال عمر رضي الله عنه لليهود ان كان لكم على قتله بينة والا فلا سبيل لكم اليه فخلى سبيله * وشبيه بهذا الخبر مايروى أن شاعرا أنشد سليمان بن عبد الملك أبياتا يعرض فيها بالزنا فقال ويحك أقررت على نفسك بالزنا وأنا الامام ولا بد لى أن أحدك فقال بأى شئ أوجبت ذلك على قال بكتاب الله تعالى قال كتاب الله هو الذى يدرأ عنى الحد قال وأين قال فى قوله تعالى والشعراء يتبعهم الغاوون الآية وانا قلت يا أمير المؤمنين مالم أفعل وشبيه بهذا مايروى ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما ولى النعمان ميسان كره ذلك فسأل عمر أن يعزله فأبى فقال وهو بميسان

من يبلغ الحسناء ان خليلها * بميسان يسقى فى زجاج وحنتم

فى أبيات يعرض فيها بالخمر وأرسل بها الى المدينة وغرضه أن تتصل بعمر فيعزله وكان فى آخرها

لعل أمير المؤمنين يسوءه * تنادمنا بالجوسق المتهدم

فلما بلغ ذلك عمر قال اللهم انه قد ساءنى وعزله فلما قدم عليه أمر بأن يحد فقال ماشربتها ولكنى قلت ماقلت لغرض أردته فقال له احلف ماشربتها فحلف فدرأ عنه الحد وقريب من هذا ان أبا محجن اعترف فى شعره بشرب الخمر فأراد عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يحده فقال صدق الله وكذبت أنا أما الله تعالى يقول

وانهم يقولون مالا يفعلون فتركه من الحمد وعزله ونوع من هذا وفيه ضرب من الشعر يض في الشعر مايروى أن مهلهلا الشاعر خرج مع عبدين له فقتلاه وكان قد قال لهما لما أحس بقتله بلغا ابنتي السلام وأنشداهما

من مبلغ الفتيان ان مهلهلا * لله دركما ودر أبيكما

فلما قدم العبدان ذكرا انه مات في الطريق وقاما عليه ودفناه وأنشدا البيت الذى وصاهما به فقالت ابنته هذا بيت لا يلتئم صدره مع عجزه واتماصوابه

من مبلغ الفتيان أن مهلهلا * أمسى وأصبح في التراب مجندلا

لله دركما ودر أبيكما * لا يبرح العبدان حتى يقتلا

فاستدل بذلك على انهما قتلاه وشدد عليهما فأقرا بقتله فقتلا هذا معنى الحكاية نقلته من حفظي تقدم في الشعر الاول ضخم الجزارة وهل أرى دغلا أما الجزارة فان ثابتا رحمه الله قال هي اليدان والرجلان والعنق وسميت بذلك لانها كانت لا تقسم في سهام الجزور واذا قسمت وقيل انما سميت بذلك لان الجزار كان اذا نحر جزورا أخذها في أجره ومنه الحديث الذي يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال في البدن ولا يعطى الجازر منها شيئا وروى ولا تعطى الجازر منها في جزارتها شيئا والجزارة بالكسر مصدر جزرت وبالضم الاعضاء المذكورة والله أعلم والاعضاء المذكورة من الجزور تسمى الثنيا لان الجازر يستثنيها اذا نحر الجزور وفي حديث علي رضي الله عنه أن رجلا باع ناقة وهي مريضة لتنحر واشترط ثنياها وصحت فرغب فيها صاحبها فاختصما الى عمر فأرسلهما الى علي رضي الله عنهما فقال أدخلاها السوق فاذا بلغت أقصى ثمنها فأعطه حساب ثنياها من ثمنها وقال بعضهم الثنيا الرأس والاكارع والضرع والكركرة والقلب ويقال هؤلاء القوم ثنية وهم الاخساء وفلان ثنية أهل بيته اذا كان أخسهم (قلت) كذا قال ثابت رحمه الله ولا أدرى كيف هذا ولعل أهل ذلك البيت كلهم خساس والثنية أخسهم والا فقد جاء في حديث سعيد بن جبير رضي الله عنه الشهداء ثنية الله قال ابن قتيبة يعني من استثناه الله في الصعقة تقول هذا ثنيتي من كذا أي ما استثنيت والله أعلم وأما الدغل المذكور في الشعر فهو الموضع الخفي حيث تمكن الريبة به ومنه قوله اتخذوا مال الله خولا ودينه دغلا وقال ابن عمر رضي الله عنه وحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تمنعوا النساء من

الخروج بالليل الى المساجد فقال ابن له لا ندعهن يخرجن فيتخذنه دغلا فزأره ثم قال أقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم تقول لا ندعهن (قلت) ومن ابتلى في هذا الزمان بامرأة ليس لها الا الخروج الى المسجد وغيره شغلا وخاف ان تتخذ ذلك المخرج دغلا وكان ممن أفرط في الغيرة وغلا فليحتل لنفسه كما احتال الزبير رضي الله عنه في امرأته في طريق المسجد جدد عرسه فكرت راجعة الى بيتها بعد وا ولم تطلب الى المسجد غدوا والتزمت بعد ذلك الصلاة في المخدع واتخذت والحر أحيانا يخدع * ذكر أبو بكر الخرائطي رحمه الله في كتاب اعتلال القلوب قال كانت عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل عند الزبير بن العوام رضي الله عنهما فاستأذنته في الخروج الى المسجد فشق عليه ذلك وكره أن يمنعها فأذن لها ثم انكمن لها في موضع مظلم من الطريق فلما مرت عليه وضع يده على بعض جسدها فكرت راجعة وسبقها الزبير الى الدار فلما دخلت عليه تسبح قال لها ماردك عن وجهك قالت كان الخروج والناس ناس وأما اليوم فلا وتركت طلب المسجد (قلت) هذا ما فعل سيدنا الزبير في الخروج الى المسجد لا غير ولا شك انها خرجت مستكينة عليها السكينة باكية حزينة عطلاء من الزينة كيف لو رأى رضي الله عنه خروجهن اليوم متبرجات متفلجات محتفلات غير تفلات تشاهد احداهن الاعراس والحمامات وتساعد جارتها في مأتم حميمها اذا مات لا تقعد عن ترح ولا تبعد عن فرح وأما في الاعياد فالكلام فيه مزداد وفيه أريق المداد وقد فهمت الكلام يا غلام وعلى رسول الله الصلاة والسلام ثم لا حسبة عند الزوج ولا غيره ولا خشية ان ترى في طريقها غيره فتعلقه وتهواه فتقع في مهواه وان تبغض الاول وتفركه وتنهض الى الآخر ولا تتركه ولو منعها المسكين من الخروج رأسا لم أر عليه اذا خاف ذلك بأسا واذا سمح لها بالخروج من الدار فليأمرها بلبس الاطمار فلعلها تقذر فلا تنظر ولعل هذا المعنى المبارك أراد عبد الله بن المبارك رضي الله عنه حيث قال أكره اليوم خروج النساء في العيدين فان أبت المرأة الا الخروج فليأذن لها زوجها ان تخرج في أطمارها ولا تتزين فان أبت أن تخرج كذلك فللزوج أن يمنعها من الخروج قال أبو عمر بن عبد البر رحمه الله كانت عاتكة هذه تحت عبد الله بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهم وأحبها حبا شديدا حتى غلبته على رأيه وشغلته عن سوقه ثم ان أبا بكر اجتاز عليه ساعة الرواح الى الجمعة وناداه بالصلاة

نشغل بها حتى فاتته صلاة الجمعة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فعزم عليه أبو بكر حتى فارقها ثم سمعه يقول

فلم أر مثلى طلق اليوم مثلها * ولا مثلها فى غير جرم تطلق

أعاتك لا أنساك ماهبت الصبا * رخاء وماناح الحمام المطوق

فى أبيات فرق له وأمره بمراجعتها فلما قتل عنها فى حصار الطائف تزوجها زيد بن الخطاب على اختلاف فى ذلك فقتل عنها يوم اليمامة ثم تزوجها عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهى ابنة عمه فلما قتل عنها تزوجها الزبير فلما قتل خطبها على رضى الله عنه فقالت انى أضن بك عن القتل وذكر غيره انها تزوجت بعد الزبير محمد بن أبى بكر الصديق رضى الله عنهم فقتل عنها ثم خطبها عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق فقالت انى لاستحيى من اسماء أختى اخوتها وكان ابن عمر رضى الله عنه يقول من أراد الشهادة فليتزوج عاتكة وكلما مات من أزواجها واحد رثته وكانت قد رثت زوجها الاول عبد الله بن أبى بكر وقالت

رزئت بخير الناس بعد نبيهم * وبعد أبى بكر وما كان قصرا

فآليت لا تنفك عينى حزينة * عليه ولا ينفك جلدى أغبرا

فى أبيات فلما تزوجها عمر بن الخطاب أولم عليها ودعا فى وليمته نفرا من الصحابة منهم على بن أبى طالب رضى الله عنهم فقال له يا أمير المؤمنين دعنى أكلم عاتكة قال نعم فأخذ على رضى الله عنه بجانب الخدر وقال يا عدية نفسها ألست القائلة

فآليت لا تنفك عينى حزينة * عليه ولا ينفك جلدى أغبرا

فبكت فقال عمر ما دعاك الى هذا يا أبا الحسن كل النساء تفعل هذا (فائدة زائدة) كان محمد بن عبد الرحمن بن أبى بكر بن أبى قحافة الاربعة من الصحابة وفائدة أخرى اسم عاتكة مشتق من قولهم عتكت المرأة بالطيب اذا تضمخت به وعتكت الفرس اذا قويت فاحمر ودها والعاتك من الرمل الاحمر (وتقدم فى القافية دل) ومن فوائد هذه اللفظة قوله تعالى ما دلهم على موته الا دابة الارض تأكل منسأته هو سليمان بن داود عليهما السلام سخرت له الجن كما ذكر الله فى كتابه وكان فيما ذكر يبالغ فى تسخيرهم ويشدد عليهم فشكوا ذلك الى ابليس فقال لهم ألستم تعملون نهارا وتستريحون ليلا قالوا بلى قال فذلك خير كثير فبلغ ذلك سليمان عليه السلام فسخرهم البدأة والرجعة والليل والنهار فشكوا ذلك الى ابليس فقال الآن يموت سليمان

اذا اشتد الامر انفرج أو كما قال فمات بقرب ذلك صلى الله عليه وسلم فلما قضى عليه الموت أسند الى المنسأة وهى العصا فمات وهو كذلك وبقيت الجن حولا تعمل بين يديه العمل الشديد ولا تعلم بموته حتى أكلت الارضة المنسأة فسقطت وخر هو عليه السلام وحينئذ تبين لهم موته وكانت الجن قبل ذلك تدعى عند الانس علم الغيب فلما خر تبينت الانس ان الجن ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين ويشهد لهذا التأويل انه يقرأ خارج السبع تبينت الجن غير مبنى للفاعل ولم يعلم مقدار ما بقى ميتا حتى وضعت الارضة على العصا فأكلت منها يوما وليلة ثم حسبوا على ذلك فوجدوه قد مات منذ سنة وقيل فى الارض انه القطع من قولك أرضت الشئ قطعته وقيل الارض المعلومة والارض أيضا الرعدة يقال أرض الرجل فهو مأروض كما قال ابن عباس رضى الله عنهما أزلزلت الارض أم فى أرض قال ذو الرمة يصف صائدا أرعد عند قربه من الصيد

كأنه حين يدنو وردها طمعا * بالصيد من خوفه الاخطاء محموم

اذا توجس ركزا من سنابكها * أو كان صاحب أرض أو به الموم

والمنسأة العصا ولم يقرأ منساته بغير همز غير نافع وأبى عمرو والباقون منسأة مفعلة من نسأت الدابة اذا سقتها فقيل للعصا منسأة لذلك قال الشاعر

اذا دببت على المنساة من هرم * فقد تباعد عنك اللهو والغزل

وفيها قراءة أخرى تروى عن سعيد بن جبير رضى الله عنه تأكل من سئته يريد من سية القوس على لغة من همز سية القوس روى ذلك عن رؤبة وروى عن الفراء سية وسأة مثل لحة ولحة وضعة وضعة وفضائل سليمان عليه السلام وما أعطاه الله كثيرة من تسخير الانس والجن والريح والطير وغير ذلك حتى ان الريح أمرت أن لا تتكلم أحد شيئا الا طرحته فى سمع سليمان بسبب ان الشياطين أرادت كيده حتى ألقت اليه قول النملة قوله تعالى يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وقرأ سليمان التيمى يا أيتها النمل ادخلوا مساكنكن وسيأتى الكلام فى النمل فى باب الراء فى الفوائد ان شاء الله تعالى وعلم منطق الطير سوى تسخيرها كان يفهم منطقها كما يفهم كلام البشر وقوله تعالى فهم يوزعون قال ابن عباس لكل صنف منهم وزعة ترد أولاها على أخراها فكانت تظله مع جنوده فوق رؤسهم من الشمس وهم على الكراسى ووجوه أصحابه حوله على

منازلهم فى الدين من الانس والجن وكانوا يومئذ جميعا ظاهرين للانس يحجون جميعا و يصلون جميعا والشياطين حرسة لا يتركون أحدا يتقدم بين يديه والريح تحمل ذلك كله كما قال تعالى غدوها شهر ورواحها شهر وأسلنا له عين القطر فكان يصنع منه ما شاء بغير نار ولا مطرقة بل كان بين يديه كالعجين وكان من أدب الطير وزينتها أن تصطف فوقه ولا يزحزح أحد منهم جناحه عن صاحبه لئلا تدخل عليهم الشمس من خلل ذلك لمكانه ومن ذلك قوله تعالى وتفقد الطير قيل لما غاب الهدهد لم يجسر أحد من الطير أن يغلق موضعه فبقى مفتوحا فدخل عليه ضوء الشمس من موضعه فسأل عنه وقيل انما تفقده لانه كان اذا احتاج الى الماء دله عليه الهدهد لان الارض عنده كالمهاة وهى البلورة يرى باطنها من ظاهرها * وقد اعترض نافع بن الازرق فى هذا القول وكان ممن يتبع متشابه القرآن فسأل ابن عباس رضى الله عنهما عن تفقد الطير فأخبره بما تقدم فقال عجبا لك يا ابن عباس تخبر عن الهدهد بهذا وهو ينصب له الشرك تحت الارض فيقع فيه ولا يبصره فقال له ابن عباس أما علمت أنه اذا وقع القضا عمى البصر * ومن غريب حديث الريح انها كانت تقرب من الارض فى سيرها فمرت على عش قنبرة فزعزعته فشكت الريح الى سليمان عليه السلام فأمرها أن ترتفع عن الارض فلما أمسى سليمان أتته القنبرة بجرادة فى فمها تهديها اليه فأمر بقبضها منها وقال كل يهدى على قدره والاخبار فى حديث سليمان عليه السلام كثيرة لو جمعت لكان منها ديوان لكن نشير فى هذا الكتاب الى ما يسر الله من ذلك ويكفى سليمان عليه السلام ان الله أعطاه ملكا لا ينبغى لاحد من بعده وكان لابيه داود عليه السلام سبعة عشر ولدا فورث سليمان من بعدهم نبوته وملكه وكان مع ملكه وما آتاه الله يأكل فى خاصته الخشكار ويطعم أهل البلد الشعير ويطعم المساكين البر ومع ذلك فقد جاء عنه انه يدخل الجنة بعد الانبياء عليهم الصلاة والسلام وكذلك عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه لاجل غناه ونقف هنا وننتقل الى غيره مما يفتح الله فيه ويأذن

(فصل) وتقدم الدل وفى الحديث منه سئل حذيفة عن رجل قريب السمت والهدى من النبى صلى الله عليه وسلم فقال ما أعلم أحدا أقرب سمتا وهديا ودلا بالنبى صلى الله عليه وسلم من ابن أم عبد يعنى عبد الله بن مسعود رضى الله عنه

وفى حديث آخر كان أصحابه يرحلون الى عمر فينظرون الى سمته وهديه ودله ويتشبهون به وفضائل عبد الله كثيرة خرج مسلم عنه قال لما نزلت هذه الآية ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل لى أنت منهم ولما مات اجتمع أبو موسى وأبو مسعود فقال أحدهما لصاحبه أتراه ترك بعده مثله قال ان قلت ذاك ان كان ليؤذن له اذا حجبنا ويشهد اذا غبنا وقال أبو موسى قدمت أنا وأخى من اليمن فمكثنا حينا وما نرى ابن مسعود وأمه الا من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم من كثرة دخولهم ولزومهم له وفيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خذوا القرآن من أربعة من ابن أم عبد فبدأ به ومعاذ بن جبل وأبى بن كعب وسالم مولى أبى حذيفة رضى الله عنهم وقال ابن مسعود والذى لا اله غيره ما من كتاب الله سورة الا أنا أعلم حيث نزلت وما من آية الا أنا أعلم فيما أنزلت ولو أعلم احدا هو أعلم بكتاب الله منى تبلغه الابل لركبت اليه وفضائله أكثر من هذا وكذلك من ذكر من الصحابة فضائلهم مشهورة مدونة مذكورة فى مسلم وغيره رضى الله تعالى عنهم أجمعين

(فصل) وتقدم أدلة جمع دليل وجاء منه فى الحديث الذى يرويه هند بن أبى هالة فى صفة النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضى الله عنهم قال واذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤسهم الطير واذا سكت تكلموا لا يتنازعون عنده الحديث من تكلم عنده أنصتوا له حتى يفرغ حديثه وذكر من وصفهم أشياء كثيرة جساما وقال فى بعضها يدخلون روادا ولا يفترقون الا عن ذواق ويخرجون أدلة يعنى على الخير يعنى فقهاء ويروى عن على رضى الله عنه

ما الفخر الا لاهل العلم انهم * على الهدى لمن استهدى أدلاء
وقدر كل امرئ ما كان يحسنه * والجاهلون لاهل العلم أعداء

وتقدم الهجيرى وتفسيرها كان من هجيرى أبى بكر الصديق رضى الله عنه لا اله الا الله ومن هجيرى عمر الله أكبر ومن هجيرى عثمان سبحان الله وكان هجيرى على رضى الله عنه الحمد لله استقرأ العلماء من ذلك ان أبا بكر لم يشهد فى الدارين الا الله وكان عمر يرى ما دون الله صغيرا وعثمان لا يرى التنزيه الا لله وكان على لا يرى نعمة فى المكر وهو المحبوب الا من الله وكان من هجيرى أبى الحسين النكانى رضى الله عنه هانوا عليك فعصوك ولو أحببتهم لحميتهم من المعاصى وسيأتى حديث

الرجل الذى أتى الى عبد الله بن مسعود رضى الله عنه بالكوفة وقد هاجت ريح حمراء فجاء ليس له هجيرى الا يا عبد الله جاءت الساعة

(فصل) وتقدّم البزيزى وجاء منها فى حديث أبى عبيدة بن الجراح رضى الله عنه انه قال ستكون نبوة ورحمة ثم خلافة ورحمة ثم ملك يجعله الله ان شاء ثم تكون بزيزى وأخذ أموال بغير حق وتقدّم الخليفى ومنه قول عمر بن الخطاب رضى الله عنه لو أطقت الاذان مع الخليفى لاذنت يعنى أنه يتشاغل بامور المسلمين فلا يتفرغ لارتقاب الاوقات كما يفعل المؤذن المجتهد المشتغل بذلك لاسيما اذا أراد بذلك وجه الله والحسبة عنده ولم يأخذ على ذلك أجرا كما جاء فى الحديث واتخذ مؤذنا لا يأخذ على أذانه أجرا كذلك له من الثواب على ذلك ما يجل عن الوصف كما قال عليه الصلاة والسلام المؤذن المحتسب كالمتشحط فى دمه فان مات لم يدد فى قبره يعنى لم يأكله الدود وقد تقدّم وقال فى فضله لو يعلم الناس ما فى النداء والصف الاوّل ثم لم يجدوا الا أن يستهموا عليه لاستهموا أى يقترعوا وفى رواية عن ذاذان لاضطربوا عليه بالسيوف وقيل فى قوله تعالى ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال اننى من المسلمين انها نزلت فى المؤذنين وقيل غير ذلك وخرج ثابت فى الدلائل عن أبى الوقاص قال سهام المؤذنين عند الله يوم القيامة كسهام المجاهدين وهو فيما بين الاذان والاقامة كالمتشحط فى دمه فى سبيل الله وقال المؤذن مؤتمن والامام ضامن وقال اللهم ارشد الائمة واغفر للمؤذنين وقال من أذن فى مسجد سبع سنين وجبت له الجنة ومن أذن أربعين سنة دخل الجنة بغير حساب وجاء فى الحديث أيضا المؤذن يغفر له مدّ صوته ويصدقه من سمعه من رطب ويابس وله مثل أجر من صلى معه وللمؤذن فضل على من أتى الصلاة باذانه مائة وعشرين حسنة فان أذن وأقام فأربعون ومائتا حسنة الا من قال بمثل قوله وفى حديث آخر لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا انس ولا شئ الا شهد له يوم القيامة ولذلك يفر الشيطان عند سماع الاذان ولا يفر عند سماع قراءة القرآن كما قال صلى الله عليه وسلم اذا نودى بالصلاة أدبر حتى اذا قضى التثويب أقبل حتى يخطر بين المرء ونفسه يقول اذكر كذا واذكر كذا واذكر كذا لما لم يكن يذكر حتى يظل الرجل لا يدرى كم صلى وفى رواية اذا نادى المؤذن بالاذان هرب الشيطان حتى يكون بالروحاء وهى ثلاثون ميلا للمدينة قال بعض العلماء انما يفر لانه يخشى أن يكلف الشهادة بالتوحيد للمؤذن فيخوض من

النار وغرض اللعين ان يقذفه فيها ولذلك يضرط فى عدوه ليتشاغل بصوت ضراطه عن سماع المؤذن لان فضل لا اله الا الله محمد رسول الله عظيم هو الاصل وعليه منشأ العبادات كلها ولذلك كان المؤذن طويل العنق فى الآخرة كما قال عليه الصلاة والسلام المؤذنون أطول الناس أعناقا يوم القيامة وفسر هذا الحديث على وجوه منها ان ذلك اذا ألجم الناس العرق يوم القيامة طالت أعناقهم لئلا يصيبهم العرق قاله النضر بن شميل وقيل معناه أطول الناس تشوفا الى رحمة الله لان المتشوّف يطيل عنقه لما تشوّف له فكنى عنه بذلك وقيل معناه الدنو من الله تعالى وقيل معناه أنهم رؤساء يوم القيامة والعرب تصف السادة بطول الاعناق قال الشاعر (طوال أنضية الاعناق والامم) وقيل ذلك كناية عن الامن وقلة الخوف والريبة كما يقال فلان يمشى فى الناس طويل العنق وضده من أهل الريب يمشى مائل العنق وقيل فى قوله تعالى فظلت أعناقهم لها خاضعين المعنى انهم اذا ذلت رقابهم ذلوا فالاخبار عن الرقاب اخبار عن أصحابها ومعلوم ان الخاضع والذليل مائل الرقبة ولذلك قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لمن رآه مائل العنق زعم من الخشوع فقال له يا صاحب الرقبة ارفع رأسك لا تمت علينا ديننا فليس الخشوع فى الرقاب أو كما قال رضى الله عنه وقيل تجعل لهم منابر يوم القيامة فيقعدون عليها فتطول أعناقهم لذلك كما كانوا فى الدنيا تطول أعناقهم على الناس بصعودهم الصوامع والمرتفعة من المواضع فطابق الفعل الفعل وطابق الشكل الشكل * ويحق له أنه يعلو على أعلى موضع يجده ويرفع صوته بأشد ما يمكنه ويقول أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله وأين هذه الحالة من حالة الناس أوّل الاسلام اذ كانوا لا يقدرون على أن يقولوا هذه الكلمة الا سرا ولو ظهر على أحد يقولها لعذب كما فعل ببلال رضى الله عنه اذ كان يخرج الى الرمضاء عند اشتداد الحر فيبطح على ظهره وتطرح الصخرة العظيمة على بطنه على قول لا اله الا الله فيقول رضى الله عنه وهو كذلك أحد أحد هذا قاسى ما لم يقاس أحد فلما أدرك الامان وكان قد حصل الايمان بادر الى الاذان فأسمعه الآذان ما أولى بهذا العمل كل من له فى الخير أمل لكن لا حول ولا قوة الا بالله ولا هادى الا الله

(فصل) وتكلم العلماء فى الامام والمؤذن أيهما أفضل فقالت طائفة المؤذن واحتجوا بما تقدّم فى فضل الاذان وقالوا قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

الامام ضامن والمؤذن مؤتمن وبالاذان تحقن الدماء فهو فرض فى المصر من أجل أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يكن يغير على قوم بليل حتى يصبح فان سمع الاذان كف وان لم يسمع أغار وقال من صلى بأرض فلاة صلى عن يمينه ملك وعن شماله ملك فان أذن وأقام الصلاة صلى وراءه من الملائكة أمثال الجبال وعن كعب الاحبار قال من أذن فى السفر وأقام صلى خلفه ما بين الافقين من الملائكة ومن أقام ولم يؤذن لم يصل معه الا ملكاه الكاتبان فانظر ماذا زاده من الخير بسبب الاذان * وقالت طائفة الامام أفضل واحتجوا بأن النبىّ صلى الله عليه وسلم أمّ ولم يؤذن وما كان عليه الصلاة والسلام ليقتصر على الادنى ويدع الاعلى واعتذر عن هذا القول بأن النبىّ صلى الله عليه وسلم انما ترك الاذان لما اشتمل عليه من الثناء عليه والشهادة له بالرسالة والتعظيم لشأنه فترك ذلك لغيره ولما فيه أيضا من الحيعلة للصلاة فلو أذن هو لم يحل لاحد يسمعه يقول حى على الصلاة أن يتخلف عنها على أىّ حال كان ولو تخلف عنها لكان عاصيا كيف وهو يقول للضرير البصر واعتذر له بذلك وبالمطر والسيل وسأله الرخصة فقال تسمع حى على الصلاة قال نعم قال لا أجد لك رخصة والمؤذن غير النبىّ صلى الله عليه وسلم فكيف ان لو كان هو المؤذن فترك ذلك تخفيفا عن أمته لانه كان يكره ما شق عليهم وقد وصفه الله تعالى بذلك فى قوله تعالى عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم وقد فعل ذلك فى أشياء كثيرة مثل السواك الذى قال فيه لولا أن أشق على أمتى لامرتهم بالسواك وقال فى الغزو لولا أن أشق على أمتى لاحببت أن لا أتخلف عن سرية تخرج فى سبيل الله الحديث وقال فى زمزم لبنى عبد المطلب لولا أن يغلبكم الناس على سقايتكم لنزعت معكم وكم له من مثل هذا وكم صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم

(قلت) انما اختلف هؤلاء فى الافضل منهما وهذان أمران قديمكن الجمع بينهما واذا نزل الائتلاف زال الاختلاف فيقال للمؤذن أم وللامام أذن يا ابن أم وحصلا ذا الفضل وحوزاه واستبقا اليه وأحرزاه واذا أمكن الجمع بين الخيرين فاصنعاه ومتى تفرق الفعل فاجمعاه وقد قلت فى ذا المعنى شعرا فاسمعاه

قالوا المؤذن فاضل وكذا الامام * فى أى أفضل منهما بقى الكلام
منهم من أحرز ذا وقدم ذا أمام * وبعكسه قد قال قوم باخلام
وأنا أقول مقالة فيها انتظام * قل للمؤذن أم ثم مر الامام

أن يودع التأذين آذان الانام * فاذا تجمع ذا وذا انقطع الخصام
والأصل اخلاص البداية والتمام * فسلام من رب البرية والسلام

ولا تظنن ان الجمع بين الأذان والامامة اجماع من العلماء بل قد كره بعضهم أن يكون الامام مؤذنا وقائل هذا يحتج بأن السنة أن يكبر الامام تكبيرة الافتتاح عند قول المؤذن قد قامت الصلاة ثم يأخذ فى قراءة الحمد ويتمادى المؤذن على الاقامة وحينئذ لا يكبر ولذلك قال بلال لرسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبقنى بآمين أى تمهل علىّ حتى أدرك التأمين معك لفضله (قلت) فاذا أذن الامام وترك الاقامة لغيره فقد زالت الكراهة ان شاء الله تعالى وقد كان الامام على رضى الله عنه يصلى بالناس ويؤذن وحين قتله عبد الرحمن بن ملجم كان يؤذن لصلاة الفجر ذكره أبو القاسم الوراق فى شرح الشهاب وكذلك تكلموا فى صلاتهم أوّلا بغير أذان حتى أرى ذلك عبد الله بن ثعلبة بن عبد ربه رضى الله عنه والنبى صلى الله عليه وسلم كان أولى بهذه الفضيلة قال الاستاذ رحمه الله تعالى قد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أريه قبل هذا ليلة الاسراء وسمعه من الملك مشاهدة فوق سبع سموات وهذا أقوى من الوحى وتأخر فرضه الى المدينة وتلبث الوحى بذلك حتى رآه عبد الله وعمر وأعلما بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انها رؤيا حق ان شاء الله تعالى وعلم حينئذ ان الذى أراه الله اياه فى السماء يكون سنة فى الارض لاسيما ورآه عمر الذى ينطق الحق على لسانه كما قال فيه عليه الصلاة والسلام ان السكينة تنطق على لسان عمر انتهى كلامه والحديث الذى فيه ذكر الأذان الذى سمعه النبىّ صلى الله عليه وسلم من الملك خرجه البزار عن على بن أبى طالب رضى الله عنه لما أراد الله أن يعلم رسوله الأذان جاءه جبريل بدابة يقال لها البراق فاستصعبت عليه فقال لها جبريل اسكنى فوالله ما ركبك عبد أكرم على الله من محمد فركبها حتى أتى بها الحجاب الذى يلى الرحمن تعالى فبينا هو كذلك اذ خرج ملك من الحجاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جبريل من هذا قال والذى بعثك بالحق انى لاقرب الخلق مكانا وان هذا الملك ما رأيته منذ خلقت قبل ساعتى هذه فقال الملك الله أكبر الله أكبر فقيل له من وراء الحجاب صدق عبدى أنا أكبر أنا أكبر ثم قال الملك أشهد ان لا اله الا الله فقيل له من وراء الحجاب صدق عبدى أنا الله لا اله الا أنا وذكر مثل هذا فى بقية الأذان الا أنه لم يذكر جوابا على قوله حى على الصلاة حى على

الفلاح قال ثم أخذ الملك بيد محمد صلى الله عليه وسلم فقدمه فأم أهل السماء فيهم آدم ونوح قال أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين كمل الله لمحمد صلى الله عليه وسلم الشرف على أهل السموات والارض قال القاضي أبو الفضل عياض رحمه الله وماذكر في هذا الحديث من ذكر الحجاب فهو في حق المخلوق لا في حق الخالق فهم المحجوبون والحق سبحانه منزه عما يحجبه فان الحجاب انما يحيط بمقدار محسوس ولكن حجبه عن أبصار خلقه وبصائرهم وادراكاتهم بما شاء كيف شاء ومتى شاء لقوله تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون فقوله في الحديث اذ خرج ملك من الحجاب يجب أن يقال انه حجاب حجب به من وراءه من ملائكته عن الطلاع مادونه من سلطانه وعظمته وعجائب ملكوته ويدل على هذا من الحديث قول جبريل عليه السلام عن الملك الذي خرج من ورائه ان هذا الملك مارأيته منذ خلقت قبل ساعتي هذه فدل على ان هذا الحجاب لم يختص بالذات ويدل عليه قول كعب في تفسيره سدرة المنتهى قال اليها ينتهي علم الملائكة وعندها يجدون أمر الله لايجاوزها علمهم وأما قوله الذي يلي الرحمن فيحمل على حذف مضاف أي الذي يلي عرش الرحمن أو أمرا تما من عظيم آياته أو مبادي حقائق معارفه بما هو أعلم به كما قال تعالى واسأل القرية أي أهلها وقوله فقيل من وراء الحجاب صدق أنا أكبر فظاهره انه سمع في هذا الموطن كلام الله ولكن من وراء الحجاب كما قال تعالى وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب أي وهو لايراه حجب بصره عن رؤيته

(فصل) أجمع العلماء على ان الاذان لايكون الا بعد دخول الوقت في سائر الصلوات وكذلك في الصبح بعد طلوع الفجر حتى قالت طائفة منهم من أذن للصبح قبل الفجر فانه يعيد الأذان مرة أخرى بعده وهو مذهب الثوري رحمه الله وذكر ثابت عن الحسن قال كان اذا سمع المؤذن بليل قال علوج تباري الديوك تباريا وهل كان الاذان على عهد محمد صلى الله عليه وسلم الا بعد مايطلع الفجر وأجازت طائفة من العلماء الاذان بالليل وهو قول مالك رضي الله عنه وجماعة كثيرة من العلماء وحجتهم قول النبي عليه الصلاة والسلام ان بلالا ينادي بليل فكلوا واشربوا حتى ينادي ابن أم مكتوم قوله في الحديث علوج يصفهم بالجهل ولم يكونوا علوجا وهذه اللفظة كثيرا مايستعملونها اذا جهلوا الرجل كما قال سفيان رحمه الله ورأى قوما يزدحمون على جنازة فقال علوج يتنافسون في حمله ولا يتنافسون في عمله انتهى

(فصل)

(فصل) وتقدم اللدود وان رسول الله صلى الله عليه وسلم لد كان ذلك في مرضه حين تمادى به وجعه حتى غمر واجتمع اليه نساء من نسائه أم سلمة وميمونة ونساء من المسلمين منهن اسماء بنت عميس وعنده العباس وأجمعوا على أن يلدوه وقال العباس تلدنه قال فلدوه فلما أفاق رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من صنع هذا بي قالوا يارسول الله عمك قال هذا دواء أتى به نساء جئن من نحو هذه الارض وأشار نحو أرض الحبشة قال ولم فعلتم ذلك فقال عمه العباس خشينا يارسول الله أن يكون بك ذات الجنب فقال ان ذلك لداء ما كان الله ليعذبني به لا يبقى في البيت أحد الا لد الا عمي فلقد لدت ميمونة وانها لصائمة لقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم عقوبة لهم بما صنعوا به كذا وقع في السير وجاء في البخاري من طريق عائشة رضي الله عنها قالت لددناه في مرضه فجعل يشير الينا أن لاتلدوني فقلنا كراهية المريض للدواء فلما أفاق قال ألم أنهكم أن تلدوني فقلنا كراهية المريض للدواء فقال لايبقى أحد في البيت الا لد وأنا أنظر الا العباس فانه لم يشهدكم قلت وهذا للنبي صلى الله عليه وسلم لانه علم ان الله لم يبتله بذلك الداء وأما غيره فجائز له كيف وقد قال عليه الصلاة والسلام ان خير ماتداويتم به الحجامة والسعوط واللدود والمشي

(فصل) وتقدم لدومنه في القرآن وتنذر به قوما لدا وهو ألد الخصام جاء في التفسير أي كاذب القول قيل نزلت في الاخنس بن شريق ونزل فيه أيضا ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم الى زنيم وليس الزنيم الذي يعرفه الناس قال بعض العلماء ما كان الله ليعير أحدا بنسبه في الدنيا وانما هو كما قال الحسن رضي الله عنه الزنيم اللئيم الضريبة أي الطبيعة وقال غيره الزنيم المعروف بالشر كما تعرف الشاة بزنمتها ويقال شاة زنمة وهو ماتعلق عند حلوق المعزى وقد تقدم تفسير العتل انه الغليظ الجافي والله أعلم ونزل في الاخنس أيضا ويل لكل همزة لمزة وفي الحديث من لفظ الالد ماروت عائشة رضي الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال أبغض الخلق الى الله الالد الخصم

(فصل) وتقدم لد اسم بلد وهو مذكور في حديث الدجال حين يبعث الله عز وجل عيسى بن مريم عليه السلام فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق وذكر الحديث بطوله وفيه فيطلبه حتى يدركه بباب لد فيقتله يعني المقتول الدجال لعنه الله

(فصل) تقدم في حرف الذال من الحديث والنخل قد ذللت رواه مالك رضي الله عنه

في الموطأ من طريق عبد الله بن أبي بكر رضي الله عنهما ان رجلا من الانصار كان يصلي في حائط له بالقف واد من أودية المدينة في زمن الثمر والنخل قد ذللت فهي مطوقة بثمرها فنظر اليها فأعجبه ما رأى من ثمرها ثم رجع الى صلاته فاذا هو لا يدرى كم صلى فقال لقد أصابتني في مالي هذا فتنة فجاء عثمان بن عفان رضي الله عنه وهو يومئذ خليفة فذكر له ذلك وقال هو صدقة اجعله في سبيل الخير فباعه عثمان بخمسين ألفا فسمي ذلك الخمسون وروى الخمسين قال بعض أشياخي رحمه الله هنا كلاما هذا معناه ألستم تعرفون أنتم في من سها في صلاته الا سجد قبل السلام أو بعد السلام وأما أن يفعل أحد مثل ما فعل الانصاري فلا أليست سنة ينبغي ان تتبع فان قلت لم يكن ذلك في زمن النبي صلى الله عليه وسلم فتكون سنة فقد اعترى مثل هذه القصة لابي طلحة الانصاري كان يصلي في حائط فطار دبسي فطفق يتردد ويلتمس مخرجا فأعجبه ذلك فجعل يتبعه بصره ساعة ثم رجع الى صلاته فاذا هو لا يدرى كم صلى فقال لقد أصابتني في مالي هذا فتنة فجاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له الذي أصابه في حائطه من الفتنة وقال يا رسول الله هو صدقة لله فضعه حيث شئت فهذا بمحضر النبي صلى الله عليه وسلم ولو كره ذلك لرده وقال أمسك مالك واسجد سجدتين ليس الامر كذلك لكل مقام مقال ولكل زمان رجال وأبو طلحة هذا رضي الله عنه هو المتصدق بأحب أمواله اليه بيرحاء لما أنزل الله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون فأمضاه وساعده عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ذلك مال رابح وقد تقدم وأذكر في هذا الخبر الذي فيه ذكر الدبسي رسالة كتب بها الفقيه الخطيب يصف لطف غلاته وكان الخارص قد ظلمه فيها تالله ما شغلت عن الصلاة قط انسيا الا من الجهة الاخرى ولا منعت عن مطارة دبسيا الى هلم جرا بل لو رزق الله الفيل جناحا وطار في اكنفها غصونا لما لقي الا براحا ولكان عن مباشرتها مصونا في كلام عجيب طويل انظره في التكميل

قوله دبسيّ هو طائر صغير قيل هو ذكر اليمام

(فصل) وتقدم لواذا وفي التنزيل قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا نزلت فيمن كان من المنافقين يتسلل من بين المسلمين عن حفر الخندق وكان الرجل من المسلمين اذا نابته النائبة من الحاجة التي لا بد له منها يذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم ويستأذنه في اللحوق لحاجته فيأذن له فاذا قضى حاجته رجع الى ما كان فيه من عمله رغبة في الخير واحتسابا له ففي ذلك نزل انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله واذا

كانوا

كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه الآية في المؤمنين وقال في المنافقين قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا الآية وكان حفر الخندق في شوال سنة خمس من الهجرة النبوية عمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده ترغيبا للمسلمين في الاجر وقد تقدم انه كان ينقل معهم التراب حتى وارى التراب شعر بطنه وعمل فيه المسلمون وأبطأ عنه رجال من المنافقين وجعلوا يورون بالضعف في العمل ويتسللون الى أهليهم بغير علم ولا اذن من النبي صلى الله عليه وسلم كما تقدم وكان المسلمون يرتجزون والنبي صلى الله عليه وسلم يقول معهم وكان معهم رجل اسمه جعيل فسماه النبي صلى الله عليه وسلم عمرا وكانوا يقولون

سماه من بعد جعيل عمرا * وكان للبائس يوما ظهرا

فاذا مروا بعمرو قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرا واذا مروا بظهر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ظهرا وفي الخندق ظهرت من النبي صلى الله عليه وسلم آيات ومعجزات منها ان ابنة بشير بن سعد وهي أخت النعمان بن بشير قالت دعتني امي عمرة بنت رواحة فأعطتني حفنة من تمر ثم قالت لي أي بنية اذهبي الى أبيك وخالك عبد الله بن رواحة بغدائهما قالت فأخذتها وانطلقت بها فمررت برسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا التمس أبي وخالي فقال تعالي يا بنية ما هذا الذي معك قالت قلت يا رسول الله هذا تمر بعثتني به أمي الى أبي بشير بن سعد وخالي عبد الله بن رواحة يتغديان قال هاتيه قالت فصببته في كفي رسول الله صلى الله عليه وسلم فما ملأهما ثم أمر بثوب فبسط له ثم رمى بالتمر عليه فتبدد فوق الثوب ثم قال لانسان اصرخ في أهل الخندق ان هلم الى الغداء فاجتمع أهل الخندق عليه فجعلوا يأكلون منه وجعل يزيد حتى صدر أهل الخندق عنه وانه ليسقط من اطراف الثوب ومثل هذا اعترى لجابر بن عبد الله في الخندق أيضا ذبح شويهة غير سمينة وشواها وصنع معها شيئا من خبز هذا الشعير ثم جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك وقال أحب ان تنصرف معي الى منزلي قال وأنا أريد أن ينصرف معي رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده قال فلما أن قلت له ذلك قال نعم ثم أمر صارخا فصرخ ان انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بيت جابر قال فقلت انا لله وانا اليه راجعون قال فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقبل الناس معه قال فجلس وأخرجناها اليه قال فبرك وسمى الله ثم أكل وتواردها الناس كلما فرغ منهم قوم

معجزات ظهرت في حفر الخندق

قاموا وجاء ناس فأكلوا حتى صدر أهل الخندق عنها ومثل هذا ما خرج أبو نعيم
الحافظ رحمه الله عن واثلة بن الاسقع قال حضر رمضان ونحن فى الصفة فصمنا
فكنا اذا أفطرنا أتى كل رجل منا رجل فأخذه فانطلق به فعشاه فأتت علينا ليلة
لم يأتنا أحد فأصبحنا صياما ثم أتت القابلة علينا فلم يأتنا أحد فانطلقنا الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فأخبرناه بالذى كان من أمرنا فأرسل الى كل امرأة من
نسائه يسألها هل عندها شئ فما بقيت امرأة منهن الا أرسلت تقسم ما أمسى فى بيتها
ما يأكل ذو كبد فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اجتمعوا فدعا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال اللهم انا نسألك من فضلك ورحمتك فانهما بيدك لا يملكهما
أحد غيرك فلم يكن الا ومستأذن يستأذن فاذا شاة مصلية ورغف فأمر بها رسول
الله صلى الله عليه وسلم فوضعت بين أيدينا فأكلنا حتى شبعنا فقال لنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم انا سألنا الله عز وجل من فضله ورحمته وقد ذخرلنا عنده رحمته
وعن واثلة أيضا قال كنت من أصحاب الصفة فشكا أصحابى الجوع فقالوا يا واثلة
اذهب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستطعم لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فذهبت فقلت يا رسول الله ان أصحابى يشكون الجوع فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم يا عائشة هل عندك من شئ قالت يا رسول الله ما عندى الا فتات خبز قال
هاتيه فجاءت بجراب فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بصحفة فأفرغ الخبز
فى الصحفة ثم جعل يصلح الثريد بيده وهو يربو حتى امتلأت الصحفة قال يا واثلة
اذهب فجئ بعشرة من أصحابك وأنت عاشرهم فذهبت فجئت بعشرة من أصحابى
وأنا عاشرهم فقال اجلسوا وقولوا بسم الله خذوا من حوالها ولا تأخذوا من
أعلاها فان البركة تنحدر من أعلاها فأكلوا حتى شبعوا ثم قاموا وفى الصحفة مثل
ما كان فيها ثم جعل يصلحها بيده وهى تربو حتى امتلأت الصحفة ثم قال يا واثلة
اذهب فجئ بعشرة من أصحابك فجئت بهم فقال اجلسوا فجلسوا فأكلوا حتى شبعوا
ثم قال اذهب فجئ بعشرة من أصحابك فذهبت وجئت بعشرة ففعلوا مثل ذلك
فقال هل بقى أحد فقلت نعم عشرة قال اذهب فجئ بهم فجئت بهم فقال اجلسوا
فجلسوا فأكلوا حتى شبعوا ثم قاموا وبقى فى الصحفة مثل ما كان ثم قال يا واثلة اذهب
بها الى عائشة وقريب من هذه القصة حديث أم سليم رضى الله عنها اذ أرسلت الى
النبى صلى الله عليه وسلم أقراصا من شعير فجاء الى بيتها بالناس فأكلوا من تلك

الاقراص

الاقراص بعد أن آدمته فدخل عشرة وخرج عشرة حتى شبعوا كلهم والقوم
سبعون رجلا أو ثمانون رجلا خرجه مالك رضى الله عنه فى الموطأ وأغرب من هذا
ما خرجه مسلم رحمه الله عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال تزوج رسول الله صلى الله
عليه وسلم فدخل بأهله قال فصنعت أمى أم سليم حيسا فجعلته فى تور فقالت يا أنس
اذهب بهذا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقل بعثت بهذا اليك أمى وهى تقرئك
السلام وتقول ان هذا منا قليل يا رسول الله قال فذهبت بها الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقلت ان أمى تقرئك السلام وتقول ان هذا لك منا قليل يا رسول الله فقال
ضعه ثم قال اذهب فادع لى فلانا وفلانا وفلانا ومن لقيت وسمى رجالا قال فدعوت
من سمى ومن لقيت قال فقلت لانس كم عدد كنتم قال زهاء ثلثمائة قال وقال لى
رسول الله صلى الله عليه وسلم هات التور قال فدخلوا حتى امتلأت الصفة
والحجرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليتحلق عشرة عشرة وليأكل كل
انسان مما يليه قال فأكلوا حتى شبعوا قال فخرجت طائفة ودخلت طائفة حتى
أكلوا كلهم فقال يا أنس ارفع فرفعت فما أدرى حين وضعت كان أكثر أو حين
رفعت ومن كتاب الحلية أيضا عن واثلة رضى الله عنه قال كنت من فقراء المسلمين
من أهل الصفة فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فقال كيف أنتم بعدى اذا
شبعتم من خبز البر والزيت وأكلتم ألوان الطعام ولبستم أنواع الثياب فأنتم اليوم
خير أم ذاك قال فقلنا ذاك قال بل أنتم اليوم خير قال واثلة فما ذهبت بنا الايام حتى
أكلنا ألوان الطعام ولبسنا أنواع الثياب وركبنا المراكب وخرج أيضا أبو نعيم
عن أبى ثعلبة الخشنى رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر حديثا
طويلا آخره فان من ورائكم أياما الصبر فيهن مثل قبض على الجمر للعامل فيها مثل أجر
خمسين رجلا يعملون مثل عمله قال وزاد فى غيره يا رسول الله أجر خمسين منهم قال أجر
خمسين منكم وأبو ثعلبة هذا كان يقول انى لأرجو أن لا يخنقنى الله كما أراكم
تخنقون عند الموت قال فبينما هو يصلى فى جوف الليل قبض وهو ساجد فرأت ابنته
ان أباها قد مات فاستيقظت فزعة فنادت أمها أين أبى قالت فى مصلاه فنادته فلم
يجبها فأتته فوجدته ساجدا فحركته فوقع لجنبه ميتا * ومن معجزاته صلى الله عليه
وسلم حديث أم معبد رضى الله عنها الذى حدث به حبيش بن خالد رضى الله عنه
صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرج

قوله مرملين أي نفد زادهم

من مكة مهاجرا الى المدينة هو وأبو بكر ومولى أبي بكر عامر بن فهيرة رضي الله عنهما ودليلهما الليثي عبد الله بن الاريقط مروا على خيمتي أم معبد الخزاعية وكانت امرأة برزة جلدة تحتبي بفناء الخيمة ثم تسقي وتطعم فسألوها تمرا ولحما ليشتروا منها فلم يصيبوا عندها شيئا من ذلك وكان القوم مرملين فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى شاة في كسر الخيمة فقال ما هذه الشاة يا أم معبد قالت شاة خلفها الجهد عن الغنم قال هل لها من لبن قالت هي أجهد من ذلك قال أتأذنين لي ان أحلبها قالت نعم بأبي أنت وأمي ان رأيت بها حلبا فاحلبها فدعا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ومسح بيده ضرعها وسمى الله تعالى ودعا لها في شأنها فتفاجت عليه ودرّت واجترت ودعا باناء يربض الرهط فحلب فيه ثجا حتى علاه البهاء ثم سقاها حتى رويت وسقى أصحابه حتى رووا وشرب آخرهم ثم أراضوا ثم حلب فيه ثانيا بعد بدء حتى امتلأ الاناء ثم غادره عندها وبايعها وارتحلوا عنها فقلما لبثت حتى جاء زوجها أبو معبد يسوق أعنزا عجافا تساوكن هزالا مخاخهن قليل فلما رأى أبو معبد اللبن عجب وقال من أين لك هذا اللبن يا أم معبد والشاء عازب حيال ولا حلوب في البيت قالت لا والله الا انه مر بنا رجل مبارك من حاله كذا وكذا قال صفيه لي يا أم معبد قالت رأيت رجلا ظاهر الوضاءة أبلج الوجه حسن الخلق لم تعبه ثجلة ولم تزر به صعلة وسيما قسيما في عينيه دعج وفي أشفاره وطف وفي عنقه سطع وفي صوته صحل وفي لحيته كثاثة أزج أقرن ان صمت فعليه الوقار وان تكلم سماه وعلاه البهاء أجمل الناس وأبهاه من بعيد وأحسنه وأجمله من قريب حلو المنطق فصل لا نزر ولا هذر كأن منطقه خرزات نظم يتحدرن ربعة لا يأس من طول ولا تقتحمه عين من قصر غصن بين غصنين فهو انضر الثلاثة منظرا وأحسنهم قدرا له رفقاء يحفون به ان قال أنصتوا لقوله وان أمر تبادروا الى أمره محفود محشود لا عابس ولا مفند قال أبو معبد هو والله صاحب قريش الذي ذكر لنا من أمره ما ذكر بمكة ولقد هممت بان أصحبه ولأفعلن ان وجدت الى ذلك سبيلا فأصبح صوت بمكة عاليا يسمعون الصوت ولا يدرون من صاحبه وهو يقول

جزى الله رب الناس خير جزائه * رفيقين قالا خيمتي أم معبد
هما نزلاها بالهدى فاهتدت به * فقد فاز من أمسى رفيق محمد
فيالقصي ما زوى الله عنكم * به من فعال لا تجاري وسودد

لهن

لهن بني كعب مقام فتاتهم * ومقعدها للمؤمنين بمرصد
سلوا أختكم عن شاتها واناءها * فانكم ان تسألوا الشاة تشهد
دعاها بشاة حائل فتحلبت * عليه صريحا ضرة الشاة مزبد
فغادرها رهنا لديها لحالب * يرددها في مصدر ثم مورد

فلما سمع ذلك حسان بن ثابت الانصاري رضي الله عنه جعل يجاوب الهاتف وهو يقول في ذلك

لقد خاب قوم غاب عنهم نبيهم * وقدس من يسري اليهم ويغتدي
ترحل عن قوم فضلت عقولهم * وحل على قوم بنور مجدد
هداهم به بعد الضلالة ربهم * وأرشدهم من يتبع الحق يرشد
وهل يستوي ضلال قوم تسفهوا * عمايتهم هاد به كل مهتد
لقد نزلت منه على أهل يثرب * ركاب هدى حلت عليهم بأسعد
نبي يرى ما لا يرى الناس حوله * ويتلو كتاب الله في كل مسجد
وان قال في يوم مقالة غائب * فتصديقها في اليوم أو في ضحى غد
ليهن أبا بكر سعادة جده * بصحبته من يسعد الله يسعد
ويهن بني كعب مكان فتاتهم * ومقعدها للمؤمنين بمرصد

قلت هذه بعض المعجزات والآيات البينات

وكم له من مثلها وكم وكم * ومن يطيق عدها الا كم

وقال أيضا
وكم له من آية من ذا المثال * ومن يطيق عدها عدّ الرمال

فرغ بعض ما فتح الله من الكلام على ما في الباب من النكت ولو تتبعت لكانت أطول فلنقتصر على هذا ولنأخذ في غيره ان شاء الله تعالى من الشرط المعروف من ذكر ملح القوافي والحروف

خرجت من شئ الى غيره * من جيد ما مثله جيد
وكله علم ومن حقه * مهما يجئ فاجبذه يا سيد

وقلت أيضا
خرجت من شئ الى غيره * والقول بعضا بعضه يجبذ
لكنه علم ومن حقه * مهما يجئ يؤخذ ولا ينبذ

وقلت أيضا
خرجت من شئ الى غيره * لكن من علم لعلم جديد

من كل فنّ فيه حتى انتهى القول الى ذكر الحميد المجيد

وبعده ذكر النبى الرضى * محمد فافخر به يا مريد
وكل من يسمع تأليفنا * يقول يا قارئ هل من مزيد

وقلت أيضا

خرجت من شئ الى غيره * أكثر من علم لعلم لذيذ
أحلى لدى الطالب ذى النبل من * لحم سمين مع خبز السميذ
وان تشا أيضا فقل فيه من * قرص حوارى وعجل حنيذ
ومن نمير الماء عند الظما * لا أرتضى ذكر حلال النبيذ

(باب الالف مع الراء وأختها)

وأرّ وآر وأر وأز * وآز وأز وزل ورل

أرّ أما أرّ ففعل ماض من قولهم أر الرجل المرأة يؤرّها أرّا اذا جامعها فهو آرّ فاذا كثر ذلك منه قالوا مئر قالت ليلى بنت الحمارس * بات به علا نطا مئرا * العلانط الغليظ الشديد وقولها بلت به كانه أتيح لها أو قضى لها يقولون لئن بلات به لتبلن بالاسد وربما قالوا فى أرّ آر بالهمز يئر قال الشاعر

ولا غروان كان الاعيرج آرها * فما الناس الا آير ومئير

ومن هذا الشكل أر أمر من أرى يرى قال الله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام رب أرنى أنظر اليك قال ابن عباس رضى الله عنهما رب أرنى أعطنى ذكره البخارى ويقرأ أرنى بسكون الراء وقال حكاية عن ابراهيم واسماعيل عليهما السلام وأرنا مناسكنا وقال رب أرنى كيف تحيي الموتى * ومن شكله أيضا أرّ تارك من قولهم أرّيت النار تأريةً ذكيتها وأرّه أيضا بمعنى أثبته قال * لا يتأرى لما فى القدر يرقبه * أى لا يتثبت ولا يحتبس وفى الحديث أن رجلا شكا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأته فقال اللهم أرّ بينهما يريد ثبت الود ومكنه والله أعلم والآرىّ من هذا وهو محبس الدابة ومربطها مأخوذ من تأرّيت بالمكان اذا أقمت فيه وقيل فى الآرىّ انه المعلف يقال الدابة تأرى الى الدابة تنضم اليها تأكل معها فى معلف واحد وتأرت الدابة تأرية ومنه قول بعض النخاسين جاءت هذه الدابة من آرىّ ثلاثة وربما كذب * ووقع فى البخارى قيل لابراهيم ان بعض النخاسين يسمى آرىّ خراسان وسجستان فيقول جاء أمس من خراسان وجاء اليوم من سجستان فكرهه كراهية شديدة * أذكرنى هذا الخبر رسالة كتب بها الىّ الخطيب أبو محمد عبد

الوهاب رضى الله عنه يذكر فيها قول بعض النخاسين اشترواهذه الاتان فبالامس أقبلت من سجستان وعليها عكم تمر وأبو عمرو فى كلام جميل أنظره فى التكميل ووزن آرىّ فاعول وجمعه أوارى قال * الا الاوارىّ لأيا ما أبينها * وقال الاوار ليس من هذا هو حر النار والشمس ويكون فى الجوف من العطش ويستعمل فى الحب قال الشاعر

اذا وجدت أوار الحب فى كبدى * أقبلت نحو سقاء القوم أبترد
هذا بردت ببرد الماء ظاهره * فمن لحر على الاحشاء يتقد

وقد تقدم من قاله وأما الارة فهو مستوقد النار وهى الحفرة وتجمع على أرين وفى الرفع أرون قال كعب بن مالك * ويوم له وهج دائم * شديد التهاول حامى الارينا * طويل شديد أوار القتال * البيت والارة فى غير هذا من قولهم أريت الشئ اذا عملته ومنه الارى وهو عمل النحل وفعلها ثم سمى العسل أريا لهذا وأنشد

وله طعمان شرى وأرى * وكلا الطعمين قد ذاق كل

فالأرى العسل والشرى الحنظل وقال الشاعر

وجاؤا بمزج لم ير الناس مثله * هو الضحك الا أنه عمل النحل

والضحك هو الزبد الابيض وهو أيضا الطلع حين ينشق تشبه الاسنان به لبياضه وتراصفه وقد تقدم * ويقال أرت النحل تأرى أريا اذا عملت العسل وأرت القدر التزق بأسفلها شئ من الاحتراق مثل شاطت وأرى صدره وغر ويحتمل أن يكون أرى هنا بمعنى ورى على مذهبهم فى ابدال الواو بالهمزة وسيأتى ورى ومن شكل ارة ارة جبل أحمر من جبال تهامة يقابل قدسا وقدس جبل العرج قال خالد بن عامر

أربخاص دون ارة بدنا * نواعم كالغزلان مرضى قلوبها

وقد ذكر فى الحديث قدس فيما كتب به رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وحيث يصلح الزرع من قدس * والارار ما يؤر به الراعى رحم الناقة اذا انقطع ولادها والار ارار
فعله وهو أن يأخذ غصن قتادة فيضرب به الارض حتى يلين ثم يبله ويذر عليه ملحا مدقوقا ويؤرّ به رحم الناقة حتى يدميها وان جعلت الواو أصلية قلت وأر على وزن فعل تقول وأره يئره وأرا اذا أفزعه * ومن شكله وار موقد النار على وزن قاض اسم فاعل من ورى يرى فهو وار وقد تقدم ومثله وار للجمل المكتنز شحما الكثير لحما

وقد تقدم الشاهد عليه بقوله

لم يخل فى ليل ولا نهار * من نحر وار واقتداح وار

أز وأما آر بالمد فاسم الفاعل وأز بالقصر للمصدر اذا رفعته كما تقدم * وأما از فمن الازيز
وهى الحركة الشديدة الازعاج يقال أز يؤز أزا فهو آز وهذه هى الالفاظ المذكورة
فى البيت يقال أزت القدر اذا اشتد غليانها والمصدر من هذا أز كما تقدم ويقال
ازاز وأزيز قال رؤبة

لا يأخذ التأفيك والتحزى * فينا ولا قول العدا ذو الأز

التأفيك من قولهم أفك الرجل عن الطريق اذا ضل وفى التنزيل يؤفك عنه من
أفك أى يطرد عنه وانى يؤفكون أى يصرفون والتحزى مأخوذ من الحازى وهو
الكاهن ويجمع على حزاء * وفى الحديث وكان هرقل حزاء ينظر فى النجوم والأز
أيضا وجع يأخذ فى عرق أو خراج والرجل مؤتز أى يجد أزا من الوجع ومن
الازيز الحديث المروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان يصلى ويسمع لصدره
أزيز كأزيز المرجل من البكاء وتقول أززت الرجل أزا اذا حملته على الشئ
وأزعجته اليه وفى التنزيل تؤزهم أزا أى تزعجهم الى المعاصى ازعاجا وتسوقهم
وأصله التحريك كما تقدم فيما مضى

معكوس البيت

وراء وراء وراء ورا * وزاء وراء وزل وزل

هذا البيت كما ترى مصنوع مرفوع لكن شرحه مرفوع ويكاد أن يكون كلاما
مفهوما معربا وراء وراء معطوف على الحروف التى فى البيت قبله وراء ورا
وراء وراء يكون معناه وناظر وراء ولد ابن ابن على ما يفسر * أما راء الاول
فحرف من حروف المعجم وسيأتى الكلام عليها فى آخر الباب ان شاء الله تعالى
وأما راء الثانى فشجر معروف قال أبو حنيفة هو من أغلاث الشجر ويكون مثل
قامة الانسان وله خيطان يعنى قضبان وزهر أبيض يحشى منه المخاد فيكون
كالريش لخفته ولينه لانه كالقطن وأنشد

ترى ودك السديف على لحاهم * كمثل الراء لبده الصقيع

وواحده راءة وتصغيره رويئة وفى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دخل
الغار هو وأبو بكر رضى الله عنه أنبت الله على بابه الراءة وأما راء فاسم فاعل من رأى

قال

قال الشاعر * فربك راء ما عملت وسامع * ورا أيضا من الشكل اذا كتبته
كذا واجتزيت بالمد كما اجتزيت فى راء بالهمز عن حرف آخر * ومستقبل رأى
يرى وربما قالوه على الاصل يرأى قال الشاعر * ومن يتمنى العيش يرأى ويسمع *
وعلى هذا قرئ ألم ترأ الى ربك وألم تر كيف لأن الاصل ترأى كما تقدم فلما
رأرأ حذفت الهمزة للتخفيف بقى تر * ومن مضاعف هذا الباب رأرأ السراب ورأرأت
المرأة بعينها برقت وفى التكميل من هذا * أرى راى راءراى * أرى راء رأرآ
وهذا البيت مفسر فيه مع مالى ولغيرى من هذا النوع من البديع مما هو مذكور
تزأزأ فى كراسة البديع من التكميل * ومن مضاعف الزاى تزأزأت من الرجل تزأزؤا
ورا اذا تصاغرت له وفرقت منه وأما ورى ففعل والواو فيه أصلية وكتبته بالالف وكتابته
بالياء أصح وسيأتى تفسيره بعد وانما صنع به فى البيت ما رأيت لاقامة الشكل وقد
يجوز فى الشعر أكثر من هذا وكتابة ذوات الياء بالالف جائز فى غير الشعر فكيف به
فيه وهو الوعر وقد قدمت لك أنه مرفوع مصنوع فانتقد ولا تنتقد وان شئت فانتقد
واستنقد وفى علمك ان لغة العرب واسعة الا من كانت معرفته شاسعة ألم تسمع
وغيرك العاجز ما قال الراجز

كافنى قلبى من البلايا * جارية مليحة الثنايا
لم ترها الارض ولا السمايا

ومن مذهبهم المأثور أنهم قالوا فى الكلام المنثور آتيه بالغدايا والعشايا وسترى
للخطيب الجليل فى التكميل من هذا المعنى فصلا جزلا استشهد فيه بهذا الرجز وغيره
قلت وأنت بذا المعقول لا بد لك أن تقول اما أرادوا بقولهم ولا السمايا اتباع
القوافى للموافقة اذ من شأنهم المطابقة واما أرادوا ولا السماء ثم طرحوا الهمزة
استخفافا ويكون ما بعدها المنادى مضمر يريدون ولا السماء يا هذا أو يا فلان وكيف
ما دارت الحال فليس هذا عندهم من المحال بل له فى ميدان كلامهم مجال ونطق به
من فصحائهم رجال وقد جاء فى الكتاب العزيز ما يقوى هذا الغرض ويشفى من المرض
وهو ما قرأ به الكسائى من قبل فى سورة النمل ألا يا اسجدوا لله على معنى ألا يا هؤلاء
اسجدوا لله كذا قاله المهدوى فى التحصيل وقال فى اعرابه انما دخل حرف النداء
هنا على الامر لأنه موضع يحتاج فيه الى استعطاف المأمور لتأكيد ما يؤمر به كما
ان النداء موضع يحتاج فيه الى استعطاف المنادى لما ينادى له ويجوز ان لا يراد

منادى ويجوز ان يراد منادى محذوف كما قال * يالعنة الله والاقوام كلهم *
فهذا على حذف المنادى انتهى كلامه رضى الله عنه قلت ومثل هذا فى الشعر
كثير قال زيد بن عمرو بن نفيل

وقلت له يااذهب وهارون فادعوا * الى الله فرعون الذى كان طاغيا

أراد ياهذا اذهب وقال غيلان * ألا يااسلمى يادارمى على البلى * وقال المازرى
رحمه الله وغيره أماقولهم انى لآتيه بالغدايا والعشايا فانما جمعت الغداة غدايا
لماضمت الى العشايا والعشايا على بابها جمع عشية كما قالوا اضحية وضحايا وجمع
الغداة على بابها غدوات ويستشهد على هذا بقول الشاعر

هتاك أخبية ولاج أبوبة * يخلط بالبر منه الجد واللعبا

فجمع الباب على أبوبة وبابه أبواب لما كان متبعا الأخبية قال ابن الاعرابى
الغدايا جمع غدية وأنشد

ألاليت حظى من زيارة أميه * غديات قيض أوعشيات أشتيه

وفى الحديث المرفوع من نوع ماتقدم ارجعن مأزورات غيرمأجورات ولولم يتبع
وأفرد لكان موزورات وكذا وقع فى المعانى للنحاس ارجعن موزورات وقال
بعد هذا قال أبوعبيد والعامة تقول مأزورات ولا وجه له لانه من الوزر ونوع من هذا
قوله عليه الصلاة والسلام مرحبا بالوفد غيرخزايا ولا ندامى فخزايا على بابه جمع
خزيان مثل حيارى جمع حيران وأماندامى فلم يرد انه جمع نديم الذى يقال منه ندمان
وانما أراد جمع نادم وبابه أن يجمع على نادمين لكن لما أتبعه خزايا جاء به على
وزنه والله أعلم * ومثله فى الحديث خيرالمال سكة مأبورة وفرس مأمورة جاء
بمأمورة على وزن مأبورة ولو أفرد لقال مؤمرة لأن اللغة المشهورة آمرها الله
بالمد فهى مؤمرة وفيه لغة أخرى أمرها الله بالقصر فعلى هذه اللغة يقال مأمورة
وتزول الضرورة قلت

ماأحسن العلم متى كنت فى * ضيق تراه عنك قد فرجا
ومن يكن واسع علم اذا * يخطئ يلق للخطا مخرجا

رجع الكلام الى ورى تقدم انه فعل ماض وهو من ذوات الياء لانك تقول
فى ماضيه وراه الله بكذا أى أصابه بداء فى جوفه حتى يبلغ رئته وتقول فى مستقبله
يرى وريا فهو مورى مشددا غيرمهموز وهو أن يدوى جوفه قال الشاعر

وراهن

العفرناة بفتح الاول والثانى وسكون الثالث بمعنى القوية

وراه

وراهن ربى مثل مافقدور يفنى * وأحمى على اكبادهن المكاويا

يريد النساء وتقول فى الامر منه رياوجل وللاثنين ريا وللجمع روا وللمؤنث
رى والاسم منه الورى بالضم يلقاله الفراء وقال يقال سلط الله عليه الورا وحمى
خيبرا وقال أبوعبيد وربا بالتسكين وأنشد * قالت له وربا اذا تنحنحا * أى تدعو
عليه بالورى كذا وقع فى كتابه تنحنحا ووقع فى موضع آخر تنخنخ لأن بعده مايدل عليه
وهو * تدعو عليه الله بالذرحرح * قلت ومازال الشيخ المسكين اذا قات بركته
وضعفت حركته تدعو عليه امرأته لاسيما ان كانت فى السن شابة وفى السمن
دابة ألم تسمع ماقال بعض الشعراء وأظنه كان من الشيوخ الكبراء

شر قمرين للكبير بعلته * اذا رأته قد توات شرته
وانتقصت بعد الشباب مرته * وهى عفرناة الشباب جنته
تدعو له الله بداء يكفته * تولغ كلبا سؤره أو تكفته
وتنتحى لحلقه فتسبته * وتدفع الشيخ فتبدو جهونه
* انامللناه وطالت صحته *

وفى الحديث من هذا لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحا حتى يريه خيرله من أن يمتلئ
شعرا * وسيأتى فى التكميل فى كراسة اللزوم لفظه فى قطعة لزومية حصرت فيها
القافية ان شاء الله تعالى * وأماوراء وراء فالواو فيهما أصلية ووراء ضد قدام
وتشبهها فى التأنيث وليس فى ظروف المكان مؤنث غيرهما يظهر ذلك فى التصغير
تقول قديديمة ووريئة قال الشاعر

قديديمة التجريب والحلم انى * أرى غفلات العين قبل التجارب

وتصغر أيضا وريه ووراء من الاضداد تكون بمعنى خلف وأمام ولذلك فسر قوله
تعالى ومن ورائهم جهنم وكذلك من ورائه جهنم لأنه مشتق من التوارى
والاستتار ومنه ورى بكذا وسيأتى بحول الله وكذلك قالوا فى قوله وكان وراءهم ملك
يأخذ كل سفينة غصبا أن معناه أمامهم وكذلك قرأها ابن عباس رضى الله عنهما
وكان أمامهم ذكره مسلم والبخارى وجاء فى الحديث من هذا ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم ذكر الحتوف التى تصيب ابن آدم وقال فى آخره ان أخطأه هذا كان
من ورائه الهرم ويستشهد على ذلك بقول لبيد الذى تقدم * أليس ورائى ان
تراخت منيتى * البيت وبقول الشاعر

عواصى الاما جعلت وراءها * عصا مريد يغشى نحورا وأذرعا

فهذا معنى أمام ألا تراه يقول يغشى نحورا واذرعا ويقال لقيته وراء فرفعه على الغاية كما تقول من قبل ومن بعد لأنه غير متمكن قال الشاعر

اذا أنا لم أومن عليك ولم يكن * لقاؤك الا من وراء وراء

ويقولون وراءك أوسع لك نصبوه بالفعل المقدر وهو تأخر وقال صاحب الغريبين زعم أبو عبيدة وأبو على قطرب أن وراء فى معنى قدام وهو من الاضداد وهذا غير محصل الا أن الأمام ضد ورا وانما يصلح هذا فى الاماكن والاوقات كقول الرجل اذا وعد وعدا فى رجب لرمضان ثم قال من ورائك شعبان جاز وان كان أمامه لأنه يخلفه الى وقت وعده ومنه قول لبيد * أليس ورائى ان تراخت منيتى * البيت وقد تقدم يريد أمامى ويكون وراء أيضا بمعنى بعد كما قال النابغة

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة * وليس وراء الله للمرء مذهب

أى ليس بعد الله وأما وراء فهو ابن الابن يدويهمز * حكى عن الشعبى وكان معه وراء
ابن ابنه فقيل له هذا ابنك فقال هو ولدى من الوراء ذكر هذا ابن دريد رحمه الله فى تفسير البيت الذى فى المقصورة له وهو

عقل الكبير من الورى * فى الصالحات من الوراء

والورى من هذا الشكل لو كان منكرا ولكن قل ما يلفظ به الا معرفا * الورى وهم الخلق قال ابن دريد ويقال ما أدرى أى الورى هو * وروى الشعبى فى قوله تعالى ومن وراء اسحاق يعقوب قال الوراء ولد الولد وقيل فى قوله تعالى وانى خفت الموالى من ورائى يعنى من قدامى كما تقدم وقيل من بعد موتى وقراءة ابن عباس خفت الموالى من ورائى قلت وموضع الموالى رفع ويروى عن ابن كثير من ورائى بفتح الياء وفسر ابن دريد الوراء المذكور فى بيته المتقدم قال الوراء أيضا يسمى الخلف ولذلك قال المهدوى فى قوله تعالى فخلف من بعدهم خلف قال خلف من بعدهم أبناؤهم والخلف يستعمل للواحد وأكثر منه وللمذكر والمؤنث وأكثر ما يستعمل فى الذم بتسكين اللام وفى المدح بفتحها وقيل ان الخلف مشتق من خلف اللبن اذا طال مكثه حتى يفسد ومنه تخلف فم الصائم اذا تغير ريحه وقيل خلف من بعدهم خلف النصارى بعد اليهود والخلف الردىء من القول وفى مثل سكت ألفا ونطق خلفا أى سكت عن ألف كلمة ثم نطق بالخطأ وقيل الخلف

بالتسكين فى الوجهين يقال فلان خلف سوء وخلف صدق قال حسان بن ثابت

لنا القدم الأولى اليك وخلفنا * لأولنا فى طاعة الله تابع

فهذا الخلف الممدوح ومن الخلف المذموم قول لبيد

ذهب الذين يعاش فى أكنافهم * وبقيت فى خلف كجلد الأجرب

وقال الخطابى يقال فلان خلف صدق من أبيه وخلف سوء من أبيه متحركة اللام فهما فاذا لم يذكروا خيرا ولا شرا قالوا فى الخير خلف بالتحريك وفى الشر خلف بالتسكين والخلف ما أتى بعد السلف وفى الحديث يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله قال بعض أهل العلم ومن رواه باسكان اللام فقد أزال الخبر عن جهته وأحال فى معناه لأن النبى صلى الله عليه وسلم انما أراد مدح حملة العلم ولم يرد ذمهم قال ثابت رحمه الله والخالفة من الناس الذى لا خير فيه قال أبو حاتم سمعت عمارة ابن عقيل يقول كان فى أهل جرير مائة وخمسة بين رجل وامرأة يقولون الشعر ولم يكن للفرزدق الا ابن خالفة * وعما لم يتزن وهو من الشكل وزأ تقول وزأت اللحم وزأ أيبسته ووزأت القربة ملأتها وتوزأت من الطعام امتلأت ووزى مقصور تدخل عليه الالف واللام فتقول الوزى وهو القصير كذا فسره ابن دريد فى قوله

ومدضبعى أبو العباس من * بعد انقباض الذرع والباع الوزى

وأبو العباس هذا هو أحمد بن عبد الله بن ميكال وبقى ايضا ورى فعل من التورية التى هى التغطية يكتب بالياء على الاصل وبالالف للضرورة يقال وريت الخبر أوريه تورية اذا سترته وأظهرت غيره قال أبو عبيد لا أراه الا من وراء الانسان لأنه اذا قال وريته فكأنه جعله وراءه وقال غيره جعل التبيين وراءه وفى الحديث منه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد غزوة ورى بغيرها وقد تقدم مثال ذلك ومن هذا الباب ورى الزند لغة فى ورى وتقول ورى فيهما اذا خرجت ناره قاله ابن عزيز فان عكست هذه اللفظة جاء منها ارو أمر من روى يروى فى العلم وارو زيدا من العلم والماء وارو أنت لأنه من روى يروى * ويأتى من مقلوبه راو فيما وار من ورى الزند وفى الحديث اذهب فوار أباك

(مقلوب البيت ألف بين حرفين)

وزار وزار ورازورار * وزار وراز وذل وذل

زار وهذا البيت أيضا كما تراه موصول معلول لم أجد من هذا الشكل لاجل قلته
الا ما تراه بعد هذا مذكورا بعلته وبه كمل البيت واتزن نعوذ بالله من الحزن * أما زار
فعلوم من الزيارة وليس فيه ما يحتاج الى تفسير أكثر من انهم يستعملون زار
فى الصحة وعاد فى المرض وشاهد ذلك قول بعضهم * أعائدا جئت أم زائرا * والاسم
من زار زور وسيأتى الكلام عليه مع أشكاله * ومن شكله زار" بالتشديد من الزر
وهو العض وسيأتى وقد بنى من ذا الوزن ألفاظ مثل شار" وضار" وغيره قال الاصمعى
وسأل أبو الاسود الدؤلى عن رجل ما فعلت به امرأته التى كانت تشاره وتهاره
وتزاره وتماره ذكر هذا الخطابى رحمه الله وفسر تشاره من الشر وتهاره من الهرير
زار وتزاره من الزر وتماره من معنى تلوى عليه ومنه الشئ الممر" وهو المفتول وأما زار
فاسم فاعل من زرى يزرى وازدرى يزدرى اذا استحقر الشئ واستخف به وفى
القرآن العزيز ولا أقول للذين تزدرى أعينكم ولابن شرف من البديع بيتان من
غير خلط فيهما ان زار زار ولى من قطعة لزومية

أو يزدرى بالناس يا ويحه * ما جاء فيه لو درى ما ازدرى

انظر قطعتى فى القافية المبدلة من التكميل وبيتى ابن شرف فى كراسة البديع منه
راز وأما راز فمن قولك رزت الشئ اذا خمنته وقدرته لتقف على حقيقته والمصدر منه
روز وسيأتى مع زور ان شاء الله تعالى ومنه رأز البناء مهموز وهو الذى يقيس به
وجمعه رازه وأما زارة بتقديم الزاى فهى الاجمة ذات الحلفاء والماء قاله (ع) وأما
رار رار براءين فهو من نعت المخ المباع يقال مخ رار ورير قال الشاعر

لو كنت ريحا كنت زمهريرا * أو كنت مخا كنت مخا ريرا

زار
راز والرير بفتح الراء وتسكين الياء الماء الذى يخرج من فى الصبى وأما زار فهى اللفظة
التى أخبرتك أن البيت معلول بسببها ولأمر أتيت بها وكذلك راز التى بعدها
فلا تعدها على خطأ ولا تعدها غلطا أردت أن أستخرج منهما علما فاحلم حتى
تسمعه كلما والا فعندى البدل فدع الجدل أردت بزار زأر من الزئير وهو صوت
الاسد وترديده فى حلقه يقال زأر يزأر زأرا وزئيرا فهو زائر ويقال أيضا
تزأر بالتشديد على وزن تفعل فلما لم يتزن زأر أسقطت الهمزة للضرورة كما
أسقطوها فى الراس والباس فان قلت هذه الهمزة هنا ساكنة وفى زأر متحركة
قلت قد قرأ نافع وابن عامر سال سايل والباقون سأل بالهمز على أن يكون معناهما

جميعا

جميعا من السؤال والسائل هنا هو النضر بن الحارث بن كلدة حين قال اللهم ان كان
هذا هو الحق من عندك الآية وأما من جعل سال من السيلان بغير همز فعلى بابه
وسايل عنده واد فى جهنم أعاذنا الله منه وهى قراءة ابن زيد وغيره وقرأ ابن عباس
سال سيل وهذا ان شاء الله ليس فيه باس اذ أمن الالباس لانك اذا قلت زار الاسد
لم يشبه زار الولد وكذلك اذا قلت سال اليوم الوادى لم يشبه سال القوم أولادى
ومن مذهب العرب حذف الهمزة راسا ولا أرى به باسا ألا ترى ان ابن محيصن
قرأوا استبرق بغير همز وكذلك قرأوا ائتيتم احداهن قنطارا بالحذف أيضا
وقالوا المحسن زيدا وما جل عمرا وقالوا سحاق وقالوا سامة يريدون أسامة واسحاق
وقال الشاعر * ان لم أقاتل فالبسونى برقعا * انظر هذا كله فى التحصيل للمهدوى
وانظر فيه أيضا قراءة من قرأ واذا الموودة سالت وسيلت وأغرب من هذا قراءة
الاعمش واذا المودة على وزن المروة قلت وهب الشعر بيت الضرورة فما تقدم
أى ضرورة دعته اليه لو لم يكن ذلك جائزا عندهم على أن الشاعر قد كان يمكنه أن
يقول * ان لم أقاتل ألبسونى برقعا * ويتزن البيت وتزول الضرورة وفى
الفصل بعد هذا نوع منه آخر ولا يعجب من هذا قد يفعلون ضد ما تقدم يهمزون
ما لا أصل له فى الهمز قرأ أبو أيوب السختيانى غير المغضوب عليهم ولا الضألين بهمز
موضع الالف بغير مد قال صاحب التحصيل هو مذهب لبعض العرب يقولون
دأبة وشأبة ومأدة وعليه قول كثير * اذا ما العوالى بالغبيط احمأرت * يفعلون
ذلك فرارا من التقاء الساكنين فيحركون الالف فتنقلب همزة وقال الآخر

وبعد انتهاض الشيب من كل جانب * على لمتى حتى اشعأل بهيمها

يريد اشعال والعلة واحدة وأما راز الآخر فلى فيه جواب حاضر أردت رازئ وهو
اسم فاعل من رزأ يرزأ اذا أصاب من مال غيره شيئا وفى الحديث فلم يرزأ حكيم
أحدا شيئا حتى مات ويقال فلان مرزأ اذا كان كريما يصاب منه وهو بالهمز
وتركته أنا تخفيفا كما تقدم على مذهب العرب فى تركهم الهمز من وسط الكلمة
ومن أولها فضلا عن آخرها وقد جاء فى الحديث غير مهموز خرج الخطابى رحمه
الله فى تفسير حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لبنى العنبر لولا ان الله
لا يحب ضلالة العمل ما رزينا كم عقالا كذا رواه رزينا كم قال وترك الهمز لغة
قريش قال أبو الفتح قد حذفوا الهمزة وان كانت أصلا قالوا خذ ومر وكل

وويله وذن لا أفعل وجايجى وسايسو قال الشاعر

وكان حاملكم منا ورافدكم * وحامل المين بعد المين والالف

أراد المئين والألف فحذف الهمزة وحرك اللام ضرورة قلت وقد قيل قار فى قارئ وقد كنت أحفظ فى ذلك شعرا آخره كاه قار ذهب عنى الآن وماقبله ومابعده يدل على أنه من القراءة كما يدل اذا كان من القرى الذى هو طعام الضيف وقال حسان رضى الله عنه

ورهنت اليدين عنهم جميعا * كل كف لها جزء مقسوم

اراد جزأ وباب جزء وهزؤ وكفؤ تسهيل الهمز وابداله بغيره وحذفه مشهور مذكور وكذلك ردأ ورئيا ومن أغرب البدل ماقيل فى قوله تعالى موئلا قرئ فى الشاذ مويلا بالياء وموّلا بواو مشددة وقد نسبوا الرازى الى الرى على غير قياس أرأيت لو اضطر شاعر الى حذف الياء منه ألم يقل راز ويلحقه بباب قاض وغاز وان كان معتلا كما قالوا فى قوله تعالى الا من هو صال الجحيم ان الياء حذفت منه كما حذفت من بالة فى قولهم باليت به بالة والاصل بالية وقد تقدم القول فى ألم تر كيف والله أعلم بكتابه وأنا قد اعتذرت عن هذا الحرف وصاحبه وقد أفادك والحمد لله علما ان قنعت به وان لم تقنع فاجعل زار الذى هو عوض زأر مصدر زار مسكنا ولا يسكن ولا ينكسر البيت كما قال النابغة * ولا قرار على زأر من الاسد * واجعل عوض راز الذى هو رازى راز البناء الذى تقدم وأنا الآمر لك أن تدع طريق الناس وتقول مافيه الباس وانما ذكرت ماذكرت لتعلم وتفهم ماربما لم تكن تفهم وتعلم وترك العتب كله أسلم وصلى الله على النبى وسلم ويأتى من مقلوب هذا الباب أزر وأرز وماشاكله ويجتمع منها عشرة ألفاظ سأسوقها بعد الكلام على الزور الموعود به

(مقلوب البيت أيضا الحرف بين ألفين)

لم أجد من هذا القبيل ماياتلف منه بيت غيرانى وجدت منه ألفاظا ستة لاتدخل فى الوزن فسقتها للفائدة منها أرى فعل حال تخبر به عن نفسك وهو على ضربين رؤية قلب ورؤية عين فرؤية القلب هى العلم ورؤية العين هى الابصار ومثله أرى بهمزة التعدية تقول أرى زيد عمرا كذا وكذا قال الله تعالى من بعد ما أراكم ماتحبون وفى أرأيت لغات منهم من لا يهمز الالف وهى قراءة الاكثر ومنهم من يهمز فيقول أرأيت ومنهم من يقول أريت بغير ألف قال الشاعر

أريتك اذ منعت كلام ليلى * أتمنعنى على ليلى البكاء

وقد قالوا ريت قال الشاعر

صاح هل ريت أو سمعت براع * ردّ فى الضرع ماقرى فى الحلاب

ويروى فى العلاب ومن شكل أرى أرى تقول أرى الامر كذا بمعنى أظن * ومن شكله آراء جمع رأى ويجمع على أرآء * ومن شكله ازاء ممدودة اسم وهى من ظروف المكان تقول قعدت ازاء زيد كما تقول حذاءه وتلقاءه وفى الحديث من هذا ان موسى عليه السلام قعد بازاء الحوض أو عند ازائه ذكره الخطابى رحمه الله وقال ازاء الحوض مصب الماء وأنشد * يبادر الحوض الى ازائه * وقال امرؤ القيس

فرماها فى فرائصها * بازاء الحوض أو عقره

وقد تقدم عقر الحوض انه مؤخره من قول أبى عبيدة ويقال لما بين العقر والازاء عضد الحوض ومن شكله أزى مقصور فعل بمعنى تقبض وقصر ذكره ابن دريد فى مقصورته قال * وظله القالص أضحى قد أزى * وفسره بما تقدم فهذه تلك وان أردت أن تزيد فانصب بعض ألفاظ البيت الاول المرفوعة مثل أرا وأزا وشبهه تكن كهذه فى الشكل بمل هذا وكنت وعدتك بالكلام فى زور فها أنا أرجع اليك بعد كم دور وهذه اللفظة أيضا يجتمع منها أشكال فى بعضها اشكال فاذا فسرت يسرت قد تقدم ان لفظة زور راسم من زار وأصله من الميل والانحراف وفى التنزيل وترى الشمس اذا طلعت تزاور عن كهفهم أى تميل ولذلك سمى الزائر لأنه يميل الى المزور ومثله المضيف ضفت الى كذا ملت واستندت اليه يقال للواحد والاثنين والجماعة والمذكر والمؤنث زور وجاء فى الحديث ان لنفسك عليك حقا ولزورك عليك حقا الحديث قال البخارى رحمه الله يقال هو زور وهؤلاء زور لأنها مصدر مثل قوم رضى وعدل وغور يقال ماء غور ومياه غور وبئر غور الغائر الذى لاتناله الدلاء انتهى كلامه رحمه الله وفى التنزيل قل أرأيتم ان أصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين وقال غيره يقال رجل زائر وقوم زور وزوّار مثل سافر وسفر وسفار ونسوة زور وزور مثل قوم ونوح وزائرات والزور بالتحريك الميل وهو مثل الصعر والزور فى صدر الفرس دخول احدى الثهدتين وخروج الاخرى يقال للرجل أزور وللمرأة زوراء وبهاز ورأى ميل اذا كانا كذلك وقد تقدم * سلم ترى الدالى منه أزورا * وسيأتى البيت اللزومى الذى

آخره من ذوى زور ومن شكل أزور ازورّ بمعنى نفر وتباعد ومصدره ازورار وسيأتى والزور أيضا الصدر قال الشاعر

أصبر من ذى ضاغط عركرك * ألقى بوانى زوره للمبرك

يصف الجمل وقد تقدم ومن قاله فى قافية الحاء فى تفسير قافية البيت وقيل الزور الوسط من الصدر ومقدمه وجمعه أزوار ومن أسماء الصدر الحيزوم وقيل غيره والبرك والبركة والجران ومنه قول على فى أبى بكر الصديق رضى الله عنه استخلف أبو بكر فأقام واستقام واستخلف عمر رضى الله عنه فأقام واستقام ثم ضرب الدين بجرانه والمرة الواحدة من الزيارة زورة ومنه قول الشاعر * قد زرتنا زورة فى الدهر واحدة * وزورة بضم الزاى موضع بالحيرة قال الشاعر

كأن لم يكن يوما بزورة صالح * وبالقصر ظل دائم وصديق

وذكر أبو عبيد قول الشاعر

وماء وردت على زورة * كمشى السبنتى يراح الشفيفا

وفسره قال يروى على زورة وزورة بالفتح أجود من الازورار والسبنتى النمر والشفيف الريح الباردة ويراح يجد الريح وسيأتى الازورار بعد ان شاء الله تعالى ومن شكل زور زور وفى التنزيل والذين لا يشهدون الزور قال الضحاك يعنى الشرك وقال ابن مسعود الغناء وقال مجاهد الكذب وسئل عنه ابن عباس رضى الله عنهما فقال هى أعياد المشركين فقيل أوما هو فى شهادة الزور فقال لا انما آية شهادة الزور ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا ويقال للزور الزون وهو كل شئ يعبد ويتخذ ربا من دون الله تعالى ويقال فلان ماله زور ولا صيور أى رأى يرجع اليه وقيل الزور كل كذب وخنا وسفه فالمعنى لا يشهدون كل مشهد يكون فيه ذلك وقال محمد بن على شهادة الزور ومعناه لا يشهدون الشهادة الزور وفى حديث من قول النبى صلى الله عليه وسلم حين ذكر الكبائر ألا وقول الزور وشهادة الزور ألا وقول الزور وشهادة الزور فما زال يقولها حتى قلنا ليته سكت وفى رواية حتى قلنا لا يسكت والزور أيضا الشعر الذى تصل به الواصلة شعرها كذلك سماها رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكره عنه معاوية رضى الله عنه حين أخذ كبة من شعر فخطب الناس فذكره وقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الواصلة والمستوصلة يعنى الفاعلة والمفعولة بها ذلك والزور أيضا

الثوب

الثوب الذى يدلس به كما جاء فى الحديث المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبى زور ومن شكله زوّر اذا أتقن الشئ وهيأه ومنه قول عمر رضى الله عنه يوم سقيفة بنى ساعدة وكنت زوّرت فى نفسى مقالة أعجبتنى ومن شكله روز تقديم الراء مصدر راز الشئ يروزه روزا اذا خبره وقد تقدم وأنشدنى الفقيه أبو محمد عبد الحق انفسه قطعة فيها ولا تزن نفسك فى دفعه * فالمرء قد يخطئ فى روزه

وكان قد حصر فيها القافية وزاد فيه الخطيب بيتا وأنا آخر انظرها فى القافية المبدلة من التكميل ومن هذا أو قريب منه الازورار وهو التباعد ومنه ما أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عبد الله بن رواحة رضى الله عنه رأيت فى سريره ازورارا عن سريرى صاحبيه رضى الله عنهم وسيأتى خبره ان شاء الله تعالى مع قول الشاعر * صدود الخدود وازورار المناكب * ومن هذا النوع الزوراء تأنيث الأزور وقد تقدم والزوراء أيضا موضع السوق بالمدينة شرفها الله تعالى وذكر البكرى ان الزوراء اسم يقع على عدة مواضع منها بغداد وسماها معرفة بالالف واللام قال وأما زوراء معرفة بغير ألف ولام فهى زوراء دار بالحيرة كانت للنعمان سميت بذلك لميلها وزوراء اسم القوس ومنه قول امرئ القيس * عارض زوراء من نشم * وكان للنبى صلى الله عليه وسلم قوسان احداهما يقال لها الصفراء والأخرى الزوراء والزوراء أيضا اسم مال كان لأحيحة بن الجلاح الانصارى وفيه يقول الشاعر

انى أقيم على الزوراء أعمرها * ان الكريم على الاخوان ذو المال

والزوراء أيضا البئر البعيدة القعر قال الشاعر

اذ تجعل الجار فى زوراء مظلمة * زلخ المقام وتطوى دونه المرسا

والزوراء أيضا الارض البعيدة والزوراء القدح قال النابغة

وتسقى اذا ما شئت غير مصرد * بزوراء فى حافاتها المسك كانع

وقال ابن الاعرابى انما أراد بزوراء مكوكا مستطيلا من فضة يشربون فيه ويأتى من مقلوب زور وزر ووزر ووزر وسيأتى الكلام عليه (فصل قد تقدم فى أوّل الباب) أر وأز ومعلوم ان كل حرف مشدد حرفان أدغم الاول فى الثانى فاذا لم يدغم فى مثل أز ظهر وجاء منه أزز وهذا يتيسر فيتفسر فلنذكر الازز وما أشبهه ونفسره حتى نقول سبحان الذى يسره اجتمع من هذا الشكل ألفاظ مشهوره لم تزن فبقيت منثوره

أزز منها ازز المتقدم وازز وهو من نعت الضيق يقال بيت ازز ضيق قال الشاعر
* واجتمع الاقوام فى بيت ازز * ويقال أيضا بيت ازز بالفتح اذا امتلأ ناسا
وجاء منه فى الحديث فدفعنا الى المسجد فاذا هو بأزز أى بجمع كثير أى قد غص بهم
لكثرتهم وصحفه بعض الرواة فقال فاذا هو بأرز وليس بشئ ولا معنى له ويروى فاذا
المسجد يتأزز يقال ازز البيت اززا فهو أزز تشبيها بالازيز وهو صوت المرجل
أرز كما تقدم ومنها ارز وهو شجر معلوم واحدها ارزة وفى الحديث من هذا مثل
المنافق مثل الارزة قال أبو عمرو هى الارزة مفتوحة الراء وهو شجر معروف بالشام
يقال له الارز واحده ارزة وهو الذى يسمى بالعراق الصنوبر وانما الصنوبر ثمر
الارز فسمى الشجر الصنوبر من أجله والارز أيضا مصدر أرز وسيأتى ووقع
فى كتاب العين والارزن شجرة يقال لها الارز قال الزبيدى والنون زائدة فيه ومما
قيل فى الارزن

انى وجدك لا أقضى الغريم وان * حان القضاء وان رقت له كبدى
الا عصا ارزن * البيت وقال الآخر
أعددت للضيفان كبا ضاريا * عندى وفضل هراوة من أرزن

وسيأتى البيت وحكايته وفى مثل هؤلاء يقال لا جرم اذلبوا من أهل الكرم ومنها
آزر آزر اسم رجل قال الحسن والسدى آزر اسم أبى ابراهيم عليه السلام وقيل كان له
اسمان آزر وتارخ وفى التنزيل واذ قال ابراهيم لأبيه آزر يقرأ كذا وهو المشهور
ويكون بدلا من أبيه فى موضع جر اذا جعلته اسما ومن جعله لقبا بمعنى مخطئ
جعله نعتا كأنه قال لأبيه المخطئ ويقرأ آزر بالضم وهى قراءة جماعة من الصحابة
منهم أبى وابن عباس رضى الله عنهم ومعناه على ما قال الفراء هى صفة ذم بلغتهم
كأنه قال يا مخطئ وقيل معنى آزر يا أعوج ومعنى ابراهيم أب رحيم وقرأ ابن عباس
أأزرا بهمزتين تتخذ بغير ألف نصبه باضمار فعل تقديره أتتخذ أزرا فمن جعله
اسم صنم وهو قول مجاهد ويجوز أن يكون مشتقا من الازر الذى هو الظهر أى
العون والقوة فيكون مفعولا من أجله كأنه قال أللقوة تتخذ أصناما آلهة وقرأ أبو
أرز اسماعيل الشامى أأزرا تتخذ بمعنى وزرا أبدلت الواو همزة ذكر معنى هذا كله
المهدوى رحمه الله ومنها أرز ومعناه انقبض وانضم يقال أرز يأرز أرزا ويقال أرزت
ليلتنا تأرز أريزا الاريز البرد الشديد وأنشد * يوم شمال بارد الاريز * وجاء

فى

فى الحديث ان الاسلام ليأرز الى المدينة كما تأرز الحية الى جحرها قال أبو عبيدة
قال الاصمعى قوله يأرز أى ينضم اليها ويجتمع بعضه الى بعض فيها وأنشد لرؤبة يذم
رجلا * فذاك بخال أروز الأرز * يعنى انه لا ينبسط للمعروف ولكنه ينضم بعضه
الى بعض ومثله ما قال أبو الاسود الدؤلى ان فلانا اذا سئل أرز واذا دعى اهتز أو قال
انتهز شك الراوى يعنى اذا سئل المعروف تضام واذا دعى الى الطعام أو غيره مما يناله
اهتز قال زهير بآرزة الفقارة لم يخنها * قطاف فى الركاب ولا خلاء
يعنى الناقة والآرزة الشديدة المجتمعة بعضها الى بعض ذكر هذا أبو عبيدة وقال
ثابت زعم بعض العلماء ان فى الأرز معنى لم يتنبه له أبو عبيدة قال الأرز أن تدخل
الحية الجحر على ذنبها فآخر ما يبقى منها رأسها فيدخل بعد وكذلك الاسلام خرج من
المدينة فهو ينكص اليها حتى يكون رأسه آخره نكوصا كما كان أوله خروجا قال وانما
تأرز الحية على هذه الصفة التى وصفنا اذا كانت خائفة وأما اذا كانت آمنة فهى
تبدأ برأسها فتدخله وهو الانجحار قلت قد فرغ هذا وأزيدك هنا فائدة أخرى
من شكل تأرز الحية الذى هو فعل تارز اسم فاعل من ترز الا ان التاء فى هذا أصلية
وفى تأرز الحية زائدة لأنه فعل تقول ترز الرجل اذا مات ويبس والتارز اليابس
بلا روح وأنشد * كأن الذى يرمى من الوحش تارز * وقد أترزه الله وفى بيت امرئ
القيس من هذا

بمجلزة قد أترز الجرى لحمها * كميت كأنها هراوة منوال

أى أذهبه الله وأيبسه ومنه قيل خبزتك تارزة أى يابسة ذكر هذا أيضا ثابت رحمه
الله فى تفسير قول مجاهد رحمه الله لا تقوم الساعة حتى يكثر التراز وفسره موت
الفجأة ومنها ارز مشدد وهو هذا الحب الصغير المعدود فى القطنية وهو الذى تدعوه
العامة الرز وفيه ست لغات ليس فيها واحدة من قول العامة وهى ارز كما تقدم وارز
مخففا مثل رسل وارز بفتح الالف وأرز بتسكين الراء ورز بغير ألف ورنز بنون
وقال الراجز فى المشدد منها

تفقأت شحما كما الأوز * من أكلها الهط بالأرز

والهط طعام ارز وماء وهو معرب ومنها أزر ومعناه عون من قوله تعالى أشدد به
أزرى أى عونى وظهرى ومنه قوله تعالى فآزره وقرأ ابن ذكوان فأزره بغير مد
ومعناه فأعانه وقواه يقال أزرت فلانا على الامر أى قويته عليه وكنت له فيه ظهرا

وخص الظهر لأن القوّة فيه ومن هذا الوزير لأنه يقوى أمر الملك ويعينه على مصالح الرعية ويحمل عنه ثقله ومنه سمى الظهر أزرا لأنه موضع الثقل والازر أيضا معقد الازار قاله (ع) ومنها ازر وأزر مخفف منه جمع ازار وفى الحديث من قول النبى صلى الله عليه وسلم أزرة المؤمن الى نصف ساقيه والازار مايشد على الحقوين وهما موضع الحجزة من السراويل وربما سمى الازار حقوا وجمعه حقى وحقاء وفى الحديث فألقى الينا حقوه وفسر فى الحديث يعنى بحقوه ازاره سمى بذلك لمجاورته ذلك الموضع من الانسان وكان عثمان بن عفان رضى الله عنه يأتزر الى أنصاف ساقيه ويقول هكذا كانت أزرة صاحبى يعنى النبى صلى الله عليه وسلم ثم اتسعت العرب فى ذلك حتى كنوا به عن العفة وترك الريبة كما قال الشاعر * والطيبون معاقد الأزر * يعنى الفروج المغطاة بالازر ثم اتسعوا أيضا فى ذلك حتى كنوا عن العفة بالثياب فقالوا فلان نقى الثياب وفلان دنس الثياب وقد تقدم هذا ثم اتسعوا وزادوا حتى سموا المرأة ازارا كما قال الشاعر لعمر بن الخطاب رضى الله عنه

ألا أبلغ أبا حفص رسولا * فدا لك من أخى ثقة ازارى

يسأله أن يحفظ له امرأته وكان غائبا عنها فى غزاة وقال ابن قتيبة وذكر البيت يعنى بالازار البدن أى النفس ثم قال ويكون الازار الأهل ولعمرى ان تفسيره بالأهل والمرأة أحسن وتسمية المرأة بالازار أليق لان الحاجة منها انما هو موضع الازار وهو ضرب حسن من الكناية وقد قال الله تعالى هن لباس لكم وأنتم لباس لهن قالوا فى التفسير كل واحد من الزوجين يستتر بصاحبه فيما يكون بينهما من الجماع والله أعلم بتأويل كتابه * وذكر ابن اسحاق فى تفسير حديث بيعة النبى صلى الله عليه وسلم للانصار بيعة العقبة قال لهم تبايعونى على ان تمنعونى مما تمنعون منه نساءكم قال فأخذ البراء بن معرور بيده فقال نعم والذى بعثك بالحق لنمنعنك مما نمنع منه أزرنا * ومنها ازر بمعنى وزر كما تقدم فى قراءة من قرأ ازرا تتخذ على مذهب من فسره بالوزر أراد وزرا تتخذ فأبدل الواو بالهمزة وهذا مشهور عندهم قالوا اشاح ووشاح واساد ووساد وقد تقدم هذا وشبهه ومنها ارز الجراد اذا غرز أذنابه فى الارض ليبيض وسيأتى فى باب رزأ لانه يقال فيه رزأ أيضا * ومنها مايتصرف من أفعال بعض الالفاظ مثل أزر بفلان أمر من أزرى يزرى الفعل الرباعى يكون من هذا مفتوح الالف ومثل ارزأ أمر من رزأ الثلاثى ومثل ازز من الأز

وازر

وأزر عمرا بالازار كما تقول رده بالرداء وما أشبه ذلك مما ان طلب وجد وربما بقيت ألفاظ لا أدريها ويدريها غيرى وفوق كل ذى علم عليم

أخرجت شيئا بابنى للوجود * ما ان ترى غيرى عليك به يجود
أعنى به تأليفه فهو الجديد * أما مضمن علمه فمن الجدود
فاشدد به كفيك كالرجل الشديد * واحفظه فهو الرأى والقول السديد
واعمل بصالح ماتراه به تسود * وتعز من بين الورى بيض وسود

لما فرغت من تفسير هذه الاشكال وأزحت عنها بحمد الله الاشكال رأيت انها لم تأتلف الا من الراء والزاى والالف فأردت ان أصنع بسائر ازواج حروف المعجم مثل هذا فلم يتصرف منها ماتصرف من الراء والزاى ولم أجد من هذا القبيل الا القليل مثل أفق وأفق السماء فعلمت ان هذين الحرفين أعنى الزاى والراء أكثر فى الكلام من تمامه مع انهما فى المخارج يختلفان ولا يأتلفان اللهم الا انهما يشتبهان فى الصوره وانهما من الحروف المجهوره فعزمت على ان أجمع بينهما فى الكلام ولا أخلط معهما غيرهما فى النظام لا ألفا ولا غيره مثل زر ورز فوجدت من ذلك عشر كلمات منتظمات الشكل مؤتلف والمعنى مختلف وليس ذلك لغيرهما والاقس بهما فغايته ماتجد ذلك فى بعض الازواج دون بعض كالجيم والحاء فى مثل جح أنت وجح زيد وجح متقبل وجح زيد عمرا من الجحة فان قدمت الجيم قلت جح وتبدل الحاء بخاء فتقول جخ وقد تقدم تفسيره فى بابه لكن ذلك قليل وفى مثل القاف والفاء كقولك فى الامر قف وفى المضعف قف شعرى وقف موضع وما أشبه ذلك وسيأتى تفسيره فى بابه وكله لا يبلغ عدد كلمات الراء والزاى ولا نصفها وأما الدال والذال فلم أجد فيهما الا ذد فلانا عن الحوض وأما غيرهما فلا قليل ولا كثير مثل العين والغين والطاء والظاء وغير ذلك وربما فيه من لغة شاذة لا أدريها وهذا كله فى الحرفين معا وأما فى حرف واحد فلم يوجد منه فى الكلام غير دد وهو اللهو وسيأتى تفسيره وآء شجر وليس بحرفين وسيأتى أيضا وقالوا ببه وليس أيضا حرفين من أجل التضعيف وقد زيد فيها أيضا هاء السكت فقيل ببه أو تاء ان قيل ببة وهو لقب رجل وسيأتى أيضا الكلام على هذه اللفظة فى آخر هذا الباب ان شاء الله تعالى ولا تلتفت الى قول العامة زز فانها ليست عربيه وان كانت هذه اللفظة عندى مرويه * قد تقدم فى أوّل الكتاب بروايتى

عن الحافظ قولهم الحديث عز فى عز والفقه خز فى خز والكلام زز فى زز ولعل قائل هذا خاطب قوما هذه اللفظة فاشية عندهم ولطابقتها أيضا الفقر التى قبلها ولم يقلها التعلم وتستعمل وسترى فى التكميل فى هذه اللفظة كلاما مسطورا منظوما ومنثورا وانما تقول العرب عوض هذه اللفظة صفع قفاه وزخ ووجأ وقد تقدم بجأ فى عنقها وتقدم أيضا الشعر الذى رويته عن الحافظ رحمه الله * واذا ما أبى صفعت قفاه * البيت وقال الحافظ أبو محمد * وزخ كف الجهل فى قفاه * على ان بعض أهل اللغة قال الصفع كلمة مولدة سمى الرجل بها صفعان وأصل الزخ الدفع زخه يزخه زخا اذا دفعه وربما كنى به عن النكاح وروى عن امير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه

أفلح من كانت له مزخه * يزخها ثم ينام الفخه

قال ابن دريد رحمه الله وقد ذكر القسم الاوّل وهذا شئ لا أقدم على الكلام فيه انظر ورعه رضى الله عنه وقد فعل ذلك فى أشياء كثيرة قال صاحب كتاب العين زخ المرأة نكحها وزخة الرجل ومزخته زوجته وزخ ببوله اذا مده وزخ بنفسه اذا وثب ويقال زخ يزخ زخيخا والزخيخ بريق الجمر والحر وللفقيه أبى محمد رحمه الله فى المزخة والفخة كلام عجيب طويل انظره فى التكميل *(فصل)*

ولما كانت الراء والزاى من سائر اخواتهما بمعزل ونزلتا منى أعز منزل أردت ان اذكر منهما الآن بعض ما وقع فى القرآن أشرف بذلك كتابى والى الله مآبى فلما شرعت فى ذلك وجدتهما على أنواع ذواتى افتراق واجتماع فالمفترقتان ما حال بينهما حائل والمجتمعتان ما التصقتا التصاق الانامل مثال المجتمعتين تقدم الراء فتقول رزقكم رزقا وتقدم الزاى فتقول زرعا وزرقا تدخل بينهما حرفا وتقدم الراء فتقول رمزا وركزا وتقدم الزاى فتقول زبرا وزمرا وزهرة وزجرة وتجعل الحرف قبلهما وتقدم الراء فتقول جرزا وبرزا وتقدم الزاى فتقول وزرو وزر وقد تجتمع الراآن فى كلمة واحدة بغير واسطة فى مثل أقررتم وأقررنا وبواسطة فى مثل حريرا وزمهريرا وقطريرا وتقول فى الزاى بغير واسطة فعززنا بثالث وتعززوه على قراءة من قرأه بزاءين وبواسطة مثل عزيز وزحزح وغير ذلك مما لم اذكر ولم أشترط ان أحصر وسأفسر لك هذه الالفاظ وأتكلم على ما فيها من العوائد فى فصل الفوائد بحول الله وقوته وهذا بعض ما فى القرآن وأما فى لفيف الكلام

وتخفيف

وتخفيف هذا الالتزام فما لا ينضبط بزمام ولا يرتبط لامام بل هو بحر والسلام ولعمرى لقد أردت أن أجمع ذلك فأحصره وأحرزه فأبرزه فطال فيه المقال وآل الى الملال وكانت قد انثالت علىّ الالفاظ ولست من الحفاظ حتى كثر العديد ولم يدر خراش ما يصيد فقلت عند ذلك أخزى الله الترك ما يقم هذا الا الترك ثم انى أجممت نفسى بهذه العدة مدّه وأردت أن أمدّه وأحدّه ورجعت عن ذلك الخاطر ثم شجعت نفسى وجعلت أخاطر حتى وقعت فى باب براز وقزاز وانتهيت الى عزاز ونزاز فدت أوكدت وأنكرت ما ذكرت واستغفرت ربى وتبت ومحوت ما كتبت ثم انى خشيت أن تكون السبة بى لاتطه فسقت منها ما كان بغير واسطة ولا رابطه وقلت

وجدت ذالك أقله * وبالحرا أن أقله
فاحفظه فهو يسير * واقبله لا تستقله
فانه العلم فاشدد * به يديك وقل له
أهلا بمن قد أتانى * من بطن وادو قله

اجتمع لى من هذا النوع بين معكوسه ومستقيمه وتصريفه وتقويمه العشر الكلمات المذكورات فى الاوّل فعلها وعلى تفسيرها المعوّل فتلقها باليمين فانها العلق الثمين واعرف للمؤلف قدر ما جمع من هذه اللمع ومن كم ديوان لقطها وكم من لذة نوم من عينه بسببها أسقطها وادع له بالتوب من الحوب وبالعفو من الهفو واعلم انى أردت بما تقدم قبل من الكلام الهزل تنشيطك لما يأتى بعده من الجزل فانشط لما يأتى من القول فى كلماتى وهى

زرّ وزر وزرّ وزرّ وزر * ورز ورز ورز رز ورز

أما الزر فواحد الازرار وهو شبه العقدة تدخل فى العروة تشد بها الاطواق فى الاعناق وهو مستعمل فى غير هذه البلدان وأكثر ما يكون ذلك للولدان وقد كان لقميص رسول الله صلى الله عليه وسلم زر وبه سمى الرجل زرا وزر السيف حده ومنه قول هجرس بن كليب فى كلامه * أما وسيفى وزريه ورمحى ونصليه وفرسى واذنيه لا يدع الرجل قاتل أبيه وهو ينظر اليه ثم قتل جساسا وكان قد قتل أباه وزر أيضا زر القلب وهو عظم صغير به قوامه قاله الازهرى ومنه حديث سلمان رضى الله عنه يقول فى على رضى الله عنه انه لعالم الارض وزرها الذى تسكن اليه تقول

من ذلك زررت القميص أزره زرا وأزررته زرا وازرارا لغتان فصيحتان ذكرهما أبو عبيدة وأجازهما أبو زيد ويقال زررته شددت أزراره وأزررته جعلت له زرا ورأيت فى حاشية الكتاب وأحسبه مشتقا من الضيق كأنه يزرّ على العنق أى يعضها وأما زر فأمر من هذا الفعل تقول زر قميصك وازرره وجاء منه فى الحديث وازرره ولو بشوكة وزر أيضا مابنى من هذا الفعل لما لم يسم فاعله تقول منه زر القميص فى العنق اذا شد وأما زر ففعل وهو العض كما تقدم يقال زر الحمار أتنه اذا عضها وطردها يزرها زرا وأنشد * بلبيته من زر الفحول كدوح * واللبت صفحة العنق وهما اللبتان ويجمع على لبتة مثل ديك وديكة وفيل وفيلة وقد جاء منه فى الحديث أصغى ليتا ورفع ليتا وأما زر فمصدر هذا الفعل وهو الشل والطرد والعض كما تقدم وهو الطعن أيضا وأما زر فأمر من الزيارة وفى الشهاب زر غبا تزدد حبا * ومن مضاعفه زرزور لهذا الطائر المعروف وقال صاحب العين طائر يزرزر انتهى كلامه وجمعه زرازير ومنه فى الحديث أرواح المؤمنين فى حواصل طير خضر كالزرازير يتعارفون ويرزقون من كنز الجنة كذا رأيته من كنز الجنة وأظنه من ثمر والله أعلم والزرزير نبات تصبغ به الثياب ويقال عيناه تزران اذا توقدتا ومثله تزهران هذا كله بتقديم الزاى وقدمتها على الراء لأن فيها خمس لغات يقال زاو زى وزاء وزاى وهى أفصحها * ويأتى من معكوسه رز وهو فعل تقول رز الجراد أذنابه فى الارض اذا غرزها للبيض ورزة الباب اشتقاقها من هذا تقول سمعت رز الرعد ورز القوم اذا سمعت أصواتهم وسمعت رز الفحل اذا سمعت هديره وفى حديث على بن أبى طالب رضى الله عنه من وجد فى بطنه رزا وهو يصلى فليقطع الصلاة وليتوضأ فسره أبو عبيد بالصوت غير الشديد واستشهد عليه بقول أبى النجم

كأن فى ربابه الكبار * رز عشار جلن فى عشار

وقال أبو عمرو انما هو الأرز مثل أرز الحية وهو دورانها وانقباضها ومال أبو عبيد الى القول الاوّل والله أعلم * وأما رز فهو الحب الذى يقال له الارز وهى لغة فيه وقد تقدم زار وزور بقى زير فرغ هذا بقيت تقواتى الاولى زل ورل * أما زل فمن زل

قولك زل الشئ عن الشئ اذا دحض عنه يزل ويقال يزل زللا وزلا وزليلا وزل الرجل زلة قبيحة اذا وقع فى أمر مكروه أو أخطأ خطأ قبيحا ومنه قولهم نعوذ بالله من

زلة

زلة العالم لأنه اذا زل زل بزلته خلق كثير والمزلة المدحضة عن الصخرة الملساء وما أشبهها وفى الحديث من هذا فى صفة الصراط مدحضة مزلة قال الاعشى * دون السماء يزل بالغفر * الغفر ولد الوعل والجمع أغفار وغفر وتقول زللت بالفتح تزل بالكسر ويقال أيضا زللت بالكسر تزل بالفتح وفى السير من قول عاصم رضى الله عنه * تزل عن صفحتها المعابل * يعنى القوس والمعابل السهام وفى القرآن من هذا فان زللتم أى تنحيتم عن طريق الاستقامة هو من زل لكن لما اتصل بالضمير أظهر الحرف المدغم كما تقول مر ثم تقول مررت وفى رد تقول رددت هذا قياسه الا انه يختلف فى المستقبل فما كان منه متعديا كان ثانيه مضموما مثل رد يرد ومر يمر الا ماشذ من نحو يغل من غل ويغل معا وهو قليل وما كان غير متعد كان ثانيه مكسورا نحو خف يخف الا ثمانية أفعال جاءت فيها اللغتان جميعا هى مذكورة فى أدب الكتاب قال الاستاذ رحمه الله أغفلوا هب يهب وخب يخب وجب يجب وأج يؤج اذا أسرع وقد تقدم هذا الحرف وتقول أزللت الى الرجل نعمة مثل أسديت وفى الحديث من أزلت اليه نعمة فليشكرها وفى القرآن فأزلهما الشيطان وقرأ حمزة فأزالهما بألف وفسر ابن عزيز أزلهما معناه استزلهما وأزالهما نحاهما قال يقال أزللته فزل وأزلته فزال ويقال أزال الله زواله وزال الله زواله بمعنى اذا دعا عليه بالهلاك قال الاعشى

هذا النهار بدا لها من همها * ما بالها بالليل زال زوالها

وكذلك زيل زويله أى ذهب ومات ويقال زالت الشمس تزول زوالا وزوولا وسيأتى القول فى معرفة الزوال فى الفوائد ان شاء الله تعالى من هذا الباب والازل فى غير هذا السريع تقول فرس أزل والازل من صفة الذئب لرقة مؤخره تشبه الخيل به لسرعته قال الشاعر * أزل ان قيد وان قام نصب * يقول اذا قام رأيته مشرف العنق والرأس يقال زل يزل زلا وزليلا ويقال على هذا خيل زل واغنام زل والأزل بتخفيف اللام وتسكين الزاى الضيق والشدة والحبس يقال قد أزلوا مالهم مايزلونه أزلا اذا حبسوه عن المرعى من خوف * وقد تقدم فى الحديث أزلين والازل بفتح الزاى القدم تقول كان ذلك فى الازل وسبق فى الأزل كذا أى فى القدم والازل بكسر الهمزة وسكون الزاى الكذب ذكره أبو عمرو وابن الاعرابى وقال عمرو بن دارة

يقولون ازل حب ليلى وودها * وقد كذبوا ما فى مودتها ازل

ورل وأما ورل فالواو فيه أصلية وسقته مع زل لاقامة الشكل ويقوم به أيضا معنى اذ ليس فى الكلام رل والورل حيوان ألطف بدنا من الضب وهو أشد منه وأجود سلاحا وله شحمة والاعراب يستطيبون لحم ذنبه وهو خفيف الرأس والحركات ذاهبا وجائيا ويمينا وشمالا وله براثن أقوى من براثن الضب ذكر هذا كله عمرو بن بحر تقول العرب فى أمثالها أظلم من حية وأظلم من ورل والورل أظلم من الحية لانه يأتى على الحيات كلها فيأ كلها وكل شدة يلقى ذو جحر من الحية تلقى مثل ذلك من الورل وجمعه ورلان نعوذ بالله من الظلم وأهله ونسأله السلامة من فضله القافية

زل الثانية وزل وزل * أما زل فجمع أزل الذى تقدم وزل أيضا من نعت المكان الذى فيه الدحض والزلق قال الشاعر

لمن زحلوقة زل * بها العينان تنهل

فسره أبو على فى النوادر الزحلوقة آثار تزحلق الصبيان من فوق الى أسفل قال وأهل العالية يقولون زحلوفة بالفاء وتميم يقولون زحلوقة بالقاف وجمع زحلوقة زحاليف ومنه قول الحجاج فيما كتب به الى يزيد بن المهلب أما بعد فقد بلغنى انك ركبت أمرين قبيحين وكلاهما زينه لك الشيطان وأتاك من باب الطمع والجشع والرثع فأقعدك على زحاليفه فرمى بك مرمى بعيدا أخرجه ثابت رحمه الله وفسر الجشع قال هو شدة الحرص يقال رجل جشع من قوم جشعين وجشاعى وأجشاع ومثله رجل طمع كذلك الى آخره والرثع قال هو سوء الطمع وقال هو أن يأخذ نصيبه ويشترك فى نصيب صاحبه وقال التزحلف والتزحلق والتزحلك واحد وأنشد فى الزحلوقة للكميت * وفى مقام الصبا زحلوفة زال *

زل وأما زل فأمر من زال وكما جاء من قافية البيت الاول كلام له معنى وزل ورل فكذلك قافية هذا البيت الآخر له أيضا معنى فزل وزل أى هذا موضع زل فاحذره وزل عنه القافية الثالثة قد تقدم زل جمع أزل وزل أيضا من نعت المكان الزلق فهاتان لفظتان معنى احداهما غير الاخرى اجعل كل واحدة فى قافية وتقدم انه يقال زل يزل والامر من هذا ازل يا زيد اجعل هذه مع المتقدمة وجاء منها قافية غير متكررة والحمد لله * ومن مضاعف

زلزل هذه اللفظة زلزل أصل الزلزلة والزلزال الاضطراب والحركة وفى التنزيل منه كثير وزلازل الدهر شدائده ويقال ماء زلال وزلازل اذا كان بنساغ بلا كلفة من

صفانه ومعكوس زل لز * قد تقدم انه ليس فى الكلام رل وكذلك عكسه لان اللام والراء لا يجتمعان لقرب مخرجهما الا أن يكون قبلهما حرف كما قالوا ورل وقد تقدم وقالوا أرل اسم جبل معروف كما قال فيه الشاعر

وهبت الريح من تلقاء ذى أرل * تزجى سحابا قليلا ماؤها شبما

فكون الهمزة والواو قبلهما سهل النطق بهما وكلما تباعدت المخارج كان الكلام أخف على اللسان ولذلك لا تجتمع الدال مع الزاى فى كلام العرب حتى المهندس معرب من الهنداز وكذلك الجيم والصاد حتى قالوا ان الاجاص دخيل فى الكلام قال الغنوى لا يقال الانجاص (قلت) وانما يطلبون الاخف على اللسان فينطقون به ألا تراهم لما أدخلوا الواو على الراء واللام فى ورل كما تقدم خف النطق به نعم وفتحوا الواو من أجل فتحة الراء وضموا الهمزة فى أرل من أجل ضمة الراء وقد فعلوا مثل ذلك فى كثير من الكلام للاتباع وللجوار قالوا فى الاتباع جحر ضب خرب وفى بجاد مزمل وقرئ خارج السبع الحمد لله بضم اللام والحمد لله بكسر الدال ذلك كله للاتباع ولهذه الالفاظ المذكورة هنا فى التكميل حكاية ظريفة ورسالة ظريفة وقطع من الشعر شريفة * رجع الكلام الى الراء واللام وكذلك اذا التقتا من كلمتين صعب النطق بهما أيضا كقولك مر للمسجد وهل رأيت زيدا حتى سهلوا ذلك بالادغام وعلى ذلك قوله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وقل رب احكم بالحق وشبهه على أن مر للمسجد ليس كقولك هل رأيت زيدا لان اللام تدغم فى الراء وذلك شائع وليس ادغام الراء فى اللام كذلك وقالوا فى قراءة أبى عمرو يغفر لكم بالادغام مرفوعة غير معروفة وانما هو شئ رواه القراء لا قوة له فى القياس ومن لم يدغم وقف على الكلمة الاولى قليلا ثم ابتدأ الكلمة الاخرى كما روى حفص عن عاصم أنه كان يقف على بل وقفة خفيفة ويبتدئ ران ومن صعوبة الجمع بين اللام والراء أنشد بعض أهل العربية هذا البيت مصحفا وهو هذا

عافت الماء فى الشتاء فقلنا * برديه تصادفيه سخينا

رواه كذا وفسره على غلطه فقال معنى برديه سخنيه قال وهو من الاضداد واحتج بالبيت ولم يتابع على ذلك المعنى وغلط فيه قال الذى رد عليه انما هو بل رديه من الورود وادغم اللام فى الراء كما يقرأ بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ذكر ذلك

ثابت رحمه الله وقال تقول العرب اسقنى أوبردأى ائتنى به باردا وقد تقدم ومثل هذا البيت يلغز به وشبيه به مايروى عن الاصمعى رحمه الله تعالى انه أنشد يوما الطلبته

لم ينالوا مثل الذى نلت منهم * وسواء مانلت منهم ونالوا

ثم قال لهم كيف أوجب فى آخر البيت مانفى فى أوّله فقالوا لا ندرى قال قد أجلتكم فيه شهرا فقالوا أجلتنا فيه سنة ماعلمناه فقال لهم انما هو لمى ترخيم لميا ثم قال نالوا مثل ومثله ما أنشد المعرى لنفسه

ألفت خوص المطايا ان منكرة * الف الغزال مقاليتا مقاليتا

فهذا من التجنيس المركب لان مقا بمعنى صقل وجلا من قولهم مقوت الشئ ومقيته اذا جلوته والليت صفحة العنق والمقاليت من الابل التى لا يعيش لها ولد وكذلك من النساء قال الشاعر

يظل مقاليت النساء يطأنه * يقلن ألا يلقى على المرء مئزر

يصف مقتولا وكانت العرب تقول اذا كانت المرأة مقلات و وطئت قتيلا عاش ولدها ومثل ماتقدم من اللغز قول الآخر

دنانير امن قرن ثور ولم يكن * من الذهب المضروب عند القناطر

ألغز بالدنانير وليس كذلك وانما هو دنا فعل ماض والنير الخشبة التى توضع على عنق الثور اذا قرن ومثل ماتقدم من اللغز قول الآخر

مررت على القبور فكلمتنى * وأيم الله مانطقت بحرف

انما هو كلّ متنى من الكلال الذى يعترى من التعب ومتنى ظهرى على ان هذا يحتمل ان يبقى على حاله ولا يقال فيه مركب لان القبور موضع الاعتبار فكأنها تكلم من مرّ بها بلسان الحال لا بلسان المقال وهذا جائز عند العرب كما قال عنترة

* وشكا الىّ بعبرة وتحمحم *

وللمعرى وغيره من هذا النوع كثير كقوله

أياديك عدّت من أياديك صيحة * بعثت بها ميت الكرى وهو نائم

هتفت فقال الناس أوس بن معير * أو ابن رباح بالمحلة قائم

أوس هذا هو أبو محذورة مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعير بكسر الميم مفعل من عار يعير فى الارض اذا ذهب وابن رباح هو بلال أبوه رباح وأمه حمامة رضى الله عنه ولى أيضا فى كتاب قوت القلوب أبيات أوّلها

انك

قوله خوص هو جمع أخوص وخوصاء من النوق وهى الغائرة العينين من الهزال انظر ص ١١٦ من تنوير السقط المطبوع على ذمة جمعية المعارف

انك ياقوت ابا قوت * كتبك مفروض وموقوت

انظره فى التكميل * فاذا لم يوجد رل ولا ر فليفسر زل ولزأ ما زل فقد تقدم وأما لز فمن قولك لز الشئ بالشئ لزا اذا قرن به ومنه قولهم قد لززت بى يا فلان وكل شئ دانيت به وقرنته فقد لززته قال الشاعر

أحسن بيت أهرا وبزا * كانما لز بصخر لزا

الأهر متاع البيت

وقال الراجز

وابن اللبون اذا مالز فى قرن * لم يستطع صولة البزل القناعيس

ابن اللبون الفصيل الذى أمه ذات لبن من حمل جاء بعده والبازل الذى بزل نابه أى طلع والقناعيس جمع قنعاس وهو البعير العظيم الخلق ويقال لزه لزا اذا طعنه وأجاز قوم لززت الشئ بالشئ وألززته به ولم يجزها البصريون وأجاز الاصمعى لازرته ملازة ولزازا اذا قارنته يقال خصم ملز لازم للخصومة ويقال فيه لزاز أيضا و يقال هو لزاز شر ولز شر ولزشر واللزاز لزاز الباب نطاق يلزبه أى يشد والملزز الخلق المجتمع ومن افراس النبى صلى الله عليه وسلم اللزاز مشتق من هذا وقد تقدم انه كان له سواه السكب واللحيف والمرتجز واليعبوب وفسر الخطابى منها السكب قال قال الأصمعى رحمه الله يقال فرس سكب وهو الكثير الجرى قال أبو داود

وقد أغدو بطرف هيكل ذى منعة سكب

وقال غيره السكب يشبه لونه بلون الشقائق وأنشد

* كالسكب المحمر فوق الرابية * واللزاز سمى بذلك لشدة تلززه واللحيف لكثرة سبائبه يعنى ذنبه ومن غير الكتاب سمى بذلك لحسن صهيله واليعبوب لكثرة جريه بقى الكلام على مخرج هذين الحرفين مخرج الراء من أسلة اللسان الى مقدم الغار الأعلى وهى من الحروف المزلقة والزاى مخرجه من وسطه وهو من الحروف المصمتة وهما معا من الحروف المجهورة كما تقدم وصورتهما واحدة ويختلفان فى الاسم كما تقدم تقول هذه راء فاسمها صورتها وليس كذلك الزاى لانك لا تكتبها الا بياء بعد الألف تقول هذه زاى فزيها كما قال زيد بن ثابت رضى الله عنه فى قوله تعالى وانظر الى العظام كيف ننشزها هى زاى فزيها أى اقرأ بالزاى ومخرجها من وسط اللسان ولها أختان من هذا المخرج السين والصاد الا ان السين من وسط الفم مطمئنة على ظهر اللسان ولذلك تنوب

احداهما فى الكلمة مناب الأخرى وتقوم مقامها عند طائفة من العرب يقولون صراط وسراط وزراط وقد قرئ بها ثلاثتها فى السبع فى القرآن والسين الأصل والصاد بدل منها تتفق الصاد مع الطاء فى الاستعلاء والاطباق فيخف اللفظ ونطق بالزاى فهم التتفق مع الطاء فى الشدّة والجهر وأكثر ما تقلب هذه الصاد زايا اذا كانت ساكنة مثل قولهم فلان يصدق فى قوله ويزدق وقد قرئ خارج السبع حتى يزدر الرعاء فاذا قالوا صدق وزال الاشكال قالوا ذلك بالصاد وكذلك صدر وقد جمعوا بين الصاد والزاى فى قافية قال الشاعر

كأن أصوات القطا المنغص * بالليل أصوات الحصى المنقز

كذا رويته المنغص بالصاد غير المعجمة وفى الطرة المنغض بالضاد المنقوطة وقال كاتبها وهو الوجه وسيأتى اشتراط الصاد والسين فى باب الصاد ان شاء الله تعالى

خرجت من شئ الى غيره * من أز أزا وهو فعل السرير
ثم انتهى الشرح الى قولهم * زار وزير ووزير وزير
وها أنا أذكر من بعد ذا * فوائد الباب بعون القدير

هذه قافية الراء وان ترد قافية الزاى فقل

خرجت من شئ الى غيره * من أز أزا ويجوز الازيز
ثم انتهى الشرح الى قولهم * أرض عزاز ثم شاة عزوز
وها أنا أذكر من بعد ذا * فوائد الباب بعون العزيز

* (فصل من فوائد ما تقدم) * فى الباب من الكتاب من ذلك على بركة العزيز ذكر الازيز تقدم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يصلى ويسمع لصدره أزيز كأزيز المرجل من البكاء البكاء فى الصلاة لا يفسدها بخلاف الضحك بل هو محمود فيها وفيه آثار عن الصحابة والتابعين ويكفيك من ذلك قول عائشة رضى الله عنها فى أبيها أبى بكر رضى الله عنه للنبى صلى الله عليه وسلم حين أمر أبا بكر أن يصلى بالناس ان أبا بكر رجل رقيق اذا قام فى مقامك لم يسمع الناس من البكاء وهذه كانت صفته رضى الله عنه كان اذا قرأ القرآن لم يملك دمعه ووصفه بعضهم فقال لم يزل دمعه يجرى وجسمه يجرى حتى مات رضى الله عنه وهكذا تاليه فى الفضل عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول ابن عباس رضى الله عنهما رأيته ينشج حتى اختلفت اضلاعه قال وكان جارى فكان يقوم الليل ويصوم النهار فلما ولى الخلافة

قلت

قلت لأنظرن الآن الى عمله فلم يزل على وتيرة واحدة حتى مات رضى الله عنه وكان ابنه عبد الله رضى الله عنه يبكى حتى تتب الدموع من عينيه وثبا وقال افلح رأيته طاف وجاء المقام فركع فرأيت موضع سجوده مبتلا من ماء عينيه وعن محمد بن سيرين رأيت مسلم بن يسار رضى الله عنه وقد رفع رأسه من السجود وكأن الماء صب فى ذلك الموضع * واما الحسن بن ابى الحسن البصرى رضى الله عنه فكان اذا ذكر الآخرة اوذكرت له جاءت عيناه باربع وكان اذا عاد مريضا لم ينتفع به يوما وليلة واذا شيع جنازة لم ينتفع به اهله ثلاثة أيام وقيل ليونس بن عبد الله تعلم أحدا يعمل بعمل الحسن فقال والله ما أعرف احدا يعمل بقوله فكيف بعمله قيل فصفه لنا قال اذا أقبل فكأنه اقبل من دفن حميمه واذا جلس فكأنه اسير تضرب عنقه فاذا ذكرت النار فكأنها لم تخلق الا له وروى أن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه خطب يوم جمعة فقرأ اذا الشمس كورت فلما بلغ واذا الجحيم سعرت واذا الجنة أزلفت بكى وارتج أهل المسجد بالبكاء حتى أريت ان حيطان المسجد تبكى معه والاخبار فى هذا كثيرة عن الصحابة والتابعين وتابعيهم طائفة منهم غشيت من البكاء وطائفة عميت لو جمعت أخبارهم لجاء منها دواوين والله أعلم قلت وحق ذلك لهم لأنهم كانوا متبعين يقتدى التابع بالصاحب والصاحب بالنبى صلى الله عليه وسلم * وقد تقدم بكاؤه فى الصلاة وغيرها قرأت على الحافظ رحمه الله فى كتاب الأربعين للثقفى رضى الله عنه متصلا بسنده الى عطاء رضى الله عنه قال دخلت أنا وابن عمر على عائشة رضى الله عنهم فقالت يا عبيد بن عمير مالك لا ترى فقال يا أم المؤمنين أما سمعت ما قال الأول زر غبا تزدد حبا فقال ابن عمر دعانا من باطلكما حدثينا بأعجب شئ رأيتيه من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فبكت ثم بكت وقالت أتانى فى ليلتى التى هى ليلتى فألصق جلده بجلدى ثم قال يا هذه ائذنى لى ان أتعبد لربى عز وجل فقلت انى أحب هواك وأحب قربك فقام الى قربة فى البيت فتوضأ وما أكثر صب الماء ثم قام فافتتح القراءة فبكى حتى جرت دموعه على خده ثم جلس فحمد الله وأثنى عليه فبكى حتى بلغت دموعه حجره ثم بكى حتى بلغت دموعه الارض أو أصابت الارض فجاء بلال وهو يبكى فقال بابى أنت وأمى يارسول الله ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا أكون عبدا شكورا وما يمنعنى وقد أنزل على البارحة آية ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل

والنهار حتى انتهى الى قوله سبحانك فقنا عذاب النار فويل لمن قرأها ثم لم يتفكر فيها انتهى الحديث وقد عتب الله على قوم وعابهم بقلة البكاء فقال أفمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون وقال تعالى فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا وأثنى على قوم بالبكاء فقال اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا وقرأ عمر بن الخطاب رضى الله عنه هذه الآية فسجد فقال هذا السجود فأين البكاء وروى فى الأخبار ان ابراهيم عليه السلام كان يسمع وجيب قلبه على مسيرة ميلين وأما بكاء آدم وداود عليهما السلام وغيرهما من الأنبياء فمشهور مذكور * روى ان آدم عليه السلام بكى ثلثمائة سنة وكان نبينا صلى الله عليه وسلم يتعوذ من عين لا تدمع وقال اربعة من الشقاء جمود العين وقساوة القلب وطول الأمل والحرص على الدنيا أخرجه البزار وقد رفع الله تعالى عن قوم بالبكاء الحرج والسبيل فقال عز اسمه ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ان لا يجدوا ما ينفقون فصار هذا البكاء مدحا لهم حتى كانوا يسمون البكائين تشريفا لهم وكانوا سبعة من الصحابة رضى الله عنهم أحدهم عتبة بن زيد خرج من الليل فصلى ما شاء الله ثم بكى وقال اللهم انك قد أمرت بالجهاد ورغبت فيه ثم لم تجعل عندى ما أتقوى به مع رسولك ولم تجعل بيد رسولك ما يحملنى عليه وانى أتصدّق على كل مسلم بكل مظلمة أصابنى بها فى مال أو جسد أو عرض ثم أصبح مع الناس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أين المتصدّق فى هذه الليلة فلم يقم أحد ثم قال أين المتصدّق فليقم ولا يتزاهد ما صنع فقام اليه فأخبره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبشر فوالذى نفسى بيده لقد كتبت فى الزكاة المتقبلة ذكر هذا ابن اسحاق من رواية يونس * و بنظر قول هذا المتصدّق الى قوله عليه الصلاة والسلام أيعجز أحدكم ان يكون كأبى ضمضم كان اذا خرج من منزله قال اللهم انى قد تصدّقت بعرضى على عبادك لذلك قلت عند ذكر هذه الفضائل من هؤلاء الافاضل رضى الله عنهم

تلك المكارم لا قعبان من لبن * هذى الفضائل لا تلقى بذا الزمن
كانت فاتت مع القوم الذين مضوا * انا الى الله يا لهفى و يا حزنى
مضى لنا سلف لم يقفه خلف * بل قد أتى كل خلف غير مؤتمن
يارب ياذا العلى أصلح جماعتنا * ونجنا ربنا من هذه الفتن

ياأخى انظر حلوسنا الى متى نغالط نفوسنا ألا ترى كيف كان القوم وكيف نحن اليوم هل نشبههم فى ورد أو صدر أو خبر أو مختبر أما وسيد البشر ومن أنزلت عليه السور ما اجتمعنا الا فى الصور وأما فى الافعال فقد تفرقنا شذر مذر كان أصحاب الحسن رضى الله عنه يدخلون عليه اذا الناس ناس والزمان زمان فيقول لهم ما أشبهكم بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيفرحون فيقول نعم رؤسكم ولحاكم

أما الخيام فانها كخيامهم * وأرى نساء الحى غير نسائها

وقبل هذا البيت

لا والذى حجت قريش بيته * مستقبلين الركن من بطحائها
ما أبصرت عينى خيام قبيلة * الا ذكرت أحبتى بفنائها

وقول الآخر

بالله قل لى يافتى * أنا وأنت هكذا
لا والذى السما بنى * عنى حلفت عنك لا
كان قلبى قد قسا * لا رقة ولا بكا
ولا نقى ولا تقى * بل غلظة ثم جفا
ياصاحبى مالى جزا * فى كل ذا الا العزا

وقد ذكرت هذه اللفظة اعنى الأزيز فى قطعة مطولة انظرها فى التكميل منها

هذا النبى ذنوبه غفرت له * طرا فأصبح وهو ذو قلب نقى
لكنه قد قال أخشاكم انا * منه وأعلمكم بما قد أتقى
و يقوم جوف الليل يدعو ربه * بتضرع وتخشع وتملق
ولجوفه مثل الأزيز من البكا *

الابيات وتقدّم انا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا هذه الآية نزع بها القاضى أبو بكر بن الباقلانى من أهل البصرة رضى الله عنه أرسل اليه فنا خسرو ابن الحسين ملك شيراز للمناظرة فى أصول الدين على مذهب اهل السنة مع المعتزلة فدخل مجلس الملك وقد غص بالناس فلم يجد موضعا يقعد فيه الا موضعا رآه خاليا من يمين الملك فتخطى وقعد فيه فبهت الحاضرون من جراءته مع غربته بينهم وسقط فى أيديهم وعلموا انه غالب وكان شابا فسمع واحدا من المعتزلة يقول لصاحبه سرا انى لأرى هذا الشاب حديد الذهن يتوقد ذكاء فقال له الآخر ما هو الا شيطان

فرفع القاضى صوته يقرأ ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا فعلموا أنهم قد رموا منه بداهية وكانت أول مسئلة دارت بينهم سألوه هل لله تعالى ان يكلف الخلق مالا يطيقونه فقال لهم رحمه الله ان أردتم بالتكليف القول المجرد فقد وجد وذلك ان الله تعالى قال قل كونوا حجارة أو حديدا ونحن لا نقدر ان نكون حجارة ولا حديدا وقال انبئونى بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين فطالبهم بما لا يعلمون وقال تعالى ويدعون الى السجود فلا يستطيعون فهذا كله أمر بما لا يقدر الخلق عليه وان أردتم بالتكليف الذى نعرفه وهو ما يصح فعله وتركه فالكلام متناقض وسؤالكم فاسد ولا يستحق على السؤال الفاسد جواب ثم جرت بينهم مناظرات ومسائل ظهر فيها القاضى رحمه الله على المعتزلة فدونت واتخذت أصلا والحمد لله ونشأ أبو بكر هذا يعلم العلم ويدرسه ويؤلف التآليف ولا يأخذ على ذلك شيئا من عرض الدنيا ويشترى حوائجه بنفسه فيكلمه الطلبة فى ذلك ليتحملوا عنه مؤنتها فيأبى ويقول أخاف ان يكون من بعض أجرى على تعليمى * وذكر عنه انه حسبت تآليفه وأملاآته ثم قسمت على عمره من مولده الى موته فوجد أنه يقع لكل يوم منها عشر ورقات أو نحوها وروى عنه بعض طلبته انه قال لى خمسون عاما متغربا عن أهلى وعن وطنى أطلب العلم آخذا له ومأخوذا عنى ومات آخر ذلك غريبا بالقيروان رضى الله عنه وتقدم ذكر الخلف وقول لبيد

ذهب الذين يعاش فى اكنافهم * وبقيت فى خلف كجلد الاجرب

وبعده

يتحدثون خلابة وملاذة * ويعاب قائلهم وان لم يشغب

وهذا الشعر تمثلت به عائشة رضى الله عنها وقالت فكيف بلبيد بن ربيعة لو أدرك من أنا بين ظهريه كذا رواه ثابت رحمه الله وروى وبقيت فى خلف وفى رواية له وبقيت فى نسل وفى روايتى البيت الاول بالاسناد المسلسل عن شيخى الفقيه العثمانى رحمه الله الى شيخه محمد بن ابراهيم الرازى ومنه الى غيره كذلك الى عائشة رضى الله عنها وقالت رحم الله لبيدا لو عاش الى دهرنا هذا وكذلك كان كل واحد منهم يقول رحم الله فلانا يعنى شيخه لو عاش الى زماننا هذا او بعضهم يقول لو أدرك زماننا هذا وقاله شيخى العثمانى أيضا وقلته أنا واتصل السند بالتسلسل منى الى أمى عائشة رضى الله عنها وان أردته يا ولدى مسلسلا بسندى فانظره فى جزء المسلسلات وروى عن يونس رحمه الله أنه قال وذكر عنده تمثل عائشة رضى الله عنها بالشعر

المتقدم وقولها بعده ما قالت فقال من يعذرنى من عائشة أم المؤمنين نشأت فى حجر ابى قحافة وأم رومان حتى اذا صارت زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم وابنة الصديق وأم المؤمنين يعطيها معاوية مائة ألف فتقسمها فى يوم واحد ثم تبكى على زمن لبيد وأغرب من هذا ما يروى عن الشعبى قال جاء اعرابى الى ابن عباس فقال يا ابن عباس انى سمعت عائشة تذم دهرها وهى تتمثل ببيتى لبيد

ذهب الذين يعاش فى أكنافهم * وبقيت فى خلف كجلد الاجرب
يتأكلون خيانة ومسبة * ويعاب قائلهم وان لم يشغب

قال فقال ابن عباس رضى الله عنهما لئن ذمت عائشة دهرها لقد ذمت عاد دهرها قيل وجد فى خزائن عاد سهم مفوق كأطول ما يكون من رماحنا واذا عليه مكتوب

أليس الى أجياد صبح بذى اللوى * لوى الرمل فاعذر للنفوس معاد
بلاد بها كنا وكنا نحبها * اذ الناس ناس والبلاد بلاد

ذكر هذا الخبر ثابت رحمه الله وذكر أيضا عن ابن أحمر قال كنا عند أبى نعيم فذكروا قول لبيد * ذهب الذين يعاش فى أكنافهم * البيت فقال أبو نعيم

ذهب الناس واستقلوا فصرنا * خلفا فى أراذل النسناس
من أناس نعدهم من عديد * فاذا كوشفوا فليسوا بناس
كلما جئت أبتغى النيل منهم * بدؤنى قبل السؤال بياس
وبكوا لى حتى تمنيت انى * خلصت عند ذا الرأس براس

ووقع فى حلية الاولياء قال ابن عباس رضى الله عنهما ذهب الناس وبقى النسناس قيل وما النسناس قال الذين يشبهون بالناس وليسوا بالناس * ومن كتاب تفضيل الكلاب وأنشد قول لبيد * ذهب الذين يعاش فى أكنافهم * البيتين قال أخبرنا أبو العباس محمد بن يزيد النحوى قال ذكر لى بعض المشايخ قال كنت عند بشر ابن الحارث عشية فرأيته مغموما فما تكلم حتى غربت الشمس ثم رفع رأسه فقال

ذهب الرجال المقتدى بفعالهم * والمنكرون لكل أمر منكر
وبقيت فى خلف يزين بعضهم * بعضا ليدفع معور عن معور

وأنشد أيضا لغيره

ذهب الذين اذا رأونى مقبلا * سروا وقالوا مرحبا بالمقبل
وبقى الذين اذا رأونى مقبلا * سيؤا وقالوا ليته لم يقبل

وقال آخر

ذهب الذين اذا غضبت تحملوا * واذا جهلت عليهم لم يجهلوا
واذا أصبت غنيمة فرحوا بها * واذا بخلت عليهم لم يبخلوا

قال وأنشدنى أبو عبد الله الدستوانى

ذهب الذين هم الغياث المنزل * وبقى الذين هم العذاب المرسل
وتقطعت أرحام أهل زماننا * وكأنما خلقت وليست توصل
الناس مشتهون من كشفته * كشفت منه عن الذى لا يحمل
أما الفقير فحاسد متفطر * حسدا وأما ذو الثراء فيبخل
ويظن أن له بكثرة ماله * فضلا عليك وغيره المتفضل

وأنشدنى أبو يعقوب الاديب

ذهب الكرام فأصبحوا أمواتا * ورقا تطير به الرياح رفاتا
وتبدلت عرصاتهم من بعدهم * بسوى نبات الصالحين نباتا
وبقيت فى خلف أحاذر شره * وأخاف فيه من الصديق بياتا

وقال آخر ذهب الناس وانقضت دولة الناس فكل الا القليل كلاب
غير أن الوجوه فى صور الانس وأبدانهم عليها الثياب
لست تلقى الا بخيلا كذوبا * بين عينيه للاياس كتاب
ان من لم يكن على الناس ذئبا * أكلته فى ذا الزمان الذئاب

وقال الشاعر

ذهب الذين فضولهم معلومة * ولهم اذا قحط الزمان جفان
ذهبوا فليس لهم نظير واحد * اذلا تراهم لا أبالك كانوا
لم يبق من أهل الفضائل والنهى * الا فلان باسمه وفلان

وقال الشاعر

ذهب الذين عليهم وجدى * وبقيت بعد فراقهم وحدى
سلف مضى وبقيت بعدهم * وكذا الذى يذهب من بقى بعدى

الى غير ذلك من هذا النوع كثير اختصرته وتقدم سكت ألفا ونطق خلفا يروى أن اعرابيا كان مع قوم فخبق حبقة فتشوّر وأشار بابهامه الى استه وقال انها خاف نطقت خلفا وقد ظهر لى فى قول الاعرابى معنى لم أره لغيرى يحتمل أن يريد بقوله انها خلف ضد أمام ويكون أدخل فى الفصاحة لاختلاف اللفظين والله أعلم والشئ

يذكر بالشئ نحو ما كتبته عن الحافظ وقرأته عليه فى ملح الآداب قال سمعت أبا القاسم الحسين بن الفتح الهمدانى ببغداد يقول سمعت أبا مقاتل الشيبانى بهمدان يقول دخل أبو الفضل الهمدانى الملقب بالبديع صاحب المقامات على الصاحب اسماعيل بن عباد الوزير فتزحزح له وأجلسه معه على سريره فخبق حبقة وأراد أن ينفى عن نفسه التهمة فقال يامولانا هذا صرير التخت فقال بل صفير التحت فخرج خجلا وانقطع عن المثول بين يديه فكتب اليه الصاحب

قل للصفيرى اذولى على خجل * من ضرطة أشبهت نايا على عود
فانها الريح لا تسطيع تدفعها * اذ لست أنت سليمان بن داود

قلت والشئ أيضا يعرف بضده أين حال هذا الوزير من حاتم الاصم رضى الله عنه روى أنه جاءته امرأة تستفتيه فى أمر فتحركت فصوتت فخجلت المرأة وجعل يتصامم لها ويقول أعيدى سؤالك فانى لا أسمعه فذهب عن المرأة ما كان أصابها من الخجل وانبسطت فى الكلام وخرجت عنه وقالت انه أصم فجرى عليه ذلك اللقب الى أن مات رضى الله عنه * وللخطيب أبى محمد عبد الوهاب رحمه الله فى رسالة الحمار غير أن العير يحبق فى السير فأنا أجل شعرى عن الضراط وأحمله على غير هذا الضراط انظره فى التكميل وأنشدنى ذات يوم رحمه الله قال مدح شاعر أحد الشجعان فقال ترا يوم الروع فى نفسه * فى عسكر يهزم جيشين ثم قال ويضرط وسكت فقال له ويلك ماهذا فقال لا أكمل البيت أو تعطينى فأمر له بعطاء فقال ويضرط العلج اذا ما رأى * صلعته من رأس ميلين

وقال آخر فى الضراط وكان حكيما مثل بقراط

لا تمسك الضرطة اذ ما عرضت * وخلها وافتح لها ما استفتحت
فان داء الداء فى امساكها * والروح والراحة فى فكاكها

وقالوا انها صوت هادباغها يعنى انها الاريح لها ولا تتبع هذه اللفظة فقد جاءت فى الحديث فى مواضع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ثوب بالصلاة أدبر الشيطان وله ضراط حتى لا يسمع النداء وقد تقدم وقال أبو هريرة رضى الله عنه وقد سئل عن الحدث الذى ينقض الوضوء فقيل له فما الحدث يا أبا هريرة قال فساء أو ضراط وتقدم أيضا فى الحديث قوله عليه الصلاة والسلام لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحا حتى يريه خير له من أن يمتلئ شعرا فسره أبو عبيدة وقال عن الشعبى

يعنى من الشعر الذى هجى به النبى صلى الله عليه وسلم لو كان شطر بيت لكان كفرا فكأنه اذا حمل وجه الحديث على امتلاء القلب منه فهم أنه رخص فى القليل منه ولكن وجهه عندى أن يمتلئ قلبه حتى يغلب عليه فيشغله عن القرآن وذكر الله فيكون الغالب عليه من أى الشعر كان فأما اذا كان القرآن والعلم الغالب عليه فليس جوف هذا عندى بممتلئ من الشعر * ووقع فى كتاب الاستاذ رحمه الله ان عائشة رضى الله عنها تأولت الحديث فى الاشعار التى هجى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنكرت قول من حمله على العموم فى جميع الشعر وذكر أن ذلك ذكره ابن وهب فى جامعه وقال الاستاذ رحمه الله فعلى هذا القول ليس فى الحديث الا امتلاء الجوف منه وأما رواية اليسير على الحكاية والاستشهاد على اللغة فلم يدخل فى النهى والله أعلم انتهى كلامه رحمه الله وقد روى ابن أبى مليكة عن عائشة رضى الله عنها انها قالت حين أنشدت قول لبيد * ذهب الذين يعاش فى أكنافهم * انى لأروى له ألف بيت وانه أقل ما أروى لغيره وتقدم فى الحديث كان من ورائه الهرم وهو حديث ذكره مطرف بن عبد الله عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله مثل ابن آدم ومثل عنده تسعة وتسعين حتفا ثم قال ان أخطأه هذا كان من ورائه الهرم وقال لبيد

حبائله مبثوثة بسبيله * ويفنى اذا ما أخطأته الحبائل

ومعنى قوله يفنى يهرم من قولهم شيخ فان أى هرم فمن ورائه هنا بمعنى من أمامه وكذلك يقال الموت من ورائك أى من قدامك ويومى هذا الى الحديث الآخر كفى بالسلامة داء وقد تقدم وروى سمرة بن جندب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل الذى يفر من الموت كالثعلب تطلبه الارض بدين فجعل يسعى حتى اذا عيى وانبهر دخل فى جحره فقالت له الارض عند سبلته يا ثعلب دينى دينى فخرج وله حصاص فلم يزل كذلك حتى انقطع عنقه فمات خرجه ثابت وفسر السبلة يعنى الشعرات التى حول الفم وهى من الانسان الشارب وقال بعضهم السبلة ما فوق الذقن من الشعر الى منقطعه ذكر فى هذا الحديث الدين وانه ليس منه لصاحبه فوات الى الممات نعم وتبقى بعد الممات مطالبات وقد وردت فى تعظيمه أحاديث منها الدين شين للدين والدين هم بالليل مذلة بالنهار وآية الله فى أرضه اذا أراد أن يذل عبده ابتلاه بالدين وجعله فى عنقه وقال عليه

الصلاة والسلام أعوذ بالله من الكفر والدين قيل يا رسول الله أيعدل الكفر الدين قال نعم وخرج أبو جعفر الطبرى عن عقبة بن عامر رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تخيفوا المسلمين بعد أمنها قالوا يا رسول الله وما ذاك قال الدين وفى الترمذى نفس المرء معلقة بدينه حتى يقضى عنه وحديثه الآخر فى الذى قال له ان قتلت فى سبيل الله صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر أيكفر الله عنى خطاياى قال فى آخره نعم الا الدين كذلك قال لى جبريل وحديثه الآخر الذى قال لأصحابه صلوا على صاحبكم من أجل الدين الذى كان عليه وغير ذلك من هذا النوع كثير وانما يترخص فى الدين عند الحاجة والضرورة مع السعى فى أدائه والحرص على قضائه كما قال عليه الصلاة والسلام من أخذ أموال الناس يريد اداءها أدى الله عنه ومن أخذها يريد اتلافها أتلفه الله وقال الشاعر وقد أخذ دينا من أجل الغير واكتسب لهم ضروب الخير

يعيرنى قومى بدينى وانما * تداينت فى أشياء تكسبهم حمدا

ووقع فى الشهاب أقلل من الدين تعش حرا وقد نظمت انا هذا المعنى فقلت

يا صاحب الدين ألم تسمعن * قول النبى الناصح البرا

وهو يوصى بعض أصحابه * أقلل من الدين تعش حرا

وتقدم زار وفضل الزيارة كبير وأجرها كثير ويكفى من ذلك قول النبى صلى الله عليه وسلم حكاية عن الله تعالى وجبت محبتى للمتحابين فى والمتجالسين فى والمتزاورين فى والمتباذلين فى انظر رحمك الله ماذا تحت قوله فى أى لا تكون تلك الزيارة والمجالسة والبذل الا لله تعالى خالصا ولا تكون لغرض ولا عرض ولا عن عوض كما روى ان رجلا زار أخا له فى قرية فبعث الله على مدرجته ملكا فسأله أبينك وبين هذا الذى تزوره رحم تصلها أو نعمة تربها قال لا قال فلم تزوره قال أحببته فى الله قال انى رسول الله اليك أخبرك انه يحبك كما أحببته وفى الحديث اذا عاد المسلم أخاه أو زاره قال الله تعالى طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلا أو كما قال وفى الرقائق حدثنا نعيم قال حدثنا ابن المبارك قال حدثنا شريك عن أبى سنان عن عبد الله بن ابى الهذيل قال خرج عمار بن ياسر الى أصحابه وهم ينتظرونه فقالوا أبطأت علينا أيها الامير فقال انى سأحدثكم حديثا ان أخا لكم ممن كان قبلكم هو موسى عليه الصلاة والسلام قال يا رب

حدثنى بأحب خلقك اليك قال لم قال لأحبه لك قال سأحدثك رجل فى طرف الارض يعبدنى سمع به أخ له فى طرف الارض لا يعرفه فان اصابته مصيبة فكأنما أصابته وان شاكته شوكة فكأنما شاكته لا يحبه الا لى فذلك أحب خلقى الى ثم قال يارب خلقت خلقا فجعلتهم فى النار فأوحى الله اليه ان ازرع زرعا فزرعه وسقاه وقام عليه حتى حصده وداسه فقال له مافعل زرعك ياموسى قال قد رفعته قال فما تركت منه قال مالا خير فيه قال فانى لا أدخل النار الا من لا خير فيه ويروى عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن عبد يزور أخاله فى الله الا قال الله فى ملكوت عرشه عبدى زار فى وعلى قراه ولن أرضى لعبدى بقرى الا الجنة * خرج على بن معبد فى كتاب الطاعة والمعصية فى باب الحب فى الله والبغض فى الله عن ليث عن صاحب له قال من زار أخاله لا يزوره الا لله ابتغاء مرضاة الله والتماس ماعند الله تنجيزا لوعد الله وحفظا الحق أخيه الاحياه كل ملك بتحية لا يحييه بها صاحبه وصاح شجر الجنة هذا فلان زار فلانا لله عز وجل وروى ان بشر بن الحارث قال كان لى أخ مواخ فبلغنى انه يأتى القاضى بالليل فكتبت اليه يا أخى بلغنى انك تأتى القاضى بالليل فاعلم ان الذى يراك بالنهار يراك بالليل وهذا آخر كتابى اليك فاعلم والسلام وروى عن رجل من أعوان داود الطائى قال دخلت على داود فقال لى ماجاء بك قلت زيارتك فقال لى اما أنت فقد عملت خيرا حين زرت ولكن انظر ماذا ينزل بى انا اذا قيل لى من أنت فتزار أمن العباد أنت لا والله أمن الزهاد أنت لا والله أمن الصالحين أنت لا والله ثم أقبل يوبخ نفسه ويقول كنت فى الشبيبة فاسقا فلما شخت صرت مرائيا والله للمرائى شر من الفاسق والكلام فى زيارة الاخوان لوجمع لجاء منه ديوان وتقدم الزور الذى هو الكذب وقد قيل قبل هذا من الكلام فيه ماذا سمعه عاقل يكفيه وعن خاطره بنفيه وتقدم فى الحديث المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبى زور وسببه ان امرأة سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله ان لى ضرة فهل لى أن اتشبع من مال زوجى بما لم يعطنى فقال لها النبى صلى الله عليه وسلم المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبى زور أو كما جاء الخبر وفسره أبو عبيد رحمه الله فقال هو الرجل يلبس الثياب تشبه ثياب الصالحين أهل الزهد يريد بذلك الناس ويظهر من التخشع والتقشف أكثر مما فى قلبه فهذه ثياب الزور وقال فيه أيضا وجه آخر

يحتمل أن يريد بالثياب الانفس تقول العرب فلان نقى الثياب اذا كان بريئا من الدنس والآثام وفلان دنس الثياب اذا كان مغموصا عليه فى دينه قال امرؤ القيس

ثياب بنى عمرو طهارى نقية * وأوجههم عند المشاهد غران

هذا على الكناية وعلى الحقيقة نقاء الثوب محمود وعند أهل المروآت موجود ومن أمثالهم فى ذلك المروءة الظاهره فى الثياب الطاهره وفى القرآن العزيز وثيابك فطهر قيل معناه لا تلبسها على معصيتى وقيل غير ذلك ورأى على بن أبى طالب رضى الله عنه رجلا يجر ثيابه فقال ياهذا أقصر من ثيابك فانه أنقى وأتقى وأبقى نظمه بعض المحدثين فقال

تقصيرك الثوب حقا * أنقى وأتقى وأبقى

وتقدم الزبر وتصغيره زوير وهو كل شئ يعقل عند الحرب من رجل أو دابة فيقال لا نفر حتى يفر هذا وفى اشتقاقه قولان أحدهما انهم بما زار وأزار قومه الموت والثانى ان اشتقاقه من اللزوم لموضعه ولذلك سمى ملازم النساء ومحادثهن زيرا وممن جعل نفسه زويرا من المشهورين حرب بن أمية وحضير الكتائب الاوسى عقل نفسه وجعلها زويرا يوم بعاث وجعل الناس جمل عائشة رضى الله عنها يوم الجمل زويرا فأناخوه وهى عليه وقالوا لا نفر حتى يفر هذا فلم يصبر أحد فى الحرب صبرهم ورمى هودج عائشة رضى الله عنها بالسهام حتى صار كالفرخ المعضب وكان قد حصن عليه غاية التحصين ذكر ذلك البكرى وتقدم زر غبا تزدد حبا وتقدم أن عبيد بن عمير تمثل به عند عائشة رضى الله عنها وقول عبد الله بن عمر رضى الله عنهما دعنا من باطلكما وهذا المثل وقع فى الشهاب وذكر شارحه أبو القاسم البانى رحمه الله ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ذلك لأبى هريرة فقالت عائشة رضى الله عنها

أكثرت فى زوره فلك * وزدت فى ذاك فاستقلك

لو كنت ممن يزور غبا * لكان فى النفس قد أحلك

فقال عليه الصلاة والسلام ياعائشة والله ماملناه ولا قليناه ولكن ادنيناه قال أبو القاسم وانتصب غبا على الظرف وحبا على التمييز والتفسير وقال الوحشى شارح الشهاب أيضا رحمه الله قال ابن عمر مازلت أسمع زر غبا تزدد حبا حتى سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهذا أدب منه صلى الله عليه وسلم لأمته لأن الدؤوب على الزيارة يبعث على الملل من الذى يزار والغب لها يبعث على البسط والاقبال على الزائر والرحب قال الشاعر

عليك باقلال الزيارة انها * اذا كثرت كانت الى الهجر مسلكا
ألم تر أن الغيث يسأم دائبا * ويسأل بالايدى اذا هو أمسكا

وقال الآخر

اذا شئت أن تقلى فزر متواترا * وان شئت أن تزداد حبا فزر غبا

وتقدم من قول عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقد زورت مقالة فى نفسى قد أعجبتنى كان ذلك يوم سقيفة بنى ساعدة اذا اجتمع الانصار فيها للبيعة وجاءهم أبو بكر وعمر رضى الله عن جميعهم فقام خطيب الانصار فأثنى على الله بما هو له أهل ثم قال أما بعد فنحن أنصار الله وكتيبة الاسلام وأنتم يا معشر المهاجرين منا وذكر كلاما طويلا قال عمر فلما سكت أردت أن أتكلم وقد زورت مقالة فى نفسى قد أعجبتنى أريد أن أقدمها بين يدى أبى بكر وكنت أدارى منه بعض الحد فقال أبو بكر على رسلك يا عمر فكرهت ان أعصيه فتكلم وهو كان أعلم منى وأفقه فوالله ما ترك من كلمة أعجبتنى فى تزويرى الا قالها فى بديهته أو مثلها أو أفضل منها حتى سكت وذكر تمام الخبر وبيعة الناس لأبى بكر رضى الله عنهم وتقدم الزوراء وانها اسم لقوس رسول الله صلى الله عليه وسلم الواحدة واسم الاخرى الصفراء ومازال العلماء رضى الله عنهم ينقبون عن أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم و يبحثون عن أنباء الامة و يقيدونها بالكتب فى الكتب فمن ذلك هاتان القوسان وكانت له عليه الصلاة والسلام كنانة تسمى الجمع وسيف يسمى ذا الفقار لفقرات فى وسطه وكان ذلك السيف لنبيه ومنبه ابنى الحجاج سلباه يوم بدر ويقال ان أصله من حديدة وجدت مدفونة عند الكعبة فصنع منها ذو الفقار وصمصامة عمرو والمشهورة عند العرب التى كانت تقط بها السيوف المنتخبة كما يقط القصل وكانت له عليه الصلاة والسلام راية تسمى العقاب وحربة يقال لها النبعة ودرع يقال لها ذات الفضول وأخرى يقال لها فضة وكان له ترس فيه تمثال كرأس الكبش وكان عليه الصلاة والسلام يكرهه فأصبح يوما وقد انمحى ولم يبق له أثر وكان له قضيب يسمى الممشوق ومرآة يقال لها المدلة ورداء يسمى الحضرمى وبه كان يشهد العيدين وكانت له جفنة عظيمة يحملها أربعة رجال يقال لها الغراء وكان له خمس من الخيل وقد تقدم ذكرها وشرح أسمائها عند ذكر الخيل فى آخر باب الالف والباء والتاء وكانت له بغلة اسمها دلدل أهداها له المقوقس ملك الاسكندرية وماتت فى زمن معاوية

قال فى النهاية الحد والحدة سواء من الغضب و يروى بالجيم من الجد ضد الهزل

آلات رسول الله صلى الله عليه وسلم

وكان

وكان له حمار اسمه عفير وسيأتى ذكره فى باب الشين ان شاء الله تعالى قلت والتعرف بمثل هذه الاسباب يؤكد المحبة بين الاحباب لا سيما من نبينا عليه الصلاة والسلام فانها من مراعاة الذمام ولا تضيع عند الكريم لحظة فكيف لفظة والمعرفة ترفع الاقدار وتدنى البعيد الدار * قيل لمعاوية ان بوابك يأذن لاصحابه قبل أصحابك فقال ان المعرفة لتنفع عند الكلب العقور والجمل الصؤول فكيف بالرجل الكريم * قال لى الفقيه الخطيب أبو محمد رحمه الله وقت قراءتى عليه قول معاوية رضى الله عنه ان المعرفة لتنفع عند الكلب العقور فقال رحمه الله تعالى فكيف عند الرب الغفور وهذا من تجنيسه رحمه الله تكرم الله علينا بمعرفته ومعرفة أنبيائه حتى يجعلنا بذلك من أوليائه بمنه و يمنه * وتقدم صمصامة عمرو وأذكرهنا ما أحفظه مما وقع فيه ذكر الصمصامة من النظم حسبما شرطته أيها الاخ المعظم من تقييدى ما أخاف من شروده فتأهب لوروده * من ذلك ما أنشدنيه بعض الاصحاب لبعض المحدثين وكانت قد أصيبت يده فكتب الى صديق له فقال

أبا الحسين ولا شكوى لحادثة * الا اليك وما ألقاه من ألم
أشكو اليك الليالى انها فتكت * منى بحاملة الصمصام والقلم

وهذا الذى يأتى بعد أحسن من الذى مضى لكونه فى الزهد

برضاك الا رحمت مقامى * يوم اللقا وصفحت عن آثامى
يدعوك معترفا بسالف ذنبه * عبد دعت اليك بالاسلام
ان أنت لم تعطف عليه فمن له * ملك الملوك وكافل الايتام
من عدل حكمك أتقى لا أتقى * جورا لانك أعدل الحكام
لو ناالتى التوفيق منك أعاننى * وخرجت من دنياى كالصمصام
وزهدت فيما ليس يصره سوى * أضغاث أحلام ذوو الاحلام

الاحلام الاول جمع حلم والثانى جمع حلم وهو العقل وتقدم فى هذا الشعر الايتام واليتم عند أهل التحقيق من قبل الآباء فى بنى آدم وفى البهائم من قبل الام والذى يموت أبوه يقال له لطيم والذى تموت أمه يقال له عجى وتقدم لم قيل للسيف ذو الفقار قال الاستاذ رحمه الله يقال فى هذا السيف ذو الفقار بالفتح جمع فقارة وان قيل ذو الفقار بالكسر فهو جمع فقرة وجاء فى الخبر أن ريحا هبت يوم أحد فسمعوا

قائلا يقول فيها لاسيف الا ذو الفقار ولا فتى الا على

فى أبيات انتهى كلامه يريد بعلى ههنا على بن أبى طالب رضى الله عنه ووقع فى الكامل فتى ولا كمالك يعنى مالك بن نويرة أخا متمم بن نويرة وخبر مالك مشهور فى حديث الردة ووجد أخيه متمم عليه ورثاؤه اياه مشهور أيضا وكان متمم أعور العين فبكى على أخيه حتى جادت عينه العوراء بالدمع وقال له عمر ابن الخطاب رضى الله عنه وددت انك رثيت أخى زيد بن الخطاب كما رثيت أخاك مالك بن نويرة ففعل فلم يجد ولم يبلغ ما بلغ من رثاء أخيه فقال له فى ذلك فقال انى لأجد لأخى ما لا أجد لأخيك وقال له أيضا لو مات أخى كما مات أخوك لم أبكه مات أخوك مسلما ومات أخى كافرا أو كما قال ومن شعره

وكنا كندمانى جذيمة حقبة * من الدهر حتى قيل لن نتصدعا
فلما تفرقنا كأنى ومالكا * لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

وبهذا البيت تمثلت عائشة رضى الله عنها حين مات أخوها رضى الله عنهما وللخطيب أبى محمد قطعة حسنة ذكرها متمما هذا كان له صاحب يقال له محمد ابن يوسف ففارقه فكتب اليه رسالة لزومية أولها

صدنى البين عن لقائك غيره * أن يرى آنسا بقربك غيره
أسفى يا ابن يوسف لم يجده * بأخيه متمم بن نويره

انظرها فى التكميل وتقدم فى هذا الفصل لا فتى الا على وذو الفتوة عندهم من جمع المحامد والمحاسن والمكارم ولذلك قالوا من لم يتفت لم يحسن أن يتقرا معناه من لم يكن بهذه الصفة لم يحسن أن يكون قارئا يعنى انه اذا جمع ما تقدم كمل وقد فسر حسان بن ثابت رضى الله عنه الفتى فشفى بما فيه أتى ذكر ثابت رحمه الله ان الحسن بن على رضى الله عنهما وعبد الله بن جعفر وعبد الله بن عامر بن كريز رضى الله عنهم أتوه فاستخرجوه فخرج اليهم فقال وأبى رهن القرية ألا حيث جلستم بعثتم الى فجئتكم قالوا انا اذ كرنا شيئا وكان ذلك عند افتراق مجلسنا وكنت على طريقنا فأحببنا ان نسألك عنه قال وماذاك قالوا ذكرنا الفتى متى يكون فتى ومتى يخرج من حد الفتى قال قد قلت فى ذلك شعرا قالوا وماذاك قال قلت

ان الفتى لفتى الهواجر والسرى * وفتى الطعان ومدره الحدثان
ان كان كهلا أو فتى فهو الفتى * ليس الفتى بعملج الفتيان

فسره ثابت وقال العملج الدنى ورهن القرية وجوههاوأنشد فى موضع آخر

* أنت الفتى وأنا الكاسيك حلته * أى حلة الفتى أى أمدحك وسمع بعض السلف بعض الفتيان يقول الفتوة انما هى الظرف والانهماك والمجون فقال له ويحك يا بنى جزت والله عن طريق الحق وحدت عن سبيل الصدق والله ما الفتوة الا نائل مبذول وبشر مقبول وطعام موضوع وأذى مرفوع وتقدم الازورار وهو التباعد وجاء منه فى حديث مؤتة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبر عن عبد الله بن رواحة رضى الله عنه رأيت فى سريره ازورارا عن سريرى صاحبيه يعنى جعفر بن أبى طالب وزيد بن حارثة المقتولين هنالك رضى الله عنهما قال عليه الصلاة والسلام فقلت مم هذا فقيل لى مضيا وتردد عبد الله ابن رواحة بعض التردد ثم مضى وكان من حديثهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث بعثا الى مؤتة فى جمادى الاولى سنة ثمان وهم ثلاثة آلاف واستعمل عليهم زيد بن حارثة وقال ان أصيب زيد فجعفر بن أبى طالب على الناس وان أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة فالتقى المسلمون مع الروم وهم مع من انضم اليهم فى مائتى ألف فأقام المسلمون على معان وهى من أرض الشام ليلتين ينظرون فى أمرهم وقالوا نكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنخبره بعدد عدونا فشجع الناس عبد الله بن رواحة فقال يا قوم والله ان الذى تكرهون للذى خرجتم اليه تطلبون الشهادة وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة ما نقاتلهم الا بهذا الدين الذى أكرمنا الله به فانطلقوا فانما هى احدى الحسنيين اما ظهور واما شهادة قال فقال الناس قد والله صدق ابن رواحة فمضى الناس واقتتلوا فقاتل زيد براية رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى شاط فى رماح القوم ثم أخذها جعفر فقاتل بها حتى اذا ألحمه القتال اقتحم عن فرس له أشقر فعقرها ثم قاتل القوم حتى قتل فكان جعفر أول رجل عقر فى الاسلام ثم قاتل القوم واللواء بيمينه فقطعت فأخذه بشماله فقطعت فاحتضنه بعضديه حتى قتل وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة فأثابه الله بذلك جناحين فى الجنة يطير بهما حيث شاء ثم أخذ الراية عبد الله بن رواحة وتقدم بها وهو على فرسه فجعل يستنزل نفسه ويتردد بعض التردد ثم نزل بعد ذلك ثم قاتل حتى قتل فأخبر النبى صلى الله عليه وسلم أصحابه بخبرهم وقال لقد رفعوا فى الجنة فيما يرى النائم

على سرر من ذهب فرأيت فى سرير عبد الله بن رواحة ازورارا عن سريرى صاحبيه كما تقدم قال الاستاذ رضى الله عنه وذكر من فضل جعفر رضى الله عنه وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمع فاطمة تقول حين جاء نعى جعفر واعماه فقال على مثل جعفر فلتبك البواكى وكان أبو هريرة رضى الله عنه يقول ما احتذى النعال ولا ركب المطايا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من جعفر * قال الاستاذ رضى الله عنه ومما ينبغى الوقوف عليه فى معنى الجناحين يعنى اللذين أعطيهما جعفر انهما ليسا كما يسبق الى الوهم انهما على مثل جناحى الطائر وريشه لان الصورة الآدمية أشرف الصور وأكملها ولكنهما عبارة عن صفة ملكية وقوة روحانية أعطيها جعفر كما أعطيتها الملائكة وقد قال تعالى لموسى عليه السلام أضمم يدك الى جناحك فعبر عن العضد بالجناح توسعا وليس ثم طيران فكيف بمن أعطى القوة على الطيران مع الملائكة أخلق به أدبا أن يوصف بالجناح مع كمال الصورة الآدمية وتمام الجوارح البشرية وقد قال أهل العلم فى أجنحة الملائكة ليست كما يتوهم من أجنحة الطير ولكنها صفات ملكية لا تفهم الا بالمعاينة لقوله تعالى أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع فكيف تكون كأجنحة الطير على هذا ولم ير طائر له ثلاثة أجنحة ولا أربعة أجنحة فكيف بستمائة جناح كما جاء فى صفة جبريل عليه السلام فدل على انها صفات لا تنضبط كيفيتها للفكر ولا ورد أيضا فى بيانها خبر فيجب علينا الايمان بذلك * تقدم ان جعفرا قطعت يده يوم مؤتة وقد فعل مثل هذا سالم مولى أبى حذيفة رضى الله عنه قتل يوم اليمامة شهيدا أخذ اللواء بيمينه فقطعت ثم تناولها بشماله فقطعت ثم اعتنق اللواء وجعل يقرأ وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم الى أن قتل رضى الله عنه ومما قال الشاعر فى الازورار وقلة الفرار ولم يقل أحد أحسن منه

اذا ما فررنا كان اسوا فرارنا * صدودا لخدود وازورار المناكب
صدود الخدود والقنا متشاجر * ولا تبرح الاقدام عند التضارب

وأحسن منه ما قال الآخر

نعرض للسيوف اذا التقينا * خدودا لا تعرض للطام

ولى أنا من هذا النوع فى القصيد المطول الذى لى فى الجهاد وأوله * ألا يا حبذا

خفق البنود * وفيه

بكل مدجج بطل كمى * جرى القلب ذى بأس شديد
صدوق فى اللقاء مجرب لا * يصد بخده أدنى صدود

وتقدم ذكر مؤتة وهى قرية من أرض البلقاء من أرض الشام ويقال بالهمز وأما الموتة بغير همز فضرب من الجنون وفى الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول فى صلاته أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه وفسره راوى الحديث فقال نفثه الشعر ونفخه الكبر وهمزه الموتة وتقدم وارورير وفسر انه المخ الخفيف الذى ليس فيه خير ويقال هو مخ الدماغ ومن كان مخه كذلك لم يحفظ شيئا وكانت العرب تتكرم عن أكل الدماغ وتراه ذما وأنشد شاهدا على ذلك

لا يأكل الكلب السروق نعالنا * ولا ننتقى المخ الذى فى الجماجم

وفى قضاعة قبيلة يقال لها بلى لا تأكل الألية لقربها من الجواعر ولانها طبق الاست ويسمى المخ أيضا نقيا وأنشد أبو عبيد

لا يشتكين عملا ما انقين * ما دام مخ فى سلامى أو عين

وفى الحديث والعجفاء التى لا تنقى وفيه اذا سافرتم فى الخصب فأعطوا الابل حقها من الكلأ واذا سافرتم فى الجدب فاستنجوا عليها بنقيها يعنى الابل وجمع المخ مخخة يقال أمخ العظم صار ذا مخ ومخخته اذا أخرجت مخه وعظم ممخ وكذلك مخيخ كما يقال مكان مجدب وجديب وأمخت الشاة اذا أكثرت سمنا ويسمى المخ أيضا الدماغ ومنه قول اعرابى قيل له كيف تأكل الرأس قال أفك لحيته وابخص عينيه وأعفص أذنيه وأسحر خديه وبعد هذا فى رواية وأرمى بالدماغ الى من هو أحوج منى اليه وتقدم فى البيت * لا يأكل الكلب السروق نعالنا * يمدح قومه يقول نعالنا مدبوغة بالقرظ ليس فيها دسم وان أصابها الندى لم يظهر لها ريح فيسرقها الكلب بخلاف غيرنا ومثله قول عنترة * يحذى نعال السبت ليس بتوأم * يصفه بالشرف وان نعاله مدبوغة بالقرظ وليس بغير دباغ فيلبس الجلد الفطير وكل جلد لم يدبغ بقرظ فليس بسبت وفى الحديث من هذا انه صلى الله عليه وسلم كان يلبس النعال التى ليس فيها

شعر و يتوضأ فيها وهى السبتية التى كان عبد الله بن عمر رضى الله عنهما يلبسها
وسأله عنها ابن جريج فقال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبسها وذكر
الحديث وقد تقدم ذكر الجلود وأسمائها وقول عنترة ليس بتوأم يمدحه بذلك لتمام
خلقه وانه لم يضعف لكون آخر معه فى بطن أمه ومنه قول الشعبى لولا انى زوحمت
فى الرحم ماقامت لاحد معى قائمة ذكره ثابت فى الدلائل وقال يقال ان أم خارجة
كانت توأمته يقال هذه توأمة فلان والجمع توائم وهذا توأم هذا وهما توأمان
والجمع توام على وزن فعال وفى الحديث لا يتوارث توام الزانية الا بالأم وذكر
ثابت رحمه الله أيضا ان عاتكة بنت عبد المطلب كانت توأمة عبد الله والد
رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا قال فى هذا الموضع توأمة وقال يقال هذا توأم
فلان وهم توام وهن توائم وأنشد

قالت لنا ودمعها توام * كالدر اذ أرسله النظام * على الذين ارتحلوا السلام *

ورأيت فى موضع آخر رجزا يشبهه وهو

لها مزاح ولها كلام * بجوهر ألفه النظام * فيه لآلى كلها توام
يسكرنا كأنه مدام * لها بقلب المصطلى ضرام
فهو حلال غيره حرام * يشفى سقاما وهو السقام

والتومة فى غير هذا دون همز بيضة النعامة والتومة أيضا القرط فيه حبة والتومة
أيضا اللؤلؤة والتؤمة بالهمز حبة تعمل من فضة كالدرة وفى الحديث من قول
النبى صلى الله عليه وسلم للمرأة أتعجز احداكن أن تتخذ تؤمتين كذا ذكرها
ابن قتيبة بالهمز وكذا قرأتها على العثمانى وفى طرة الكتاب التومة غير مهموز
وجمعها توام وفى أسماء رجال الحديث صالح مولى التومة ومقلوب تومة غوت * ولى
فى ذلك

صاح كسبت تومة * مصوغة من ذهب
ولو دريت عكسها * لكسبها لم تذهب

ولى أيضا من هذا النوع من المعكوس وهو لزومى

انف عن نفسك ان * كنت مطيقا عكس أنف
لست تقوى فاحتمله * مكرها راغم أنف

ومازلت مولعا بهذا المعكوس حتى عكست لفظة معكوس فوجدت فيها سوك عم
وقلت فى ذالك ونفسى قد عنيت لا ابالك

تشاغلت بمعكوس * حروف ضمها شعر
وفى معكوس معكوس * كلام شرحه شر
فأذكرنى بحال قا * لسوءلك عم يا عمرو
وذا قال وموعظة * ويكفى من له حزر

وسترى مالى من هذا النوع فى كراسة البديع من التكميل ان شاء الله تعالى
ومن نوع تومة تنومة واحدة التنوم وهو شجر له حب أسود ستراه فى باب الباء ان شاء
الله تعالى والتيمة مما يقرب من التومة لان الياء أخت الواو فلتذكر معها وهى
الشاة التى يحلبها الرجل فى منزله وليست بسائمة وفى الحديث التيمة لاهلها تقول
من ذلك اتام الرجل يتام اتياما اذا ذبح تيمته وهو افتعل منها قال الحطيئة

فما تتام جارة آل لأى * ولكن تضمنون لها قراها

والتيماء الفلاة وتيماء اسم موضع قال امرؤ القيس * وتيماء لم يترك بها
فرع نخلة * والتتيم فى اللغة التذلل والتعبد من قولهم تيمه الحب فهو متيم
أى عبده وذلله و يقال أيضا تانته فلانة قال لقيط

تامت فؤادك لم يحزنك ما صنعت * احدى نساء بنى ذهل بن شيبانا

ومن معنى تيمه أى عبده سمى الرجل تيم الله أى عبد الله ولذلك سموا فى الجاهلية
تيم اللات أى عبدها وهو كثير فى الانصار وفى قريش ومنهم رهط ابى بكر الصديق
رضى الله عنه واذ وقع ذكر المخ فدونك فيه حكاية أيها الاخ

فديتك يا بنى اسمع حديثا * أفيد كه أيا أملى وسولى
تزيد تراه سم الله واذكره واشكره وصل على الرسول

كنت أقرأ على الحافظ بالاسكندرية رحمه الله وحرسها جزأ من تأليفه
فررت فيه بحديث يرويه عن أشياخه عن الشافعى رضى الله عنهم قال الفول لطيفة
يزيد فى الدماغ والدماغ يزيد فى العقل وأهل تلك البلاد ينقطون الفاء بواحدة
من فوق و ينقطون القاف باثنين من فوق أيضا فلم ألق بالى وحسبت الفاء قافا
فقرأت القول يزيد فى الدماغ فضحك وكان حلو الطر يفا رحمه الله وقال لى القول
يفرغ الدماغ أو نحو هذه الكلمة فقلت له القول عندى فى الكتاب فقال انما هو
الفول فأعلمنى بمذهبهم فى النقط فقلت له كيف يزيد الفول فى العقل ونحن نقول
فى بلادنا بخلاف ذلك فضحك وقال سألت عن هذه المسئله شيخى فلانا أنسيت

أنا اسمه قال فقلت له كيف هذا وطبرستان أكثر بلاد الله فولا وأهلها أخف الناس عقولا فقال لى لولا الفول لطاروا * قلت ويقوى قول الشافعى رضى الله عنه ما ذكر لى بعض الاطباء وهو من حكمة الله تعالى ان الصبى يولد ليس له مخ وان كان فخفيف مباع ولذلك لا يقدر على القعود فضلا عن القيام فبمقدار ما يشتد من دماغه يقوى حتى يقدر على القعود ولا يقدر على القيام ثم لا يزال يشتد دماغه حتى يكمل فحينئذ يقف ثم يأخذ فى المشى والحركة ثم الجرى وشبهه بمنزلة المركب فى الماء لا يستقيم استقراره فى الماء حتى يتم وسقه فقلت له هذا بخلاف الرأس هذا أسفل وذاك فوق فقال وحكمة الله فى الاشياء ليست تجرى على قياس واحد ألا ترى الانثيين هما فى أسفل الانسان وبهما تمسك اللحية فى الوجه وهو أعلى والا فانظر الى الخصى كيف هو دون لحية لما لم تكن له انثيان وحدثنى انه كان يعرف رجلا كثيف اللحية وكان أبدا شديد الخمل ذات يوم مع أصحابه بحجر رحا فلشدته امسك لهم المغزل وهو اسم العود الطويل الذى يجعل فى عين الرحا وبه تحكم وتملك فزهق الحجر والتف العود فى سراويله فانضغطت الانثيان فندر ثم عولج حتى استراح وسقطت لحيته من وجهه فقال لقد رأيته بعد ذلك أمرد ليس فى وجهه شئ من شعر لحيته فسبحان الحكيم العليم الذى دبر الاشياء بحكمته وجعل بعضها مرتبطا ببعض ويخلق ما لا تعلمون وكذلك يذكر ان شؤون الرأس انما تشتد وتتلاحم وتصلب اذا اكتمل الرجل وما دام صغيرا فانها مفرقة ومنه حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه سأل ابن عباس عن شئ فأجابه فالتفت الى المهاجرين فقال أعييتمونى أن تأتوا بمثل ما جاء به هذا الغلام الذى لم تجتمع شؤون رأسه وواحد الشؤون شأن وهى السلاسل التى تجمع بين القبائل والفراش يقال هى أربع قبائل للرجل وثلاث للمرأة ومن الشؤون يخرج الدمع ومنه يقال استهمدت شؤونه وفى الحديث فى شأن والغسل من الجنابة ثم تصب على رأسها فتدلك حتى تبلغ شؤون رأسها والشؤون أيضا الخطوب واحدها شأن والشأن الامر والحال وفى القرآن العزيز كل يوم هو فى شأن جاء فى التفسير يميت و يحيى ما يولد ويجيب داعيا ويعطى سائلا ويشفى مريضا ويفك عانيا وشأنه كثير لا يحصى لا اله الا هو وسيأتى بقية الكلام على هذه اللفظة فى حرف الشين ان شاء الله تعالى * وتقدم آزر جاء فى الحديث عن أبى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يلقى ابراهيم

اباه فيقول يا رب انك قد وعدتنى ان لا تخزنى يوم يبعثون فأى خزى أخزى من أبى الابعد فيقول الله تعالى انى حرمت الجنة على الكافرين ثم يقال يا ابراهيم ما تحت رجليك فينظر فاذا هو بذيخ متلطخ فيؤخذ بقوائمه فيلقى فى النار خرجه البخارى وجاء فى حديث آخر انه يحمل أباه ليجوز به الصراط فينظر فاذا هو عيلام أمدر والامدر المنتفخ الجوف ويروى أمجر وهو مثله والعيلام ذكر الضبعان وكذلك الذيخ وعثيل ويجمع الذيخ ذيخة ويقال ذيخت الرجل تذييخا ذللته قال بعض العلماء انما مسخ الله تعالى آزر ذيخا لانه أحمق الدواب وكذلك كان آزر أحمق الناس لانه باع آخرته بدنيا غيره وهو نمرود ولو باع آخرته بدنيا نفسه لكان أقل حمقا والله أعلم بما أراد وقد بلغ من حمق الضبع ان الصائد يخدعها بالكلام يقول لها ابشرى أم عامر بجراد عضال وكذا وكذا حتى تستأنس و يضع الحبل فى عنقها وربما قال ليست هذه أم عامر يخدعها بذلك أيضا فتسكن وربما ضرب يده عند باب الجحر فتحسبه شيئا تصيده فتخرج لتأخذه فتصاد وهى دابة على قدر الكبش أو أصغر وجاء منها فى الحديث عن أبى عمارة قال قلت لجابر الضبع أصيد هى قال نعم قال قلت آكلها قال نعم قال قلت أقاله رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم وفى حديث آخر عن خزيمة بن جزء قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أكل الضبع فقال أو يأكل الضبع أحد وسألته عن أكل الذئب فقال أو يأكل الذئب أحد فيه خير خرج الحديثين الترمذى وصحح الاول وضعف الثانى وذكر أبو عبيد فى حديث أبى هريرة رضى الله عنه وسئل عن الضبع فقال الفرعل تلك نعجة من الغنم وفسر الحديث وقال فى آخره فقال انها حلال بمنزلة الغنم تؤكل وتقدم أم عامر وهى كنيتها وتكنى أيضا أم عمرو وأم الهنبر وأم خنور وتسمى حضاجر وجعار وقثام وجيال وجمعها جيائل وعيثوم وقد تقدم عيلام وذيخ وعثيل ويقال لاولادها اذا كان بعضها من بعض فراعل واحدها فرعل ولاولادها من الذئاب لانها تغشاها فتحمل منها عسابر واحدها عسبارة ويقال له أيضا سمع وهو أخبث الذئاب وأسمعها ولذلك ضرب به المثل فيقال أسمع من سمع ازل والازل القليل لحم العجز ويقال لعام المجاعة سنة وضبع ومن ذلك قول بنت خفاف بن ايماء الغفارى لعمر بن الخطاب رضى الله عنه وذكرت أولادها الصغار وخشيت أن تأكلهم الضبع وان أردت الخبر

باجتماعه فتأهب لاستماعه * خرج البخاري رحمه الله عن زيد بن أسلم عن أبيه قال خرجت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى السوق فلحقت عمر امرأة شابة فقالت يا أمير المؤمنين هلك زوجي وترك صبية صغارا والله ما ينضجون كراعا ومالهم زرع ولا ضرع وخشيت أن تأكلهم الضبع وأنا بنت خفاف بن ايماء الغفاري وقد شهد أبي الحديبية مع النبي صلى الله عليه وسلم فوقف معها عمر ولم يمض وقال مرحبا بنسب قريب ثم انصرف الى بعير ظهير كان مربوطا في الدار فحمل عليه غرارتين ملأهما طعاما وحمل بينهما نفقة وثيابا ثم ناولها بخطامه ثم قال اقتاديه فلن يفنى حتى يأتيكم الله بخير فقال رجل يا أمير المؤمنين أكثرت لها فقال عمر ثكلتك أمك والله اني لأرى ان أبا هذه وأخاها قد حاصرا حصنا زمانا فافتتحاه ثم أصبحنا نستفيء سهامهما فيه انتهى حديث البخاري * وان أردت أن أزيدك فائدة فاستمع تنتفع سئل شريح رحمه الله عن الرجل يطلق المرأة فلم يرتجعها حتى تنقضي عدتها فقال ليس له الا فسوة الضبع خرجه البخاري رحمه الله وفسره انه لم يبق له عليها حق وضرب المثل بشيء لا خير فيه كما يقال لاشيء له الا الريح ولا شيء له غير التراب ونحو هذا من الكلام قال وفيه وجه آخر عن ابن الاعرابي قال فسوة الضبع شجرة تحمل كالخشخاش لا يحصل منه شيء * وتقدم ذكر زير في البيت الذي أنشده الاحمر فاني غير زير وهذه اللفظة من الكلمات التي اجتمع فيها الحرفان الزاي مع الراء وهي التي نبذتها بالعراء وتركتها من وراء وقد ساقني الى تفسيرها قدر الرحمن وعسى ذلك الخير من به المنان أفسر بعدها ما وعدتك به من تفسير ما تقدم من ألفاظ القرآن كالرجز والرجز والوزر والرجز فهو أولى بالتفسير من الزير وان كان كل ذلك لا يستغنى عنه ولا بد للطالب منه أما الزير فهو الرجل الذي يحب مجالسة النساء ومحادثتهن يقال هو حدث نساء وزير نساء أي يزورهن ويتحدث اليهن وهذا وصف ذم والموصوف بذلك أخوهم وكذلك يقال هو خلب نساء وطلب نساء وخطب نساء وجمعه اخطاب وكذلك ازوار واخلاب واطلاب وقال أبو حنيفة رحمه الله الزير الكتان والأبق القنب وأنشد

و بكرة ومحور اصرارا * ومسدا من أبق مغارا

والزير أيضا آلة من آلات اللهو كالعود وغيره وأنشد الحافظ بالاسكندرية لبعضهم فقال

صوت الزنام ورنة الزير * قداوقعاني في الف دردور

في أبيات ولي من قطعة لزومية اخاطب شخصين

ألم تصحبا الى زور يقال على * زير بدار وزير من ذرى زور

وقبله أقول

اراد ذو الغمر تنقيصي فقلت وهل * في قوة الغمر نزف الغمر بالغمر

وتقدم ذكر الارز ورأيت فيه حكاية ان صحت فهي آية كان الحسن بن سويد يؤاكل المأمون فقدمت ارزة فقال الحسن الارز يزيد في العمر فسئل عن ذلك فقال يا أمير المؤمنين ان طب الهند صحيح وهم يقولون ان الارز يرى منامات حسنة ومن رأى مناما حسنا كان في نهارين فاستحسن المأمون ذلك ووصله والذي جاء في الحديث الصحيح ان صلة الرحم تزيد في العمر وللعلماء فيه قولان أحدهما ان الله كتب عمر ابن آدم عشرين سنة مثلا ان قطع رحمه وان وصلها بلغه أربعين سنة أيضا وقد قدر انه يصل رحمه أيضا ولا بد فينتهي الى ما قدر عليه ومثله في القطيعة والقول الآخر نظر الى حديث الارز من وجه وذلك انه قيل في معناه انه يعيش في احسان طيب العيش قرير العين موفقا للاعمال الصالحة في الاوقات الفاضلة التي تزكو بها الاعمال فيكون عمره وان كان عشرين سنة مثلا خيرا من أربعين بضد ما تقدم والله أعلم * ذكر تفسير ألفاظ القرآن الذي هو الحق أولها الرزق رزقنا الله السداد في القول والعمل حتى ننال بذلك الامل اعلم ان الرزق قد يكون غير القوت من سائر الاشياء ألا ترى ان الله تعالى يقول ومامن دابة في الارض الا على الله رزقها فهذا عام معناه الخصوص لان كثيرا من الدواب هلك قبل أن يرزق قال صاحب التحصيل كل دابة لم ترزق رزقا تعيش به فقد رزقت روحا ويقال فلان رزق علما وفلان رزق صبرا وعملا صالحا وزوجا وولدا كما يقال رزق مالا وكذلك في المطعوم والمشروب وليس كل ما رزق الانسان يأكله ألا تسمع الى قوله عليه الصلاة والسلام ليس لك من مالك الا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت وما سوى ذلك فانما هو مال الوارث أو كما قال عليه الصلاة والسلام وجاء في حديث آخر مافوق الخبز وجرة الماء وظل الحائط أو ظل شجرة فضل يحاسب به ابن آدم يوم القيامة وفي حديث آخر وثوب يواري عورة ابن آدم فأما كل شيء فضل عن ذلك ليس لابن آدم فيه حق وقال الله تعالى ولله خزائن السموات والارض قال بعض العلماء خزائن السموات معلومة كالشمس والقمر والمطر والرياح وخزائن الارض النبات

والمعادن وغير ذلك ومن خزائن الارض أيضا بنو آدم بعضهم خزانة لبعض يجمع الانسان لزوجه وزوج ابنته وزوج ولده وللوارث كما تقدّم وهو المسكين المطلوب به غدا ولى فى هذا المعنى قطعة مطولة منها

فيا كاد من لم تنله مشقة * عليه وهذا وحده فيه يطلب
ويسأل عنه مرة بعد مرة * وربتما بعد السؤال يعذب

انظرها فى التكميل وأما رزق الغذاء فلا بدّ منه لا يأكل أحد رزق احد ابدا قال على رضى الله عنه الرزق رزقان رزق تطلبه ورزق يطلبك فأما الرزق الذى يطلبك فرزق الغذاء وأما الذى تطلبه أنت فما تكون فيه خازنا لغيرك والله يرزق العبد الحرام كما يرزقه الحلال لا رازق الا الله كما لا اله الا الله قال ابن عباس رضى الله عنهما ما من مؤمن ولا فاجر الا وقد كتب الله له رزقه من الحلال فاذا صبر أتاه وان جزع فتناول شيئا من الحرام نقصه الله من رزقه الحلال وقال بعض العلماء لا بدّ لكل حى من رزق حتى لو دعا العبد فقال اللهم لا ترزقنى لقال الله تعالى له يا جاهل انى خلقتك ولا بدّ لك من رزق وأنت فى سؤالك هذا عاص نسأل الله تعالى أن يرزقنا حلالا طيبا ويستعملنا صالحا وقد قيل فى الرزق الطيب انه الحلال وقد قيل فى قوله تعالى والطيبات من الرزق ما حرموا من انعامهم وقيل الحلال كما تقدّم وقيل اللذيذ من الاطعمة بعد أن يكون حلالا وقال بعض العلماء لو هرب الانسان من رزقه لطلبه حتى يصل اليه كما لو هرب من الموت لادركه وكما لا يقدر الانسان أن يزيد فى عمره ساعة ولا نفسا ولا طرفة فكذلك لا يقدر أن يزيد فى رزقه ذرة نعم ولو اجتمع الخلائق كلهم على ذلك لعجزوا عنه وقال عليه الصلاة والسلام لرجلين من أصحابه وهما حبة بن خالد وسواء بن خالد لا تيأسا من الرزق ما تهززت رؤسكما فان الولد تلده أمه أحمر ليس عليه قشرة ثم يرزقه الله عز وجل خرجه ثابت رحمه الله وقال القشرة اسم الثوب وكل ملبوس قشر والقشار جلد الحبة التى تزيله عنها وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما اختلف الناس فى كل شئ الا فى الاجل والرزق وأجمعوا ان لا رازق الا الله ولا مميت الا الله وقال ان الله تعالى لما خلق الارزاق أمر الرياح أن تفرقها فى اقطار الارض ففرقتها فمن الناس من وقع رزقه فى مائة ألف موضع ومنهم من وقع رزقه فى عشرة آلاف موضع ومنهم من وقع رزقه فى كذا وينقص من العدد حتى قال ومنهم من وقع رزقه على باب منزله يغدو ويروح اليه فكل عبد يسعى بأثره الذى كتب له حتى يستوفى رزقه

الذى

الذى قسم له فاذا فنى أثره واستوفى رزقه جاء ملك الموت فقبض روحه وقال النبى صلى الله عليه وسلم للزبير بن العوام رضى الله عنه ان مفاتيح الرزق مبسوطة بباب العرش بقدر نفقاتهم فمن كثر كثر له ومن قتر قتر له واعلم ان العبد لا ينقطع رزقه ابدا منذ ظهرت خلقته كان فى بطن أمه غذاؤه كل ما يفيض من دم الحيض مما تفيض به الارحام يعيش بذلك جسمه من ظاهره ومعاه المستطيل من سرته متصل بمعا أمه يصل من بطنها من الطعام الى بطنه فيعيش بذلك باطنه فاذا أذن الله لخروجه بعث اليه الملك فقطع ذلك المعا من موضع اتصاله بمعا أمه فاذا دخل فى الدنيا جعل رزقه من الدنيا فاذا خرج من الدنيا فآخر رزقه من الدنيا أول رزقه فى الآخرة فاذا دخل فى الآخرة كان رزقه فى البرزخ كما كان فى الدنيا بتلك المعانى كمعانيه المحتملة لذلك فاذا خرج من البرزخ ودخل فى القيامة كان رزقه فى الموقف على قدر حاله هنالك فاذا خرج من القيامة ودخل احدى الدارين انتقل رزقه اليها فكان منها الى الابد فهذه حدود رزقه الاربعة وكذلك عمره وأثره ومكانه من المواضع والمرء لما لبث فى الوجود لم يرد الى العدم ولكن ينقل من مكان الى مكان ومن معنى الى معان كما نقل فى فطرة الاربع من تراب الى نطفة الى علقة الى مضغة وهى الطباقة التى يركبها من قوله تعالى لتركبن طبقا عن طبق فتبارك الله أحسن الخالقين وخير الرازقين والاشياء كلها على ضربين مسخر لك ومسلط عليك فما سخر لك سلطت عليه وهذا موضع الشكر لانه نعمة وما سلط عليك فقد سخرت له وهذا موضع الصبر لانه بلاء نعوذ بالله من البلاء وسوء القضاء وقيل فى قوله تعالى وكأين من دابة لا تحمل رزقها أى لا تخبأ وقيل لا ترفع شيئا لغد وقال ابن عيينة ليس شئ يخبأ الا الانسان والنملة والفأرة وزاد غيره النحلة وقال صاحب التحصيل فى قوله تعالى وفى السماء رزقكم أى عند الله فى السماء رزقكم وقيل المعنى فى السماء تقدير رزقكم وكذلك وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون قال ابن عباس رضى الله عنه تجعلون شكركم التكذيب وعنه أيضا يعنى به الاستسقاء بالانواء وقال أبو حامد رحمه الله وذكر الرزق وتدبيره انه البلية الكبرى لعامة الخلق اتعبت نفوسهم وشغلت قلوبهم وأكثرت همومهم وضيعت أعمارهم وأعظمت مشقتهم وأوزارهم وعدلت بهم عن خدمة الله تعالى الى خدمة الدنيا وخدمة المخلوقين فعاشوا فى الدنيا فى غفلة وظلمة وتعب ونصب ومهانة وذل وقدموا الآخرة فما ليس بين أيديهم الحساب والعذاب ان لم يرحم الله

تعالى بفضله وانظر كم آية أنزل الله تعالى فى ذلك وكم ذكر من وعده وضمانه وقسمه على ذلك ولم تزل الانبياء والعلماء يعظون الناس ويصنفون لهم الكتب ويضربون لهم الامثال ويخوفونهم بالله تعالى ومع ذلك لا يهتدون ولا يتقون ولا يطمئنون بل هم فى غمرة من ذلك لا يزالون يخافون ان يفوتهم غداء أو عشاء وأصل ذلك كله قلة التدبر لآيات الله سبحانه وقلة التفكر فى صنائع الله وترك التذكر لكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وترك التأمل لاقوال الصالحين كما ذكر عن بعض الصالحين انه قال ما قدر لماضغيك أن يمضغاه فلا بد يمضغه غيرك فكل ويحك رزقك بالعز ولا تأكله بالذل وقد جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال مكتوب على ظهر الحب والنوى رزق فلان ابن فلان والله تعالى قد ضمن لك رزقك فى كتابه وتكفل به وأقسم عليه وأنت لا تطمئن بوعده ولا تسكن الى قوله وضمانه ولا تنظر الى قسمه بل يضطرب قلبك ويهتم فيا لها من فضيحة لو رأيت ويا لها ويا لها من مصيبة لو علمت مآلها وما تقول لو وعدك ملك من ملوك الدنيا انه يضيفك الليلة ويعشيك وأنت حسن الظن فيه انه صادق لا يكذب ولا يخلف الوعد بل لو وعدك بذلك سوقى أو يهودى أو نصرانى أو مجوسى مستور عندك بظاهره عفيف فى معاملته ألست تثق بوعده وتطمئن لقوله ولا تهتم لعشائك تلك الليلة اتكالا عليه فما لك قد وعدك الله وضمن لك رزقك وتكفل به وأقسم عليه فى غير موضع وأنت لا تطمئن لوعده ولا تسكن الى قوله اذ يقول تعالى خلقكم ثم رزقكم وهذا يدل على ان الرزق من الله لا غير كالخلق ثم لم يكتف بالادلة حتى وعد فقال ان الله هو الرزاق ثم لم يكتف بالوعد حتى ضمن فقال وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها ثم لم يكتف بالضمان حتى أقسم فقال فورب السماء والارض انه لحق مثل ما أنكم تنطقون ثم لم يكتف بذلك كله حتى أمرنا بالتوكل وابلغ وأنذر فقال وتوكل على الحى الذى لا يموت ولما نزل قوله فورب السماء والارض قالت الملائكة هلكت بنو آدم أغضبوا الرب حتى أقسم لهم على أرزاقهم وعن الحسن رضى الله عنه لعن الله أقواما أقسم لهم ربهم فلم يصدقوه وعن على بن أبى طالب رضى الله عنه

اتطلب رزق الله من عند غيره * وتصبح من خوف العواقب آمنا
وترضى بصراف وان كان مشركا * ضمينا ولا ترضى بربك ضامنا

وقال الله تعالى وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مومنين وقال ومن يتوكل على الله فهو

حسبه

حسبه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره أن يكون أغنى الناس فليكن بما فى يد الله أوثق منه بما فى يده (ويروى) عن ابراهيم الخواص رضى الله عنه قال لقيت غلاما فى التيه كأنه سبيكة فضة فقلت الى أين يا غلام فقال الى مكة فقلت بلا زاد ولا راحلة فقال يا ضعيف اليقين الذى يقدر على حفظ السموات والارض يقدر أن يوصلنى الى مكة بغير زاد ولا راحلة فلما دخلت مكة واذا هو فى الطواف يقول

يا نفس سيحى أبدا * ولا تحبى أحدا
الا الجليل الصمدا * يا نفس موتى كمدا

فلما رآنى قال يا شيخ أنت مصر بعد على ذلك الضعف وقال أبو مطيع لحاتم الاصم بلغنى انك تقطع المفاوز بالتوكل من غير زاد قال حاتم بأربعة أشياء قال ما هى قال أرى الدنيا والآخرة مملكة لله تعالى وأرى الخلق كلهم عبيد الله وعياله وأرى الارزاق والاسباب كلها بيد الله وأرى قضاء الله نافذا فى جميع أرض الله وعن بعض الحكماء انه كان فى بعض البوادى فوسوس اليه الشيطان انه متجرد وهذه بادية لا عمران فيها ولا ناس فعزم على نفسه بأن يمشى على تجرده وأن يترك الطريق حتى لا يقع بأحد من الناس ولا يأكل شيئا حتى يجعل فى فيه السمن والعسل ثم عدل عن الشارع ومر على وجهه قال رحمه الله فصبرت ما شاء الله فاذا بقافلة قد أضلت الطريق وهم يسيرون فلما أبصرتهم رميت بنفسى الى الارض لعلهم لا يبصرونى فيسرهم الله حتى وقفوا على فغمضت عينى فرأونى وقالوا هذا منقطع به غشى عليه من الجوع والعطش فهاتوا سمنا وعسلا نجعله فى فيه لعله يفيق فأتوا بسمن وعسل فسددت فمى ولسانى فأتوا بسكين ففتحوا حتى فتحوه فضحكت ففتحت فمى فلما رأوا ذلك قالوا مجنون أنت قلت لا والحمد لله وأخبرتهم ببعض ما جرى لى مع الشيطان قال أبو حامد رحمه الله فان قلت هل تدخل البادية بلا زاد والله تعالى يقول وتزودوا فان خير الزاد التقوى والنبى صلى الله عليه وسلم كان يحمل الزاد وكذلك الصحابة والسلف الصالح رضى الله عنهم فالجواب ان الآية فيها قولان أحدهما انه زاد الآخرة ولذلك قال خير الزاد التقوى ولم يقل حطامها ولا أسبابها والثانى انه كان قوم لا يأخذون زادا فى طريق الحج اتكالا على الناس فيسألون ويلحون وأما النبى عليه الصلاة والسلام وأصحابه رضى الله عنهم فيقال ان ذلك مباح غير حرام انما الحرام تعليق القلب بالزاد وترك التوكل على الله سبحانه وتعالى ثم ما ظنك برسول

الله صلى الله عليه وسلم حيث قال الله له وتوكل على الحى الذى لا يموت أعصاه في ذلك وعلق قلبه بطعام أو شراب أو دراهم أو دنانير كلا وحاشا أن يكون ذلك بل كان قلبه مع الله تعالى وتوكله عليه وانما أخذ الزاد هو وأصحابه لبيان الجواز لا لميل قلوبهم عن الله تعالى الى الزاد والله أعلم وقال على رضى الله عنه ان هذا الرزق ينزل من السماء كقطر المطر الى كل نفس ما كتب الله لها انتهى * (فصل واذ تقدم) * ذكر النملة فاسمع فيها نكتة تساوى رحلة تقدم انها تجمع وترفع كما جاء في حديث سليمان عليه الصلاة والسلام انه كان يفهم منطق الطير كما تقدم ويفهم قول الحكل والحكل ما لا يسمع له صوت يقال فلان في لسانه حكلة أى عجمة لا يبين الكلام وقال العمانى يمدح رجلا

و يفهم قول الحكل لو ان نملة * تساود أخرى لم يفته سوادها

السواد السرار وسيأتى القول فيه وقال رؤبة

لو كنت قد أوتيت علم الحكل * علم سليمان كلام النمل

وفى القرآن العزيز حتى اذا أتوا على وادى النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون اى لا يعلمون بكم جاء في التفسير كان بالشام نمله كالذئاب وأفهم الله النملة هذا ليكون معجزة لسليمان عليه الصلاة والسلام فكان يكلم النملة وتكلمه فسأل مرة نملة كم تأكلين في السنة فقالت ثلاث حبات فأخذ نملة وجعلها في حق وجعل معها ثلاث حبات ثم نظر اليها بعد سنة فوجدها قد أكلت حبة ونصف حبة فقال كيف هذا فقالت لما سجنتنى هنا وأنت ابن آدم تنسى خشيت أن تنسانى فوفرت قوت عام آخر أو كما قال الحديث هذا معناه وجاء في بعض الاخبار ان المطر أبطأ عن قوم من بنى اسرائيل فقالوا ان لم تمطرها لكنا فلما علم الله ذلك من قلوبهم ورأى انهم قد اتكلوا على المطر اوحى الله تعالى الى نبيهم انى قد أمرت السماء ان لا تمطرهم وامرت الارض ان لا تنبت لهم شيئا وقد اوحيت الى اضعف خلقى ان يقوتهم في هذه السنة فامرهم ان يتتبعوا قرى النمل فليمتاروا منها قوت سنتهم فاخرجت النمل ما كان عندها فجعل الرجل منهم يأتى فيكتال قوت سنته وينصرف به فلما كان في العام المقبل قالوا نزرع ولا نبالى جاء المطر أو لم يجئ فان الله سيرزقنا فلما علم الله ذلك منهم اوحى الى نبيهم انى قد امرت السماء ان تمطرهم ضعفى ما كانت تمطرهم وامرت

الارض ان تخرج لهم ضعفى ما كانت تخرج لهم فجعل الرجل منهم يكتال من غلته ضعفى ما كان يكتال فقالوا اما اذ قد فعل الله ذلك بنا فتشكر ونرد الى النمل ضعفى ما أخذ نا منها ففعلوا ووضعوا فى قرى النمل فخرجت النمل فأخذت ما أعطت وتركت سائره وقال الاحوص وذكر ان النمل يأكل فى الشتاء ما جمع فى الصيف

ولها بالماطرون اذا * أكل النمل الذى جمعا

خرفة حتى اذا ارتبعت * سكنت من جلق بيعا

فى قباب وسط دسكرة * حولها الزيتون قد ينعا

قال المفسرون الماطرون موضع بناحية الشام وروى الناطرون بالنون وأنشد للهذلى فقال

طال ليلى وبت كالمجنون * واعترتنى الهموم بالماطرون

وفسره الناطر والناطور حافظ الكرم والجمع نواطير أنشدنى هذه الابيات الخطيب أبو محمد رحمه الله وسألته عن الماطرون فقال هو الذى يقول له الناس عصير الرب ثم انه كتب الى رسالة جوابا عن سؤال سألته فيه عن رجل فقال أما فلان فانه ابتغى بجبل نطرون نفقه وقنع بالماطرون نفقه وأظنه لن يفارق الكن والكانون أو ينسلخ كانون فى كلام طويل جميل انظره فى التكميل * قال بعض أهل اللغة الكانون والكانونة الموقد وقد يقال للثقيل من الرجال كانون قال الحطيئة

أغربالا اذا استودعت سرا * وكانونا على المتحدثينا

وكانون من أسماء الشهور الاعجمية وقد تقدم ولابن سارة يصف نارا فى الكوانين فقال

لابنة الزند فى الكوانين جمر * كالدرارى فى دجى الظلماء

خبرونى عنها ولا تكذبونى * ألديها صناعة الكيمياء

سبكت فحمها صفائح تبر * رصعتها بالفضة البيضاء

كلما ولول النسيم عليها * رقصت فى غلالة حمراء

لو ترانا من حولها قلت شرب * يتعاطون أكؤس الصهباء

سفرت فى غشائها فأرتنا * حاجب الشمس طالعا بالعشاء

وفى بعض الآثار ان نبى الله سليمان عليه الصلاة والسلام خرج يستسقى فرأى

نملة قائمة على رجليها وهى تدعو وتقول اللهم انا خلق من خلقك وليس بنا غنى عن رزقك فلا تهلكنا بذنوب غيرنا فقال سليمان ارجعوا فقد سقيتم بدعوة غيركم وجاء فى الحديث من ذكر النمل نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل أربعة من الدواب النملة والنحلة والهدهد والصرد وفى الحديث أيضا ان نبيا من الانبياء قرصته نملة فأمر بقرية النمل فأحرقت فأوحى الله اليه أفى أن قرصتك نملة واحدة أهلكت أمة من الامم تسبح وفى بعض الروايات فهلا نملة واحدة وجاء فى خبرانه عزير وانه لما أحرق قرية النمل أوحى الله اليه يا عزير يبلغ من أذاهن اياك أن تحرق قرية النمل بالنار وانما عضتك منها نملة واحدة فقال يارب انما عضتنى تلك النملة الواحدة بقوتهن ثم علم عزير ان هذا مثل ضربه الله له وذلك أمر كان قد تقدم له والله أعلم * تقدم ان النملة تجمع وقد وصف جرير بن عبد الله البجلى الذرة بالجمع فقال لعمر بن الخطاب رضى الله عنه حين قدم عليه من قبل سعد بن أبى وقاص فسأله عمر فقال كيف تركت سعدا فى ولايته فقال تركته أكرم الناس مقدرة وأحسنهم معذرة وهو لهم كالأم البرة يجمع لهم كما تجمع الذرة مع انه ميمون الاثر مرزوق الظفر وذكر حديثا طويلا خرج حديثه هذا ابن عبد البر رحمه الله وذكر جريرا هذا وفضله وانه كان سيدا فى قومه وتأخر اسلامه قال جرير رضى الله عنه أسلمت قبل موت رسول الله صلى الله عليه وسلم بأربعين يوما ومع ذلك فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحبه قال جرير ما حجبنى رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ أسلمت ولا رآنى قط الا ضحك وتبسم وفيه قال عليه الصلاة والسلام اذا أتاكم كريم قوم فأكرموه ويروى ان ذلك قاله فى صفوان بن أمية وفى جرير قال الشاعر

لولا جرير هلكت بجيله * نعم الفتى وبئست القبيله

فقال عمر رضى الله عنه ما مدح من هجى قومه وكان عمر رضى الله عنه يقول جرير يوسف هذه الامة يعنى فى حسنه وهو الذى قال لعمر بن الخطاب حين وجد فى مجلسه رائحة كريهة من بعض جلسائه فقال عزمت على صاحب هذه الرائحة الا قام فتوضأ فقال جرير علينا كلنا يا أمير المؤمنين فاعزم قال عليكم كلكم عزمت ثم قال يا جرير ما زلت سيدا فى الجاهلية والاسلام وكان عمر رضى الله عنه جلدا قويا فى الدين لا تأخذه فى الله لومة لائم وروى انه خرجت منه ريح وهو يخطب

فقال أيها الناس انى فسوت وذكر كلاما معناه انى لا أداهن ولا أدارى أو نحو هذا فصرح بعيب نفسه رضى الله عنه ولم يبال بالناس بخلاف الحجاج اعتراه مثل ذلك على المنبر فقال فى اثناء خطبته أيها الناس ما أراكم تحسنون الوضوء يا غلام ائتنى بوضوء وطست حتى أريهم الوضوء فجاء بالماء فتوضأ على المنبر يريهم وزعم انه يعلمهم وهو يتوضأ من حدثه *(فصل وتقدم ذكر)* الزرع وجاء فى القرآن فى مواضع معنى زرع أنبت وبه سمى الغلام زرعة على طريق التفاؤل * بأن ينبته الله من قولهم للغلام زرعك الله أى أنبتك الله وزرعه الله اذا بلغه شبابه وتصغير زرعة زريع وقد سمى بذلك قوم وسموا بزارع كما سموا بنابت وقال الله تعالى أفرأيتم ما تحرثون أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون وعلى هذا جاء الحديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقولن أحد كم زرعت وليقل حرثت خرجه البزار من طريق أبى هريرة رضى الله عنه فهذا مطابق للقرآن نسب الحرث الينا الذى هو عملنا وأضاف الخلق الذى هو الزرع اليه سبحانه وكان أبو عبد الرحمن الحبلى رضى الله عنه يستعمل هذا المعنى فكان يكره أن يقول زرعت فى أرض كذا وكذا وسأل الحجاج رجلا فقال له زرعت فقال حرثت والله هو الزارع هذا هو الادب مع الله تعالى لان الله هو الزارع وقال تعالى أصابت حرث قوم وقال أيضا داود وسليمان اذ يحكمان فى الحرث هذا هو الاصل ثم قد يسمى الحرث زرعا والزرع حرثا اتساعا بعد ان قد علم ان الله هو الزارع المنبت الخالق وحده ألا ترى قوله تعالى أصابت حرث قوم وهل أصيب الا المزروع فى الارض المحترثة وخرج مسلم فى فضل الزرع والغرس عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لا يغرس مسلم غرسا ولا يزرع زرعا فيأكل منه انسان ولا دابة ولا شئ الا كانت له صدقة وقال تعالى تزرعون سبع سنين دأبا وقال سعيد بن المسيب رضى الله عنه انما يزرع ثلاثة رجل له أرض فهو يزرعها ورجل منح أرضا ورجل استكرى أرضا بذهب أو فضة وفى البخارى عن النبى صلى الله عليه وسلم ان رجلا من أهل الجنة استأذن ربه فى الزرع فقال له ألست فيما شئت قال بلى ولكنى أحب أن أزرع قال فبذر فبادر الطرف نباته واستواؤه واستحصاده فكان أمثال الجبال فيقول الله دونك يا ابن آدم فانه لا يشبعك شئ فقال اعرابى والله لا نجده الا أنصاريا أو قرشيا فانهم أصحاب زرع فضحك

النبى صلى الله عليه وسلم وذكر على بن عبد العزيز فى المنتخب فى الحض على الغرس عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ان قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة فاستطاع أن لا تقوم حتى يغرسها فليغرسها * وقد تقدم قوله عليه الصلاة والسلام احرثوا فان الحرث مبارك واكثروا فيه من الجماجم انظره فى باب الجيم ومن الحض على الزرع أيضا قول عروة بن الزبير رضى الله عنه عليك بالزرع فان العرب تتمثل فيه بتنا

تتبع خبايا الارض وادع مليكها * لعلك يوما أن تجاب فترزقا

ووقع فى الشهاب الثمر والرزق فى خبايا الارض وفسر بهذا المعنى وقيل أيضا يعنى به ما تحت الارض من المعادن والله أعلم بما أراد من ذلك وفى الحديث من قال سبحان الله وبحمده غرست له نخلة فى الجنة وجاء فى حديث آخر ويأتى وقت فييبس فيه بعضها فيقال لم ذلك فيقال ان صاحبها قد اغتاب أو نحو ما هذا معناه وجاء عن أبى سليمان الدارانى رضى الله عنه ان فى الجنة قيعانا فاذا أخذ الذاكر فى الذكر أخذت الملائكة فى غرس الاشجار فربما يقف بعض الملائكة فيقال لم وقفت فيقول فتر صاحبى وكذلك جاء ان درج الجنة تبنى بالذكر فاذا أمسك عن الذكر أمسكوا عن البناء فيقولون حتى تأتينا نفقة (فائدة) زائدة فى حسن الادب فى الذكر لا ينبغى للعبد أن يقول الحمد لله حتى يكملها رب العالمين كذلك أمرنى بعض أشياخنا رحمه الله وكذلك لا يقول سبحان الله حتى يقول وبحمده لانه روى ان العبد اذا قال سبحان الله قالت الملائكة وبحمده واذا قال سبحان الله وبحمده صلت عليه الملائكة وفى المنتخب ان الله اختط حائط الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة وغرس غراسها بيده وقال لها تكلمى فقالت قد أفلح المؤمنون فقال طوبى لك منزل الملوك وجاء فى الحديث لا يزال الله تعالى يغرس فى الاسلام قوما يعملون بطاعة الله وفى رواية يستعملهم فى طاعته رواه أبو عتبة الخولانى رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أبو عتبة رضى الله عنه هذا يقول لقد رأيتنى وأنا قد اسبلت شعرى فى الجاهلية حتى اجزه لصنم لنا فأخره الله حتى جززته فى الاسلام وكان أبو عتبة المذكور قد صلى للقبلتين قلت وكان أبى رحمه الله كثير الخير والبر من صلاة وصيام وصدقة وقراءة وذكر وسمعته مع ذلك يقول أرجى عملى معى الغرس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

لا يغرس مسلم غرسا ولا يزرع زرعا الحديث المتقدم الذى آخره الا كانت له صدقة قال رحمه الله غرست بيدى أكثر من اثنى عشر ألف نقلة بين لوز وتين وعنب وغير ذلك كلها قد أكل منها نفعه الله بها وفى المنتخب من يغرس غرسا كتب له من الاجر بقدر ما يخرج من ثمر ذلك الغرس وسمعت بعض الاشياخ يقول الزارعون هم المتوكلون يعمد أحدهم الى مد طعام ربما ليس له غيره فى عام مجاعة فيودعه بطن الارض ثم يقعد متوكلا على ربه أن يرزقه به أمدادا أو كلاما هذا معناه

* (فصل) * وأما زرقا من قوله تعالى ونحشر المجرمين يومئذ زرقا فهى صفة منكرة مكروهة فى الآخرة وعلامة لاهل النار عافانا الله قيل فى التفسير يعنى زرق الالوان الا انهم شعثون متغيرون وقيل عميا وقيل زرق العيون من العطش قال ابن عباس رضى الله عنهما فى يوم القيامة أحوال ففى حال يقومون عميا وفى حال يكونون زرقا وقيل يقومون من قبورهم يبصرون ثم يعمون فى الحشر وقيل لا يبصرون شيئا الا جهنم وقال الحسن عميا عما يسرهم وكذلك قال فى قوله تعالى يعرف المجرمون بسيماهم قال سواد الوجوه وزرقة الاعين وقال الفرزدق

لقد خاب من أولاد آدم من مشى * الى النار مغلول القلادة أزرقا

هذا حديث الآخرة وأما الدنيا فلا فضل للاكحل على الازرق ولا للازرق على الاكحل الا بالتقوى ان أكرمكم عند الله أتقاكم وان الله لا ينظر الى صوركم ولا الى أموالكم ولكن ينظر الى أعمالكم وتقوى قلوبكم أو كما جاء الخبر بل ربما قد تمدح الزرقاء جاء فى الحديث تزوجوا الزرق فان فيهن يمنا ذكره شارح الشهاب البابى رحمه الله وقد يوصف الازرق بحدة البصر وجودة النظر ويكفى من ذلك زرقاء اليمامة المضروب بها المثل الى يوم القيامة * ذكر انها كانت تبصر على مسيرة ثلاثة أيام واسمها اليمامة وبها سميت البلد وذكر الجاحظ انها كانت من بنات لقمان بن عادوان اسمها عنز وكانت زرقاء وكانت الزباء زرقاء وكانت البسوس زرقاء وقال محمد بن حبيب كانت الزرقاء امرأة من جديس وكانت تبصر على مسيرة ثلاثة أيام كما تقدم فأغار على قومها حسان فأعلمت بذلك قومها فلم يصدقوها حتى استؤصلوا وأخذت الزرقاء فشق عيناها فاذا فيها عروق سود من الاثمد وكانت أول من اكتحل به من العرب وأما رمزا فان الرمز فى اللغة الايماء بالشفتين وقد يستعمل فى الايماء

*

بالحاجبين واليدين وأصله الحركة والذى قيل له آيتك أن لا تكلم الناس ثلاثة أيام الارمزا هو زكريا صلوات الله وسلامه عليه قال ابن سلام عوتب بذلك لانه سأل الله الآية بعد أن شافهته الملائكة بالبشرى بيحيى وسبب ذلك انه لما حررت امرأة عمران ما فى بطنها لله وكانوا يحررون الذكور فكان المحرر اذا حرر يكون فى المسجد يقوم عليه ويكنسه ولا يبرح عنه وكانت المرأة لا تستطيع أن تصنع ذلك لما يصيبها من الاذى فلما وضعتها قالت رب انى وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت ويقرأ وضعت وليس الذكر كالانثى وانى سميتها مريم وانى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم أى الملعون أن يضلها واياهم قلت أجاب الله دعاءها أخرج البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ما من مولود يولد الا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخا من مس الشيطان اياه الا مريم وابنها ثم قال أبو هريرة اقرؤا ان شئتم انى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم وقال الكلبى لما وضعتها لفتها فى خرقتها ثم أرسلت بها الى بيت المقدس فوضعتها فيه فتنافسها الاحبار بنو هارون فقال لهم زكريا أنا أحقكم بها عندى أختها فذروها لى فقالت الاحبار لو تركت لاقرب الناس اليها لتركت لأمها ولكنا نقترع عليها فهى لمن خرج سهمه فاقترعوا عليها باقلامهم التى كانوا يكتبون بها الوحى فقرعهم زكريا فضمها اليه واسترضع لها حتى اذا شبت بنى لها محرابا فى المسجد وجعل بابه فى وسطه لا يرتقى اليه الا بسلم ولا يأمن عليها غيره فكان كلما دخل عليها وجد عندها رزقا يجد فاكهة الشتاء فى الصيف وفاكهة الصيف فى الشتاء الى قوله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لى من لدنك ذرية طيبة يعنى تقية وكانت امرأة زكريا عاقرا قد دخلت فى السن وزكريا شيخ كبير فنادته الملائكة وهو قائم يصلى فى المحراب ان الله يبشرك بيحيى الآية قال رب أنى يكون لى غلام الآية قال الحسن أراد أن يعلم كيف وهب له ذلك وهو كبير وامرأته عاقر ليزداد علما ثم سأل الآية قال آيتك أن لا تكلم الناس ثلاثة أيام الا رمزا عوتب فأخذ بلسانه فجعل لا يفيض الكلام وانما عوتب لان الملائكة شافهته فبشرته بيحيى مشافهة فسأل الآية كما تقدم وجاء فى سورة كهيعص ثلاث ليال سويا يعنى صحيحا لا يمنعك الكلام مرض وأما ركزا من قوله تعالى هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا فمعناه هل ترى منهم

من أحد أو تسمع لهم صوتا والركز فى اللغة الصوت الخفى وقيل صوت وقع الاقدام وأما زبرا فجمع زبور وهو الكتب يقال زبرت وكتبت بمعنى وأصل الزبر الزجر وسمى الكتاب به لان الزجر فيه ويقال زبر فلان فلانا اذا انتهره وقد تقدم فى حديث ابن عمر فزبره عبد الله وقال أقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقول لا أدعهن يعنى النساء فى خروجهن الى المسجد وجاء فى الحديث لا زبر له بفتح الزاى وتسكين الباء وفسره الراوى لا عقل له والزبر بفتح الباء قطع الحديد واحدتها زبرة وهى التى أعدها ذو القرنين لبناء سد يأجوج ومأجوج ولم يبن بها زبرا بل صيرها لبنا وحينئذ صح لبها البناء ذكر أبو عبيد البكرى ان معاوية رضى الله عنه أرسل خمسة وعشرين رجلا الى سد يأجوج ومأجوج ينظرون كيف هو وكتب الى ملك الخزر أن يجاوزهم الى من خلفهم واهدى اليه هدايا فوصلوا اليه ورجعوا بصفته وكذلك فعل الواثق بالله تعالى أيضا وجه اليه خمسين رجلا ومكثوا فى الطريق صادرين وواردين ثمانية وعشرين شهرا وكان المقدم عليهم سلام الترجمان ووصف أيضا صفته وما رأى فى طريقه من العجائب وحدث انه انتهى مع أصحابه الى حصن يقرب من الجبل الذى هو آخر السد فيه قوم مسلمون يتكلمون بالعربية وبالفارسية يقرؤن القرآن ولهم مساجد فسألونا من أين أقبلنا فأخبرناهم انا رسل أمير المؤمنين فجعلوا يتعجبون ويقولون أمير المؤمنين ونقول نعم فيقولون شيخ هو أو شاب فقلنا شاب فعجبوا ايضا وذكر أيضا انه رأى بقية آلة البناء من قدور الحديد ومغارف الحديد وبقايا من لبن الحديد وقدر اللبنة منها ذراع ونصف فى سمك شبر وذكر أن لون السد كأنه محبر وكذا جاء فى الحديث قال رجل للنبى صلى الله عليه وسلم انى رأيت السد قال كيف رأيته قال كأنه حبرة قال قد رأيته وذكر أبو عبيد المذكور ان بين الجبلين مائة فرسخ وان ذا القرنين حفر له أساسا حتى بلغ الماء ثم جعل عرضه خمسين فرسخا وجعل حشوه الصخور ثم علا على وجه الارض زبر الحديد والنحاس والصفر وصار كأنه برد محبر كما تقدم وأما زمرا فهى الجماعات فى تفرقة واحدتها زمرة وقيل الذين لهم صوت كصوت المزمار قاله المهدوى رحمه الله وأما الجرز فهى الارض اليابسة التى لا نبات فيها قال عكرمة هى الارض الظمأى وجمع جرز أجراز يقال سنون أجراز وهى التى لا يكون فيها مطر ويكون فيها جدوبة ويبس وشدة قال ذو الرمة يصف ابلا

طوى الحزن والاجراز ما فى بطونها * فما بقيت الا الضلوع الجراشع

والجراز السيف الماضى فى الضريبة ذكره صاحب النوادر وأنشد

قد يفل السيف وهو جراز * ويصول الليث وهو عفير

وقال ابن عباس فى الارض الجرز هى أرض باليمن روى انها أرض لا انهار فيها وانها بعيدة من البحر وانها يأتى لها كل عام واديان فيزرعون ثلاث مرات فى كل عام والجرزة بسكون الراء الحزمة تجمع من الارض ذكره ثابت فى حديث ابن عباس رضى الله عنهم وذكر فرعون موسى قال فحشر له كل ساحر متعالم فجعلت العصا بدعوة موسى تلتبس بالحبال حتى صارت جرزا الى الثعبان تدخل فى فيه حتى ما أبقت عصا ولا حبلا فسره ثابت بالحزمة كما تقدم قال والجرز أيضا مصدر جرزت الارض جرزا فهى مجروزة وقالوا أرض جرز وأجراز يجمعون على سعة الارض قاله ثابت أيضا وأما البراز فمعناه ظهر ومنه الارض البراز أى التى لا شئ يسترها فهى ظاهرة وهى التى كره الاغتسال فيها لقلة التستر قال الشاعر

اذا علتك الشمس فى المفاز * فأين تنحاز عن البراز

وقد يسمى قضاء الحاجة البراز باسم المكان كما سموه الغائط باسم المكان المنخفض وقالوا فلان يتبرز بدون ذلك وفى الحديث عن أنس رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبرز لحاجته فآتيه بالماء فيغسل به أخرجه مسلم وخرج غيره ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا أراد البراز أبعد وأما وزرا فأصله ما حمله الانسان مما يثقله فى قوله تعالى يحملون أوزارهم على ظهورهم أى اثقالهم يعنى آثامهم قلت وأى حمل أثقل من الذنب عافانا الله منه وقد أكثر الناس القول فى ثقل الذنوب وروى فى بعض الاخبار ان الارض تقول يارب حملتنى الجبال الرواسى باكنافها وصخورها فلم تثقل على وحملتنى ابن آدم فثقل على بذنوبه يارب ائذن لى فأبتلعه فأستريح منه فيقول الله تبارك وتعالى بل وسعه حلمى فان تاب قبل الممات تبت عليه وهانت على ذنوبه والا فاله عندى أشد مما تريدين به فاصبرى الى أجله الذى أجلت له ومن أحسن ما رأيت من ذلك منظوما على ظهر كتاب

فبالله الا ما دعوت بنية * لكاتبه بالعفو فهو مثقل

فان الذى تدعو رؤف بخلقه * كريم عليهم ليس بالعفو يبخل

ولعلك يا قارئ هذا الكتاب تدعو لكاتبه أيضا بالمتاب ولى فى ذلك قطعة مطولة

ثقلت بالذنب لا أستطيع أحمله * فكيف لى يا الهى بالنجاة غدا

قد كتبتها فى التكميل وقالوا فى قوله تعالى حتى تضع الحرب أوزارها يعنى يضع أهل الحرب السلاح حتى لا يبقى الا مسلم أو مسالم سمى السلاح أوزارا لانه يثقل على صاحبه حمله وقوله تعالى ولا تزر وازرة وزر أخرى روى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان الناس قبل ابراهيم عليه الصلاة والسلام كان يؤخذ المولى بذنب الولى فأنزل الله فى صحف ابراهيم عليه السلام أن لا تزر وازرة وزر أخرى وقيل نزلت فى شأن رجل من المشركين ضمن لرجل ممن اتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم انه ان رجع تحمل عنه عذاب الآخرة فقال الله تعالى ألم يخبر هذا المضمون له بما فى صحف ابراهيم وموسى انه لا تزر وازرة وزر أخرى أى لا تحمل حاملة ثقل أخرى أى لا تؤاخذ نفس بذنب غيرها وكذلك قوله تعالى حملنا أوزارا من زينة القوم أى حملنا أثقالا من حليهم وأما الوزر فهو الجبل والملجأ كالحصن وغيره وقوله تعالى كلا لا وزر أى لا ملجأ ومنه اشتقاق الوزير من قوله تعالى واجعل لى وزيرا من أهلى أى صاحبا ألجأ اليه يقال تأزرت فلانا على الامر أى قويته عليه * وقد تقدم أخرج شطأه فآزره أى قواه ووازرت فلانا صرت له وزيرا وقيل اشتقاق الوزير من الوزر وهو الحمل لان الوزير يحمل عن السلطان الثقل والله أعلم ولا بد للناس من أمير ولا بد للامير من وزير فاذا أراد الله به خيرا جعل له وزيرا صالحا ان نسى ذكره وان ذكر أعانه وضده بضده كما يروى ان أحد الامراء قال لوزيره قل مال بيت المسلمين فأضعف على الرعية الخراج والاستغلال فقال له الوزير وكان سائسا أفعل فخرج الى الرعية وقال لهم ان الامير أيده الله نظر اليكم ورأى انكم مثقلون بالمغارم فحط عنكم نصف ذلك فأخلصوا له فى الدعاء واجتهدوا فى العمل وزيدوا فى الحرث والغرس واتسعوا فى المتاجر ففرح الناس بذلك وعملوا ما أمرهم الوزير وبارك الله لهم فى عامهم وعملهم فلما جاء الاستغلال قبض منهم ببركة الله تعالى وحسن نية الوزير وبما زادوا فى الحرث الذى أراد الامير ولم يضر أحدا من الرعية ولا ظلم بل حط عنهم نصف ما كان قبل عليهم فرفع للامير ما أراد فشكره ولم يعلم باطن الامر وقال له اضعف العدد عليهم مرة أخرى ففعل الوزير معهم مثل ذلك الفعل الاول وقال لهم قد حط الامير نصف العدد فاتسعوا فى العمل كذلك فكان لهم ذلك وأنمى الله لهم حالهم ورفع الوزير ما أراد الامير فقال

له فى العام الثالث كذلك فقال لهم مثل ذلك كما تقدم فلما كان فى العام الرابع أشار عليه الامير بالعادة فقال له الوزير على رسلك كان من الامر كذا وكذا وحكى له الامر فشكره الامير على حسن تدبيره وجميل نظره وأمره أن يبقوا على الرسم الاخير فكان ذلك ما عاش وعاش الناس فى أيامه الى ان انقرضوا رحمهم الله تعالى هذا معنى الحكاية والله أعلم وأما زهرة الحياة الدنيا فعناه زينتها فان فتحت الهاء فهو نور النبات فان ضممت الزاى وسكنت الهاء فهو النجم المعروف وقد تفتح الهاء فى النجم أيضا فيقال زهرة ذكره ابن سلام رحمه الله فى تفسيره الكبير وعن على ابن أبى طالب رضى الله عنه انه قال كانت الزهرة امرأة جميلة فخاصمت الى الملكين فراوداها فقالت لا أفعل حتى تعلمانى الاسم الاعظم الذى اذا تكلم به عرج الى السماء فعلماها فعرجت فمسخها الله كوكبا وقال ابن عباس رضى الله عنهما تدرون ماهذه الكوكبة الحمراء فى قومها يعنى الزهرة كانت تسمى بيدخت وكان ابن عمر رضى الله عنه اذا رآها قال لا مرحبا بك ولا أهلا قلت انما قال هذا رحمه الله لأنها كانت بقدر الله سبب فتنة هاروت وماروت وتعذيبهما الى يوم القيامة وكانا من الملائكة وقال مجاهد عجبت الملائكة من ظلم بنى آدم وقد جاءتهم الرسل فقال لهم ربهم اختاروا منكم اثنين أنزلهما يحكمان فى الارض فكانا هاروت وماروت فحكما فعدلا حتى نزلت عليهما الزهرة فى صورة أحسن امرأة تخاصم فافتتنا بها فراوداها عن نفسها فطارت الزهرة فرجعت حيث كانت ورجعا الى السماء الدنيا فزجرا فرجعا فاستشفعا برجل من بنى آدم فقالا له سمعنا ربك يذكرك بخير فقال لهما كيف يستشفع أهل الارض لاهل السماء ثم دعا لهما فخيرا بين عذاب الدنيا وبين عذاب الآخرة فنظر أحدهما الى الآخر فقال ألم تعلم ان أنواع عذاب الله تعالى فى الآخرة كذا وكذا فى الخلد أيضا فاختارا عذاب الدنيا فهما يعذبان ببابل ذكر فى هذا الخبر ان الزهرة نزلت من السماء وذكر عن مجاهد ان المرأة التى افتتنا بها كانت من نساء أهل الدنيا وقد تقدم هذا وانها مسخت كوكبا والله أعلم وكذلك قالوا ان سهيلا كان عشارا فمسخ وان العنكبوت كانت امرأة عاصية لزوجها والفيل لوطيا والدب مؤنثا والضب سارقا للحجاج والارنب امرأة لا تغتسل من الحيض والخنفساء امرأة سحرت ضرتها والوطواط سارقا للرطب من رؤس النخل والقنفذ مسىء الخلق والعقرب رجلا همازا والدعموص نماما والجريث ديوثا والقردة

اعتدوا فى السبت والخنازير سألوا نزول المائدة ثم كذبوا بها جميعهم خمسة عشر مسخهم الله تعالى نعوذ بالله من سخطه هذا ذكره أهل التفسير والذى جاء فى الصحيح ان من مسخ لم يجعل لهم نسل وانهم عاشوا حتى ماتوا ولم يتناسلوا وقد كانت القردة والخنازير قبل ذلك خرج مسلم رحمه الله فى حديث ذكر فيه قال رجل يارسول الله القردة والخنازير هى مما مسخ فقال النبى صلى الله عليه وسلم ان الله لم يهلك قوما أو يعذب قوما فيجعل لهم نسلا وان القردة والخنازير كانوا قبل ذلك * فائدة * فى القرد خرج عبد الملك بن حبيب رحمه الله قال فى القرد لا يحل بيعه ولا أكل ثمنه ولا أكل لحمه ولا اتخاذه وحبسه قال وقد حدثنى ابن الماجشون عن الدراوردى عن عامر الشعبى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن بيع القرد وأكل لحمه وثمنه وقال عن ابن شهاب ان سفينة مولى أم سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم جاء بقرد من الشام الى المدينة فاجتمع الناس ينظرون اليه ويعجبون منه فأخبر به عمر ابن الخطاب رضى الله عنه فأرسل الى سفينة فقال والله لتخرجن بهذا القرد الذى جئت به حتى ترده من حيث جئت به فخرج به حتى بلغ به أوائل الشام وأما زجرة واحدة فيعنى نفخة الصور والزجرة الواحدة الصيحة بشدة وانتهار والصور قرن فيه ثقب بعدد أرواح الخلائق وينفخ فيه ملك يقوم بين السماء والارض فيذهب كل روح الى جسده فيدخل فيه وجاء فى الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال كيف أنعم وصاحب الصور قد التقمه وحنى جبهته ينتظر متى يؤمر بالنفخ قالوا يارسول الله وما تأمرنا قال قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل وهذه النفخة الاولى التى يموت بها كل حى وهى نفخة الصعق وله فيه نفخة أخرى يحيى بها كل ميت وهى نفخة النشور ولا يكون ذلك حتى يرسل الله على الارض مطرا مثل منى الرجال ينبت الله منه أجسام بنى آدم فتدخل فيها الارواح بالنفخة الاخرى فاذا هم قيام ينظرون وما بين النفختين أربعون كذا جاء أربعون وقد سئل عن ذلك أبو هريرة رضى الله عنه فقيل له سنة قال أبيت فقيل له شهر وقد تقدم وجاء فى تفسير ابن سلام أربعون سنة مفسرة وفى النفخة الاولى يموت الخلق كلهم كما تقدم وآخر من يبقى جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت ثم يموت جبريل وميكائيل واسرافيل ثم يقول الله تعالى لملك الموت مت فيموت وقد تقدم ان الله تعالى يقول بعد فناء الخلق كلهم لمن الملك اليوم فلا يجيبه أحد فيرد على نفسه لله الواحد القهار قهر العباد

بالموت وأما الرجز أعاذنا الله منه فانه العذاب ورجز الشيطان لطخه ومايدعو اليه من الكفر وقوله تعالى والرجز فاهجر وقرئ بضم الراء الرجز فمعناه هنا الاوثان فقيل اساف ونائلة صنمان كانا عند البيت وقيل الرجز هنا العذاب بعينه ويكون على حذف مضاف التقدير وعمل الرجز فاهجر أى العمل المؤدى الى العذاب ولما كانت الاوثان سببا الى العذاب سميت به على حد مذهبهم فى تسمية الشئ باسم الشئ اذا كان مجاورا له أو سببا له والرجز والرجس واحد فى معنى العذاب والرجس أيضا القذر والنتن وفسر قوله تعالى فزادتهم رجسا الى رجسهم أى عذابا الى عذابهم بما تجدد من كفرهم وقيل نتنا الى نتنهم أى كفرا الى كفرهم وكنى عن الكفر بالنتن كما كنى عن الاوثان بالرجز والله أعلم * وأما عززنا بثالث فمعناه قوينا وشددنا وقرئت فعززنا بالتخفيف قال كعب ووهب القرية التى جاءها المرسلون هى انطاكية كان أهلها يعبدون الاصنام فأرسل الله اليهم اثنين وهما صادق وصدوق والثالث شمعون عزز الله به الاثنين أى قواهما وقوله تعالى وتعززوه وتوقروه على قراءة من قرأه بالزاى وهو من هذا ومن قرأ تعزروه بالراء فمعناه تعظموه وتفخموه وقال قتادة رضى الله عنه تنصروه وقد قرئ أيضا تعززوه فمعناه تمنعوه وتمنعوا دينه والضمير فى هذا وفى توقروه للنبى صلى الله عليه وسلم والضمير فى وتسبحوه لله تبارك وتعالى والعزيز فى كلام العرب القاهر الغالب الذى لا يمتنع عليه من أراده وهذه صفة العزيز حقيقة وهو الله تعالى وحده وتقول العرب من عز بز أى من غلب سلب كما قالت الخنساء

كان لم يكونوا حما يتقى * أذى الناس اذذاك من عزبزا

ومن ذلك أيضا قولهم عززته فبززته والاسم البزيزى وهى التغلب والسلب والبزة الشارة الحسنة وقال الشاعر * لابن اذا عزك من تخاشن * وقال الله تعالى وعزنى فى الخطاب أى غلبنى ومن هذا قول الناس أدام الله عزك أى غلبتك وظفرك ويجوز اعزازك وهو مصدر أعزك ويجوز أيضا تعزيزك وهو مصدر عزز ويقال اعزز على بكذا أى ما أعظمه على وملك أعز أى عزيز وتقدم قول الله تعالى أعزة على الكافرين وهو من هذا أى يعازون الكافرين يغالبونهم ويمانعونهم يقال عزه يعزه عزا اذا غلبه والمطر يعزز الارض اذا لبدها وأعززنا فى الارض اعزازا اذا وافقت بلدا غليظا وعاز الرجل ابله وغنمه اذا كانت مراضا

لاتقدر

لاتقدر على أن ترعى فيحتش لها والعزاز الذى جاء فى الحديث هى الارض الشديدة كان عليه الصلاة والسلام اذا أراد أن يبول فاتى عزازا من الارض أخذ عودا من الارض فنكت به حتى يثرى ثم يبول كذا وقع فى الحديث والمشهور عزازا بالالف قال الخليل العزاز أرض صلبة ليست بذات حجارة ولا يعلوها الماء والعزوز الشاة الضيقة الاحليل تحلب بجهد وجمعها عزز يقال عززت الشاة وأعززت وتعززت ومثلها الحصور يقال أيضا حصرت وأحصرت قال والعزاء الشديدة وهذا قول أبى جعفر النحاس وغيره وجاء من ذلك فى حديث موسى عليه السلام انه آجر نفسه من شعيب عليهما الصلاة والسلام بشبع بطنه وعفة فرجه فقال له شعيب لك منها من نتاج غنمه ماجاءت به قالب لون قال فلما كان عند السقى وضع قضيبا على الحوض فجاءت به كله قالب لون غير واحدة أو اثنتين ليس فيها عزوز ولا فشوش ولا كموش ولا ضبوب ولا ثعول خرجه الخطابى وفسره العزوز من الشياه البكيئة التى تجهد حتى ينزل لها اللبن كما تقدم والفشوش التى ينفش لبنها بسرعة اذا هى حلبت لسعة الاحليل والكموش الصغيرة الضرع والضبوب الضيقة ثقب الاحليل والثعول التى لها زيادة حلمة وأنشد

وذموا لنا الدنيا وهم يرضعونها * افاويق حتى مايدر لها ثعل

اذا نصبوا للقول قالوا فأحسنوا * ولكن حسن القول خالفه الفعل

تقدم فى هذا الحديث ان موسى عليه الصلاة والسلام آجر نفسه بشبع بطنه وكذلك كان لابى موسى الاشعرى رضى الله عنه غلام يخدمه بطعام بطنه * وأما زحزح فمعناه نحى وبعد وأما أقررتم وأقررنا فمعناه مفهوم ضد الجحود وأما قمطريرا من قوله تعالى يوما عبوسا قمطريرا فقال ابن عباس رضى الله عنهما القمطرير الطويل والعبوس الضيق وقيل القمطرير الشديد فى الشر والطويل فى البلاء نعوذ بالله من جميع بلائه ونستوهبه جزيل آلائه ونسأله أن يسهل علينا مانخاف عسره حتى ننال بكرمه يسره وأما قوارير قوارير من فضة فالقوارير الزجاج وكذلك هو فى قوله تعالى انه صرح ممرد من قوارير وهو هاهنا حقيقة وفى قوله تعالى قوارير قوارير من فضة على التشبيه أى قد اجتمع فى تلك الاكواب صفاء القوارير وبياض الفضة كما تقول أتانا بشراب من نور كأنه نور كما قال تعالى كأنهن الياقوت والمرجان أى لهن صفاء الياقوت وبياض المرجان

والمرجان صغارا للؤلؤ وقيل كباره وقد يكنى عن النساء بالقوارير لضعفهن وسرعة الانكسار فى القوارير ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام لغلامه أنجشة رويدك يا انجشة لا تكسر القوارير يعنى ضعفة النساء وكان انجشة هذا يحدو بالابل وعليها النساء وكان حسن الصوت قال أبو قلابة فتكلم النبى صلى الله عليه وسلم بكلمة لو تكلم بها بعضكم لعبتموها عليه قوله سوقك بالقوارير وفى بعض الروايات بالنجش ذكره البخارى فى باب من دعا صاحبه فنقص من اسمه حرفا وفيه يا عائش هذا جبريل يقرؤك السلام وخرج البزار ان المقوقس اهدى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قدح قوارير فكان يشرب فيه * وتقدم قوارير من فضة قال بعض أهل التأويل فى قوله تعالى ويطاف عليهم بآنية من فضة دليل على ان أرض الجنة من فضة اذ المعهود فى الدنيا اتخاذ الآنية من الارض وهذا القول حسن لولا ان فى الجنة آنية من ذهب أيضا شاهد ذلك قوله عليه الصلاة والسلام من شرب فى آنية الذهب والفضة فى الدنيا لم يشرب بهما فى الآخرة وقال كذلك فى الحرير والخمر ثم قال فى آخر الحديث لباس أهل الجنة وشراب أهل الجنة وآنية أهل الجنة وسيأتى فى الباب بعد ان شاء الله تعالى وجاء فى القرآن العزيز وحلوا أساور من فضة وفى موضع آخر يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا أى ويحلون لؤلؤا وفى تفسير ابن سلام ليس من أهل الجنة أحد الا وفى يده ثلاثة أساور أسورة من ذهب وأسورة من فضة وأسورة من لؤلؤ وجمع أسوار أسورة وجمع أسورة أساور فان زدت هاء وقلت أساورة فهو جمع أسوار ويقال أسوار بالضم وهو الفارس من العجم ومعناه ذو الفرس أو عالى الفرس وقيل هم قواد الفرس قالت الخنساء

مثل الردينى لم تدنس شبيبته * كأنه تحت طى البرد أسوار

وقد يقال أيضا للذى يجعل فى الذراع أسوار بالالف وقد جاء فى رؤيا النبى صلى الله عليه وسلم قال رأيت فى يدى أسوارين من ذهب انظره فى البخارى فى بعض الروايات أسوارين بالالف وسيأتى ذلك مفسرا فى حديث مسيلمة الكذاب فى باب الالف واللام ان شاء الله تعالى وجاء فى الهداية قال مكى واحد الاساورة أسوار وفى قراءة أبى أساوير بياء قال وهذا يدل على ان الواحد أسوار ولكن لما دخلت الهاء فى أساور حذفت الياء لانهما يتعاقبان فى هذا النحو نحو دهاقين ودهاقنة وزناديق

وزنادقة وفيه ثلاث لغات أسوار وسوار وسوار بمعنى وقيل ان اساورة جمع أسورة وأسورة جمع سوار أو سوار والقلب من الاسورة ما كان فلذا واحدا وقد يكون من فضة والوقف يكون من الفضة وغيرها وأكثر ما يكون من الذبل والذبل ظهر السلحفاة البحرية تتخذ منه الاسورة والمسك أيضا جمع مسكة أيضا يصنع من الذبل ومن العاج وفى الحديث ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لثوبان يا ثوبان اشتر لفاطمة قلادة من عصب وسوارين من عاج وجاء فى الحديث من هذا عن عائشة رضى الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى فى يديها قلبين ملويين من ذهب فقال القيهما عنك واجعلى قلبين من فضة وصفريهما بزعفران وقالت عائشة رضى الله عنها فى حديث آخر ما علمت حتى دخلت على زينب وهى غضبى ثم قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم حسبك اذا قلبت لك بنت أبى بكر ذريعتيها ثم أقبلت على فأعرضت عنها حتى قال لى النبى صلى الله عليه وسلم دونك فانتصرى فأقبلت عليها حتى رأيتها وقد يبست ريقتها فى فيها ما ترد شيئا فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم يتهلل وجهه وقد تسمى الحية قلبا تشبيها بها والقلب بفتح القاف الفؤاد والقلب قلب العقرب المنزلة التى بعد الاكليل وفى معرفة ذلك فائدة يستدل بطلوعه على القبلة من حيث يطلع اول طلوعه فهى القبلة وقلب كل شئ خالصه ومنه قلب النخلة وفى هذا ثلاث لغات قلب وقلب وقلب والجمع القلبة ورجل حول قلب والقلوب على وزن الخنوص الذئب قال الشاعر

فيا أمنا بكى على أم واهب * اكيلة قلوب ببعض المذاهب

ويقال له أيضا قليب على وزن سكين والقلب بفتح اللام انقلاب الشفة رجل أقلب والقلب بضم القاف واللام جمع قليب وهى البئر وقليب بدر مشهور وأنشدنى الفقيه أبو محمد العثمانى رحمه الله بالاسكندرية لبعضهم فى القلب

قلب وقلب فى يديك معذب ومنعم

ظمآن يطلب قطرة * تشفى صداه وتنعم

والشعر المشهور فى هذا

تجول خلاخيل النساء ولا أرى * لرملة خلخالا يجول ولا قلبا

الابيات * فرغت من تفسير ما تقدم من الفاظ القرآن بحمد الله المنان ولو تتبعت الكلام على كل لفظة لما فرغت مثل لفظة قلب لو عكستها الجاء منها بلق جمع أبلق

ومن مقلوبه البقل الرجل لباقة اذا كان حلوا ظريفا ومن مقلوبه اقبل ضد دبر وقبل ضد دبر وقبل بمعنى ضمن وسيأتي في باب الطاء تفسير هذه الالفاظ وقبل فلان كذا ضد رد وقبل المرأة ومن مقلوبه القب ومعكوس لقب بقل النبات وسيأتي تفسيره قال الشاعر

وفي البقل الا أن وقى الله شره * شياطين يعدو بعضهن على بعض

ولي في البقل أبيات حسان قلتهن بسبب انسان قد ذكرت الابيات والحكاية في التكميل وأولها

لأكل البقل يا خلي * بلا زيت ولا خل

خرجت من شئ الى غيره * نسألك اللهم من خيره

لكن للعلم فنون فمن * يرق لها اوغل في سيره

فلا تلمه في الذي قاله * واكفف هداك الله عن ضيره

بقيت الازواج العشرة التي منها الزر والزرار ازرار واحد الازرار وهو شبه العقدة الكبيرة تدخل في العروة يمسك بها الاطواق في الاعناق وهو مستعمل في غير هذه البلدان وأكثر ما يكون للولدان وقد كان لقميص رسول الله صلى الله عليه وسلم زر حدث معاوية بن قرة عن أبيه قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في رهط من قريش وان قميصه لمطلق أوقال زر قميصه مطلق الحديث وقد جاء في الحديث في صفة خاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الترمذي بسنده الى السائب ابن يزيد قال ذهبت بي خالتي الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان ابن أختي وجع فمسح رأسي ودعا لي بالبركة وتوضأ فشربت من وضوئه وقمت خلف ظهره فنظرت الى الخاتم بين كتفيه فاذا هو مثل زر الحجلة فسره بعضهم بالزر المذكور قبل هذا وقال الحجلة هي الستر نحوا لكلة ذات الزر والعروة وقال الترمذي زر الحجلة يقال انه بيض له وقيل عنه انه وهم فيه لان توهم الحجلة من القبج وقالوا انما هو زر الكلة ونحوها كما تقدم ولا أدري كيف هذا ولا لأي شئ ينسب اليه الوهم في ذلك وقد جاء ما يقوي قوله في الحديث المروي عن جابر بن سمرة قال رأيت الخاتم بين كتفي رسول الله صلى الله عليه وسلم غدة حمراء مثل بيضة الحمامة وفي حديث آخر عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال وقد سئل عن خاتم النبوة فقال كان في ظهره بضعة ناشزة ومع ذلك فالله أعلم وقال مسلم

عن جابر بن سمرة رأيت الخاتم عند كتفيه مثل بيضة الحمامة يشبه جسده وفي حديث آخر كأثر المحجم وحوله خيلان فيه شعرات سود وفي آخر كالتفاحة وفي آخر كركبة العنز وجاء في الحديث انه لم يولد به ولكن وضع بين كتفيه اذ غسل الملكان قلبه وخاطه أحدهما قال عليه الصلاة والسلام وجعل الخاتم بين كتفي كما هو الآن وولياعني فكأني أعاين الامر معاينة وجاء في صفة الخاتم أيضا ما رواه عبد الله بن سرجس قال رأيت الذي بظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنه جمع خرجه ثابت رحمه الله وبعد السند في الحديث قال الجمع مثل المحجمة الضخمة والمعروف في العربية الجمع جمع الكف يقال ضربت فلانا بجمع كفي ومنهم من يكسر ويقول أعطيته جمع الكف كما يقولون ملء الكف أذكرني قوله ملء الكف أبياتا أنشدنيها بعض الاصحاب لرجل أنسيت اسمه كان يقول الشعر على البديهة وكان مشهورا بذلك فلقيه بعض من كان ينكر ذلك فأخذ حجرا من الارض وقال له قل في هذا شيئا فقال

وصماء ملء الكف من يابس الصفا * حكت قلب معشوق وكف بخيل

ضربت بها قرني فخر مجندلا * كعهدي بماض الشفرتين صقيل

اذا عدم الناس السلاح فانني * سلاحي موجود بكل سبيل

ومثله قول الآخر وقد منعوه السلاح

فان تمنعوا منا السلاح فعندنا * سلاح لنا لا يشترى بالدراهم

جلاميد أملاء الاكف كأنها * رؤس رجال حلقت بالمواسم

وقد فسر قوله عليه الصلاة والسلام المرأة تموت بجمع شهيد قالوا هي البكر المجتمعة البكارة وقالوا التي تموت من النفاس والله أعلم وقد قالوا في هذا أيضا جمع بالكسر قالوا فلانة من زوجها بجمع وجمع أي لم يفتضها قالت الدهناء بنت مسحل امرأة العجاج للعامل أصلح الله الامير اني منه بجمع أي عذراء ورأيت في بعض كتب اللغة شاهدا على هذا لاعرابي ورد ماء

وردناه في مجرى سهيل يمانيا * بعصر البرى ما بين جمع وخارج

وقد تقدم اسم كنانة النبي صلى الله عليه وسلم الجمع والجمع بالفتح ضرب من التمر ردىء وفي الحديث بع الجمع بالدراهم وابتع بالدراهم جنيبا والجنيب ضرب من التمر طيب وقال ابن قتيبة كل لون لا يعرف من التمر فهو جمع يقال كثر الجمع في أرض

بنى فلان واللون بهذا الاسم هو الدقل وجمع أيضا أحد أسماء المزدلفة ويقال لها أيضا المشعر الحرام فلها ثلاثة أسماء وزاد عبد الملك بن حبيب رابعا وهو قزح وروى عن على بن أبى طالب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف على قزح وقال هذا قزح وهذا الموقف وجمع كلها موقف ذكر هذا أبو عبيد البكرى فى المعجم ولى من أرجوزة مطولة اذ كرفيها رجلا حج وكان قد منع فلج

فصار وهو قائل * لكل لاح عاذل
القصد للمقام * خير من المقام
فاختار أرض جمع * ثم امتطى فى جمع
من صحبه المحجه * يبغى أداء حجه

انظرها بكمالها فى التكميل وهى نحو خمسمائة بيت رجع الكلام الى الزر وقد تقدم انه سمى الرجل زرا منهم زر بن حبيش رضى الله عنه وكان من أعرف الناس كان عبد الله بن مسعود رضى الله عنه يسأله عن العربية قاله الخطابى وروى غيره ان زرا هذا عاش مائة وعشرين سنة فلما أدركته الوفاة أنشد يقول

اذا الرجال ولدت أولادها * وارتعشت من كبر أكبادها
وجعلت أسقامها تعتادها * تلك زروع قد دنا حصادها

وكان من قراء التابعين رحمه الله ومما قيل فى الزر فى كتمان السر سرك لا تسمعه زرك وما أحسن هذا وأحسن منه قول الآخر سرك أسيرك فاذا بحت به كنت أسيره كما قال الشاعر

اذا جاوز الاثنين سر فانه * بنث وافشاء الحديث قمين

وقالوا قلوب الاحرار قبور الاسرار * ومما يستحسن من الاشعار فى الزر الاستعمار ماقاله بعض الملوك لاحد عماله وقد عتب عليه فى بعض أعماله والله لولا الحنث فى دمك لألبستك منه قميصا لا تشد عليه زرا ثم أمر به الى الحبس أخذه الشاعر فقال

طوقته بحسام طوق داهية * ما يستطيع عليه شد أزرار

وقال آخر

طوقته بالحسام طوق ردى * اغناه عن مس طوقه بيده

وقال آخر

طوقته بالحسام منتضيا * آخر طوق يشد فى عنقه

نعوذ بالله من هذه الازرار ومن سوء الاقدار وفى الحديث من تصريف هذه اللفظة أن النبى صلى الله عليه وسلم أهديت له أقبية من ديباج مزررة بالذهب

فقبلها

فقبلها وقسمها فى ناس من أصحابه يحتمل ان يكون هذا قبل نهيه عن لبس الحرير أو يكون أهداها لهم ليبيعوها وينتفعوا بثمنها كما صنع بعمر بن الخطاب رضى الله عنه اذ سأله عن الحلة التى اهداها اليه فقال انى لم أبعث اليك بها لتلبسها ولكن لتصيب بها فكساها عمر أخاله مشركا بمكة ويحتمل أن يكون أهداها لهم ليلبسوها فى الحرب فقد جاءت فى ذلك رخصة وذلك لعلة والله أعلم * ذكر أبو أحمد عن الحسن بن ظهير وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رخص رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام فى القمص الحرير فى السفر من حكة كانت بهما أو وجع كان بهما خرجه مسلم وخرج أبو داود عن ابن عباس رضى الله عنهما قال انما نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الثوب المصمت من الحرير فأما العلم من الحرير وسدى الثوب فلا بأس به قال أبو داود عشرون نفسا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أقل أو أكثر لبسوا الخز قال أبو الحسن اللخمى رحمه الله الخز يعمل الآن بالاندلس داخل فى جملة الحرير لان سداه ولحمته حرير وليس كالذى يعمل فى المشرق وقال أبو محمد عبد الوهاب البغدادى رحمه الله يجوز لباس الخز لانه ليس بحرير وقد لبسه السلف وكرهه مالك لاجل السرف وسيأتى تفسير الخز فى باب الهاء مع القز المذكورين فى بيت الخنساء

ونلبس فى الحرب سرد الحديد * وفى السلم خزا وعصبا وقزا

قال والخز انما يصنع من الحرير ومن وبر الخزز وهو ذكر الارانب والاقليس هو خزا ومن العلماء من كره ذلك أجمع وهو الاحوط لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله أحل لاناث أمتى الحرير والذهب وحرمه على ذكورها فدخل فى هذا الصبيان وغيرهم وقال فى حديث آخر من لبس الحرير فى الدنيا لم يلبسه فى الآخرة وتمام الحديث ومن شرب الخمر فى الدنيا لم يشربها فى الآخرة ومن شرب فى آنية الذهب والفضة فى الدنيا لم يشربها فى الآخرة ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لباس أهل الجنة وشراب أهل الجنة وآنية أهل الجنة خرجه النسائى رحمه الله وقد تقدم بعضه * وتقدم ذكر الحلة التى أهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر رضى الله عنه فجاءه بها وقال له بعثت الى بهذه وقد قلت فى حلة عطارد ماقلت وكان عمر رضى الله عنه قد قال للنبى صلى الله عليه وسلم ان عطاردا أقام حلة فى السوق يعنى للبيع لو اشتريتها يارسول الله فلبستها للجمعة وللوفد

اذا قدموا عليك فقال النبى صلى الله عليه وسلم انما يلبس هذه من لا خلاق له فى الآخرة أو كما قال وكان عطارد هذا رئيس تميم وكان أبوه حاجب بن زرارة من أوفى الناس بعهد وهو صاحب القوس المشهورة وفد حاجب هذا على كسرى حين منع تميما من ريف العراق يطلب اليه أن ينزل فيه مع قبيلته فاستأذن عليه فأومى اليه كسرى قبل أن يدخل أسيد العرب أنت قال لا قال فسيد مضر أنت قال لا قال فسيد بنى أبيك أنت قال لا ثم أذن له فلما دخل عليه قال من أنت قال سيد العرب قال ألست قلت اذ أوميت اليك أسيد العرب أنت فقلت لا حتى اقتصرت بك على بنى أبيك فقلت لا قال له أيها الملك لم أكن كذلك حتى دخلت عليك فلما دخلت عليك صرت سيد العرب فقال كسرى املؤا فاه دررا ثم قال انكم معشر العرب غدر فان أذنت لكم أفسدتم العباد وأغرتم على البلاد وآذيتمونى قال حاجب فانى ضامن للملك أن لا يفعلوا قال فمن لى بأن تفى أنت قال أرهنك قوسى فلما جاء بها ضحك من حوله وقالوا لهذه العصا تفى قال كسرى ما كان ليسلمها لشئ أبدا فقبضها منه وأذن لهم أن يدخلوا الريف ثم مات حاجب فارتحل عطارد بن حاجب الى كسرى يطلب قوس أبيه فقال له ما أنت الذى رهنتها قال أجل قال فما فعل قال هلك وهو أبى وقد وفى له قومه و وفى هو للملك فردها عليه وكساه حلة وهى التى أقامها بسوق المدينة فباعها من رجل من اليهود بأربعة آلاف درهم ويذكر أن عطاردا هذا اهداها للنبى صلى الله عليه وسلم فلم يقبلها منه فباعها من اليهودى وللخطيب أبى محمد رسالة على حروف المعجم منثورا ومنظوما ذكر فى فصل منها حاجبا هذا فقال ولقد رأيت الثناء حقا واجبا على من غدا للعلى عينا وحاجبا وساب الوفاء صاحب القوس حاجبا هذا بعض النثر ومن منظومه

من ذا يفيد فقد يتكم زواره * خطط النوال غرائبا ورغائبا
أم من غدا خدن العلى وقرينها * فظننت ذا عينا وهذا حاجبا

انظرها فى التكميل وتقدم ذكر الحديث المذكور فيه الليث وهو حديث كبير وفيه علم كثير وقد رأيت ان أثبته هنا بكماله فهو أتم لجماله رواه عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج الدجال فى أمتى فيمكث أربعين لا أدرى أربعين يوما أو أربعين شهرا أو أربعين عاما فيبعث الله

عز وجل عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام كأنه عروة بن مسعود فيطلبه فيهلكه ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة ثم يرسل الله عز وجل ريحا باردة من قبل الشأم فلا يبقى على وجه الارض أحد فى قلبه مثقال ذرة من خير أو ايمان الا قبضته حتى لو أن أحدكم دخل فى كبد جبل لدخلت عليه حتى تقبضه قال سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيبقى شرار الناس فى خفة الطير وأحلام السباع لا يعرفون معروفا ولا ينكرون منكرا فيتمثل لهم الشيطان فيقول ألا تستجيبون فيقولون ما تأمرنا فيأمرهم بعبادة الاوثان وهم فى ذلك دار رزقهم حسن عيشهم ثم ينفخ فى الصور فلا يسمعه أحد الا أصغى ليتا ورفع ليتا قال فأول من يسمعه رجل يلوط حوض ابله قال فيصعق ويصعق الناس ثم يرسل الله أو قال ينزل الله مطرا كأنه الطل أو الظل نعمان الشاك فتنبت منه أجساد الناس ثم ينفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون ثم يقال يا أيها الناس هلموا الى ربكم وقفوهم انهم مسؤلون ثم يقال أخرجوا بعث النار فيقال من كم فيقال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون قال فذلك يوم يجعل الولدان شيبا فذلك يوم يكشف عن ساق تقدم فى هذا الحديث ان مكث الدجال فى الدنيا أربعون على الشك ويأتى فى الحديث بعد هذا أربعون يوما بغير شك * نعمان المذكور قيل هو النعمان بن سالم أحد رواة الحديث رحمهم الله وحديث الدجال مفزع مهم كثيرا ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستعيذ بالله من شره و يأمر بذلك الصحابة رضى الله عنهم وهو فتنة من أكبر الفتن ومن فتنته ان معه نهرين من ماء ونهرين من نار وقد أمر النبى صلى الله عليه وسلم من أدرك ذلك من أمته كيف يصنع فقال لانا أعلم بما مع الدجال معه نهران يجريان أحدهما رأى العين ماء أبيض والآخر رأى العين نار تؤجج فاما أدركه أحد فليأت الذى يراه نارا فليغمض ثم ليطأطئ رأسه فيشرب فانه ماء بارد خرجه مسلم وقال أبو داود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من سمع بالدجال فلينفر منه فوالله ان الرجل ليأتيه وهو يحسب انه مؤمن فيتبعه بما يبعث به من الشبهات فمن شبهاته قتله الرجل المؤمن واحياؤه اياه بعد ذلك ويأتى القوم فيؤمنون به فيأمر السماء فتمطر والارض فتنبت فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت ذرى وأسبغه ضروعا وأمده خواصر ثم يأتى القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله فينصرف عنهم فيصبحون ممحلين ليس

بأيديهم شئ من أموالهم ويمر بالخربة فيقول لها اخرجى كنوزك فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل ثم يدعو رجلا جزلا شابا فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض ثم يدعوه فيقبل و يتهلل وجهه ويضحك وذكر باقى الحديث وفيه قلنا يارسول الله ومالبثه فى الارض قال أربعون يوما يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم قلنا يارسول الله فذلك اليوم الذى كسنة تكفينا فيه صلاة يوم قال لا اقدروا له قدره قلنا يارسول الله وما اسراعه فى الارض قال كالغيث استدبرته الريح وحكى قاسم بن اصبغ نحوا مما تقدم فى هذا الحديث من ان مكثه أربعون يوما وزاد وله حمار يركبه عرض ما بين أذنيه أربعون ذراعا وقد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره ونعته وقد تقدم ان بين عينيه مكتوبا كافر يقرؤه كل مؤمن قارئ وغير قارئ فمن فتنته ما خرج أبو داود الطيالسى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال معه ملكان يشبهان نبيين من الانبياء انى لاعرف اسمهما وأسماء آبائهما لو شئت ان اسميهما سميتهما أحدهما عن يمينه والآخر عن يساره فيقول ألست بربكم أحيى وأميت فيقول أحدهما كذبت فلا يسمعه من الناس أحد الا صاحبه و يقول الآخر صدقت وذلك فتنة وذكر باقى الحديث ومعناه الذى يقول صدقت يريد صاحبه فى قوله للدجال كذبت والله أعلم ومن شبهاته وفتنته ماروت أسماء بنت يزيد قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيتى فذكر الدجال فقال ان بين يديه ثلاث سنين سنة تمسك السماء فيها ثلث قطرها والارض ثلث نباتها والثانية تمسك السماء ثلثى قطرها والارض ثلثى نباتها والثالثة تمسك السماء قطرها كله والارض نباتها كله فلا تبقى ذات ظلف ولا ذات ضرس من البهائم الا هلكت وان من اشد فتنته انه يأتى الاعرابى فيقول أرأيت ان أحييت لك ابلك ألست تعلم انى ربك فيقول بلى فيمثل له نحو ابله كأحسن ما تكون ضروعا وأعظمها أسنمة قال ويأتى الرجل قد مات أخوه ومات أبوه فيقول أرأيت ان أحييت لك أباك وأخاك ألست تعلم انى ربك فيقول بلى فيمثل له الشياطين نحو أبيه ونحو أخيه قالت أسماء ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رجع والقوم فى اهتمام وغم مما حدثهم قالت فأخذ بلحمتى الباب ثم قال مهيم قالت أسماء فقلت يارسول الله لقد خلعت أفئدتنا بذكر الدجال قال ان يخرج وأنا حى فأنا حجيجه والا فان ربى خليفتى على كل مؤمن قلت يارسول الله

والله

والله انا لنعجن عجيننا فما نخبزه حتى نجوع فكيف بالمؤمنين يومئذ قال يجزيهم ما يجزى أهل السماء من التسبيح والتقديس وخرج البخارى رحمه الله بسنده الى المغيرة بن شعبة قال ما سأل أحد النبى صلى الله عليه وسلم عن الدجال أكثر مما سألته وانه قال لى لا يضرك منه قلت انهم يقولون ان معه جبل خبز ونهر ماء قال هو أهون على الله من ذلك * وتقدم فى القافية زل وان مضاعفه زلزل ومعناه حرك وفى التنزيل وزلزلوا زلزالا شديدا أى أصابتهم الشدة حين حركوا بالخوف وكذلك اذا زلزلت الارض زلزالها أى حركت من جوانبها كلها وذلك يوم القيامة وقال تعالى ان زلزلة الساعة شئ عظيم خرج ابن سلام عن الحسن قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسير له قد فرق بين أصحابه السير اذ رفع صوته فقال يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شئ عظيم حتى انتهى الى قوله ولكن عذاب الله شديد فلما سمعوا صوت نبيهم اغضوضبوا فقال هل تدرون أى يوم ذلكم قالوا الله ورسوله اعلم قال ذلكم يوم يقول الله لآدم ابعث بعث النار قال فيقول يارب وما بعث النار قال من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعين الى النار و واحد الى الجنة فلما سمعوا ما قال نبيهم ابلسوا حتى ما يجلى رجل منهم عن واضحة فلما رأى ذلك فى وجوههم قال اعملوا وأبشروا فوالذى نفسى بيده ما أنتم فى الارض الا كالرقمة فى ذراع الدابة أو كالشامة فى جنب البعير وانكم مع خليقتين ما كانتا مع شئ قط الا كثرتاه يأجوج ومأجوج ومن هلك يعنى ومن كفر من بنى ابليس وتكمل العدة من المنافقين وجاء فى الحديث من ذكر الزلزلة وجمعها زلازل ما خرج البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تقوم الساعة حتى وذكر أشياء منها يقبض العلم وتكثر الزلازل و يتقارب الزمان وتكثر الفتن ويكثر الهرج وهو القتل الحديث وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لاهل المدينة وقد أصابتهم زلزلة شديدة يا أهل المدينة أحدثتم والله لئن عادت لاخرجن من بين أظهركم أو كما قال وجاء فى الحديث اذا اتخذ الفئ دولا والامانة مغنما والزكاة مغرما وتعلم لغير الدين وأطاع الرجل امرأته وعق أمه وأدنى صديقه وأقصى أباه وارتفعت الاصوات فى المساجد وساد القبيلة فاسقهم وكان زعيم القوم أرذلهم وأكرم الرجل مخافة شره وظهرت القينات والمعازف وشربت الخمر ولعن آخر هذه الامة أولها فليرتقبوا عند ذلك ريحا وزلزلة وخسفا ومسخا

وقدفاوآيات تتتابع كنظام انقطع سلكه وقال ابن عباس رضى الله عنهما اذخرج لجنازة ميمونة رضى الله عنها هذه زوج النبى صلى الله عليه وسلم فاذا رفعتم نعشها فلا تزعزعوا ولا تزلزلوا وارفقوا وذكر تمام الخبر وتقدم زالت الشمس ووعدتك أن أذكر لك فى معرفة الزوال فصلا فدونكه فاتخذه أصلا *(فصل)* قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خيار عباد الله الذين يراعون الشمس والاظلة لذكر الله قلت ومعرفة الزوال فرض لانه وقت للظهر لا يجوز قبله وكذلك الجمعة لا سيما لمن يصلى أول الوقت اذهو الافضل كما جاء أول الوقت رضوان الله ووسط الوقت رحمة الله وآخر الوقت عفو الله قال بعض العلماء ان للشمس سبعة أزولة ثلاثة منها لا يعلم بها البشر الزوال الاول الذى تزول عن قطب الفلك الاعلى لا يشهده ولا يعلمه الا الله تعالى والزوال الثانى عن وسط الفلك لا يعلمه من خلق الله الا خزان الشمس الموكلون بها الذين يسوقونها على العجلة المركبة فى الفلك ويرمونها بجبال الثلج لينكسر حرها ويخمد شعاعها على العالمين والزوال الثالث يعلمه ملائكة الارض والزوال الرابع وهو على ثلاثة دقائق وهو ربع شعيرة والشعيرة جزء من اثنى عشر جزءا من ساعة والساعة اثنتا عشرة دقيقة والدقيقة اثنتا عشرة شعيرة والشعيرة أربعة وعشرون نفسا فيعلم هذا الزوال المذكور حذاق المنجمين أهل العلم بتقدير سير الشمس فى الشتاء والصيف فى فلكها يقومون ذلك بالنظر فى الآلات المعدة لعلم هذا الشأن فاذا زال الزوال الخامس نصف شعيرة وهو ست دقائق عرف زوالها من أهل الحساب والتقاويم من دون أولئك فى المعرفة وفوق كل ذى علم عليم فاذا زالت شعيرة وهو الزوال السادس المشترك وهو جزء من ساعة عرف ذلك علماء المؤذنين وأصحاب مراعاة الاوقات واذا زالت ثلاث شعائر وهو الزوال السابع وهو ربع ساعة عرف الناس كلهم زوالها وعند هذا الوقت صلاة الكافة وهو أوسط الوقت وأوسعه وهذا كله لبعد منصب السماء ولاستواء تقويم صنعتها فى الافق الاعلى ولاتقان صنعتها وقد يروى فى خبر ان النبى صلى الله عليه وسلم سأل جبريل عليه الصلاة والسلام هل زالت الشمس فقال لا نعم فقال كيف هذا فقال بين قولى لا ونعم قطعت من الفلك خمسين ألف فرسخ وقد تقدم هذا كله فكان النبى صلى الله عليه وسلم سأله عن زوالها على علم الله عز وجل ذكر هذا أبو طالب رحمه الله (وذكر أبو عبيد البكرى) فى المسالك والمسالك

ان الشمس أعظم من الارض مائة وستين مرة فالارض كلها نصف عشر ثمن جزء من الشمس وذكر أن قطر الشمس اثنان وأربعون ألف ميل وسائر الكواكب العلوية أعظم من الارض بدون هذه النسبة وما تحت الشمس منها أقل من الارض فأما القمر فأعظم من الارض سبعا وثلاثين مرة وأقرب بعد القمر من الارض مائة ألف ميل وثمانية وعشرون ألف ميل وبعد زحل من الارض سبعة وسبعون ألف ألف ميل الاشيئا وزاد غيره وجرمه أعظم من الارض احدى وتسعون مرة وقال أبو حامد اتفق المهندسون على أن الشمس مثل الارض مائة مرة ونيفا وستا وستين مرة وأصغر كوكب تراه مثل الارض ثمانى مرات وأكبرها ينتهى الى قريب من مائة مرة وعشرين مرة من الارض وذكر بطلميوس ان دور الفلك الاعظم أربعمائة ألف ألف ميل وعشرة آلاف ألف وثمانمائة ألف وثمانية عشر ألفا وخمسمائة وسبعون ميلا وان دور الارض عشرون ألف ميل وأربعمائة ميل ومساحة ربع الارض المسكون ثلاثة وثلاثون ألفا وخمسون ألف ميل وقيل ان أقرب الارضين الى السماء بيت المقدس باثنى عشر ميلا قلت وهذا كما تراه لا دليل عليه من الحديث ولا يعلم هذا الا من قول المنجمين وبرهانهم فى ذلك الآيات التى يعرفونها بالمساحات وقد جاء فى التفسير أن غلظ كل سماء مسيرة خمسمائة عام وما بين كل سماءين مثل ذلك وكم من ألف ميل فى هذه المسافة وكذلك قولهم الشمس فى موضع كذا والقمر فى موضع كذا وزحل فى كذا والله تعالى يقول وزينا السماء الدنيا بمصابيح فأضاف ذلك الى السماء الدنيا والله تعالى أعلم بحقيقة ذلك كله فتخرج من هذا أن معرفة الوقت لا بد منه لان فى الحديث أحب عباد الله الى الله عز وجل الذين يراعون الشمس والقمر والاظلة لذكر الله تعالى * قال بعض العلماء هم العلماء بالحساب لان الله تعالى يقول الشمس والقمر بحسبان وفى موضع آخر لتعلموا عدد السنين والحساب وكتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى عماله ان صلوا الظهر اذا كان الفىء ذراعا الى أن يكون ظل أحدكم مثله الحديث والفىء فى اللغة الرجوع على ما يأتى تفسيره ان شاء الله تعالى فمعنى فاء الظل أى رجع من جانب المغرب الى جانب المشرق لان الظل أول النهار يكون ممتدا الى جهة المغرب ثم لا تزال الشمس ترتفع وينقص الظل حتى لا يرى للقائم ظل البتة وهذا فى البلاد التى تكون الشمس فيها وسط النهار على قمة

الرأس تقف فلا ترى لنفسك ظلا وليس ذلك فى كل بلد ولا فى كل العام فاذا زالت
الشمس أخذ الظل فى الميل الى جهة المشرق ثم لا يزال يمتد حتى الى الليل كما فعل
فى أول النهار وذلك تقدير العزيز العليم وقول عمر بن الخطاب رضى الله عنه ذراعا
يريد أن كل انسان طوله أربعة أذرع من ذراع نفسه الصغير والكبير فى ذلك سواء
يقول ان لم يكن لك ميزان تزن به الشمس فزنه بقامتك ان كنت مسافرا أو فى مكان
لا تسمع فيه الاذان فقسه بظلك لا يزال الظل ينقص من جهة المغرب حتى يستوى
ثم يأخذ فى الزيادة الى جهة المشرق فمن حيث ابتدأ الظل بالزيادة فاحسبه
فاذا زاد مقدار ذراع وهو ربع القامة فهو الوقت المستحب لصلاة الجماعة وأما
المنفرد فجائز له الصلاة أول الزوال فى أول الوقت وهو أفضل وان لم تقسه
بنفسك فقسه بعود أقمه فى موضع مستو وانظر زيادة الظل ونقصانه فان كنت
فى بلد لا ظل فيه للقائم أصلا فأخر الصلاة فى الجماعة الى زيادة الظل ربع
ذلك القائم من أصله وان كنت فى بلد تزول فيه الشمس وللقائم ظل فمن ربع
القائم بعد الظل الذى زالت عليه الشمس نصب الوقت بلا خلاف ان شاء الله تعالى
والصلاة لا تحل قبل الوقت فلتؤخرها حتى تستيقن ان الوقت قد تمكن فهو أحوط
وتستدل على ذلك أيضا بأن يكون ظلك مثلك وقيل ذلك أحسن وهو آخر وقت
الظهر وأول وقت العصر ثم تصلى العصر بعد ذلك بقليل الى أن يكون ظلك مثليك
وقيل ذلك أحسن وتحتاج أيضا الى معرفة القبلة فتستدل عليها بالليل بقلب
العقرب أول طلوعه وبالنهار بطلوع الشمس وغروبها وتحتاج أيضا فى ذلك الى
علم آخر لانها تطلع فى زمن الشتاء وقصر النهار من قريب من القبلة وتطلع فى
الصيف من المشرق لانها ذات مشارق ومغارب على عدد الايام وذات مشرقين
ومغربين مشرق فى الشتاء ومشرق فى الصيف وقد قال عمر بن الخطاب رضى الله
عنه ما بين المشرق والمغرب قبلة اذا توجه قبل البيت يريد والله أعلم آخر المشارق
وآخر المغارب لقرب ذلك من القبلة ولا بد من التوجه الى القبلة وأضيق ما هى عند
البيت لانك اذا انحرفت عنها قليلا خرجت عنها وهى تتسع على البعد لكن لا بد
تتويمها بقلبك وتحراها بمعرفتك وان كنت لم ترها والكعبة شرفها الله تعالى قبلة
المسلمين كلهم نحوها يصلون حيث كانوا كما قال تعالى وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم
شطره * ولما وصلت الى مكة شرفها الله تعالى سنة احدى وستين وخمسمائة

اردت

أردت أن أعلم كيف نتوجه الى البيت من بلادنا فاختبرتها ثم شئ لا ينكر عليك
وقفت امام الحجر قبالة الميزاب من البيت أكرمه الله تعالى عند مغيب الشفق فى أول
ليلة من أغشت والشمس اذ ذاك فى الزبرة فكان الطالع فى ذلك الوقت على جبل
أبى قبيس وهو قبالة الحجر الاسود سعد الاخبية قبالة امام المنكب الايسر
وغربت الزبرة خلف المنكب الايمن وسعد الذابح قبالة الوجه والسماك
على رأس الكتف الايمن كأنه من خلفه قليلا لا يقابل شحمة الاذن ويقابله من
الجهة الاخرى على الشمال النجم الذى على هودج البعير فلما انتصف الليل
صار سعد الاخبية امام الوجه وغربت الشولة وطلعت الثريا تقف كما قلت لك
ولا ترفع رأسك ولا تطأطئه ولا تفتل عنقك يمينا ولا شمالا فتبصر سعد الاخبية
بين عينيك والشولة على حاجبك الايمن والثريا على حاجبك الايسر لكن
اذا غابت الشولة ويقرب القلب على عينك يقابل ذراعك ويطلع على ذراعك
الايسر ثلاثة أنجم تشبه البطين وهى بين البطين والبرجيس فاذا طلع الفجر
أو قارب طلعت الجوزاء على جبل أبى قبيس معترضة وغرب النسر الواقع فى
الموضع الذى تغرب فيه الزهرة ويكون على قمة الرأس الحوت ولا تقل كيف
تكون الشمس بالزبرة والفجر بالهقعة انما أخبرت بالظاهر لان مكة
أكرمها الله فى بطن واد والجبال محدقة بها من كل جانب ومعلوم أن الطالع
بالفجر ذلك الوقت الطرف لكن حال الجبال دون رؤيته وأيضا فان جبل أبى
قبيس انما هو بين المشرق والجهة التى هى قبلتنا نحن ويكون النسر الواقع
فى هذا الوقت على كتفك الايمن خلف ظهرك والعوا بين كتفيك وعلى
الايسر منهما الفرقدان ووقت العشاء الآخرة من ذلك الشهر تبصر سطرا
مستويا قد أخذ من بين المغرب والقبلة أمام وجهك الى بين المشرق والقبلة
كان طرفه الى المغرب أميل قليلا فيه الشولة والنعائم والبلدة والسعود الاربعة
واحد نجمى الفرغ المؤخر الذى من جهة القبلة ووافق ان كان قد اجتمع
فى البلدة زحل والمشترى وأسفل منها قليلا المريخ ويقرب منهما سعد الذابح
فكانما فى صف معوج قليلا ارانى الله ذلك هنالك فهو منالك

وذا فصل الفوائد قد تقضى * وآخذ بعد فى طاء وظاء
فلا تنس المؤلف من دعاء * بظهر الغيب فى خير انقضاء

(باب الالف مع الطاء وأختها الظاء ومعكوسهما)
وأط وأط واط وطا * وطاء وظاء وطل وظل

لما لم أجد ما أكمل به البيت من جنسها كملته بعكسه أما أط فهو فعل ماض تقول منه أط يئط أطا وأطيطا والاطيط صوت الرحل الجديد والنسع اذا سمعت له صريرا وكل شئ يشبه ذلك فهو أطيط وقد تقدم فى أول الكتاب فى حديث النبى صلى الله عليه وسلم ان بين المصراعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين عاما وفى آخره حتى يسمع له أطيط من الزحام وأطت الابل وأدت اذا مدت أصواتها وقال الاعشى

ألست منتهيا من نحت أثلتها * ولست ضائرها ما أطت الابل

وقال الآخر

يطحرن ساعات الانا الغبوق * من كظة الاطاطة السبوق

يصف ابلا امتلأت بطونها ومعنى يطحرن يتنفسن تنفسا شبيها بالانين والانى وقت الشرب بالعشى وسيأتى تفسيره مستوفى فى باب الالف والنون ان شاء الله تعالى والطحرا التنفس الشديد وهو الطحار أيضا والاطيط انحناء الظهر من الجوع والاطاط الصياح والاطيط أيضا الجوع قال الراجز

هل فى دجوب الحرة المخيط * وذيلة تشفى من الاطيط

الدجوب وعاء أو غرارة والوذيلة السبيكة من الفضة شبه القطعة من السنام بالوذيلة لبياضها فهذا اط واط مصدره واط أمر منه * ومما لم يذكر فى البيت آط بالمداسم رجل من بنى سعد بن زيد مناه استعمله خالد بن الوليد رضى الله عنه على قبض الخراج بموضع من العراق يقال له رودمستان فنزل على نهر هنالك فيقال له الى اليوم نهر آط وكان أبوه يكنى أبا آط فهو آط ابن أبى آط ذكره صاحب الفتوح (وأما معكوسه) طأ فأمر من وطئ يطأ وقد قيل فى قوله تعالى طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى أقوال منها ان معناه طأ الارض برجليك فى صلاتك لما كان يلقاه من التعب فى قيام الليل يروى انه كان يقوم على رجل واحدة ويرفع الاخرى والالف بعد الطاء بدل من الهمزة والهاء كناية عن الارض وأضمرت قبل الذكر لان ذلك معلوم كما أضمرت فى قوله تعالى حتى توارت بالحجاب يعنى الشمس أو الخيل على القولين فى ذلك وقيل فى طه معناه يا رجل بالنبطية قاله ابن عباس رضى الله

عنهما وقيل انها لغة معروفة فى عكل أى يا رجل قال الشاعر

ان السفاهة طه من شمائلكم * لا بارك الله فى القوم الملاعين

وقال آخر

هتفت بطه فى القتال فلم يجب * فخفت عليه أن يكون مزايلا

وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال لى عشرة أسماء منها طه ويس أراد بالطاهر ويا سيد حكى ذلك عن جعفر الصادق رضى الله عنه والمصدر من هذا الفعل أعنى طاء وطء وقوله تعالى أشد وطأ وأقوم قيلا أى أمكن موقعا وأشد قيلا لخلو القلب من الاشغال وهدو الاصوات فهو بمعنى أخف والله أعلم وقيل أشد من عمل النهار لان أصل الوطء الثقل من قولهم اشتدت وطأة السلطان قال الشاعر

ووطأتنا وطأ على حنق * وطء المقيد يابس الهرم

فكان المصلى اذا ترك النوم والراحة التى جعلت فى الليل واشتغل بالعبادة فيه ثقل على العبد من أجل ما يتكلف فيه لا سيما مع قطع العبادة وذلك صعب ثقيل وعلى قدر التعب يكون الاجر كما قال عليه الصلاة والسلام لاحدى نسائه أجرك على قدر نصبك ومن قرأ وطاء فالمعنى أشد مهادا للتصرف فى التفكر والتدبر لانه يواطئ السمع والبصر القلب أى يوافقانه ومنه ليواطؤا عدة ما حرم الله أى ليوافقوا ويقال وطأت الامر هيأته وكذلك الفراش والوطء كل ما سهل وقد وطئ وطأ ووطئت الجارية والموطئ موضع الوطء والوطأة طعام يتخذ من التمر وجاء فى الحديث من معنى وطأ ان جبريل عليه الصلاة والسلام صلى بالنبى صلى الله عليه وسلم حين غاب الشفق واتطأ العشاء هو افتعل من وطأت الشئ فاتطأ أى هيأته وأصلحته (وأما وطاء وظاء) فهما الحرفان من حروف التهجى ولا كلام فيهما أكثر مما تقدم فى اسميهما وما بقى من مخرجيهما ولم أجد طاء الا والواو من نفس الكلمة مثل وطأ مصدر وطأ وقد تقدم ووجدت طاة وهو بعد الذهاب فى الارض ذكر ابن جنى ان طيئا اشتق من الطاة ولم يرض قول القتيبى انه من طوى من قبل الهمزة والله أعلم فان قدمت الهمزة وقلت الطآة مثل الطفاة فهى الحمأة قاله أبو عبيد فى المصنف فأما الطاء فمخرجها من طرف اللسان وأصول الثنايا وأختها فى المخرج الدال ولذلك يجمعان فى قافية واحدة كما قال

والله لولا شيخنا عباد * ما مكرونا بعدها أو كادوا

ثم قال فى القافية بعد ذلك الفرشاط والملطاط * وقد تقدم أطت الابل وأدت بمعنى والتاء أيضا أختها فى المخرج وقد تقدم اشتراكهما فى مثل قتر وقطر وأقطار وأقتار ولذلك أبدلها طاء فى باب افتعل نحو اصطبر واضطرب وأما الظاء فمخرجهما من طرف اللسان وأطراف الثنايا وكلاهما من الحروف المجهورة وتزيد عليها الطاء والظاء أنهما من حروف الاطباق لانك اذا لفظت بهما أطبقت عليهما حتى يمتنع النفس أن يجرى معهما وربما جمعوا بين الطاء والظاء فى قافية واحدة قال الشاعر

أرقش ظمآن اذا عض لفظ * أمر من صبر ومقر وحظظ

ويروى وحضض بالضاد وهو دواء وأما الظاء والذال فلا يجتمعان فى كلمة واحدة لبعد مخرج أحدهما من الآخر وقد ضرب بهما المعرى المثل فى البعد فقال

أراهم يضحكون الى غشا * وتغشانى المناقص والخطاء

فلست لهم وان قربوا اليفا * كما لم تأتلف ذال وظاء

كمل البيت ومعكوسه (وأما مقلوبه) حرف بين الفين فما تجده الا بالالف الزائدة قولك اذا استفهمت آطاء هذه أو ظاء واذا أخبرت عن نفسك فقلت أنا آطأ هذه الارض أو الجارية وأما ألف أصلية فما وجدت الا قول عمر رضى الله عنه أنه قال فيم الرملان وقد أطأ الله الاسلام ونفى الكفر وأهله ثم قال وايم الله ماندع شيئا كنا نفعله على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقوله أطأ يجوز كتبه بالالف كما تقدم ومعناه أعلاه وأوطأه كما تقول أوطأت فلانا دابتى حتى وطئته ويقال أوطأته وأطأته مثل أوصدت الباب وأصدته وأوسدت الكلب وأسدته ويروى فى قول عمر رضى الله عنه وقد أطأ الله الاسلام ومعناه مكنه وبسطه والرملان والرمل واحد وهو الطواف بسرعة حول البيت يقال رمل يرمل رملا والقوم يرملون وقد تقدم مالى فى قلب هذه اللفظة وفى عكسها من الالفاظ فى التكميل (وأما مقلوبه) الف بين حرفين فما وجدت فيه أيضا سوى طاط يقال للرجل الشديد الخصومة ويقال أيضا طاط للرجل الطويل والاشهر فى هذه طوط والطاط أيضا والطائط الفحل الهائج وفحول طاطة قاله الزبيدى والطوط الحية والطوط القطن قال الشاعر * من المدقس او من فاخر الطوط * والوطواط شجر القطن والوطواط أيضا الرجل الضعيف الجبان والوطواط المشهور الخفاش وجمعه وطاوط جاء منه فى حديث عائشة رضى الله عنها قالت لما أحرق بيت المقدس كانت

الاوزاع

الاوزاع تنفخه بأفواهها وكانت الوطاوط تطفئه بأجنحتها * فرغ هذا وبقى مضاعف هذه الكلمة طأطأ فلان رأسه اذا أماله وخفضه وكذلك الشئ وهو كثير وسيأتى ان شاء الله تعالى (وأما الظاء) المنقوطة فلم أجد فيها سوى مضاعفها ظاءظاء وهى حكاية صوت الاعلم أو الاهتم وفيه غنة وتقول فى هجائها ظييت ظاء اذا صورتها قاله الزبيدى رحمه الله تعالى * بقيت القافية (وطل وظل) أما طل فى قوله تعالى فان لم يصبها وابل فطل فقد فسر فقالوا الوابل المطر العظيم الشديد الوقع والطل الندى وقيل المطر الدائم الصغير وقيل هو أكثر من الندى وأقل من المطر يقال طلت ليلته فهى مطلولة وطلة ويقال لكل شئ ند طل وأنشد * كأن الخزامى طلة فى ثيابها * أى ندية طيبة الرائحة قال الخطابى رحمه الله قال الاصمعى أخف المطر وأنفعه الطل ثم الرذاذ ثم البغش يقال بغشت الارض تبغش فهى مبغوشة اذا نديت وأرض مرذ عليها من الرذاذ ولا يقال مرذة ولا مرذوذة ويقال مطلولة من الطل وقال غيره الرث القليل من المطر والرك أكثر منه وجمعه ركاك يقال رثت السماء ترث ترثيثا ورسغت كثر المطر حتى يغيب فيه الرسغ وقالوا الرذاذ أكثر من الطش والبغش والطل أقل من الرك والرك أقل من الطش والطش أقل من القطقط والوابل أعلى ذلك كله والضباب ندى كالغمام وتصغير بغش بغيش ومنه فى الحديث فأصابهم بغيش وفى حديث آخر فأصابهم رك * ومن شكل طل طل أمر من طال يطول اذا صار طويلا وطل أيضا أمر من طال يطول من الطول اذا تفضل بالمال وغيره ومنه قوله تعالى ذى الطول أى ذى الغنى تفسير ابن سلام ومن شكله طلة شديد اللام يقال طل دمه يطل طلا وطلولا اذا لم يثأر به والدم مطلول وطليل وقد قالوا اطل دمه فهو مطل ولم يعرفها الاصمعى وقال الشاعر

ان بالشعب الذى دون سلع لقتيلا دمه مايطل

والطلل الشخص وطلل الدار بقايا كالدكان يجلس عليه وطلة الرجل امرأته قال الشاعر

ألا بكرت طلتى تعذل * وأسماء فى قولها أعزل

تريد سلمالك جمع التلاد والضيف يطلب ما يأكل

وقع هذا الشعر فى النوادر وذكر جميع أسماء المرأة قال يقال هى بعلته وربضته وجفنته وشهلته وحوبته وحليلته وعرسه فان زدت على طل ألفا جاء منه أطل ومعناه

أشرف تقول أطل يطل فهو مطل ومنه يقال أبو المطل للرجل القصير كما يقال للديغ سليم ومن هذا الباب الطلاطلة ويقال الطاطلة على فعللة وهى الداء العضال يقال رماه الله بالطلاطلة قال الراجز يصف دلوا

قتلتنى رميت بالطلاطلة * كان فى عرقويتيك نازلة

ومعكوس طل لط يقال لط فلان على حق فلان اذا جحده وكل شئ سترت دونه فقد لططته وهو لط ويقال لط بالباطل دون الحق والط اذا استر الحق وأظهر غيره وأنشد * ولا تلط وراء الباب بالستر * أى لا تسترها وفى الحديث من هذا والط دونى بحجاب رفرفه الدر والياقوت فأوحى الله الى ماشاء أن يوحى ويقال لطت الناقة بذنبها اذا جعلته بين فخذيها * وقد تقدم فى أول الكتاب * أخلفت الوعد ولطت بالذنب * ويقال أيضا الطت بذنبها واللط قلادة من حنظل والجمع لطاط وانشد وجه عجوز جليت فى لط وقال الشاعر

جوار تحلين اللطاط يزينها * صوائح احواف من الادم الصرف

الاحواف جمع حوف وهو شبيه بالمئزر يتخذ للصبيان من أدم ويشق من أسافله ليمكن المشى فيه وهو الذى يسمى الرهط تلبسه الحيض وجمعه رهاط وأرهطة وأنشد

اذا ما أشا غبرزهو الملوك أجعلك رهطا على حيض

كذا ذكره ابن قتيبة فى المشكل حيض ورواه ثابت فى الدلائل على حبض وقال عن الهجرى هى الجارية بنت ست سنين أو سبع قال ومن قال حيض صحف ومن الحوف حديث عائشة رضى الله عنها قالت تزوجنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلىّ حوف فما هو الا أن تزوجنى فألقى علىّ الحياء خرجه ثابت رحمه الله (ومن مضاعف لط) لطاط وهى المسنة التى قد تساقطت اسنانها قال أبو زيد يقال للناقة بعد البزول شارف ثم عوزم ثم لطلط ثم جحرش ثم يهماء ثم دلقم اذا سقطت اسنانها هرما واللطلط الغليظ من الاسنان وقالوا رجل ألط بين اللطط وكذلك العجوز فأما قولهم لاط ملط فهو مثل قولهم خبيث مخبث أى له أصحاب خبثاء ومن الغيف هذا الباب مما يقرب من هذه اللفظة لاط ذكر صاحب السير حديث أبى لهب وبعثه العاص بن هشام وكان لاط له بأربعة آلاف درهم أى أربى له وكذا جاء اللياط مفسرا فى غريب الحديث للخطابى رحمه الله وهو قوله عليه الصلاة والسلام فى الكتاب الذى كتبه لثقيف وما كان لهم من دين الا رهن فيه فهو لياط

مبرأ من الله تعالى وقال أبو عبيد رحمه الله سمى الربا لياطا لانه ملصق بالبيع وليس ببيع وقيل سمى الربا لياطا لانه لاصق بصاحبه لا يقضيه ولا يوضع عنه وأصل هذا من اللصوق ومنه كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يليط أولاد الجاهلية بمن استلاطهم يعنى يلصق ومنه المنتاط بالقلب يعنى الملتصق به ومنه قول أبى بكر رضى الله عنه حين سئل من أحب الناس اليك قال عمر ثم قال اللهم الا الولد فان الولد ألوط يعنى ألصق * ومما يقرب منه فى اللفظ ويوافقه فى معنى الالصاق ما يجعل بين الحجارة وهو الملاط يجعل بين الحجارة فى البناء للالصاق وفى صفة الجنة بناؤها لبنة من ذهب ولبنة من فضة وملاطها المسك والملط الذى لا يبالى ما صنع والجمع ملوط وأملاط وقد ملط ملوطا والملاطان جانبا السنام ومنه قوله * لمن جمل رخو الملاط نجيب * والملطاء ممدود على فعلاء شجة يقال لها السمحاق والاملط الذى لا شعر له فى جسده وقد ملط ملطا * وقد تقدم فى الحديث أول من جمعه رجل يلوط حوض ابله يعنى يلصقه بالطين ويصلحه لئلا يخرج منه الماء وفى الحديث ان كنت تليط حوضها ويروى تلوط أيضا قال ابن حبيب وتلوط هو الصواب ومعناه تسطح حوضها تسويه وتلصقه لئلا يخرج الماء منه ومنه قيل فى حروف الاتباع شيطان ليطان أى ملتصق * ومن هذا الباب أو قريب منه الليطة وجمعها ليط وهى القصبة وقيل قشرة الصلب وكل شئ له صلابة كالقناة والقصب فالقطعة منه ليطة وفى حديث سعيد بن المسيب رضى الله عنه من هذا قال الشصير والليطة والظرر كل اذا فرى وأجهز خرجه ثابت رحمه الله وقال فى تفسيره عن عمرو بن الحارث الشصير العصا اذا تكسرت يخرج من وسطها شظية بيضاء رقيقة يريد والله أعلم ان الذبح بهذه الاشياء المذكورة جائز وأما الظرر فهو الحجر وجمعه ظران ومنه قوله * تطاير ظران الحصى بمناسم * البيت والليط أيضا اللون ولاط فى الامر لاطا شديدا اذا الح * ومن مقلوبه الاط وهو لزوق الشئ بالشئ ويقال ألقى عليه لطاته أى ثقله ومقلوبه طال الشئ طولا ورجل طوال أى طويل جدا والطوال جمع الطويل والطيال لغة ورجل ذو طول فى قدرته والطول والطويلة الحبل الطويل يمد بقائمة الدابة والطول التمادى يقال طال طولك وطيلك والطوال مدى الدهر والطول طول فى مشفر البعير الاعلى يقال منه جمل أطول ومقلوبه الطلاوة الحسن

والطلاوة والطلوان الذى يجف على الاسنان واما الظل فى القافية فمعروف وهو فى أوّل النهار فاذا نسخته الشمس ثم رجع فهو فىء سمى فيئا لانه فاء من هذه الجهة الى الجهة الاخرى وسيأتى الكلام عليه فى باب الفاء ان شاء الله تعالى وجمع الظل ظلال وقال الله تعالى ان المتقين فى ظلال وعيون وقال وظلالهم بالغدو والآصال ويجمع أيضا على اظلة وفى الحديث من صفة الاولياء يراعون الشمس والاظلة لذكر الله تعالى والظل أيضا ما أظلك من سحاب ونحوه وظل الليل سواده يقال أتانا فى ظل الليل قال ذو الرمة

قد أعسف النازح المجهول معسفه ＊ فى ظل أخضر تدعو هامه البوم

والظل أيضا العز والمنعة يقال فلان فى ظل فلان أى فى عزه وأنشد

فلو كنت مولى الظل او فى ظلاله ＊ ظلمت ولكن لا يدالك فى الظلم

أى لو كنت ذا عز أو فى ظلال عز أو مولى الظل يريد صاحب عز وقد تقدم البيت وانه يقال لا يدالك ولا يقال لا يدان وفى الحديث السلطان ظل الله فى الارض يأوى اليه كل مظلوم والظل أيضا بمعنى القرب تقول أظلنا شهر رمضان أى قرب منا وأظلك فلان أى دنا منك كأنه ألقى ظله عليك وأظل يومنا اذا كان ذا ظل والظل البعير ما تحت منسمه قال

ربما أبركها فى مخلك ＊ جحجح ينقب فيه الاظل

وتقول ظل فلان يفعل كذا وكذا ظلولا اذا فعله نهارا فأما بالليل فلا يقال منه الا بات يفعل كذا وفى الحديث عن عائشة رضى الله عنها قالت أظلنى يوم عرفة وأنا حائض فذكرت اليوم هذا أصله ثم قد توسعوا فيه قال عنترة

ولقد أبيت على الطوى وأظله ＊ حتى أنال به كريم المأكل

أى أظل عليه وفى القرآن من هذا وانظر الى الهك الذى ظلت عليه عاكفا وقد أقاموا على عبادته بالليل والنهار حتى رجع اليهم موسى من ميعاده وتقول ظلت أفعل كذا وظللت قال الشاعر ＊ظللت ردائى فوق رأسى قاعدا ＊ البيت وفى القرآن العظيم فظلتم تفكهون وانظر الى الهك الذى ظلت عليه عاكفا قراءة قتادة وابن مسعود ظلت بكسر الظاء وقرأ الاخفش ظللت بلامين والمظلة ما استظللت به من شجر أو غيرها ومثله الظلة وفى القرآن فأخذهم عذاب يوم الظلة قال ابن عباس رضى الله عنهما أصابهم حر شديد فأرسل الله سحابة فهربوا

اليها ليستظلوا بها فلما صاروا تحتها صيح بهم فهلكوا وقيل خرجوا الى الغيضة يستظلون بها فأضرمها الله عليهم نارا نعوذ بالله من نقمه ونسأله من نعمه

＊ ومعكوس ظل لظ يقال رجل لظ وملظاظ اذا كان ملازما للشئ ملحا عليه ويقال لظ وألظ لظيظا والظاظا وهو الالحاح وفى الحديث ألظوا بياذا الجلال والاكرام ومعناه الزموا هذه الدعوة وألحوا بهذه الكلمة والله أعلم ويقال تلاظ القوم لظاظا وملاظة اذا لزم بعضهم بعضا فلم يفترقوا فى حرب أو غيرها وأنشد

＊ والجد يجدو قد رام لظاظا ＊ يروى الجد ضد الهزل والجد الذى هو البخت والسعد وللخطيب أبى محمد من هذه اللفظة

فاصطنعنى اننى رجل ＊ بجميل الشكر ملظاظ

أى ملظ انظره فى رسالته التى على حروف المعجم المذكورة فى التكميل

خرجت من شئ الى غيره ＊ من أط اطا ويجوز الأطيط

وكله علم ويحتاجه ＊ يقظان لا نومان أو ذو غطيط

وها أنا أذكر من بعد ذا ＊ فوائد الباب المديد المطيط

＊(فصل من فوائد هذا الباب)＊

فيه علوم سهلة الموطا ＊ أخرتها للطاء من أجل الطا

والعلم من يحرمه فأخطا ＊ فاللوم منه يا خليلى بطا

تقدم أط ومصدره الاطيط وقد فسر وفى الحديث أطت السماء وحق لها ان تئط ما فيها موضع أربع أصابع الا وملك واضع جبهته ساجد الله وفى القرآن مصداق هذا الخبر قوله تعالى ولله يسجد ما فى السموات وما فى الارض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون أى عن عبادته يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون وجاء فى الخبر ان لله ملائكة سجودا ما رفعوا رؤسهم منذ خلقهم ثم يقولون اذا أمروا برفع رؤسهم عند انقضاء مدتهم سبحانك ما عبدناك حق عبادتك وكذلك لله ملائكة قيام وآخرون ركوع وآخرون كذا وآخرون كذا كل له مقام معلوم وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون＊وقد تقدم ذكر الاطيط فى حديث المصراعين وفيه بشرى كبيرة والحمد لله وذلك انه لو لم يدخل الجنة الا فلان الصالح وفلان الفاضل لم يكن للباب أطيط ولا كان ثم زحام من أبناء سام وحام لكن يرجو هذا غير العفيف أن يكون من اللفيف فان الله تعالى كريم وشأن

لا اله الا الله عظيم ومع هذا فخف واحذر وعش ولا تغتر فقد ورد فى صحيح الاخبار ان طائفة من الموحدين يدخلون النار نعوذ بالله من سوء الاقدار ومن رؤية هذه الدار وجاء فى لفظ طأطأ ونطأطأ والطأطأ والطأطئ أحاديث وأخبار فما أعجبنى منها واستغربته فهنا كتبته فن ذلك حديث سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ركبت البحر فى سفينة فانكسرت فركبت لوحا فطرحنى الى أجمة فيها الاسد فلم يرعنى الا به فقلت له يا أبا الحارث أنا سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فطأطأ رأسه ثم غمزنى بمنكبه وسعى قال فما زال يغمزنى ويهدينى الى الطريق حتى أوقفنى على الطريق وهمهم فظننت انه يودعنى وكان سبب تسميته رضى الله عنه سفينة قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر وكان اذا أعيا بعض القوم ألقى على سيفه ألقى على ترسه حتى حملت من ذلك شيئا يسيرا فقال النبى صلى الله عليه وسلم أنت سفينة وقال الشاعر من هذه اللفظة فى عثمان رضى الله عنه

الشيخ عثمان ونعم المتبع * طأطأ للموت جرانا فوضع

* محتسبا نفس شهيد قد رفع * ومن لفظ ألمأ ما أنشد ثابت رحمه الله فى الدلائل فيما يروى عن اسماعيل الاسدى قال أخبرنا أبو الحسن على بن عبد الله الطوسى صاحب أبى عبيد القاسم بن سلام سنة ثلاث وأربعين ومائتين قال أنشدنا أبو عبيد

ولما رأيتك تنسى الاخا * ء ولا قدر عندك للعدم

وتجفوا الشريف اذا ما أقل * وتدنى الدنى على الدرهم

ولا فضل عندك بين العفيف * وذى الفضل والمعدم المجرم

وهبت أخاك للاعميين * والاثرمين ولم ألطم

ولا ألمأ الشول فوق البساط * ولا آكل الشهد بالعلقم

قال أبو عبيد الاعميان السيل والنار قال ثابت تقول العرب الاثرمان الدهر والموت ساقه فى حديث أبى عبيدة بن الجراح رضى الله عنه انه ما رآى أثرم أحسن منه قال الثرم هو ان تنقلع السن من أصلها تقول رجل أثرم وامرأة ثرماء وقد ثرم يثرم اذا ثرمت سنه وقد أثرمه الله أى صيره الله أثرم وكان من حديث أبى عبيدة رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم لما جرحه ابن قمئة لعنه الله يوم أحد دخلت حلقتان من حلق المغفر فى وجنته الشريفة فنزع أبو عبيدة

احدى الحلقتين من وجهه الشريف صلى الله عليه وسلم باسنانه وجبذها برفق لئلا تؤذيه فلشدة عضه على الحلقة سقطت ثنيته رضى الله عنه ثم فعل بالاخرى مثل ذلك فسقطت ثنيته الاخرى فان قدمت الراء على الثاء جاء منه أرثم تقول العرب منه رثمت أنف الرجل فهو أرثم وقد رثم رثما ومنه الحديث المروى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما انه كان يزاحم على الركن حتى رثم أنفه وقد يسمى ما يطأ الانسان برجليه من الارض الطاطاء ومنه قول الكميت

ذو أربع ركبت فى الرأس تكلؤه * مما أراب ودون الكالئ الابل

منها اثنتان لما الطاطاء تحجبه * والاخريان لما أوفى به القبل

خرجه ثابت رحمه الله وقال ذو أربع يعنى أذنيه وعينيه والاثنتان يعنى الاذنين لما الطأطاء تحجبه وهو ما يطأ من الارض يقول اذا كان موضع يوارى عنه ما فيه سمع والاخريان لما أوفى لما أشرف به والقبل ما استقبلك من مشرف ومنه

فقلت للركب لما ان علا بهم * من عن يمين الحبيا نظرة قبل

ومنه قول ابن الاعرابى فى حديث الحق بقبل فمن انتهى اليه اكتفى ومن قصر عنه عجز قال معنى بقبل يقول تعرفه اذا نظرت اليه وقال أبو زيد سمعت من يقول رأيته قبلا ومقابلة وعيانا كله واحد وفعلت ذلك من ذى قبل لم يقولوا غيره وتقول لا قبل لى به أى لا طاقة وقال الله تعالى أو يأتيهم العذاب قبلا أى ظاهرا يرونه ويعرفونه وقال أبو الدرداء رضى الله عنه وصلوا بدمشق صلاة العشاء وكانت ليلة مطر وثلج وشفان لو يعلم الناس ما فى هذه الصلاة من الخير لحضروها يدرأ بهم ثم قال أبو الدرداء لولا ان الله يدفع بمن يحضر المساجد عن من لم يحضرها أو بالقراءة عن من لا يقرأ لجاءهم العذاب قبلا قوله شفان يعنى الشفيف برد ريح فى نداوة قال الشاعر * ألجاه شفان لها شفيف * وفسر قتادة قول الله تعالى أو تأتى بالله والملائكة قبيلا أى عيانا قاله ابن سلام وقال محمد بن أبى زمنين قبيلا مأخوذ من المقابلة قال غيره ومنه قيل للمقابلة قبيل وقبول كما قال الشاعر

* كصرخة قبلى يسر بها قبيلها * والقبيل فى هذا الضامن ويقال له أيضا الكفيل والزعيم ومن هذا الحديث الزعيم غارم ومن القبيل الذى هو الكفيل ما خرج ثابت أيضا خاصم اعرابى من أهل اليمامة امرأة فادعى عليها دعوى فأنكرته وجحدت فقيل للاعرابى فهات بينتك فقال قبلها حتى أجى

بشهودى قال لا أقبلها قال فارطمها قال لا أرطمها قال معنى قبلها خذمنها كفيلا وارطمها احبسها فى السجن ومن ألطاما خرج ثابت أيضا عن رجل من الموالى كان يقال انه من أشد الناس فى ذلك الزمان دخل على الحجاج مع أصحاب له رسلا قال الشعبى راوى الحديث عمائمهم على أوساطهم وسيوفهم على عواتقهم وكتبهم بايمانهم فسألهم واحدا واحدا عن المطر هل كان وراءك من غيث فيقول نعم و يصف المطر بكلام فصيح فيه طول وكلهم كذلك حتى انتهى الى هذا الرجل من الموالى المذكور فقال هل كان وراءك من غيث قال نعم ولكنى لا أحسن أن أقول كما يقول هؤلاء فقال قل كما تحسن فقال أصابتنى سحابة بحلوان فلم أزل ألطأ فى أثرها حتى دخلت على الامير قال الحجاج لئن كنت أقصرهم فى المطر خطبة انك لاطولهم بالسيف خطوة أخذ الحجاج هذا الكلام من قول الشاعر وقد تقدم * اذا قصرت أسيافنا كان وصلها * خطانا الى أعدائنا فنضارب وكان جواب أحد الرسل اذ قال له الحجاج هل كان وراءك من غيث قال نعم وسمعت رجلا يقول هلموا اظعنكم الى محلة تطفأ فيها النيران وتشتكى فيها النساء وتتنافس فيها المعزى قال الشعبى فلم يدر الحجاج ما قال فقال ويحك انما تحدث أهل الشام فأفهمهم قال نعم أصلح الله الامير أخصب الناس وكان التمر والزبد والسمن واللبن فلا توقد نار يختبز فيها وأما تنافس المعزى فانها ترى من أنوار الشجر وأنواع التمر وأنوار النبات ما يشبع بطونها ولا يشبع عيونها كذا رأيت ولم يذكر تفسير تشتكى النساء ولعله أراد ان النساء يكثر تعبهن لكثرة الحلب وسلى السمن واستخراج الزبد فيشتكين ذلك العمل والتعب وقد يفسر هذا على معنى آخر اذا وصف العام بالجدب وقال ثابت بعث قوم رائدا لهم فلما رجع قالوا له ما وراءك قال رأيت عشبا يشبع فيه الجمل البروك وتشكت منه النساء وهم الرجل بأخيه قال ابن الاعرابى يقول العشب قصير لا يناله الجمل من قصره حتى يبرك وقوله وتشكت منه النساء يقول من قلته انما تحلب الغنم فى شكوة والشكوة مسك السخلة ما رضع فاذا فطم وافطامه أن يدع الرضاع فمسكه يقال له البدرة فاذا اجذع فجلده سقاء وقد تقدم هذا يقال سخلة ذكر وسخلة أنثى وشكوة وثلاث شكوات وهى الشكاء * وقال غير ابن الاعرابى هم الرجل بأخيه اى هم به ان يدعوه الى منزله كما كانوا يفعلون فى الخصب و يقال غير هذا ان الخصب يدعو الى غزو

الجيران والى أن يأكل القوى الضعيف كما قال الشاعر

قوم اذا نبت الربيع لهم * نبتت عداوتهم مع البقل

وقال الآخر صديق كلما كنتم بشر * واعداء اذا كنتم بخير

وكذلك قيل فى تفسير تنافس المعزى معنى آخر قيل لاعرابى ما وراءك قال خلفت أرضا تظالم معزاها يقال سمنت وأشرت فتظالمت قالت انظر الحجاج على فصاحته التى يضرب بها المثل لم يفهم قول أحد الرسل يقال فى مثل أفصح من الحجاج وكتب الى الخطيب أبو محمد رحمه الله فى جواب كتاب كتبت به اليه

وافى كتابك يا أبا الحجاج * تبدو عليه فصاحة الحجاج

لما لحت حروفه انحرف القذى * عن ناظرى وحاد عن منهاج

من شعر يطول * رجع الكلام مثل ما جرى للحجاج ما خرج ثابت رحمه الله عن رجل ولم يسمه قال ارسلنى أمير الكوفة بكتاب الى سليمان بن عبد الملك فقال ان أمير المؤمنين رجل بدوى وسيسألك عن السماء فهل تقوم بذلك فقلت لا والله قال فلما أصحرت فاذا أنا باعرابى فقلت يا اعرابى هل لك فى درهمين قال حريص والله عليهما محتاج اليهما ولكن ما سببهما قلت تصف لى هذه السماء قال و يعبأ أحد بذلك قلت له نعم السائل لك يعبأ بذلك قال اتعجز أن تقول أصابتنا سماء عقد لها الثرى وقامت بها الغدر ولم نزل منها فى مثل مجر الضبع حتى قدمت اليك قال فأخرجت قرطاسا فكتبت ما قال قال ودفعت اليه الدرهمين فكنت أقرأ ما كتبت على ناقتى وذلك هجيراى فلما دنوت من سليمان بن عبد الملك نزلت عن ناقتى فعقلتها ثم سلمت عليه بالخلافة يريد أن يذرب به لسانه ثم توصلت الى سليمان فلما ناولته الكتاب قال وهل وراءك من غيث قلت نعم وقلت له ما حفظت قال فكسر سليمان احدى عينيه وقال أما والله ان هذا الكلام لكلام ما أنت بأبى عذرته فقلت صدق والله قول أمير المؤمنين وحدثته بالحديث قال فلقد رأيت سليمان ممسكا على بطنه من الضحك * قوله فى الخبر ما أنت بأبى عذرته يقول ليس من تلقائك ولكنك سمعته فأديته وقوله مجر الضبع فان الضبع يختفى فى وجاره ولا تكاد تجده الا بنجوة فاذا عظم السيل دخل عليه النافقاء فاستخرجه فلذلك يقال مجر الضبع وقوله بعث قوم رائدا لهم فالرائد الذى يرود الغيث و يرتاده أى يطلبه يقال راد يرود رودا وريادا والجمع رواد وقد يقال للرائد راد كما قالوا للعارية عارة قال الشاعر

فأخلف واتلف انما المال عارة * فكله مع الدهر الذى هو آكله

وقال الحجاج لاعرابى كلمة فوجده فصيحا كيف تركت الناس وراءك قال أصلح الله الامير حين تفرقوا فى الغيطان وأخمدوا النيران وتشكت النساء وعرض الشتاء ومات الكلاب فقال الحجاج لاصحابه اخصبا نعت أم جدبا قالوا جدبا قال بل خصبا وفسر معنى تفرقوا فى الغيطان أعشبوا فانبلهم وغنمهم ترعى وأخمدوا النيران معناه استغنوا باللبن أن يشتووا اللحم وتشكت النساء اعضادهن من كثرة المخض للالبان ومات الكلاب لم تتفاوت انعامهم فيأكل جيفها * ومن الامثال نعم كلب فى بؤس أهله لانه انما ينعم فى الجدب ويموت فى الخصب ومن قولهم اذا مطر وامازلنا نطأ السماء حتى أتيناكم يعنى المطر ومن أجل ذلك يذكر قال الشاعر اذا نزل السماء بأرض قوم * رعيناه وان كانوا غضابا

وكما قيل فى قوله تعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين ان رحمة الله هنا المطر فلذلك ذكر وكذلك فى قول الله تعالى السماء منفطر به ذكر ذلك على معنى السقف كما قال تعالى وجعلنا السماء سقفا محفوظا وقال عز وجل والسقف المرفوع * ومن ملح هذا الباب فى طأطأ ماذكر البكرى ان كثيرا الشاعر كان قصيرا لا يبلغ ضروع الابل وكان اذا دخل على عبد الملك قال له تطأطأ لا يصيب رأسك السقف وهو الذى قال له اذرآه * تسمع بالمعيدى لا ان تراه * ومنه حديث النبى عليه الصلاة والسلام ان الاسد أكل ابنا لحواء فسبته فيها فشكت ذلك الى آدم عليه الصلاة والسلام فقال له أتجمع بين أن تفجعها بابنها وتسبها اخسأ فطأطأ رأسه فهو لا يقدر ان يرفعه خرجه ابن قتيبة فى شرح الحديث * ومن احسن مارأيت فى الطأطأة قول الاحنف بن قيس لقد مرت على مائة هنة كلها الطاطى لها رأسى فتجوزنى ولو نصبت لاحداهن لاصطلمتنى ينظر هذا الى قول يعقوب الخزاعى

لما رأيت القنا الخطى مشرعة * والمشرفية فى الايدى مصاليتا

طأطأت رأسى فجازونى ولو وقفوا * طأطأته أبدا أو يبلغ الحوتا

قالا تعير بعد اليوم قلت ذرا * عارى على وقوما انتماموتا

وينظر هذا المعنى الى قول المثنى الاعور وكان يجبن قال له اميره فى بعض الحروب تقدم يامثنى فانما زيادة ألف فى عطائك قال اخاف ان يذهب العطاء كله وانشد يقول

يقول لى الامير وقد برزنا * تقدم حين جد بنا المراس

خالى ان الطعنك من حياة * ومالى غير هذا الرأس راس

وقيل لرجل ولى الحرب لاتهرب فان الامير يغضب عليك فقال ان يغضب على وانا حى أحب الى من ان يرضى عنى وانا ميت ومثل هذا ما كتبه الى الفقيه الخطيب ابو محمد عبد الوهاب بن على رضى الله عنه فى كلام كثير منه واعله والله يغفر له ينشد اذا التقى الصفان وتدانى الصنفان ونظر الى سرعان الخيل وعاد النهار كالليل

لست على القرن بعطاف * ولا لدى الحرب بوقاف

لكننى أهرب مستعجلا * لو ربطت رجلى الى قاف

وان سمع ياخيل الله أخذته أم ملدم وتأخر ولم يتقدم وينشد

وقد قامت الحرب العوان كأنها * من الهول بحر فى تدافقه طما

وقالوا تقدم قلت لست بفاعل * أخاف على فخارتى أن تحطما

ثم حكى قصيرا حين ركب العصا وقال اللهم اغفر لمن عصى * العصا اسم فرس لجذيمة ركبها قصير وقصير هو صاحب الزباء وحديثه مشهور وقد تقدم واذ وقعنا فى حديث هذا الجبان فلنكفره بما يروى عن أحد الشجعان انه طعن فى بطنه فخرجت حشوته فردها فى جوفه وعصب عليها عمامته ثم حمل فقتل سبعة وحينئذ مات رحمه الله وآخر قطعت رجله فأخذها واتبع ضاربه ومازال يخبعه بها حتى قتله وهو يقول يانفس لن تراعى * ان قطعت كراعى * ان معى ذراعى * يخبعه يضربه فى موضع النخاع * وقصة معاذ بن عمرو بن الجموح رضى الله عنه حين قال ضربت يوم بدر على عاتقى فطرحت يدى فعلقت بجلدة من جنبى فقاتلت عامة يومى وأنا أسحبها خلفى فلما آذتنى وضعت عليها قدمى ثم تمطيت بها عليها حتى طرحتها * ومن الشجعان البراء بن مالك رضى الله عنه قتل من المشركين مائة رجل مبارزة سوى من شارك فيه وهو اخو انس بن مالك لامه وهو الذى ألقى على ترس وطرح على جدار الحديقة التى كان فيها مسيلمة وجرح يومئذ بضعا وثمانين جراحة فحمل الى رحله وددوى وأقام عليه خالد شهرا وكان رضى الله عنه مجاب الدعوة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كم من ضعيف مستضعف ذى طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره منهم البراء بن مالك ولقى مرة زحفا من المشركين قد أوجعوا فى المسلمين فقالوا يابراء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انك لو أقسمت على الله لابرك فاقسم لنا على ربك قال أقسمت عليك

الشجاعات من النساء

يارب لما منحتنا أكتافهم فكان ذلك ثم التقوا على قنطرة السوس وقد أوجعوا في المسلمين فقالوا يابراء أقسم لنا على ربك فقال أقسمت عليك يارب لما منحتنا أكتافهم وألحقتني بنبي صلى الله عليه وسلم فمنحوا أكتافهم وقتل شهيدا رضى الله عنه (فائدة) يقال رجل شجاع من قوم أشجعة وشجعان مثل غلام وأغلمة وغلمان ويقال أيضا رجل شجيع وشجعان كجريب وجربان وامرأة شجاعة وقيل لا توصف به وقد تقدم طرف من ذكر شجعان الرجال وأذكر هنا فصلا عن النساء ربات الحجال * أولاهن بالتقدم أم عمارة بنت كعب الانصارية وهى أم حبيب الذى قتله مسيلمة الكذاب اخذه فقال أتشهد ان محمدا رسول الله فيقول نعم ويقول مسيلمة أتشهد أنى رسول الله فيقول لا أسمع وجعل يقطعه عضوا عضوا كذلك حتى مات شهدت بيعة العقبة وأحدا وبيعة الرضوان ثم شهدت اليمامة ثم انفذت مع ابنها عبد الله بن زيد بفسطاط مسيلمة فوجدها ابنها عبد الله قد سبقته اليه وقاتلت حتى قطعت يدها وجرحت يومئذ اثنى عشر جرحا من بين طعنة وضربة * وأم حكيم بنت الحارث بن هشام زوج عكرمة بن أبى جهل قتل يوم اجنادين شهيدا رضى الله عنه فتزوجها بعده خالد بن سعيد وبنى بها فنالوهم يقاتلون الروم فقتل صبيحة بنائه بها رضى الله عنه ورحمه الله وشهدت أم حكيم القتال وقتلت سبعة من الروم بعمود الفسطاط الذى بات فيه خالد معرسا بها عند القنطرة التى بمرج الصفر فهى تسمى قنطرة أم حكيم الى اليوم * ومنهن الخنساء الشاعرة واسمها تماضر بنت عمرو بن الشريد السلمية حضرت حرب القادسية رضى الله عنها ومعها بنوها أربعة رجال فقالت لهم من أول الليل يابنى انكم أسلمتم طائعين وهاجرتم مختارين ووالله الذى لا اله الا هو انكم لبنو رجل واحد كما انكم بنو امرأة واحدة ماخنت أباكم ولا فضحت خالكم ولا هجنت حسبكم ولا غيرت نسبكم وقد تعلمون ما أعد الله للمسلمين من الثواب الجزيل فى حرب الكافرين واعلموا ان الدار الباقية خير من الدار الفانية يقول الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون فاذا أصبحتم غدا ان شاء الله تعالى سالمين فاغدوا الى قتال عدوكم مستبصرين وبالله على أعدائه مستنصرين فاذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها واضطرمت لظى على سياقها وجللت نارا على أرواقها فتيمموا وطيسها وجالدوا رئيسها عند احتدام

خميسها

خميسها تظفروا بالمغنم والكرامه فى دار الخلود والمقامه فخرج بنوها قابلين لنصحها عازمين على قولها فلما أضاء لهم الصبح بادروا مراكزهم وانشأ أولهم يقول

يا اخوتى ان العجوز الناصحه * قد نصحتنا اذ دعتنا البارحه
بمقالة ذات بيان واضحه * فباكروا الحرب الضروس الكالحه
وانما تلقون عند الصائحه * من آل ساسان كلابا نابحه
قد أيقنوا منكم بوقع الجائحه * وأنتم بين حياة صالحه
* وميتة تورث غنما رابحه *

وتقدم فقاتل حتى قتل رضى الله عنه ثم حمل الثانى وهو يقول

ان العجوز ذات حزم وجلد * والنظر الاوفق والرأى السدد
قد أمرتنا بالسداد والرشد * نصيحة منها وبرا بالولد
فباكروا الحرب حماة فى العدد * اما بفوز بارد على الكبد
أو ميتة تورثكم عيش الابد * فى جنة الفردوس والعيش الرغد

وقاتل حتى استشهد رضى الله عنه ورحمه ثم حمل الثالث وهو يقول

والله لا نعصى العجوز حرفا * قد أمرتنا حربا وعطفا
نصحا وبرا صادقا ولطفا * فبادروا الحرب الضروس زحفا
حتى تلفوا آل كسرى لفا * أو يكشفوكم عن حماكم كشفا
انا نرى التقصير عنهم ضعفا * والقتل فيهم نجدة وعرفا

فقاتل حتى استشهد رضى الله عنه ثم حمل الرابع وهو يقول

لست لخنساء ولا للاخرم * ولا لعمرو ذى السناء الاقدم
ان لم أرد فى الجيش جيش الاعجم * ماض على الهول خضم خضرم
اما لفوز عاجل ومغنم * أو لوفاة فى سبيل الاكرم

فقاتل حتى قتل رضى الله عنهم ورحمهم فبلغها الخبر فقالت الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم وأرجو من ربى أن يجمعنى بهم فى مستقر رحمته * وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يعطى الخنساء أرزاق أولادها الاربعة لكل واحد مائتا درهم حتى قبض رضى الله عنه وسيأتى من ذكرها فى باب الهاء من ذكر غيرها * وذكر فى حديث الخنساء حديث فتى من العرب جرحه صاحب له فجاء الى أمه يستسقيها ماء فقالت له ان الماء لن يفوتك أبدا اذهب فخذ ثارك وأخرجته ولم تسقه * وتقدم

فى القافية طل وظل وأذكر من فوائد طل حكاية ظريفة عن امرأة ظريفة كانت تهوى غلاما اسمه طل وكانت من كرائم الرشيد فنمى الخبر اليه فأقصى ذلك الغلام وأبعده غاية الابعاد وأوعد بالجارية نهاية الابعاد وقال لها ان ذكرتيه لاقتلنك فدخل عليها ذات يوم على غفلة وهى تقرأ فان لم يصبها وابل فالذى نهى عنه أمير المؤمنين فاستحيا من ذلك وقال لها ولا كل هذا * وتقدم أطل ومعناه أشرف وانه يقال أطل الرجل على كذا فهو مطل ومنه سمى الرجل القصير أبو المطل على القلب كما قالوا للغراب أبو الاعور لحدة بصره وللاسود أبو البيضاء وللديغ سليم على جهة التفاؤل وللقفر مفازة وهى مهلكة وهذا كثير وأذكر هنا قطعة من الشعر تستطرف وتستظرف قال بعض الادباء فى غلام له اسمه سعادة

لى عبد سوء وعبد السوء منقصة * والمسترق لعبد السوء مولاه
قالوا سعادة قال من سعادته * كأنهم جهلوا اسما ضد معناه
هذا الغراب أبو البيضاء كنيته * وانظر بأى سواد خصه الله

وأما الظل فقد تقدم القول فيه وأزيدك هنا فائدة خرج أبو أحمد بن عدى رحمه الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه نهى أن يقعد الرجل بين الظل والشمس وقال انه مقعد الشيطان وخرج أبو داود عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم اذا كان أحدكم فى الشمس فقلص عنه الظل فصار بعضه فى الظل وبعضه فى الشمس فليقم وفى رواية اذا كان أحدكم فى الفئ

وذا فصل الفوائد قد تقضى * وآخذ بعد فى ألف وكاف
فلا تنس المؤلف من دعاء * ألا ان الدعا شاف وكاف

(باب الالف مع الكاف)

وأك وأك وأك * وكل وكل وكل

دامت لنا ولكم العافيه لما لم أجد ما أكمله أكملت بالقافيه أما أك الاول فهو فعل تقول منه أك يومنا يؤك أكا اذا اشتد حره وسكن ريحه ويقال عك أيضا والعكة الرملة الحارة والجمع عكاك وأما أك الثانى فصدر هذا الفعل وأما أك الثالث فنعت لليوم يقال يوم عك أك وعكيك أكيك قال الراجز

اذا الشريب أخذته أكه * فخله حتى يبك بكه

الشريب الشريك فى الشرب أى خله حتى يورد ابله الحوض فتتباك عليه أى

تزدحم وقال بعض أهل اللغة سميت مكة بكة لان الرجال يتباكون فيها أى يزدحمون وكل شئ تراكب فقد تباك وقيل سميت مكة من قولهم مك الصبى ثدى أمه يمكه مكا اذا استقصى مصه وكذلك كل راضع فاشتق اسم مكة من هذا المعنى لقلة الماء بها لانهم يمكون الماء أى يستخرجونه باستقاء يقال رجل مكان ومصان وملحان ويقال لئيم راضع يرضع الغنم للؤمه ولا يحلب لئلا يسمع صوت الحلب فيقصد وقال قوم سميت مكة لانها تمك من ظلم فيها أى تمعصه وتهلكه وقال ابن عزيز سميت مكة لاجتذابها الناس وفى الحديث لا تمككوا على غرمائكم أى لا تستقصوا وقال المهدوى سميت مكة لانها تمك المخ من العظم بما ينال قاصدها من المشقة من قولهم مككت العظم اذا استخرجت ما فيه ومن قال بكة بالباء فمن البك وهو الزحم والناس يزدحمون فيها للطواف تباك الناس اذا ازدحموا كما تقدم وقيل سميت بذلك لانها تبك أعناق الجبابرة والبك دق العنق كانهم اذا ألحدوا فيها لم ينظروا وقال بعضهم بككته ابكه اذا وضعت منه ورددت نخوته قال ثابت وهذه أقوال كثيرة وبعضها قريب من بعض والله أعلم بما أراده من ذلك * وأما أك الآخر فمعناه زحم يقال اكه أكا اذا زحمه مثل بكه وهذا أيضا قريب مما تقدم ولكن كذا قال أهل العلم ولكل معنى فصيح ومغنى فسيح والحمد لله * ومعكوس أك كاء يقال كاء عنى يكاء اذا ارتدع قاله ع قال والكأ من غير لفظ كاء وجعله من باب كأى يكأى كأوا اذا ارتدع * ومن مضاعفه كأكأ يقال كأكأ كأنه عنى فتكأكأ اذا ارتدع وكذلك تكأكأ بمعنى جبن ونكص والمتكأكئ القصير والتكأكؤ التجمع ومنه قول عيسى بن عمر اذ سقط عن حماره فاجتمع عليه الناس فقال مالكم تكأكأتم على تكأكؤكم على ذى جنة افرنقعوا عنى والافرنقاع الزوال عن الشئ * وأما مقلوبها ألف بين حرفين كاك فهمل لا أعرف فيه شيئا غير لقب رجل من أصحاب الحديث شيخ شيخى العثمانى قال فى حديث كتب الى أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز يعرف بكاك الحنفى وذكر حديث الديك الابيض المسلسل انظره فى باب العين من هذا الكتاب وكذلك حرف بين ألفين أكا ليس فيه فيما أعلم الا مصدر أك أكا اللهم الا ان كان يقال اكاء فى وكاء فان ذلك جائز عندهم كما قالوا اكاف فى وكاف واشاح فى وشاح فان كان سمع ذلك فحسن والا فلا أحدث لغة جديدة * فرغ هذا بقى شرح القافية وما تقدمها أما كل ففعل ماض

تقول كل السيف والشفرة كلاوكلولا وسيف كليل وكل الرجل والدابة كلا اذا أعيا وكل البصر كلة ما اجتمع فى الفعل افترق فى المصدر وهذه مثل وجد ألا تراهم يقولون وجد فى المال وجدا وجدة وفى وجد هذا ثلاث لغات وجد ووجد ووجد وفى القرآن العزيز من وجدكم قرئ بها ثلاثتها قاله ابن السيد وفى الضالة وجد وجدانا وفى الحزن وجد وجدا وفى الغضب موجدة هذا عملهم فى المصدر فرقوا به بين معانى وجد وقد يكتنف الواحد معانى كثيرة فيشتق لكل معنى منها اسم من اسم ذلك الشئ كاشتقاقهم من البطن الخميص مبطن وللعظيم البطن اذا كان خلقة بطين فان كان من كثرة الاكل قيل مبطان وللمنهوم بطين وللعليل البطن مبطون ولما أنشد متمم بن نويرة رثاءه فى أخيه مالك وكان فيه * فتى غير مبطان العشيات أروعا * الى غير ذلك مما مدحه به قال له عمر بن الخطاب رضى الله عنه لقد قلت كلاما وذكرت خصالا قلما تكون فى الرجل قال يا أمير المؤمنين ما كذبت فى حرف واحد الا انى أعلم انى قلت غير مبطان العشيات وقد علمت انه كان بطينا حادرا قال عمر وأبيك ان هذه لخصلة يسيرة فيما يقال عن الشعراء والحادر المجتمع الخلق وقد يفرقون بحركة البناء فى الحرف الواحد بين المعنيين فيقولون رجل لعنة اذا كان يلعنه الناس فان كان هو اللاعن قالوا لعنة بتحريك العين ومثله سبة للمفعول وسببة للفاعل وكذلك هزءة وهزأة وسخرة وسخرة وضحكة وضحكة وخدعة وخدعة وقالوا الجماء الذى لا يشرب الموجة الا عند الضرورة شروب ولما دونه مما يتجوز به شريب ونضح لرشاش الماء القليل فان كثر فهو نضح وللقبض بأطراف الاصابع قبص وبالكف قبض وأحفظ فى هذا المعنى بيتا لم أر أحسن منه فى معناه يصف الزهد والقناعة

كفاهم أقل الزاد اذ قنعوا به * ومن قنع استغنى عن القبض بالقبص

(رجع) وقالوا للاكل بأطراف الاسنان قضم وبالفم خضم ولما ارتفع من الارض حزن فان زاد قليلا قيل حزم وللعطاء شكر فان كان عن مكافأة قيل شكم * وأما كل فأصله الثقل يقال ألقى فلان على كله أى ثقله وفى التنزيل وهو كل على مولاه نزلت هذه الآية فى أبى بكر الصديق رضى الله عنه ومولى له كافر وقيل الابكم أبى بن خلف كان لا ينطق بخير وهو كل على قومه كان يؤذيهم ويؤذى عثمان بن عفان رضى الله عنه والذى يأمر بالعدل قيل هو حمزة بن عبد

المطلب رضى الله عنه وقيل الابكم مثل الصنم لانه لا يسمع ولا ينفع وهو كل على عابده يخدمه ويحمله ويضعه والله أعلم بكتابه وتقول من هذا كل الرجل كلولا اذا كان كلا على اهله والكل للواحد والجمع وقد يجمع على كلول ويقال أيضا كل الرجل اذا لم يكن له ولد * وأما كل فكلمة تجمع بها الاجزاء ونقيضها بعض وتتصل بها ما فتقول كلما تكتبها متصلة اذا كانت ظرفا تقول كلما سألته أعطانى ومنه قوله تعالى كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله فان لم تكن ظرفا فصلت تقول اعطنى كل ما عندك وكل ما عندى لك مباح وجاءت فى القرآن مرفوعة كقوله تعالى قل كل يعمل على شاكلته ومجرورة فى قوله تعالى ومن كل تأكلون لحما طريا ومنصوبة فى قوله تعالى وان كلا لما ليوفينهم ربك أعمالهم على ان هذه قرأها عصمة عن الاعمش وان كل بالرفع وقرأ نافع وابن كثير وأبو بكر وان كلا بالنصب وتخفيف ان وقرأ الباقون وان كلا والفتح فى ان الاصل وان مخففة ولكنها تستعمل وكلا بالوجهين بمعنى * وأما وكل فالواو فيه أصلية وهو الرجل العاجز الذى يكل أموره لغيره عجزا وضعفا بمنزلة الامعة الذى يميل مع كل أحد ولا يفكر ولا ينظر كما قال على بن أبى طالب رضى الله عنه

ولست بامعة فى الرجال * يسائل ذلك وذا ما الخبر

وقد تقدم وذكر الخطابى رحمه الله فى حديث النبى صلى الله عليه وسلم انه كان اذا مشى مجتمعا يعرف فى مشيته انه غير غرض ولا وكل وفسر الغرض الملول الصدر والغرض الملالة والغرض أيضا شدة النزاع الى الشئ والاشتياق الى قربه قال الشاعر وان يك لم يغرض فانى وناقتى * بحجر الى أهل الحمى غرضان

تحن فتبدى ما بها من صبابة * وأخفى الذى لولا الاسى لقضانى

أراد لقضى على وقوله غير وكل معناه غير ضعيف ولا تقبل الحركات قال الراجز

ولا تكونن كهلوف وكل * يصبح فى مضجعه قد انجدل

قال ويقال ان الوكل الذى يكل الامور الى غيره ولا يباشرها بنفسه ومنه قولهم فى المثل فلان وكلة تكلة أى عاجز يكل أمره الى غيره وسقت الوكل وليست الواو زائدة لتكثير الفائدة ولو شئت لجعلت عوضه وكل أمر من التكيل ومن قولك وكلت أمرى الى فلان تقول من هذا كل أمرك الى الله وتكون الواو فى هذا للعطف مثل أصحابه وكذلك كل أمر من الاكل والمصدر من هذا مفتوح الالف

والاسم أكل بضمها من قوله تعالى تؤتى أكلها كل حين وقد تت أكلها وفى الحديث من هذا ليس المسكين بهذا الطوّاف الذى ترده اللقمة واللقمتان وفى لفظ آخر الاكلة والاكلتان * فائدة * تقدّم قوله تعالى تؤتى أكلها كل حين باذن ربها اختلف فى الحين يروى ان رجلا أتى أبا بكر الصديق رضى الله عنه فقال انى حلفت أن لا أكلم أخى حينا فقال له أبو بكر لا تكلمه حياتك ثم أتى عمر رضى الله عنه فقال له لا تكلمه سنة ثم أتى على بن أبى طالب رضى الله عنه فقال له لا تكلمه الى غروب الشمس فقال الرجل سبحان الله ثلاثة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اختلفوا فى أمر واحد فأتى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك فقال النبى صلى الله عليه وسلم أصحابى كالنجوم من اقتدى بشئ منهم اهتدى قال الذى ذكر هذا الخبر وهو الفقيه أبو محمد عبد الله بن الوحشى الوراق رحمه الله فى شرح كتاب الشهاب قال تأوّل أبو بكر رضى الله عنه بعين هذا الرجل خبر قوم يونس فآمنوا فمتعناهم الى حين وذلك الى أن ماتوا وتأوّل عمر رضى الله عنه قول الله عز وجل تؤتى أكلها كل حين باذن ربها وذلك كل عام وتأوّل على رضى الله عنه قول الله فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون قال وأذكر لعلى رضى الله عنه تأويلا آخر الحين ستة أشهر وتأوّل فى ذلك قوله تعالى هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا وهو الحمل ستة أشهر لان الحمل مجهول ليس بمعلوم أذكر هو أم انثى فيذكره أهله فالحمل شئ وهو غير مذكور تلك المدة * بقى من هذا معكوسه لك مخففا جار ومجرور كما تقول له ولها وأما لك مثقلا فهذا الذى يصبغ به ولكن قال ابن دريد ليس بعربى صحيح واللك واللك واللكيك اللحم بعينه اذا كان مكتنزا ولك اسم بلد واللكيون قبائل بالاسكندرية يعرفون بذلك وتقول التكت الجماعة اذا ازدحموا وعسكر لك وفرس لكيك اذا كان مكتنز اللحم كما تقدم وناقة لكية ولكك الرجل دفعته موالكاك الزحام واللكاك ما ينحت من الجلد الملكوك واللوك مصدر لاك طعامه اذا مضغه ولم يسغه ولاك الفرس اللجام وفلان يلوك اعراض الناس أى يقع فيهم ومنه قول الناس حب الملوك لهذا الذى يؤكل انما هو الحب الملوك بفتح الميم سمعته من بعض الشيوخ وتقول لكه أى ضربه مثل صكه * ومن مضاعف كل كلكل وهو الصدر والكلكال لغة فيه وصدر كل شئ كلكله والكلكل بالضم الرجل الضرب والكلاكل جمع كلكل والكلاكل أيضا

الجماعات والاكليل من المنازل والاكليل عصابة من الجوهر تصنع للملوك تحيط بالرأس ومنها فى الحديث فى شأن الاستصحاء بعد الاستسقاء اذ قال النبى صلى الله عليه وسلم اللهم حوالينا ولا علينا فانجاب السحاب عن المدينة حتى أحدق بها كالاكليل هذه النهاية فى العناية استسقى فسقى واستصحى فوقى صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم * رجع * ويقال روضة مكللة محفوفة بالنور والكلة معروفة عربية والكلالة فى القرآن قيل هى من تكلل النسب بالنسب اذا أحاطه كالاكليل كابن العم وما أشبهه وقيل الكلالة هم الاخوة للام (بقى الكلام على الكاف ومخرجها) الكاف تذكر وتؤنث كسائر الحروف قال الشاعر * كما بنيت كاف بلوح رسمها * وتكون للخطاب ولا موضع لها من الاعراب مثل ذلك وأولئك وتلك ورويدك وتكسر للمؤنث ومن العرب من يبدلها فى الوقف شينا فيقول عليش ومنش ولا يكون ذلك الا فى خطاب المؤنث وسيأتى ذلك ان شاء الله تعالى فى باب الشين مستوفى * ومنهم من يجعلها عوضا من القاف أو بينهما فيقول كال عوض قال وذلك لقرب المخرج بل هما من مخرج واحد من أقصى الفم من أسفل اللسان وكذلك الجيم والشين وهما أيضا من الحروف المهموسة ولذلك لا يجتمعان فى كلمة واحدة ليس بينهما حاجز لا يقال قك ولا كق وبنو تميم هم الذين يلحقون القاف بالكاف فتغلظ جدا فيقولون كال عوض قال كما تقدم قال شاعرهم

ولا أكول لكدر الكوم كد نضجت * ولا أكول لباب الدار مكفول

يريد

ولا أقول لقدر القوم قد نضجت * ولا أقول لباب الدار مقفول

وفى البخارى القسط والكسط مثل الكافور والقافور وكذلك جاء فى حديث الرجل الذى أمر أهله أن يحرقوه بعد موته قال واذا صرت فحما فاسحقونى أو قال فاسحكونى وفى التنزيل فلا تقهر وقرأ ابن مسعود فلا تكهر والكاف من حروف الجر وفيها معنى التشبيه فى قوله زيد كعمرو وتجيء للتوكيد فى قوله تعالى ليس كمثله شئ والمعنى ليس مثله شئ وقيل ان مثل هنا للتوكيد والمعنى ليس كهو شئ وانما نشأ الخلاف هنا لكون الكاف ومثل بمعنى واحد فى التشبيه والله أعلم ولذلك لا يجتمعان الا أن تقدّم الكاف على مثل فتقول زيد كمثل عمرو ولا تقل زيد مثل كعمرو وربما جاء هذا فى الشعر وذلك للضرورة ولانه يجوز فيه ما لا يجوز فى الكلام كما تقدم قال رؤبة * وصير وامثل كعصف مأكول * وقد تكلم العلماء فى مثل ذلك واستدلوا

على ان الكاف هنا حرف لكنها مقحمة لتأكيد التشبيه كما اقحمت اللام فى قوله يا بؤس للعرب وهذان الحرفان أعنى الكاف واللام لا يقحم من حروف الجر سواهما وكذلك هى حرف فى قوله تعالى ليس كمثله شئ اذ لا يحسن أن يقال ليس مثل مثله وقد تكون الكاف اسما فى مثل رأيتك كالهاء فى رأيته ولذلك قالوا فى قول الشاعر

* ورحنا بكابن الماء ينفض رأسه * وقالوا دخول حرف الجر عليها دليل على انها اسم وكذلك دخول الكاف فى قوله * وصاليات ككما يؤثفين * قال الاستاذ رحمه الله وقد ذكرها دخول الكاف على مثله فى قوله ليس كمثله شئ مستقيم لان مثل اسم تقدم عليه حرف الجر فعمل فيه وهكذا حكمه ودخول مثل على الكاف فى البيت المتقدم الذى هو * فصيروا مثل كعصف مأكول * قبيح لتقدم الاسم على الحرف ولولا الاقحام لما جاز (فصل) وتقول من الكاف كوفت كافا اى كتبتها وكوف الرجل تكويفا أتى الكوفة وتكوف أى تشبه بهم أو انتسب اليهم قال الشاعر

تيمن الانسان يبغى الغنى * من بعد ما بصر أو كوفا

وقد تقدم هذا الشعر بكماله فى باب الدال والكوفة الرملة الحمراء وبها سميت البلدة وكوفان أيضا اسم الكوفة وتقول تركتهم فى كوفان أى فى مشقة وعناء (ومعكوس) كاف فاك وهو أفصح من فك وقد كره أن يقال فم الا فى الشعر كما قال

* يصبح عطشان وفى البحر فمه * وكما قال الآخر

ماللغراب ولى * دق الاله فمه

وقبل هذا البيت

صاح الغراب بمه * بالبين من سلمه
صاح الغراب بنا * فى ليلة شبمه

* ماللغراب ولى * البيت والذى يكثر فى الحديث فوه كقوله عليه الصلاة والسلام حتى اللقمة يضعها فى فى امرأته وفى كتاب الله تعالى ليبلغ فاه ومن مقلوبه افك وهو الكذب والباطل وفى القرآن منه قوله تعالى ان الذين جاؤا بالافك وكذلك يؤفك عنه من أفك أى يصرف عنه من صرف وفى الحديث منه كثير وهو الكذب والزور وقد تقدم وان كتبت كفا بالالف فهو أيضا من مقلوب كاف قال الله تعالى وكفى بالله وكيلا وقال عليه الصلاة والسلام حسبى الله وكفى ومعنى كفى حسب ومعنى حسب كفى تفسر احداهما بالاخرى ومن مقلوبها ايضا أكف جمع كف واكف عنا كذا أى اصرفه فان حذفت الالف جاء منه كف المتقدم وكف والكفة كفة

الميزان وكفة الحابل وهى شبكة الصائد ومعكوس كف فك وهو اللحى كما قال الشاعر

كأن بين فكها والفك * فارة مسك ذبحت فى سك

وفك أمر من فك وكذا تبنيه لما لم يسم فاعله وفى القرآن العظيم فك رقبة أى عتقها وفى الحديث فكوا العانى وهو الاسير من قوله عليه الصلاة والسلام استوصوا بالنساء خيرا فانهن عوان عندكم أى اسيرات (فرغ هذا) بقى من ملح هذا الباب ما ذكرته فى التكميل مقطعات نحو خمسة عشر بيتا فى كل كلمة من البيت كاف مثل

ركبت الكبائر والمهلكات * وامسك كل حكيم وكف

وهذه القطعة خمسة أبيات قوافيها كلها وكف وكف والمعانى مختلفة وعلى بعضها جواب للفقيه أبى محمد عبد الوهاب رضى الله عنه شعر موزون مع كلام منثور كالدر المخزون لو رآها الحريرى قبل وفاته لم يفخر بقوله قابلت الشتاء بكافاته واذ كرك من ذلك هنا بيتا واحدا على جهة التعطيش الى التفتيش والتشوق الى التذوق كتب الى رضى الله عنه

كرمت فكنت كغيث وكف * وكاملت كعبا فكم وكف

ولى من الكلمات المقلوبة فى الكاف مع اللام ما يقال لمن كل باللام * لك كل كلا لك لك كل * ومعنى لك الاولى أى لك أقول وسيأتى تفسير كل ان شاء الله تعالى * ومن الملح فى الكاف ما يروى ان عبد الملك بن مروان قال لسويد أخبرنى عن عشرة أشياء فى جسدك أوائل أسمائها كاف ولك بدرة فقال الكف والكوع والكرسوع والكتف والكاهل والكبد والكرش والكلية والكفل والكعب فقال أخطأت ليس للانسان كرش هات تمام العشرة فقال أبلعنى ريقى فقال قد أبلعتك الفرات ولن تأتى بها فقام سويد الى الخلاء ليبر ريق الماء فلما حل سراويله تذكر الكمرة فجعل يعدو وهو محلول السراويل فصاح الكمرة وهى تمام العشرة فضحك عبد الملك وأمر له ببدرة

خرجت من الفهو بؤلك كا * الى لك ومنه الى اللكالك
وأقصد للفوائد بعد هذا * أملك ضروعها أى امتلاك

* (فصل من الفوائد الزوائد) * لم أجد فى لفظ كا غير ما تقدم وجاءت كى وهذه اللفظة تكون فى أول أسماء الفرس وهم ملوك يقال لهم الكيانية لان كل واحد منهم يضاف الى كى وهو البهاء ويقال معناه ادراك الثار وأول من تسمى بكى

افريدون وقاتل الضحاك بثار جده الذى قال الشاعر فيه

وكأنه الضحاك فى فتكاته * بالعالمين وأنت افريدون

ثم صار الملك فى عقبه الى منوشهر الذى بعث موسى عليه الصلاة والسلام فى زمنه ثم
الى كى قاووس وكان فى زمن سليمان عليه الصلاة والسلام ثم الى كى يستاشف ثم
الى أردشير الذى كان يقتل كل من ظهر عليه من ملوك الاشغانيين الى أن قتل
منهم ملكا يقال له الاردوان واستولى على قصره فألفى فيه امرأة جميلة رائعة
الحسن فقال لها ما أنت فقالت أمة من اماء الملك وكانت بنت الملك الاردوان لاذت
بهذه الحيلة من القتل لانه كان لا يبقى منهم ذكرا ولا أنثى فصدق قولها وتسراها
فحملت منه فلما أثقلت استبشرت بالامان منه فأقرت بأنها بنت الاشغانى الذى
قتل فدعا وزيرا له ناصحا فقال استودع هذه بطن الارض فكره الوزير أن يقتلها
و فى بطنها ابن الملك وكره أن يعصى أمره فاتخذ لها قصرا تحت الارض ثم خصى
نفسه وصبر مذاكيره وجعلها فى حريرة ووضع الحريرة فى حق وختم عليه ثم جاء به
الى الملك واستودعه اياه وجعل لا يدخل لتلك المرأة فى ذلك القصر سواه ولا تراها
الاعينه حتى وضعت المولود ذكرا فكره أن يسميه قبل أبيه فسماه شاه بور ومعناه
ابن الملك فكان الصبى يدعى بهذا ولا يعرف لنفسه اسما غيره فلما قبل التعليم
نظر فى تعليمه وتقويم أوده واجتهد فى كل ما يصلحه الى أن ترعرع الغلام فدخل
الوزير يوما على أردشير وهو واجم فقال لا يسوءك الله أيها الملك فقد ساءنى اطراقك
ووجومك فقال كبرت سنى وليس لى ابن أقلده الامر بعدى وأخاف انتثار الامر
بعد انتظامه وافتراق الكلمة بعد اجتماعها فقال له ان لى عندك وديعة أيها
الملك وقد احتجت اليها فأخرج اليه الحقة بخاتمها ففض الخاتم وأخرج المذاكير
منها فقال له الملك ما هذا فقال كرهت ان أعصى الملك حين أمرنى فى الجارية
بما أمر فاستودعتها بطن الارض حية حتى أخرج الله منها سليل الملك وأرضعته
وحضنته وها هو ذا عندى فان أمر الملك جئته به فأمر أردشير باحضاره فى مائة
غلام من أولاد فارس بأيديهم الصوالج يلعبون بالكرة فلعبوا فى القصر فكانت
الكرة اذا بلغت الى ايوان الملك يتهيبون أخذها حتى صارت لغلام فوقعت فى سرير
الملك فتقدم حتى أخذها ولم يهب ذلك فقال الملك ابنى والشمس متعجبا من عزة
نفسه وصرامته ثم قال له ما اسمك يا غلام قال شاه بور فقال صدقت أنت ابنى وقد

سميتك

سميتك بهذا الاسم وبور هو الابن وشاه هو الملك بلسانهم واضافتهم مقلوبة يقدمون
المضاف اليه على المضاف كما تقدم فى كلمة كى التى كانت فى أسماء الملوك الكينية
فكانوا يضافون الى كى ثم ان أردشير عهد الى ابنه شاه بور ثم ان العرب غيرت هذا
الاسم فقالوا سابور فسمى بهذا الاسم ملوك من بنى ساسان منهم سابور ذو الاكتاف
الذى وطئ أرض العرب وكان يخلع أكتافهم حتى مر بأرض تميم ففروا منه وتركوا
عمرو بن تميم وهو ابن ثلثمائة سنة لم يقدر على الفرار وكان فى قفة معلقة فى عمود
الخيمة من الكبر فأخذ وجئ به الى الملك فاستنطقه سابور فوجد عنده رأيا ودهاء
فقال له أيها الملك لم تفعل هذا بالعرب فقال يزعمون ان ملكنا يصير اليهم على يد
نبى يبعث فى آخر الزمان فقال عمرو فأين حلم الملوك وعقلهم ان يكن هذا الامر باطلا
فلا يضرك وان يكن حقا ألفوك ولم تتخذ عندهم يدا يكافؤنك عليها ويحفظونك بها
فى ذويك فيقال ان سابور انصرف عنهم واستبقى بقيتهم وأحسن اليهم بعد ذلك والله
أعلم ثم كان ابرويز بن هرمز تفسيره بالعربية مظفر وهو الذى عرض على الله تعالى
فى المنام فقال له سلم ما فى يديك الى صاحب الهراوة فلم يزل مذعورا من ذلك حتى
كتب اليه النعمان بظهور النبى صلى الله عليه وسلم بتهامة فعلم ان الامر سيصير اليه
حتى كان من أمره ما كان وهو الذى سئل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما حجة
الله على كسرى فقال ان الله أرسل اليه ملكا فسلك يده فى جدار مجلسه حتى
أخرجها اليه وهى تتلألأ نورا فارتاع كسرى فقال له الملك لم ترع يا كسرى ان الله قد
بعث رسوله فأسلم تسلم فقال سأنظر ذكر ذلك الطبرى رحمه الله فى اعلام كثيرة من
النبوة عرضت على ابرويز وذكر فى هذا الخبر ابرويز هو اسمه ولعله تبع المذكور
فى القرآن فان ابن شاهين لما ذكر هذه الاحاديث أدخل بينها حديث أبى قتادة انه
قال فى قوله تعالى وقوم تبع ان عائشة رضى الله عنها قالت كان تبع رجلا تعنى
صالحا قال كعب رضى الله عنه ذم الله تعالى قومه ولم يذمه ونهى رسول الله صلى
الله عليه وسلم عن سبه ثم قال كسرى وهذا الاسم أعنى كسرى يتسمى به كل ملك
للفرس كما تسمى الروم ملكهم قيصر والشام هرقل والترك خاقان وقيصر
بلسانهم الذى بقر بطن أمه عنه واليمن تبعا وحمير قيلا ومأرب اسم لكل ملك
كان يلى سبأ والحبشة النجاشى والمسلمون أمير المؤمنين ولكل واحد منهم بعد هذا
اسم يختص به فالنجاشى الذى صلى عليه النبى صلى الله عليه وسلم اسمه أصحمه

وتفسيره عطية * قال المازرى وتسمى بعد هذا أيضا سابور بن ابرويز اخو شيرويه وملك نحوا من شهرين فى مدة النبى صلى الله عليه وسلم وملك اخوه شيرويه نحوا من ستة أشهر ثم ملكت اختهما بوران فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فقال لا يفلح قوم تملكتهم امرأة فملكت سنة ثم هلكت وتشتت أمرهم كل الشتات ثم اجتمع أمرهم على يزدجرد بن شهريار بن ابرويز والمسلمون قد غلبوا على أطراف أرضهم ثم كانت حروب القادسية معهم الى أن قهرهم الاسلام وفتحت بلادهم على يدى عمر ابن الخطاب رضى الله عنه واستؤصل أمرهم والحمد لله وسابور تنسب اليه الثياب السابرية قاله الخطابى وزعم انه من النسب الذى غير فاذا نسبوا الى نيسابور المدينة قالوا سابورى على القياس وزعم بعضهم ان نى هو القصب وكانت مقصبة فبناها سابور مدينة فنسبت اليه وقد تقدم والله أعلم ومثل الاقاصرة والاكاسرة فى التسمية التبابعة كانوا كثيرة ومعنى تبع فى لغة اليمن الملك المتبوع وقال المسعودى لا يقال للملك تبع حتى يملك اليمن والشحر وحضرموت واول التبابعة الحارث الرائش وهو ابن همال بن ذى شدد وسمى الرائش لانه راش الناس بما أوسعهم من العطاء وقسم فيهم من المغانم وكان أول من غنم فيما ذكروا وتبع الاوسط هو حسان بن تبان أسعد أبى كرب وتبان أسعد تبع الآخر بن كليكرب بن زيد وقال ابن اسحاق فى السيرة وزيد تبع الاول بن عمرو بن ذى الاذعار بن ابرهة ذى المنار ابن الريش وقال ابن هشام بن الرائش ويذكر ان تبعا أراد تخريب المدينة واستئصال اليهود فقال له رجل منهم له مائتان وخمسون سنة الملك أجل من أن يطير به نزق أو يستخفه غضب وأمره أعظم من أن يضيق عنا حلمه أو يحرم سفهه مع ان هذه البلدة مهاجر نبى يبعث بدين ابراهيم وهو أحد الحبرين اللذين ذكر ابن اسحاق وذكر ثابت فى الدلائل ان اسم أحدهما سحيت والآخر منبه وروى يونس عن ابن اسحاق قال واسم الحبر الذى كلم الملك بنيامين ثم كان من أمر هذا الملك انه آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم حين اعلم بخبره وقال فى ذلك

شهدت على أحمد انه * نبى من الله بارى النسم
فلو مد عمرى الى عمره * لكنت وزيرا له وابن عم
وجاهدت بالسيف أعداءه * وفرجت عن صدره كل غم

وذكر ابن الكلبى عن رجل من ذى الكلاع قال أقبل سيل فخرق موضعا باليمن

فأبدى عن أزج فاذا سرير عليه ميت عليه ثياب وشى مذهبة فى رأسه تاج بين يديه محجن من ذهب فى رأسه ياقوتة حمراء واذا لوح فيه بسم الله رب حمير أنا حسان ابن عمرو القيل مت فى زمان هيد وما هيد هلك فيها اثنا عشر ألف قيل كنت آخرهم قيلا وذكره ابن أبى الدنيا فى كتاب القبور وذكر أيضا أبو اسحاق الزجاج ان قبرا حفر بصنعاء فوجد فيه امرأتان معهما لوح من فضة مكتوب بالذهب وفيه هذا قبر لميس وحبى ابنتى تبع ماتتا وهما يشهدان أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وعلى ذلك مات الصالحون قبلهما ويذكر انه لما افتتحت الشام على عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه اصيب جبل فيه غار فاذا على الغار قفل فكسر القفل فوجد فى الغار لوح من حديد فيه مكتوب بالذهب

ما اختلف الليل والنهار ولا * دارت نجوم السماء فى الفلك
الا بنقل النعيم عن ملك * قد انتهى ملكه الى ملك
وملك ذى العرش دائم أبدا * ليس بفان ولا بمشترك

قال فبعث باللوح الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقرأه وبكى وقال رحمه الله كان هذا مؤمن لم يجد لايمانه موضعا يستره فيه الا هذا الغار وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أدرى أتبع نبى أم لا وروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال لا تسبوا تبعا فانه كان مؤمنا فان صح الحديث الاخير فانما هو بعد ما أعلم بحاله ولا أدرى أى التبابعة أراد غير ان فى حديث معمر عن همام بن منبه عن أبى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تسبوا تبعا الحميرى فانه أول من كسا الكعبة فهذا أصح من الحديث الاول وأبين حيث ذكر فيه الحميرى وهو تبان أسعد الذى تقدم ذكره وقد كان تبع الاول أيضا مؤمنا بالنبى صلى الله عليه وسلم وهو الرائش وقد قال شعرا ينبئ فيه بمبعث النبى صلى الله عليه وسلم يقول فيه

ويأتى بعدهم رجل عظيم * نبى لا يرخص فى الحرام

وقد قيل انه القائل

منع البقاء تصرف الشمس * وطلوعها من حيث لا تمسى

وقد تقدم بعضها وقيل ان هذا الشعر لتبع الآخر والله أعلم ومن هذا البيت أخذ ابو تمام قوله

ألقى الى كعبة الرحمن أرحله * والشمس قد نفضت ورسا على الاصل

وذكر ابن اسحاق فى السيرة قال كان تبع وقومه أصحاب أوثان يعبدونها فتوجه الى مكة وهى طريقه الى اليمن بعد ما قال له الحبران ما قالا وأمراه أن يعظم حرمة الكعبة ففعل ذلك طاف بالبيت ونحر عنده وحلق رأسه وأقام بمكة ستة أيام فيما يذكرون ينحر بها للناس ويطعم أهلها ويسقيهم العسل وأرى فى المنام أن يكسو البيت فكساه الخصف ثم أرى أن يكسوه أحسن من ذلك فكساه الملاء والوصائل فكان تبع أول من كسا البيت وأوصى به ولاته فيما يزعمون والخصف جمع خصفة وهو شئ ينسج من الخوص والليف والخصف أيضا ثياب غلاظ والخصف أيضا لغة فى الخزف من كتاب العين والخزف شقف الفخار والملاء الملاحف والخصف بضم الخاء وسكون الصاد وهو الجوزاء قاله أبو حنيفة ويروى ان تبعا كان كسا البيت المسوح والانطاع فانتفض البيت فزال ذلك عنه وفعل ذلك حين كساه الخصف فلما كساه الملاء والوصائل قبلها وقال حين كساه

وكسونا البيت الذى حرم الله ملاء معضدا وبرودا
وأقمنا به من الشهر عشرا * وجعلنا لبابه اقليدا
وخرجنا بالشعب ستة آلاف فترى الناس نحوهن ورودا
ثم سرنا عنه نؤم سهيلا * فرفعنا لواءنا معقودا

وقال القتيبى كانت قصة تبع قبل الاسلام بسبعمائة عام وقال ابن اسحاق فى غير السيرة أول من كسا الكعبة الديباج الحجاج وذكر جماعة سواه منهم الدارقطنى أن نتيلة بنت جناب أم العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه كانت قد أضلت العباس صغيرا فنذرت ان وجدته ان تكسو الكعبة الديباج ففعلت ذلك حين وجدته وكانت من بيت مملكة وقال الزبير النسابة أول من كساها الديباج عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما وقيل خالد بن جعفر بن كلاب قبل الاسلام وقد تقدم ذلك وحديث تبع أطول من هذا اخرج الشيخ أبو بكر محمد بن على بن عمر المطوعى النيسابورى رحمه الله فى كتابه الذى سماه من صبر ظفر نسبه الى مؤلف كتاب السير بسنده الى محمد بن اسحاق المطلبى قال سار تبع الاول الى الكعبة يريد هدمها وكان من الخمسة الذين كانت لهم الدنيا بأسرها وكان له وزراء فاختار منهم واحدا فأخرجه معه وكان يسمى عميار يسا لينظر الى مملكته وخرج فى مائة ألف وثلاثين ألفا من الفرسان

ومائة ألف وثلاثة عشر ألفا من الرجال فكان يدخل فى كل بلدة فكانوا يعظمونه وكان يختار من كل بلدة عشرة أنفس من حكمائهم حتى جاء الى مكة فكان معه أربعة آلاف رجل من الحكماء والعلماء الذين اختارهم من بلدان مختلفة فلم يتحرك له أحد من أهل مكة ولم يعظموه فغضب عليهم ودعا عميار يسا وزيره وقال له كيف شأن أهل هذه البلدة الذين لم يهابونى ولم يهابوا عسكرى كيف شأنهم وأمرهم قال الوزير انهم قوم اعرابيون جاهلون ما يعرفون شيئا وان لهم بيتا يقال له الكعبة وانهم يعجبون بهذا البيت ويسجدون للطواغيت والاصنام من دون الله تعالى فقال الملك انهم معجبون بهذا البيت قال نعم فنزل الملك ببطحاء مكة مع عسكره وتفكر فى نفسه دون الوزير ودون الناس وعزم أن يأمر بهدم البيت وان التى سميت كعبة تشتهر خربة وان يقتل أهلهم ويسبى نساءهم وذراريهم فأخذه الله تعالى بالصداع وفجر من أذنيه وأنفه وفمه كل يسيل قيحا فتناثر فلم يكن أحد منهم يدبره لما به لطرفة عين من اجل الريح فاستقذر لذلك وقال لوزيره اجمع العلماء والاطباء وشاورهم فى أمرى فاجتمع العلماء والاطباء فلم يصبر أحد منهم على نتنه ولم يمكنهم مداواته فقال قد جمعت الحكماء من بلدان مختلفة ووقعت فى هذه العلة ولم يقم أحد منكم فى مداواتى فقالوا بأجمعهم انا نقوم أمرنا أمر الدنيا وهذا أمر سماوى ولا يستطاع رد أمر السماء واشتد الامر على الملك فتفرق عنه الناس وأمره كل ساعة أشد حتى أقبل الليل وجاء أحد العلماء الى وزيره فقال ان بينى وبين الملك سرا وهو ان كان الملك يصدقنى فى كلامه ومانواه فى قلبه عالجته فاستبشر الوزير بذلك وأخذ بيده وحمله الى الملك وقال للملك ان رجلا من العلماء ذكر ان صدق الملك فى كلامه ومانواه فى قلبه ولم يكتم شيئا منه عالجته فاستبشر الملك بذلك وأذن له بالدخول عليه فدخل فقال ان بينى وبينك سرا أريد الخلوة بك فخلا به فقال هل نويت فى هذا البيت أمرا فقال نويت ان أخرب هذا البيت وأقتل رجالهم وأسبى نساءهم فقال ان وجعك وبلاءك من هذا اعلم ان صاحب هذا البيت قوى يعلم الاسرار فيجب أن تخرج من قلبك جميع ما نويته ولك خير الدنيا والآخرة قال الملك قد أخرجت جميع المكروهات من قلبى ونويت جميع الخيرات والمعروفات فلم يخرج العالم الناصح من عنده حتى برأ من العلة وعافاه الله تعالى من ساعته وخرج من منزله صحيحا على دين ابراهيم عليه الصلاة والسلام

وخلع على الكعبة سبعة أثواب وهو أول من كسا البيت ودعا أهل مكة وامرهم بحفظ الكعبة وخرج هو الى يثرب ويثرب هى بقعة فيها عين ماء ليس فيها نبات ولا بيت ولا احد فنزل على رأس العين مع عسكره فجمع العلماء والحكماء الذين كانوا معه واختارهم من بلدان مختلفة ورئيس العلماء الناصح الشفيق لدين الله تعالى الذى اعلم الملك بشأن الكعبة ثم انهم اجتمعوا وتشاوروا فاعتزل من بين أربعة آلاف رجل عالم أربعمائة كانوا ممن كان أعلم وأفهم وبايع كل واحد منهم صاحبه انهم لا يخرجون من ذلك المقام وان ضربهم الملك وحرقهم وقتلهم وقرضهم وجاؤا بجملتهم ووقفوا بباب الملك وقالوا انا خرجنا من بلداننا وطفنا مع الملك زماننا وجئنا الى هذا المقام الى أن نموت فيه وان قتلنا أو أحرقنا فقال الملك للوزير أنظر ما شأنهم يمتنعون من الخروج معى وانا أحتاج اليهم ولا استغنى عنهم وأى حكمة فى نزولهم فى هذا المقام واختيارهم له فخرج وجمعهم وذكر لهم قول الملك فقالوا للوزير مثل ما قالوا للملك قال الوزير فما الحكمة فى ذلك فقالوا أيها الوزير اعلم ان الله قد شرف هذا البيت وشرف هذه البلدة بسبب هذا الرجل الذى يخرج يقال له محمد صلى الله عليه وسلم امام الحق وصاحب القضيب والناقة والتاج والهراوة وصاحب القرآن والقبلة وصاحب اللواء والمنبر وصاحب قول لا اله الا الله وحده لا شريك له ومولده بمكة وهجرته الى هاهنا فطوبى لمن أدركه وآمن به وكنا على رجاء أن ندركه أو يدركه أولادنا فلما سمع الوزير مقالتهم هم أن يقيم معهم فلما جاء وقت الرحيل أمر الملك أن يرتحلوا فقالوا بأجمعهم لا نرتحل وقد أخبرنا الوزير بحكمة مقامنا هاهنا فدعا الملك الوزير فقال له لم لا تخبرنا بمقالة القوم فقال لانى عزمت على المقام معهم وخفت أن لا تدعنى واعلم انهم لا يخرجون فلما سمع الملك منه تفكر أن يقيم معهم سنة رجاء أن يدرك محمدا صلى الله عليه وسلم وأمر الملك أن يبنوا أربعمائة دار لكل رجل منهم دار واشترى لكل واحد منهم جارية وأعتقها وزوجها منه وأعطى لكل واحد منهم عطاء جزيلا وأمروا أن يقيموا فى ذلك الموضع الى وقت محمد صلى الله عليه وسلم وكتب الملك كتابا وختمه بالذهب ودفع الكتاب الى العالم الذى نصحه فى شأن الكعبة وأمره أن يدفع الكتاب الى محمد صلى الله عليه وسلم ان ادركه وان لم يدركه دفعه الى أولاده وأولاد أولاده أبدا ما تناسلوا الى حين يخرج رسول الله صلى الله

عليه وسلم وكان فى الكتاب * اما بعد يا محمد فانى آمنت بك وبكتابك الذى أنزله الله عليك وانا على دينك وسنتك وآمنت بربك ورب كل شئ وبكل ما جاء من ربك ومن شرائع الايمان والاسلام وانى قبلت ذلك فان أدركتك فبها ونعمت وان لم أدركك فاشفع لى يوم القيامة ولا تنسنى فانى من أمتك الاولين وبايعتك قبل مجيئك وقبل ارسال الله تعالى اياك وأنا على ملتك وملة ابراهيم خليل الله صلى الله عليه وسلم وختم الكتاب بالذهب ونقش عليه لله الامر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وكتب على عنوان الكتاب الى محمد بن عبد الله خاتم النبيين ورسول رب العالمين صلى الله عليه وسلم من تبع الاول بن الاقرن امانة الله فى يد من وقع اليه أن يوصله الى صاحبه ودفع الكتاب الى العالم الذى نصح له فى شأن الكعبة وأمره بحفظه وخرج تبع من يثرب وهى الموضع الذى نزل العلماء فيه وهو مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وسار حتى مر بقلسان وهى بلدة من بلاد الهند ومات بها ومن اليوم الذى مات فيه الى اليوم الذى ولد فيه النبى صلى الله عليه وسلم ألف سنة لا زيادة ولا نقصان ثم ان أهل المدينة الذين نصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم من أولاد أولئك العلماء الاربعمائة الذين سكنوا دور تبع الى أن بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمعوا بخروجه استشاروا فى ايصال الكتاب اليه فاشار اليهم عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه وكان قد هاجر قبل النبى صلى الله عليه وسلم أن اختاروا رجلا ثقة وابعثوا بالكتاب معه اليه فاختاروا رجلا يقال له أبو ليلى وكان من الانصار ودفعوا اليه الكتاب وأوصوه بمحافظة الكتاب والتبليغ فاخذ الكتاب وخرج به من المدينة على طريق مكة فوجد محمدا صلى الله عليه وسلم فى قبيلة من بنى سليم فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجل فدعاه فقال أنت أبو ليلى قال نعم قال ومعك كتاب تبع الاول فبقى الرجل متفكرا فذكر فى نفسه ان هذا من العجب ولم يعرفه فقال من أنت فانى لست أعرف فى وجهك أثر السحر وتوهم انه ساحر فقال لا بل انا محمد وعلى تبع السلام الكثير الجزيل من يومنا هذا الى يوم القيامة هات الكتاب ففتح الرجل رحله وكان يخفى الكتاب فدفعه اليه صلى الله عليه وسلم فقرأه أبو بكر رضى الله عنه على النبى صلى الله عليه وسلم فقال مرحبا بالاخ الصالح ثلاث مرات فامر أبا ليلى بالرجوع الى

المدينة و بشرا القوم بقدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعطاه كل واحد عطية
على تلك البشارة وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم نسأله أهل القبائل أن ينزل
عليهم وتعلقوا بناقته فقال دعوها فانها مأمورة حتى جاءت الى دار أبى أيوب
الانصارى رضى الله عنه فبركت ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى دار أبى أيوب
وأبو أيوب رحمه الله كان من أولاد العالم الناصح لتبع فى شأن الكعبة والانصار
كانوا ينتظرونه وهم من أولاد العلماء الذين كانوا بيثرب فى دور تبع التى بناها لهم
الملك والدار التى نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها هى الدار التى بناها تبع
لرسول الله صلى الله عليه وسلم والحمد لله رب العالمين * قلت واذ وقع ذكر أبى أيوب
رضى الله عنه فلنذكر من فضله ما يدلك على عقله اسمه خالد بن زيد شهد المشاهد كلها
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان مولعا بالجهاد وكان يقول قال الله تعالى انفروا
خفافا وثقالا فلا اجدنى الا خفيفا أو ثقيلا وآخرها مات بالغزو بالقسطنطينية
من أرض الروم مرض فعاده يزيد وهو الامير فقال له أوصنى فقال اذا أنا مت
فكفنونى ثم مر الناس فليركبوا ثم يسيروا فى أرض العدو حتى اذا لم يجدوا مساغا
فادفنونى قال ففعلوا ذلك قال وأمر خالد الخيل أن تقبل وتدبر على قبره حتى عفت
أثره ويقال ان الروم قالت للمسلمين فى صبيحة دفنهم لابى أيوب لقد كان لكم
الليلة شأن عظيم فقالوا هذا رجل من أكابر اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
واقدمهم اسلاما مات وقد دفناه حيث رأيتم والله لئن نبش لا يضرب لكم ناقوس
فى أرض العرب ما كانت لنا مملكة قال مجاهد رحمه الله تعالى فكانوا اذا أمحلوا
كشفوا عن قبره فمطروا وقال ابن القاسم عن مالك رضى الله عنه بلغنى عن قبر أبى
أيوب رضى الله عنه ان الروم يستسقون به ويستصحون رضى الله عنه قال

واذ خرجت من ثقاف الكاف * فاسمع كلاما هو شاف كافى
بعث الرسول المصطفى المصافى * ارسله بالعدل والانصاف
لكل جيل كان فى خلاف * يدعوهم لترك الاختلاف
بل لاجتماع ثم لائتلاف * ينجى من الاتلاف بالتلافى

قدم عمرو بن العاص رضى الله عنه على الجلندى فقال له يا جلندى انك وان كنت
منا بعيدا فانك من الله غير بعيد ان الذى تفرد بخلقك أهل ان تفرده بعبادتك وان
لا تشرك به من لم يشرك فيك واعلم ان الذى يميتك هو الذى أحياك ويعيدك

الذى بدأك فانظر فى هذا النبى الامى الذى جاء بالدنيا والآخرة فان كان يريد به
اجرا فامنعه أو يميل به هوى فدعه ثم انظر فيما يجىء به هل يشبه ما يجىء به الناس
فان كان يشبهه فسله العيان وتخير عليه فى الخبر وان كان لا يشبهه فاقبل ما قال وخف
ما وعد قال الجلندى انه والله لقد دلنى على هذا النبى الامى انه لا يأمر بخير الا كان
اول آخذ به ولا ينهى عن شىء الا كان اول تارك له وانه يغلب فلا يبطر ويغلب فلا
يضجر وانه يفى بالعهد وينجز الوعد وانه لا يزال بسر قد اطلع عليه لا يساوى فيه
اهله واشهد انه نبى * وقدم المهاجر بن ابى أمية على الحارث بن عبد كلال فقال له
يا حارث انك كنت اول من عرض عليه النبى صلى الله عليه وسلم نفسه فخطئت
عنه وانه اعظم الملوك قدرا فاذا نظرت فى غلبة الملوك فانظر فى غالب الملوك واذا
سرك يومك فخف غدك وقد كان قبلك ملوك ذهبت آثارها وبقيت اخبارها
عاشوا طويلا واملوا بعيدا وتزودوا قليلا منهم من ادركه الموت ومنهم من اكلته النقم
وانى ادعوك الى الرب الذى ان اردت الهدى لم يمنعك وان ارادك لم يمنعه منك احد
وأدعوك الى النبى الامى الذى ليس شىء احسن مما يأمر به ولا أقبح مما ينهى عنه واعلم
ان لك ربا يميت الحى ويحيى الميت ويعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور فقال
الحارث قد كان هذا النبى عرض نفسه على فخطئت عنه وكان ذخرا لمن صار اليه
وكان امره امرا ابينا فحضره اليأس وغاب عنه الطمع ولم تكن لى قرابة احمله
عليها ولا لى فيه هوى اتبعه له غير انى ارى امرا لم يوسوسه الكذب ولم يسنده
الباطل له بدء سار وعاقبة نافعة وسأنظر * وقدم شجاع بن وهب على جبلة بن الايهم
ابن الحارث بن ابى شمر فقال له يا جبلة ان قومك نقلوا هذا النبى الامى من داره الى
دارهم يعنى الانصار فآووه ومنعوه وان هذا الدين الذى انت عليه ليس بدين آبائك
ولكنك ملكت بالشأم وجاورت بها الروم ولو جاورت كسرى دنت بدين الفرس
لملك العراق وقد اقر بهذا النبى الامى من اهل دينك من ان فضلناه عليك لم
يغضبك وان فضلناك عليه لم يرضك فان اسلمت اطاعتك الشأم وهابتك الروم
وان لم يفعلوا كانت لهم الدنيا ولك الآخرة وكنت قد استبدلت المساجد بالبيع
والأذان بالناقوس والجمع بالشعانين والقبلة بالصليب وكان ما عند الله خيرا وابقى
فقال له جبلة انى والله لوددت ان الناس اجتمعوا على هذا النبى الامى اجتماعهم
على خالق السموات والارض ولقد سرنى اجتماع قومى له واعجبنى قتله لاهل

الاوثان واليهود واستبقاؤه النصارى ولقد دعانى قيصر الى قتل اصحابه يوم مؤتة فابيت عليه فانتدب له مالك بن نافلة بن سعد العشيرة فقتله الله ولكنى لست ارى حقا ينفعه ولا باطلا يضره والذى يمدنى اليه اقوى من الذى يخليني عنه وأسلم جبلة هذا ثم تنصر من اجل لطمة لطمها حوكم فيها الى ابى عبيدة بن الجراح وكان طوله اثنى عشر شبرا وكان يمسح برجليه الارض وهو راكب وقد تقدم فى اول الكتاب من كان طوله عشرة اشبار مثل عبادة بن الصامت وغيره رضى الله عنهم كذا وقع فى كتاب الاستاذ رحمه الله ورأيت فى العقد انه قدم من الشأم على عمر ابن الخطاب رضى الله عنه وحضر معه الموسم وقد اسلم فبينما هو يطوف بالبيت اذ وطئ على ازاره رجل من بنى فزارة فالتفت اليه جبلة مغضبا فلطمه فهشم انفه فاستعدى عليه الفزارى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال له عمر ما حملك على هذا فقال وطئ ازارى فحله فلولا حرمة البيت لاخذت الذى فيه عيناه فقال عمر اما انت فاقررت فاما ان ترضيه والا اقدته منك قال أتقيده منى وانا ملك وهو سوقة قال يا جبلة انه قد جمعك واياه الاسلام قال والله لقد رجوت ان اكون فى الاسلام اعز منى فى الجاهلية قال عمر هو ذاك قال اذا اتنصر قال ان تنصرت ضربت عنقك قال اخرنى الى غد قال قد فعلت فلما كان فى جنح الليل خرج هو واصحابه فلم يثن حتى دخل القسطنطينية على هرقل فتنصر ومات بها نصرانيا نعوذ بالله من الحور بعد الكور وكان آخر أمره انه ندم على ما كان منه وقال

تنصرت الاشراف من أجل لطمة * وما كان منى لو صبرت لها ضرر
تكنفنى منها لجاج ونخوة * وبعت لها العين الصحيحة بالعور
فياليت أمى لم تلدنى وليتنى * رجعت الى الامر الذى قاله عمر
ويا ليتنى أرعى المخاض بقفرة * وكنت أسيرا فى ربيعة أو مضر

ولما وفد عمرو بن امية الضمرى رضى الله عنه على النجاشى بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له يا اصحمة ان على القول وعليك الاستماع انك فى الرقة علينا كانك منا وكأنا بالثقة بك منك لانا لم نظن منك خيرا قط الا نلناه ولم نخفك على شئ قط الا أمناه وقد أخذنا الحجة عليك من فيك الانجيل بيننا وبينك شاهد لا يرد وقاض لا يجور وفى ذلك رفع الحذو واصابة المفصل والا فانت فى هذا النبى الامى كاليهود فى عيسى ابن مريم عليه السلام وقد فرق النبى صلى الله عليه وسلم

رسله الى الناس فرجاك لما لم يرجهم بك وأمنك على ما خافهم عليه لخير سالف وأجر ينتظر فقال النجاشى أشهد بالله انه النبى الامى الذى ينتظره أهل الكتاب وان بشارة موسى عليه السلام براكب الحمار كبشارة عيسى براكب الجمل وان العيان له ليس باشفى من الخبر عنه ولكن اعوانى من الحبش قليل فأنظرنى حتى أكثر الاعوان وألين القلوب وكان آخر أمره ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى عليه وأصحابه بالمدينة وكان كتاب النبى صلى الله عليه وسلم * الى النجاشى أصحمة ملك الحبشة سلام الله فانى أحمد الله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن وأشهد ان عيسى بن مريم روح الله وكلمته ألقاها الى مريم البتول الطاهرة الحصان فحملت به كما خلق آدم عليه السلام بيده ونفخ فيه من روحه انى أدعوك الى الله وحده لا شريك له والموالاة على طاعته وان تتبعنى وتؤمن بالذى جاءنى فانى رسول الله وقد بعثت اليك ابن عمى وأوصى بمن معه من المسلمين فاذا جاؤك فأقرهم فانى أدعوك وجنودك الى الله عز وجل وقد بلغت ونصحت فاقبل نصيحتى والسلام على من اتبع الهدى فراجعه النجاشى رضى الله عنه * بسم الله الرحمن الرحيم الى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم من النجاشى أصحمة بن ابجر سلام يا نبى الله من الله ورحمة الله وبركاته الذى لا اله الا هو الذى هدانى الى الاسلام * أما بعد فقد بلغنى كتابك يا رسول الله وما ذكرت من أمر عيسى عليه السلام فورب السماء والارض انه لكما قلت وقد عرفنا ما بعثت به الينا وقربنا ابن عمك وأصحابه وأنا أشهد انك رسول الله صادقا مصدقا فقد بايعتك وبايعت ابن عمك واسلمت لله رب العالمين والسلام عليك ورحمة الله وبركاته وهذا هو الذى صلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مات وهو بلاده ورفع اليه نعشه فرآه من المدينة وأما ابرويز وتفسيره المظفر وكان له ألف فيل وخمسون ألف فرس وثلاثة آلاف امرأة فيما ذكر الطبرى رحمه الله وهو الملقب كسرى فلما قدم عبد الله بن حذافة بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم على كسرى قال يا معشر الفرس انكم عشتم بأحلامكم لعدة أيامكم بغير نبى ولا كتاب ولا تملك من الارض الا ما فى يديك وما لا تملك منها أكثر وقد ملك الارض قبلك ملوك أهل دنيا وأهل آخرة فأخذ أهل الآخرة بحظها من الدنيا وضيع أهل الدنيا حظهم من الآخرة فاختلفوا فى سعى الدنيا واستووا فى عدل الآخرة وقد صغر هذا الامر عندك انا أتيناك به وقد والله جاءك من حيث

خفت وما تصغيرك اياه بالذي يدفعه عنك ولا تكذيبك به بالذي يخرجك عنه وفي وقعة ذي قار على ذلك دليل فأخذ الكتاب فمزقه ثم قال لي ملك هني ولا أخشى عليه ان اغلب ولا أشارك فيه وقد ملك فرعون بني اسرائيل ولستم بخير منهم فما يمنعني ان أملككم وأنا خير منه فأما هذا الملك فقد علمنا انه يصير الى الكلاب وأنتم أولئك تشبع بطونكم وتأبى عيونكم فاما وقعة ذي قار فهي بوقعة الشأم قال فدعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يمزقوا كل ممزق فكان ذلك والحمد لله قال ابن سيدة رحمه الله يقال أبرويز وأبرويز بفتح الواو وكسرها ويقال انه كسرى الآخر الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا هلك كسرى فلا كسرى بعده وهو الذي كتب اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوه الى الاسلام فلما ورد عليه كتابه غضب ومزق الكتاب فقال صلى الله عليه وسلم اللهم مزق ملكه كل ممزق ثم كتب الى فيروز اذهب الى مكة فجئني بهذا العبد الذي دعاني الى غير ديني وقدم اسمه في الخطاب على اسمي فجاء فيروز الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان ربي أمرني ان أحملك اليه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ربي أخبرني انه قد قتل ربك البارحة فأقم حتى تعلم فان كان ما قلت حقا والا فأنت من وراء أمرك ففزع فيروز وهاب ان يقدم عليه ثم وردت الاخبار من كل ناحية بان كسرى قد ثار عليه ابنه شيرويه فقتله تلك الليلة بعينها فأسلم فيروز وحسن اسلامه وهو الذي قتل الاسود العنسي لعنه الله وسيأتي خبره * وقدم سليط ابن عمرو العامري رضي الله عنه على هوذة بن علي وكان كسرى قد توجه فقال يا هوذة انما سودتك أعظم حائلة وأرواح في النار وانما السيد من متع بالايمان ثم زود التقوى ان قوما سعدوا برأيك فلا تشقين به واني آمرك بخير مأمور به وأنهاك عن شر منهي عنه آمرك بعبادة الله وانهاك عن عبادة الشيطان فان في عبادة الله الجنة وفي عبادة الشيطان النار فان قبلت نلت ما رجوت وأمنت ما خفت وان أبيت فبيننا وبينك كشف الغطاء وهول المطلع فقال هوذة يا سليط سودني من لو سودك شرفت به وقد كان لي رأي أختبر به الامور ففقدته فوضعه من قلبي هواء فاجعل لي فسحة يرجع الى رأيي فأجيبك به ان شاء الله تعالى وقال هوذة ابن علي في شأن سليط

أتاني سليط والحوادث جمة * فقلت له ماذا يقول سليط

فقال

فقال التي فيها على غضاضة * وفيها رجاء مطمع وقنوط
فقلت له غاب الذي كنت أجتلي * به الامر عني فالصعود هبوط
وقد كان لي والله بالغ أمره * أبا النضر جأش في الامور ربيط
فأذهبه خوف النبي محمد * فهوذة من دين الرجال سقيط
أحاذر منه سورة هاشمية * فوارسها وسط الرجال عبيط
فلا تعجلني يا سليط فاننا * نبادر أمرا والقضاء محيط

ولما وفد دحية بن خليفة الكلبي على قيصر قال له يا قيصر أرسلني اليك من هو خير منك والذي أرسله خير منه ومنك فاسمع بذل ثم أجب بنصح فانك ان لم تذلل لم تفهم وان لم تنصح لم تنصف قال هات قال هل تعلم أكان المسيح يصلي قال نعم قال فاني أدعوك الى من كان المسيح يصلي له وأدعوك الى من دبر خلق السموات والارض والمسيح في بطن أمه وأدعوك الى هذا النبي الأمي الذي بشر به موسى وبشر به عيسى ابن مريم بعده وعندك من ذلك أثارة من علم تكفي من العيان وتشفي من الخبر فان أجبت كانت لك الدنيا والآخرة والا ذهبت عنك الآخرة وشوركت في الدنيا واعلم ان لك ربا يقصم الجبابرة ويغير النعم فأخذ قيصر الكتاب فوضعه على عينيه ورأسه ثم قبله وقال أما والله ما تركت كتابا الا قرأته ولا عالما الا سألته فما رأيت الا خيرا فأمهلني حتى انظر من كان المسيح يصلي له فاني أكره أن أجيبك اليوم بأمر ارى غدا ما هو أحسن منه فأرجع عنه فيضرني ذلك ولا ينفعني فأقم حتى انظر ويروى ان هرقل وضع كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كتب اليه في قصبة من ذهب تعظيما له وانهم لم يزالوا يتوارثونه كابرا عن كابر في أرفع صوان وأعز مكان حتى كان أدفونش الذي تغلب على طليطلة وما أخذ أخذها من بلاد الاندلس ثم كان عند ابن بنته المعروف بالسليطين وقد حدث عبد الملك بن سعيد وكان من قواد أجناد المسلمين قال سألته رؤيته قال فأخرجه الي فاستعبرت فأردت تقبيله وأخذه بيدي فمنعني من ذلك صيانة له وضنا به علي نقلت هذا من كتاب الاستاذ رحمه الله وقدم حاطب بن أبي بلتعة على المقوقس واسمه جريج بن مينا وقال له انه قد كان قبلك رجل يزعم انه الرب الاعلى فأخذه الله نكال الآخرة والاولى فانتقم به ثم انتقم منه فاعتبر بغيرك ولا يعتبر بك قال هات قال ان لك دينا لن تدعه الا لما هو خير منه وهو الاسلام الكافي به الله فقد ما سواه ان هذا النبي صلى الله عليه وسلم دعا الناس

فكان أشدهم عليه قريش وأعداهم له يهود وأقربهم منه النصارى ولعمرى ما بشارة موسى بعيسى الا كبشارة عيسى بمحمد صلى الله عليه وسلم وما دعاؤنا اياك الى القرآن الا كدعائك أهل التوراة الى الانجيل فكل نبى أدرك قوما فهم أمته فالحق عليهم أن يطيعوه وأنت ممن أدرك هذا النبى ولسنا ننهاك عن دين المسيح ولكنا نأمرك به فقال المقوقس انى قد نظرت فى أمر هذا النبى فوجدته لا يأمر بمزهود فيه ولا ينهى الا عن مرغوب عنه ولم أجده بالساحر الضال ولا الكاهن الكاذب ووجدت معه آلة النبوة باخراج الخبء والاخبار بالنجوى وسأنظر وأهدى الى النبى صلى الله عليه وسلم مارية القبطية بنت شمعون أم ابراهيم وأختها معها واسمها سيرين وهى أم عبد الرحمن بن حسان بن ثابت وغلاما اسمه مابور وبغلة اسمها دلدل وكسوة وقدحا من قوارير كان يشرب فيه النبى صلى الله عليه وسلم * وقدم العلاء بن الحضرمى على المنذر بن ساوى فقال له يا منذر انك عظيم العقل فى الدنيا فلا تصغرن عن الآخرة ان هذه المجوسية شر دين ليس فيها تكريم العرب ولا علم أهل الكتاب تنكحون ما يستحيى من نكاحه وتأكلون ما يتكره عن أكله وتعبدون فى الدنيا نارا تأكلكم يوم القيامة ولست بعديم رأى ولا عقل فانظر هل ينبغى لمن لا يكذب أن تصدقه ولمن لا يخون أن تأمنه ولمن لا يخلف أن تثق منه فان كان هذا هكذا فهو هذا النبى الامى والله لا يستطيع ذو عقل أن يقول ليت ما أمر به نهى عنه وما نهى عنه أمر به أو ليته زاد فى عفوه أو نقص من عقابه ان كان ذلك منه على أمنية العقل وفكر أهل البصر فقال المنذر قد نظرت فى هذا الذى فى يدى فوجدته للدنيا دون الآخرة ونظرت فى دينكم فوجدته للآخرة والدنيا فما يمنعنى من قبول دين فيه أمنية الحياة وراحة الموت ولقد عجبت أمس ممن يقبله وعجبت اليوم ممن يأباه وان من اعظام ما جاء به أن يعظم رسوله وسأنظر

وذا فصل الفوائد قد تقضى * وآخذ بعد فى ألف ولام
فانظم منهما بيتا ومن بعد * أشرحه بميسور الكلام
فان أرضاك فاضممه والا * فلا تذممه وانفذ بالسلام

(باب الالف مع اللام)

وال وال وال وال * وال وال وال وال

اما

اما أل ففعل تقول أل الشئ يئل ألا اذا برق ولمع وبه سميت الحربة ألة للمعانها وأل الفرس يئل ألا اذا اضطرب فى مشيه وألت فرائصه اذا لمع فى عدوه قال الشاعر

حتى رميت بها يئل فريصها * وكأن صهوتها مداك رخام

المداك الصلاية وصهوة كل شئ أعلاه وأل الرجل فى مشيه اذا اهتز ويقال أل فى السير اذا أسرع يؤل ألا وأل لونه صفا والألة الحربة كما تقدم يقال أله يؤله ألا اذا طعنه بالحربة وجمعها أل وكانوا يقولون لرجب منصل الال قال الاعشى

تداركه فى منصل الأل بعدما * مضى غير دأداء وقد كاد يعطب

والألة أيضا أداة الحرب والجمع الال والال أيضا جبل معروف بعرفات وهو عن يمين الامام اذا وقف بها قال النابغة * يزرن ألالا سيرهن التدافع * وسمى ألالا من أجل أن الحجيج اذا رأوه ألوا فى السير أى اجتهدوا فيه ليدركوا الموقف قال الراجز

مهر أبى الحبحاب لا تشلى * بارك فيك الله من ذى ال

أى من ذى اجتهاد وفى الحديث عجب ربكم من الكم وقنوطكم قال الخطابى يرويه المحدثون بالكسر أى الكم وانما هو الكم بالفتح يريد رفع الصوت بالدعاء والاليل صليل الحجر والاليل أيضا من المرض وهو الانين قال الشاعر

له بعد نومات العيون أليل * يريد الانين قاله ابن قتيبة وقال أبو على فى النوادر

سمعت خرير الماء وأليله أى صوت جريه * واما ال فمصدر هذا الفعل المتقدم اذا كان منصوبا يقال أل يؤل ألا وأليلا وأللا وهو ان يرفع صوته بالدعاء قاله ابو عبيد وانشد * اذا دعت ألالها الكاعب الفضل * وقال يجوز ان يريد الال ثم ثناه ويقال أذن مؤللة أى محددة والأللان وجها السكين وكذلك كل شئ عريض والالية ما يجد الانسان من وجع الحمى وهو يشتق من ذلك وألت الشئ تأليلا دققت وحددت طرفه قال طرفة * مؤللتان تعرف العتق فيهما * يريد أذنى ناقته واما ال فمن هذا الفصل ايضا بنى لما لم يسم فاعله تقول ال فلان اذا طعن بالألة وفى الحديث من هذا ترتب يد الثوألات وقالت عمرة بنت سعد الدعوة ام خارجة ماله ال وغل فى خبر طويل فأل من هذا وغل من الغل اى جن حتى يشد بالغل وال وسل من السل وسيأتى واما ال فمعناه الاول فى بعض اللغات وانشد

لمن زحلوقة زل * بها العينان تنهل
ينادى الآخر الال * ألا حلوا ألا حلوا

فالال هنا بمعنى الاوّل وقد تقدم الرجز والقول فى زحلوقة بالفاء والقاف واما آل فمعناه رجع وصار تقول منه آل يؤول . آلا وآل اللبن يؤول أولا واوولا اذا خثر وآل يئيل والتأويل الذى هو التفسير من آل كقولك تأويل هذه الكلمة على كذا أى تصير الى كذا بمعنى ترجع واوّلته تأويلا بمعنى صيرته واما آل ففى وجوه اجعل منها للفظى البيت وجهين واجعل سائرها كالملح والزين آل الرجل اتباعه واهل دينه كما تقول آل محمد صلى الله عليه وسلم وآل فرعون لعنه الله وقيل ايضا آل الرجل خاصته الذين يؤول امرهم اليه فى نسبته او صحبته او مذهبه لانه من آل يؤول اى يرجع اليهم ويصير مثل الذى تقدم واصله اول وقيل اهل قلبت الهاء همزة ثم ابدلت الهمزة الفا وجمعه آلون وتصغيره اويل فيما حكاه الكسائى وحكى غيره أهيل ذكر هذا الاشتقاق والتصريف المهدوى رحمه الله تعالى وزاد غيره والجمع اهال قال الشاعر * وبلدة ما الانس من اهالها * وقد جمعوه اهلات واهلات زادوا فيه التاء على غير قياس كما جمعوا ليلة على ليال وقد يقال ليلات وهو أقيس وأهل الرجل زوجه والاهل اهل الدار وكذا الاهلة قال الشاعر

وأهلة ود قد تبوأت ودهم * وأبليتهم فى الحمد جهدى ونائلى

أى رب من هو أهل لاودو يقال منزل آهل أى به اهله وآهلك الله فى الجنة اهالا أى أدخلكها وزوجك فيها ويقال فلان أهل لكذا ولا تقل مستأهل وأهلك الله للخير وقولهم مرحبا وأهلا أى أتيت سعة وأتيت أهلا فاستأنس والاهالة الودك وفى الحديث فأتينا باهالة سنخة * ومنها آل الذى هو السراب وجمعه أوال قاله المهدوى أيضا وكان ابن قتيبة يفرق بين الآل والسراب قال فى الكتاب الآل أوّل النهار وآخره الذى يرفع كل شئ وسمى آلا لان الشخص هو الآل فلما رفع الشخص قيل هذا آل قد بدا وتبين فعلى هذا يقال للشخص آل وهو أحد الوجوه فى هذه اللفظة واستشهد بقول النابغة الجعدى

حتى لحقنا بهم تعدو فوارسنا * كأننا رعن قف يرفع الآلا

كذا رويته تعدو فوارسنا عن العثمانى بالاسكندرية ورويته بمالقة على اشياخى بعدى فوارسنا قال ابن قتيبة رحمه الله تعالى وأما السراب فهو الذى تراه نصف

النهار

النهار كأنه ماء واستشهد بقوله تعالى كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء وقال غيره هما شئ واحد والآل فى المرتفع والسراب يكون فى المنخفض كما فى الآية وقيل له سراب لانه ينسرب على وجه الارض أى يذهب ومنها آل اسم فاعل ألا يألو اذا قصر وبأتيك فى الباب بعد هذا * ومنها آل البعير وهو ما أشرف من جسمه ومنها آل الخيمة أى عمدها والآل أيضا الاحوال جمع الآلة كما قال * قد أركب الآلة بعد الآلة * أى الحالة بعد الحالة والآلة أيضا الاداة وجمعها آلات والآلة الجنازة قال الشاعر

كل ابن أنثى وان طالت سلامته * يوما على آلة حدباء محمول

والجنازة بالكسر النعش وبالفتح بدن الميت والايالة السياسة يقال آل الامير رعيته يؤولها ايالة أصلحها ومنه قول بعضهم قد ألنا وايل علينا * وأما ال اللفظة الاخيرة كقوله تعالى لا يرقبون فى مؤمن الا ولا ذمة فان ابن عزيز رحمه الله تعالى قال الذمة العهد وقيل الذمة ما يجب أن يحفظ ويحمى وقال فى الال يجئ على خمسة أوجه ال الله عز وجل وال عهد وال قرابة وال حلف وال جوار * وقال البخارى فى تفسير جبريل واسرافيل جبر واسراف عبد وايل الله وقد تقدم قول الاستاذ رحمه الله تعالى فى هذا الحرف فى أوّل الكتاب وقال ابن دريد قال ابن الكلبى كل اسم فى العرب آخره ال أو ايل فهو مضاف الى الله عز وجل نحو شرحبيل وعبد ياليل وشراحيل وما أشبه هذا الا الزنجبيل فانه الرجل الضئيل قال الراجز

* لما رأيت نعلها زنجيلا *

وبنو زنجيل بطن من العرب من اليمن من طئ * قال غيره وكانت العرب تجئ بالال فى معنى اسم الله عز وجل قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه لما تلى عليه سجع مسيلمة ان هذا شئ ما خرج من ال ولا بر فأين ذهب بكم قال أبو عبيد الال الله والبر الرجل الصالح ومن العرب أيضا من يجئ بالال مخففا قال الاعشى

أبيض لا يرهب الهزال ولا * يقطع رحما ولا يخون الا

وقد تقدم فى قول ابن عزيز أن الال القرابة وان أردت الشاهد عليه فانظر قول حسان بن ثابت رضى الله عنه

لعمرك ان الك فى قريش * كال السقب من رأل النعام

ويجمع على الال ويستشهد عليه بقول الشاعر

فلا ال من الالال بينى * وبينكم فلا تألن جهدا

بقى من هذا الشكل ان تجعل الواو أصلية فتقول وال أنظره فى باب الواو مع الالف فى شكل وال وال اسم قرية على سيف البحر وقد ذكرت هنالك ماذكره البكرى فيها من العجائب ومعكوس البيت لا لا حرف عطف وحرف نفى يقال لك أثم زيد فتقول لا وتكون بمعنى لم كقوله تعالى فلا صدق ولا صلى أى لم يصدق ولم يصل وكما قال الشاعر

ان تغفر اللهم تغفر جما * وأى عبد لك لا ألما

أى لم يلم وهى تخرج الثانى مما دخل فيه الاول تقول قام زيد لا عمرو وكما قال أبو القاسم وأحسن ما استعملت فيه لا اله الا الله وقد تجعل لا اسما فتعرب كما قال الشاعر يمدح كريما جعل لا على نفسه حريما

كأنك فى الكتاب جعلت لالا * محرمة عليك فما تحل

ولا أيضا جمع لأى وهو الثور وسيأتى الكلام عليه فى باب اللام الف ان شاء الله تعالى

(مقلوب البيت حرف بين ألفين)

والا والا والا والا * وال والا والا وال وال

اما الا فتكون استثناء وهو أم لها وتكون بمعنى بل فى مثل قوله تعالى طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى الا تذكرة لمن يخشى أى بل وتكون بمعنى أما فى مثل قولهم اما أن تكلمنى والا فاسكت أى واما أن تسكت وتكون ايجابا بعد النفى ولها عمل فى الاسماء من رفع ونصب وخفض حسبما ذكر النحويون وتكون الا داخلة على ان التى للشرط فى قوله تعالى الا تفعلوه تكن فتنة فى الارض وفساد كبير فتدغم النون فى اللام فى اللفظ قال بعضهم ينبغى للكاتب أن يظهرها فى الخط وان لم يظهرها فليبنوها ومثل ذلك ان لا المفتوحة فى قولك أشهد أن لا اله الا الله وهذا أوكد لانه يحتمل أن يكون معنى هذا أشهد أنه لا اله الا الله كما قال تعالى فاعلم انه لا اله الا الله فهذه الا وتكون الا أيضا بمعنى هلا تقول الا فعلت كذا وكذا وقد يخففونها فتقول الا فعلت مخففا وأما الا فهو ال المتقدم نصبته هنا والا مصدر أل وألا جمع ألة وقد تقدم ولم يبق الا آلى بمعنى أقسم وفى الحديث آلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من نسائه شهرا ومصدره ايلاء وفى القرآن العزيز للذين يؤلون من نسائهم تقول آلى زيد من الألية على فعيلة من اليمين وجمعها ألايا قال الشاعر

قليل الألايا حافظ ليمينه * وان سبقت منه الالية برت

والالية

والالية بسكون اللام ألية الشاة وهى ذنبها فاذا ثنيت قلت أليان بلا تاء قال الشاعر

* ترتج أليا ارتجاج الوطب * وقد تقدم هذا فى باب الالف عند ذكر الخصية بقول الشاعر * ان طال خصياه * وتقول رجل ألى أى عظيم الالية وهذه اللفظة من هذا الباب وتقول امرأة عجزاء ولا تقل ألياء وتقول نعجة الياء وكبش الى مثل الذى قلت فى الرجل وتقول آلى فلان وائتلى يأتلى وفى القرآن العزيز ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة قيل معناه يحلف يفتعل من الالية وقيل المعنى ولا يقصر من قولهم ما ألوت فى كذا أى ما قصرت فالتقدير على هذا ولا يقصر أولوا الفضل عن أن يؤتوا أولى القربى قال النابغة الجعدى

وأشمط عريانا يشد كتافه * يلام على جهد القتال وما ائتلى

يقال منه الى يألو وهو آل والمرأة آلية وتقول ألى بالتشديد عن الشئ يؤلى تألية اذا أبطأ وقصر قال الربيع بن ضبيع الفزارى

وان كنائنى لنساء صدق * وما ألى بنى ولا أساؤا

أى ما أبطأوا وهو فعلت من ألوت أى قصرت كما تقدم وتكون ألوت أيضا بمعنى تركت كما قال سعد لعمر رضى الله عنهما ما ألوته حلاوة * بقى من شكل ما تقدم فى البيت مما لم يتزن الا والا واحد النعم وسيأتى وألا التى للعرض تقول ألا تنزل عندى فتطعم ألا تجلس فتحدث ومثل ذلك ألا التى فيها معنى التمنى كما قال * ألا سبيل الى نصر بن حجاج * وكما قال

ألا موت يباع فأشتريه * فان العيش مالا خير فيه

ومثل ذلك ألا التى للتحضيض كما قال الشاعر

ألا طعان ألا فرسان عادية * ألا تجشؤكم عند التنانير

والالف فى هذه كلها للاستفهام وفى الاستفهام أيضا طرف من الجحد لانهم لا يستفهمون الا على مالا يوقف على حقيقته وألا التى هى حرف يستفتح بها الكلام ولا معنى لها الا التنبيه تقول ألا ان زيدا الخارج تريد بذلك علم أو افهم ان الامر كذا وفى ضمنها ألق الى بالك اى اقطع ما أنت فيه وأصغ لما أقول وجاء منه فى القرآن كثير وكذلك فى الحديث قال الله تعالى ألا حين يستغشون ثيابهم ألا يوم يأتيهم ألا بذكر الله تطمئن القلوب وقال عليه الصلاة والسلام ألا ان دماءكم وأموالكم واعراضكم عليكم حرام الحديث وقال ألا ليبلغ الشاهد منكم الغائب وغير

ذلك وقد يردفون بلا لا أخرى مثلها قال الشاعر

وقام يذود الناس عنها بسيفه * يقول ألا لا من سبيل الى هند

ومن الشكل لا من الوزن ألاء مقصور الالف الاولى جمع ألاة وهو شجر مر الطعم حسن المنظر قال الشاعر

فانكم ومدحكم بجيرا * أبا لجأ كما امتدح الألاء

والاء أيضا موضع بين تبوك والمدينة وهو أحد المساجد التى صلى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفره الى تبوك ولعله سمى بالشجر المذكور يقال أرض مألأة وأديم مألوء اذا دبغ بالالاء وأما الالوة فهو عود الطيب وفى الحديث فى صفة أهل الجنة ومجامرهم الالوة الالنجوج عود الطيب كذا فى الحديث الذى خرجه البخارى ولا أدرى قوله الألنجوج أمن قول الراوى هو أومن قول النبى صلى الله عليه وسلم وفى الالوة أربع لغات الوة بضم الالف وبفتحها ولوة بغير ألف والضم ولية بالياء وكسر اللام قاله ابو حنيفة * ومن الشكل آلاء بعد الالف وهى النعم قال تعالى فبأى آلاء ربكما تكذبان واحدها ألا والى والى قاله ابن عزيز واذا قالوا الى فمن شكله الى الحرف الذى هو للغاية وسيأتى الكلام عليها فى الفوائد وتكون الى بمعنى مع فى مثل قوله تعالى ولا تأكلوا أموالهم الى اموالكم يريد مع وقال تعالى من انصارى الى الله واذا خلوا الى شياطينهم والعرب تقول الذود الى الذود ابل ومذهب سيبويه ان ألف الى وعلى منقلبة عن واو وذلك انه لو سمى بهما رجلان لقيل فى تثنيتهما الوان وعلوان يريد بعد التسمية والنقل فاذا اتصل بهما المضمر قلبتهما ياء فقلت اليك وعليك وبعض العرب يتركهما على حالهما فيقول الاك وعلاك وكذلك يفعلون فى ياء التثنية كما قال * تزود منا بين اذناه طعنة * وسترى هذا مستوفى فى باب ان عند قوله ان هذان لساحران ان شاء الله تعالى ومن شكل الى أولى على وزن علا وهو جمع الذى وهو من الجمع الذى لا واحد له من لفظه كما قالوا أولوا ولا واحد له من لفظه وواحده ذو وقالوا أولات للاناث واحدها ذات واما اولى من قولهم ذهب العرب الأولى كانوا يقولون كذا وكذا فهو مقلوب من الاول لانه جمع أولى مثل أخرى وأخر ويقولون اولئك واولاك قال الكسائى من قال اولئك فواحده ذلك ومن قال اولاك فواحده ذاك وقد قالوا اولالك وانشد ابن السكيت فقال

اولالك قومى لم يكونوا اشابة * وهل يعظ الضليل الا اولالكا

وربما قالوا أولئك فى غير العقلاء قال الشاعر

ذم المنازل بعد منزلة اللوى * والعيش بعد اولئك الايام

وقال تعالى ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤلا * فرغ هذا واما القافية فقد ذكرت فى اضعاف البيت الاول بقى الكلام فى مخرج اللام لان الالف قد تقدم الكلام عليها اما اللام فمخرجها من حافة اللسان ادناها الى منتهى طرفه وهى من حروف الجر وفى ضمنها الملك قال الله تعالى لله الامر من قبل ومن بعد ولله ما فى السموات وما فى الارض وتأتى للاستحقاق فى مثل قولك الباب للدار والسرج للدابة وكما تخفض تنصب بكى وتجزم بالامر وتأتى بمعنى الى فى مثل قوله تعالى بأن ربك اوحى لها والحمد لله الذى هدانا لهذا يدل على ذلك قوله تعالى فى موضع آخر واوحى ربك الى النحل وهداهم الى صراط مستقيم وهى تجتمع مع النون فى قافية واحدة لقرب المخرج وسترى ذلك فى باب النون ان شاء الله تعالى وقد قلت

خرجت من ال فهو يؤل ألا * الى آلى ومنه الى الأليل

الى اشياء محتاج اليها * من الآداب ليست بالقليل

وهذا كله علم ويشفى * بذاكم العليل من الغليل

وآخذ فى الفوائد بعد هذا * على شرطى فخذها يا خليلى

*(فصل) * من فوائد هذا الباب تقدم ان رجبا كانوا يسمونه منصل الأل وتقدم الشاهد عليه ورجب هذا من الاشهر الاربعة الحرم وكانت العرب لحرمته اذا دخل لم يتركوا نصلا فى رمح ولا حديدة فى سهم حتى ينسلخ وقد اكد النبى صلى الله عليه وسلم حرمته فقال ورجب مضر الذى بين جمادى وشعبان والثلاثة قبله وهى ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب هو المعنى بقوله تعالى جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام والهدى والقلائد وقد ذكر ابن قتيبة رحمه الله تعالى معنى قوله تعالى قياما للناس فقال ان اهل الجاهلية كانوا يتغاورون ويسفكون الدماء بغير حقها ويأخذون الاموال بغير حلها ويخيفون السبيل ويطلب الرجل منهم الثار فيقتل غير قاتله وربما اسرف فى القتل فقتل بالواحد اثنين أو ثلاثة او اربعة او اكثر من ذلك قال الشاعر

هم قتلوا منكم بظنة واحد * ثمانية ثم استمروا فاربعوا

يقول ائتموكم يقتل رجل واحد منهم فقتلوا منكم ثمانية به جعل الله الكعبة البيت الحرام وما حولها من الحرم والشهر الحرام والهدى والقلائد قياما للناس اى أمنا لهم فكان الرجل اذا خاف على نفسه جاء الى الحرم يقول الله تعالى اولم يروا انا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم واذا دخل الشهر الحرام تقسمتهم الرحل وتوزعتهم النجع وانبسطوا فى متاجرهم وأمنوا على انفسهم واموالهم واذا أهدى الرجل منهم هديا وقلد بعيره من لحاء شجر الحرم أمن كيف انصرف وحيث سلك ولو ترك الناس على جاهليتهم وتغاورهم فى كل موضع وكل شهر لفسدت الارض وفنى الناس وتقطعت السبل وبطلت المتاجر ففعل الله ذلك لعلمه بما فيه من صلاح شؤنهم وليعلموا انه كما كان علم ما فيه من الخير لهم يعلم ايضا ما فى السموات وما فى الارض من مصالح العباد ومرافقهم وانه بكل شئ عليم * وتقدم أل فلان اذا طعن بالألة وهى الحربة وجاء من هذا اللفظ فى الحديث عن عائشة رضى الله عنها ان امرأة قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم هل تغتسل المرأة اذا احتلمت فأبصرت الماء قال نعم فقالت لها عائشة رضى الله عنها تربت يداك وألت قالت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعيها وهل يكون الشبه الا من قبل ذلك اذا علا ماؤها ماء الرجل أشبه الرجل اخواله واذا علا ماء الرجل ماءها اشبه اعمامه فقول عائشة رضى الله عنها تربت يداك وألت هو من نوع ما تقدم ولكن للعرب الفاظ يقولونها لا يريدون بها وقوع الامر مثل تربت يداك ولا ابا لك وعقرى وحلقى وقاتله الله ويأتى الكلام على ذلك فى باب اللام الف ان شاء الله تعالى وجاء فى حديث آخر بعد قوله فمن أين يكون الشبه ان ماء الرجل غليظ ابيض وماء المرأة رقيق اصفر فأيهما علا اوسبق يكون منه الشبه وفى حديث اليهودى الذى قال للنبى صلى الله عليه وسلم جئت اسألك عن شئ لا يعلمه أحد من أهل الارض الا نبى أو رجل أو رجلان قال أينفعك ان حدثتك قال أسمع باذنى ثم قال جئت أسألك عن الولد فقال ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر فاذا اجتمعا فعلا منى الرجل منى المرأة أذكرا باذن الله تعالى واذا علا منى المرأة ماء الرجل أنثا باذن الله تعالى فقال اليهودى لقد صدقت وانك لنبى ثم انصرف فذهب فقال صلى الله عليه وسلم لقد سألنى عن الذى سألنى عنه ومالى علم بشئ منه حتى أتانى الله به وقال بعض العلماء يكون التذكير والتأنيث بالسبق والشبه بالعلو والكثرة فاذا سبق

ماء

ماء الرجل وكان أكثر جاء المولود ذكرا وأشبه اعمامه واذا سبق ماء المرأة وكان أكثر كانت أنثى وأشبهت اخوالها واذا سبق ماء الرجل وكان ماؤها أكثر كان ذكرا وأشبه اخواله واذا سبق ماء المرأة وكان ماء الرجل أكثر كانت أنثى وأشبهت أعمامها ذلك تقدير العزيز العليم والله أعلم بهذا كله * وتقدم قول أم خارجة مآله أل وغل وهذه التى يضرب بها المثل فى النكاح فيقال أسرع من نكاح أم خارجة كان الرجل يقول لها خطب فتقول نكح وقد ولدت فى عدة بطون من العرب حتى لو قال قائل انه لا يكاد يتخلص من ولادتها أحد لكان مقاربا واسمها عمرة بنت سعد وكانت حسناء مقبولة فالرجال يحبونها ولا يصبرون على ما تطلبهم به من الباءة فيطلقونها وسبب قولها أل وغل ان بعض أزواجها طلقها فرحل بها ابن لها من حيه الى حيها فرفع لها راكب فلما تبينته قالت لابنها هذا خاطب لى لا أشك فيه أتراه يعجلنى ان أحل له مآله أل وغل * وتقدم آل الرجل اتباعه واشياعه قلت فى هذا أنس للمؤمنين وترويح لقلوبهم لانا من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ومن آله فحيث يدخل ندخل معه ان شاء الله تعالى والشاهد على ذلك قوله أدخلوا آل فرعون أشد العذاب يريد أتباعه وأهل دينه ولم يخرج هو منهم بدليل قوله تعالى فى موضع آخر احشروا الذين ظلموا وأزواجهم قيل فى أزواجهم قرناؤهم وقيل اشياعهم وقال فيه يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار كذلك يقدمنا نبينا وحبيبنا محمد صلى الله عليه وسلم فيدخلنا الجنة بكرم الله تعالى وجاه رسوله لديه اذ جاء ولسوف يعطيك ربك فترضى وما يرضى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدخل أحد من أمته فى النار ومن دخل منهم بذنبه لا يرضى حتى يخرجه من النار بشفاعته وشفاعته مشهورة والايمان بها واجب وجاء عنه عليه الصلاة والسلام انه قال خيرت بين الشفاعة وبين أن يدخل شطر أمتى الجنة فاخترت الشفاعة لانها أعم واكفى أما انها ليست للمؤمنين المتقين ولكنها للمؤمنين الخاطئين الملوثين ولى من هذا المعنى وقد ذكرت فضل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قطعة منها

وشفاعاته لاهل المعاصى * والذنوب العظام مثلى وصنفى

انظرها بكمالها فى التكميل ومع هذا كله فنقول الحمد لله على كل حال ونعوذ بالله من رؤية النار وأنت أيها الناظر فى أحرفى اذ قد رجوت من هذه الجهة فخف

من الجهة الاخرى حتى لا يفارقك الخوف فعالك تأمن ان شاء الله تعالى قال عليه الصلاة والسلام ان أوليائى منكم المتقون وفى حديث آخر سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل يارسول الله من آل محمد قال كل تقى وقال تعالى ان أكرمكم عند الله أتقاكم وانظر قوله صلى الله عليه وسلم اذ أمر أن ينذر عشيرته الاقربين فجمع أقرباءه حتى عمته صفية وابنته فاطمة رضى الله عنهما وقال لهم ما أغنى عنكم من الله شيئا قد أبلغتكم فى حديث طويل قد اختصرته وسئل مالك رضى الله عنه من آل محمد قال أهل الاتباع له ذكره أبو القاسم الجوهرى فى مسنده رحمه الله وتقدم ال وقول أبى بكر رضى الله تعالى عنه لما تلى عليه سجع مسيلمة الكذاب ياضفدع نقى كم تنقين لا الشراب تكدرين ولا الماء تمنعين وفى رواية ياضفدع بنت ضفدعين ان هذا ما جاء عن ال ولا بر فأين ذهب بكم وقد تقدم قول ثمامة ابن اثال الحنفى رضى الله عنه حين ارتدت بنو حنيفة قال خطبنا وقال يا بنى حنيفة أين غربت قلوبكم بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول لا اله الا هو اليه المصير أين هذا من ياضفدع الخ وقال توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقام بهذا الامر من بعده رجل هو أفقههم فى أنفسهم لا تأخذه فى الله لومة لائم ثم بعث اليكم رجلا لا يسمى باسمه ولا باسم أبيه يقال له سيف الله معه سيوف الله كثيرة فانظروا فى أنفسكم ثم قال شعرا رضى الله عنه

مسيلمة ارجع ولا تمحك * فانك فى الامر لم تشرك
كذبت على الله فى وحيه * هواك هوى الاحمق الانوك
ومناك قومك ان يمنعوك * وان يأتهم خالد يدرك
فمالك من مصعد فى السماء * ومالك فى الارض من مسلك

فلما قال هذا أطاعه منهم ثلاثة آلاف فانحازوا الى المسلمين ففت ذلك فى أعضاد بنى حنيفة واذ وقعنا فى ذكر هذا اللعين فلنذكر من أخباره ولنعلمه علما طيبا وبالله نستعين ولنذكر من اخباره ما يزيد فى انكاره كان اسمه لعنه الله مسيلمة بن ثمامة ابن كبير بن حبيب ويكنى أبا ثمامة وقيل أبا هارون وكان قد تسمى بالرحمن وذلك قبل مولد عبد الله والد النبى صلى الله عليه وسلم ولذلك كانت قريش تقول حين سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم انما تذكر رحمن

اليمامة

اليمامة وكان صاحب نيرنجات يقال انه أول من أدخل البيضة فى القارورة وأول من وصل جناح الطائر المقصوص وكان أول أمره انه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وفد بنى حنيفة فى وفد كثير فجعل يقول ان جعل لى محمد الامر بعده تبعته فأقبل اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى يده قطعة من جريد حتى وقف عليه فى أصحابه فقال لو سألتنى هذه القطعة ما أعطيتكها ولن تعدو أمر الله فيك ولئن أدبرت ليعقرنك الله وانى لأراك الذى أريت فيك ما أريت وكان صلى الله عليه وسلم قد رأى فى النوم فى يديه سوارين من ذهب ووقع فى بعض روايات البخارى اسوارين بالالف فخطب الناس وقال فى خطبته رأيت فى يدى اسوارين من ذهب فكرهتهما فنفخت فيهما فطارا فأولتهما بهذين الكذابين صاحب اليمامة وصاحب صنعاء يريد مسيلمة والاسود العنسى لعنهما الله قال بعض أهل العلم بالتفسير تأويل نفخه اياهما انهما يقتلان بريحه لانه لم يغزهما بنفسه وتأويل الذهب انه زخرف فدل لفظه على زخرفهما وكذبهما ودل الاسواران بلفظهما على أسوارين ملكين لأن الاساورة هم الملوك وقد تقدم ودلا بمعناهما على التضييق لكون السوار مضيقا على الذراع والله أعلم بما أراد من ذلك * رجع فلما رجع مسيلمة الى اليمامة تنبأ وتكذب لقومه وقال انى قد أشركت فى الامر معه فاتبعوه على ذلك وقد كانوا اسلموا فارتدوا وأحل لهم الخمر والزنا ووضع عنهم الصلاة وهو مع ذلك يشهد لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالنبوة وهو الذى قال سأنزل مثل ما أنزل الله فى تفسير الحسن وقتادة وكان من بلاء الله عليه وعليهم وفتنته ان رجلا منهم يقال له الدجال واسمه نهار بن عنفرة قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فآمن وتعلم سورا من القرآن وكان يذكر من صلاحه ثم لحق بقومه بنى حنيفة وارتد عن الاسلام وآمن بمسيلمة وشهد زورا أن النبى صلى الله عليه وسلم قد شركه معه فى النبوة ونسب اليه بعض ما تعلم من سور القرآن فافتتن بذلك قومه وبذلك كتب مسيلمة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله سلام عليك أما بعد فانى قد أشركت فى الامر معك وان لنا نصف الارض ولقريش نصف الارض ولكن قريش قوم يعتدون وقدم عليه بالكتاب رجلان من قومه فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قرأ كتابه فما تقولان أنتما قالا نقول كما قال فقال أما والله لولا ان

الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما ثم كتب الى مسيلمة بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب سلام على من اتبع الهدى أما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين وكان من أمر الدجال انه لما قدم المدينة جالس يوما مع أبى هريرة رضى الله عنه وفرات بن حيان فرآهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ضرس أحدكم فى النار مثل أحد فما زال أبو هريرة وفرات بن حيان خائفين على أنفسهما حتى بلغهما ان الدجال قد ارتد وآمن بمسيلمة وشهد له بالزور كما تقدم فلما بلغهما ذلك خرا ساجدين وأمنا مما كانا يخافان وقتل الدجال يوم اليمامة قتله زيد بن الخطاب أخو عمر رضى الله عنهما وقتل يومئذ زيد هذا قتله مسيلمة بن صبيح الحنفى وكان محكم بن الطفيل مدبر أمر مسيلمة وصاحب حربه وكان أشرف منه فى بنى حنيفة وقتل يومئذ لعنه الله وكان لمسيلمة مؤذن يقال له حجير وكان أول ما أمر ان يذكر مسيلمة فى الاذان توقف فقال محكم بن الطفيل صرح حجير فذهبت مثلا وتنبأت سجاح فى زمنه وتزوجها وكانت تكنى بأم جنادر وكان بينهما أخبار وأسرار يشنع بها التذكار من أجل سجاح رحمها الله تعالى لانها أسلمت فى زمن عمر بن الخطاب رضى الله عنه فلا تذكر الا بخير وقد عفا الله عما سلف وأما عدو الله مسيلمة فكان آخر أمره أن قتل باليمامة على مذهبه السوء قتله وحشى على اختلاف فيه وكان وحشى هو الذى قتل حمزة بن عبد المطلب يوم أحد رضى الله عن حمزة فكان يقول ان كنت قتلت خير الناس يعنى حمزة فقد قتلت شر الناس يعنى مسيلمة وتنبأ أيضا الاسود العنسى المذكور وسيأتى خبره وفى ادعاء هؤلاء النبوة معجزة للنبى صلى الله عليه وسلم لانه قال عليه الصلاة والسلام لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون دجالا كلهم يدعون النبوة ولما قتل مسيلمة لعنه الله فى زمن أبى بكر الصديق رضى الله عنه قال رجل من بنى حنيفة يرثيه

لهفى عليك أبا ثمامه * لهفى على ركنى شمامه
كم آية لك فيهم * كالشمس تطلع من غمامه

قلت تعسا لهذا القائل وكبا لفيه وأية آية كانت فيه اللهم الا من جهة العكس والنكس تفل فى بئر قوم سألوه ذلك تبركا فملح ماؤها وقيل ذهب * ومسح رأس صبى فقرع قرعا فاحشا وقرع كل مولود ولد له الى يوم القيامة ودعا لرجل فى ابنين له

بالبركة فرجع الى منزله فوجد أحدهما قد سقط فى البئر والآخر قد أكله الذئب وسأله آخر أن يدعو لمولود ولد له أن يطيل عمره فجعل عمر المولود أربعين سنة فرجع الى منزله مسرورا فوجده ينزع فى الموت فمات من يومه ذلك ومسح على عينى رجل استشفى بمسحه فابيضت عيناه بهذه آياته الخبيثة الخسيسة التى كانت به مخصوصة وعاش لعنه الله مائة وخمسين سنة وكان يأخذ الابيات من الشعر المستحلى فيجعلها سورا تتلى حدث الاصمعى قال نزلت برجل من الاعراب فقام يصلى المغرب فقرأ فى الركعة الاولى أفلح من هينم فى صلاته وأطعم المسكين من مخلاته وحاط من بعيره وشاته ثم ركع وسجد وقام الى الثانية وقرأ

بنونا بنو أبنائنا وبناتنا * بنوهن أبناء الرجال الاباعد

ثم ركع وسجد وتشهد ثم قام الى الثالثة فقرأ

ويوسف اذ دلاه ابناء علة * فأصبح فى قعر الركية ثاويا

ثم ركع وسجد وتشهد فقلت له من أين لك هذا القول وليس من القرآن فقال مه يا أصمعى أشهد الله على عمتى انها تلقته من مسيلمة رسول الله منذ أربعين عاما فقلت له ان هذا باطل فلا تعتقده واما قرآنه الذى اختلقه افتراء على الذى خلقه فمثل قوله يا ضفدع بنت ضفدعين نقى كم تنقين لا الماء تكدرين ولا الشراب تمنعين الى أشياء مثل هذا من أسجاع وخرافات وترهات وسخافات أردت أن أذكرها فى هذا الفصل ما جمعته وأوردته كما سمعته ثم استثقلته بعد ان نقلته فتركته لما قرأته واستعذت بالله من شر آفاته وحمدت الله مولاى على مكافاته ومع هذا فلم أسكت بل أعملت فى ثلبه جنانى ولسانى ولو أمكننى اذفانه سنانى لقطعته خنقا بأسنانى وقلت فى ذلك المنحوس المنجوس سطرا من المقلوب المعكوس الذى هو صناعتى وجل بضاعتى واثبته بالصبغ الاحمر هنا براعتى بمنتهى براعتى وأحدقت بذلك السطر كلاما منتظما وجعلته وسطه علما أبديت فيه ببنانى بيانى فبينت بذلك المنظوم الموزون ما فى ذلك السطر المنثور من الدر المخزون وكيف يعود اذا وهبته شعرا تخاله سحرا يتضمن الموزون المعكوس سبا لمسيلمة الملعون المنكوس وها هو أتم الله النعم لديك قد مثل بين عينيك فلا تنظره بعين الاحتقار فتقول ما هو عندى أغرب وأعجب من سجع مسيلمة الغدار وهو

لما رأيت صاحب اليمامه * مسيلم المكنى أبا ثمامه

قد حاز مثل هذه الرذائل * وحرم الخير مع الفضائل
ثم التفت فاه حين يقذف * بهذيان مثله لا يعرف
كقوله المكذوب غير الحق * ضفدع بنت ضفدعين نقى
الى سوى هذا من البهتان * والزور والفحشاء كالتهتان
وتفله فى ماء بئر غير مر * فعاد ذاك الماء ملحا ثم مر
شبهت فاه كاناء قد ملى * سما بلاء ذا الشقى به ابتلى
حينئذ قلت كلاما نثرا * معنى الذى قد قلت الان شعرا
سطرته بين يديكم سطرا * لتقرؤه فتقولوا سحرا
وما كم أحرفه محرجة * مكتوبة بحمرة كالترجة
﴿ كلما التفتنا فاه قلت كل بهتان بلا كاناء ملى سما ﴾
هذا كلام حسنه قلبى ملك * وحوذا فضوءه جلا الحلك
فى ضمنه سر اذا أبديه لك * تقول لى يا يوسف ما أنبلك
تريد أن تسمعه باسم الملك * صل على كل نبى أو ملك
والعن مسيلم الذى قبل سلك * واعكس حروف السطر يبدو منه لك
أمسيلم انا كلا بشاتم ب لك * تلقها فان تقف لا أم لك

فرغ هذا الرجز المذكور فى مسيلمة اللعين والحمد لله رب العالمين فان قنعت به والا فقد قلت فيه أيضا خمسة أبيات وان كنت لا تساوى خمس حبات فهى أطبع من سجعه المفترى والاماقر أو ترى فانى قلتها حين كرهت أن أملأ هذه الصحف بما قاله اللعين من السخف وهى

لعمرك انى حين أكتب ذا الذى * تقوله افكا مسيلمة البذى
أضفدع نقى كم تنقين اننى * مضبع له مديدى وكو يغذى
حمدت الهى حين لم أك مثله * ولا كهمار حذوه كان يحتذى
ولا كجبير اذ يقول محكم * له لا تقف صرح جبير وشعوذ
وانى من ذا فارغ نازع الى * لغات بابيات بها القلب قد غذى

قد تقدم ذكرهم لعنهم الله وأخزاهم وجعل جهنم مأواهم ونهار اسم الدجال والدجال لقب له وتقدم اسم أبيه عنفوة وقال فيه ابو حنيفة عنثوة بالثاء المثلثة وفسره قال هو يابس الحلى والحلى النصى وهو نبت ويقال كاغد بالدال وكاغذ

بالذال

بالذال وكاغظ بالظاء فاعلم ذلك وبالله التوفيق ودونك مائدة زائدة ضفدع مثل خنصر واحد الضفادع والانثى ضفدعة وناس يقولون ضفدع بفتح الدال قال الخليل ليس فى الكلام فعلل الا أربعة أحرف درهم وهجرع للطويل وهبلع للاكول وقلقم اسم رجل قال ابن السيد يقال ضفدع وضفدع بكسر الدال وفتحها وقد حكى ضفدع بضم الضاد وفتح الدال وهو نادر وجمعه ضفادع وقد جاءت فيه لغة ضفادى وأنشد سيبويه

ومنهل ليس له حوازق * ولضفادى جمه نقانق

وقيل انما قال الشاعر ذلك ضرورة قال ابن السيد وليست بلغة وهو الصحيح لان الضفادى ليس لها واحد مستعمل من لفظها وانما المسموع ضفدع كما تقدم وتقدم ذكر الاسود العنسى وانه تنبأ بصنعاء اليمن لعنه الله ولا بد أن نذكر أيضا من خرافاته ما تستدل به على سخافاته لان الاشياء تعرف باضدادها فيوقف على حقيقة اصدارها وايرادها فلولا الحمقى ما عرف العقلاء ولولا الجهال ما ميز العلماء هو الاسود بن كعب يلقب عبهلة ويقال له ذو الخمار لانه كان يغطى رأسه بخمار اذا أتاه شيطاناه سحيق وشقيق وكان يتلو عليهم مما يلقيانه اليه فيقول والمائسات ميسا والدارسات درسا يحجون غضيا وفرادى على قلائص بيض وصفر * انظر هذا الكلام ما أقربه من الغى وأشبهه بالعى يتفقا ولكن من الهزال ويدعو بالجهل نزال نزال لا حلاوة ولا طلاوة ولا فصاحة ولا ملاحة وكان أضعف من هذا الخبيث وأعجز وأخسف منه وأجز النضر بن الحارث الذى عارض القرآن العظيم بكلام حادث دل به على بهامته وأن لا مخ بهامته قال لعنه الله والطاحنات طحنا فالعاجنات عجنا فالخابزات خبزا فاللاقمات لقما انظر هذا الهذيان الذى نطق به لسان هذا الانسان هل يرضى بقوله الصبيان ومع هذا السخف كان يقول سأنزل مثل ما أنزل الله ما كان أسخفه لعنه الله ونرجع الى ذكر الاسود الخبيث المبعد كان لعنه الله يعلم بهى نفسه فربما أدرج آيات من القرآن العزيز فى لبسه كان يأخذ من الرجل المسلم ما معه من القرآن فيدعيه ثم يقتله ولا يحييه قدم على النبى صلى الله عليه وسلم النعمان السباق وكان من أحبار يهود اليمن فاسلم وتعلم سورا من القرآن ثم رجع الى قومه وحذره النبى صلى الله عليه وسلم الاسود هذا وخافه عليه فكان ما خافه عليه الصلاة والسلام

أخذه الاسود عدو الله وامتنه حتى تعلم ما كان يحفظ من القرآن ثم قتله وادعى ذلك لنفسه وكيفية قتله قطعه عضوا عضوا وهو يقول أشهد ان محمدا رسول الله وانك كذاب مفترى على الله الكذب ثم حرقه بالنار وقد فعل بابى مسلم الخولانى واسمه عبد الله بن ثوب رضى الله عنه مثل هذا ولكن الله نجاه منه أخذه وقال اتشهد انى رسول الله فقال لا أسمع فقال اتشهد أن محمدا رسول الله قال نعم فامر بنار فقذفه فيها فخرج أبو مسلم يرشح عرقا فقيل للاسود انفه من بلادك والا أفسد عليك الناس فأخرجه ثم قدم المدينة وقال له عمر رضى الله عنهما من أين أقبل الرجل قال من اليمن قال مافعل الرجل الذى أحرقه الكذاب بالنار قال ذاك عبد الله بن ثوب فقال له عمر رضى الله عنه أنشدك الله أنت هو فقال نعم فأخذه عمر وأجلسه بينه وبين أبى بكر وقال الحمد لله الذى أرانا فى هذه الامة من فعل به مافعل بابراهيم خليل الرحمن وكان آخر أمر هذا اللعين ان المرزبانة وهى من أبناء الذين كانوا باليمن رضى الله عنها احتالت فى قتله وقد تقدم انها كانت ممن ثبت على الاسلام مع قومها وانها لما بلغها موت النبى صلى الله عليه وسلم شقت درعها من بين يديها ومن خلفها وجمعت النساء فبكين على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت امرأة جميلة فغلب عليها الاسود العنسى لعنه الله واستنكحها فجعلت تشكو أمرها الى قومها الى أن ذكرت ذلك لفيروز الديلمى رضى الله عنه وقد تقدم ذكره فى حديث كسرى وكان رجلا صالحا جلدا فقالت له ألا تريحنى من هذا الخبيث وتنقذنى مما أنا فيه قد غلبنى على نفسى وهو مع ذلك لا يغتسل من جنابة ويستحل الحرام ويشرب الخمر ولا يتورع من الفواحش يفترى على الله عز وجل ويدعى رسالته فقال لها وكيف فقالت انا احتال فاعمل نفقا فى البستان حتى تدخل على فى ساعة يسكر فيها ففعلت ذلك ودخل عليها فيروز وليس فى البيت غيره والمرزبانة وهو قد ثمل من الخمر قال ونشبت سيفى فأبترك عليه وكان طويل العثنون فكسرت عنقه وجعلت وجهه فى قفاه ثم خرج من ذلك النفق وأخرج معه المرزبانة وأراح الله منه العباد والبلاد وأصلاه جهنم وبئس المهاد ويروى أيضا أن قيس بن مكشوح وذويه دخلوا مع فيروز المذكور من ذلك السرب فضربوه باسيافهم حتى قتلوه وهو سكران وهم يرتجزون * ضل نبى مات وهو سكران *

والناس تلقى جلهم كالذبان * النور والنار لديهم سيان

هكذا

كذا وقع فى الدرة وخرج النسائى عن عبد الله بن فيروز الديلمى قال أتيت النبى صلى الله عليه وسلم برأس الاسود العنسى الكذاب وفيه متصلا به يقال ان الخبر بقتل الاسود جاء اثر موت النبى صلى الله عليه وسلم وأذكر لك هنا حديث النعمان فانه يجدد الايمان كان رضى الله عنه من أحبار يهود اليمن كما تقدم فلما سمع بذكر النبى صلى الله عليه وسلم قدم عليه وسأله عن أشياء ثم قال ان أبى كان يختم على سفر ويقول لا تقرأه حتى تسمع بنبى قد خرج بيثرب فاذا سمعت به فافتحه قلت نعم فلما سمعت بخروجك فتحت السفر فاذا فيه صفتك كما أراك الساعة واذا فيه ما تحل وما تحرم واذا فيه انك خير الانبياء وأمتك خير الامم واسمك أحمد وأمتك الحمادون قربانهم دماؤهم وأناجيلهم صدورهم لا يحضرون قتالا الا وجبريل معهم يتحنن الله عليهم كتحنن الطير على فراخه ثم قال لى اذا سمعت به فاخرج اليه وآمن به وصدق به فكان النبى صلى الله عليه وسلم يحب أن يسمع أصحابه حديثه فأتاه يوما فقال له حدثنا فابتدأ الحديث فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أشهد انى رسول الله * وتقدم ألى وائتلى وقول الله تعالى ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله نزلت فى أبى بكر الصديق رضى الله عنه حين أقسم أن لا ينفق على مسطح لما بلغه من قوله فى عائشة المطهرة رضى الله عنها وخوضه مع أهل الافك فى شأنها فلما أنزل الله تعالى وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم قال بلى والله انى لاحب أن يغفر الله لى فرجع الى مسطح النفقة التى كان ينفق عليه وعفا وصفح رضى الله عنه فبمثل هذه الاخلاق ينبغى أن يقتدى وبهدى هذا الصديق يصلح ان يهتدى ومن يهدى الله فهو المهتدى وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليكفر عن يمينه وليأت الذى هو خير وقد فعل النبى صلى الله عليه وسلم ذلك بنفسه وقال لأن يلج أحدكم بيمينه آثم له عند الله من أن يعطى الكفارة التى وجبت عليه وفى مثل هذا أنزل الله تعالى ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس والله سميع عليم نسأل الله تعالى التوفيق الى سواء الطريق * وتقدم ما ألوته حلاوة قال هذا رجل لعمر رضى الله عنه عطش يوما فاستسقى ماء فأعطاه رجل اداوة فيها ماء

فتبذ فيها تمرات فلما قربه عمر من فيه وجد الماء حلوا باردا فامسك وقال أوه فقال الرجل والله ما ألونه حلاوة يا أمير المؤمنين فقال عمر ذلك الذى منعنى ويحك لولا الآخرة لشاركناكم فى عيشكم وهذا شبيه بحديثه الآخر انه قال لو شئت لدعوت بصلاء وصناب وصلائق وكرا كر وأسنمة وفى حديث آخر لو شئت ان يدهمق لى لفعلت ولكن الله عاب قوما فقال أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا واستمتعتم بها خرجه أبو عبيد رحمه الله وقال عن أبى عمرو الصلاء الشواء والصناب الخردل والصلائق ما يصلق من البقول وغيرها وهو بالسين وقال غير أبى عمرو الصلائق بالصاد الخبز الرقيق والكرا كر والاسنمة معروفة انتهى كلامه * وكان عمر رضى الله عنه يشدد على نفسه كثيرا وقد تقدم من شدته فى هذا الكتاب كثير وأزيدك هنا أيضا أتى يوما رضى الله عنه بشراب فيه من ماء شيب بعسل فلما علم بذلك قال اعزلوا عنى حسابها وتركه وهيأ له خالد بن الوليد رضى الله عنه طعاما فقال عمر هذا لنا فما لفقراء المهاجرين الذين ماتوا ولم يشبعوا من خبز الشعير قال خالد لهم الجنة يا أمير المؤمنين فقال عمر لئن فازوا بالجنة وكان حظنا من الدنيا فقد باينونا بونا مبينا رضى الله عنه * ومن شكل الى الى الحرف الخافض الذى هو انتهاء الغاية وقد تكلم العلماء فى قوله تعالى فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق وكذلك الى الكعبين فى الرجلين فمنهم من أدخل ذلك كله فى الغسل ومنهم من جعل الى حدا لم يتعده الا على جهة الحوطة ولازالة تكلف التحديد ومنهم من فعل ذلك رغبة فى اطالة الحلية اذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تبلغ الحلية من الانسان الى قدر مواضع الوضوء فمن أراد أن يطيل غرته وتحجيله فليفعل قال الصاحب فجعل يغسل الى الآباط والمناكب وقال فى الساق كذلك يعنى يطيله وقال المبرد فى الى اذا كان الثانى من جنس الاول فما بعد الى داخل فيما قبلها نحو قوله تعالى الى المرافق فالمرافق داخلة فى الغسل لانها من اليدين واذا كان ما بعد الى ليس من جنس الاول فليس بداخل فيه نحو قوله تعالى وأتموا الصيام الى الليل فالليل ليس من جنس النهار فليس بداخل فيه والله أعلم * وتقدم معكوس الى لاو أحسن ما استعملت فيه لا قوله لا اله الا الله فهى ثمن الجنة ومفتاح الجنة وهى كلمة التوحيد وكلمة الاخلاص وكلمة التقوى ودعوة الحق والعروة الوثقى وهى الكلمة الطيبة * وتقدم حديث أبى بكر رضى الله عنه أخذها والله اعلم من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم

جددوا

جددوا ايمانكم بقول لا اله الا الله خرجه البزار ومن فضل هذه الكلمة ما خرجه أيضا باسناده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان لله تعالى عمودا من نور بين يدى العرش فاذا قال العبد لا اله الا الله اهتز ذلك العمود فيقول الله تعالى اسكن فيقول كيف أسكن ولم يغفر لقائلها فيقول فانى قد غفرت له فيسكن عند ذلك * ذكر أول الحديث مفتاح الجنة وما أحسن هذا القول وأجوده لولا ان ثم ما قيده قيل لوهب رضى الله عنه اليس لا اله الا الله مفتاح الجنة قال بلى ولكن ليس مفتاح الا وله اسنان فان جئت بمفتاح له اسنان فتحت والا لم يفتح لك * ومخرج هذا الحديث والله أعلم ان ذلك كان فى اول الاسلام قبل الفرائض والحدود فلما نزلت قال النبى صلى الله عليه وسلم بنى الاسلام على خمس الحديث فاذا هذه الخمس هى الاسنان من جحد منها واحدة قتل الا ترى أن أبا بكر رضى الله عنه كيف قاتل مانعى الزكاة وجاء فى الرقائق عن الضحاك بن مزاحم يقول أصحابك الحمقى من قال لا اله الا الله فله الجنة وانما كان ذلك قبل الفرائض وقد سئل ابن عمر رضى الله عنهما هل يضر معها عمل اى مع لا اله الا الله كما لا ينفع مع تركها عمل فقال ابن عمر رضى الله عنهما عش ولا تغتر وهذا امثل وقد تقدم تفسيره وقيل لابى الدرداء ولمن خاف مقام ربه جنتان وان زنى وان سرق قال انه ان خاف مقام ربه لم يزن ولم يسرق وقال عليه الصلاة والسلام من مات وهو يعلم أن لا اله الا الله دخل الجنة قال المازرى اختلف الناس فى من عصى من أهل الشهادتين فقالت المرجئة لا تضره المعصية مع الايمان وقالت الخوارج تضره المعصية ولا يكفر بها وقالت المعتزلة يخلد فى النار اذا كانت معصية كبيرة ولا يوصف بأنه مؤمن ولا كافر ولكنه يوصف بأنه فاسق وقالت الاشعرية بل هو مؤمن وان لم يغفر له وعذب فلا بد من اخراجه من النار وادخاله الجنة وهذا الحديث حجة على الخوارج والمعتزلة واما المرجئة فان احتجت بظاهره على صحة ما قالت به قلنا نحمله على انه غفر له واخرج من النار بالشفاعة ثم ادخل الجنة فيكون المعنى بقوله دخل الجنة اى دخلها بعد مجازاته بالعذاب وهذا لا بد من تأويله لما جاءت ظواهر كثيرة من عذاب بعض العصاة فلا بد من تأويل هذا الحديث لئلا يتناقض ظواهر الشرع وقوله فى هذا الحديث وهو يعلم اشارة الى الرد على من قال من الغلاة ان مظهر الشهادتين يدخل الجنة وان لم يعتقد ذلك بقلبه وقد قيد فى حديث آخر بقوله غير شاك فيهما

وهذا أيضا يؤكد ماقلنا به والحمد لله انتهى كلامه ومما يشبه هذا القول ماروى ان عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال لعمر رضى الله عنه يا أمير المؤمنين أسئلك قال سل قال قلت أرأيت رجلا لم يترك لله طاعة الا عملها ولم يدع لله معصية الا اجتنبها الا انه قبل أن يموت سجد لوثن أين هو قال فى النار يا ابن عباس قال قلت قد علمت انك ستقول ذلك أرأيت رجلا لم يدع لله طاعة الا اجتنبها ولا معصية الا فعلها الا انه لأن يخر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق أحب اليه من أن يشرك بالله طرفة عين أين هو قال فسكت قال قلت لكنى أقول قال قل يا ابن عباس قال قلت الله عز وجل بالرحمة أجود منه بالعفو به انتهى قلت الذى قاله ابن عباس رضى الله عنه صحيح لكن هذا رجاء صريح وأخاف من ركن الى هذا المذهب أن يكون الخوف عنه قد ذهب وقد تقدم قول ابن عمر عش ولا تغتر ولم يقلها ابن عمر وحده وقد سأل رجل ابن عباس وابن عمر وابن الزبير رضى الله عنهم فقال كما لا ينفع مع الشرك عمل كذلك لا يضر مع الايمان ذنب فكلهم قال عش ولا تغتر يقول لا تفرط فى أعمال البر وخذ فى ذلك بأوثق الامر فان كان الشأن هناك على ماترجو من الرخص والسعة كان ما كسبت زيادة فى الخير وان كان ماتخاف كنت قد احتطت لنفسك وقد قال لا تغتر من هو فوق هؤلاء رسول الله صلى الله عليه وسلم روى ان ابان بن عثمان رضى الله عنهما قال أتيت عثمان بطهور وهو جالس على المقاعد فتوضأ فأحسن الوضوء ثم قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ وهو فى هذا المجلس فأحسن الوضوء ثم قال من توضأ مثل هذا الوضوء ثم أتى المسجد فركع ركعتين غفر له ماتقدم من ذنبه قال وقال النبى صلى الله عليه وسلم لا تغتروا * ومما يشبه ماتقدم من انه لا يغتر بنفس لفظ الشهادتين دون عمل ما اخرج مسلم رضى الله عنه من طريق ابن شهاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حديث مالك بن الدخشن فان الله حرم على النار من قال لا اله الا الله يبتغى بها وجه الله قال ابن شهاب فى آخر هذا الحديث ثم نزلت بعد ذلك فرائض وأمور نرى ان الامر انتهى اليها فمن استطاع ان لا يغتر فلا يغتر * وقد تقدم أيضا حديث أبى ذر رضى الله عنه حين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن عبد قال لا اله الا الله ثم مات على ذلك الا دخل الجنة قال أبو ذر قلت وان زنى وان سرق قال وان زنى وان سرق قالها أبو ذر ثلاث مرات والنبى صلى الله عليه وسلم يقولها

كذلك

كذلك ثلاث مرات ثم قال فى الرابعة على رغم انف أبى ذر قال فخرج ابو ذر وهو يقول وان رغم أنف ابى ذر قلت وهذا الحديث أيضا نوع مما تقدم وقد قيده صلى الله عليه وسلم بقوله ثم مات على ذلك ويخاف على المتكل على هذا ان ينهمك فى المعاصى من السرقة والزنا والغيبة وفعل الخنا وغير ذلك من العقوق وتضييع الحقوق فيحال بينه وبين الشهادة ويتبدل به عند آخر نفس فلا يموت على ذلك وقد قالوا فى المصلى من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله الا بعدا فكيف بتارك الصلاة واخواتها وامكان النفس من شهواتها ولذاتها نسأل الله تعالى الثبات الى الممات وسيأتى فى فضل لا اله الا الله حديث عالى الاسناد فيه رجاء وتنفيس عن العباد * وأذكر لك هنا حديثا مفزعا فى حقوق الامهات وهو مذكور فى صحاح الامهات حدثنيه الحافظ السلفى بسنده مستوفى الى عبد الله بن ابى أوفى قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ها هنا غلام قد احتضر فقال له قل لا اله الا الله فلا يستطيع ان يقولها قال أليس كان يقولها فى حال حياته قالوا بلى قال فما منعه منها عند موته قال فنهض رسول الله صلى الله عليه وسلم ونهضنا معه حتى أتينا الغلام فقال يا غلام قل لا اله الا الله فقال لا استطيع ان أقولها قال ولم قال بعقوقى والدتى قال أحية هى قال نعم قال أحضروها فحضرت فقال أرأيت لو ان نارا أججت فقيل لك ان لم تشفعى له قذفناه فى هذه النار قالت اذن كنت اشفع له قال فاشهدى الله تعالى وأشهدينا انك قد رضيت عنه فقالت اللهم انى أشهدك وأشهد رسولك انى قد رضيت عن ابنى فقال يا غلام قل لا اله الا الله فقال لا اله الا الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذى أنقذه بى من النار * وتقدم ألا بذكر الله تطمئن القلوب فى ضمن هذه الآية التنبيه والحض على ذكر الله تعالى لانه وان كان خبرا فمعناه الحض على فعل هذا الخلق المحمود لان الله تعالى لم ينزل القرآن ولا ضرب فيه الامثال ولا أخبر فيه بما أخبر من أحاديث الصالحين والطالحين لنتمتع بغرائبه ولا لنطرب بعجائبه وان كان كله عجبا كما قال الله تعالى قرآنا عجبا يهدى الى الرشد وانظر قوله يهدى الى الرشد كيف يعرب عن معناه وعن أى شئ أنزل وقد كان يكفى من هذا لو عقلنا ولو علمنا بعقلنا كما قال الله تعالى وما يعقلها الا العالمون والله ما أنزل الا لنتدبر آياته وننظر منها مافعل بأوليائه فنمتثل ومافعل بأعدائه فنجتنب فهو الآمر الناهى الواعظ الزاجر المبشر

المنذر قال الله تعالى كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الالباب وكما قال بعض أشياخى رحم الله جميعهم وسئل فقيل له لكل كتاب ترجمة فما ترجمة كتاب الله تعالى فقال هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا انما هو اله واحد وليذكر أولوا الالباب حدثنى بذلك الحافظ رحمه الله تعالى قال سمعت أبا الكرم المبارك بن فاخر بن يعقوب النحوى ببغداد يقول سمعت القاضى أبا القاسم على بن الحسن بن على التنوخى يقول سمعت أبا الحسن على بن عيسى النحوى يقول تذكرة فقوله تعالى ألا بذكر الله تطمئن القلوب تنبيه على هذا الدواء العجيب لهذا العضو الغريب الذى يصدأ بالغفلة عن ذكر الله تعالى الحميد كما يصدأ الحديد وجلاؤه بكثرة الذكر ودوام الحمد والشكر ويخرب اذا لم يعمر بما من ذلك أمكن كما يخرب البيت اذا لم يسكن فلو لم يكن فى الذكر الا طمأنينة القلب وذهاب الحزن والكرب لكان ذلك كافيا ومن هذه الادواء شافيا فكيف وفيه من الاجر وجزيل الذخر ما يكثر عن الحد ويكبر عن العد ولى من قطعة مذكورة فى التكميل

كل هم يصيبنى يتجلى * من فؤادى اذا هممت بذكره
أشكر الله وهو أهل لهذا * وله الحمد اذ هدانى لشكره

وبمقدار الذكر وكثرته تتضاعف الدرجات وتتزايد الحسنات ويكفى من ذلك شرفا وفضلا وعطاء وبذلا انك تذكر الجليل الكبير فيذكرك وأنت الذليل الحقير قال الله تعالى فاذكرونى أذكركم واشكروا لى ولا تكفرون ولم يرض منه باليسير انما رضى بالكثير قال الله تعالى واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون والفلاح هو البقاء فى النعيم المقيم السرمد العظيم المؤبد * وجاء عن بعض العلماء ما أعلم فى الدنيا شيئا من البيوع يستطاع شراؤه بالكلام ولا دستجة بقل و يستطاع شراء الجنة من رب العالمين بالكلام وهو ذكر الله وقراءة القرآن والامر بالمعروف والنهى عن المنكر * وقد تقدم هذا فى أول الكتاب وجاء من فضله فى الحديث كثير وخرج مسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يروى عن الله تعالى أنا عند ظن عبدى بى وأنا معه اذا ذكرنى ان ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى وان ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منه وان تقرب منى شبرا تقربت منه ذراعا وان تقرب الى ذراعا تقربت منه باعا وان أتانى يمشى أتيته هرولة وهذا أيضا يصلح أن تدريه

الدستجة معرب دسته وهى الحزمة

فان له تأويلا لا يوصف الله تعالى بالحركة ولا بالسكون ولا بالانتقال انما هذه كلها ضرب أمثال تدل على قرب الاجابة وجزيل الانابة وقالوا فى قوله تعالى فاذكرونى أذكركم معناه اذكرونى بطاعتكم أذكركم بمغفرتى وقال ثابت البنانى رحمه الله تعالى انى لأعلم حين يذكرنى ربى ففزعوا منه وقالوا تعلم ذلك قال نعم قيل فكيف قال اذا ذكرته ذكرنى * وفى الحديث ما عمل ابن ادم من عمل أنجى له من عذاب الله من ذكر الله وجاء فى فضل لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير من قالها فى يوم مائة مرة كتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسى ولم يأت أحد بافضل مما جاء به الا رجل عمل أكثر من ذلك ومن قال سبحان الله وبحمده فى يوم مائة مرة حطت خطاياه ولو كانت مثل زبد البحر هذا من كتاب مسلم رحمه الله ومنه عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قال كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أيعجز أحدكم أن يكسب كل يوم ألف حسنة فسأله سائل من جلسائه كيف يكسب أحدنا ألف حسنة قال يسبح مائة تسبيحة فيكتب له ألف حسنة أو يحط عنه ألف خطيئة وفى الترمذى عن سمرة بن جندب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب الكلام الى الله أربع سبحان الله والحمد لله والله أكبر ولا اله الا الله لا يضرك بأيهن بدأت وفى الموطأ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل الدعاء دعاء يوم عرفة وأفضل ما قلت انا والنبيون من قبلى لا اله الا الله وهذا الباب كبير والذكر كثير والذاكرون قليل والشاكرون عليه أقل وقال الله تعالى وقليل من عبادى الشكور * ونرجع الى المطلوب فى قوله تعالى ألا بذكر الله تطمئن القلوب لعلك تعتقد انه كل قلب هيهات بل هو كما قال تعالى ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد أفكل قلب هذا وكل أحد له قلب انما أراد والله أعلم بقوله تطمئن القلوب قلب المؤمن العالم العامل التقى النقى والا فانظر ما قبل الآية وما بعدها قبلها ويهدى اليه من أناب ثم ذكرهم فقال الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب ثم قال بعدها الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب وكذلك جاء فى التفسير انها قلوب المؤمنين وانظر ماذا أولاهم مولاهم وبماذا أجازاهم وماذا أعطاهم من الثواب طوبى لهم وحسن مآب ما أعذبها من كلمة على اللسان وأجمعها للاحسان

وأنفعها للانسان وهل حسن مآب الا الحسنى وهل الحسنى الا الجنة وهل هي الا للذين أحسنوا وهل جزاء الاحسان الا الاحسان وهل الاحسان الا ما فسره النبي صلى الله عليه وسلم اذ يقول أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك فاذا كنت بهذه المثابة في العبادة كانت لك الحسنى وزيادة أتدري ما الزيادة هي والله ما فسره العلماء السادة النظر الى وجه الله الكريم في جنات النعيم جزاء بما علمت ومجازاة لما عملت اذ كنت تؤمن بالغيب وتعمل بلا ريب فترى هنالك رأي العيان في الجنان ما كنت تؤمن به الآن بالجنان ثم انظر لفظة طوبى ما أطيبها في النفس وأحلاها للانس قالوا وزنها فعلى من الطيب ومعناها العيش الطيب لهم وأصلها طيبى فلما كانت اسما غير صفة ردت الى فعلى قاله المهدوي * وجاء عن ابن عباس رضي الله عنهما ان طوبى الجنة وعنه أيضا فرح وقرة أعينهم وقال الضحاك غبطة لهم وقال عكرمة نعمة لهم وقال النخعي كرامة لهم وهذا كله يرجع الى انها لفظة تجمع هذا كله أو أكثر منه فعبر كل واحد من هؤلاء الاجلة بما ظهر له وفي باطنها ما يعلمه الله الرحمن البر اللطيف من الالطف وقالوا هي شجرة في الجنة مسيرتها مائة سنة ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها غرسها الرحمن بيده ونفخ فيها من روحه تنبت الحلي والحلل وان أغصانها لترى من وراء سور الجنة ذكره المهدوي أيضا وقال انه يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تقدم القول في معنى غرسها الرحمن عند ذكر خلق آدم صلى الله عليه وسلم وهذا الذي ذكر في الحديث من الخبر المطلوب قد سمعته الاذن وخطر على القلوب وثم خير عنده لم يذكر ولا انتشر ولا خطر على قلب بشر كما جاء في الحديث الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال يقول الله تعالى أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر اقرؤا ان شئتم فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون وفي الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها واقرؤا ان شئتم وظل ممدود وموضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها واقرؤا ان شئتم فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور وعنه ما في الجنة شجرة الا وساقها من ذهب واما طوبى فمن أصلها تنبع انهار الجنة وهي الخمر والعسل والماء واللبن وهي مجلس لاهل الجنة ومتحدث لهم ورقها رياط وزهرها برود وثمرها كسوة لاهل الجنة ويقال ان طوبى هذه أصلها في قصر محمد صلى الله عليه

وسلم

وسلم وما في الجنة قصر ولا غرفة الا وقد دخل فيها غصن من أصلها وذلك والله أعلم انما اتانا بكلمة التوحيد الطيبة التي هي لا اله الا الله وغرسها باذن الله في قلوبنا وصعدت بركتها الى الله تعالى ولم يبق قلب مؤمن الا دخله نور وخير من بركة تلك الكلمة وكان هو صلى الله عليه وسلم أصلها بهدى الله حتى أضاءت بها في الدنيا قلوبنا ومساجدنا وبيوتنا وقبورنا وطارت بها نفوسنا حتى سميت مطمئنة بقوله تعالى يا أيتها النفس المطمئنة تعلقنا بتلك الاغصان ونحن في الارض فجذبتنا الى الجنة التي هي في السماء ودخلت علينا هنالك في قصورنا وزادتنا نورا الى نورنا وبذكرنا نبينا صلى الله عليه وسلم بكون أصلها في قصره فأخذنا في زيارته وقصده وانتظم الشمل ولم نخف فراقا واتفقت المعاني اتفاقا وكان عطاء ربك جزاء وفاقا ألم تسمع قوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه أي الى الله يصعد الكلم الطيب وهو لا اله الا الله وما جرى مجراه من الذكر والعمل الصالح يرفع الكلم الطيب فلا بد من عمل صالح يكون على السنة والاستقامة يرفع ذلك الكلم الطيب وهذه ترجمة لقول العلماء الايمان اعتقاد بالقلب ونطق باللسان وعمل بالجوارح وبعد هذا كله رحمة الله ومن كانت عنده هذه الثلاثة فهي أمارة رحمة الله عليه وعلامة السعادة والتيسير لليسرى ان شاء الله ولكل شيء ضد وضد هذه الاشياء فقدانها عافانا الله فالحمد لله على نعمه ونعوذ بالله من نقمه وقد ضرب الله لنا المثل بذلك في كتابه حيث يقول ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة الآية وقد فسرها العلماء وأراحونا من التكلم في ذلك مما ليس لنا أن نجترئ على شرحه قال ابن عباس رضي الله عنهما الكلمة الطيبة لا اله الا الله والشجرة الطيبة المؤمن أصل الكلمة الطيبة في قلبه وفرعها ثابت في السماء أي يرتفع بها عمل المؤمن في السماء وقيل معنى قوله تؤتي أكلها كل حين باذن ربها أي كلما صعدت الى ربها أتاه خيرها ومنفعتها * قال الضحاك هذا مثل ضربه الله للمؤمن يطيع الله بالنهار والليل وكل حين كهذه الشجرة التي تؤتي أكلها كل حين والشجرة هنا شجرة في الجنة ومعنى كل حين بكرة وعشيا وقال البخاري في تفسير قوله تعالى ومتاع الى حين الحين عند العرب ما بين ساعة الى ما لا يحصى عدده ثم ذكر الله تعالى ضد ذلك كله بنوع آخر مثل الكلمة الخبيثة بالشجرة الخبيثة كما قال في موضع آخر الخبيثات للخبيثين والطيبات للطيبين وطبتم فادخلوها خالدين لانها

طيبة والله طيب ولا يقبل الا الطيب جعلنا الله من الطيبين واستعملنا في الطيبات ورزقنا من الطيب الكثير الصيب *(فصل)* فى ذكر بعض النعم قلت ونعم الله كثيرة لا تحصى ومن يعد الحصى وكيف يعد ماليس له حد وكيف ينتهى أحد الى علم مايقول فيه الواحد الاحد وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها * كان الحسن رضى الله عنه يقول ابن آدم متى تنفك من شكر النعم وأنت مرتهن بها كلما شكرت نعمة تجدد لك بالشكر أعظم منها عليك فانت بالشكر لا تنفك عن نعمة الا الى ماهو أعظم منها وأنشدوا

اذا كان شكرى نعمة الله نعمة * على له فى مثلها يجب الشكر
فكيف بلوغ الشكر الا بفضله * وان طالت الايام واتصل العمر
اذا مس بالسراء عم سرورها * وان مس بالضراء أعقبها الاجر
فما منهما الا له فيه نعمة * تضيق بها الاوهام والسر والجهر

ولله الذى يقول

من لا يقوم بشكر نعمة خلقه * فمتى يقوم بشكر نعمة ربه

وكان مطرف بن عبد الله رضى الله عنه يقول الهى منك تكون النعمة وعليك تمامها وأنت معين على شكرها وعليك ثوابها وقال شبل بن عبد الله رضى الله عنه ادنى الشكر أن لا تعصى الله بنعمه فان جوارحك كلها نعم من الله عليك فلا تعصه بها قال غيره هذه أدنى النعم وأعلى نعمة الله على العبد المعرفة التى يعرف بها ربه ونفسه فيعلم بما شاهده أنه لم يخلق نفسه وان أباه وأمه ليس لهما من أمره أكثر من أنهما سببان وان الفاعل الخالق غيرهما وانه يخلق بسبب و بغير سبب كيف لا والسبب خلقه ولا فرق بين خلقه من نطفة ماء فينبت حيوانات ذا لحم ودم وسمع و بصر وعظام مجوفة وامعاء باطنة وعصب وشعر مما يعلم يقينا انه ليس لوالديه فى ذلك عمل أو يخلقه دون هذا السبب أعنى النطفة بدليل ما نشاهده من الحيوانات المخلوقة فى الحبوب والثمر الكائنة قبل وجودها فى الشجر عدما عندنا معلومة عند خالقنا ولو كان لاحد فى الامر حكم أو فى الخلق قدرة لكان مايريد ولم ينكر عليه من مراده مريد اذا المجامع يريد ذكرا فيجىء انثى وقد لا يجىء لا ذا ولا ذا ثم اذا جاء يريده على كذا فيجىء على خلافه يريد أنثى فيجىء ذكرا يريد طو بلا فقلدا مرانه قصيرا بخلافه كما يحكى عن الاصمعى قال كان اعرابى قبيحا

طو بلا فخطب امرأة فقيل له أى ضرب تريدها فقال أريدها قصيرة جميلة فيأتى ولدها على جمالها وطولى قال فتزوجها على تلك الصفة فجاء ولدها على قبحه وقصرها اخرجه ثابت رحمه الله قال هذا الكلام لمن ينكر خلق عيسى عليه السلام من غير ذكر وآدم عليه السلام من غير ذكر ولا أنثى فاذا تحقق هذا علم ان لا خالق سواه ولا نافع ولا ضار الا هو ولا هادى ولا مضل الا الله ولا محيي ولا مميت غيره انه ليس كمثله شئ وكل شئ عنده بمقدار فيعلم بالنعمة التى أنعم الله عليه بها انه مخلوق وانه مرزوق من أول خلقه حكمة من الله تعالى أول ذلك فى بطن أمه وطول عمره وآخر رزق فى الدنيا أول رزق فى الآخرة اما من النعيم واما من الجحيم كما تقدم ومن ظن أن لا نعمة لله عليه الا فى مطعم أو مشرب أو ملبس أو منكح فما أجهله بنعم الله تعالى فليأخذ أولا بالجلى الظاهر دون الخفى الباطن ألم يعلم أن فى كل شعرة فى جلده نعمتين أسفلها فى جسده لين وأعلاها مطموس أرأيت لو كان طرفها كالابرة أو كالشوكة كيف كان يستقيم عيشه وان كل عرق فيه متحرك لو سكن أو كل ساكن لو تحرك أكان يتهنى له حال أو يقر له قرار كما يروى ان عابدا عبد الله سبعين سنة فارسل الله له ملكا يبشره بدخول الجنة برحمة الله تعالى فقال فى نفسه بل بعملى فاطلع الله على ذلك منه فاوحى الله الى عرق ساكن من عروقه أن يتحرك عليه قال فاضطرب بذلك وقلق وانقطعت عبادته وذهبت أعماله شغلا منه بنفسه فأوحى الله الى ذلك العرق فسكن فرجع العبد الى عبادته فاوحى الله عز وجل اليه انما قيمة عبادتك عرق واحد سكن من عروقك ومثل ذلك خبر الرجل الآخر الذى وقع فى نفسه مثل هذا فيبقى فى الجنة مثل مقدار أيام عبادته فى الدنيا ثم يأمر الله تعالى باخراجه فيندم و يتوب فيتركه فى الجنة برحمته هذا فى شعرة أو عرق كيف فى عضو أو مفصل قال بعض أهل العلم لله تعالى فى كل عظم أربع نعم وقد تقدم عددها وفى كل مفصل سبع نعم وفى كل نفس نعمتان ولذتان يدخل باردا ويخرج حارا أرأيت لو انعكس ذلك كيف يكون حاله عنده وفى كل طرفة نعمتان ثم فى غذائه بالطعام والشراب ودخوله من موضع واحد وخروجه من موضعين اخرج حره واذاه و يبقى فى الجسد قواه ومعناه أرأيت لو احتبس فى البطن كما قال بعض العباد لاحد الملوك أرأيت لو منعت منك جرعة ماء أكنت تشتريها بنصف ملكك قال نعم قال أرأيت لو حبس عنك خروجها أكنت مفتديا بالنصف

الآخر قال نعم قال فانما قيمة ملكك شربة وبولة ثم هذا الرغيف الذى قال فيه بعض العلماء انه لا يستدير حتى يعمل فيه ثلثمائة وستون صنعة من السماء والارض وما بينهما من الاجسام والاعراض والافلاك وغير ذلك أولهم ميكائيل الذى يكيل الماء من الخزائن فيفرغه على السحاب ثم يحمله السحاب فينزله ثم الرعد والبرق ثم الرياح والبهائم وبنو آدم ومعادن الارض الى غير ذلك وآخرهم الخباز ثم الحطب والنار التى بها يصلح ويطيب ثم يأكله الانسان ولا يلقى باله لهذه الاشياء نعم وربما لا يشكر الله عليه ولا يذكره عند تناوله وأعضاؤه الظاهرة والباطنة مسخرة له من غير أن يعلم بذلك ألا ترى كيف يقبل الريق الى الفم عند رؤية الطعام وبتيسر ليسهل ازدراده وهو لا يستدعيه ولا يلقى له بالا فاذا حصل فى الجوف اقتسمته الاعضاء الباطنة وتوزعته فمن صاعد الى شعر الرأس ومنهبط الى ظهر القدم وكم ذا أذكر يا فتى والى متى والى متى انظر وفكر ترى العجب على أنهم قالوا ليس العجب أن ترى العجب انما العجب أن لا ترى العجب يريدون ان هذه الاشياء فى قدرة الله تعالى ليس فيها ما يعجب منه هو يقدر على أكثر من هذا وأكثر وأكثر بلا نهاية ولا آخر ويأتى طرف من ذلك ان شاء الله تعالى * قال تعالى بعد أن عدد نعمه قبلنا بان سخر لنا ما فى السموات وما فى الارض جميعا منه وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وبعده ان الانسان لظلوم كفار * ان قلت هذه فى الكفار انظر الى المسلم الذى لا يشكر الله تعالى على نعمه ولا يؤدى ما أمر الله به هل يقع عليه اسم الظلم والكفر أولا والظلم عند العرب وضع الشئ فى غير موضعه والكفر ترك الشكر ولم يرد الكفر الذى ينقل عن الملة فقد بوب البخارى رحمه الله فى كتابه باب كفر دون كفر وذكر حديث النساء يكفرن العشير ويكفرن الاحسان ومعلوم ان معنى الكفر التغطية كما يقال لليل كافر وللبحر كافر أى ساتر ويقال للزراع كفار كما قال تعالى أعجب الكفار نباته أى الزراع لانهم اذا ألقوا البذر فى الارض كفروه أى غطوه ولهذا سمى الكافر الحقيقى كافرا لانه يغطى الحق بزعمه ومن نعم الله على العبد بعد معرفته بجميع ما تقدم نعمة الاسلام والايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وحفظ القرآن ان أعطيه كما جاء من آتاه الله القرآن فذكر ان أحدا أغنى منه فقد استخف بما أنزل الله ومن لم يتغن بالقرآن فليس منا وقد تقدم هذا وكما يروى ان رجلا اشتد به الفقر حتى احزنه فرأى فى المنام قائلا يقول له تود لو انا

أنسيناك سورة الانعام ولك ألف دينار قال لا قال فسورة كذا ولك كذا حتى ذكر له عددا قال له فى آخر ذلك معك ما قيمته مائة الف وأنت تشكو الفقر ومثل هذا شكى رجل الى بعض العلماء فقره فقال أيسرك انك أعمى ولك عشرة آلاف قال لا قال فأخرس ولك كذا واقطع ولك كذا وقال فى آخر ذلك لله عندك عروض بخمسين الفا وأنت تشكوه وفوق هذا من يرى ما أنعم الله عليه به من المعرفة والايمان فوق جميع ما ذكر ويقول ما من مصيبة تصيب العبد الا ولله فيها خمس نعم الاولى انها لم تكن أكبر منها والثانية انها كانت عليه فاستراح منها والثالثة انها عجلت له فى الدنيا ولم تؤخر الى الآخرة والرابعة انها كانت فى ماله أو بدنه ولم تكن فى دينه والخامسة ان ثوابها أكبر منها وهذا الباب كبير والقول فيه كثير ولا بد ان أذكر لك منه شيئا هنا والله الموفق ربنا والهنا

(فصل) لله تعالى على العبد نعم خاصة وعامة ومن نعم الله الخاصة انه ما من عبد الا ولو أمعن النظر فى أحواله لرأى من الله تعالى نعما تخصه لا يشاركه فيها أحد وذلك يعترف به كل عبد فى ثلاثة أمور فى العقل والخلق والعلم أما العقل فما من عبد لله تعالى الا وهو راض من الله فى عقله يعتقد انه أعقل الناس وان لم يكن كذلك وقلما يطلبه من الله وان كان خاليا منه ألا تراه يقول لغيره لو عملت كذا وكذا فيقول هذا الا وهو يريد انه أعقل منه وأشد نظرا فاذا كان عند نفسه أعقل الناس فينبغى ان يشكر الله تعالى على هذه النعمة عنده ومثله كمثل رجل كثر ماله فهو يفرح به وقد يسرق المال ولا يعلم به وفرحه به باق وأما الخلق فما من عبد الا ويرى من غيره عيوبا يكرهها واخلاقا يذمها وانما يذمه من حيث يرى نفسه بريئا عنها فينبغى لهذا ايضا ان يشكر الله تعالى اذا رأى نفسه احسن خلقا من غيره واما العلم فيعرف من نفسه ومن باطن امره عيوبا وذنوبا لو اطلع احد عليه لافتضح فكيف لو اطلع عليه الناس كافة وهذا شئ لا يشركه فيه غيره فهذا أحوج الناس الى الشكر اذ أظهر الله عليه الجميل وستر القبيح وأخفى ذلك عن عيون الخلق وخصص علمه به حتى لا يطلع عليه أحد من الناس وأما النعم غير هذه فكثيرة يرى نفسه حسنا أحسن من غيره ويطيب له غذاؤه ويعجبه ولده ويفرح ببلده ويفتخر بنسبه وبصنعته ويحمى أميره وشيخه ويرى نفسه فوق كثير من الخلق لا سيما ان جعله مؤمنا لا كافرا وذكرا لا أنثى وحيا لا جمادا وانسانا لا بهيمة وصحيحا لا مريضا ولا بد أن يختص ببعض هذه الاشياء

فينبغي أن يكثر حمد الله تعالى وشكره ولا يكفر نعمه وان كان لا يقوم بالشكر
فيعترف بذلك فذلك منه شكر ومن نعم الله تعالى ما وقع في حديث أبي قلابة رضي
الله عنه يقول الله تعالى اثنتان أعطيتكهما يا ابن آدم ولم يكن لك واحدة منهما
أما أنت فتبخلت بمالك حتى اذا أخذت بكظمك وصار لغيرك جعلت لك فيه
نصيبا أو قال فريضة أطهرك به وأزكيك أو كالذي قال وصلاة عبادي حين انقطع
عملك فلم يكن لك عمل ها الكظم مخرج النفس يقال غمني وأخذ بكظمي خرجه
ثابت رحمه الله وقوله في هذا الحديث حين ذكر مال المريض فقال وجعلت لك فيه
نصيبا أو قال فريضة يعني بذلك الثلث الجائز الذي يخرجه الانسان في مرضه بعد
موته وأول من فعل ذلك البراء بن معرور رضي الله عنه وهو أحد النقباء السبعين
الذين بايعوا النبي صلى الله عليه وسلم على العقبة وهو من بني سلمة قال له النبي صلى
الله عليه وسلم بعد البيعة اني رمقتك فأحب أن تعود الي حتى تهاجر معي فيكون
لك مع النصرة هجرة فلما رجع مرض بالمدينة فكان يصلي الى الكعبة لموعده
النبي صلى الله عليه وسلم فلما حضرته الوفاة قال اذا مت فحولوا وجهي نحو
محمد صلى الله عليه وسلم لموعدي معه واجعلوا مالي ثلاثة أثلاث ثلثا لله وثلثا
لرسوله وثلثا لولدي فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم أخبر بوفاته وبالوصية فقال
أما ثلثي فرده على ولده وأما ثلث الله فأنفقه في سبيل الله فكان أول من صلى الى
الكعبة وأول من دفن اليها وأول من أوصى بثلثه وكان ابنه بشر بن البراء من خير
النقباء وهو الذي أكل مع النبي صلى الله عليه وسلم من الشاة المسمومة يوم
خيبر فمات رضي الله عنهما وخرج البزار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع
يجري للعبد أجرهن من بعد موته وهو في قبره من علم علما أو أجرى نهرا
أو حفر بئرا أو غرس نخلا أو بنى مسجدا أو ورث مصحفا أو ترك ولدا يستغفر له
بعد موته وجاء في ثلث الموصي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تصدق
عليكم بثلث أموالكم عند وفاتكم زيادة في حياتكم ليجعلها لكم زيادة
في أموالكم وقال أبو طالب في كتاب القوت أصل النعم كلها الاسلام لان من
ورائه مقامات كثيرة أخطأ ورائها فمن مقاماته التوحيد والسنة لان من ورائها
بدعا كثيرة والعلم بالله تعالى لان من ورائه جهلا أعظم ما يعطيه الله تعالى بقدرته
فهذه الثلاثة من أجل النعم وتمامها بالزهد في الدنيا فمن أعطيه مع الثلاثة تمت

عليه النعم وكان مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء
والصالحين لان من ورائه حرصا كثيرا على الشبهات ورغبة عظيمة في الشهوات
وهو من نعم الله عز وجل الذي وضعه في قلوب المؤمنين سمعت الفقيه المحدث أبا محمد
عبد الحق رحمه الله يقول أرجى آية في كتاب الله تعالى عندي هذه الآية قل كل
يعمل على شاكلته وقال غيره من العلماء قوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى
ارجى آية لان محمدا صلى الله عليه وسلم لا يرضى أن يبقى أحد من أمته في النار
ووقع في كتاب مسلم رضي الله عنه عند قوله تعالى ألا تحبون أن يغفر الله لكم قال
ابن المبارك هذه ارجى آية في كتاب الله تعالى ورأيت في بعض الكتب قال علي
رضي الله عنه ألا أخبركم بأرجى آية في كتاب الله قالوا بلى فقرأ عليهم وما أصابكم
من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير في الدنيا بكسب الاوزار فاذا
عاقبه الله تعالى في الدنيا فالله تعالى أكرم من أن يعذبه في يوم القيامة ورأيت
في كتاب القوت ان بعض العارفين كان اذا تلا آية الدين التي في سورة البقرة يعني
قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه يسر بذلك
ويستبشر او يعظم رجاؤه عندها فقيل له في ذلك فقال ان الدنيا كلها قليل
ورزق الانسان فيها قليل من قليل وهذا الدين من رزقه فقليل من قليل
ثم ان الله تعالى احتاط لي في ذلك ودقق النظر بأن وكد ديني بالشهود والكتاب
وأنزل فيه أطول آية في كتابه ولو فاتني ذلك لم ابل به فكيف يكون فعله في الآخرة
التي لا عوض من نفسي فيها وكذلك كان بعض الراجلين يفهم من قوله تعالى
اذا تلا وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون يرجو من ذلك ثواب الجود والكرم
والاحسان مما لم يحتسب به في الدنيا قط وكان الجنيد رضي الله عنه يقول ان بدت
عين من الكرم ألحقت المسيئين بالمحسنين وعلى ذلك جاء في الخبر ليغفرن
الله عز وجل يوم القيامة مغفرة ما خطرت قط على قلب أحد حتى ان ابليس
ليتطاول رجاء أن تصيبه انتهى كلامه ومع هذا فكما قالوا عش ولا تغتر هذا مثل يقال
لمن يقال له المرعى امامك فلا تعلف ابلك فترد المرعى فتستغني عن المرعى
فيقال له عش ابلك ولا تغتر فانت تدري ما يكون وانت اخي فاعمل واتكل على فضل
الله تعالى أن يقبل عملك ولا تترك العمل وتتكل على فضل الله وانت قد عصيته تترك
ما أمرك به ليس هذا رجاء هذا تسميه العلماء الاغترار ألم تسمع قوله عليه الصلاة

والسلام قيدها وتوكل ولم يقل لصاحب الناقة ارسلها وتوكل ومن الرجاء سمع اعرابى قارئا يقرأ وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها فقال والله ما أنقذهم منها وهو يريد رجوعهم اليها وابن عباس رضى الله عنهما حاضر فقال خذوها من غير حكيم * ومن الرجاء قال أبو موسى الاشعرى رضى الله عنه يؤتى بالعبد يوم القيامة بين الناس فيرى خيرا فيقول قد قبلت ويرى شرا فيقول قد غفرت فيسجد الخبيث عند الخير والشر فيقول الخلائق طوبى لهذا العبد لم يعمل سوأ قط ومن الرجاء أيضا ما أرويه بالاسناد العالى عن الحافظ رحمه الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يؤتى برجل يوم القيامة الى الميزان فيؤتى له بتسعة وتسعين سجلا كل سجل منها مد البصر فيها خطاياه وذنوبه فتوضع فى كفة الميزان ويخرج له قرطاس مثل هذا او قال هذه فوق الانملة فيها شهادة أن لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فتوضع فى الكفة الاخرى فترجح على خطاياه وذنوبه

(فصل وأز يدك فأفيدك) لعلك لا تعرف من نعمة الله تعالى عليك فى الاكل الا انك تجوع فتأكل والحمار أيضا يعرف انه يجوع فيأكل ويتعب فينام ويشتهى فيجامع ويستريح اذا تعب فاذا لم تعرف من نفسك الا ما يعرف الحمار فكيف تقوم بشكر نعم الله عليك وقد تقدم من الكلام فى الطعام من أوله الى أن يصير خبزا يؤكل ما فيه كفاية وذلك كالظاهر أرأيت اذا وقعت عينك على الطعام أليس ينبعث الى فمك من الريق واللعاب ما تبل به المطعوم حتى تبل به رطل دقيق وقبل ذلك ربما لا تجد فى فمك ريقا ثم اذا حصل الطعام بين يديك على أتم وجوهه حتى صار لقمة وجعلت فى فيك من غير ان تمد لها يدك ألست تعلم انك لا تنتفع بها ما لم تحصل فى جوفك وحينئذ يصح ان تتغذى بها ويحصل لك العيش فانظر اولا فى الفم الذى يهبط منه الطعام الى المعدة كيف خلقه الله تعالى كالحفرة وجعل لك شدقين لتمسك الطعام فى الفم اذا انطبقت عليهما الشفتين حتى ينطحن الطعام فيه وقد عدد الله تعالى نعمة الشفتين واللسان فى القرآن فقال الله تعالى ألم نجعل له عينين ولسانا وشفتين وسيأتى الكلام على العينين ان شاء الله تعالى فانظر كيف تجعل الطعام فى الفم يابسا فلا يبتلع حتى يكسر فخلق له اللحيين من عظمين وركب فيهما الاسنان صفين وطبق الاعلى على الاسفل ثم خلق الاضراس انواعا على قدر الحاجة لأن الطعام يحتاج مرة الى الكسر ومرة الى القطع والى الطحن فتجد فى الفم

من

من ذلك ما يحتاج الى عمله وجعل اللحى الاسفل متحركا والاعلى ثابتا ولو كانا جميعا متحركين لم ينتفع بهما للطحن وكانا كاليدين مثلا تضرب باحداهما على الاخرى ولا يتم الطحن بذلك وكل الارحاء يدور الاعلى على الاسفل الا هذا الذى فى الفم فان الاسفل يتحرك والاعلى ثابت ثم جعل اللسان فى الفم يحمل الطعام من موضع الى آخر ومن شدق الى شدق ويرفعه الى الطاحون ويردده ويقلبه ويأخذ فى المثل زريعة التين على دقتها ويجعلها على الطاحون ليكسرها مع ما فيه من فائدة الذوق الذى ليس لغيره والاحذق باصبعك ان قدرت وعجائب قوة النطق الذى ليس سواه ثم هبك طحنت كما تقدم لو كان يابسا أكنت تستطيع ان تبلعه فانظر كيف خلق الله تحت اللسان عينا يفيض اللعاب منها فيصب بقدر الحاجة حتى ينعجن الطعام به وأعجب من هذا ان ذلك اللعاب ينصب عند رؤية الطعام من قبل ان يدخل فى الفم كما تقدم ثم انظر من يوصل الطعام الى المعدة ولا كف لها تجره بها فهيأ الله تعالى المرىء والحنجرة وجعل على رأسها طبقات تنفتح لأخذ الطعام ثم تنطبق وتنضغط حتى ينقلب الطعام بضغطه فيهوى الى المعدة وهو خبز أو فاكهة مقطعة فلا يصلح أن يصير لحما ولا عظما ولا دما حتى يطبخ طبخا تاما متشابها أجزاؤه فجعل الله المعدة على هيئة قدر يقع فيها الطعام فتحتوى عليه فتنغلق فلا يزال لابثا فيها حتى يتم الهضم والنضج بالحرارة التى تحيط بالمعدة من الاعضاء الباطنة اذ من جانبها الايمن الكبد ومن الايسر الطحال ومن قدام الترائب ومن خلف الصلب فتسرى الحرارة اليها من تسخين هذه الاعضاء من الجوانب الاربع حتى ينطبخ الطعام ويصير مائعا متشابها يصلح للنفوذ فى تجاويف العروق وعند ذلك يشبه ماء الشعير فى تشابه أجزائه ورقته وهو بعد لا يصلح للتغذية فخلق الله تعالى بينه وبين الكبد مجارى من العروق وجعل لها فوهات كثيرة شعرية فتنتشر فى أجزاء الكبد فينصب الطعام الى الرقيق النافذ فيها وينتشر فى اجزائها حتى تستولى عليه قوة الكبد فتصبغه بلون الدم فيستقر فيها ريثما يحصل له طباخ آخر وتحصل له هيئة الطعام الصافى الحاصل لغذاء الاعضاء الا ان حرارة الكبد هى التى تنضج هذا الدم فيتولد منه فضلتان كما يتولد فى جميع ما يطبخ احداهما تشبه الدردى والعكر وهو الخلط السوداوى والاخرى تشبه الرغوة وهى الصفراء ولو لم تنفصل عنه الفضلتان فسد مزاج الاعضاء فخلق الله تعالى المرارة والطحال

وجعل لكل واحد منهما عنقا ممدودا الى الكبد داخلا فى تجويفها فتجذب المرارة الفضلة الصفراوية وتجذب الطحال العكر السوداوى فيبقى الدم صافيا ليس فيه الا زيادة رقة ورطوبة لما فيه من المائية ولولاها لما انتشر فى تلك العروق الشعرية ولا خرج منها متصاعدا الى الاعضاء فخلق الله الكليتين وأخرج من كل واحدة عنقا طويلا الى الكبد ومن عجائب حكمة الله تعالى ان عنقها ليس داخلا فى تجويف الكبد اذ لو حدث قبل ذلك لغلظ ولم يخرج من العروق فاذا انفصلت منه المائية فقد صار الدم صافيا من الفضلات الثلاثة نقيا من كل ما يفسد الغذاء ثم ان الله تعالى أطلع من الكبد عروقا ثم قسمها بعد الطلوع أقساما وشعب كل قسم بشعب وانتشر ذلك كله فى البدن من الفرق الى القدم ظاهرا وباطنا فيجرى الدم الصافى ويصل الى سائر الاعضاء حتى تصير العروق المنقسمة شعرية كعروق الاوراق والاشجار حيث لا تدرك بالابصار فيصل منها الغذاء بالرشح الى سائر الاجزاء فاذا أخذ كل عضو ما احتاج من شعرة الرأس الى ظفر القدم وبقى الثفل أرسل الله عليه الرياح فأخرجته من الجسد اذ لا نفع فيه بل لو بقى فيه لاضر به فلذلك ينبغى أن يقول عند حاجة الانسان الحمد لله الذى أخرج عنى ما يؤذينى وأبقى فى جسدى ما ينفعنى *(فصل)* فى التفكر اعلم ان كل ما فى الوجود مما سوى الله تعالى فهو فعل الله وخلقه وكل ذرة من الذرات من جوهر وعرض وصفة وموصوف ففيها عجائب وغرائب فلا تتحرك ذرة فى السموات والارض جماد ونبات وحيوان وفلك وكوكب الا ومحركها الله تعالى وفى حركتها حكمة أو حكمتان أو عشرا وألف حكمة كلها شاهدة لله تعالى ودالة على جلاله وكبريائه وهى الآيات الدالة عليه وقد ورد فى القرآن الحث على التفكر فى هذه الآية كما قال تعالى ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات وفى القرآن من هذا كثير كقوله تعالى ومن آياته كذا ومن آياته كذا ومن آياته وقال وفى أنفسكم أفلا تبصرون وفلينظر الانسان مم خلق ألم يك نطفة من منى يمنى انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين يعنى آدم عليه الصلاة والسلام ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة وتكرر ذكر النطفة فى القرآن العزيز أليس تسمع اللفظ وتترك التفكر فى المعنى فانظر الآن الى النطفة وهى قطرة من الماء أخرجها رب الارباب من بين الصلب

والترائب ولو تركت ساعة وضربها الهواء افسدت وانتنت ولم يخلق منها شئ فانظر كيف جمع بين الذكر والانثى وألقى الالفة والمحبة فى قلوبهم وكيف قادهم بسلسلة المحبة والشهوة الى الاجتماع وكيف استخرج النطفة من أجل حركة الوقاع وكيف استجلب دم الحيض من أعماق العروق وجمعها فى الارحام ثم كيف خلق المولود من النطفة وسقاه من دم الحيض وغذاه حتى نمى وربى وكبر وكيف جعل النطفة وهى بيضاء مشرقة علقة حمراء ثم كيف جعلها مضغة ثم كيف قسم اجزاء النطفة وهى متساوية الى العظام والاعصاب والعروق والاوتار واللحم والشحم والجلد والشعر ثم كيف ركبه من اللحم والاعصاب والاعضاء الظاهرة فدور الرأس وشق السمع والبصر والانف والفم وسائر المنافذ ثم مد اليد والرجل وقسم رؤسها بالاصابع وقسم الاصابع بالانامل ثم كيف ركب الاعضاء الباطنة من القلب والمعدة والكبد والطحال والرئة والرحم والمثانة والامعاء كل واحد على شكل مخصوص ومقدار مخصوص لعمل مخصوص ثم كيف قسم كل عضو من هذه الاعضاء بأقسام أخر فركب العين من عشر طبقات لكل طبقة وصف مخصوص وهيئة مخصوصة لو فقدت طبقة منها أو زالت صفة من صفاتها تعطلت العين عن الابصار فلو ذهبنا نصف ما فى آحاد هذه الاعضاء من العجائب والآيات لانقضت فيه الاعمار فانظر الآن الى العظام وهى اجسام قوية صلبة كيف خلقها من نطفة سخيفة رقيقة ثم جعلها قواما للبدن وعمادا له ثم قدرها بمقادير مختلفة واشكال مختلفة فمن صغير وكبير وطويل وقصير ومجوف ومصمت وعريض ودقيق ولما كان الانسان محتاجا الى الحركة بجملة بدنه وببعض أعضائه للتردد فى حاجاته لم يجعل عظما واحدا بل عظاما كثيرة بينها مفاصل حتى يتيسر بها الحركة وقدر شكل كل واحد منها على وفق الحركة المطلوبة بها ثم وصل مفاصلها وربط بعضها ببعض بأوتار أنبتها من آخر طرفى العظم وألصق بالطرف الآخر كالرباط له ثم خلق فى آخر طرفى العظم زوائد خارجة منها وفى الأخرى نقرا غائصة فيها موافقة لشكل الزوائد لتدخل فيها وتنطبق عليها فصار العبد ان أراد ان يحرك جزأ من بدنه لم يمتنع عليه ولولا المفاصل لتعذر ذلك عليه ثم انظر كيف خلق عظام الرأس وكيف جمعها وركبها من خمسة وخمسين عظما مختلفة الاشكال والصور وألف بعضها الى بعض بحيث استوت به كرة الرأس فما تراه فمنها ستة تخص

الفوق وأربعة عشر اللحى الاعلى واثنان اللحى الاسفل والبقية هي الاسنان بعضها عريضة تصلح للطحن وبعضها حادة تصلح للقطع ثم جعل الرقبة مركبة من سبع خرزات مجوفات مستديرات فيها تحريفات وزيادات ونقصانات لينطبق بعضها على بعض ثم ركب الرقبة على الظهر وجعله من أربعة وعشرين خرزة بالرقبة الى منتهى عظم الفخذ وركب عظام الفخذ من ثلاثة أجزاء مختلفة ويتصل به من أسفله عظم العجز وهو أيضا مؤلف من ثلاثة أجزاء ووصل عظام الظهر بعظام الصدر وعظام الكتف وعظام اليدين وعظام الرجلين والاصابع فلا نطيل بذكر عدده فمجموع عدد العظام في بدن الانسان مائتا عظم وثمانية وأربعون سوى العظام الصغار التي حشى بها خلل المفاصل كل ذلك من تلك النطفة السخيفة وليس المقصود أن تعرف عددها فان ذلك علم قريب يعرفه الاطباء والمشرحون وانما الغرض ان تنظر في مدبرها وخالقها كيف قدرها ودبرها وخالف بين اشكالها وأقدارها وخصها بهذا العدد الذي لو زاد فيها أو نقص لكان فسادا ثم انظر كيف خلق الله تعالى آلات لتحريك العظام وهي العضلات فخلق في بدن الانسان خمسمائة عضلة وبضعا وعشرين عضلة والعضلة مركبة من لحم وعصب ورباط واغشية وهي مختلفة المقادير والاشكال بحسب اختلاف مواضعها وحاجاتها فأربعة وعشرون عضلة منها لتحريك حدقة العين واجفانها لو نقصت واحدة منها اختل أمر العين وهكذا لكل عضو عضلات بعدد مخصوص وشرح هذا يطول ثم انظر لما أودع الله هذه الاعضاء من المنافع كيف فتح العينين ورتب طبقاتهما وأحسن شكلهما وهيآتهما ثم حماهما بالاجفان لتسترهما وتحفظهما وتصقلهما وترفع الاقذاء عنهما ثم أظهر في مقدار عدسة منهما صورة السموات مع اتساع اكنافها وتباعد أقطارها فهو ينظر اليها كيف شق الاذنين وأودعهما ماء مرا ليحفظ سمعهما ويدفع الهوام عنهما وحوطهما بصدفة الاذن لتجمع الاصوات فتؤديها الى صماخهما ولتحس بدبيب الهوام اليهما وجعل فيهما تحريفات واعوجاجات لتكثر حركة ما يدب فيهما ويطول طريقه فيتنبه من النوم صاحبها اذا قصدتها الدابة في نومه ثم رفع الانف من وسط الوجه وأحسن شكله وفتح منخريه وأودع فيهما حاسة الشم ليستدل باستنشاق الروائح على مطاعمه وأغذيته وليستنشق بمنفذ المنخرين روح الهواء غذاء لقلبه وترويحا لحرارة باطنه

وفتح

وفتح الفم وأودعه اللسان ناطقا وترجمانا ومعربا عما في القلب وزين الفم بالاسنان لتكون آلة للطحن والكسر والقطع فأحكم أصولها وحدد رؤسها وبيض لونها ورتب صفوفها متساوية الرؤس متناسقة الترتيب كأنها الدر المنظوم وخلق الشفتين وحسن لونهما وشكلهما لتنطبق على الفم فتسد منفذه وليتم بهما حروف الكلام ثم خلق الحنجرة وهيأها لخروج الصوت وخلق للسان قدرة للحركات والتقطيعات لتقطع الصوت في مخارج مختلفة الاشكال تختلف بها الحروف ليتسع طريق النطق بكثرتها ثم خلق الحناجر مختلفة الاشكال في الضيق والسعة والخشونة والملاسة وصلابة الجوهر ورخاوته والطول والقصر حتى اختلفت بسببها الاصوات فلا يتشابه صوتان بل يظهر بين كل صوتين فرق حتى يميز السامع بعض الناس عن بعض بمجرد الصوت في الظلمة ثم زين الرأس بالشعر والاصداغ وزين الوجه باللحية والعارضين وزين الحاجب برقة الشعر واستقواس الشكل وزين العينين بالاهداب ثم خلق الاعضاء الباطنة وسخر كل واحد لعمل مخصوص فسخر المعدة لكذا وكذا على ما تقدم ذكره ويأتي بعد ثم انظر الى اليدين كيف جعل في كل كف خمسة أصابع وقسم كل اصبع بثلاثة انامل ووضع الاربعة في جانب والابهام في جانب ليدير الابهام على الجميع فيصلح بها القبض والاعطاء ثم خلق الاظفار على رؤسها زينة للانامل وعمادا لها حتى لا تنقطع وليلتقط بها الاشياء الرقيقة التي لا تتناولها الانامل وليحك بها بدنه عند الحاجة فلو عدمها الانسان لكان أضعف الخلق وأعجزهم عن الحك الذي هو أقل الآلام ثم هدى الله الى موضع الحك حتى يمدها اليه ولو في النوم والغفلة ولو استعان بغيره لم يعثر على موضع الحك الا بعد تعب طويل حتى الطفل يحك موضعه من جسده حتى هدى الشاعر لهذه الحكمة فقال

ما حك جسمك مثل ظفرك ۞ فتول أنت جميع أمرك

يقال انه للشافعي رضي الله عنه ترى لو اجتمع الخلائق من أهل السموات والارض على أن يخلقوا من تلك النطفة بعض ما ذكرنا على ان ما لم يذكر أكثر أكانوا يقدرون على ذلك بل لو اجتمعوا على ان يكيفوا بصر المخلوق أو سمعه أو عقله أو روحه أو علمه أو يردوا شعرة واحدة الى موضعها بعد زوالها أو يحركوا ذرة في الارض فضلا عن السماء أكانوا يقدرون على ذلك هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه صدق الله وصدق رسوله صلى الله عليه وسلم حيث يقول فيما يحكيه

عن ربه ومن أظلم ممن ذهب يخلق خلقاً كخلقي فليخلقوا ذرة وليخلقوا شعرة فتبارك الله أحسن الخالقين وويل وقبحاً للمصورين المضاهين بخلق الله في صور لا روح فيها وانما وضعوها على أمثلة قد سبقوا اليها على ان ذلك لم يتم لهم الا بآلات وألوان ليست من عملهم ولا من خلقهم ثم لا يكون ذلك الا بيد وقدرة وعلم وارادة وكل ذلك خلق من خلق الله عارية عنده مستودعة لديه لينظر كيف تعملون وليبلوني أأشكر أم أكفر ما أجرأ ابن آدم على العظائم ثم يظن هذا العاصي كفر نعمة واحدة أو مائة أو ألف بل والله أكثر من ذلك أقل النعم تنفسه ليخرج الدخان المحترق من القلب ويدخل نفساً آخر بارداً يحيي به ولو منع الداخل أو الخارج لهلك دع نعمة البصر والشم والافلاك ولولا الشمس والضياء ما كان يرى ببصره شيئاً قال بعض العلماء في كل نفس قريب من عشر لحظات فعليك في كل لحظة ألف ألف نعمة فان أردت تفصيل ذلك فانظر ما قيل في العين انظره في باب العين ان شاء الله تعالى كما قلت لك * (فصل) * تقدم ان الرغيف لا يستدير حتى تعمل فيه الملائكة ووجدت في بعض الكتب القديمة وليس في روايتي عن عطاء الخراساني عن أبيه رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الزراع اذا أخرجوا بذرهم فألقوه في الارض بعث الله الملائكة فقدمت عليه وكانت معه فاذا طلع لم تفارقه يقول الله انا الذي سخرت لكم الارض وذللت لكم البقر تحرثون وتزرعون فاذا فرغتم منه ورفعتم أيديكم عنه توليته دونكم وأنتم قيام تنظرون مرة أبلغه بالحر ومرة بالبرد حتى أبلغه أوان حصاده وسخرت لكم الحديد لتحصدوه به والريح تذرونه بها ولو أمسكته عنكم لتحيرتم وما صنعتم فيه شيئاً فرضيت عند ذلك كله ان جعلت لكم منه تسعة أجزاء ولي جزء واحد افتخلتم به علي فلو أديتموه الي على حقه وصدقه لكان لكم علي به منة وذكر انه قال لا جعلت لمن زرع ذلك توبة أبداً حتى يصوم شهرين متتابعين أو يتصدق وان القمح والشعير من نوري وجلالي وبهما يتقوى على عبادتي وجهاد عدوي وعلى بعد الاسفار أكرموا القمح والشعير فاني أنزلت عليهما بركات السموات وأخرجت بهما بركات الارض وانما أريد باكرامهما أن لا يوطآ ولا يطرحا ولا يفسدا ولا يندبهما القصعة ومن أكل ما سقط من المائدة وسع له في الرزق ونفى الحمق في ولده وولد ولده ونفى وجع الخاصرة وان اللبابة اذا وطئ عليها صرخت صرخة سمعها أهل السموات

السبع وجاء في بعض الآثار عن عائشة رضي الله عنها قالت دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى كسرة ملقاة فمشى اليها فأخذها ثم مسحها وأكلها ثم قال يا عائشة أحسني مجاورة نعم الله تعالى فانها قلما نفدت من أهل بيت فكادت ترجع اليهم وفي خبر عن ابن المبارك رضي الله عنه رفعه ان امرأة من بني اسرائيل أنجت صبياً لها بكسرة ثم جعلتها في جحر فسلط الله عليها الجوع حتى أكلتها * وجاء من رفع كسرة من الطريق اجلالاً لله واكراماً لم يقرح كبده جوع أبداً وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهما انه رأى كسرة خبز فقال لغلامه أمط عنها الاذى فلما أمسى وأراد الفطر قال لغلامه ما فعلت بالكسرة قال أكلتها قال اذهب فأنت حر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من وجد كسرة خبز فرفعها من الارض ثم أكلها لم تصل الى جوفه حتى يغفر الله له فأنا أكره ان استعبد من غفر الله له * ولي قطعة شعر لزومية بقافيتين وجدت كسرة خبز فرفعتها واحد الاصحاب يراني فقلت وقد خفت أن يكون ازدراني

يا صاحبي مهلاً * لاتأكلن عرضي * رزق من المولى

ملقى على الارض * هل أخذه الا * من أوكد الفرض

واذ كر هنا انه لا يحتوي على اخبار حسان في الاخبار التي بها حياة الانسان يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اكرموا الخبز فان الله سخر له من في الارض والسماء وفي لفظ آخر اكرموا الخبز فان الله أنزله من بركات السماء وفي رواية قال عليه الصلاة والسلام اللهم أمتعنا بديننا الاسلام وبالخبز فان الخبز مبارك به أنبت الله الارض وبه أرسل السماء مدراراً وبه أنبت المرعى وبقوته صمنا وصلينا وحججنا بيت ربنا ولولا الخبز ما عبدوا الله ولا جاهدوا اعدوه * قال بعض العلماء من اكرامه ان لا ينتظر به الادام ولا يوضع عليه شيء من آلة الطعام فان وضع عليه مأكول فلا بأس وجاء عن النبي صلى الله عليه وسلم لا تدعموا بالخبز قصعة ولا تكفئوه على اناء وقال بعضهم ما زاد على الخبز فهو شهوة حتى الملح وقال آخر الخبز من أكبر الشهوات وما زاد عليه فهو فاكهة يروى عن ابن عمر رضي الله عنهما انه قال ما تأتينا من العراق فاكهة أحب الينا من الخبز واذا فكرت في الخبز فهو الدين فانا به نتقوى على العبادة فان كان حلالاً وأكل على وجهه أثر في القلب وفي البدن تأثيراً وفي القلب تنويراً وان كان من غير حله وتعدى في أكله انمحى ذلك التنوير

وتكدر اجابة تكديرا كما يقال من أكل لقمة من حرام فلا تقبل له أربعين يوما وقال بعض العلماء اذا فسد خبز الناس فسدت عباداتهم لان قوامها بالخبز وقوامهم وفعلهم صادر عن قوته وأعني بالخبز القوت من أي نوع كان كما يذكر ان علامة صدق الجوع أن لا يتخير نوعا من الطعام فاذا تخير فليس بصادق الجوع ويروى ان ابراهيم بن أدهم رضي الله عنه أو غيره قال انتهيت في سياحتي الى موضع فيه ماء وحوله بقل فأكلت من ذلك البقل وشربت عليه من الماء ثم استلقيت وقلت الحمد لله هذه شبعة ليس فيها ان شاء الله تعالى حساب فسمعت هاتفا يقول فالقوة التي ساقتك الى هنا من أي شيء كانت فقول العبد لا اله الا الله وقراءته وجميع عباداته انما هي من الخبز وعن القوت فان طاب طابت وان فسد فأنت تدري ما أريد أن أقول والله يخلص من الفضول. وأما خبز الحنطة فقد جاء فيه عن عيسى عليه الصلاة والسلام كلوا خبز الشعير واياكم وخبز البر فانكم لن تقوموا بشكره وقد تقدم كيف كان عيش رسول صلى الله عليه وسلم وعيش أصحابه وأكلهم وقد خرج ثابت عن أبي بردة قال كنا نتحدث في الجاهلية انه من أكل الخبز سمن قال فغزونا غزاة فلقينا المشركون فأجهضناهم عن ملة لهم فأتينا نأكل منها ثم نظر أحدنا في عطفيه أسمن بعد. ومعنى أجهضناهم أعجلناهم والملة عند العامة الخبزة وانما الملة الرماد المحمى فان سميت الملة خبزا فمجاز على تقدير خبز ملة وقال ابرويز وهو كسرى لهوذة بن علي وقد أعجبه كلامه ما غذاؤك في بلادك قال الخبز قال كسرى هذا عقل الخبز لا عقل اللبن والتمر وكان الذي أعجبه منه سأله عن أحب أولاده اليه فقال الصغير حتى يكبر والغائب حتى يقدم والمريض حتى يبرأ وسمي عبد الله بن خبيب العنبري آكل الخبز لاقتصاره عليه ورغبته فيه بدلا عن غيره وكذلك كان سالم بن عبد الله قال له هشام مرة ما غذاؤك قال الخبز بالزيت قال أما تأجمهما قال اذا أجمتهما تركتهما حتى أشتهيهما قوله أجمتهما معناه كرهتهما ومنه قول كعب بن زهير في صفة السيوف قد أجمن الجفونا أي كرهن المقام فيها والجفون هي الاغمدة فانظر قدره عند من تقدم كيف كان فسبحان الله ما أقل شكرنا وأكثر كفرنا صدق الله حيث يقول وقليل من عبادي الشكور * (فصل) * تقدم ان الملائكة يبعثها الله تعالى الى الحبوب المستودعة في بطون الارض قال بعض العلماء كل جزء من أجزاء الانسان بل من أجزاء النبات لا يغتذي الا أن يوكل الله به سبعة من الملائكة هذا أقلهم الى عشرة

الى

الى مائة الى ما وراء ذلك لان الملائكة صلوات الله عليهم ليسوا كبني آدم يعملون عمالا كثيرة انما لكل واحد منهم عمل واحد على انفراده تصديق ذلك وما منا الا له مقام معلوم وكذلك في التسبيح والركوع والسجود والقيام لا يعدو أحد ما جعل له وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله كل ميسر لما خلق له وقال الله تعالى وفي أنفسكم أفلا تبصرون ألم يك نطفة من ماء مهين أرأيت اليوم ذا لحم وعصب وعظام وشعر وبشر والوان شتى تقول وحدها تخلقت الى هذه الخلق لا ورب الفلق كأنك لم تسمع في حديث النطفة يأخذها الملك بيده فيقول يارب نطفة يارب علقة يارب مضغة يارب كذا يارب كذا فما الرزق فما العمل فما الاجل فيأمر اليه ويكتب الملك الحديث بكماله أوليس مصداقه في كتاب الله ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين وما خلق الا وله رزق وكم من ملك سخر في ذلك الغذاء الى ان وصل الى فمك وكم من عضو حرك منك حتى حصل في جوفك ثم انقطعت حيلتك ان زعمت ان لك حيلة قبلها وذلك باطل اين حيلتك تصرفها فيما حصل في جوفك أو في ذلك الغذاء قدره أو اعلم بما يتصرف داخل الجوف الى أن صرف تقول قبل ذلك فعلت وصنعت وعجنت وطبخت ورفعت يدي الى فمي ومضغت باضراسي وامسكت بلساني وبلعت بحلقي هب لك ذلك كذلك وليس كذلك ولا كرامة بل ملائكة ربي وعونه وتسهيله وارادته فان كنت صادقا فصرف ما حصل في الجوف ورده دما وصفه وأرسل لكل عضو منك ما يصلح له وما يتغذى به ومقدار ما يحتاج اليه هيهات ماذا بعشك فادرجي ان لله ملائكة في باطنك بعضهم يسوق الغذاء بعد التصفية والتخلل الى الاعضاء بقدر ما يصلح بها فيرسل الى الظفر من رجلك ما به يشتد ويصير على شكله والى شعرك أسلك ما به يسود ويمتد والى فخذك ما تغلظ به والى أنفك ما يصير على ما هو به والى القلب والى السمع والى البصر والى كل شكل ما يشكل له ولو كان ذلك بغير مقدار لكبر الانف مثلا ورق الفخذ وانفلق العظم ولم يكن مجوفا ولو لم يراع الملك القسمة والتقسيط في الاعضاء الباطنة لفسد الجسم وصار على غير ما هو عليه وقس على هذا ما لم نذكر لك فانه بعض من كل ولا فرق بين جسمك في التغذية وبين تغذية الثمرة وارسال الغذاء الى الورقة والسفلى منها كالعليا

والى العظم والجسم وكذلك فى جميع الحيوانات والنباتات هذا فى الاشياء الصغار فما ظنك فى الكبار واذا كانت القطرة من السماء لا تنزل الا ومعها ملك فكيف بحال ابن آدم ألم تسمع قوله تعالى له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله قيل فى التفسير ملائكة يحفظونه بأمر الله وكما روى ان رجلا سمع واعظا يقول فى هذا المعنى ان لله ملائكة يحصون على العبد فى كل شئ حتى فى أكل التمر بالزبد فاستبعد هذا الجاهل ولما دخل منزله قدم له تمر وزبد فقعد ياكل وقال لامرأته ما سمع الواعظ يقول على جهة الهزء وقال أى شئ احتاج انا فى هذا الى الملك وأخذ لقمة فوضعها فى فيه فشرق بها فمات وقال آخر وقد ركب بعيرا اللهم انك قلت وما كنا له مقرنين وانى لبعيرى هذا مقرن فنفر به وطرحه وبقيت رجله فى الغرز فجعل يضرب برأسه كل حجر ومدر حتى مات خرجه الخطابى وقال فى هذا الخبر من حديث سليمان بن يسار رضى الله عنه ان قوما كانوا فى سفر فكانوا اذا ركبوا قالوا سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين فكان رجل منهم على ناقة له رازم فقال أما أنا فانى لهذه مقرن قال فقمصت فصرعته فدقت عنقه وفسر الرازم التى لا تتحرك هزالا وقد رزم البعير يرزم رزاما فهو رازم وابل رزحى قال أبو زيد والرازم مثل الرازح والسنة المرزمة المقحطة يهزل فيها المال وتجف الدواب * انظر أيها العاقل بل الغافل الى القطر الذى ينزل من السماء على كثرته ودقته هل تختلط قطرة بأخرى أو تسبقها بالنزول أو تتعدى الطريق الذى رسم لها بل تنزل بأمر الله تعالى وتسخير الملائكة معها فلا يتقدم المتأخر ولا يتأخر المتقدم ثم فى كل قطرة منها عيشة لكل جزء من الارض ولكل حيوان فيها من طير ووحش ودود ومكتوب على تلك القطرة بخط الهى لا يدرك بالبصر الظاهر انه رزق الدود الفلانى الذى هو فى الناحية الفلانية يصل اليه عند عطشه فى الوقت الفلانى وجاء فى الصحيح ان رجلا سمع فى السحابة اسق حديقة فلان فجاء الرجل حتى وجد رجلا يحول الماء فى حائطه بمسحاته فسأله عن اسمه فاذا هو هو فسأله وقال ما تصنع بغلته فقال آكل ثلثا وأرد فيها ثلثا وأتصدق بثلث هذا معناه

وذا فصل الفوائد قد تقضى * وشرح لغات هربان الهميم

وها أنا ذا أشمر عن ذراعى * وآخذ بعد فى ألف وميم

فاذكر فيه ما أدرى فخذه * فانى ناصح لك يا حميمى

*(باب

(باب الالف مع الميم)

*(وام وام وام وام * وام وام وما وما)*

أم كل شئ أصله ومنه أم الانسان اى والدته وأم القرى مكة كما يقال أم خراسان مرو وأم الكتاب أصله وأم القرآن أوله وفاتحته وأم النجوم المجرة لانها مجتمع النجوم قال الشاعر

بركب يشجون الفلا فى رؤسه * اذا غورت أم النجوم الشوابك

وأم الطعام المعدة قاله الاصمعى فى كتابه فى خلق الانسان وأنشد

ربيته وهو مثل الفرخ أعظمه * أم الطعام ترى فى ريشه زغبا

ويقال أم الدماغ وهى أم الرأس وهى مجتمعه وهى الجلدة التى فيها الدماغ قال الاخفش كل شئ أضمت اليه أشياء فهو أم لها وبذلك سمى رئيس القوم أما لهم وأم مثوى الرجل صاحبة منزله الذى ينزله ومنه فى القرآن العزيز فأمه هاوية أى التى تضمه وتؤويه قال الراجز * وأم مثواى تدرّى لمتى * ومعنى تدرّى تسرح بالمدرى وهو القرن قال النابغة * شك الفريصة بالمدرى فانفذها * ويقال لها المدراة أيضا وربما تصلح الماشطة قرون النساء بها وهى شئ كالمسلة يكون معها وجمعها مدارى قال امرؤ القيس * تضل المدارى فى مثنى ومرسل * وفى الحديث ومع النبى صلى الله عليه وسلم مدرى يحك بها رأسه وفى الترمذى مدراة والامى منسوب الى الام لان الغالب على الام انها لا تحسن تقرأ ولا تكتب وأم زنبق الخمر وأم عبيد المفازة وأنشد

بئس قرين اليفن الهالك * أم عبيد وأبو مالك

أم عبيد المفازة كما تقدم وأبو مالك الكبر وأبو مزاحم الكبش العظيم القرون وأبو الحسين الغزال وقد ذكر أبو عبد الله حمزة بن الحسن الاصفهانى فى كتابه المسمى بكتاب الامثال ما جاء فى ما أوله أم فذكر بعض ما تقدم وزاد قال وأم حلس للاتان وأم عامر وأم عمرو الضبع وأم فروة النعجة وأم الهيثم كنية للعقاب وأم تسعين كنية الاست وأم حنين الخمر وكذلك أم ليلى قال الشاعر

سقتنى أم ليلى أم ليلى * فعلت عقارها من ريق فيها

وأم عوف الجرادة وأم كثات الارض وأم غياث السماء وأم النجوم المجرة وقد تقدم وزاد ويقال لها أيضا أم السماء وأم دفر الدنيا وهى أم درزة وأم ملدم

بالدال غير المنقوطة من الادم وهو ضرب الوجه حتى يحمر الموضع ومن قال بالذال المنقوطة فهو من قولهم لذم به اذا لزمه وذكر من هذا النوع نحو الستين وذكر من أبو كذا نحو الخمسة عشر منها أبو الحارث كنية الاسد وأبو جعفر كنية الذئب وأبو قلمون كنية أثواب ابريسم تنسج بمصر والروم تتلون للعيون ألوانا وأبو براقش كنية الرجل الكثير التلون وأبو قبيس جبل بمكة وأبو دراس وأبو ليلى كنية للمحمق كأنهم يعنون أبرامراة وأبو مالك وأبو عمرة كنية الجوع قال الشاعر

حل أبو عمرة وسط حجرتى * فصار نسج العنكبوت برمتى

وقال غيره أبو مالك اسم الكبر وقد تقدم وأنشد

أبا مالك ان الغوانى هجرننى * أبا مالك انى أظنك دائما

الكنى المصدرة بابن

وذكر الاصبهانى أيضا من ابن كذا نحوا من الاربعين منها ابن ماء وابن تمرة طائر وابن برح اسم للعذاب والمشقة وابن الطريق وابن عجل ولد الزنا وابن قترة ذكر الافاعى وابن عذرها الذى يخترع الشئ لم يسبق اليه وابنا عيان وابنا شمام هضبتان فى أسفل جبل يقال له شمام وابنا سميرا لليل والنهار وابن ذكاء وابن طامر البرغوث وابن بى من لا يعرف وكذلك ابن استها للرجل المجهول الوغد * كتب بعض الامراء الى مثل هؤلاء وكانوا قد حبسوا عنه الماء أن يأتى من جهتهم الى ابن استها ان لم يسبنا الماء والا صبحتكم الخيل وذكر فيها ابن لبون وابن مخاض وابن جلا قال غيره و يقال ابن اجلى وابن أبيض وهما بمعنى التجلى للامر المنكشف وهو اول النهار وبذلك تمثل الحجاج فقال

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا * متى أضع العمامة تعرفونى

و يقال ان ابن جلا رجل كان فاتكا يطلع فى الغارات من ثنايا الجبال وقوله فيما تقدم ابن الطريق وهو أيضا ابن السبيل بمعنى الضيف وقيل المسافر يسمى بذلك لانه يمر من بلد الى بلد فهو أبدا ملازم للسبيل وهى الطريق كما قيل لطير الماء ابن الماء لملازمته الماء و يقال للرجل الذى قد أتت عليه الدهور هو ابن الايام والليالى وعلى هذا يتأول حديث النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله لا يدخل الجنة ولد زنا معناه الملازم للزنا جعل ابن الزنا لملازمته له كما قيل ابن ماء وابن الايام وجاء منه فى حديث آخر ولد الزنا شر الثلاثة وفى بعض ألفاظه اذا عمل عمل أبويه أو كما قال عليه الصلاة والسلام وذكر أبو عبد الله المذكور من بنت كذا نحو السبعة والعشرين منها بنت

الارض بقلة و بنت الصدا وهو الصوت الذى يرجع اليك من الجبل و يقال فى مثل كبنت الجبل مهما أقل تقل و بنت الشفة الكلمة و بنت الموت الحمى و بنات جنة السباط والجنة النخلة و بنات بحر السحاب و يقال البرد وأنشد

* كأن ثناياها بنات سحابة * وبنات الاحلام الى غير ذلك وقد تقدم ذكر بنات نعش و يقال فيها أيضا بنو نعش قال الشاعر * كأن بنى نعش ونعش مطافل * وتقدم ذكر البنات وهى اللعب والتماثيل التى يلعب بها البنات فى حديث عائشة رضى الله عنها و بنات الماء طائر يكون حول الماء قال أبو الهندى

ستغنى أبا الهندى عن وطب سالم * أباريق لم يعلق بها وضر الزبد

مفدمة قزا كأن رقابها * رقاب بنات الماء تفزع للرعد

و يقال للحصى الذى فى المسجد بنات المسجد ذكر لى ثقة رجل فقال كان احدى بنات المسجد * ومن غير الكتاب ذكر بعضهم قال تقول العرب فى اسماء

بيان كنى الحيوانات وغيرها

الحيوانات وكناها الفيل ابو الحجاج الاسد ابو الحارث الذئب ابو جعدة الدب ابو رياح الخنزير ابو قادم و يقال أبو عقبة والثعلب ابو الحصين والكلب ابو خالد وابو ناصح عند بعضهم والسنور ابو خراش و يقال ابو غزوان والغزال أبو الحسين والجمل أبو صفوان و يقال أبو أيوب وابو مزاحم الثور وابو حاتم الكبش وابو المطرف التيس والنمر ابو وثاب والفهد ابو قرة والفرس ابو طالب والبرذون ابو مضاء والبغل ابو المختار والحمار ابو زياد والقرد ابو قيس والنسر ابو يحيى الغراب ابو زاجر و يقال له ابن داية والديك أبو اليقظان وأبو حسان وابو نبهان عند بعضهم الزمارة النعامة أبو براقش طائر يتلون ألوانا و يقال هى الحرباء التى تسميها العامة أم حبيش وأم حبين الجرادة وأم عوف الحمامة وأم مهدى الدجاجة وأم حفص الهدهد وابو المبت الجعالة وأبو الصراقة القملة وأم عقبة الحية وأم يقظان العقرب وأم سام العضرفوط التى تسميها العوام حنيشة الجنة و بنات وردان التى تقول لها العامة ابلانة وأبو حسيل الضب والخنفساء أم سالم وابو الجعل وابو جعران الدلاب والضفدع كل واحد منهما أبو المسيح وأبو نعيم خبز الحوارى وأبو حبيب الجدى وأبو ثقيف الخل وأبو عون الملح وابو جميل البقل وام القرى السكباج وام جابر الهريسة وام الفرج الجوزابة وابو رزق بن الخبيص وابو العلاء الفالوذق وابو اياس الغول وابو يحيى كنية الموت وأبو عمرة وابو مالك كنية

الجوع وابو جامع الخوان ابو السرو البخور المرحفان الطست والابريق * أعمار البهائم عن كعب الاحبار الحمار أربعون سنة الضبع خمسون البغل خمسون الورشان مائة العقاب ألف النسر الفان العنقاء ألف الحية سبعمائة الوزغ مائة الاسد مائة الذئب مائة ابن آوى اربعون الزرافة مائة النمر ثلثمائة الفهد مائة النحلة ستة أشهر العقرب ستة أشهر الجراد ستة أشهر الذباب أربعون يوما البعوض ثلاثة أيام وقد طال الكلام فى هذا الفصل ونرجع الى الام التى هى الاصل ومن العرب من يكسر الالف من ام فيقول ام وقرئ فرددناه الى امه بالكسر وقد يحذفون الالف من ام استخفافا فيقولون ويلمه وربما كتبوه ويلمه متصلا كما ترى وجاء منه فى الحديث ويلمه مسعر حرب لو كان معه رجال وقد قالوا فى ام امة تقول هذه امة زيد كما تقول ام زيد واذ وقعنا فى امة فلنذكر ما جاء فيها قال ابن عزيز رحمه الله تأتى امة على ثمانية أوجه امة جماعة كما قال تعالى وجد عليه امة من الناس يسقون وامة اتباع الانبياء عليهم الصلاة والسلام كما تقول نحن من امة محمد صلى الله عليه وسلم وامة رجل جامع للخير يقتدى به كقوله تعالى ان ابراهيم كان امة قانتا لله حنيفا وامة دين وملة كقوله تعالى انا وجدنا آباءنا على امة وامة حين وزمان كقوله تعالى الى امة معدودة وقوله وادكر بعد امة أى بعد حين ويقرأ أمه وامه بالهاء وتسكين الميم وفتحها مخففة ومعناه بعد نسيان وامة قامة يقال فلان حسن الامة أى القامة وامة رجل منفرد بدين لا يشركه فيه أحد قال صلى الله عليه وسلم يبعث زيد بن عمرو بن نفيل امة وحده وامة ام كما تقدم هذا بضم الالف واما بكسرها فالامة النعمة تقول بنى فلان فى امة أى فى نعمة قال زهير

ألا لا أرى ذا امة أصبحت به * فتتركه الايام وهى كما هيا

والامة أيضا الائتمام والامة بالفتح والتخفيف الوليدة والآمة بالتشديد الشجة وسيأتى الكلام فيها والامة بالتشديد والمد مؤنث الآم وهو القاصد وسيأتى والآمة أيضا ما تعلق بسرة الصبى حين يولد وتقدم امة وليدة وسيأتى الكلام عليها والآمة بالمد والتخفيف العيب فى الانسان قال النابغة

فأخذن أبكارا وهن آمة * أعجلنهن مظنة الاعذار

يريد انهن سبين قبل أن يختن فجعل ذلك عيبا وكيف النسب اليها وكيف تثنى

ويجمع وهى توصف بالغفلة والنوم كما يوصف العبد بالاباق والهرب ولذلك قال ابن هبيرة لخالد القسرى وكان فى حبسه فهرب فقال له خالد أبقت اباق العبد فقال له ابن هبيرة حين نمت نومة الامة وسيأتى خبره ان شاء الله تعالى * بقى من الشكل امة بضم الالف وتخفيف الميم حى من غطفان يقال لهم بنو امة وأمة هو ابن بجالة ومن شكل امة لكنه فعل وبناء صحيح قولهم امت السنور تأمو اماء وقد قالوا فى هذا اماءت تموء مواء ومن هذا الشكل آمت المرأة بالمد وتأيمت اذا كانت خلوا من الزوج وسيأتى وانت يا هذا خذ الفائدة التى بها تزان ودع الاوزان وان أردت شعرا قوافيه كلها مثل شنانى ومانى وهانى فانظره فى كراسة البديع من التكميل * واما ام فهو فعل تقول ام يؤم أما اذا قصد الى الشئ واسم الفاعل من هذا آم وهو الذى فى البيت ويجمع آمين من قوله تعالى ولا آمين البيت الحرام قال ابن عزيز يعنى عامدين البيت الحرام واما قولهم فى الدعاء آمين رب العالمين فتخفف منه الميم ويمد ويقصر وتفسيره اللهم استجب لنا لان آمين اسم من أسماء الله تعالى والاصل امين بالقصر أدخلت عليه الف النداء فمدت قال الشاعر فى القصر

أمين فزاد الله ما بيننا بعدا * وقال الآخر فى المد

* ويرحم الله عبدا قال آمينا * ويقال ام فلان رأس فلان بالعصا يؤمه اذا أصاب أم رأسه فهو اميم ومأموم والشجة آمة وتقول أممت الرجل شججته وأممته بالتشديد قصدته وكذلك تيممته بمعنى تعمدته ومنه قوله تعالى ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ومنه التيمم للصلاة ومعناه القصد قال تعالى فتيمموا صعيدا طيبا وقال امرؤ القيس * تيممت العين التى عند ضارج * ولهذا البيت حكاية وخبر يأتى من الالباب ان شاء الله تعالى بعد فى هذا الباب * تقدم أممت بالتشديد اذا قصدت وبالتخفيف أممت الرجل شججته وكذلك تقول أممت القوم تقدمتهم فكنت امامهم وكذلك تقول ايضا اذا صليت بهم فكنت امامهم لان المعنى واحد * واذ وقع ذكر الامام فاجمع ما قيل فيه من الكلام الامام ما ائتممت به واهتديت حتى سموا الخيط الذى يهتدى به البناء فى بنائه اماما وقالوا فى ابى جاد امام الكتاب قال الله تعالى فى ابراهيم عليه السلام انى جاعلك للناس اماما أى يأتم بك الناس فيتبعونك ويأخذون عنك ولهذا سمى الامام فى الصلاة والخليفة أيضا لانهم كانوا الذين يصلون بالناس وكذلك العالم لان الناس بهؤلاء يأتمون واياهم يتبعون

وبهم يقتدون ويقال للطريق امام لانه يؤم أى يقصد قال الله تعالى وانهما لبامام مبين أى بطريق واضح مثل وانهما لبسبيل مقيم والامام الكتاب أيضا ومنه قوله تعالى يوم ندعو كل أناس بامامهم أى بكتابهم ويقال بدينهم وكذلك وكل شئ أحصيناه فى امام مبين يعنى الكتاب أو اللوح المحفوظ والله أعلم ومن هذا الشكل امام بالفتح ضد وراء وقد تقدم القول فيه فى باب الراء واما أم ساكنة الميم فحرف عطف ومعناه الاستفهام وتكون بمعنى بل وتكون بمعنى أو كقوله تعالى أأمنتم من فى السماء أن يخسف بكم الارض فاذا هى تمور أم أمنتم وكقوله تعالى أفأمنتم أن نخسف بكم جانب البر أو نرسل عليكم الى قوله وكيلا أم أمنتم أن نعيدكم فيه وتكون ام بمعنى الاستفهام كقوله تعالى أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله أراد أيحسدون وكقوله تعالى ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار اتخذناهم سخريا بوصل الالف أم زاغت عنهم الابصار وقوله تعالى ام له البنات ولكم البنون ام تسألهم أجرا أراد أتسألهم اجرا وكذلك ام عندهم الغيب فهم يكتبون اراد أعندهم وكذلك قوله تعالى الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين ام يقولون افتراه بل هو الحق من ربك ولم يتقدم فى الكلام أيقولون كذا فيرد عليهم ام يقولون وانما اراد أيقولون كذا قال ابن قتيبة بعدما ذكر هذا كله قال والله أعلم بكتابه وانا أقول صدق واما ام فصدر ام المتقدم ذكرنه فرفعته والام أيضا الشئ المقصود قال الشاعر وهو الشنفرى واسمه عمرو بن عامر

كأن لها فى الارض نسيا تقصه * على امها وان تخاطبك تبلت

يصف امرأة بالخير وكثرة الحياء وقلة الالتفات يقول اذا مشت فى طريقها وهو امها لا يجاوز بصرها موضع قدميها كأنها تطلب فى الارض نسيا وهو الشئ الحقير الذى لا يعبأ به أو الشئ المتروك حتى ينسى كذا فسر قوله تعالى نسيا منسيا وقرئ نسيا بفتح النون لغة فيه وتقديره ذات نسى اى منسية لا تذكر والنسى ايضا اللبن المخلوط بالماء فكأنها قالت يا ليتنى مثل هذا اللبن المخلوط فى قلته وصغر قدره والله اعلم وقوله فى البيت تقصه اى تتبع اثره وكذلك فسر قوله تعالى وقالت لاخته قصيه اى اتبعى اثره وقوله وان تخاطبك تبلت يقول من شدة الحياء لا تستطيع تتم الحديث بل تقطعه ويروى تبلت بفتح اللام تنقطع هى حياء ومعنى تبلت بالكسر تبتل فهو من المقلوب كما قالوا اجذب وجبذ وهذا كله مثله بلت وتبل فوزن تبلت على

هذا تفلع واصل البتل القطع ومنه صدقة بتلة ومنه العذراء البتول اى التى لا حاجة لها فى الرجال وكذلك البتول وهى الفسيلة التى قد استغنت عن النخلة والنخلة حينئذ مبتل وربما قالوا للتلك الفسيلة بتيلة والبتيلة ايضا كل عضو بلحم والجمع بتائل ويقال امرأة مبتلة بتشديد التاء مفتوحة اى تامة الخلق لم يركب لحمها بعضه بعضا ولا يوصف به الرجل وقد تقدم

مبتلة الاعضاء زانت عقودها * بأحسن مما زينتها عقودها

ومن البتل قول عمر بن الخطاب رضى الله عنه عمرة بتيل وحجة بتيل اى مفردة فكان من مذهبه افراد الحج من العمرة واصل البتل ابانة الشئ عن الشئ وتمييزه عنه فان قدمت التاء قلت تبل والتبل العداوة يقال تبلهم الدهر وتبلهم رماهم بصروفه والمرأة تتبل فؤاد الرجل قال الشاعر

تبلت فؤادك فى المنام خريدة * تشفى الضجيع ببارد بسام

وتوبلت القدر جعلت فيها التابل * وام ام فأمر من هذا الفعل وكذلك اذا بنيته لما لم يسم فاعله * يؤم آم الرجل وليس من كلمات البيت ومعناه سار أيما تقول آمت المرأة من زوجها تئيم فهى أيم والجمع ايامى وفى التنزيل وأنكحوا الايامى منكم قال ابن عزيز هم الذين لا ازواج لهم من الرجال والنساء واحدهم أيم ويقال تأيمت المراة وفى حديث عمر بن الخطاب لما تأيمت حفصة الحديث وكان النبى صلى الله عليه وسلم يتعوذ من الايمة والعيمة والغيمة فالايمة ان تطول العزبة والعيمة شدة الشوق الى اللبن يقال ماله آم وعام اى فارق امرأته وذهب لبنه والغيمة شدة العطش وكان ايضا عليه الصلاة والسلام يتعوذ من بوار الايم ويقال الغزو مأيمة اى يقتل الرجال فتصير نساؤهم ايامى وقد تقدم آم النحل اذا دخنها ليشتار ها فهو يؤومها بالايام وهو الدخان * ومن شكله الايم ضرب من الحيات ابيض لطيف ويقال فيه الاين وللخطيب أبى محمد رضى الله عنه فى كلام له ينساب فى توصله الى المآرب انسياب الايم ويلج بلطيف توسله على الشكوك ابواب الخيم انظر هذا الالتزام الذى التزمه هذا الامام وهذا أكثر كلامه فى هذه الرسالة وغيرها انظرها فى التكميل ومن شكل ايم ايم الله فى القسم وايم الله أيضا وفيها لغات غير هذا وقريب من شكل الايامى الايام احذف الالف وشدد الياء والسلام وهى معلومة وايام الله المذكورة فى قوله تعالى وذكرهم بايام الله أى بنعمه قبلهم وذكرهم البلاء كيف

أهلك عدوّهم * ومن شكل الايام الايام بكسر الهمزة وتخفيف الياء وهو الدخان وقد تقدم وجمع الدخان دواخن وكذلك العثان وهو الغبار جمعه عواثن قال ابن قتيبة ولا نظير لهما وبقى من شكل آم آم جمع امة وأنشد

اذا تبارين معا كالآم * فى سبسب مطرد القتام

تقول لفلان ثلاث آم وتجمع أيضا اماء وهى لغة القرآن والحديث ويقال أيضا اموان وأنشد فجمع بين اللغتين فى بيت

اما الاماء فلا يدعوننى ولدا * اذا ترامى بنو الاموان بالعار

وتقول تأمت امة اتخذتها كما تقول عبدت الرجل اتخذته عبدا وفى التنزيل عبدت بنى اسرائيل وربما قالوا استأمت الامة بمعنى استخدمتها وأصل امة اموة والنسبة اليها اموى بالفتح وتصغيرها امية وامية أيضا قبيلة من قريش والنسبة اليهم اموى بالضم وربما فتحوا وربما قال امى فجمع بين اربع ياآت وهو فى الاصل اسم رجل وهما اميتان اصغر وأكبر فالاكبر ابناء عبد شمس بن عبد مناف اولاد عبلة فمن امية الكبرى ابو سفيان بن حرب والعنابس والاعياص وامية الصغرى هم ثلاثة اخوة لام اسمها عبلة يقال لهم العبلات ومن شكل ام وأم اذا جعلت الواو اصلية وأم فعل ماض تقول واممه مواءمة ووآما اذا فعل كما يفعل وهى الموافقة وفى المثل لولا الوآم اهلك الانام يريد لولا الموافقة بين الناس والمساعدة ويقال أيضا لولا الوآم لهلك اللئام والوآم هنا المباهاة يريد أن اللئام اكثر افعالهم انما هى للفخر والمباهاة يتشبهون بالكرام ولولا ذلك لهلكوا ومعكوس ام ما لا ادرى ما اقول فى ما انواعها كثيرة مشهورة مسطورة مأثورة لم تزن فسقتها منثورة وارسم ذلك فيها رسما * اعلم انها تكون حرفا وتكون اسما فهى ايضا تتلون كانها حرباء نعم وتهمز الفهاقة قول ماء ولما رأيت انواعها كثيرة تركتها الا فى مواضع يسيرة غير ذكر الماء فانه لا غنى عنه فا كثرت منه فان اردتها فانظره بعد هذا فى فصل الفوائد ومتى شربته فادع لى بعد على وعليك عائد وأذكر لك هنا جمعه لتنال نفعه اصل ماء موه اعتلت الواو فى الواحد وظهرت فى الجمع فقالوا أمواه ومياه وربما اعلوها ايضا فى الجمع فقالوا امواء قال الراجز

وبلدة قالصة امواؤها * يستن فى رأد الضحى افياؤها

واما ما غير الماء فان اردت معرفتها وما يعمل منها وما لا يعمل فها انا ادلك بكلام مجمل عليك ايها الولد بالجمل فان مؤداه احسن فيه واجمل وذكرها فى موضعين اعلى واسفل فانظرهما هنالك فهى اكفل وعلى اسهل وانه جعل مواضعها تبعه فاحفظها وشد عليها بقبعه ولكن لا اخليك هنا من فائده على ماهنا لك زائده * اعلم ان من وما اختان فى الاستفهام نعم وفى الكناية والاستفهام الا ان من لمن يعقل من الانام وما لمن لا يعقل من الموات والانعام وتكون ما فى موضع من فى اماكن تستحسن فلنذكر ما جاء منها فى القرآن فهو انفع للانسان واسرع للبيان قال ابو عبيدة فى قوله تعالى وما خلق الذكر والانثى قال معناه ومن خلق وكذلك قال فى قوله تعالى والسماء وما بناها والارض وما طحاها ونفس وما سوّاها هى فى هذه المواضع بمعنى من وقال ابو عمرو هى بمعنى الذى قال واهل مكة يقولون اذا سمعوا صوت الرعد سبحان ما سبحت له وسيأتى الكلام على هذه اللفظة فى باب الهاء عند ذكر الرعد ان شاء الله تعالى وقال الفراء هو وخلقه الذكر والانثى وذكر انها فى قراءة عبد الله بن مسعود والذكر والانثى ذكر هذا عنهم ابن قتيبة رحمهم الله وقال المهدوى رحمه الله يجوز أن تكون ما والفعل مصدرا ويجوز أن تكون ما بمعنى الذى واجاز الفراء خفض الذكر والانثى على البدل من ما وجعلها بمعنى الذى * ومن مضاعف هذا الحرف المأمأة وهو صوت الظبية والشاة اذا واصلا أصواتهما فقالا ماء ماء كما تقدم فى قطا قطا وبقى من شكل ما اذا همزت الالف ومددتها آى تقول آى بين القوم ما بآى اى افسد وقد تمأى أى فسد وقد تقدم ما تقدم من الوزان جعلت الميم بين ألفين فقلت اما وخففت كان معناها حقا يقال اما انه منطلق بفتح أن وكسرها فان جعلت الالف للاستفهام فتكون للتقرير فى الكلام وتحذف الالف فتقول ام والله لا افعلن كذا واما اذا شددت الميم فى مثل قولهم اما بعد فان فيها معنى الشرط بدليل دخول الفاء فى الجواب ومن العرب من يبدل من احدى الميمين ياء فيقول فى اما ايما قال الاحوص

ياليتما امنا شالت نعامتها * ايما الى جنة ايما الى نار

واما اما المكسورة فى قوله تعالى فاما يأتينكم منى هدى فهى ان التى للشرط دخلت عليها ما للتأكيد ليصح دخول النون فى الفعل ولو سقطت لم تدخل النون لانها

لا تدخل في الواجب الا في القسم أو ما يشبهه كالاستفهام والامر والنهي فما تؤكد أول الكلام والنون تؤكد آخره وتجيء أما في باب العطف مكسورة مكررة ولها مواضع سوى هذه ذكرها النحويون وكذلك تصرف منها ألفاظا تقول اما واماوامات جمع امة ولكل هذه الالفاظ معنى وحصرها قد عني حتى قلت انها اليك عناه واما ما تلو بها ألف بين حرفين مثل مام فلا أعرف فيه شيئا بقيت الفا فيه مل ومل أمامل بالفتح ففعل تقول منه مللت الشئ أمله ملالا وملالة ومللا اذا سئمته ورجل مل وملول وملولة وملل موضع وكذلك ملال ومن أمثالهم أدل فأمل وقد تقدم وتقول مللت الخبزة أملها ملا اذا رميتها في الجمر والجمر بعينه الملة وقيل الرماد الحار وفلان ذو ملة قال الشاعر

انك والله لذو ملة * يطرفك الادنى عن الابعد

ويقال طريق ممل ومليل قد سلك فيه فصار معلما والملة بالكسر الخصلة التي ينتحلها الانسان من الدين وامتل الرجل أخذ في ملة الاسلام ووجد فلان ملة وملالا وملالة وهو عرق الحمى عافانا الله منها والململة التململ وهو كثرة الاضطراب والتحرك وقلة النوم كأنه يتقلب على الملة وهو الرماد الحار أو الجمر كما تقدم والاملال املاء الكتاب وأمامل فأمر من هذا الفعل أو مبني لما لم يسم فاعله ومن المحدثين عبد الرحمن بن مل ويقال فيه مل بالكسر وهو من جديلة طريف بن مل هذا بالضم فان كسرتها جاء منه مل أمر من مال يميل تقول منه مل الى كذا أي اعطف عليه ومعكوس هاتين اللفظتين لم حرف استفهام ولم من حروف الجزم ومعناه النفي تدخل عليها ما فتصير لما وتعمل عمل لم قال الله تعالى وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وتكون لما بمعنى حين تقول جئته لما قدم فلان وتخفف الميم من هذا فتكون زائدة للتأكيد مثل قوله تعالى وان كل لما جميع لدينا محضرون وان كل نفس لما عليها حافظ * ومن شكل هذه اللفظة لما اذا كتبتها بالالف لهذه السمرة التي تكون في الشفتين تقول من ذلك رجل ألمى وامرأة لمياء كما قال * لمياء في شفتيها حوة لعس * وقد تقدم مع قوله * بالظبي الذي كالمى * وتشدد الميم فتصير لما مصدر لم وفي القرآن أكلا لما أي شديدا يقال لممت الشئ أجمع أي أتيت على آخره ومن شكل لم لم أمر من اللوم ولم منقل فعل ماض تقول منه لم يلم لما بمعنى جمع

وتأمر

وتأمر منه فتقول لم وكذلك اذا بنيته لما لم يسم فاعله وفي الحديث من هذا الفعل من دعائه عليه الصلاة والسلام اللهم اني أسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي وتجمع بها أمري وتلم بها شعثي معناه والله تعالى أعلم تجمع بها ما تشتت من أمري قال الشاعر

لم الاله به شعثا ورم به * أمور أمته والامر منتشر

وقالوا في هلم أصله لم رها التنبيه أسقط الفها لكثرة الاستعمال فمعنى هلم لم نفسك الينا وقرب ويقال رجل ملم معم أي يلم القوم ويعمهم ويقال لم به وألم بمعنى ودفع ذلك الاصمعي ولم يجز الا ألم به الماما وهذا من الرباعي ومعناه المقاربة وفي الحديث من هذا في الامة الحامل التي رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم عند خباء سيدها فقال لعله يريد أن يلم بها لقد هممت أن ألعنه لعنا يدخل معه في قبره وفي الحديث أيضا من قوله عليه الصلاة والسلام حين ذكر الدنيا وزينتها وان من الربيع ما يقتل حبطا أو يلم معناه أو يقارب والحبط مصدر حبط بكسر الباء يحبط حبطا بفتحها أيضا فهو حبط بالكسر وقالوا الحباطة وهو داء يصيب الماشية من كثرة الاكل حتى تنتفخ بطونها فتمرض عنه وجاء في الحديث من ألم قول الشاعر * وأي عبد لك لا ألما * استشهد به النبي صلى الله عليه وسلم وفي القرآن العزيز الا اللمم وهو الصغير من الذنوب واللمم أيضا مس الجنون يقال رجل ملموم وبه لمم ولمة واللملمة استدارة الحجر يقال حجر ململم وكتيبة ململمة وملمومة مجتمعة وقال الشاعر

ما أطيب العيش لو أن الفتى حجر * تنبو الحوادث عنه وهو ملموم

ويقال ألم الرجل كذا بمعنى جمع وأدار ويلملم اسم واد في جهنم أعاذنا الله منه ويلملم موضع ويقال فيه أيضا ألملم بالالف وفي الحديث ويهل أهل اليمن يلملم ويرمرم بالراء اسم جبل ورد بما قالوا فيه يلملم كذا وقع في التاج ومعكوس لم ململ يقال تململ الرجل على فراشه اذا تقلب عليه ولم يأته نوم وقريب من هذه اللفظة لمة بالفتح بمعنى خطرة كما يقال ان قلب العبد بين لمتين لمة من الملك ولمة من الشيطان واللمة بالكسر الشعر اذا جاوز شحمة الاذن والجمع لمم وفي الحديث في صفة موسى عليه الصلاة والسلام له لمة كأحسن ما أنت راء من اللمم فاذا بلغ الشعر المنكبين فهي جمة والجمة أكبر من الوفرة والجمع جمم بالضم وجمام بالكسر وقد تقدم ويقال للرجل

الطويل الجمة جمانى بالنون على غير قياس ولو سميت به رجلا ثم نسبت اليه لقلت جمى ورتب قوم من أهل اللغة هذا فقالوا الوفرة ثم الجمة ثم اللمة ألمت بالمنكبين واللمة بالضم مع تخفيف الميم الجماعة من الناس وجمعها اللمات وقال ابن الاعرابى اللمات من الرجل المترافقون فى الحديث لينزوج الرجل لمته أى شكله ومثله واللمة أيضا الاسوة واللامة بالتشديد ما تخافه من مس أو فزع والعين اللامة التى تصيب الانسان وكان النبى عليه الصلاة والسلام يعوذ الحسن والحسين فيقول أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة قال أبو عبيد فى تفسير هذا الحديث قوله لامة ولم يقل ملمة وأصلها من ألممت الماما فأنا ملم يقال ذلك للشىء تأتيه وتلم به وقد يكون هذا من غير وجهين أن لا يكون يريد من طريق الفعل ولكن يريد انها ذات لمم فتقول على هذا لامة كما قال الشاعر * كلينى لهم يا أميمة ناصب * وانما هو منصب فأراد انه ذو نصب ومنه قول الله تعالى وأرسلنا الرياح لواقح واحدتها لاقح على معنى انها ذات لقح ولو كان على معنى الفعل لكان ملاقح لانها تلقح السحاب والشجر وقد روى عن عمر رضى الله عنه لا أوتى بحال ولا محلل له الا رجمتهما ان كان محفوظا وهو من أحللت المرأة لزوجها وانما الكلام أن يقال محل وقد تقدم هذا فى باب الحاء واللامة بالتخفيف الدرع والسلاح وجمعها لوم على غير قياس ويسمى السلاح أيضا الحلقة وفى الحديث نزهتك الحلقة يعنى السلاح فى قصة كعب بن الاشرف وفى حديث آخر دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلبس لامته وفى آخر الحديث ما ينبغى لنبى اذا لبس لامته أن يضعها حتى يقاتل وخرج ثابت ان جبريل عليه الصلاة والسلام أتى النبى صلى الله عليه وسلم يوم الخندق وقد وضع اللامة فقال عذيرك من محارب قال ثابت نصبوا عذيرك على هلم معذرتك ويقال ايای من فلان اى من يعذرنى من فلان ويقال من اللامة استلأم الرجل اذا لبس السلاح فهو مستلئم ومنه قول الشاعر * اذا ركبوا الخيل واستلأموا البيت * بقى لام بين ميمين مثل ملم اسم فاعل من ألم كما تقول مكب من اكب وأمامين بين لامين مثل الل فما لا أعرفه الا ان أدخلت لام التأكيد على مل أو لام الجر فتقول لل اسم رجل وقد تقدم الكلام فى اللام فى أول الكتاب وبقى الكلام فى الميم هى من الحروف المزلقة مخرجها من بين الشفتين وقد تقدم اجتماعها مع الباء أختها وكيف تبدل

احداهما من الاخرى فى مثل مكة وبكة على احد القولين وقولهم بااسملك يريدون مااسمك والميم من حروف الزوائد تزاد فى اول الكلمة مثل مغفور وليس فى الكلام مثله الا مغرود وهو الكمأة الصغار ويقال فيه أيضا الغردة والغردة والجمع غرادوا ما المغفور فهو صمغ العرفط وهو شجر والجمع مغافير ويقال خرج القوم يتمغفرون اذا خرجوا يجتنونه وقد أغفر العرفط اذا كان ذلك به ويقال ايضا المغفار والمغفر ويقال المغفار صمغ الاجاص والميم فى هذا كله زائدة قال الزبيدى كل ميم فى أول كلمة على أربعة أحرف يقضى عليها بالزيادة حتى يأتى ثبت من اشتقاق أو بناء ثم ذكر المحاسن والمذاكير وقال لا واحد لهما على قياس الجمع وقال ثابت فى الدلائل قالوا مفاقر جمع فقر كما قالوا محاسن ومذاكير وأنشد لاسماعيل الاسدى

أفدت الغنى من بعد ستين حجة * وقد أثرت فى صفحتيك المفاقر
وكنت كأم البو تلحس متنه * مضت حقب من دهرها وهى عاقر

وقالوا أطايب الجزور ومطايب وقال ج جمعوا الذكر الذى هو العضو مذاكير على غير قياس للفرق بينه وبين الذكر الذى هو الفحل جمعوا هذا على ذكور وذكران وذكارة وقال الاخفش هو من الجمع الذى لا واحد له مثل عباديد وابابيل وذكور الحديد خلاف الانيث وذكور البقل ما غلظ منه والى المرارة هو وهذه زيادة الميم فى الاول كما تقدم وتزاد أيضا فى الآخر فى مثل قولهم اللهم ويجىء من لفظة ميم فعل مبنى لما لم يسم فاعله فتقول ميم الرجل فهو مموم اذا أصابه الموم وهو البرسام قال ذو الرمة * أو كان صاحب أرض أو به الموم * والارض هنا الرعدة ومنه قول ابن عباس رضى الله عنهما أزلزلت الارض أم بى أرض والموم ايضا الشمع معرب ومامة اسم ومنه كعب بن مامة * وقد تقدم ان العرب لم تكن تعرف شكل الحروف وقال الاصمعى سمعت غلاما اعرابيا يقول لغلمة قد أزقتم هذه الاوقة حتى جعلتموها كالميم ثم أدخل منجمه يعنى عقبه فيها فنجنجه يعنى حركه حتى أفهقها يعنى وسعها ومعنى أزقتم ضيقتم والاوقة الحفرة والمأزق الضيق من مضايق الحرب ورأيت فى هذه الحكاية انه سئل ذلك الغلام من اين تعرف الميم فقال لا أميزه لكن أعرف انه شىء ضيق أو كما قال هذا معناه

خرجت من أم الى ابن الى * بنت وان لم يك فى ذين ميم

لكن هما فرعان عنها ومن * ذا أتيا فى بابها ياحميم
ثم انتهى القول الى من به الموم فقل عنه اذا شئت ميم
وكله علم ويحتاجه * من كان محتاجا العلم عميم
و بعد ذا آخذ فى فائد الباب فبغدو بعد وهو التميم

(فصل) من فوائد الباب تقدم أم وذلك معلوم والدة قال الله تعالى فرددناه الى أمه وتجمع على امهات قال الله تعالى ان أمهاتهم الا اللائى ولدنهم وتجمع أيضا أمات و يقال أيضا فى الأم أمهة قال الشاعر

أمهتى خندف الياس أبى * وهذا البيت لقصى وقبله

* انى لدى الحرب رخى اللبب * وأم كل شئ أصله ومنه ام القرى يعنى مكة شرفها الله تعالى لان الارض دحيت من تحتها وقال البخارى لانها توسطت الارض ويجمع بين القولين دحيت من تحتها وهى فى وسطها و يقال لها ايضا أم رحم لان الرحمة تنزل فيها وقوله تعالى وانه فى ام الكتاب أصل الكتاب يعنى اللوح المحفوظ وأم القرآن فاتحة الكتاب يعنى سورة الحمد لانها يبتدأ بها فى كل صلاة قاله أبو عبيدة وقال البخارى سميت ام الكتاب لانه يبتدأ بكتابتها فى المصاحف وبقراءتها فى الصلاة وخرج الترمذى عن أبى بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله أم القرآن وام الكتاب والسبع المثانى وتقدم أم الدماغ وفى الحديث من هذا وقد سئل صلى الله عليه وسلم عن عمه أبى طالب وكان يحوطه ويحميه فقال لعله تنفعه شفاعتى يوم القيامة فيجعل فى ضحضاح من نار تغلى منه ام دماغه وتقدم ام مثواى وجاء منه فى الحديث ان رجلا قيل له متى عهدك بالنساء فقال البارحة قيل بمن فقال بأم مثواى فقيل له أما علمت ان الله عز وجل قد حرم الزنا فقال والله ما علمت فجيء به الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال استحلفوه بين القبر والمنبر انه ما علم فان حلف فخلوا سبيله قلت كان هذا فى أول الاسلام ومع جهل الاعراب فأما اليوم فلا يعذر احد فى ذلك وان ادعى الجهل وتقدم فأمه هاوية الهاوية اسم من اسماء النار وهو الباب الاسفل من أبوابها السبعة اعلاها جهنم ثم سقر ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم الجحيم ثم الهاوية نعوذ بالله من جميعها ويجمعها كلها اسمان جهنم والنار ومعنى امه مسكنه لان الاصل فى السكون الى الامهات وجاء فى الحديث عن الحسن رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ارواحكم تعرض

على عشائركم وقرابتكم من موتاكم فاذا مات الميت استقبلوه كما يستقبل البشير فيقولون دعوه حتى يسكن ما به فانه قد كان فى كرب وغم فيسألونه عن الرجل فاذا ذكر خيرا حمدوا الله واستبشروا وقالوا اللهم سددوا واذا ذكر شرا استغفروا الله فاذا سألوه عن انسان قد مات قبله قال انه قد مات قبلى أما مر بكم فيقولون انا لله وانا اليه راجعون ذهب به الى امه الهاوية بئست الام و بئست المربية فما يزالون يسألونه حتى يقولوا اهل تزوج فلان هل تزوجت فلانة* وتقدم أمة وذكر فيها زيد بن عمرو بن نفيل وتقدم ذكره فى باب الدال انظره ايها الولد عند ذكر من وأد* ووقع فى البخارى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيه يبعث امة وحده وكان قد أدرك النبى صلى الله عليه وسلم قبل ان يوحى اليه وكانت له اخبار فى خروجه من مكة يطلب الدين وقال البخارى بسنده الى اسماء بنت ابى بكر الصديق رضى الله عنهما قالت رأيت زيد بن عمرو بن نفيل قائما مسندا ظهره الى الكعبة يقول يا معشر قريش والله ما منكم على دين ابراهيم غيرى وقد تقدم كيف كان يحيي الموؤدة يقول للرجل اذا اراد ان يقتل ابنته لا تقتلها انا اكفيك مؤنتها فيأخذها فاذا ترعرعت قال لابيها ان شئت دفعتها اليك وان شئت كفيتك مؤنتها وكان ينكر على قومه عبادة الاوثان وحرم على نفسه كل شئ حرمه الله من الدم والذبيحة على النصب و يقول الشاة خلقها الله وانزل لها من السماء الماء وانبت لها من الارض ثم تذبحونها على غير اسم الله انى لست آكل مما تذبحون على انصابكم ولا آكل الا مما ذكر اسم الله عليه وكان يقول انا على دين ابراهيم وانا ساجد نحو الكعبة التى بنى ابراهيم عليه الصلاة والسلام فيسجد نحو الكعبة وهو الذى يقول

اسلمت نفسى لمن اسلمت * له المزن تحمل عذبا زلالا

فى ابيات له وكان ابنه سعيد بن زيد رضى الله عنه من كبار الصحابة وهو واحد العشرة الذين شهد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة وكانت أخته عاتكة بنت زيد تحت عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقد تقدم خبرها معه فى خروجها الى المسجد وسأل سعيد بن زيد وعمر بن الخطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن زيد ابن عمرو أنستغفر له يا رسول الله فقال نعم فانه يبعث يوم القيامة أمة وحده وممن قيل فيه أمة وحده معاذ بن جبل قال ابن مسعود رضى الله عنهما ان معاذا كان أمة قانتا

لله حنيفا فقال له بعض أصحابه ان ابراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا فقال ما نسيت هل تدرى ما الامة وما القانت فقلت له الله أعلم فقال الامة الذى يعلم الخير والقانت المطيع لله عزوجل وكان معاذ بن جبل يعلم الناس الخير وكان مطيعا لله ولرسوله وقع هذا الخبر فى الحلية وممن آمن بالنبى صلى الله عليه وسلم قبل المبعث ورقة بن نوفل ابن أسد بن عبد العزى وهو ابن عم خديجة زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى عنها وهو الذى يقول

لقد نصحت لاقوام وقلت لهم * أنا النذير فلا يغرركم أحد
لا تعبدن الها غير خالقكم * فان دعوكم فقولوا بيننا حدد
سبحان ذى العرش سبحانا يدوم له * وقبلنا سبح الجودى والجمد
مسخر كل ما تحت السماء له * لا ينبغى أن يناوى ملكه أحد
لا شئ مما ترى تبقى بشاشته * يبقى الاله ويودى المال والولد

فى أبيات له وسئل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لقد رأيته فى المنام عليه ثياب بيض فقد أظن ان لو كان من أهل النار لم أر عليه البياض ذكره الترمذى وهو الذى قال لخديجة رضى الله عنها وقد سألته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اول ما جاءه جبريل عليه السلام وتفزع منه فقال قدوس قدوس والذى نفس ورقة بيده ان كنت صدقتنى يا خديجة لقد جاءه الناموس الاكبر الذى كان يأتى موسى وانه لنبى هذه الامة واجتمع مع النبى صلى الله عليه وسلم وقال له ان يدركنى يومك أنصرك نصرا مؤزرا قال المازرى رحمه الله فى كتاب المعلم الناموس أى رسول الخير وقال أبو عبيد فى مصنفه الناموس جبريل عليه والسلام قال المطرز قال ابن الاعرابى لم يأت فى الكلام فاعول لام الفعل منه سين الا الناموس والجاسوس وهو صاحب سر الشر والجاروس الكثير الاكل والفاعوس بالفاء الحية والباعوس الصغير الرضيع والراموس القبر والقاموس وسط البحر والقابوس الجميل الوجه والعاطوس دابة يتشاءم بها والغاموس التمام والجاموس ضرب من البقر وزاد غيره الحاسوس بالحاء غير معجمة وهو بمعنى الجاسوس قال المازرى ووقع فى كتاب مسلم فى حديث ان هؤلاء الكلمات بلغن ناعوس البحر انتهى كلامه وخرج ابن قتيبة فى غريب الحديث فى حديث ابن عباس رضى الله عنهما وسئل عن المد والجزر فقال هو ملك موكل بقاموس

البحر

البحر فاذا وضع قدمه فاض واذا رفعها غاض قال ابن قتيبة القاموس من البحر وسطه ومعظمه وهو فاعول من القمس والقمس الغوص والقلمس البحر نفسه وهو الرجاف أيضا انتهى كلامه وفى الشعر * حتى تغيب الشمس فى الرجاف * سمى بذلك لرجفانه وهو اضطرابه والله أعلم وذكر البكرى ان جبل أبى قبيس الذى بمكة يقال له ايضا أبو قابوس وفى رجال أبى داود وهب بن جابوس بالباء والنون وتقدم فى هذا الفصل البابوس الصغير الرضيع ومنه قول جريج الراهب للطفل الذى ادعت أمه انه زنى بها وكانت بغيا من بغايا بنى اسرائيل وقد شاعت فيهم عبادة جريج وصلاته فقالت لقومها ان شئتم لأفتننه لكم فجاءت اليه لتفتنه فتعرضت له فأعرض عنها فأمكنت نفسها من راعى غنم كان يأوى الى صومعة جريج فأحبلها فلما وضعت قالت هو من جريج فجاء الناس اليه وانزلوه من صومعته وهدموها وجعلوا يضربونه ويقولون له زنيت بهذه المرأة وقد ولدت منك فقال دعونى أصلى فصلى ثم دعا ثم أتى الغلام فقال يا غلام أو يا بابوس من أبوك فقال الراعى فعلموا ان المرأة قد كذبت عليه فأقبلوا يقبلونه ويعتذرون اليه وسألوه أن يبنوا صومعته من ذهب فقال ابنوها من طين كما كانت ففعلوا رضى الله عنه وتقدم ويلمه محش حرب وفى باب لام ألف يأتى معنى ويلمه ان شاء الله تعالى وقال هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى بصير وكان أسلم بمكة فحبسه أهله لئلا يهرب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة فانفلت منهم وفر الى المدينة فأرسل أهله فى رده اليهم رجلين فخرج معهما ليرداه الى مكة فقتل أحدهما فى الطريق ورجع الى المدينة فحينئذ قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ويلمه محش حرب لو كان معه رجال والمحش الذى يوقد النار فلما سمع أبو بصير ذلك من النبى صلى الله عليه وسلم وخشى أن يرسل أهله فى شأنه فيرده أيضا خرج الى العيص وهو موضع بين مكة والمدينة وسمع به كل من كان محبوسا بمكة ليفتن عن دينه فجعلوا يأتون اليه بالعيص حتى اجتمع اليه ثلثمائة فكانوا يضيقون على قريش ولا تمر بهم رفقة لاهل مكة الا اقتطعوها حتى كتبت قريش الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تسأله ان يؤويهم اليه فكتب اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرهم باللحوق به الى المدينة فورد الكتاب وأبو بصير رضى الله عنه فى الموت يجود بنفسه فجعل يقرؤه ويسر به حتى قبض والكتاب على صدره رضى الله عنه فبنى عليه

هنالك مسجد وكان كثيرا ما يقول هنالك رضى الله عنه

الله ربى العلى الاكبر * من ينصر الله فسوف ينصر * ويقع الامر على ما يقدر *

وكان أبو بصير يصلى بأصحابه فلما انفلت أبو جندل من أيدى المشركين ولحق بأبى بصير كان هو الامام لانه كان قرشيا والنبى صلى الله عليه وسلم يقول الائمة من قريش واسم أبى جندل العاص بن سهيل فتسل هو وأبوه بالشأم فى خلافة عمر ابن الخطاب رضى الله عنه وتوفى ايضا الحارث بن هشام مجاهدا رضى الله عنه وتقدم فى هذا الخبر الائمة من قريش فأذكرنى ذلك أبياتا أنشدنيها الحافظ السلفى بالاسكندرية لنفسه وكان شافعى المذهب رضى الله عنه قال

امامى الشافعى وحين أنتى * بمذهبه المهذب طاب عيشى

وانى لا أبالى بانفرادى * لقوة حجتى فى ألف جيش

وقد قال النبى وصح عنه * ألا ان الائمة من قريش

قلت ما أبرك العلم وأنفعه وأيسره وأوسعه كنت أقرأ على هذا العالم رحمه الله وكان يقرأ فى مسكنه باعلا المدرسة ولم تمكنى صلاة خلفه قط فكنت أجد فى نفسى من ذلك فلما كان ذات يوم قال لنا ان فلانا من أصحابنا بلغنى انه توفى بمصر فهلم فلنصل عليه ههنا فقام وصلينا وراءه فسررت بصلاتى خلفه لفضله ودينه وهذا مذهب الشافعى رضى الله عنه فى الصلاة على الغائب وحجته صلاة النبى صلى الله عليه وسلم على النجاشى وهو فى بلاد الحبشة والنبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة وتقدم ذكر آمين وانه من أسماء الله تعالى وجاء فى فضله قوله عليه الصلاة والسلام اذا قال أحدكم فى الصلاة آمين وقالت الملائكة فى السماء آمين فوافقت احداهما الاخرى غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وقيل فى قول ابى هريرة رضى الله عنه من فاته قراءة أم القرآن فقد فاته خير كثير انما يعنى بذلك قول آمين لما فيها من الفضل وفى فضلها قال النبى صلى الله عليه وسلم ما حسدكم اليهود على شئ ما حسدوكم على آمين والسلام وسمع أحد العلماء من الفضلاء قبل أن يكبر يقول

يارب لا تسلبنى حبها أبدا * ويرحم الله عبدا قال آمينا

فلما فرغ من الصلاة قيل له ببيت غزل تفتتح صلاتك فقال والله ما عنيت الا حب الصلاة رضى الله عنه وتقدم قوله تعالى ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون خرج الترمذى عن البراء بن عازب رضى الله عنه قال نزلت فينا معشر الانصار وكنا

أصحاب نخل فكان الرجل يأتى من نخله على قدر كثرته وقلته وكان الرجل يأتى بالقنو والقنوين فيعلقه فى المسجد وكان أهل الصفة ليس لهم طعام وكان أحدهم اذا جاع أتى القنو فضربه بعصاه فيسقط من البسر والتمر فيأكل وكان اناس ممن لا يرغب فى الخير يأتى الرجل منهم بالقنو فيه الشيص والحشف وبالقنو قد انكسر فيعلقه فأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الارض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه الا أن تغمضوا فيه قال ولو أن أحدكم أهدى اليه مثل ما أعطاه لم يأخذه الا على اغماض وحياء قال فكنا بعد ذلك يأتى الرجل بصالح ما عنده * قلت هؤلاء كانوا يتلون القرآن حق تلاوته فسره ابن سلام قال قتادة هم أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم آمنوا بكتاب الله فأحلوا حلاله واجتنبوا حرامه وعملوا بما فيه كما فعل هؤلاء الذين كانوا يأتون بصالح ما عندهم بعد نزول الآية ومثله قوله تعالى ويؤثرون على أنفسهم وقد تقدم من فعل ذلك ومثله لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وقد تقدم ايضا من ذلك فعل مثل ابى طلحة الذى تصدق بحائط بيرحاء ومثل عمر ابن الخطاب رضى الله عنه اعتق زينب جاريته لما كان يحبها وكان بعضهم يتصدق بالسكر ويقول انى أحبه ويتلو الآية * قلت ذهب الصالحون انا لله وانا اليه راجعون وانظر ما فى ضمن هذه الآية يتلونه حق تلاوته ان قلت ان تلاه يتلوه معناه قرأه تقول لك وتلاه يتلوه ايضا معناه اتبعه ومشى على أثره وقد تقدم هذا المعنى فى قافية باب الباء وقولهم ناقة متلية أى يتبعها اولادها كذلك كان القوم الذين مضوا تلوا فتلوا كما تقول قرؤا فقروا كذلك اتبعوا فانتفعوا واما نحن اليوم فان أفضل القوم من اتخذ قراءته عملا ولم يكن اولئك كذلك انما كانوا يعلمون ويعملون * وقال الجنيد رضى الله عنه لا تطلب الفضائل من باب الجود الحلم بما من طريق بذل المجهود واعلى من هذا المقام من كان يعمل لا لحظ خلق وأول الخلق النفس فلا يعمل لاجل ما يعود عليها من حظها الا لطلب جنة ولا لنجاة من نار بل يعمل لاجل التعظيم والاجلال كما قالت رابعة رضى الله عنها أرأيت لو لم يخلق جنة ولا نارا أما كان اهلا أن يطاع هذا مقام ليس عندنا منه رائحة ولا لاحت علينا منه لائحة فحسبنا الله وما التوفيق الا من عند الله نسأل الله التوفيق وسلوك ذلك الطريق واتباع اولئك الفريق * ومن لفظ تيمم البيت الذى تقدم الذى

هو * تيممت العين التى عند ضارج * وهو جبل معروف * يفئ عليه الظل عرمضها طامى * العرمض نبات اخضر يعلو الماء ألا تراه يقول طامى أى مرتفع ويقال له ايضا نور الماء ولهذا البيت خبر عجيب ذكر البكرى أن ركبا من اليمن خرجوا يريدون رسول الله صلى الله عليه وسلم فأصابهم ظمأ شديد كاد يقطع اعناقهم فلما أتوا ضارجا ذكر أحدهم قول امرئ القيس

ولما رأت أن الشريعة همها * وان البياض من فرائصها دامى

تيممت العين التى عند ضارج * البيت فقال أحدهم والله ما وصف امرؤ القيس شيئا الا على حقيقة وعلم فالتمسوا الماء فهذا ضارج وكان ذلك وقت الظهيرة فمشوا على فىء الجبل حتى عثروا على العين فسقوا واستقوا فلما أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا رسول الله لولا بيتان لامرئ القيس لهلكنا وأنشدوه اياهما فقال ذلك نبيه الذكر فى الدنيا خامله فى الآخرة كأنى أنظر اليه يوم القيامة بيده لواء الشعراء الى النار نعوذ بالله من النار * وتقدم آمت المرأة وتأيمت جاء منه فى الحديث عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما تأيمت حفصة بنت عمر من خنيس بن حذافة السهمى وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد شهد بدرا فتوفى بالمدينة قال عمر فلقيت عثمان فعرضت عليه حفصة فقلت ان شئت أنكحتك حفصة بنت عمر فقال سأنظر فى أمرى فلبثت أياما ثم لقينى فقال قد بدا لى أن لا اتزوج يومى هذا قال عمر فلقيت أبا بكر الصديق فقلت له ان شئت أنكحتك حفصة فصمت أبو بكر ولم يرجع الى شيئا فكنت عليه أوجد منى على عثمان فلبثنا ليالى ثم خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنكحتها اياه فلقينى أبو بكر فقال لعلك وجدت على حين عرضت على حفصة فلم أرجع اليك قلت نعم قال فانه لم يمنعنى أن ارجع اليك فيما عرضت على الا انى قد علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ذكرها فلم أكن لأفشى سر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو تركها لقبلتها وتقدم فى البيت وان تخاطبك تبلت وذلك افرط الحياء والحياء ممدود من الاستحياء وكذلك حياء الناقة فرجها والحيا مقصور المطر والخصب ومن الحياء المحمود الممدوح فى النساء ما ذكر عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه وذكر قول الله تعالى فجاءته احداهما تمشى على استحياء قال قائلة بكمها على وجهها ليست بسلفع من النساء خراجة ولاجة

خرجه ثابت وقال يقال رجل سلفع وهو الجرئ الجسور وامرأة سلفع الذكر والانثى فيه سواء وهى من النساء السليطة وقالت عائشة رضى الله عنها نعم النساء نساء الانصار لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن فى الدين ولذلك قالوا لا يتعلم العلم مستحى ولا متكبر واذكر عثمان رضى الله عنه وشدة حيائه وقد تقدم انه كان يكون فى البيت والباب عليه مغلق فما يضع عنه الثوب ليفيض عليه الماء يمنعه الحياء أن يقيم صلبه ومثله قال أبو موسى الاشعرى رضى الله عنه انى لاغتسل فى البيت المظلم فما أقيم صلبى حتى آخذ ثيابى حياء من ربى وقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه فى خطبته يا معشر المسلمين استحيوا من الله فوالذى نفسى بيده انى لأظل فما أذهب الى الغائط فى الفضاء الا وأنا مقنع بثوبى استحياء من ربى انظر قول ابى بكر الصديق رضى الله عنه وكثرة استحيائه واذكر قول بعض الاعراب وقلة حيائه وكان يسرق الابل من أربابها ويأتى البيوت من غير ابوابها فالكثرة لصوصيته وقلة خصوصيته كان يطوف والحبل فى يده وينشد فى تردده

وانى لأستحيى من الله أن أرى * أطوف بحبل ليس فيه بعير
وان أسأل المرء اللئيم بعيره * وبعران ربى فى البلاد كثير

أتراك يا ابن الماء لو أقسمت باعظم الاسماء أن بينهما ما بين الارض والسماء أكنت حانثا عند العلماء أو الحكماء رضى الله عن أبى بكر ما أكثر الحياء والستر وتاب على ذى المكر اخى الخيانة والختر وجاء عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ما كان الفحش فى شئ الا شانه وما كان الحياء فى شئ الا زانه وفى حديث آخر الحياء من الايمان والايمان فى الجنة والبذاء من الجفاء والجفاء فى النار وفى حديث لكل دين خلق وخلق الاسلام الحياء فمن لا حياء له لا دين له وفى رقائق ابن المبارك رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلكم يحب أن يدخل الجنة قالوا نعم جعلنا الله فداك قال فاقصروا من الامل وثبتوا آجالكم بين أبصاركم واستحيوا من الله حق الحياء قالوا يا رسول الله كلنا نستحيى من الله قال ليس كذلك الحياء من الله ولكن هو أن لا تنسوا المقابر والبلا ولا تنسوا الجوف وما وعى ولا تنسوا الرأس وما احتوى ومن يشتهى كرامة الآخرة يدع زينة الدنيا هنالك استحيا العبد من ربه هنالك أصاب ولاية الله كما جاء فى الحديث الحياء شعبة من الايمان * وقال ابن قتيبة انما جعله من الايمان وهو غريزة لان المستحى ينقطع

بالحياء عن المعاصى وان لم تكن له تقية فصار كالايمان الذى يقطع عنها وسأل رجل الحسن فقال يأتينى الرجل وانا أمقته ما أعطيه الاحياء فهل لى فى ذلك من أجر قال ان ذلك من المعروف وان فى المعروف لأجرا وفى الشهاب اذا لم تستح فاصنع ماشئت بمعنى أتيت ما يقبح ولم تستح والوجه الآخر أن يكون على وجه الوعيد كقول الله عز وجل اعملوا ماشئتم انى بما تعملون بصير وكما قال تعالى واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم فى الاموال والاولاد وعدهم وكقول النبى صلى الله عليه وسلم من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار وفيه وجه ثالث أن يكون بمعنى الامر كانه قال اصنع ماشئت من الامر الذى لا تستحى منه وما تستحى منه فلا تفعله وفيه وجه رابع الرجل يريد فعل الخير فيردعه الحياء من الناس كأنه يخاف مذهب الرياء فقال لا يمنعك الحياء أن تمضى لما أردت كما جاء فى الحديث اذا جاءك الشيطان وأنت تصلى فقال انك مراء فزدها طولا وفيه وجه خامس انه على وجه الذم بمعنى من لا يستحى صنع ماشاء على معنى الخبر كما قال الشاعر

اذا لم تخش عاقبة الليالى * ولم تستحى فاصنع ماتشاء

وكما قال آخر

اذا لم تصن عرضا ولم تخش خالقا * وتستحى مخلوقا فما شئت فاصنع

ويقال استحى واستحيي وقال الشاعر * أما تستحى ان ترعوى أو تفكر * قال بعضهم الحياء على وجوه حياء الجناية كآدم عليه السلام لما قيل له أفرارا منا يا آدم قال بل حياء منك وحياء التقصير كالملائكة يقولون ماعبدناك حق عبادتك وحياء الاجلال كحياء اسرافيل عليه السلام تسربل بجناحه حياء من الله تعالى وحياء الكرم كالنبى عليه الصلاة والسلام كان يستحى من أمته من أن يقول اخرجوا فقال تعالى ولا مستأنسين لحديث وحياء خشية كعلى رضى الله عنه حين سأل المقداد حتى سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حكم المذى لمكان فاطمة رضى الله عنها منه وحياء استحقار كموسى عليه السلام قال انه لتعرض الى الحاجة من الدنيا فاستحى أن أسألكها يارب فقال الله تعالى اسألنى عن ملح عجينك وعلف شاتك وحياء الانعام وهو حياء الرب سبحانه يدفع الى عبده كتابا مختوما بعد ما عبر الصراط فاذا فيه فعلت مافعلت ولقد استحييت أن أظهره عليك

فاذهب

فاذهب فانى قد غفرت لك سمعت الاستاذ أبا على الدقاق يقول فى هذا الخبر أن يحيى ابن معاذ قال سبحان من يذنب العبد فيستحى هو وفى بعض الكتب ما أنصفنى عبدى يدعونى فاستحى أن أرده ويعصينى ولا يستحى منى وقال يحيى بن معاذ من استحى من الله مطيعا استحى الله منه وهو مذنب وقال الاستاذ واعلم ان الحياء يوجب التذويب فيقال الحياء ذوبان الحشى لاطلاع المولى ويقال الحياء انقباض القلب لاطلاع الرب وقيل اذا جلس الرجل ليعظ الناس ناداه ملكاه عظ نفسك بما تعظ به أخاك والا فاستحى من سيدك فانه يراك وسئل الجنيد عن الحياء فقال رؤية الآلاء ورؤية التقصير فيتولد من بينهما حالة تسمى الحياء * وتقدم استأميت الامة استخدمتها ومنه حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن رجلا من بنى مدلج كانت له أمة جارية فأصاب منها ابنا فلما شب قال لابيه حتى متى تستأمى أمى فحذفه بالسيف فمات فقال له عمر رضى الله عنه لولا انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يقاد الاب بابنه لقتلتك لكن هلم ديته فقسمها على ورثته وترك أباه خرجه ثابت رحمه الله وتقدم قول ابن هبيرة نمت نومة الامة كان خالد بن عبد الله قد سجن ابراهيم بن هبيرة فامر ابن هبيرة غلمانه فحفروا له تحت الارض حتى خرج الحفر تحت سريره من السجن ثم خرج ليلا وقد أعدت له أفراس تداولها حتى أتى مسلمة بن عبد الملك فاستجاره فأجاره فلما لقيه خالد قال له أبقت اباق العبد فقال له ابن هبيرة حين نمت نومة الامة وفى ابن هبيرة وصنيعه ذلك يقول الفرزدق

ولما رأيت الارض قد سد ظهرها * فلم يبق الا بطنها لك مخرجا

خرجت ولم تمنن عليك شفاعة * سوى ربة التقريب من نسل اعوجا

اغر من الحو اللهاميم اذجرى * جرى جرى محبوك القرى غير أفلجا

فأصبحت تحت الارض قد سرت سيرة * وما سار سار مثلها حين أدلجا

ويروى قد سرت ليلة وله يقول ابن هبيرة ما رأيت أشرف من الفرزدق هجانى أميرا ومدحنى أسيرا قلت لقد بر ابن هبيرة وصدق فيما ذكر من شرف الفرزدق واذ وقع ذكره فدونك حكاية يتبين فيها شرفه وفخره حج هشام بن عبد الملك فى خلافة ابيه عبد الملك بن مروان فلما طاف بالبيت وأتى الحجر زاحمه الناس فجعله رجال أهل الشأم على سرير فحملوه على اعناقهم فبينما هم يطوفون به اذ دخل على باب المسجد شاب وعليه مئزر وازار وفى جبهته كأنها ركبة عنز كأنها الشمس

تطلع من بين حاجبيه فبدأ بالطواف فلما أتى الحجر فرج له الناس عنه هيبة له واجلالا فأغاظ ذلك هشام بن عبد الملك غيظا شديدا فقالوا له من هذا يا ابن أمير المؤمنين فقال لهم لا أعرفه لئلا يفتتن به رجال أهل الشام وكان الفرزدق بالحضرة فقال انا أعرفه يا ابن أمير المؤمنين قال له فقل فأنشأ الفرزدق يقول

هذا الذى تعرف البطحاء وطأته * والبيت يعرفه والحل والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلهم * هذا التقى النقى الطاهر العلم
اذا رأته قريش قال قائلها * الى مكارم هذا ينتهى الكرم
ينمى الى ذروة المجد التى قصرت * عن نيلها عرب الاسلام والعجم
يكاد يمسكه عرفان راحته * ركن الحطيم اذا ما جاء يستلم
بكفه خيزران ريحه عبق * من كف أروع فى عرنينه شمم
يغضى حياء ويغضى من مهابته * فما يكلم الا حين يبتسم
ينجاب نور الدجى عن نور غرته * كالشمس ينجاب عن اشراقها القتم
مشتقة من رسول الله نبعته * طابت عناصره والخيم والشيم
هذا ابن فاطمة ان كنت جاهله * بجده أنبياء الله قد ختموا
هذا ابن علي حسين وابن فاطمة * بنت الرسول الذى انجابت به الظلم
وليس قولك لا أدرى بضائره * العرب تعرف من أنكرت والعجم
الله فضله قدما وشرفه * جرى بذاك له فى لوحه القلم
من جده دان فضل الانبياء له * وفضل أمته دانت له الامم
عم البرية بالاحسان وانقشعت * عنها الغيابة والاملاق والظلم
كلتا يديه غياث عم نفعهما * يستوكفان ولا يعروهما العدم
لا يخلف الوعد ميمون نقيبته * رحب الفناء أريب حين يعتزم
سهل الخليقة لا تخشى بوادره * يزينه خلتان الحلم والكرم
حمال أثقال أقوام اذا افتدحوا * حلو الشمائل تحلو عنده نعم
من معشر حبهم دين وبغضهم * كفر وقربهم منجى ومعتصم
يستدفع الضر والبلوى بحبهم * ويستدام به الاحسان والنعم
مقدم بعد ذكر الله ذكرهم * فى كل أمر ومختوم به الكلام
ان عد أهل التقى كانوا أئمتهم * أو قيل من خير أهل الارض قيل هم

لا يستطيع

لا يستطيع جواد بعد غايتهم * ولا يدانيهم قوم وان كرموا
هم الغيوث اذا ما أزمة أزمت * والاسد أسد الشرى والبأس محتدم
لا ينقص العسر بسطا من أكفهم * سيان ذلك ان أثروا وان عدموا
يأبى لهم أن يحل الضيم ساحتهم * خيم كريم وأيد بالندى خضم
أى الخلائق ليست فى رقابهم * لأولية هذا أوله نعم
من يعرف الله يعرف أولية ذا * والدين من بيت هذا ناله الامم

قال فأغاظ ذلك هشام بن عبد الملك غيظا شديدا فأمر به الى السجن فسجن بعسفان فبلغ ذلك على بن الحسين فبعث اليه بأربعة آلاف درهم فردها الفرزدق وكتب اليه انما مدحتك بما أنت أهله فردها ابن الحسين وكتب اليه ان خذها وتعاون بها على دهرك فانى من أهل بيت لا يحل لى ان ارجع فيما وهبت * هذا الشعر أرويه عن الحافظ السلفى رحمه الله فيما اذن لى فيه بسنده الى أبى عبيد الله بن محمد بن عائشة وفى بعض الفاظ خبره زيادة ونقصان وفيه فبعث اليه على بن الحسين رضى الله عنهما باثنى عشر الف درهم وقال اعذرنا يا أبا فراس فلو كان عندنا أكثر من هذا لوصلناك به فاقبلها وجعل يهجوهشاما وهو فى الحبس فبعث فأخرجه * وتقدم ذكر الماء الذى به حياة الاشياء وها أنا أسوق لك فيه فصلا جزلا فدونك فاكرع فى حياضه وارتع فى رياضه قال الله تعالى وجعلنا من الماء كل شئ حى أفلا يؤمنون وسيأتى تفسير هذه الآية وعدد الله تعالى نعمة الماء علينا فى القرآن فى غير موضع نحو قوله تعالى وأنزلنا من السماء ماء بقدر وأنزلنا من المعصرات ماء والله أنزل من السماء ماء وقال أفرأيتم الماء الذى تشربون ولعلك أيها الولد لا تعرف للماء قدرا الا انك متى عطشت شربت كما انك اذا جعت أكلت كذلك فى الدنيا تعيش البهائم اللهم صل على سيدنا محمد خاتم النبيين الذى علمنا كل شئ حتى شرب الماء نهى ان نعب عبا وامر أن نمص مصا وان يشرب المرء فى ثلاثة انفاس وقال هو أهنا وأمرأ وأبرأ ونهى عن الشرب قائما وعن الشرب بالشمال وعن الشرب من ثلمة القدح ومن عروته ولا ينفخ فى الشراب ولا يشرب فى آنية الذهب والفضة وامر أن يسمى الله فى أوله ويحمده فى آخره ونهى عن الكرع قال ابن عمر رضى الله عنهما مررنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على بركة فجعلنا نكرع فيها فقال لا تكرعوا ولكن اغسلوا أيديكم واشربوا فيها فانه ليس

من اناء أطيب من اليد وتقدم هذا الحديث وأخبرتك انه معلول من قبل السند وقلت لك وان كان معلولا فتركه ذلك أجود وتقدم معنى الكرع وانه مشتق من الاكارع التي للدواب كأنه يدخل في الماء برجليه ويشرب بفيه كما تفعل الدابة ذات الاكارع والله أعلم وقد ذكر أبو طالب في كتاب قوت القلوب ما يحتاج اليه الشارب للماء من أدب وسنة واستحباب فبلغها خمس عشرة خصلة وأما في الاكل وما يحتاج اليه من الآداب والفرائض والسنن والاستحباب والظرف والمروءة والكراهية وطرائق السلف واخلاق ذوي الالباب فجمع منها مائة وسبعين خصلة فأول ما عد من الفرائض أن يكون المأكول حلالا وينوي بالأكل التقوى على الطاعة * قلت وكذلك يسمي الله في أوله ويحمده في آخره كما تقدم في الشرب وينوي التقوي به على العبادة ويتحرى فيه الحلال كالطعام ولا فرق ومن أعم ما روي في الحمد على ذلك ما خرج مالك في الموطأ عن هشام بن عروة عن أبيه انه قال لا يؤتى أحد بطعام أو شراب حتى الدواء فيطعمه أو يشربه حتى يقول الحمد لله الذي هدانا وأطعمنا وسقانا اللهم ألفينا نعمتك بكل خير فأصبحنا منها وأمسينا بكل خير نسألك تمامها وشكرها لا خير الا خيرك ولا اله غيرك اله الصالحين ورب العالمين الحمد لله ولا اله الا الله ما شاء الله ولا قوة الا بالله اللهم بارك لنا فيما رزقتنا وقنا عذاب النار واذكر لك هنا من بعض فوائده * حكي انه لما وفد الحارث بن كلدة طبيب العرب على كسرى سأله عن شرب الماء فقال هو حياة البدن وبه قوته ينفع فاشرب منه بقدر وشربه بعد النوم ضرر وأفضل المياه مياه الانهار الجارية العظام وابرده واصفاه قال فما طعمه قال شيء لا يوصف مشتق من الحياة قال فما لونه قال اشتبه على الابصار لانه يحكي لون كل شيء يكون فيه وقال بعضهم لا لون له وانما يتلون بلون الآنية التي يجعل فيها كما تقدم وقال المعري

ولا لون للماء فيما يقال * ولكن تلونه بالاواني *

وقال غيره لونه البياض واحتج بأنه اذا جمد ابيض وقال ابن السيد وهذه مسئلة فيها نظر قلت وفي الماء بركة كما قال تعالى وأنزلنا من السماء ماء مباركا وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه اذا كان يوم صوم أحدكم فليفطر على ماء فانه بركة ولا يتمضمض ثم يمجه ولكن ليشربه فان أوله خير وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا أفطر من صيام دعا بماء فشرب ثم قال الحمد لله ذهب الظمأ وابتلت العروق وثبت الاجر ان شاء الله ويقال كثرة النوم من

كثرة

كثرة شرب الماء ولذلك كان بعض الصوفية اذا اجتمعوا يقول قائلهم لا تأكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فترقدوا كثيرا فتخسروا كثيرا ويحكى ان أحد المتانين كان اذا أضاف قوما سألهم اذا أصبحوا فقال لهم كيف كان شربكم للماء البارحة فقالوا له شربنا كثيرا فقال لهم ان التراب الكثير لا يبله الا الماء الكثير فلما كان يوم آخر سألهم كذلك فقالوا ما شربنا شيئا فقال ما تركتم للماء مساغا وقالت الحكماء الماء كله واحد وانما تغيره الارض فمنه الخفيف والثقيل والعذب والملح والزعاق والسخن والبارد حكمة من اللطيف الخبير وقال الشاعر

* وأول خبث الماء خبث ترابه *

وقد تقدم وقالوا في الماء هو أعز مفقود واهون موجود * دخل الشعبي على مسلم بن قتيبة فقال له ما تشتهي فقال يا شعبي أعز مفقود واهون موجود فقال يا غلام اسقه الماء تقدم ان الماء حياة كل شيء على ما في الآية وكذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما في القارورة التي أرسل بها قيصر الى معاوية رضي الله عنه وأمره ان يملأها من بذر كل شيء فقال ابن عباس املأها ماء قيل لابن عباس من اين أخذت ذلك قال من قوله تعالى وجعلنا من الماء كل شيء حي الآية وقد كان كتب قيصر الى معاوية كتابا يسأله فيه عن اشياء قال له اخبرني عن ما لا قبلة له وعن من لا أب له وعن من لا عشيرة له وعن من سار به قبره وعن ثلاثة أشياء لم تخلق في رحم وعن شيء ونصف شيء ولا شيء وابعث الي في هذه القارورة ببذر كل شيء فبعث معاوية بالقارورة والكتاب الى ابن عباس فقال اما ما لا قبلة له فالكعبة وأما من لا أب له فعيسى واما ما لا عشيرة له فآدم واما من سار به قبره فيونس عليه السلام واما ثلاثة اشياء لم تخلق في رحم فكبش اسماعيل وناقة ثمود وحية موسى واما شيء فالرجل له عقل يعمل بعقله واما نصف شيء فالرجل ليس له عقل ويعمل برأي ذوي العقول واما لا شيء فالذي ليس له عقل يعمل به ولا يستعين بعقل غيره وملأ القارورة ماء فقال هذا بذر كل شيء فبعث ذلك معاوية الى قيصر فلما وصل اليه الكتاب والقارورة قال ما خرج هذا الا من بيت النبوة وفي رواية انه قال لما وصل اليه ذلك لله ابوه ما أدهاه كذا رأيت هذا الخبر في كتاب وعلقته منه ووقع في كتاب آخر ولي فيه رواية عن شيخي أبي الطاهر السلفي رحمه الله فيما أذن لي فيه قال قرئ على أبي حفص عمر بن الحسين بن محمد بن سليم المعلم باصبهان في شعبان سنة احدى وتسعين وأربعمائة قال أخبرنا علي بن محمد بن مهروية

حدثنا محمد بن مازن أخبرنا محمد بن ادريس حدثنا أبو معمر المنقري حدثنا عبد الوارث بن سعيد حدثنا علي بن زيد بن جدعان عن يوسف بن مهران قال قال ابن عباس رضي الله عنهما كتب قيصر الى معاوية سلام عليك أما بعد فأنبئني بأحب كلمة الى الله والثانية والثالثة والرابعة والخامسة وبأكرم عباده عليه وبأكرم امائه عليه وبمكان لم تصبه الشمس الا مرة واحدة وبقبر سار بصاحبه وبأربعة أشياء فيها الروح لم يركبوا في رحم وقوس قزح ما هو والمجرة ما موضعها من السماء فلما قرأ معاوية كتابه قال ماله لعنه الله وما يدريني ما هذا قال فكتب الي يسألني قال فقلت له ان أحب كلمة الى الله عز وجل لا اله الا الله لا يقبل عملا الا بها والثانية المنجية سبحان الله والثالثة الحمد لله كلمة الشكر والرابعة الله أكبر فواتح الصلاة والركوع والسجود والخامسة لا حول ولا قوة الا بالله فأما لا اله الا الله اذا قالها العبد يقول الله تعالى اخلص عبدي واذا قال سبحان الله يقول عبدني عبدي واذا قال الحمد لله قال شكرني عبدي واذا قال الله أكبر قال صدق عبدي فأنا أكبر واذا قال لا حول ولا قوة الا بالله قال أتى الي عبدي بالسلام وأما أكرم عباده عليه فآدم عليه السلام خلقه بيده وعلمه الاسماء كلها وأما أكرم امائه عليه فمريم عليها السلام التي أحصنت فرجها واما الاربعة التي فيها الروح لم يركبوا في رحم فآدم وحواء وعصا موسى حين ألقاها فكانت ثعبانا مبينا وكبش اسحاق الذي ذبح عنه واما المجرة فباب من أبواب السماء وأما قوس قزح فانه امان من الغرق من بعد قوم نوح وأما مكان لم تصبه الشمس الا مرة واحدة فالبحر حين انفلق على بني اسرائيل وأما القبر الذي سار بصاحبه فبطن الحوت كان فيه يونس عليه السلام فكتب بذلك فلما قرأ قيصر كتابه قال والله ما كنت تعلمها ولا علمتها الا من أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم * قلت ومن معنى الآية المتقدمة وجعلنا من الماء كل شيء حي صدق الله كل شيء من الماء حتى النار ألم تسمع قوله تعالى الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فالنار من الشجر والشجر من الماء تقول العرب في كل الشجر نار واستمجد المرخ والعفار أي كثر في هذين النوعين من الشجر لانهما رخوان كالكلخ عند ما يحك بعضه ببعض فتخرج بينهما النار بقدرة الله تعالى وفيهما الرطوبة التي هي ضرب من الماء كذا فسره المهدوي رحمه الله وفي هذه المسألة أخطأ ابليس لعنه الله بقياسه الفاسد قال الله تعالى حكاية عنه

قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين يعني آدم عليه السلام ولم يعلم اللعين ان آدم ان كان نقل من الطين مرة فقد نقل اللعين مرتين لان النار من الشجر والشجر من الطين وهذا الخبر وقع في خبر طويل يروى عن عبد الرحمن بن أبي ليلى انه قال حججت في السنة التي حج فيها أبو حنيفة رضي الله عنه الى مكة فكنا في الطريق حتى أتينا المدينة فلما صرت الى المدينة قال لي أبو حنيفة أحب ان أدخل الى هذا الرجل فأسلم عليه يريد جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأسأله وأخاف ان لا يأذن لي قال عبد الرحمن بن أبي ليلى فقلت له أخلق به ان علم بمكانك ان لا يأذن لك ولكن كن معي فان أذن لي دخلت معي قال فمضينا الى بابه فقلت لغلامه اقرئه السلام وقل له عبد الرحمن بن أبي ليلى ورجل من أهل الكوفة قال فرجع الينا بالاذن فدخلنا عليه فرحب بنا وقرب حتى اذا اطمأننا أقبل علي فقال من هذا الرجل فقلت بأبي أنت وأمي هذا أبو حنيفة فقيه أهل الكوفة قال فأقبل عليه فقال أنت النعمان بن ثابت قال نعم بأبي أنت وأمي قال أنت الذي تقيس الدين برأيك قال بأبي أنت وأمي انما أقول ذلك في النازلة أو الحادثة تحدث ليس لها في كتاب الله تعالى خبر ولا في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا في اجماع المسلمين ولا في الخبر المتصل حجة فاذا كان ذلك نظرنا الى أشبه الاشياء بها فقسناها عليه قال فتبسم ثم قال ويحك يا نعمان ما لم يكن له في كتاب الله ولا في سنة رسول الله ولا في اجماع المسلمين ولا في الخبر المتصل حجة فقد زال عنك حكمه ووضع عنك فرضه فلم تتكلف ما لم تؤمر ويحك يا نعمان اياك والقياس فان أهل القياس لا يزالون في التباس حتى يهلكوا ان أول من قاس ابليس أمره الله بالسجود لآدم فتكبر وتجبر وقال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين والنار لا تسجد للطين فقاس فاخطأ فلعنه الله وأبلسه وآدم من طين غير منقول من صلصال كالفخار من حمأ مسنون وابليس اللعين من نار الاشجار من نار السموم فالاشجار من طين فهو من طين منقول فقاس فأخطأ ويحك يا نعمان أيما أوكد عند الله عز وجل الصلاة أم الصيام قال الصلاة بأبي أنت وأمي يا ابن رسول الله قال فلم أمر الله الحائض أن تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة وهذا أوكد من هذا قال لا علم لي قال صدقت قال فأيما أعظم عند الله القتل أم الزنا قال القتل بأبي أنت وأمي يا ابن رسول الله قال فلم أمر الله في القتل بشاهدين وفي الزنا بأربعة وهو أوكد من هذا قال لا علم لي قال

صدقت ويحك يانعمان أيما أنجس البول أم المني قال البول جعلني الله فداك قال
فلم أمر الله في البول بالاستنجاء وفي المني بالغسل وهذا أنجس من هذا قال لا علم لي
قال صدقت أفتدري يانعمان لم جعل الله المرارة في الاذنين والملوحة في العينين
والرطوبة في المنخرين والحلاوة في اللسان والشفتين وجعل بطن الراحة لا شعر
فيها قال فقلت لا علم لي بأبي أنت وأمي قال فقال أنت لا تعلم ما فرض الله عليك
فيما سألتك ولا لم جعل ما جعل فيما سألتك فلم تتخطى الى ما لا تعلم حتى تصير لله
حكما ليس في كتابه ولا سنة نبيه صلى الله عليه وسلم قال أبو حنيفة فأقبلت على ابن
أبي ليلى من حيث أظن انه لا يسمع فقلت له سله عما سألني عنه فأقبل عليه ابن
أبي ليلى فقال يا ابن رسول الله فأخبرنا بجواب ما سألت عنه فقال أبو عبد الله
نعم ان الله عز وجل فرض على الحائض أن تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة لان
الصوم لها اشهر في سنتها فأحب أن يتم لها اشهرها فأمرها بقضائه وهي تصلي
في كل يوم سبع عشرة ركعة مع نوافلها فهي تأتي على النوافل ما يتم به الفرض
وحكم في القتل بشاهدين وفي الزنا بأربعة لان القتل فعل واحد فحكم به بشاهدين
والزنا فعلان من فاعلين فحكم لكل واحد بشاهدين والبول يخرج من المثانة
لا غير فأمر فيه بالاستنجاء والمني يخرج من بين الصلب والترائب فأمر الله فيه
بالغسل ليطهر له بدنه قال ابن أبي ليلى قال لي أبو حنيفة من حيث يظن انه لا يسمع
أتراه قال هذا قياسا فقلت له فقال لي لا ولكن أخبرني به أبي عن جدي عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فسألته عن تفسير ما وصف في الرأس فقال ان الله
عز وجل جعل المرارة في الأذنين لانهما ثقبتان متصلتان بالدماغ والرأس
فتؤذيان ما وصل اليهما الى القلب فجعل فيهما المرارة تمنع منهما الهوام أن
تصل اليهما وجعل الملوحة في العينين لانهما شحمتان فتذهبهما بالملوحة أن تذوبا
وجعل الرطوبة في المنخرين ليميز بهما بين الروائح الطيبة وغير الطيبة ولو كان
المنخران يابسين لكان حكمهما حكم البدن لا يجد رائحتهما وجعل
الحلاوة في اللسان والشفتين ليجد طعم الحلو من المر وما يستعذبه وما يكرهه وجعل
باطن الكف لا ينبت فيه شعر لانه باب من أبواب المصالح من ملامسته للخشن
واللين ومصافحته للناس فلو كان فيهما شعر ما وجد مس ما يلامس * وجاء عن علي
رضي الله عنه في بطلان القياس انه قال لو كان الدين بالرأي لكان أسفل الخف

أولى بالمسح من أعلاه وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح على ظاهر
خفيه وذكرنا بت في الدلائل حكاية في بطلان القياس أيضا وان كانت لغوية فهي
بيضاء قال من حديث الزهري انه حدث بحديث في سنة قال وأقبل على الراوي
وقال ذهب القواس وانكسر آخر الدهر وفسره قال القواس يعني القياس وأخرجه
بالواو لان القياس تنقلب ياؤه في بعض التصريف واوا ويقال للحبل الذي يمد على
صدور الخيل عند الرهان لتدفع عن سواء مقوس وأنشد

ان البلاء لدى المقاوس مخرج * ما كان من عيب ورجم ظنون

يقول فما كان عند الفرس فيظهر حينئذ وانما هذا مثل ما تقول التجربة تخرج
ما عند الانسان من خير وشر قال يعقوب قسته وقسته قيسا وقوسا وقال غيره
ولا تقول اقسته ويقال قايست فلانا اذا جاريته في القياس وهو يقيس الشيء
بغيره أي يقيسه به ويقتاس بأبيه اقتياسا أي يسلك سبيله والقوس بالكسر وعاء
القوس والقوس التي يرمى عنها تذكر وتؤنث فمن أنث قال في التصغير قويسة ومن
ذكر قال قويس وفي المثل هو من خير قويس سهما والجمع قسي وأقواس وقياس
قال الشاعر * ووتروا الاوتار والقياسا * وأصل قسي قووس فعول الا انهم
قدموا اللام فصيروه قسوا على وزن فلوع ثم قلبوا الواو ياء وكسروا القاف كما
كسروا عين عصي فصارت قسي على فليع كانت من ذوات الثلاثة فصارت من
ذوات الأربعة فاذا نسبت اليها قلت قسوي رددتها الى الاصل وربما سموا
الذراع قوسا والقوس بضم القاف صومعة الراهب قال جرير وذكر امرأة

لا وصل اذ رحلت هند ولو وقفت * لاستفتنتني وذا المسحين في القوس

وتقول قوس الشيخ واستقوس اذا انحنى من الكبر والأقوس المنحني الظهر

وذا فصل الفوائد قد تقضى * وآخذ في القوافي اللام والميم
واذكر فيه ما أدري وما لم * أسقه عند غيري فيه تتميم

(فصل) ومن فوائد قافية البيت تقدم مل اسم والد رجل من المحدثين وهو
عبد الرحمن بن مل ويقال فيه مل بالكسر روى عن أبي موسى الاشعري رضي الله
عنه انه كان من أحسن الناس صوتا بالقرآن وان كان ليصلي بنا صلاة الصبح فنود
لو قرأ البقرة من حسن صوته ولقد أدركت الجاهلية فما سمعت صوت صنج ولا بربط
ولا مزمارا أحسن من صوت أبي موسى بالقرآن وفيه قال رسول الله صلى الله عليه

وسلم لقد أوتي مزماراً من مزامير آل داود وكان عبد الرحمن هذا يقول بلغت نحواً من ثلاثين ومائة سنة فما من شيء الا وقد عرفت فيه النقص الا أملي فانه كما كان وتمثل آخر من جديلة وهو والد طريف بن مل الذي يقول فيه امرؤ القيس

لنعم الفتى يعشو الى ضوء ناره * طريف بن مال ليلة القر والخصر

وتقدم في مقلوب ملم وفي دعاء النبي صلى الله عليه وسلم وتلم بها شعثي وقد فسر وأعجبني هذا الدعاء المحتوي فكتبته هاهنا بجملته لعل الله ينفع به الداعي والكاتب والواعي أخرج الترمذي رحمه الله بسنده الى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج من بيته لصلاة الصبح وهو يقول اللهم اني أسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي وتجمع بها أمري وتلم بها شعثي وتصلح بها غائبي وترفع بها شاهدي وتردّ بها ألفتي وتلهمني بها رشدي وتزكي بها عملي وتعصمني بها من كل سوء اللهم اعطني ايماناً ويقيناً ليس بعده كفر ورحمة أنال بها شرف كرامتك في الدنيا والآخرة اللهم اني أسألك الفوز في العطاء ومنزل الشهداء وعيش السعداء والنصر على الأعداء اللهم ما قصر عنه رأيي ولم تبلغه نيتي ولم تنته اليه مسألتي من خير وعدته أحداً من خلقك أو خير أنت معطيه أحداً من عبادك فاني أرغب اليك فيه وأسألك رحمتك يارب العالمين اللهم اني أنزل بك حاجتي وان قصر رأيي وضعف عملي افتقرت الى رحمتك فأسألك ياقاضي الأمور وياشافي الصدور كما تجير بين البحور أن تجيرني من عذاب السعير ومن دعوة الثبور ومن فتنة القبور اللهم ذا الحبل الشديد والأمر الرشيد أسألك الأمن يوم الوعيد والجنة يوم الخلود مع المقربين الشهود الركع السجود الموفين بالعهود فانك رحيم ودود وأنت تفعل ما تريد اللهم اجعلنا سلماً لأوليائك وعدوّاً لأعدائك نحب بحبك من أحبك ونعادي بعداوتك من خالفك اللهم هذا الدعاء وعليك الاجابة وهذا الجهد وعليك التكلان اللهم اجعل لي نوراً في قبري ونوراً في قلبي ونوراً في لساني ونوراً في سمعي ونوراً في بصري ونوراً في شعري ونوراً في بشري ونوراً في لحمي ونوراً في دمي ونوراً في عظامي ونوراً من فوقي ونوراً من تحتي ونوراً من خلفي ونوراً من أمامي ونوراً عن يميني ونوراً عن شمالي اللهم اعظم لي نوراً واعطني نوراً واجعل لي نوراً سبحان الذي تعطف بالعز وقال به سبحان الذي لبس المجد وتكرم به سبحان من لا ينبغي التسبيح الا له سبحان ذي الفضل والنعم

سبحان

سبحان ذي المجد والكرم سبحان ذي الجلال والاكرام * قد تقدم معنى تعطف بالعز وقال به في أول الكتاب وتقدم في هذا الباب وتا كاون التراث اكلا لما قال ابن عزيز يعني اكلا شديداً يقال لممت الشيء أجمع أي أتيت على آخره ومما قلت في هذه اللفظة

فيا فؤادي واسودّ لما * أ كثرت أكل الحرام لما
يارب اني ألممت تغفر * وأي عبد ما ان ألما

نظر هذا الى قول النبي صلى الله عليه وسلم

ان تغفر اللهم تغفر جما * وأي عبد لك لا ألما

كذا قال ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله تعالى الا اللمم هو الرجل يلم ويذنب ثم يتوب ألم تسمع ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول ان تغفر اللهم فذكره بكماله وقد تقدم الشعر في باب الجيم وانه من قول أمية بن أبي الصلت وقاله النبي صلى الله عليه وسلم متمثلاً وقال الحسن ومجاهد هو الذي يأتي الذنب ثم لا يعود وقال أبو هريرة هو ما كان في الجاهلية فقد عفا الله عنه وقال هو النظرة والغمزة والقبلة والمباشرة فاذا مس الختان الختان فقد وجب الغسل وهو الزنا فقد روي معناه عن ابن مسعود وقيل هو ما دون الشرك وقيل غير هذا لذلك قلت لربي داعياً وعلى نفسي ناعيا

يارب عاف من الذنوب * صغيرها وكبيرها
وقليلها وكثيرها * وجليلها وحقيرها

وفي الوصايا لا تنظر الى صغر الذنب ولكن انظر من عصيت وجاء في وصية بعض العلماء لهرم بن حيان رضي الله عنه هذا الكلام المتقدم بعينه نظمه الفقيه الخطيب فقال رحمه الله

ياهرم بن حيان * لا تحقرن انسان * صغير ذنب ما كان * وان أتى بعصيان * مولى عظيم السلطان * وكان هرم هذا أحد الفقراء الفضلاء المجتهدين رضي الله عنهم ولما نزل به الموت قيل له أوصنا قال مالي شيء أوصي به ولكن أوصيكم بخواتيم سورة النحل وقرأ عليهم ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة الى قوله ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون قال الحسن ولما مات جاءت سحابة فظللت سريره فلما دفن رشت القبر فما أصابت حول القبر شيئاً وفي رواية انه كان يوماً شديد الحر فلما نفضوا أيديهم من قبره جاءت سحابة حتى قامت

على قبره فلم تكن أطول منه ولا أقصر فرشته حتى رويته ثم انصرفت وقال ثابت عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى الا اللمم ألستم عربا أما سمعتم قوله ومن زيارته لمام قال سفيان يريد قول الشاعر

بنفسى من تغضبه عزيز * على ومن زيارته لمام
ومن أمسى وأصبح لا أراه * و يطرقنى اذا هجع النيام
أتنسى اذ تودّ عنى سليمى * بفرع بشامة سقى البشام

ويروى ان عبد الله بن عمر رضى الله عنهما دفع من جمع وهو يقول

ان تغفر اللهم تغفر جما * وأى عبد لك لا ألما

وقوله

اليك تعدو قلقا وضينها * مخالفا دين النصارى دينها

أخرجه ابن قتيبة رضى الله عنه قلت والشئ يذكر بالشئ كنت قد صنعت أبياتا فى طريق الغزو وعلمتها بعض الاصحاب فكنا اذا ركبنا متوجهين قلناها وهى

اليك ربى لا الى سوالك * خرجت أسعى أبتغى رضالك
فلا تخيب سعى من رجالك * ولا تردّ سائلا دعالك

فى أبيات سواها والشئ يذكر بالشئ وكذلك اجتمع حولى أهلى يطلبون منى بعض ما يحتاجون اليه وألحوا علىّ فقلت

باالهى باالهى * ليس يخفى الحال عنكا * كلهم يطلب منى * وأنا أطلب منكا

كذلك فى أبيات انظر جميع ذلك فى التكميل فى فصل الزهد وجاء فى معنى قوله * مخالفا دين النصارى دينها * ان كتب الانبياء وصورها كانت عند النصارى بنجران وكانت الأساقفة اذا مات منهم ميت ختم قبل موته عليها فكانت الكتب عليها خواتيم عدة فخرج الأسقف الاكبر يمشى ومعه ابنه فعثر فقال تعس شانى محمد فقال أبوه مه يابنى انه نبى واسمه وصورته فى الوضائع قال الاصمعى الوضائع كتب تكتب فيها الحكمة فلما مات الشيخ دق الابن الخواتيم وخاتم أبيه فاخرج صورة النبى صلى الله عليه وسلم فآمن وحج وأقبل وهو يقول * اليك تعدو قلقا وضينها * البيت قال أبو عبيدة الوضين بطان منسوج وهو فعيل بمعنى موضون يريد ان الناقة قد ضمرت وخف بطنها فاتسع وضينها واضطرب وقوله مخالفا دين النصارى دينها يريد نفسه لان الناقة ليس لها دين قاله ابن قتيبة قلت ونوع من هذه القصة خبر اسلام كعب الحبر رضى الله عنه وكان أبوه من مؤمنى أهل التوراة برسول الله صلى الله

عليه وسلم وكان من عظمائهم وأحبارهم قال وكان اسلام كعب عند قدوم عمر رضى الله عنه الشام قال كعب كان أبى من أعلم الناس بما أنزل الله على موسى بن عمران عليه السلام من التوراة و بكتب الانبياء ولكن يدخر عنى شيئا مما كان يعلم وذلك من قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم فلما حضرته الوفاة دعانى فقال يابنى قد علمت انى لم اكن ادخر عنك شيئا مما كنت أعلم الا انى حبست عنك ورقتين فيهما ذكر نبى يبعث وقد أظل زمانه فكرهت أن أخبرك بذلك فلا آمن عليك بعد وفاتى أن يخرج بعض هؤلاء الكذابين فتتبعه وقد قطعتهما من كتابك وقد جعلتهما فى هذه الكوة التى ترى وطينت عليهما فلا تتعرض لهما ولا تنظر فيهما زمانك هذا وأقرهما فى موضعهما حتى يخرج ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فاذا خرج فاتبعه وانظر فيهما فان الله يزيدك بهذا خيرا قال كعب فلما مات والذى لم يكن شئ أحب الىّ من أن ينقضى المأتم حتى أنظر ما فى الورقتين فلما انقضى المأتم فتحت الكوة ثم استخرجت الورقتين فاذا فيهما محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين لا نبى بعده مولده بمكة ومهاجره بطيبة ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب فى الاسواق ولا يجزى بالسيئة السيئة ولكن يعفو و يصفح أمته الحمادون الذين يحمدون الله على كل شرف وعلى كل حال وتذل ألسنتهم بالتكبير و ينصرهم الله نبيهم على كل من ناواهم يغسلون فروجهم بالماء و يأتزرون على أوساطهم وأناجيلهم فى صدورهم ويأكلون قربانهم و يؤجرون عليها وتراحمهم بينهم تراحم بنى الام والاب وهم أوّل من يدخل الجنة من الامم وهم السابقون المقربون والشافعون والمشفع لهم قال فلما قرأت هذا قلت فى نفسى والله ما علمنى أبى شيئا هو خير لى من هذه فكثت بذلك ما شاء الله و بقيت بعد والدى حتى بعث صلى الله عليه وسلم و بينى و بينه بلاد بعيدة منقطعة لا أقدر على اتيانه و بلغنى ان النبى صلى الله عليه وسلم قد خرج بمكة فهو يظهر مرة و يستخفى أخرى فقلت هو هذا وتخوّفت ما كان والدى حذرنى من الكذابين وجعلت أحب أن أتبين واتثبت قال فلم أزل كذلك حتى بلغنى انه قد أتى المدينة فقلت فى نفسى انى لارجو أن يكون اياه فكانت تبلغنى وقائعه مرة له ومرة عليه وجعلت التمس السبيل اليه فلم يقدر لى حتى بلغنى بعد انه قد توفى صلوات الله عليه وسلامه ورحمته و بركاته فقلت فى نفسى لعله لم يكن بالذى كنت أظن ثم بلغنى ان خليفته قام مقامه ثم لم ألبث الا قليلا حتى جاءتنا جنوده فقلت

فى نفسى لا أدخل فى هذا الدين حتى أعلم أهم الذين كنت أرجو وأنتظر وانظر كيف سيرتهم وأعمالهم والام تكون عاقبتهم قال فلم أزل أدفع ذلك وأؤخره لأتبين وانثبت حتى قدم علينا عمر بن الخطاب رضى الله عنه فلما رأيت صلاة المسلمين وصيامهم وهديهم ووفاءهم بالعهد وما صنع الله لهم على الاعداء علمت انهم هم الذين كنت أنتظر فحدثت نفسى بالدخول فى الاسلام قال فوالله انى لذات ليلة على سطح لى واذا رجل من المسلمين يصلى يتلو كتاب الله حتى تلا هذه الآية وهو رافع صوته يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل أن نطمس وجوها فنردها على أدبارها أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت وكان أمر الله مفعولا قال فلما سمعت هذه الآية خشيت والله أنى لا أصبح حتى يحول الله وجهى الى قفاى فما كان شئ أحب الى من الصباح فغدوت على عمر بن الخطاب فاسلمت حين أصبحت رضى الله عنه * وتقدم اللمم مس الجنون يقال رجل به لمم ولمة وفى الترمذى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة فاما لمة الشيطان فايعاد بالشر وتكذيب بالحق وأما لمة الملك فايعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم انه من الله فليحمد الله ومن وجد الاخرى فليتعوذ بالله من الشيطان قال الحسن رضى الله عنه انما هما همان يجولان فى القلب هم من الله تعالى وهم من العدو فرحم الله عبدا وقف عند همه فما كان لله أمضاه وما كان من عدوه جاهده وقال أبو حامد رضى الله عنه ولتجاذب القلب بين هذين المتسلطين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن والله تعالى يتعالى عن أن يكون له أصبع مركب من لحم ودم وعظم منقسم بالانامل ولكن روح الاصبع سرعة التقليب والقدرة على التحريك والتغيير فانك لا تريد أصبعك لشخصه بل لفعله فى التقليب والترديد وكما انك تتعاطى الافعال باصابعك فالله تعالى انما يفعل ما يفعل باستخدام الملك والشيطان وهما مسخران لقدرته فى تقليب القلوب كما ان أصابعك مسخرة لك فى تقليب الاجسام مثلا والقلب باصل الفطرة صالح لقبول آثار الملائكة ولقبول آثار الشياطين صلاحا متساويا ليس يترجح أحدهما على الآخر وانما يترجح أحد الجانبين باتباع الهوى فى الاكباب على الشهوات أو الاعراض عنها ومخالفتها فان اتبع الانسان مقتضى الشهوة والغضب ظهر تسلط الشيطان بواسطة الهوى وصار القلب عش

الشيطان ومعدنه لان الهوى مرعى الشيطان ومرتعه وان جاهد الشهوات ولم يسلطها على نفسه وتشبه بأخلاق الملائكة صار قلبه مستقر الملائكة ومهبطهم ولما كان القلب لا يخلو عن شهوة وغضب وحرص وطمع وطول أمل الى غير ذلك من صفات البشرية لم يخل أن يكون للشيطان فيه جولات بالوسوسة ولذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم ما منكم من أحد الا وله شيطان قالوا وأنت يا رسول الله قال وأنا الا ان الله تعالى أعانني عليه فأسلم فلا يأمر فى الا بخير وقال مجاهد فى قوله تعالى من شر الوسواس الخناس وهو منبسط على قلب الانسان فاذا ذكر الله تعالى خنس وانقبض واذا غفل انبسط على قلبه * وتقدم كتيبة ململة وململومة مجتمعة وقال الشاعر

ما أطيب العيش لو أن الفتى حجر * تنبو الحوادث عنه وهو ملموم

انظره فى التكميل مذيلا

قل للذى ظن ان الصخر يسلم من * ريب الزمان فيافى وهو ملموم
هذى المعاول تأتيه فتكسره * فيصنع الجص منه وهو مهشوم
فالفأس تفلقه والنار تحرقه * أدالذى من حدثان الدهر معصوم

الابيات الى آخرها ولملم كذلك بمعنى جمع وأدار ولملم أيضا اسم واد فى جهنم أعاذنا الله منه خرج ابن المبارك رضى الله عنه فى الرقائق عن أبى هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان فى جهنم واديا يقال له لملم ان أودية جهنم تستعيذ بالله من حره نعوذ بالله من جميع سخطه * ومعكوس لملم ململ تقدم فى الحديث هامة قال أبو عبيدة الهامة يعنى الواحدة من هوام الارض وهى دوابها المؤذية قال ثابت الهامة الحية وجمعها هوام وذكر حديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنه انه ليسمع للهوام جلبة بين أطباق جلد الكافر كما تسمع جلبة الوحش وقد تقدم ان غلظ جلد الكافر مسيرة ثلاث وتابه مثل أحد أخرجه مسلم وقال الخطابى فى حديث النبى صلى الله عليه وسلم اذا عرستم فاجتنبوا هوم الارض فانها مأوى الهوام وقال لست أدرى ما هوم الارض وقال قال بعضهم هذا تصحيف انما هو هوى الارض جمع هوة وهى الحفرة تشرف عليها اسناد غلاظ وقال آخر بل هو هزم الارض وهو ما تهزم منها أى تكسر منها وتشقق وفى الحديث ان زمزم من هزمة جبريل أى من ضربه الارض وشقه اياها وسيأتى فى باب الهاء اذا عرستم

فاجتنبوا هوى الارض كما تقدم فى قول بعضهم وفسرت هنالك الهوة بقريب من هذا التفسير وتصغير الهامة هويمة وفى مثل أدركى القويمة لاتاكلها الهويمة يعنى الصبى الذى ياكل البعر والقضب وهو لا يعرفه يقال لأمه ادركيه لا تاكله الهويمة وهى الحية قاله ثابت أيضا وقال غيره وقد تقع الهوام على مايدب من الحيوان ومنه قول النبى صلى الله عليه وسلم لكعب بن عجرة حين رآه والقمل يتناثر من رأسه أتؤذيك هوام رأسك يريد القمل وقيل الهوام كل مايقتل مثل الحيات والسوام مالا يقتل مثل العقرب والزنبور والقوام مثل الخنافس والفار والبرابيع وجاء فى الحديث ان المدينة كثيرة الهوام والسوام وهامة بالتخفيف موضع قبل هجر كثير النخل والهامة أيضا الرأس وفى صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم عظيم الهامة وجمعها هام كما قال الشاعر * بضرب يزيل الهام عن سكانه * وقد تجمع على هامات قال الشاعر

لوخر سيف من العيوق منصلتا * ما كان الا على هاماتهم يقع

وقد جاء فى الحديث تدنو الشمس يوم القيامة على قدر ميل و يزاد فيها كذا وكذا تغلى منها الهوام كما تغلى القدور على الاثافى وفى الحديث لاعدوى ولا هامة بالتخفيف ولا صفر ولا غول قال أبو عبيد أما الهامة فان العرب كانت تقول ان عظام الموتى تصير هامة فتطير ويسمون ذلك الصدا وجمعه اصداء وقد جاء فى أشعارهم قال أبو دؤاد

سلط الموت والمنون عليهم * فلهم فى صدا المقابر هام

وقال غيره كانت العرب تقول ان القتيل اذا لم يطلب بثاره خرج من رأسه هامة وهو الصدا وهو البوم فلا يزال يصيح اسقونى حتى يطلب بثاره فاذا أخذ بثاره سكت ومنه قول الراجز

ياعمرو ان لاتدع شتمى ومنقصتى * أضربك حيث تقول الهامة اسقونى

يريد رأسه فأكذبهم النبى صلى الله عليه وسلم وأبطل ذلك كله من قولهم ومنه قولهم فلان هامة اليوم أوغد يريدون انه يموت فيصير هامة وتقدم قول يزيد فى حياته

وكل خليل زارنى فهو قائل * من أجلك هذا هامة اليوم أوغد

فى باب الراء ويأتى * أعاذل ان يصبح صداى بقفرة * فى باب النون بعد هذا ان شاء الله تعالى * ومن أغرب ماروى فى الصدا مارواه أبو على من ان ليلى

الهويمة تصغير قائمة يعنى الصبى لانه يقتم كل ما أدرك يجعله فى فيه

الأخيلية وهى ليلى بنت عبد الله بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة يلقب الأخيل مرت مع زوجها فى بعض نجعهم بالموضع الذى فيه قبر توبة بن الحمير وكانت متزوجة فى بنى الأدلع بن عبادة بن عقيل فقال لها زوجها لابد أن أعرج بك الى قبر توبة كى تسلمى عليه حتى أرى هل يجيب صداه كما زعم حيث يقول

ولو أن ليلى الأخيلية سلمت * على ودونى تربة وصفائح

لسلمت تسليم البشاشة أوزقى * اليها صدا من جانب القبر صائح

فقالت له وماتريد من رمة وأحجار فقال لابد من ذلك فعدل بها عن الطريق الى القبر وذلك فى يوم قائظ فلما دنت راحلتها من القبر و رفعت صوتها بالسلام عليه اذا بطائر قد استظل بحجارة القبر من فيح الهاجرة فطار فنفرت راحلتها فوقصتها فماتت وكان ذلك من الصدا الذى يزقو اليها من جانب القبر انتهى كلامه قلت وحديث توبة وليلى مشهور وفى كتب الأدب مذكور وفى هذا الخبر ما يحقق و يصدق ان البلاء موكل بالمنطق كما يروى ان أحد المولعين بالخمر قال

اذا مت فادفنى الى جنب كرمة * تروّى عظامى فى الممات عروقها

ولا تدفنونى فى الفلاة فاننى * أخاف اذا مامت أن لا أذوقها

وهذا القائل أيضا مشهور قال الذى روى عنه مررت بقبره بعد أن مات فاذا قد نبت عليه عريش عنب فتعجبت من ذلك * ومما جاء فى الهام حديث حاتم طى أشهر الكرام الذى قرى أضيافه فى المنام وذلك ان ركبا من العرب نزلوا بموضع قبره وقد نفد زادهم ومنهم رجل يكنى أبا خيبرى فجعل يقول أبا سفانة وهى كنية حاتم ألا تقرى أضيافك أبا سفانة ان أضيافك جياع بعيدها ليلته فلما نام ثار من نومه وهو يقول وارا حلتاه عقرت والله ناقتى فقال له أصحابه وكيف قال رأيت أبا سفانة قد انشق عنه قبره فاستوى قائما ينشدنى

أبا خيبرى وأنت امرؤ * ظلوم العشيرة لوّامها

وماذا تريد الى رمة * بداوية صخبت هامها

تبغى أذاها واعسارها * وحولك عوف وانعامها

ثم عمد الى سيفى فانتضاه من غمده فعقر به ناقتى وقال دونكم فما أيقظنى الا رغاؤها واذا بالناقة ترغو ماتنبعث ولا بها حراك فقالوا قد والله قراكم حاتم فنحروها وأكلوا وتزودوا واقتسم القوم متاع أبى خيبرى على ابلهم واستمرّوا لوجههم

فلما صاروا فى الظهيرة وضح لهم راكب يخب ببعيره يؤم سمتهم حتى التقوا فقال لهم أفيكم أبو خيبرى قالوا نعم قال فان عدى بن حاتم رأى أباه البارحة وهو يقول له ان أبا خيبرى وأصحابه استقروني فقريتهم ناقته فعوضه منها وزده بكرا يحمل عليه متاعه وهذه الناقة وهذا البكر فارتحل أبو خيبرى الناقة وتخفف هو وأصحابه من أزوادهم على البكر ومضوا أتم قرى فقال لا يعرف ميت قرى أضيافه سواه * واذ وقعنا فى ذكر المنامات فلنذكر فى ذلك حكايات بروايات أخبرنى أبو الحسن على بن مؤمن قال سمعت الفقيه القاضى الشريف أبا محمد عبد الله بن عبد الرحمن العثمانى الديباجى رحمه الله يقول أخبرنى أبو بكر بن شبل عن أبى الفتح المقدسى قال حدثنى أبو الحسن العريشى قال كان عندنا معلم اسمه ابراهيم وكان صالحا قال كنت جالسا اذ دخل على أبو ذر شيخ بشاى فحدثنى انه جاء الى منزله فقالت له امرأته قد جاء رجل طلبك فقلت هذا ضيف فذبحت له دجاجة وهيأت له عشاء فجاء الرجل وتعشينا ونمنا فرأيت فى النوم أبا بكر وعمر رضى الله عنهما فقالا لى أما تستحى تجىء الى رجل يسبنا فتضيفه فقلت والله ما علمت بذلك فقال أحدهما للاخر اذبحه فقلت لا تفعل فانى أخاف السلطان فوثب اليه فذبحه فانتبهت فاذا به مذبوح وانتبهت امرأتى فعرفتها بذلك وجلست أنا فى ناحية من البيت أفكر فى هذا الامر والمرأة فى ناحية أخرى والرجل مطروح فقلت كيف أصنع وقد علم أهل القرية انه ضيفى ثم انى تحاملت وقمت اليه ولففته فى الحصيرة التى هو عليها وحملته وخرجت الى نخرور من نخارير القرية وطرحته فيها وقلت يقضى الله بما يشاء ورجعت الى بيتى وأغلقت على بيتى وجلست انتظر ما يكون حتى ارتفع النهار فاذا الناس يقولون فعل الله بأهل الصوارف وصنع ذبحوا خنزيرا وحملوه فطرحوه عندنا فلما سمعت بذلك خرجت ونظرت اليه فاذا هو والله خنزير مذبوح ملفوف فى الحصير هذا معنى الحكاية * وحدثنى أيضا عن أبى بكر بن شبل المذكور بسند آخر الى سويد بن سعيد قال كان لى جار يقع فى أبى بكر وعمر رضى الله عنهما فكنت أعرض عليه التوبة فلا يتوب حتى جاء فى صلاة غداة فقال لى يا أبا محمد قد تبت قلت كيف كان هذا قال رأيت البارحة أبا بكر فى المنام فقلت يا أبا بكر كنت أشتمك وأقع فيك فاجعلنى فى حل قال والله ما كان يضرنى ذلك اذهب فأنت فى حل قال ثم استقبلنى عمر فقلت له كنت أقع فيك وأشتمك

فاجعلنى

فاجعلنى فى حل قال اصبر حتى أخرج لك فدخل ثم جاء بالدرة فأمر ببطحى فلم يزل يضربنى حتى سلحت فى ثيابى فانتبهت وقد سلحت فى ثيابى قال سويد وأرانى ذلك فى ثيابه وحدثنى أيضا رضى الله عنه قال حدثنى أبى قال كان جدى لأبى الشيخ الفقيه القاضى أبو حفص عمر بن أحمد بن محمد المعروف بابن سنبس وهو من علماء البصريين وصلحائهم وعدولهم وكان يرحل اليه فى اثنى عشر علما قال كان يقرأ على رجل من أهل مصر ضرير البصر فقال لى يوما يا مولاى أردت أن تتناول عندى طعاما فقلت لم تجر عادتى بهذا فلم يزل يسألنى ويقول ترفع قدرى بين جيرانى وتتوهبنى وتدخل المسرة على قلبى ولم يزل يتلطف بى الى أن سرت معه ولم أعلم بمذهبه وكان الفقيه يرغب فى الاجر قال فدخلت منزله وجلست فأغلق الباب وأحضر مائدة وخبزا وصحنا فيه سمكتان مملوحتان بصناب خردل وزبيب وكانت أيام عيد الفطر ثم قال لى يا مولاى هذا أبو بكر وهذا عمر وأشار الى السمكتين كل أيهما شئت وكان الشيخ رحمه الله فيه رفق وسياسة قال فقلت أبو بكر رضى الله عنه فيه لين وعمر كانت فيه شراسة فقال دعه لى فبقيت انظر اليه ولم أتناول له طعاما فأخذ لقمة وأخذ عليها شيئا من السمكة ورفعه الى فيه فاعترضت له شوكة فنشبت فى حلقه فمات فهتكت زوجته الستر وقالت لله بك عناية ما كان معولا الا على قتلك فقمت وتركته * وأبدع من هذا وأعجب وأصح مما تقدم وأغرب ما حدثنى الحافظ بالاسكندرية رحمه الله وحماها سنة احدى وستين وخمسمائة قال حدثنى الرئيس أبو عبد الله القاسم بن الفضل الثقفى بأصبهان سنة ثمان وثمانين وأربعمائة قال حدثنا أبو الحسين محمد بن الحسين القطانى ببغداد حدثنا أبو محمد عبد الله بن جعفر بن درستويه أنا أبو يوسف يعقوب عن سفيان حدثنا هشام بن عمار حدثنا صدقة حدثنا عبد الرحمن بن يزيد حدثنى عطاء الخراسانى حدثتنى بنت ثابت بن قيس بن شماس قالت لما أنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى الآية دخل أبى بيته وأغلق عليه بابه وطفق يبكى ففقده النبى صلى الله عليه وسلم فأرسل اليه فسأله فأخبره وقال أنا رجل شديد الصوت أخاف أن يكون قد حبط عملى فقال لست منهم بل تعيش بخير وتموت بخير قال ثم أنزل الله تعالى ان الله لا يحب كل مختال فخور فأغلق عليه بابه وطفق يبكى ففقده النبى صلى الله عليه وسلم فأرسل اليه فسأله فأخبره بما أنزل عليه وقال انى

أحب الـمال وأحب أن أسود قومى فقال لست منهم بل تعيش حميدا وتقتل شهيدا وتدخل الجنة فلما كان يوم اليمامة خرج مع خالد بن الوليد الى مسيلمة فلما لقوا العدو وانكشفوا فقال ثابت وسالم مولى أبى حذيفة ماهكذا كانقاتل مع النبى صلى الله عليه وسلم فحفر كل واحد منهما حفرة وثبتا فيها حتى قتلا وعلى ثابت يومئذ درع له نفيس فمر به رجل من المسلمين فأخذه فبينما رجل من المسلمين نائم اذ أتاه ثابت فى منامه فقال له انى موصيك بوصية فاياك أن تقول هذا حلم فتضيعه انى لما قتلت أمس مر بى رجل من المسلمين فأخذ درعى ومنزله فى أقصى الناس وعند خبائه فرس يستن فى طوله وقد كفأ على الدرع برمة وفوق البرمة رحل فائت خالد ابن الوليد فمره أن يبعث الى درعى فيأخذه واذا قدمت المدينة على خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقل له ان على من الدين كذا وكذا وفلان من رقيقى عتيق وفلان فأتى الرجل خالدا فأخبره فبعث الى الدرع فأتى به وحدث أبابكر برؤياه فأجاز وصيته فلا نعلم أحدا أجيزت وصيته بعد موته غير ثابت واستشهد باليمامة رضى الله عنه * ومن فصل الملح ماقلته فى غرض عرض فذكرت فيه هامة اذ خرجت على من الخربة كلاب سود كأنها الاسود فادخلت هامتى فى سلهامتى وطفقت استغيث لأحمى من أنيابهم لحمى وأتقاصر كى لا يراق دمى وأتقاصر استتر أثوابى ذممى بكلام طويل انظره فى التكميل وأذكرنى حديث السلهامة ماقال بعض الادباء للجزار السرقسطى وقد رأى ألطن فى سفره امرأة جميلة قد البست سلهامة تقيها المطر أو شبه هذا فقال الجزار المذكور لها أجيزى هذا النصف

وبدر لاح من تحت السلاهم * فقالت * محاسنه تقول لمن سلاهم

وهذا النصف الآخر من الكلام الفصيح والمعنى الصحيح وينظر الى قول الهيثم اذ قال له صالح بن حسان ما بيت شطره اعرابى فى شملة والشطر الآخر مخنث يتفكك قلت لا أدرى قال قد أجلتك حولا قلت لو أجلتنى حوا لين لم أعرف قال أف لك قد كنت أحسبك أجود ذهنا مما أرى قلت وما هو قال هو قول جميل * ألا أيها النوام ويحكم هبوا * اعرابى فى شملة ثم ادركه اللين وضرع الحب فقال أسائلكم هل يقتل الرجل الحب * وكان هذا الرجل الجزار أديبا شاعرا ظريفا أريبا وكان يبيع اللحم ولا يعيبه على نفسه فوقف عليه يوما أحد الادباء فانشده * لحم اناث الكبش مهزول * فقال له * يقول للمشترين مهزول واه

وهذا اتفاق غريب ومثله له

رب ظبى لقيته * يتمنى للموازنة
قلت ما أثقل الهوا * قال ما للموازنة

ولى أنا من هذا النوع ما هو عندى أجمل وأطول حروفا وأكمل وهو قولى

وسائل عن حديث السرقلت له * لماتبرمنى مه ماترى خبرى
لكن جد فانى مثلك أن تشا * غل بالبطالة أو مهماتراخ برى

وثم أحسن من هذا الغيرى مما جمعته فى غير هذا الموضع وهذان البيتان فى قطعة لزومية مطولة تزيد على المائة انظرها فى التكميل

وذا فصل الفوائد قد تقضى * ونأخذ بعد فى ألف ونون
فأذكر فيه ما أدرى وربى * سينفعنى به بعد المنون

باب الالف مع النون

وان وان وان وان * وان وان ونل ونل

ان حرف توكيد وهى مكسورة اذا كانت مستأنفة وأن مفتوحة الالف تقع موقع الاسماء وقد تخفف ان المكسورة ويرفع ما بعدها تقول ان زيد لمنطلق واللام لازمة ومن العرب من ينصب بها مخففة وقد دللتك على كتاب الجمل لتنظر كيف العمل فعليك به أيها المبتدى فانه مرقاة لغيره ولن تخلو من خيره فانظر تجد فيه أيها الحازم ان الحرف الناصب وان الحرف الجازم وان وان الحرفين الزائدين للتاكيد وقد تقدم لى فى بعض الاناشيد ذكر ذلك فى معنى ما أو كان بعد ما وان بعد لما وان شئت أن تجعل عوض ان المذكورة فى البيت ان المكسورة التى للشرط والزائدة فافعل وان شئت أن تجعل عوضهما ان مضمومة الالف فافعل ومعناه الرفق تقول أن على نفسك أى ارفق فى السير واتدع وهو مشتق من الأون وهو الدعة والسكينة والرفق تقول منه أنت أون أونا والاون أيضا المشى الرويد قال الراجز

غير يابنت الحليس لونى * مر الليالى واختلاف الجون * وسفر كان قليل الأون *

واذكر لك هنا فائدة على ماذكره أبو القاسم زائدة تكون ان بمعنى ما فى قوله تعالى ان الكافرون الا فى غرور وان كانت الا صيحة واحدة وان كل نفس لما عليها حافظ وتكون بمعنى لقد فى قوله تعالى ان كان وعد ربنا لمفعولا وتالله ان كنا لفى ضلال

مبين وتكون بمعنى اذ فى قوله تعالى ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون ان كنتم مؤمنين وقوله تعالى وذروا ما بقى من الربا ان كنتم مؤمنين ذكر هذا ابن قتيبة رحمه الله وقال هكذا قال المفسرون وبعض أهل اللغة يقولون هى ان بعينها وليست بمعنى اذ ويقولون أراد من كان مؤمنا لم يهن ومن كان مؤمنا ترك الربا والله أعلم فهذه ان وان وان بالفتح والكسر وهى حروف كلها وان مثقلة بمعنى نعم وذلك مشهور قال الشاعر

ويقلن شيب قد علاك وقد كبرت فقلت انه * والهاء للسكت وقال آخر

يا عمر الخير رزقت الجنه * اكس بنياتى وأمهنه * وقل لهن ان ان انه *

أى نعم نعم نعم وتكون أن بالفتح فعلا تقول أن الماء يؤنه أنا اذا صبه وفى كلام لقمان ابن عاد ان ماء واغلة أى صب ماء واغلة وكان ابن الكلبى يقول فى هذا انما هو أز بالزاى وبالنون تصحيف ووقع فى كتاب الزبيدى أنى الماء يأنى اذا سخن وسيأتى فى الباب بعد هذا ان شاء الله تعالى وان أيضا فعل ماض من الأنين وسيأتى ولى من هذه اللفظة كلام جمعته فى حروف الزوائد العشرة كما قال من جمعها اليوم تنساه فقلت أنا أن سهيل ومات فهذه تلك والحمد لله وأما ان ففعل أمر من ان المتقدم تقول أن يئن أنا وأنة وأنينا ورجل أننة وهو كثير البث والشكوى والجمع الاتن والأنان بالضم مثل الانين وكذلك التأنان قال الشاعر

أراك جمعت مسئلة وحرصا * وعند الفقر زحارا انانا

ومن العرب من يقول فى هذا من يهن هنينا وأنشد

لما رأى الدار خلاء هنا * وكاد أن يظهر ما أجنا

وذكر الخطابى رحمه الله فى قول عبد الله ان طول الصلاة وقصر الخطبة مئنة من فقه الرجل ثم فسر مئنة فقال وزنها مفعلة من الان بمعنى ان من انة الشئ بمعنى الاثبات له قال وتحريره أن يقال انه كذا وأما آن فاسم فاعل من التأنى والتحلم تقول رجل آن وامرأة آناة أى حليمة وآن أيضا اسم فاعل من أنى الماء يأنى وهو الذى قد انتهى حره ومنه تسقى من عين آنية ووزن آنية هنا فاعلة ووزنها فى قوله تعالى ويطاف عليهم بآنية من فضة افعلة لانها جمع اناء مثل كساء واكسية وأما آن فمعناه حان يقال آن يئين فعل من الاوان ويقاربه هذا فيقال فيه أنى يأنى كما قال سعد بن معاذ رضى الله عنه حين نزل بنو قريظة على حكمه لقد انى لسعد

أن لا تأخذه فى الله لومة لائم يريد والله اعلم آن بمعنى حان فقلب على مذهب العرب وقد تقدم ناء ونأى وسيأتى مثله فى باب السين ساء وسأى وتقول أيضا أنى يأنى انيا اذا انتهى وبلغ يقال آن انيك وآن آنيك أى حان وآن لك أن تفعل كذا يئين اينا

(فصل) من الفوائد تقدم الانة الكثير البث والشكوى قلت وما أقبح هذه الصفة عند أهل المعرفة والنبى صلى الله عليه وسلم يقول من كنوز البر كتمان المصائب والاوجاع والصدقة وقال من بث لم يصبر والله تعالى يقول وبشر الصابرين الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون وفى هذا قال عمر رضى الله عنه نعم العدلان ونعمت العلاوة وقد تقدم تفسير ذلك وليت شعرى هذا الذى يشكو مصيبته ماذا يريد وما عسى أن يستفيد وهل يشكوها الا لضعيف مثله فيزيد فى حمله بزيده الشكوى فى البلوى لانه لا بد من تزيد وتكذب فى غالب الامور وربنا يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور ثم الصبر يرجع أجرا وربما قد أحبط أجر المصيبة بشكيته فتصير المصيبة ثنتين ولذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم انما الصبر عند الصدمة الاولى * رأيت فى بعض الكتب ان مجوسيا قال بحضرة أحد العلماء ينبغى للعاقل أن يعمل فى أول المصيبة ما يعمله الجاهل بعد ثلاث فاستحسن العالم ذلك وأمر بكتبه عنه هذا معنى كلامه * ولما مات أخى عبد الله رحمه الله بمراكش كتب الفقيه الخطيب أبو محمد رحمه الله الى أبى رحمه الله يعزيه فيه بعد البسملة فى علم الفقيه الحاج أبى عبد الله اكرمه الله ان الصبر عند أول صدمة وبه يأخذ كل ذى أدب وهمة وما أجمله وأحسنه وقد أمرنا أن نسلك سننه والجزع قبيح ولو أباحه مبيح فكيف وقد ورد فيه ما ينفيه وقد وقفت على ما وصى به على عليه السلام الأشعث بن قيس وقال فى ذلك المعنى حبيب بن أوس

وقال على فى التعازى لأشعث * وخاف عليه بعض تلك الماتم

أتصبر للبلوى عزاء وحسبة * فتؤجر أم تسلو سلو البهائم

الى آخر الكتاب وقد خرجت عن الغرض لكن فى هذا شفاء من المرض وفقنا الله للعمل بما نعلم وصلى الله على النبى محمد وآله وسلم * واذ وقعنا فى ذكر الاشعث فربما فلنذكر له خبرا غريبا هو الاشعث بن قيس بن معدى كرب الكندى وكان شريفا فى قومه مطاعا وكان قد ارتد فى جملة أهل الردة فأتى به أبو بكر رضى الله عنه أسيرا

فأطلقه وزوّجه أخته أم فروة بنت أبي قحافة استئلافا له وليثبت في الاسلام فكان
ذلك كذلك والحمد لله ولما زوّجه خرج من عنده فدخل السوق فما اخترط سيفه
ثم لم تلقه ذات أربع الا عرقبها من بعير وفرس وثور ومضى فدخل دارا من دور
الانصار فصار الناس حشدا الى أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه فقالوا هذا الاشعث
قد ارتدّ ثانية فبعث اليه أبو بكر فأشرف من السطح وقال يامعشر أهل المدينة
انى غريب ببلدكم وقد أولمت بما عقرت فليأكل كل انسان منكم ماوجد وليغد
على من كان له حق فلم تبق دار من دور المدينة الا دخلها من ذلك اللحم
ولا رؤى يوم أشبه بيوم الاضحى من ذلك اليوم وضرب أهل المدينة به المثل فقالوا
أولم من الاشعث بن قيس وقال الشاعر فيه

لقد أولم الكندى يوم ملاكه * وليمة حمال الثقال العظائم
لقد سل سيفا كان قد كان مغمدا * لدى الحرب منه في الطلى والجماجم
فأغمده في كل بكر وسابح * وثور وعير في الحشا والقوائم
فقل للفتى الكندى يوم لقائه * ذهبت بأسنى ذكر أولاد آدم

ومن الانين مايروى ان رجلا شاور رجلا في النكاح فقال لا تتزوّج أنانة ولا حنانة
ولا منانة ثم فسر الانانة التي تعصب رأسها اكثر الدهر وتكثر الانين والحنانة
التي كان لها زوج قبل فهي تحن اليه ويحتمل أن تكون ذات ولد من غيره فهي
تحن اليه لذلك والمنانة التي لا تعطى شيئا الا منت ويقال للمرأة التي لها ولد من
غيره اللفوت لانها تلتفت الى ولدها واللفوت أيضا الرجل العسر الخلق واللفات
الاحمق واللفت السلجم واللفتة مرقة كالحيس تصنعها العرب زاد غيره بعد قوله
ولا منانة ولا عشبة الدار ولا كبة القفا ذكره أبو عبيد البكرى وفسر عشبة الدار
انها مثل قوله عليه الصلاة والسلام اياكم وخضراء الدمن قيل وما خضراء الدمن قال
المرأة الحسناء في المنبت السوء شبهها صلى الله عليه وسلم بالبقلة الخضراء النابتة
في المزبلة وهي الدمنة وجمعها دمن وهي عشبة الدار وفسر كبة القفا هي المرأة
السوء التي اذا مر زوجها بالقوم وولى قفاه قال أحدهم فعلت بامرأة هذا وكان
من شأن امرأته ذاتلت وما أقبح هذا الفن أعنى المن وان صاحبه ليكفيه ماقال
النبي صلى الله عليه وسلم فيه لا يدخل الجنة منان وقال أيضا صلى الله عليه وسلم
ثلاثة لا يكلمهم الله وذكر أولهم المنان الذى لا يعطى عطاء الا من به كما يروى ان

رجلا أهدى لآخر دجاجة فجعل يضرب بها مثلا لكل شئ وتاريخا لكل أمر فاذا
رأى لحما سمينا قال لا ولا مثل تلك الدجاجة واذا فعل شيئا قال كان ذلك قبل أن
أهدى لك الدجاجة بكذا او بعد أن اهديت لك الدجاجة بكذا على ان الخطابي
رضي الله عنه قال في قوله عليه الصلاة والسلام الامنفر بهذا المعنى قال وفيه
معنى آخر وهو النقص من الحق والبخس له كما قال تعالى أجر غير ممنون أي غير
منقوص ومقطوع ولذلك سميت المنية لانها تنقص العدد وتقطع المدد قال الفراء
المنون مؤنثة وأنشد * أمن المنون وريبها تتوجع * وفي التنزيل ريب المنون
أي ماريبها ويكون واحدا وجمعا قال عدي بن زيد * من رأيت المنون
خلدن أم من * وقالوا المن يفسد المعروف كما يفسد الصبر العسل وقال النبي
صلى الله عليه وسلم كل معروف صدقة وقال الله تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن
والأذى تفسير الحسن كان بعض المؤمنين يقول فعلت كذا وأنفقت كذا
فقال الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى فيصير
مثلكم فيما يحبط الله من أعمالكم كالذى ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله
واليوم الآخر وهو المنافق فمثله كمثل صفوان عليه تراب ويسمى العطاء منا
ومنه قولهم المن يفسد المن والمن الاوّل الكلام والثاني العطاء كما قالوا البرد يمنع
البرد فالاوّل البرد المعلوم والآخر النوم وقد تقدم وقد نهى الله تعالى نبيه عن المن
فقال سبحانه وتعالى ولا تمنن تستكثر قيل معناه لا تعط عطاء لتأخذ اكثر منه
وقرأ الحسن تستكثر موقوفة وقال فيها تقديم وتأخير يقول لا تستكثر عملك فتمن به
علينا ويحتمل على القول الاول ان يخاطب الله بهذا نبيه ليؤدبه بأشرف الاداب
واسنى الاخلاق ويحتمل والله أعلم أن يريد غيره كما قال الله تعالى فان كنت في
شك مما أنزلنا اليك الخطاب له والمراد غيره والله أعلم والمن أيضا الذى انزل على
بنى اسرائيل في التيه شئ حلو أشد بياضا من الثلج وأحلى من العسل كان ينزل
على شجرهم فيجتنونه ويأكلونه ينزل من طلوع الفجر الى طلوع الشمس ويأخذ
كل أحد مايكفيه فان تعدّى فسد والسلوى السماني طائر الى الحمرة تحشرها عليهم
الجنوب فيذبح الانسان مايكفيه ليومه فان تعدّى فسد الا يوم الجمعة فانهم كانوا
يدخرون منها ومن المن ليوم السبت لانهم كانوا يعبدون الله فيه ولا يشتغلون بغير
العبادة وتقدم آنفا وهو الذى قد انتهى حرّه وكذا فسر قوله تعالى يطوفون بينها وبين

حيم آن ومثله سرابيلهم من قطرآن وهى قراءة ابن عباس وأبى هريرة وغيرهما رضى الله عنهم والقطر النحاس والآنى الذى قد انى وأدرك أى انتهى حره وقراءة الجماعة من قطران يعنى قطران الابل وهو هذا المعلوم أى قمصهم التى يلبسون فى النار من هذا النوع فانظر ماذا تصنع النار فى القطران نعوذ بالله من جميع سخطه وكذا قوله تعالى تسقى من عين آنية يعنى قد بلغت نهاية الحر قال مجاهد يعنى نضجها منذ خلق الله الدنيا وقد تقدم أنى يأنى ومنه قوله تعالى ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق جاء فى التفسير أن المزاح والضحك كثر فى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية وفى الرقائق حدثنا نعيم قال حدثنا ابن المبارك قال أنا صالح المرى قال أنا قتادة ان ابن عباس قال ان الله استبطأ قلوب المؤمنين فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة من نزول القرآن فقال ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله الى آخرها وتقدم * يا عمر الخير رزقت الجنه * حكى أبو بكرة ان اعرابيا أتى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فأنشده

يا عمر الخير رزقت الجنه * اكس بنياتى وأمهنه
وكن لهم من الزمان جنه * أقسم بالله لتفعلنه

قال له فان لم أفعل يكون ماذا قال

تكون عن حالى لتسألنه * يوم تكون الاعطيات منه
وموقف المسؤل عندهنه * اما الى نار واما جنه

قال فبكى عمر حتى بلت دموعه لحيته ثم قال الغلامه يا غلام أعطه قميصى هذا لموقف هذا اليوم لا لشعره أما والله فانى لا املك غيره (فصل) من ملح هذا الفصل جمع بعض الشعراء لفظ ان وكلمات فى أول شعر شبيه باللغز فقال

ان آن أن نلتقى علنا * من من من أهلنا علنا
صره صرصرف الرياح بلغ * ود ودود دنا الننا
لو لو لو لومت رضاها * لو لو لوا بالبكا علنا

فى أبيات مثل هذه وهذا لعمرى مما يستملح ويستحلى ويتأدب به الاديب ويتحلى ولى أغرب من هذا وهو من جملة ما كتبت به الى ابن الرضى رحمه الله وطلب منى شعرا بلا خلط ولا نقط فكتبت اليه بالشعر الذى أوله * ادر دوارا ادردردا * ثم أردفت ذلك بقطعة فيها بيت ينعكس بلا خلط الا ان أحد حرفيه منقوط

والآخر

والآخر عاطل واعتذرت عن ذلك بما ترا وهى قطعة لزومية

قل لمن فى المعالى * والسناء اعتلانا
من يتكلف مالا * يستطاع ابتلانا
لم أجد غير بيت * فاستمع أنت لانا
وقع النقط فيه * فأرى البيت لانا
غير انا التزمنا * فى القوافى تلانا
من أتانا ببدع * بعدنا أو تلانا
احرفى قاتلات * حبذا من تلانا
ان أن أن آن * ان ان ان آنا

وهذا من اللزوم الصعب بعد التزام تلانا فى كل بيت قبله وتفسير البيت الآخر الذى لا يختلط وينعكس فى قراءته وليس فيه من الحروف سوى ألف ونون تفسيره ان الاول أمر من قولك أن يئن والثانى مفعول من أجله والثالث فعل ماض والرابع اسم فاعل والخامس للتأكيد والسادس للشرط والسابع فعل ماض والثامن وهو آخرها بمعنى حان والالف فى آخرها للوقف مثل الظنونا والسبيلا ومثل آن حان قول أبى بكر رضى الله عنه فى مخرجه آن الرحيل يا رسول الله أى حان وتقدم فى الشعر فاستمع أنت لانا وهذا الاشكال فيه وفى الرواية الاخرى اشكال وهى فاستمعه تلانا أردت الآن والتاء زائدة قال أبو زيد سمعت من يقول حتتك تلان يريد الآن فيزيد التاء كما قال الشاعر * وصلتيه كما زعمت تلانا * قاله الجوهرى قال وقد زادوها كذلك فى تحين وأنشد لأبى وجزة

العاطفون تحين لا من عاطف * والمطعمون زمان أين المطعم

الا انه يروى فى هذا العاطفونة حين على حذف قولهم فى الوقف هؤلاء مسلمونه وصابرونه فيلحقون الهاء لبيان الحركة فى الوقف كما أنشدوا

أهكذا يا طيب تفعلونه * أعللا ونحن منهلونه

فكانه قال العاطفونه ثم انه شبه الوقف بهاء التأنيث فلما احتاج لاقامة الوزن الى حركة الهاء قلبها تاء كما تقول فى الوقف جحفة فاذا وصلت صارت الهاء تاء فقلت جحفت فعلى هذا روى العاطفونة وقال قوم انما هو العاطفون مثل القائمون ثم انه زاد التاء فى تحين كما زادها الآخر فى تحين وذكر الشطر المتقدم * وصلتيه كما زعمت تلانا *

وبقيت مسألة من هذا الباب قوله تعالى ان هذان لساحران تكلم العلماء فيها فمنهم من جعل الكلام فى ان فقال انما هى ان مخففة النون بمعنى ما واحتج بقراءة أبى بن كعب رضى الله عنه ان ذان الا ساحران ومنهم من قال الهاء ههنا مضمرة تقديره انه هذان لساحران ومنهم من قال ان ههنا بمعنى نعم كما تقدم واحتج بقول على بن أبى طالب رضى الله عنه لا أحصى كم سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول ان الحمد لله نحمده ونستعينه على تقدير انه أو نعم ومنهم من قال تقديره ان هاذان لهما ساحران ومنهم من قال انما هى أن بفتح الالف واحتجوا بقراءة ابن مسعود ان هذان لساحران أن منصوبة الالف ساكنة النون بجعل أن تبيانا لما قالوه فى نجواهم ومنهم من جعل الكلام فى هذان وقال هى لغة بلحرث بن كعب يقولون مررت برجلان وقبضت منه درهمان وجلست بين يداه وأنشد * تزود منا بين أذناه طعنة * البيت ومنهم من كان يكتبها كما فى المصحف ويقرؤها ان هذين ويحتج بقول عثمان وعائشة رضى الله عنهما أرى فى القرآن لحنا وستقيمه العرب بألسنتها وقال الفراء وجدت الالف فى هذا دعامة وليست بلام الفعل فزدت عليها نونا فى التثنية فقلت جاءنى هذان ورأيت هذان فلم أغيرها كما قلت الذى ثم زدت عليها نونا فقلت جاءنى الذين عندك ورأيت الذين عندك وقال ابن كيسان نحوا من هذا لما كانت التثنية يجب أن لا يغيرها الواحد أجريت مجرى الواحد وروى عن ابن كثير انه قرأ ان هذان بتشديد النون وهذه أقوال كلها شافية والحمد لله

خرجت من فن الى فن * ولم يكن ذلك فى الظن
فكله علم فحصله فى * صدرك واسمع يا فتى منى

معكوس البيت ونأونأى * ونأه ونأء

لم يجتمع لى بيت من هذا الشكل واكلماتها أربعة بالونا الذى هو الفتور وواوه أصلية من نفس الكلمة تقول منه ونايني ونيا وتقول رجل آن وامرأة أناة حليمة وقد تقدم ويقال هى البطيئة القيام قال * رمته أناة من ربيعة عامر * البيت والهمزة بدل من واو وأصله وناة ولم تبدل الواو المفتوحة من الهمزة الا فى هذا وفى أحد من قوله تعالى قل هو الله أحد بمعنى واحد وأصله وحد وتقدم هذا فى أول الكتاب * ونأة غير مهموزة مثل قناة تقول تأنيتك حتى لا اناة لى وافعل ذلك بلاونية أى بلا توان وأما قول الاعشى

ولا

ولا يبيع الحمد بل يشترى * بوشك الظنون ولا بالتون

فانه أراد بالتوانى فحذف الالف لالتقاء الساكنين لان القافية موقوفة والمناء كلاء السفن ومرفؤها وهو مفعال من الوناء والفتور ويقال رجل نأنأ فى الامر اذا فتر ومنه منهنه فى أحد القولين على أن تكون الهاء مبدلة من همزة ويجىء نهنهت بمعنى كففت وتكون الهاء أصلية وينشد على نأنأ بيت امرئ القيس

لعمرك ما سعد بخلة آثم * ولا نأنأ يوم الحفاظ ولا حصر

وفى الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للاشج أشج عبد القيس ان فيك لخصلتين يحبهما الله الحلم والاناة يعنى التثبت فى الامور وترك العجلة يشهد لهذا التفسير قوله عليه السلام من تأنى أصاب أو كاد ومن عجل اخطأ او كاد وفى القرآن العزيز من هذا التفسير ولا تنيا فى ذكرى أى لا تفترا وقيل لا تبطئا وقيل لا تغفلا وذلك كله متقارب يقال ونى ينى ونيا اذا فتر ومنه التوانى قال هذا كله المهدوى وأما نأى فمعناه بعد واسم الفاعل منه ناء وهو آخر الكلمات فى الترجمة يقال نأى ينأى نأيا وأنأيته أنا أبعدته انآء مثل أقصيته اقصاء والنأى البعد ويقال النأى الفراق وان لم يكن بعد والبعد ضد القرب قاله ابن عزيز رحمه الله وفى كتاب الله أعرض ونأى بجانبه أى تباعد عن القيام بحقوق الله عز وجل وعن ذكره وقراءة ابن ذكوان ناء مثل باع وهو مقلوب منه ومعناهما سواء يقال ناء ونأى عنك وأنشد

أعاذل ان يصبح صداى بقفرة * وحيدا تناآى ناصرى وقريبى
ترى أن ما ابقيت لم أك ربه * وان الذى انفقت كان نصيبى

ويقال ناء بحمله اذا نهض به متثاقلا من قوله تعالى ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة أى تنهض بها وهو من المقلوب والمعنى ما ان العصبة لتنوء بمفاتحه أى ينهضون بها متثاقلين والله أعلم * ومن كلامهم له عندى ما ساءه وناءه وما يسوءه وما ينوءه أى يثقله ويقال ناء النجم ينوء اذا مال للسقوط والمصدر من هذا نوء قال ابن قتيبة سمى نوأ لانه اذا سقط الغارب ناء الطالع وبعضهم يجعل النوء السقوط كأنه من الاضداد وسقوط كل نجم من المنازل فى ثلاثة عشر يوما وكانت العرب تزعم انه لابد عند سقوط نجم وطلوع آخر من حادث اما مطر واما ريح أو برد أو حر ينسبون ذلك الى النجم ويقولون كان كذا بنوء كذا فان لم يكن ذلك عند شئ قالوا خوى نجم كذا وأخوى ولهذه الكلمة التى هى نوء كلمات اخر على شكلها بوء وتوء وثوء فأما بوء فمصدر باء

وقد تقدم تقول باء بكذا يبوء بوءا اذا احتمله فان قدمت الهمزة من بوء فقلت بأوا نقلب الى معنى آخر وهو التعظيم والرفعة ومنه حديث ابن عباس رضى الله عنهما فبأوت بنفسى أى رفعتها وعظمتها ومثله قول عمر بن الخطاب فى طلحة بن عبيد الله رضى الله عنهما لولا بأو فيه تقول منه بأوت على القوم أبأى بأوا قال حاتم طى

فما زادنا بأوا على ذى قرابة * غنانا ولا ازرى بأحسابنا الفقر

واما البو فهو غيره هوز فان العرب كانت اذا مات لأحدهم ولد ناقته أو بقرته وخشى أن يجف لبن أمه عمد الى جلد ذلك الميت فحشاه تبنا أو شبهه ثم قربه وقت الحلاب الى أمه فتشم رائحته فتظن انه جاء للرضاع فتدر لبنها عليه ويبقى ولا يجف ويسمى ذلك الجلد المحشو البو وقد ذكرته فى اشعارها كثيرا كما قال

فما أم بو هالك بتنوفة * البيت ومثله * وكنت كأم البو * وقد تقدم وقالوا للمفازة موماة وبوباة قال ابن السراج أصلها موموة على فعللة وهو مضاعف قلبت واوه ألفا لتحركها وانفتاح ماقبلها والتنوفة القفر وتجمع تنائف ويجمع البو على أبواء والبوّ أيضا رماد الاثافى قاله صاحب العين وقاله ثابت ويجمع الرماد على أرمداء يقال هذه أرمداء كثيرة وأنشد

لم يبق هذا الدهر من ايائه * غير أثافيه وأرمدائه

وسيأتى وجاء منه فى الحديث خذها رمادا رمددا وفسره الهلاك ومنه قيل عام الرمادة ورمدت القوم رمدا أهلكتهم وانشد

صببت عليكم حاصبى فتركتكم * كأصرام عاد حين جللها الرمد

ويقال رماد رمدد ورمديد كما قالوا جارية رعديد وأما التو فهو الفرد ضد الشفع ومنه قول النبى صلى الله عليه وسلم الاستجمار تو ورمى الجمار تو والسعى بين الصفا والمروة تو والطواف تو يعنى وترا لا شفعا ونقيضه زو ويقال جاء فلان زوا اذا جاء هو وصاحبه ومنه قول المعرى * وأجعل زوّا من بنانى فى سعى * والزوّ القرينان فان نصبت هذه الالفاظ وكتبتها بالالف توا وبواوتوا وأدخلت معها ماهو من شكلها مثل نوا اذا كتبته بالالف اذ قد يجوز ذلك فيأتى من شكله نوى ينوى بمعنى اعتقد ونوى التمر وغيره وجمعه انواء قاله ابن كيسان ونوى بعد وقيل فراق ويقال انتويت المنزل ونويته والنوى التحول من مكان الى غيره ونواه الله والنوى الرفيق ومن شكل النوى النؤى وهو الحفير حول الخباء كما قال * والنؤى كالحوض *

البيت

البيت ويقال فيه أيضا نئى والجمع انآء على وزن افعال ونؤى ونئى وانأيت للخباء نؤيا وانتأيت قاله الزبيدى رحمه الله ويأتى منه توى يتوى تاء منقطتين بمعنى هلك حكاه يعقوب والتوى الهلاك وفى البخارى فى شأن الدين يكون بين الرجلين على رجل فيريد ان يقتسمانه قال فيه فان توى لأحدهما يعنى هلك وقد يقال فى هذا توى يتوى توا فهو تو على وزن عمى يعمى عمى فهو عم هذا اشهر من الذى حكى يعقوب قاله ابن السيد وذكر ابن جنى فى المقصور والممدود ان التوى الهلاك مقصور واوليس فى كلامهم اسم ثلاثى مقصور مفتوح الاوّل ثانيه واو يكتب بالالف اجماعا الا التوا * نقلته من غير الكتاب المذكور ويأتى من هذا الشكل أيضا ثوى يثوى اذا أقام ويقال للمقبور أيضا قد ثوى يثوى ثويا فهو ثاو على وزن مضى يمضى مضيا فهو ماض قال الشاعر

وضجيع لطفهم الحسام وان ثوى * منهم فتى فعل المهند بقبر

هو للمعرى وبعده يقول

فكأنهم يرجون اقبار بهم * بالبيض تشفع عنده وتكفر

الا ان مصادر هذه الافعال تختلف فمصدر نوى نية ونوى نوا ونوى ثويا كما قال

لقد كان فى حول ثوى ثويته * البيت ويأتى على شكل نوى بوى وتوى ونوى اما ثوى فتقول منه ثوى فلان بالمكان أقام به يثوى ثواء وثويا مثل مضى يمضى مضيا ومضاء وتقول ثويت البصرة وثويت بالبصرة وأثويت بالمكان لغة فى ثويت قال الاعشى

اثوى وقصر ليله ليزوّدا * فمضت وأخلف من قتيلة موعدا

واثويت غيرى يتعدّى ولا يتعدّى وتقول الثوانى فلان ثواء حسنا ورب البيت أبو مثواه وفى القرآن اكرمى مثواه وأحسن مثواى والثوى بيت فى جوف بيت والثوى أيضا البيت المهيأ للضيف والثوى الضيف نفسه والثوى خرق كهيئة الكبة على الوتد يمخض عليها السقاء لئلا ينخرق وأما بواء بالباء فهو السواء وجاء فى الحديث مفسرا اقسمها على بواء يقال على السواء ويقال فلان بواء بفلان أى ان قتل به كان كفوا وأجابونا عن بواء واحد أى عن جواب واحد وبوأ فلان فلانا منزله أنزله فيه فتبوّأه وبوّأ نحوه الرمح قابله به وبواء موضع قال الشاعر

كأنا أسد بيشة أولبوث * بعثر ومنازلنا بواء

وأبواء على وزن حمراء نعت للعنز التى أصابها الاباء وهو المرض يقال عنز أبية وأبواء

وقد تقدم وتقول تبوّأ الرجل منزلا تبوّأ والبيئة الاسم قال الرياشى يقال بات فلان بحيبة سوء وبكفبئة سوء وبئة سوء اذا كان بحال سيئة انتهى كلامه وأما نواء بالنون فمن المناوأة وهى المعاداة تقول ناوأت الرجل ناهضته بالعداوة وأصله نأى اليك ونأوت اليه ومنه يقال اذا ناوأت الرجال فاصبر وفى الحديث من هذا فى شأن الخيل ورجل ربطها فخرا ورياء ونواء لأهل الاسلام فهى على ذلك وزر والنواء أيضا النوق السمان ومنه حديث حمزة رضى الله عنه اذ غنته القينة * ألا يا حمز للشرف النواء * فسره المازرى رحمه الله قال الشرف جمع شارف والنواء السمان يقال نوت الناقة تنوى نيا سمنت وكثر نيها وهو الشحم و يقال النى الاسم والنىء الفعل وقال غيره النى القصب ومنه قيل نيسابور لمدينة لانها كانت مقصبة سابور وهو اسم الملك فلما بنيت قيل مقصبة الملك وقد يقال لحم فى عين النىء اذا لم ينضج وأنأت اللحم وقد ناء ينىء نيأ و يقال نوت البسرة وانوت انعقد نواها ومن مضاعف هذا الباب نأنأ الرجل ضعف وعجز فهو نأناء ونأنأ وأنشد

لعمرك ما سعد بخلة آثم * ولا نأنأ عند الحفاظ ولا حصر

وتنأنأت عجزت ونأنأت الرجل اذا نهنهته وكففته عما يريد ورجل نأنأ أيضا اذا كان يكثر تقليب حدقتيه ومن النأنأة حديث على بن أبى طالب رضى الله عنه اذ قال لسليمان بن صرد وكان قد تخلف عن يوم الجمل ثم أتاه بعد فقال له على تنأنأت وتربصت وتراخيت فكيف رأيت الله صنع يقول ضعفت واسترخيت وفى حديث ابى بكر رضى الله عنه طوبى لمن مات فى النأنأة يريد فى أول الاسلام اذ كان ضعيفا قبل أن يكثر الاختلاف والفتن ولم تتشتت كلمتهم والله أعلم قال أبو عبيد أما المحدثون فلا يهمزونه وقال الاصمعى النأنأة مهموزة * بقيت القافية أخرتها حتى اجمعها مع قافية البيت الذى يأتى بعده ان شاء الله تعالى لانهما متقاربان وكذلك أخرت الفوائد الى فوائد البيت الآخر ان شاء الله تعالى وأقول

وذا آن وناء قد تقضى * وآخذ بعد فى اناوانا
وأذكر فيه ما أدرى ومالا * أحيط به عليه أثن انا
عسى الرحمن يرحمنى بذا كم * وأنى لى برحمته وأنى

مقلوب البيت حرف بين الفين

واناواناوانا * واناوانا ونل ونل

اما

اما انا وانا فانهما الحرفان المتقدمان وانما زدت عليهما اسمهما وهما فى القرآن فى غير موضع قال الله تعالى انا نحن نحيى الموتى أم يحسبون انا لانسمع سرهم ونجواهم وجاء بلفظ الجمع على ما تستعمله العرب فى مخاطبة الملوك واخبار الملوك عن انفسها يقولون لهم فعلتم كذا اوان رأيتم كذا وتقول الملوك نحن فعلنا ونحن نفعل والقرآن عربى نزل على ما يعرفونه وأما انى فمعناه أخر قال الشاعر

فأنيت العشاء الى سهيل * أو الشعرى فطال بى الاناء

وفى الحديث فى شأن الرجل الذى جاء يتخطى رقاب الناس يوم الجمعة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منعك أن تصلى معنا الجمعة قال أولم ترنى قال رأيتك تأنيت وآذيت أى تأخرت عن البكور وآذيت الحضور وفى رواية اخرى رأيتك آذيت وآنيت وقد تقدم أنى والاناة وما أشبهه قبل هذا وأما انا فصدر أن يئن أنا وقد تقدم وأما انا فأصله الهمز وتركت همزته للضرورة وهو اناء جمع أنى وهو ساعة من الليل قال الله عز وجل أمن هو قانت آناء الليل قال ابن عزيز واحدها أنى وانى واناء وقال غيره ذلك وزاد و يقال انو بالواو و يقال مضى انسان من الليل وانوان واما انى فى قوله تعالى أنى لك هذا فمعناه من أين لك هذا وأما فى قوله عز وجل فأتوا حرثكم أنى شئتم فقد فسره أبو طالب بقوله بمعنى كيف شئتم ومتى شئتم قال وتكون أنى بمعنى حيث ولا يصلح هذا الوجه ههنا وقال الزبيدى انى كلمة معناها كيف ومن أين وقال ابن عزيز معناه كيف شئتم ومتى شئتم وحيث شئتم فتكون انى على ثلاثة معان بقى من شكل البيت الفاظ لم تتزن مثل انى الماء يأنى اذا سخن وقد تقدم وانى الشئ يأنى تأخر عن وقته وانى الشئ يأنى أنيا حان قال الشاعر

تمخضت المنون له بيوم * أنى ولكل حاملة تمام

فمعنى انى حان وقال كعب بن مالك

ولقد أنى لك ان تناهى طائعا * أو تستفيق اذا نهاك المرشد

والانى مكسورا مقصورا ادراك الشئ وكذلك فسر قوله تعالى غير ناظرين اناه والاناء ممدود واحد الآنية وقد تقدم القول فيها وفى وزنها وتجمع أيضا أوانى وفى الحديث فى صفة حوض رسول الله صلى الله عليه وسلم آنيته عدد النجوم وفى بعض الروايات قلت فالاوانى قال عددها النجوم جعلنا الله ممن يشرب منه ولا يذاد عنه بمنه ويمنه * ومن هذا الشكل انا وهو ضمير المخبر عن نفسه اذا وقف

اثبت فيه الالف واذا وصل قال ان ومن العرب من يقف بهاء السكت فيقول انه وقد قرئ انا أحيي وأنا آتيك باثبات الالف فى الوقف والوصل وقد قرئ أيضا بحذفها فى الوصل هذا اذا القيتها همزة مفتوحة أو مضمومة فاذا القيتها همزة مكسورة حذفت فى اللفظ فى مثل ان أنا الا نذير مبين فان لم تلقها همزة البتة سقطت من اللفظ مثل قوله تعالى وأنا برىء مما تشركون وأنا من المسلمين وقد اثبتت فى الشعر دون أن تلقاها همزة قال الشاعر

أنا سيف العشيرة فاعرفونى * وهو أحد المعارف الخمسة وقد جعلوه أعرفها وقدموه على الاسماء والاعلام وقيل غير هذا ولكل وجه فابالك والنجه ويقى من شكل هذه اللفظة انى اسم بئر من آبار بنى قريظة نزل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حاصرهم قاله ابن اسحاق وقال ابن هشام ويقال بئرانى وقد تقدم فى الباب قبل هذا انى يأنى بمعنى حان مقلوب آن والحمد لله *يقى مقلوب البيت ألف بين نونين مثاله نان لا أعرفه اعرف نون وهذا بابه فلننفض عنه جلبابه حتى تتبين أسبابه أما نون فحرف هجاء ومعناه فى قوله تعالى ن والقلم وما يسطرون يعنى سائر الحروف المقطعة فى أوائل السور كما تقدم وروى ثابت البنانى ان نون الدواة قال مجاهد والقلم الذى يكتب به الذكر والنون أيضا لوح من نور رواه معاوية بن قرة عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم وقد تقدم صفة اللوح والحمد لله والنون أيضا الحوت وفى التنزيل وذا النون اذ ذهب مغاضبا وهو يونس عليه السلام وسيأتى خبره وجمع النون انوان ونينان وقع فى البخارى قال أبو الدرداء فى المرى ذبح الخمر النينان والشمس والنون أيضا شفرة السيف قاله صاحب التاج وأنشد للحارث بن زهير العبسى * بذى نونين فصال مقط * قال والنون اسم سيف لبعض العرب وكان قد أخذ منه فأخذ آخر على كره من صاحبه وقال

سأجعله مكان النون منى * وما أعطيته عرق الخلال

أى أخذته عنوة وما أعطاه عن مودة من صاحبه وانما أخذته طاقة ومعنى عرق الخلال ما يرشح به لك الرجل يقول لم يرشح لى به صاحبه وانما أخذته غصبا والنون أيضا من حروف الزيادات وقد تكون للتأكيد فى والله لأضربن وفى اضربن زيدا وهل تضربن وفى اما تضربن اضربنه وفى غير ذلك مما ذكره النحويون ويقى ان يذكر مخرج النون هو من الحروف المذلقة ومخرجه من تحت حافة اللسان

المرى بضم الميم ما يؤتدم به مما يسمى بالسردين وهو سمك وملح يوضع فى الخمر ويترك فى الشمس قال فى النهاية استعار الذبح للاحلال كأنه يقول كما ان الذبح يحل المذبوح فكذلك هذه الاشياء اذا وضعت فى الخمر قامت مقام الذبح فاحلتها كتبه نصر

المنى واللام قريب منه وهما ممتزجان بصوت الغنة وقد يتعاقبان على لفظة واحدة كما يقال جبريل وجبرين وقد قالوا فى قوله تعالى سجيل وسجين هما بمعنى واحد اللام والنون اختان وهو الشديد قاله البخارى وأنشد لتميم بن مقبل

وجلة يضربون البيض ضاحية * ضربا تواصى به الابطال سجينا

وقيل فى سجيل انه مركب من سنك وايل وقالوا اسماعيل واسماعين وانشد

قال جوارى الحى لما جينا * هذا ورب البيت اسماعينا

أراد اسماعيلنا فحذف النون المبدلة واللام وانشده القالى * هذا ورب البيت اسرائينا * وأنشد فيه

قد جرت الطير ميامنينا * قالت وكنت رجلا فطينا * هذا ورب البيت اسرائينا *

قال هذه الابيات رجل من العرب أدخل قردا الى سوق البصرة ليبيعه فنظرت اليه امرأة وقالت ممسخ أى مما مسخ من بنى اسرائيل ويروى فى هذه الحكاية ان هذا الشاعر صاد ضبا فجاء به الى أهله فقالت كما تقدم ممسخ فقال

يقول أهل البيت لما جينا * هذا ورب البيت اسرائينا

انشده الحربى وقال أى مما مسخ من بنى اسرائيل كما تقدم وكذلك قالوا فرس رفن بتشديد النون أى طويل الذنب والاصل رفل وقال النابغة * الى أوصال ذيال رفن * أراد رفل وقالوا اشثن الاصابع وشثل بالنون واللام وقد يدخلون على النون فى قافيتها الميم كما قال الراجز

والله ما فضلى على الجيران * الا على الاخوال والاعمام

وقال آخر يارب جعد فيهم لو تدرين * يضرب ضرب السبط المقاديم

وقالوا فى المنثور أين وايم الحية وقالوا حلان وحلام للجدى الذى يؤخذ من بطن أمه وأنشد لابن أحمر

تهدى اليه ذراع الجدى تكرمة * اما ذكيا واما كان حلانا

ان جعلت حلانا من الحلال فهو فعلان والميم مبدل منه وقال الاصمعى الحلام والحلان بالميم والنون صغار الغنم قال أبو عبيد فى تفسير الحلان ان أهل الجاهلية كان أحدهم اذا ولد له جدى حز فى أذنه حزا وقال ان عاش فقنى وان مات فذكى فان عاش فهو الذى أراد وان مات قال قد ذكيته بالحز فاستجاز بذلك أكله وقالوا الطواسيم والطواسين سور فى القرآن جمعت على غير قياس وانشد أبو عبيدة

و بالطواسيم التي قد ثلثت * وبالحواميم التي قد سبعت

والصواب أن تجمع بذوات وتضاف الى واحد فيقال ذوات طسم وذوات حم * تفسير قافية البيتين لم أجد نونا مع لام الانل ونل ولما لم يقترن أحدهما مع الآخر في بيت واحد فرقتهما في بيتين وأضفت اليهما ثل وثل لئلا كرر القافيتين وخصصت الثاء من بين الحروف لأني تركتها اذ ذكرت اختيها الباء والتاء وكنت أيضا استعرت النون في بيتهما في باب وقد تقدم ذكر ذلك والاعتذار عنه * اما نل فامر من نال ينال وأصله نيل ينيل مثل تعب يتعب تقول منه في الامر نل بفتح النون حسب ماهي في ينال كما تكسرها في الامر من كل لانك تقول يكيل وتضمها في قل لانك تقول يقول ومعنى نل اصب وفي التنزيل ولا ينالون من عدو نيلا معناه يصيبون و يلحقون وكذلك قوله تعالى لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم وتأتي لفظة نال بمعنى سبق وفي الحديث من قول الله عز وجل ان رحمتي نالت غضبي فسره بعض العلماء سبقت وأنشد قول زهير * نال الملوك و بدأ بعده السوقا *
والمصدر نال نيلا ومنالا ونولا ونالا وفي الحديث في قصة موسى عليه السلام والخضر قوم حملونا بغير نول عمدت الى سفينتهم فخرقتها يعني والله أعلم بغير ثمن أعطيناهم فسره الخطابي بغير جعل والنول والنوال العطاء والنائل مثله وما أحسن قول عبيد بن الابرص يمدح قومه

قومي بنو دودان أهل الندى * والبأس اذا التمعت الحائل
كم فيهم من سيد أيد * ذي نفحات قائل فاعل
من قوله قول ومن فعله * فعل ومن نائله نائل

وقد تسمى المرأة نائلة منهن نائلة بنت الفرافصة الكلبية رضي الله عنها وأما نل فمن قولك أنلته المعروف ونلته ونولته أعطيته نوالا و يقال النولة اسم للقبلة وتكون أيضا بمعنى الفعلة من العطية كما قال

ان تنوله فقد تمنعه * وتريه النجم يجري بالظهر

و يقال ما كان نولك ان تفعل كذا أي ما ينبغي لك وقد آن نالك ان تفعل والنول والمنوال من أداة الحائك وجمعه انوال قال ابن السكيت يقال رجل نال كثير النوال ورجلان نالان وقوم نوال ﴿فصل﴾ وأما مقلوب هذه اللفظة نل فهو لن حرف نفي من حروف النصب ولن أمر من لان و يقال اذا عز أخوك فهن

واذ

واذا اشتد الين وفي التنزيل فبما رحمة من الله لنت لهم وأما ثل وثل فمن فعل واحد يقال ثل البيت يثله ثلا اذا هدمه وثل عرش الرجل هدم وزال قوام أمره وأثله الله اذا تضعضعت حاله والمصدر الثل وانشد

تداركتما الاحلاف قد ثل عرشها * وذبيان قد زلت باقدامها النعل

وربما قيل ثل عرش فلان وعرشه اذا قتل قاله الاصمعي وانشد

وعبد يغوث تحجل الطير حوله * وقد ثل عرشيه الحسام المذكر

والعرشان في هذا الموضع مغرز العنق في الكاهل وكذلك عرشا الفرس آخر منبت قذاله من عنقه والثلل الهلاك وأنشد * ان يثقفوكم يلحقوكم بالثلل *
و يقال ثل عرشه بمعنى ذهب عزه وثل ثلله واثل الله ثلله أي أذهب عزه والثلة الصوف قال الراجز قد قرنوني بامرئ عثول * رخو كحبل الثلة المبتل
العثول الثقيل فيما أخذ فيه وقال أبو زيد الثلة القطيع من الضأن خاصة وقال غيره والجمع ثلال والثلة لحمى يومين بين شبر بشين والثلة بالضم الجماعة من الناس وفي التنزيل ثلة من الاولين وقليل من الآخرين جاء في التفسير الثلة الجماعة مأخوذة من الثل وهو القطيع قال مجاهد الجميع من هذه الأمة والمعنى فرقة ممن تقدم وفرقة ممن تأخر وقال الحسن وغيره المعنى فرقة ممن مضى قبل هذه الأمة وقليل من الآخرين ممن آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وسموا قليلا بالاضافة الى من كان قبلهم وقيل المراد بذلك الانبياء لانهم في الاولين اكثر منهم في الآخرين وأما قوله تعالى ثلة من الاولين وثلة من الآخرين فقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الثلتان جميعا من أمتي ذكر ذلك كله المهدوي رحمه الله فان جعلت الواو من نفس الكلمة فله معنى الوثل بالتحريك الحبل من الليف والوثيل الليف ومنه سحيم بن وثيل وواثلة اسم رجل وأما مقلوب هذه اللفظة فلث يقال شجر ملثوث اذا أصابه الندى واللثة واحدة اللثات وهي اللحم بين الاسنان واللثى شيء أبيض يسيل من ماء الشجر وقد لثيت الشجرة وألث ماحولها وقد تقدم وألث السحاب دام وكذلك ألث المطر اذا دام اياما لا يقلع ولثلث وتلثلث تردد والتلاثة والملثلث البطيء والالثاث الاقامة بالمكان وهو من ألث وفي الحديث لا تلثوا بدار معجزة

خرجت من شيء الى غيره * وهكذا في شرطنا ان يكون

لكنني لم أعد نونا الى * ميم ولاميما الى حرف نون
بل كل معنى جاء في بابه * فاجتمعت في ذاك شتى فنون

﴿فصل﴾ من فوائد هذا الباب تقدم ناء وتنوء بالعصبة قال ابن عباس رضى الله عنهما العصبة ثلاثة رجال وعنه من الثلاثة الى العشرة وقال ابن عتيبة أربعون رجلا وقال مجاهد من عشرة الى خمسة عشر وأصلها في اللغة الجماعة الذين يتعصب بعضهم لبعض وكانت مفاتحه من جلود الابل قال الضحاك كان يحمل مفاتيح خزائنه أربعون رجلا وقال أبو صالح يحملها أربعون بغلا وجاء من ناء في الحديث في شأن الرجل الذي خرج تائبا الى القرية الصالح أهلها من القرية التي كان يعمل أهلها السوء بعد ان كان قتل مائة نفس فادركه الموت في الطريق فناء بصدره نحو القرية الصالح أهلها فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فبعث الله اليهم ملكا فقال قيسوا ما بين القريتين فوجد الى القرية الصالح أهلها أقرب بشبر فقبضته ملائكة الرحمة قال بعض أهل العلم يحتمل أن يكون ذلك الشبر هو الذي زاده اذ ناء بصدره والله أعلم واذا الله سنى عقد أمر تيسرا * واذا أعطى فلا مانع

واذا كانت العناية منه * جاءك السعد أينما كنت تحضر

وهذا البيت انشدنيه الفقيه أبو محمد عبد الحق رحمه الله لنفسه في قطعة منها

شكر الله سعي قوم ففازوا * وأنا لم يكن لي سعي فيشكر
وثنى من ثنى عنان التصابي * وأنا مثل ما عهدت واكثر
واذا العبد لم يعد برشد * أنجد الدهر في الضلال وغور

ولما رآها الفقيه الخطيب أبو محمد عبد الوهاب رضى الله عنه بدل قوافيها فقال

حمد الله سعي قوم ففازوا * وأنا لم يكن لي سعي فيحمد
وثنى من ثنى عنان التصابي * وأنا مثل ما عهدت وأزيد
واذا العبد لم يعد برشد * غور الدهر في الضلال وأنجد

وقال في البيت الاول * جاءك السعد أينما كنت تشهد * وهذه الابيات وان لم تكن من الباب فهي عندي من الالباب والحديث أيضا يجر بعضه بعضا وتقدم نوى نجم كذا او أنوى كان هذا في الجاهلية فلما جاء الاسلام أبطل هذا كله وهو الحق لانه لا فاعل الا الله وقد ذم رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يقول اذا اصبح وقد مطر الناس مطرنا بنوء الفتح و يتلو هذه الآية ما يفتح الله للناس

من رحمة فلا ممسك لها الآية وقال النبي صلى الله عليه وسلم فيما يحكيه عن ربه تبارك وتعالى أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر بي فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب ومن قال مطرنا بنوء كذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب وتقدم التائف جمع تنوفة وأنشدني بعض أصحابنا للرصافي وكان محتنا رحمه الله

ولواني على بعدي وضعفي * جعلت الشوق راحلتي وطرفي
لازفت التنائف دون جهد * وجئتك قبل أن يرتد طرفي

وتقدم النوى الهلاك وانشدني الخطيب لنفسه من قطعة طويلة رحمه الله

قد زدت في نون النوى فقطعتها * اخرى لاني بالفراق خبير

يقول ان النوى يؤول الى التوى كما قال الحريري رحمه الله

بني استقم فالعود تنمي عروقه * قويما ويغشاه اذا ما التوى التوى

وتقدم البيئة والحيبة ذكر ثابت رحمه الله في شرح حديث النعمان بن بشير رضى الله عنه انه دخل على يزيد بن معاوية وعنده على بن الحسين بن على بن أبي طالب رضى الله عنهم ومن كان معه من نساء الحسين وصغار ولده فقال له يزيد يا نعمان ماترى ان أصنع بهؤلاء فأمر بهم يزيد فأدخلوا الحمام وكانوا قد قشبوا وكساهم وسرحهم الى المدينة قوله قشبوا يعني يبسوا وتغيروا وفي الحديث في صفة الرجل الذي يخرج من النار فيقول يارب قد قشبني ريحها وذكر الحديث وتقدم قول ابن عزيز رحمه الله في قوله تعالى انى شئتم وهذا التفسير منه رحمه الله انما هو على عرف الشرع وما يجوز فيه ألا تراه يقول متى شئتم وقد علم ان الحائض لا تؤتى حتى تطهر كما قال الله عز وجل ولا تقربوهن حتى يطهرن يعني من حيضهن فاذا تطهرن يعني بالماء وكذلك علم ان الحائض لا تؤتى وهي صائمة ولا في ليل الاعتكاف ولا في حال الاحرام وتدخل هذه كلها تحت متى ولكن منع الشرع منها فكذلك يخرج قوله تعالى حيث شئتم مما أبيح لكم في الشرع من مواضع الجسد كبين الفخذين في غير أوان الحيض أو بين العكن في أوانه اذ قد رخص له مافوق الازار لقوله عليه الصلاة والسلام لتشد عليها ازارها ثم شأنك باعلاها وأما الدبر فاعوذ بالله ان يعتقد مسلم محب احلاله اباحته واحلاله بعد ما جاء فيه من التشديد والوعيد الشديد ولو لم يكن غير قول عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها من أتى امرأة في دبرها فقد كفر بما أنزل على محمد وخرجه الترمذي من طريق أبي هريرة عن النبي صلى

الله عليه وسلم قال من أتى حائضا أو امرأة فى دبرها أو كاهنا فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم وقال ابن مسعود رضى الله عنه محاش النساء عليكم حرام ذكره الخطابى وقال والمحشة الدبر وهى المحسة أيضا ومن أسمائها السته والفقاعة والعفاقة ومنه قولهم كذبت عفاقته وخرج النسائى عن ابن عباس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينظر الله الى رجل أتى امرأة أو رجلا فى الدبر وخرج أبو داود عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ملعون من أتى امرأة فى دبرها هذا هو الصحيح وقد اشتبه على بعض من لا يعرف اللغة فى قول عائشة رضى الله عنها اذا حاضت المرأة حرم الجحران احتج به من رواه الجحران بكسر النون وقال لولا انهما كانا حلالا قبل ذلك لم يقل حرما بعد الحيض كما قال ابن قتيبة وقد ذكر هذا الخبر انما الرواية الصحيحة الجحران بضم النون وهو الفرج وهذا مذهب فى اللغة صحيح لان هذه الالف والنون تزادان آخرا قال أبو زيد يقال جئت فى عقب الشهر وفى عقبانه وقالوا فى الجمع سود وسودان وحمر وحمران وقالوا فرس عرى لا جل عليه ورجل عريان ولم يقولوا فرس عريان ولا رجل عرى وكذا قالوا جحر الضب وجحر الارقم وقالوا للفرج خاصة جحران فزادوا الالف والنون ليكون اسما له وقد يفعلون مثل هذا كثيرا قالوا فحال النخل وفى سائر الاشياء فحل وقالوا أخوه بلبان أمه وقالوا فى سائر الاشياء لبن الى غير ذلك انتهى كلامه وقال غيره ومن الآية نفسها يخرج المنع من ذلك ألا تسمعه تعالى يقول نساؤكم حرث لكم أى انكم تحرثون منهن للولد كما تحرث الارض طلبا للزراعة روى عن الشافعى رضى الله عنه انه قال فى هذا الحرث لا يكون الا من حيث النبات وقد نجه بعضهم وتهم من بذلك اتهم فقال له ويلك أتبذر فى السباخ وتستفرخ حيث لا افراخ قلت فحيث يحل الازدراع فثم يحل الانتفاع مع قوله عليه الصلاة والسلام تزوجوا الولود الودود فانى مكاثر بكم الامم يوم القيامة وفى رواية حتى بالسقط والرضيع قلت انظر فضيلة الولد وان كان سقطا وقد جاء أم الولد حرة وان كان سقطا وقد نهى عن العزل فى الموضع الحلال فكيف عن ذلك وقال سوداء ولود خير من حسناء عقيم هل ذلك الا لطلب الولد هذا لا خفاء به على احد ولا يكون النسل فى الموضع الفسل وصاحب هذه الخصلة الشنيعة منسلخ من الشريعة لم يتأدب بآدابها ولا تعلق بأهدابها ولا اكتسى بأثوابها ولا أتى البيوت من أبوابها وقيل فى قوله تعالى وأتوا البيوت من أبوابها ائتوا النساء فى فروجهن

وليس

وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها فسر فى النهى عن اتيان النساء فى ادبارهن رواه ابن الانبارى فى التحصيل وقد كذب على مالك رضى الله عنه من روى عنه ذلك روى عنه على بن زياد انه سئل عن ذلك فاباه وا كذب من نسبه اليه هذا الذى يليق بامامنا مالك رضى الله عنه وخرج ثابت رحمه الله قال سئل ابن عمر عن التحميض قال وما التحميض قال يأتى الرجل المرأة فى دبرها قال ويصنع هذا أحد من المسلمين خرج هذا الحديث برده والله أعلم ما روى عن بعضهم انه قال كنا نشترى الجوارى ونحمض فيهن وهذا باطل شاهده انه لما سئل عن ذلك ابن عمر رضى الله عنه أنكره وقال ما تقدم قلت وهذه اللفظة مأخوذة من الحمض وهو من النبت ما فيه حموضة ضد الخلة من النبات وهو ما ليست فيه حموضة واذا أكلته الابل اشتهت الحمض تقول العرب الخلة خبز الابل والحمض لحمها و يقال فاكهتها وقد تقدم فى أول الكتاب قول ابن الزبعرى هاتوا من أشعاركم فان للاذان مجة وللنفس حمضة والحمضة الشهوة الى الشئ مأخوذ من فعل الابل التى اذا ملت الخلة طلبت الحمض وقد فسر أبو عبيد البكرى قول المرأة التى ذكر أبو على فى النوادر وان أصل الحمض على وجهين أحدهما على المذهب السوء واستشهد على هذا بقولها بعده وان أخل أحمض قال وهذا يقوى ذلك المعنى والوجه الآخر وهو الاولى ان يكون قولها وان أخل أحمض أى ينقلها من نعمة الى نعمة أخرى كما تفعل الابل اذا ملت مرعى انتقلت الى غيره قال و يقال حمضته وأحمضته قال الطرماح

لا تنى يحمل العدو وذو الخلة يشفى صداه بالاحماض

وقال العجاج جاؤا مخلين فلاقوا حمضا * طاغين لا يزجر بعض بعضا

أى جاؤا يشتهون القتال فلاقوا من يقاتلهم وقد تقدم هذا فى باب الخاء مع قولهم فى المثل اذا جاء الرجل متهددا أنت مخل فتحمض وقول الشاعر * وخلة داويت بالاحماض * قلت وأرى قول العامة للمرأة حامضة مأخوذ من المعنى الاول كانهم ارادوا محمضة أى حمضة أى ذات شهوة والله أعلم (بيان ثان ببرهان دان) انظر هل يفرق بين الانثى والذكر الا بالفرج والذكر وهما فيما سوى ذلك سواء فيقتضى العقل والنظر ان فيهما وهما قضاء الوطر اذ بهما وقع الفرقان بين الاناث والذكران ولا يحتج على باللحية والثدى بين اللذين يكونان بعد اعوام طارئين وقبل هاتين الحالتين لا تكاد تفرق بين الشخصين الا بذينك العضوين أعنى الفرج والذكر

المذكورين وطرقوا الثديين لحكمة متقنة وقدرة ممن خلق كل شيء فأتقنه فهما غذاء المولود ساعة يوضع يجد في الحين ما يرضع وحلمة الثدي على معيار فيه ولبن الدر بمقدار ما يكفيه يتندى الطفل لمصه وهو لا يقدر على مصه ثم يلهم لجذبه اليه ليدر عليه ويمسك عن اجتذابه فيتوقف اللبن عن انسكابه ذلك تقدير الحكيم العليم وتصوير الرحمن الرحيم وأما طرقوا اللحى في الرجال فلمعنى المهابة والاجلال والزينة والكمال وفي بعض الاخبار ان لله ملائكة يقسمون والذي زين بني آدم باللحى ويقال ان اللحية من تمام خلق الرجل وبها يميز الرجال من النساء في ظاهر الخلق وقيل في قوله تعالى يزيد في الخلق ما يشاء قيل اللحى وفيها موعظة لمن نظر وتدبر فأبصر وذلك انها على الخدود والشوارب بمنزلة الخطام المعد للبهائم السوائب الا تراهم يقولون للغلام قد عذر اذا نبتت لحيته مأخوذ من عذار الفرس الذي يجعل على خده ايراض به ويلجم ويقولون فلان خلع العذار من هذا كأنه قد أزيل زمامه أو خطامه فسيب كما يفعل بالدابة اذا ارسلت والى هذا المذهب ذهب الغمر ابن ثواب اذ يقول

ألست بشيخ قد خطمت بلحية * فتقصر عن فعل الغرانقة المرد

الفرنوق والغرانق الشاب الجميل ثم في شيب اللحية قبل الرأس وشعر الرأس أقدم من شعر اللحية موعظة أيضا وذلك ان الشيب من علامة الكبر والكبر قريب من الموت وقيل في قوله تعالى وجاءكم النذير انه الشيب وقيل محمد صلى الله عليه وسلم ولما كان الانسان لا يرى شعر رأسه بعينيه ويرى شعر لحيته سبق الشيب الذي هو علامة الموت للذي يراه بعينه كل وقت فكانت الموعظة به أشد وقيل انما سبق الشيب الى اللحية لقرب شعرها من الصدر والصدر مقر الهموم ومحل الاحزان والله أعلم والاول عندي أحسن وأبين لان الانسان تشيب لحيته وشعر صدره لم يشب وهو أقرب الى القلب من اللحية وفي اللحية أيضا زيادة في العبادة لان الانسان يخللها في الوضوء ويغسلها في الجنابة وله بكل شعرة حسنة ويروى ان الرجل اذا اغتسل لم يمر الماء بشعرة من شعره الا كتبت له عشر حسنات ومحي عنه عشر سيئات وتسجد معه اذا سجد فتكثر حسناته ويمشطها ويدهنها ينوي بذلك السنة فيزيد في أجره ويحل بها الشيب ويلزمه الوقار كما قال ابراهيم عليه السلام اذ رآه وهو أول من رأى الشيب فقال ما هذا يا رب قال له وقار يا ابراهيم قال يا رب

زدني وقارا ومع هذا فهو مشنوء عند الناس بغيض لهم لا سيما عند النساء ذوات الجمال اللاتي لا يحببن من الرجال الا الشاب الفتي الجلد القوي وما سوى ذلك فهو الهلال لقبه عندهن محمدان لا طعام ولا طعان وقد يستغني بعض النساء عن الطعم بالطعن فاذا عدمته فليس غير الطرد واللعن ولا ود ولا وصل الى يوم الفصل أما سمعت قول الشاعر

يا صاح بلغ ذوي الزوجات كلهم * أن ليس وصل اذا استرخت عرى الذنب

ولا تنكر على الغواني ذوات الزين تسميتهن الشيب بالشين فقد ذكر بيانا من ذلك انس بن مالك رضي الله عنه فيما أخبر به وقد سئل عن شيب النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما شانه الله ببيضاء خرجه مسلم ولي في هذا المعنى

كذاك الشيب عند الغيد شين * فدع عنك الصبابة والغراما
وأقبح ما يكون الشيخ يوما * اذا ما ريء صبا مستهاما

واني قد رأيت الشعراء اكثرت في ذلك قديما وحديثا أرقالت فيه أماما ووراء وجديدا ورثيثا وقد تقدم لي من ذلك في هذا الكتاب ما فيه موعظة لو أتى من أولي الالباب ولي منه في التكميل الكثير لا القليل وأحسن ما عندي منه قولي

نظرت في المرآة وجهي فلم * أعرفه لما أن بدا عيبه
كان نضيرا فغدا ذاويا * ولاح في تشنيعه شيبه

ومن القديم المستحق للتقديم قول امرئ القيس

أراهن لا يحببن من قل ماله * ولا من رأين الشيب فيه وقوسا

وأيضا اذا شاب رأس المرء أو قل ماله * فليس له من ودهن نصيب
يردن ثراء المال حيث علمنه * وشرخ الشباب عندهن عجيب

وقال آخر فصدت وقالت أخو شيبة * عديم ألا بئست الخلتان

ولي من قطعة لزومية مطولة في شيخ فقير خطب جارية غنية

أتخطب من قدها غصن بان * ومن كالسجنجل منها اللبان
تضاف الى الشمس في حسنها * وتنسب في العز للمرزبان
وأنت عديم أخو عيلة * مشيبك في عارضيك استبان
وغير جسمك مر السنين * عليك ومنك مضى الاطيبان
لعمرك ما حق من حاله * كذا أن يضم ولكن يبان

تظن تخف عليها لأنت اثقـل فى قلبها من ابان
فدع ذكر هذى ولا تختري * عليها فانك أنت الجبان

نعم وشيم النساء الغدر وسجيتهن الختر ألم تسمع قول الشاعر

كل انثى وان بدا لك منها * آية الحب حبها خيتعور

الخيتعور كل ما لا يدوم على حالة واحـدة و يضمحل كالسراب وكالذى ينزل من الهواء فى شدة الحر كنسج العنكبوت وأصل هذه الكلمة من الختر الذى تقدم وهو الغدر وفى الحديث ما ختر قوم بالعهد الا سلط الله عليهم العدو قلت واذا عيرت المرأة الرجل بالشيب وعدته عليه من اكبر العيب فليعكس عليها القصة وليحمل شيبه وشيبها على المنصة فان ذلك منها أقبح ومنه أملح فان أبت الا التمادى باللجاج والتمادى فى اللجاج فلينشدها ما قاله أحد المجانين وكان من الشعراء المجانين وهو ما حدث الاصمعى رحمه الله قال رأيت بعض عقلاء المجانين وقد اجتمع عليه نسوة وهن يقلن له ضحك الشيب فى رأسك يا أبا فلان فوقفت عليه وهن يرددن القول عليه فلما نظر الى ّ صرف وجهه تلقاء حائط كان بازائه وجعل ينشد

ان المشيب رداء العلم والادب * كما الشباب رداء اللهو واللعب
تعجبت أن رأت شيبى فقلت لها * لا تعجبى من يطل عمر له يشب
شيب الرجال لهم زين ومكرمة * وشيبكن لكن العار فاكتئبى
فنالكن وان شيب بدا أرب * وليس فيكن بعد الشيب من أرب

ورأيت هذه الحكاية فى موضع آخر قال دخل أبو دلف على أمير المؤمنين وعنده جارية ماجنة فمازحته وقالت له شبت يا أبا دلف فقال له أمير المؤمنين أجبها فقال ان المشيب الابيات واذكرنى قول المرأة ضحك الشيب فى رأسك يا أبا فلان شعرا أنشدنيه الفقيه المحدث أبو محمد عبد الحق لنفسه رحمه الله

ضحك الشيب فوق رأسى وأغرب * اذ رآنى ذهبت فى غير مذهب
هو ينعى الى ّ فى الحال نفسى * وانا جانبا أخوض وألعب

من قطعة مطولة ولما رآها الخطيب أبو محمد عبد الوهاب بدل قوافيها فقال

ضحك الشيب فوق رأسى وقهقه * اذ رآنى ذهبت فى غير مهمه

وامتد عليها كذلك الى آخرها من كلام غريب عجيب فان أردت ذلك فانظره فى كراسة القافية المبدلة من التكميل موفقا ان شاء الله والحمد لله ولا بد أن اثبت لك

ههنا أيها السكن مما أرويه بعض ما أمكن أنشدنى الحافظ رحمه الله قال أنشدنا نصر بن محمد بن نبهان القاضى بالدينور قال أنشدنا أبو اسحاق الشيرازى ببغداد للصاحب ابن عباد

أناخ الشيب ضيفا لم أرده * ولكن لا أطيق له مردا
رداء للردى فيه دليل * تردى من به يوما تردى

وأنشدنى أيضا رحمه الله لبعضهم

حل المشيب بعارضى ومفارقى * بئس القرين أراه غير مفارقى
رحل الشباب فقلت قف لى ساعة * حتى أودع قال انك لاحقى

وأنشدنى الحافظ فى مدح اللحاء لبعضهم

قال العذول أتت حبيبك لحية * حكمت بأن البدر منه يكسف
فأجبته والحكم منى صادع * هى حلية لا لحية لو تنصف

وأنشدنى

لحية ميمون اذا حصلت * لم تبلغ المشار من ذره
تطالعت فاستقبحت وجهه * فأقسمت لا نبتت شعره

وكان الاحنف بن قيس رضى الله عنه ثطا يعنى كوسجا وكان رهطه يقولون وددنا اننا اشترينا للاحنف لحية بعشرين ألفا وعن شريح القاضى رضى الله عنه وددت ان لى لحية بعشرة آلاف وقال بعض الادباء فى اللحية خصال نافعة منها تعظيم صاحبها والنظر اليه بعين الحلم والعقل ومنها رفعه فى المجالس والاقبال عليه ومنها تقديمه على الجماعة وفيها وقاية لعرضه وقال يزيد بن مزيد لبعض جلسائه وكان يكثر تسريح لحيته ودهنها انك من لحيتك لفى شأن فقال نعم

لها درهم للدهن فى كل جمعة * وآخر للحناء يبتدران
ولولا نوال من يزيد بن مزيد * لصوت فى حافاتها الجلمان

قلت واللحية حسنة ما لم تطل على الحد فتتجاوز الحد كما قال بعض الشعراء فى رجل طويل اللحية

ولحية طولها ذراع * من شعر مطول آخره * يا شيخ هذا الكساء يباع * لم اذكر صدر البيت فقلت انا يصلح أن يكون الصدر
قال السماسرة اذ رأوها * يا شيخ هذا الكساء يباع

وقال ابن الرومى

ولحية يحملها مائق * مثل الشراعين اذا أشرعا
يقوده الريح بها صاغرا * قودا حثيثا يتعب الاخدعا
لو غاص فى البحر بها غوصة * صاد بها حيتانه أجمعا

وقال الناجم لابن شاهين لحية * طوله مثل طولها
فهو الدهر كله * عاثر فى فضولها

وأنشدنى الخطيب أبو محمد عبد الوهاب لنفسه

زارنى بعض الاحبه * لا بل اعمال جبه
ولقد زانته أيضا * لحية تبلغ قلبه
ان تجزأ كان فيها * فوق عشر من مذبة

انظره فى التكميل والكلام أيضا فى هذا يطول وأمره مهول وكله خلق الله وان الله ذو الجلال لا ينظر الى الصور ولكن ينظر الى الاعمال وكما فى اللحية من الخصال المحمودة ما تقدم كذا فيها من الخصال المذمومة ما عليك يقدم وقد عدّ فيها أبو طالب من خفايا الهوى ودقائق آفات النفس اثنتى عشرة خطيئة منها ازالتها بحلقها عند أول خلقها كما يفعله بعض الجهال المتشبهين بالرجال وليسوا من الصلحا لأمر النبى صلى الله عليه وسلم باعفاء اللحا ولو لم يكن فيها من الجفا الا التشبه بالنساء لكفى ومنها نتف الشيب ومنها العجب بها ومنها تركها شعثة ليرى الناس انه فى شغل عنها بالعبادة ومنها تسريحها لأجل الناس كما قال سرى السقطى رضى الله عنه فى اللحية نبر كان تسريحها لأجل الناس وتركها منفتلة لأجل الزهد وقال لو دخل علىّ أحد فسننت لحيتى لأجله لظننت انى مشرك ومنها صباغها بالسواد لأجل الهوى وتبييضها بالكبريت ليرى انه قد لقى أشياخا وعلماء لكى يؤخذ عنه العلم وأنشدنى الحافظ فى الذى يخضب لحيته بالسواد قال أنشدنا أبو محمد جعفر بن أحمد بن الحسين بن السراج اللغوى ببغداد لنفسه ولم يقصد أحدا

ومدّع شرخ شباب وقد * عممه الشيب على وفرته
يخضب بالوشمة عثنونه * كفاه أن يكذب فى لحيته

والكلام أيضا فى هذا المعنى كثير ومن أحسن ما اعتذر به صاحب الخضاب ما انشدنى الشيخ الفقيه الزاهد أبو العباس أحمد بن على بن أحمد السرقسطى رضى الله عنه بالاسكندرية لنفسه وقال لى عجبت من اتفاق اتفق لى قلت أبياتا وهى

وقالوا الى خضبت الشيب كيما * تزالك الغانيات من الشباب
فقلت لهم مرادى غير هذا * ولم يك ما حسبتم فى حسابى
خشيت يراد منى عقل شيخ * ولا يلفى فلت الى الخضاب

قال

قال الشيخ فلما أصبحت غدوت الى مجلس كنت أحضره فسمعت رجلا ينشد لنفسه ويقول

ولست أرى شبابا بان عنى * يرد على بهجته الخضاب
ولكنى خشيت يراد منى * عقول ذوى المشيب فلا يصاب

فعجبت لذلك أو كما قال والكلام فى هذا والتتبع لآل الى الملال لكن خذ فى كل صحيفة طريفة وفى كل باب مسئلة من اللباب رجع الكلام وعاد الى فساد ماء الاولاد قال الله تعالى للعباد ان الله لا يحب الفساد ونهى النبى صلى الله عليه وسلم عن اضاعة المال ومنى الرجال يكون منه الولد على المآل فاذا زنى الرجل أو لاط أو أتى امرأة فى دبرها فقد أفسد الماء سوى ما يتعلق به من العقوبة فى الدنيا والآخرة وانما أرخص له الاستمتاع من الحائض بما فوق الازار وان كان فيه افساد الماء للضرورة ومس الحاجة ولهذا استحب بعض العلماء أن يكون للرجل زوجتان وقال اذا حاضت امرأتى أحيض أنا أيضا فاذا وضع الرجل ماءه فى غير موضعه فقد أثم وهذه صفة من ظلم ألا ترى ان المستمنى بيده ملوم معتد ظلوم * سئل مالك رضى الله عنه عن فاعل ذلك فتلا قوله تعالى والذين هم لفروجهم حافظون الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم الى فأولئك هم العادون وأما العزل فقد كرهته طائفة من السلف كان ابن عباس رضى الله عنهما يقول هو الوأدة الصغرى وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان الرجل ليجامع أهله فيكتب له من جماعه أجر ولد ذكر قاتل فى سبيل الله فقتل قيل وكيف ذلك يا رسول الله قال أنت خلقته أنت رزقته أنت هديته عليك محياه اليك مماته قالوا بل الله خلقه ورزقه وهداه وأحياه وأماته قال فأقره قراره المعنى فى هذا اذا جامعت فأقره فى الفرج قال الله تعالى أفرأيتم ما تمنون أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون فاذا لم يخلق الله من منيك خلقا حسب لك كأنه قد خلق منه لك ذكر على أتم أحواله وأجل أوصافه بأن يقاتل فى سبيل الله فيقتل لانك جئت بالسبب الذى عليك وليس عليك خلقه ولا هدايته وقد جاء عنه عليه الصلاة والسلام فى بعض الاخبار انه سئل عن العزل فقال ذلك الوأد الخفى وقال هو كالفرار من القدر وجاء فى الحديث فيمن أراد الخصاء فقال له النبى صلى الله عليه وسلم جف القلم بما أنت لاق فاختصر على ذلك أو فذر وجاء ما من كل الماء يكون الولد واذا أراد الله كون شئ لم يمنعه شئ وكان هذا فيه أيضا بعض الرخصة وسئل النبى صلى الله عليه وسلم عن العزل فقال لا عليكم ان تفعلوا ما كتب الله خلق نسمة

كائنة الى يوم القيامة الا ستكون وفي رواية أخرى فقال لنا وانكم لتفعلون ما من نسمة كائنة الى يوم القيامة الا هي كائنة قال بعض العلماء هذا الحديث أقرب الى الزجر عن هذا الفعل منه الى الاباحة وجاء في البخاري وانها ليست نسمة كتب الله ان تخرج الا وهي خارجة وفي البزار لو ان الماء الذي يكون منه الولد ألقي على صخرة لأخرج الله منه ولدا صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد الله شيئا كان ﴿ حدثني بعض أصحابي رحمه الله قال كانت امرأتي تحمل كل عام فسئمت من ذلك فعزلت عاما فلم تحمل فلما كان عام آخر جاءت بتوأم فقلت ان الله على كل شيء قدير هذا معنى كلامه وحدثني آخر ثقة قال عزلت خمس سنين ثم تركت العزل فجاءتني امرأتي في خمس سنين غيرها بتوأم في كل بطن وحدثني آخر كان يعزل مدة قال أريت في النوم في وسط بيتي في الحائط نحو عشرة رؤس صبيان صغار مصطفة كأنهم خرجوا من الحائط فأولتهم الاولاد الذين كنت أعزل بسببهم قال فاتعظت بذلك وتبت من العزل وقيل في قول الله تعالى وابتغوا ما كتب الله لكم قبل الجماع وقيل الولد قاله أنس بن مالك فكان المعنى في ذلك والله أعلم تكثير الاولاد وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم أحبكم الى الله أكثركم نساء وفي البخاري من قوله عليه الصلاة والسلام ان خير هذه الأمة أكثرها نساء وقد تقدم تزوجوا الودود الولود فاني مكاثر بكم الامم قال هذه عليه الصلاة والسلام لرجل قال له اني أصبت امرأة ذات حسب وجمال وانها لا تلد أفأتزوجها قال لا ثم أتاه الثانية فنهاه ثم أتاه الثالثة فقال تزوجوا الودود الولود فاني مكاثر بكم الحديث وجاء في الحديث أيضا حصير في البيت خير من امرأة لا تلد ذكره أبو طالب في القوت وقد كان للنبي صلى الله عليه وسلم أربع عشرة امرأة عربيات كلهن الا صفية وتوفي عن تسع منهن وتوفيت منهن اثنتان في حياته وكانت له سريتان وكان لداود عليه السلام مائة امرأة ولابنه سليمان عليه السلام ألف امرأة ذكره أبو طالب في القوت وأباح الله للرجل أن يجمع بين أربع نسوة وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يكثر النكاح ويقول ما أتزوج الا للاولاد وممن تزوج أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب من فاطمة رضي الله عنهم وقال له ابنه عبد الله يا أبت مالك في نكاح أم كلثوم وهي صغيرة فقال يا بني والله مالي في النكاح من حاجة غير اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كل سبب ونسب ينقطع يوم القيامة الا سببي ونسبي فأحببت أن أكون من نسبه ولدت أم كلثوم هذه من عمر

رضي

رضي الله عنهما زيدا ومات هو وأمه في يوم واحد وفي وقت واحد ولم يعلم من مات قبل صاحبه فلم يورث أحدهما من الآخر وصلى عليهما عبد الله بن عمر وذلك في خلافة عثمان رضي الله عنهم ولما خطب عمر بن الخطاب أم كلثوم الى أبيها علي ابن أبي طالب استشار علي ابنه الحسين شقيقها وعمها عقيلا رضي الله عن جميعهم فأشارا عليه بأن لا يزوجها منه لخشونة عيشه وكثرة غيرته على النساء فزوجها منه علي بن أبي طالب برأيه وكان الذي خاف عليها الحسين لم تغر الدنيا عمر رضي الله عنه ولا استمتع منها بلذة عيش حتى مات لم يأكل خبيصا ولا لبس قميصا بل كانت جبته مرقعة بالجلود كما تقدم وعلى تلك الحال صحبته امرأته أم كلثوم بنت علي رضي الله عنهم دخل عليه رجل من أشجع فدعا عمر بطعامه وقال لام كلثوم ألا تخرجين فقالت له لو أردت ان أخرج لكسوتني درعا كما كسا عبد الرحمن بن عوف امرأته فقال لها وما عليك يا أم كلثوم وأنت بنت علي بن أبي طالب وزوج أمير المؤمنين (رجع الكلام) ويروى ان الرجل اذا قبل امرأته كتب له عشرون حسنة فاذا جامعها كتب له عشرون ومائة حسنة وقال النبي عليه الصلاة والسلام ان من أماثل أعمالكم اتيان الحلال قال هذا عليه الصلاة والسلام في حديث أبي كبشة قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس اذ مرت به امرأة فقام الى أهله فخرج الينا ورأسه يقطر ماء فقلت يا رسول الله كأنه قد كان شيء قال نعم مرت بي فلانة فوقعت في نفسي شهوة النساء فقمت الى بعض أهلي فكذلك فافعلوا فان من أماثل أعمالكم اتيان الحلال وتزوج علي بن أبي طالب رضي الله عنه بعشر نسوة احداهن امامة بنت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي وهو حاملها وهو في الفريضة تزوجها بعد وفاة فاطمة رضي الله عنها بسبع ليال كانت وصيته بذلك وتوفي عن أربع منهن وسبع عشرة سرية وقال علي رضي الله عنه حين توفيت فاطمة رضي الله عنها وصلى الله وسلم على أبيها محمد صلى الله عليه وسلم

أرى علل الدنيا علي كثيرة ﴿ وصاحبها حتى الممات عليل
لكل اجتماع من خليلين فرقة ﴿ وان الذي دون الممات قليل
وان افتقادي واحدا بعد واحد ﴿ دليل على ان لا يدوم خليل

وتوفيت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بستة أشهر وقد تقدم وكان في موتها آية

خرج ابن شاهين عن عبد الله بن علي بن أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أمه سلمى انها قالت اشتكت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فرضتها فأصبحت يوما كأمثل ما رأيتها في شكواها تلك وخرج علي رضي الله عنه لبعض حاجته فقالت يا أمه اسكبي لي غسلا فاغتسلت كأحسن ما رأيتها تغتسل فقالت يا أمه اعطني ثيابي الجدد فأعطيتها فلبستها ثم أقبلت الى البيت فقالت يا أمه قربي فراشي الى وسط البيت ففعلت ثم اضطجعت واستقبلت القبلة ووضعت يدها تحت خدها وقالت يا أمه اني مقبوضة الآن وقد طهرت فلا يكشفني أحد فقبضت مكانها فجاء علي رضي الله عنه فأخبرته فقال والله لا يكشفها أحد فدفنها بغسلها ذلك وخرج في حديث آخر متصلا به عن أسماء بنت عميس ان فاطمة رضي الله عنها اوصتها ان لا يلي غسلها الاهي وعلي بن أبي طالب قالت أسماء فغسلتها أنا وعلي رضي الله عنهما ورأيت في موضع آخر انها لما حضرتها الوفاة أمرت عليا فوضع لها غسلا فاغتسلت وتطهرت ودعت بثياب أكفانها فأتيت بثياب خشن غلاظ فلبستها ومست من الحنوط ثم أمرت عليا ان لا تكشف اذا قبضت وان تدرج كما هي في ثيابها وقد فعل هذا كثير بن العباس وكتب في أطراف أكفانه يشهد كثير بن العباس ان لا اله الا الله وتزوج الحسن بن علي رضي الله عنهما مائتين وخمسين امرأة وقيل ثلثمائة وكان أبوه علي يضجر من ذلك ويكرهه حياء من أهلهن اذا طلقهن وكان يخطب ويقول في خطبته ان حسنا مطلاق فلا تنكحوه فقال رجل من همدان والله لننكحنه ما شاء فمن شاء أمسك ومن شاء فارق فسر بذلك وقال

فلو كنت بوابا على باب جنة * لقلت لهمدان ادخلوا بسلام

وتزوج امرأة فأرسل اليها بمائة جارية مع كل جارية ألف درهم وطلق الحسن هذا امرأتين في يوم واحد فمتع كل واحدة بعشرة آلاف درهم وزقاق من عسل فقالت احداهما   متاع قليل من حبيب مفارق

فلما بلغه قولها قال لو كنت راجعت امرأة لراجعت هذه وأول هذا الشطر الذي تمثلت به هذه المرأة ذكره ابن يزيد رحمه الله في الكامل

وقفت على قبر مقيم بقفرة * متاع قليل من حبيب مفارق

وقال ان سليمان بن عبد الملك تمثل به يوم دفن ابنه أيوب وقد بكى عليه وحثا على قبره

التراب فلما أراد الانصراف قال يا غلام دابتي ثم التفت الى القبر وقال البيت وخرج أبو عمر في كتاب الصحابة من طريق ابن وضاح عن سحنون عن ابن نافع ان المغيرة بن شعبة أحصن ثلثمائة امرأة في الاسلام قال ابن وضاح غير ابن نافع يقول ألف امرأة وقد طال الكلام وتسلسل وتمهل قائله وترسل وأطلق لسانه واسترسل ولكنه كما قلت لباب اللباب ومحمود عند ذوي الالباب وها أنا أعود الى الباب بعد ان أختم لك هذا الفصل بحكاية عن رجل فسل فان شئت ان تثبتها في باب كراهية العزل والا فدونكها بالعزل اللهم وان كانت سخيفة فهي سخيفة * أتى رجل الى أحد الولاة برجل قد أحبل جارية من جيرانه فقال يا عدو الله اذا ابتليت بالفاحشة فهلا عزلت قال جعلت فداك بلغني ان العزل مكروه قال فما بلغك ان الزنا حرام انظر الحكاية في الذيل * وتقدم أنا وقد جاء في الحديث عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فدعوت فقال النبي صلى الله عليه وسلم من هذا فقلت أنا فخرج وهو يقول انا أنا وفي آخر الحديث كأنه كره ذلك خرجه مسلم وترجمته في الكتاب باب كراهية ان يقول انا وانما كرهه والله أعلم لان لفظ أنا يحتاج الى استفهام آخر فيقال ومن أنت فاذا قال فلان ربما أجزأ وربما لم يجزئ حتى يعرف صوته أو يرى شخصه أو يعرف من أسمائه بما لا يشترك فيه معه غيره ألا ترى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قيل له هي زينب قال أي الزيانب فلما قيل له امرأة عبد الله بن مسعود عرف صلى الله عليه وسلم وقيل انما كره عليه الصلاة والسلام قوله انا لانه لم يسلم عند الاستئذان والسنة أن يسلم قبل الاستئذان وقد قال عليه الصلاة والسلام السلام قبل الكلام وخرج الترمذي رحمه الله عن كلدة بن حنبل ان صفوان بن أمية بعثه بلبن ولبأ وضغابيس الى النبي صلى الله عليه وسلم والنبي صلى الله عليه وسلم بأعلا الوادي قال فدخلت ولم أسلم ولم أستأذن فقال النبي صلى الله عليه وسلم ارجع فقل السلام عليكم أأدخل وذلك بعد ما أسلم صفوان قال وضغابيس حشيش يؤكل وقال صاحب العين الضغابيس شبه العراجين تنبت في أصول الثمام والضغبوس الرذل المهين والضغبوس أيضا ولد الثرملة والضغموس بالميم المارد من الشياطين يستشهد على الضغبوس انه الرذل المهين بما خرج الخطابي رحمه الله في أول كتابه بسنده الى ابن خزيمة قال سمعت يونس بن عبد الاعلى يقول سئل ابن عيينة عن

قوله عليه الصلاة والسلام من استجمر فليوتر فسكت فقيل له أترضى بما قال مالك قال وما قال مالك قيل قال مالك الاستجمار الاستطابة بالاحجار فقال ابن عيينة مثل مالك كما قال الاول

وابن اللبون اذا ما لز في قرن * لم يستطع صولة البزل القناعيس

كذا في أول الكتاب وفي السطر بعده

قد جربت صولتي في كل معترك * غلب الرجال فما بال الضغابيس

ويستشهد على انه حشيش بما فسره الترمذي في الحديث وقد كرهت طائفة من الصوفية لفظ أنا وقالوا فيه معنى التفخيم والتعظيم للنفس بان يقول أنا وأنا ولولا أنا وقالوا كذا قال فرعون أنا ربكم الاعلى تعالى الله عن قوله قلت ولكل مقام مقال وقد قال اسيد بن حضير رضي الله عنه وكان من فضلاء الانصار وأكابرهم أنا بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم فلم ينكر عليه النبي صلى الله عليه وسلم حدث نصر ابن علي قال أنا الاصمعي قال أنا عطارد قال جاء عامر بن الطفيل واربد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألاه ان يجعل لهما نصيبا من تمر المدينة فأخذ أسيد بن حضير رضي الله عنه الرمح فجعل يقرع رؤسهما ويقول اخرجا أيها الهجرسان فقال عامر بن الطفيل من أنت قال أنا أسيد بن حضير فقال حضير الكتائب قال نعم فقال كان أبوك خيرا منك فقال بل أنا خير منك ومن أبي مات أبي وهو كافر فقلت للاصمعي وما الهجرس قال الثعلب وقد تقدم ذكر عامر وأربد وكيف هلكا كافرين وأسيد هذا هو الذي حمل عمر بن الخطاب نعشه بنفسه حتى وضعه بالبقيع وصلى عليه ومثل قول ابن حضير ما حدث عبد الله بن المغيرة عن حكيم بن حزام عن اسامة بن زيد قال حكيم كان محمد النبي صلى الله عليه وسلم أحب الناس الي في الجاهلية فلما تنبأ وخرج الى المدينة شهد حكيم بن حزام الموسم فوجد حلة لذي يزن تباع فاشتراها بخمسين درهما ليهديها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقدم بها عليه فأراده على قبضها فأبى عليه قال عبد الله حسبت انه قال انا لا نقبل من المشركين شيئا ولكن ان شئت أخذناها بالثمن فأعطيته اياها حين أبى على الهدية فلبسها فرأيتها عليه في المنبر فلم أر شيئا قط أحسن منه فيها يومئذ ثم أعطاها اسامة بن زيد فرآها حكيم على اسامة فقال يا اسامة أتلبس حلة ذي يزن قال نعم لأنا خير من ذي يزن ولأبي خير من أمه قال حكيم فانطلقت الى مكة أعجبهم

يقول

بقول اسامة (رجع) وقد قال علي بن أبي طالب أنا أبو حسن في حديث ذكره مالك في الموطأ وقد كانوا في الحرب يقولون عند الضرب خذها وأنا أبو فلان وقد قال يوسف عليه السلام اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم وهذا يخرج على معنيين أما اذا قال انا على معنى الفخر والكبر فكروه واذا قالها على جهة الشعر بقف بنفسه لمعنى فيه صلاح مثل يوسف عليه السلام أو على جهة الشكر كقول علي أو الفخر على العدو والارهاب له والغلظة عليه كما فعل أسيد فحسن وكذلك اذا قالها على معنى التحقير لنفسه كما كان ارفع الخلق صلى الله عليه وسلم يقول اللهم أنا عبدك وابن عبدك أو يقول ذلك عند الاعتراف بذنبه أنا المذنب أنا العاصي أو عند الشهادة والاعتراف بما عليه من الحق أو عند سماع المؤذن كما روت عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا سمع المؤذن تشهد قال وأنا خرجه أبو داود وقد فعل مثل هذا معاوية على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وحدث انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذلك وهذا اللفظ كذا أيضا رحمة قد يسمع الانسان المؤذن وهو على قضاء الحاجة ولا بد له من ان يجيبه لقوله عليه الصلاة والسلام اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول وذكر اللفظ بالشهادة في ذلك الموطن فيه ما فيه فيقول وأنا فيجمع بين الحالتين ويحصل ان شاء الله تعالى فضل الشهادتين وفي الاذان أيضا فائدة أخرى خرجها النسائي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول اذا قال المؤذن حي على الصلاة لا حول ولا قوة الا بالله وكذلك اذا قال حي على الفلاح قال مثل ذلك * ومما يعتري في الخلاء العطاس ومن عطس فلا بد أن يحمد الله يروى عن المختار قال سألت عامرا فقلت اعطس وأنا في الخلاء فهل أحمد الله قال لا حتى تخرج قال فسألت عن ذلك ابراهيم النخعي فقال نعم احمد الله فأخبرته بقول عامر فقال ابراهيم ان الحمد يصعد ولا يهبط وعن مرزوق بن عوسجة ان أمه حدثته انها كانت تسمع عبد الله بن عمرو بن العاص يذكر الله وهو في المرحاض * ومن ملح هذا الباب ممن قال أنا بلا وناو أوهم انه من أهل الرفعة والمكانة فاذا به من ذوي المهانة غير انه ان لم يكن شريفا فلقد كان ظريفا غطى بأدبه ضعة نسبه يروى في بعض الاخبار ان الحرس أخذوا بالليل رجلا متأدبا وكان ابن حجام فسئل ابن من هو فقال

أنا ابن من عاش وهو مؤتمن * يرحمه الله ايما رجل

له رقاب الملوك خاضعة * وكل جاف وكل محتفل
فى كف مرهف بغاية * فكم كمى أدمى وكم بطل
يأخذ من ماله ومن دمه * لم يمس من ثاره على وجل

فالملق وأخذ آخر مثله وكان ابن حائك فسئل ابن من هو فقال

أنا ابن الذى شق الصفوف برمحه * وقومها بالسيف حتى استقامت
ركاباه لا تنفك رجلاه منهما * اذا الخيل فى يوم الكريهة حامت

فالملق وأخذ آخر وكان ابن فوال فسئل فقال

أنا ابن الذى لا تنزل الارض قدره * وان نزلت يوما فسوف تعود
ترى الناس أفواجا الى ضوء ناره * فمنهم قيام حولها وقعود

قلت هؤلاء احتالوا فاختالوا وأما الذين صدقوا فيما به نطقوا فالقائل

بفعلك تقبح أو تحسن * وما من يسيء كمن يحسن
وما الناس الا بأفعالهم * ودع ما تزخرفه الالسن

وقال آخر

تمسك بحبل الله فى كل حالة * ولا تترك التقوى اتكالا على النسب
فقد رفع الاسلام سلمان فارس * وقد وضع الكفر الشريف أبا لهب

وتقدم ان نون اسم الحوت وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال أول ما خلق الله القلم فقال له اكتب قال وما اكتب قال اكتب ما هو كائن الى يوم القيامة فكتب ثم خلق نون فرفع الارض وقال مجاهد الحوت الذى تحت الارض السابعة ومشهور ان النون اسم من أسماء الحوت حتى ألغز الشاعر به فى قوله

عينان عينان لا عينان ناظرة * فى كل عين من العينين نونان
نونان نونان لم يخططهما قلم * فى كل نون من النونين عينان

يريد بالعينين عينين من ماء فيهما نونان يعنى حوتين وفى كل حوت عينان فى رأسه وهذا مستحسن وشاهد حسن وخرج البخارى رحمه الله فى قصة موسى عليه السلام اذ سأل ربه ان يجعل له علما يعرف به الخضر قال خذ نونا ميتا قال فأخذ حوتا فجعله فى مكتل وقال الله عز وجل وذا النون اذ ذهب مغاضبا قيل مغاضبا لقومه وقيل لبعض الملوك وقيل من أجل ربه وقيل لربه قال الحسن أمره الله بالمسير الى قومه فسأل أن ينظر ليتأهب فأعجله الله تعالى حتى سأل ان يأخذ نعلا يلبسها فلم

ينظر

ينظر وكان فى خلقه ضيق فخرج مغاضبا لربه وقال فى موضع آخر ولا تكن كصاحب الحوت وهو يونس عليه السلام فى الموضعين روى عن ابن عباس رضى الله عنهما الارض على نون والنون على البحر والبحر على صخرة خضراء وهى التى قال الله فيها فتكن فى صخرة أو فى السموات أو فى الارض والصخرة على قرن الثور والثور على الثرى ولا يعلم ما تحت الثرى الا الله تعالى * وعن وهب بن منبه على وجه الارض سبعة ابحر والارضون سبع فبين كل أرضين بحر فالبحر الاسفل مطبق على شفير جهنم ولولا عظمه وكثرة مائه لأحرقت جهنم كل ما عليها وجهنم على متن الريح ومتن الريح على حجاب من الظلمة لا يعلم غلظه الا الله تعالى وكذلك الحجاب على الثرى والى الثرى انتهى علم الخلائق يشهد لهذا الخبر قوله عليه الصلاة والسلام لبعض أصحابه لا تركب البحر الا حاجا أو معتمرا أو غازيا فى سبيل الله فان تحت البحر نارا وتحت النار بحرا أو كما قال عليه الصلاة والسلام واذ وقع ذكر البحر وهوله فلنذكر من مكحول بعض قوله روى عنه انه قال لما بلغ ذو القرنين مطلع الشمس ومغربها وسد ما بين يأجوج ومأجوج قال قد فرغت من البر فلأنظرن الى البحر المحيط ما حاله قال فلجج فيه اهواما ثم نزل فيه فى تابوت من قوارير كان قد حمله معه فى المركب الذى لجج فيه ثم كان من أمره بعد كلام طويل اختصرته ان ملك البحار اجتمع معه فقال له ذو القرنين من أنت قال أنا ملك البحار وكلت بكل قطرة منه وكل دابة وان الله تعالى أرسلنى اليك لأنجيك من هذا البحر وكان قد أهوى فيه تسعين ليلة ثم قال له أما ترى تابوتك قد انسحق من ملوحة البحر حتى صار رقيقا مثل قشر البيض أما انى لو تأخرت عنك لانخرق بك تابوتك وان تصل الى قعره دون خمسمائة عام ثم قال له أيسرك أن ترى من عجائب البحر قال نعم قال فدعا بدابة فقال مرى على ذى القرنين مر الريح فلم ينظر الى ذنبها حتى توارت بالحجاب فلما كان من الغد دعا دابة أخرى فقال لها مرى على ذى القرنين مر السحاب فلم ينظر الى ذنبها دون يومين وليلتين ثم دعا بدابة أخرى فقال لها مرى على ذى القرنين مر البرق قال فلم ينظر الى ذنبها على سرعة مسيرها دون ثلاثة أيام ولياليها قال أما ترى هذه المؤخرة فوالذى خلقنى وخلقك انى لأطعم الحوت الذى عليه قرار الارضين فى كل يوم لأكله سبعين ألف دابة مثل هذه ثم ذكر تمام الخبر وكيف أخرجه الى الساحل قبل الطرف وفى ذلك اليوم قبض روحه رحمه الله * واختلف فى ذى

القرنين فقيل انه رجل من ولد يونان بن يافث بن نوح عليه السلام اسمه هرمس ويقال له هرديس وقال ابن اسحاق في السيرة هو الصعب بن ذي مراثد الحميري وقال ابن هشام هو مرزبان بن مرزبة وقيل هو الاسكندر الذي بني الاسكندرية وروي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه سمع رجلا ينادي ياذا القرنين فقال اللهم غفرا أما رضيتم أن تسموا بالانبياء حتى تسميتم بالملائكة وقيل كان عبدا صالحا بعثه الله الى قومه فضربوه على قرنه فمات فأحياه الله ثم بعثه مرة أخرى اليهم فضربوه على قرنه فمات فسمي ذا القرنين * تقدم في الحديث الاول ذكر المكتل والمكتل القفة العظيمة من تكتل الشيء اذا لصق بعضه ببعض ومثله الكتلة من التمر وغيره لغة فصيحة وان كانت العامة ابتذلتها قال الاستاذ رحمه الله وقد ذكر هذا وفي الحديث في قصة خيبر خرجت يهود بمساحيهم ومكاتلهم وحين رآهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله أكبر خربت خيبر تفاءل عليه الصلاة والسلام بما رأى لان المساحي والمكاتل من آلة الهدم والمسحاة أيضا من سحوت الشيء اذا قشرته فتطابق الحال وتقدم انه تسمى المرأة نائلة ومنهن نائلة بنت الفرافصة الكلبية رضي الله عنها تزوجها عثمان رضي الله عنه وهي نصرانية على دينها نسكها على نسائه وأقامت عنده ثم أسلمت وحسن اسلامها والتحقت بصالح الحرائر وفضلا تهن ولا تستعظم هذا فان عثمان رضي الله عنه كان أعلم بالله وبما يرضيه من سواه وكانت نيته في ذلك ان يحسن اسلامها ويدخل في الدين من قومها بشر كثير والله أعلم وقد فعل مثل هذا غيره من الصحابة رضي الله عنهم وقد أحل الله ذلك في كتابه في قوله تعالى والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والمحصنات هنا الحرائر دون الاماء منهن فنال عثمان أمله في نائلة وكانت معه في الدار يوم قتل ودفعت عنه ما استطاعت حتى قطعت أصابعها بالسيف في الذب عنه رضي الله عنها وحملت أصابعها مقطوعة معلقة في خيط الى الشام مع قميص عثمان مخضوبا بدمه وصعد بذلك على المنبر فطلب بدمه فكان ذلك سببا للفتنة التي وقعت هنالك وكانت نائلة مجابة الدعوة روى الليث بن سعد ان عثمان رضي الله عنه اذ قتل بقي ثلاثة أيام لم يدفن فأتى رجل من كلب معه ناقة فاستأذن نائلة في الدخول على عثمان فأذنت له فربط ناقته في حلقة باب الدار ودخل فقال لها اكشفي عن وجه عثمان فكشفت له عنه فأخرج من كمه آجرة شدخ بها وجهه فدعت عليه فقالت اللهم اقطع يده

وأهلك أهله وماله وأدخله نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا مادامت السموات والارض فخرج الكلبي فلما جاء ليحل الناقة عدت عليه فقطعت يده ثم انطلق الى أهله وكان ساكنا ببعض بطون مكة فوجد السيل قد ذهب بأهله وماله فكان الكلبي بعد ذلك يطوف بالبيت وهو يقول اللهم اغفر لي ولا أراك تفعل فان نائلة زوج عثمان بن عفان دعت علي بثلاث استجيب لها منها في اثنتين وبقيت الثالثة وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد بشر عثمان رضي الله عنه بالشهادة وقال له ياعثمان ان كساك الله قميصا وأرادوك على خلعه فلا تخلعه واصبر حتى تلقاني على الحوض فانك ان خلعته لن تلقاني ففعل رضي الله عنه ما أمره به عليه الصلاة والسلام ونهى أهل الدار أن يقاتلوا دونه ورضي بالقتل والشهادة ففاز بالسعادة وقد خاب من حمل ظلما * وذكر أبو عبيد البكري نائلة هذه وقال هي بنت الفرافصة بفتح الفاء وكل اسم في العرب غيره فهو الفرافصة بضم الفاء وذكر تزويج عثمان اياها رضي الله عنهما وقال لما أدخلت عليه وخلا بها قال لها أتقومين الي أم أقوم اليك قالت ماقطعت اليك عرض السماوة وأنا أحب ان تقطع الي عرض البساط فقامت اليه فجلست الى جنبه فقال لها لا يسوءنك ماترين من شيبي قالت اني لمن نسوة أحب رجالهن اليهن السيد الكهل ولما قتل رضي الله عنه وذكر قصة قتله نحو ما تقدم قالت ترثيه رضي الله عنهما

ألا ان خير الناس بعد ثلاثة * قتيل التجيبي الذي جاء من مصر
ومالي لا أبكي وتبكي قرابتي * وقد حجبت عنا فضول أبي عمرو

فلما انقضت عدتها خطبها معاوية رضي الله عنه فامتنعت فألح في ذلك فقالت لنسوتها ما يعجب الرجال مني قلن ثناياك فعمدت الى فهر ودقت به ثنيتيها وبعثت بهما الى معاوية فكف ولم تزل مجدة بعد قتل عثمان حتى لحقت بالله رضي الله عنها وعنه * وتقدم النيل العطية والنيل نهر مصر وأصله من الجنة كما ورد في الحديث حين عرج برسول الله صلى الله عليه وسلم الى السماء السابعة الى سدرة المنتهى قال واذا أربعة أنهار نهران باطنان ونهران ظاهران فقلت ماهذا ياجبريل قال أما الباطنان فنهران في الجنة وأما الظاهران فالنيل والفرات وفي حديث آخر فاذا هو في سماء الدنيا بنهرين يطردان فقال ماهذان النهران ياجبريل قال هذا النيل والفرات عنصرهما ثم مضى به في السماء فاذا هو بنهر آخر عليه قصر من لؤلؤ

وزبرجد فضرب بيده فاذا مسك أذفر قال ما هذا يا جبريل قال هذا الكوثر الذي خبأ لك ربك أخرجه البخاري ووقع في المعاني للنحاس في قوله تعالى وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه في الارض جعلناه فيها ثابتا وساق حديثا عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال أنزل الله عز وجل من الجنة الى الارض خمسة أنهار سيحون وهو نهر الهند وجيحون وهو نهر بلخ ودجلة والفرات وهما نهرا العراق والنيل وهو نهر مصر أنزلها الله من عين واحدة من عيون الجنة في أسفل درجة من درجاتها على جناحي جبريل عليه السلام فاستودعها الجبال وأجراها في الارض وجعل فيها منافع للناس في أصناف معايشهم وذلك قوله تعالى وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه في الارض فاذا كان عند خروج يأجوج ومأجوج أرسل الله عز وجل جبريل عليه السلام فرفع من الارض القرآن والعلم ويخرج الانهار الخمسة فيرفع ذلك الى السماء فذلك قوله وانا على ذهاب به لقادرون فاذا رفعت هذه الاشياء من الارض فقد أهلها خير الدين والدنيا وروى ابن سنجر من طريق أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال في السماء السابعة بيت يقال له المعمور بحيال الكعبة وفي السماء نهر يقال له الحيوان يدخله جبريل عليه السلام كل يوم فينغمس فيه انغماسة ثم يخرج فينتفض انتفاضة يخر عنه سبعون ألف قطرة يخلق الله من كل قطرة ملكا يؤمرون أن يأتوا البيت المعمور ويصلوا فيه فيفعلون ثم يخرجون فلا يعودون اليه أبدا ويولى عليهم أحدهم ويؤمرون أن يقف لهم من السماء موقفا يسبحون الله الى ان تقوم الساعة * ووقع في الهداية لمكي رحمه الله وذكر البيت المعمور انه معمر بكثرة الدعاء والغشيان وقال وهو حذاء الكعبة وذكر ان البيوت خمسة عشر بيتا سبعة في السماء الى العرش وسبعة منها الى تخوم الارض السفلى وأعلاها الذي يلي العرش البيت المعمور لكل بيت منها حرم كحرم هذا البيت لو سقط منها بيت لسقط بعضها على بعض الى تخوم الارض السفلى ولكل بيت من أهل السماء وأهل الارض من يعمره كما يعمر هذا البيت * واذ كرلك هنا حديثا غريبا في النيل روى ان المسلمين لما افتتحوا مصر في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأتى وقت مدود النيل أمسك فلم يمد فسألوا القبط عن ذلك فقالوا انا كنا اذا أتى وقت مدوده عمدنا الى جارية من بنات ملوكنا فألقيناها حية في عرضه فيمد ومالم نفعل لا يمد فأشفق المسلمون من ذلك وكتبوا الى عمر بن الخطاب رضي الله

عنه فكتب عمر كتابا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله أمير المؤمنين الى نيل مصر سلام عليك فانا نحمد الله الذي لا اله الا هو أما بعد فان كنت تجري بحولك وقوتك فلا حاجة لنا بك وان كنت تجري بحول الله وقوته فاجر على بركة الله والسلام وكتب الى عمرو بن العاص وهو يومئذ أمير مصر يأمره أن يلقي كتابه في عرض النيل ففعل فمد النيل * وذكر أبو عبيد البكري رحمه الله ان مبدأ النيل ومنبعه من تحت جبل القمر وراء خط الاستواء وانما سمي جبل القمر لان القمر لا يطلع عليه وهو في الجنوب من الارض المحترقة التي لا يكون فيها نبات ولا حيوان يخرج هنالك اثنتا عشرة عينا فتجتمع في بحيرتين ثم ينبعث منها ثلاثة أنهار أحدها النيل ذكر أن مسافة جريانه من لدن منبعه الى مصبه في البحر خمسة آلاف ميل وتسعمائة ميل وثلاثون ميلا يجري في الخراب غير العمران أربعة أشهر وفي بلاد السودان مسيرة شهرين وفي بلاد الاسلام مسيرة شهر ين قلت وهذه الاخبار لا يعلم حقيقتها الا الله تعالى والذي صح ان منبعه من السماء كما تقدم في الحديث ويحتمل ان ينزل ماؤه من السماء الى الموضع المذكور وكذلك الفرات والله أعلم ومن المسعودي ليس في الدنيا نهر أطول مدا من النيل وليس في الدنيا نهر يمد ويزيد في أشد ما يكون من الحر حين تنقص انهار الدنيا وعيونها غيره ولا نهر يزيد بترتيب غيره ولا نهر يزرع عليه ما يزرع على النيل ولا يجبى من خراج نهر ما يجبى منه (فائدة) في قوله تعالى ثلة من الاولين وثلة من الآخرين قال بعض العلماء لما ذكر الله تعالى السابقين المقربين قال ثلة من الاولين يعني جماعة كبيرة من الاولين وقليل من الآخرين يعني ان المقربين في الآخرين قليل لفضل الصحابة السابقين على من بعدهم ولما ذكر أصحاب اليمين قال ثلة من الاولين وثلة من الآخرين أي ان أصحاب اليمين كثير في الصحابة وغيرهم وليسوا كالمقربين السابقين ألا تراه يقول كلا ان كتاب الابرار في عليين ثم قال يشهده المقربون والمقربون أعلى من الابرار والابرار هم أصحاب اليمين وقال في صفة شراب أصحاب اليمين وهم الابرار يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ومزاجه من تسنيم عينا يشرب بها المقربون والتسنيم أعلى شراب أهل الجنة وهو صرف للمقربين ويمزج منه في الرحيق المختوم الذي هو شراب أصحاب اليمين ويكفيهم انهم المقربون في الجنان جعلنا الله منهم ونفعنا بحبهم والارذلة أيضا الجماعة من الناس يقال

جاؤا بأزفلتهم أى بجماعتهم وأنشد

انى لأعلم ما قومى بأزفلة * جاؤا لأخبر من ليلى بأكياس

جاؤا لأخبر من ليلى فقلت لهم * ليلى من الجن أم ليلى من الناس

قال سيبويه أخذته ازفلة بكسر الفاء وتشديد اللام أى خفة

وذا نصل الفواثد قد تقضى * وآخذ بعد فى ألف وصاد

فدونك حوضه ملآن فاشرب * بنى ان تكن ظمآن صادى

﴿حرف الالف مع الصاد وأختها﴾

واص واص وآض واض * وآص واض وصل وضل

الأص والاص واحد وهو الاصل والجمع آصاص قال الراجز

قلال مجد فرعت آصاصا * وعزة قعساء لن تناصى

معنى تناصى تنال من ناصيته أى حاذيت ناصيته وتناصى الرجلان اذا أخذ كل واحد منهما بناصية صاحبه والصأصأة تحريك الجرو عينيه قبل التفتيح ومعكوس آص صاء يقال صاءت الفأرة تصىء صأيا وصئيا صاحت وكذلك السنور والكلب والطير وفى مثل جاء بما صاء وصمت يعنى بما نطق وصمت والصاء الماء الذى يكون فى السلى قال ج يقال ألقت الشاة صاءتها وهو ما يخرج بعد الولادة من القذى وجمعها اصاء قال مدرك الفقعسى

مقطعة الصديد يجىء منها * على الرجلين صاء كالخراج

وأصاءة الانسان حصانته ورزانته والآصية حساء يصنع بالتمر وقد تقدم صأصأ الكلب ويقال صاء فلان رأسه اذا غسله فلم ينقه * مقلوبه ألف بين حرفين صاص مهمل وكذلك حرف بين ألفين اصا الا ان دخلت همزة الاستفهام على صاء وأما اض فهو فعل تقول أضنى الى كذا وكذا أى اضطرنى اليه يؤضنى أضا و يئضنى قال الراجز * وهى ترى ذا حاجة مؤتضا * ويقال آضه الامر يؤضه بلغ منه المشقة وآضه اليه الفقر ألجأه وائتض الرجل وأما أض فمصدر هذا الفعل كما تقدم والايض أيضا مثل الحيض وهو الكسر وأما آض فهو فى معنى رجع يقال آض فلان الى أهله يئيض أيضا رجع اليهم ومنه قولهم فعلت كذا وكذا أيضا معناه رجعت اليه وكذلك قال أيضا بمعناه قال يعقوب هو مصدر آض يئيض أيضا اذا رجع واذا قال فعلت ذلك أيضا قلت قد أكثرت من أيض ودعنى من أيض

والضئضئ

والضئضئ كثرة النسل وبركته وفى الحديث فى قصة الرجل الذى قال للنبى صلى الله عليه وسلم ماعدلت فهم به أصحابه فقال النبى صلى الله عليه وسلم يخرج من ضئضئ هذا قوم يمرقون من الدين الحديث والضوة الصوت والجلبة والضوضاة مثله وقد ضوضى الناس وخرج النسائى فى حديث الرؤيا عن النبى صلى الله عليه وسلم واذا رجال ونساء عراة واذا هم يأتيهم لهب من أسفل منهم فاذا أتاهم ذلك اللهب ضوضوا قلت لهما ما هؤلاء قالا هم الزناة والزوانى خرجه البخارى أيضا قال الاصمعى يقال سمعت للقوم ضوضاة ولا يكون فى الواحد و يكون ذلك فى الاصوات المختلطة يقال ضوضوا يضوضون ضوضاء وضيضاء قال الحارث بن حلزة

اجمعوا أمرهم بليل فلما * أصبحوا أصبحت لهم ضوضاء

ومن الضوضاة حديث الحسن اذ سمع ضوضاة فى المسجد فقال ما هذه العلوجاء التى تتناهق تناهق الحمير قوله العلوجاء جمع الاعلاج وهو على مثال المشيوخاء والمكبوراء والمقصوراء والمعبوراء خرجه ثابت وقال سقط أبو عمرو بن العلاء من سطح له فتعطل عن المشى فلقيه عيسى بن عمر على حمار له فقال كيف تجدك فقال تجدنى صالحا ما أردت الا مسألة قال له عيسى بن عمر فما هذه المعبوراء التى تركض ومعكوس آض ضاء وضاء لغة فى أضاء كما يقال حب وأحب ومصدره ضوأ ومصدر أضاء اضاءة وتقول ضاءت النار تضوء ضوأ و يقال ايضاء وضياء فان جعلت الواو أصلية فى وضاء جاء من شكله وضاء جمع وضىء ووضاء بتشديد الضاد وضم الواو و يقال رجل وضاء اذا كان جميلا قال الشاعر

والمرء يلحقه بفتيان الندى * خلق الكريم وليس بالوضاء

واصل الوضاءة الحسن والنظافة ومن النظافة اشتق الوضوء للصلاة وبين علماء اللغة فى هذه اللفظة خلاف منهم يقول الوضوء بالفتح المصدر ومنهم من يجعله الماء ومنهم من يقول الوضوء بالضم هو المصدر ومثله الوقود والوقود وقيل الوقود بالفتح الحطب والوقود تلهب النار وقيل هما سواء الحطب والذى جاء فى الحديث وذكره مالك رحمه الله فى الموطأ أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضوء فى اناء وهو هنا الماء لا غيره و بالفتح قرأناه على الاشياخ لا غير ومقلوبه ألف بين حرفين ضاض مهمل وحرف بين ألفين اضا مستعمل وقد تقدم وفى السير أتى النبى صلى الله عليه وسلم نعمان بن اضا رجل من اليهود وفى الباب أضا بغير همز جمع اضاة وهو

الغدير ويجمع أيضا اضوات واضين والميضأة المطهرة * بقيت الصافية اماصل بكسر الصاد فمن اسماء الداهية وكذلك الصالة وقد صلتهم والصلة أيضا الحية التى لا تنفع منها الرقية ويقال رجل صل اذا كان داهية وانه لصل اصلال أى داهية دواه وأصله فى الحيات يقال انها لصل صفا اذا كانت منكرة مثل الافعى قال النابغة

ماذا رزئنا به من حية ذكر * نضناضة بالرزايا صل اصلال

وقال ابن أخت تأبط شرا

مطرق يرشح سما كما * أطرق أفعى ينفث السم صل

والصل أيضا نبت قال الراجز * الصل والصفصل واليعضيد *

والصليان بقلة وهو فعليان والواحدة صليانة ويقال للرجل اذا أسرع الحلف فلم يتتعتع جذها جذ البعير الصليانة وذلك ان البعير ربما اقتلع الصليانة من أصلها اذا ارتعاها وأما صل بالفتح ففعل وهو على وجوه يقال صل السقاء صليلا يبس وصل اللحم وأصل اذا أنتن وصل الخزف والفخار صوت وعلى المعنيين فسروا قوله تعالى من صلصال قالوا الطين يابس لم يطبخ اذا نقرته صل أى صوت من يبسه كما يصوت الفخار والفخار ما قد طبخ من الطين ويقال الصلصال المنتن مأخوذ من صل اللحم وأصل اذا أنتن كما تقدم يصل صلولا ويصل اصلالا لغتان فصيحتان قال الحطيئة فى صل

هو الفتى كل الفتى فاعلمى * لا يفسد اللحم لديه الصلول

ويروى * ذاك فتى يبذل ذا قدره * وقال الآخر فى أصل

بجلج مضغة فيها أنيض * أصلت فهى تحت الكشح داء

الانيض اللحم النيء الذى لم تمسه النار أو مسته ولم ينضج ولا يستعمل صل الا فى اللحم النيء فاما المقدر والشواء فيقال خم وأخم * ومن أصل أيضا قول الحسن رضى الله عنه يطيب أحدكم ثوبه وقد أصل ريحه يعنى فى قوله تعالى وثيابك فطهر وقال البخارى رحمه الله صلصال طين خلط برمل فصلصل كما يصلصل الفخار ويقولون منتن ويريدون به صل كما تقول صر الباب وصرصر عند الاغلاق مثل كبكبته يعنى كببته انتهى كلامه فاصل صلصال فى الآية على هذا صلال فابدل من احدى اللامين صاد والصلصال أيضا الحمار الوحشى الحاد الصوت من هذا والله أعلم ويقال صل المسمار يصل صلا وصليلا اذا ضرب وأكره ان يدخل فى الشىء

فسمعت صوته ويقال أرض صلة أى يابسة والصلة الجلد الذى قد يبس قبل دباغه وقد قرئ أئذا صللنا فى الارض بالصاد المهملة وقرئ بكسر اللام وفتحها فيحتمل والله أعلم ان يكون من هذا ويحتمل ان يكون من صل اللحم اذا أنتن يقولون تغيرنا وأنتنا والله أعلم بما أراد من ذلك والصلة أيضا أرض ممطورة بين أرضين لم تمطر والخطيطة ضدها أرض لم يصبها مطر بين أرضين ممطورتين والجمع صلال قال الشاعر * صلال لا يزال الغور فيها * ويقال صل الشراب وغيره يصله صلا اذا صفاه وصل الشراب وغيره يصل اذا صفا والمصلة أيضا اناء يصفى بها الخمر وغيره ويقال خف جيد الصلة أى جيد النعل صلها ويقال صل اللجام صليلا اذا اشتد صوته فان توهمت ترجيعا قلت صلصل وأنشد

لصلصلة اللجام برأس طرف * أحب الى من ان تنكحينى

والصلصلة الصوت وفى الحديث من هذا وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يأتيك الوحى فقال احيانا يأتينى مثل صلصلة الجرس وهو أشده على فالصلصلة هنا الصوت لا غير والصلصلة فى غير هذا بقية الماء والصلصل طائر يقال هى الفاختة والصلصل ناصية الفرس وصلاصل ماء لبعض بنى عمرو بن حنظلة قاله البكرى * بقى من شكله صل أمر من الصلاة وفى القرآن العزيز فصل لربك وانحر وصل عليهم وفى الحديث اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وفيه اللهم صل على آل أبى أوفى وسيأتى الفرق بين الصلاتين فى باب السين ان شاء الله تعالى ومن شكله صل أمر من وصل يصل وصولا وصل أيضا من الصلة صل رحمك يرحمك الله وصل بضم الصاد أمر من صال يصول ومنه صولة السلطان وفى الحديث من دعائه عليه الصلاة والسلام اللهم بك أحاول وبك أقاتل وبك أصول فان جعلت الواو أصلية قلت وصل كما تقدم تقول وصلت الشىء وصلا وصلة ووصل الشىء وصولا أى بلغ وأوصله غيره ووصله أيضا قال الله عز وجل ولقد وصلنا لهم القول ومعنى قوله تعالى الا الذين يصلون الى قوم الآية أى يتصلون أى ينتسبون والله أعلم ويكون وصل أيضا بمعنى اتصل أى دعا بدعوى الجاهلية وهو يا آل فلان والوصل ضد الهجران والوصل وصل الثوب والخف ويقال هذا وصل هذا أى مثله وبينهما وصلة أى اتصال وذريعة وكل شىء اتصل بشىء فما بينهما وصلة والجمع وصل بفتح الصاد والاوصال المفاصل والوصيلة المذكورة

في القرآن هي الشاة تلد سبعة أبطن عناقين عناقين فاذا ولدت في الثامنة جديا ذبحوه لآلهتهم وان ولدت جديا وعناقا قالوا وصلت أخاها فلا يذبحون أخاها من أجلها وهذا كان في الجاهلية وكانوا يزعمون ان الله جعل لهم ذلك فأكذبهم الله بقوله الحق ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام الآية والوصيلة العمارة والخصب والوصيلة الأرض الواسعة والموصل بلد وواصل اسم رجل معكوسه اص معلوم ويقال فيه لص بالفتح بين اللصوصية والجمع لصوص وفي بعض اللغات لصت ويقال لصت والجمع لصوت وأنشد

فتركن نهدا عيلا أبناءها * وبني كنانة كاللصوت المرّد

والمرد جمع مارد ويقال للص أيضا الشص واللصص التزاق الاسنان والالص المجتمع المنكبين يكادان يمسان أذنيه ولصص بنيانه مثل رصص ومنه سمي اللص لصا لانه يجمع نفسه ويلاصص شخصه ليستتر بذلك وقريب من هذا الباب لاص اسم فاعل من لصاه يلصوه ويلصيه اذا عابه وقذفه بالبهتان قال العجاج

خب فلا لاص ولا ماصي

فرغ هذا بقي ضل وهو أيضا على وجوه ضل يضل ضلالا ضدّ الهدى قال الله تعالى قل ان ضللت فانما أضل على نفسي ويقال ضل اذا ضاع وهلك والاسم الضل بالضم ومنه قولهم هو ضل ابن ضل اذا كان لا يعرف أبوه وكذلك هو الضلال ابن التلال وهو ضال تال وهي الضلالة والتلالة والضالة ماضل من البهيمة ذكرا كان أو أنثى وأرض مضلة بالفتح تضل فيها الطريق وكذلك مضلة بالكسر ويقال ضل في الامر ضلالا اذا لم يهتد السبيل ويقال فلان ضل اضلال ومعناه انه يضل خصمه وقرنه فلا يهتدي من حيث يأتيه ولا يتجه معه لوجه يخلصه منه ويقال ضللت مكاني لم أهتد له وعلى هذا فسر قوله تعالى ووجدك ضالا فهدى أي وجدك لا تعرف طريق الحق فهداك اليه وقيل وجدك في قوم ضلال فهداهم بك وقيل وجدك ضالا منسوبا الى الضلالة فهدى ويقال ضل يضل ضلالا ضاع وضل يضل ضلالة جار وقوم ضالون حيارى وفلان يلومني ضلة اذا لم يوفق للرشاد في عذله وفعل ذلك في ضلة أي في ضلال وذهب فلان ضلة اذا لم يدر اين ذهب وكذلك ذهب دمه ضلة اذا لم يثأر به قال الراجز

ليت شعري ضلة * أي شيء قتلك

قال ابن الكلبي قتل ابنا الحارث بن أبي شمر يوم عين أباغ وقتل المنذر يومئذ فحملا

على بعير وعولي بالمنذر فقال الناس لم نر كاليوم عدلي بعيرة فقال الحارث وما العلاوة بأضل أي ليس بدونهما وقال النابغة يرثي النعمان بن الحارث

فآب مضلوه بعين جلية * وغودر بالجولان حزم ونائل

قال ابن الاعرابي مضلوه دافنوه من قوله تعالى أئذا ضللنا في الارض وقال أبو عمرو مضلوه هم الذين يقلون الموتى ويروى مصلوه بصاد غير معجمة مفتوحة قال أبو عبيدة يعني أصحاب الصلاة يريد الرهبان بعين جلية انه في الجنة وقيل مصلوه يعني جاء قوم بخبره وجاء بعدهم قوم آخرون بخبره أيضا فجلى الشك فجعلهم بمنزلة المصلي من الخيل وهو الذي يتلو السابق ويقال ضل الشئ خفي وغاب وكذلك فسر قوله تعالى أئذا ضللنا في الارض أي خفينا وغبنا وقيل هلكنا ويقرأ هذا أيضا بفتح اللام وكسرها ويقال ضل فلان اذا مات وأضللته دفنته وأضللت البعير اذا أفلت فذهب وفي الحديث لعلي أضل البعير يريد أضل عنه أي أخفى عليه وأغيب مثل ضللنا في الارض خفينا ويقال ضللت الشئ أنسيته وكذلك فسر قوله تعالى وأنا من الضالين أي من الناسين وقيل من الجاهلين بان الوكزة تبلغ القتل وكذلك فسر قوله تعالى وأنت من الكافرين أي بنعمتي وقال الفصالك من الكافرين بقتلك النفس فنفى عن نفسه عليه الصلاة والسلام الكفر وأخبر انه فعل ذلك نسيانا على ما تقدم تفسيره ويقال رجل ضليل كثير الضلالة ولذلك كان يقال لامرئ القيس الملك الضليل ويقال ضل ابن ضل اذا كان منهمكا في الضلال ومن أمثالهم ماضل من تجري به العصا أي جرت العصا بما ذهبت بضلالا والعصا فرس لجذيمة الابرش كانت لا تدرك وكان قصير بن سعد القضاعي قد عرضها على جذيمة ليركبها في موطن قد أحيط فيه بجذيمة فتشاغل عنها فركبها قصير فنجا عليها واخذ جذيمة اسيرا ثم نظر الى قصير على العصا قد حال دونه السراب فقال حينئذ جذيمة الكلام المتقدم ماضل من تجري به العصا فذهبت مثلا وقد تقدم طرف منه والاضلولة واحدة الاضاليل ويقال وقع في وادي تضلل مثل تخيب معناه الباطل ويقال للباطل ضل بتضلال والاضلة من الضلال والضلضلة كل حجر يقله الرجل وليس في الكلام المضاعف غيره والماء الضلل الذي تحت الصخرة لا تصيبه الشمس وقال البكري الضلضلة موضع في أرض بني عدي وأنشد

وقيل اذ نحن على الضلضلة *

قال ويقال له أيضا الضلضل بلا هاء وأنشد

فليت قلوصى لم تذق ما اضلضل * وكانت الى البيت المحرم حلت

معكوس ضل اض يقال رجل اض مطرد واللاضلاض الدليل واضلضته التقاته وتحفظه بقى الكلام فى الصاد والضاد ليس بينهما تناسب الا فى الشكل والصورة وانهما معا من الحروف الرخوة ومن حروف الاطباق أما فى المخرج فلأن مخرج الصاد مما بين طرف اللسان وفويق الثنايا ويشركها فى هذا المخرج السين والزاى وقد تقدم ذكر ذلك وكيف اشتركوا فى البدل فى كلمة واحدة مثل سراط وصراط وزراط والصاد بالسين اقرب شبها منها بالزاى لان الزاى من الحروف المجهورة والسين والصاد من الحروف المهموسة ومن مخرج واحد فلذلك أبدلت احداهما بالاخرى فى مثل سراط وصراط وسقر وصقر وصحفة وسحفة وسوبق وصويق وأصبغ الله علينا النعمة وأسبغ فى كلمات مضبوطة ذكر هذا ابن دريد وقال ليس هذا فى كل الكلام ألا تراهم لا يقولون سبغت الثوب فى معنى صبغت ولا صوق فى معنى سوق الا ان يونس بن حبيب ذكر انه سمع من العرب الصوق بالصاد وجاء فى الصقر من قول الأصمعى اختلف رجل من مضر ورجل من ربيعة فقال المضرى السقر وقال الربعى الصقر فأقبل رجل من قضاعة فأخبراه فقال لا أقول كما قلتما انما هو الزقر ذكره الخطابى رحمه الله وقد تقدم فى باب الراء صراط وسراط وزراط ومن قرأ بهما فى القرآن من القراء قال النضر بن شميل رحمه الله انما تبدل السين صادا اذا اجتمعت فى الكلمة الواحدة مع أحد أربعة أحرف الطاء والخاء والقاف والغين اذا تقدمت على السين من هج وان أردت أن تعرف ما يكتب بالسين والصاد فانظر ذلك فى مقامات الحريرى فقد جمعها فى ابيات ايسهل حفظها فاطلب تصب ان شاء الله تعالى وقد جاء لفظ صاد على صورة حروف التهجى فى قوله تعالى صاد والقرآن ذى الذكر وقد مر ذكره مع أخواته المقطعة فى أوائل السور وقراءة أبى بن كعب والحسن وغيرهما صاد والقرآن بكسر الدال اما لالتقاء الساكنين أو على معنى صاد عملك بالقرآن أى عارضه به تقول العرب صاديتك بمعنى عارضتك وصديت لك أى تعرضت ومنه قوله تعالى تصدى بتخفيف الصاد وتصدى ضم التاء وكذلك تلهى أى يلهيك عنه الاقبال على غيره والله أعلم وقال الحسن هو مأخوذ من الصدا وهو ما يعارض الصوت فى الاماكن الخالية وقد تقدم انه يقال له بنت الصدا والواوى والقرآن على هذا بمعنى الباء وقرأه عيسى

الثقفى صاد بالفتح على ان يكون ذلك اما لالتقاء الساكنين أيضا أو على القسم كقولك لا فعلن أو على تقدير اقرأ صادوقرأه الجماعة صاد بالاسكان على معنى تسمية حروف الهجاء مثل قاف وغيره ويكتب على هذا ص وق حرفا واحدا ويأتى من صاد صاد فعل ماض من الصيد يقال فيه صاد واصطاد وأصاد وفى مسلم من حديث أبى قتادة رضى الله عنه فى شأن الحمار الوحشى فقال يارسول الله انى اصدت وفى رواية أخرى من قبل النبى صلى الله عليه وسلم قال أشرتم أو أعنتم أو أصدتم بقى مقلوب صاد صدى مخفف وهو يكتب بالياء وكتابته بالالف للضرورة جائز كما تقدم والصداء الصوت كما ذكر ومثله صدا يصدر صدو اصد لغة فى اصطد كما تقدم وصدى مخفف موضع ذكره البكرى قال ويقال فيه صدى بضم الصاد قال ويقال فيه أيضا ضدى بضاد معجمة مفتوحة ثم قال ولعله اذا فتح فهو بضاد معجمة واذا ضم فصاد مهملة وهما موضعان وأما صداء بفتح الصاد المهملة وتشديد الدال ممدودا فهى ركية ليس عند العرب أعذب من مائها وقال صاحب الكامل هى صدآء على مثال صدعاء وقال الخليل منهم من يقول أول صداء فيقول صداء وحكى ابن دريد تم اصيداء ابناء بين الصاد والدال ولعله الذى عنى الذبيانى بقوله

لئن كان للقبرين قبر بجلق * وقبر بصيداء الذى عند حارب

وحارب هذا قال الاثرم هو اسم رجل وقال غيره هو اسم موضع قال البكرى والصيداء أرض غليظة ذات حجارة ومنه اشتق اسم الرجل الذى منه بنو الصيداء قاله ابن دريد وأما صدأ بالهمز فهو وسخ الحديد يقال صدأ يصدأ صدأ أو يدى من الحديد صدية أى سهكة قال

سهكين من صداء الحديد * البيت ده وهذا الماء هو الذى يضرب به المثل فيقال ماء ولا كصداء بالضم والفتح وصدآء كما تقدم من قول صاحب الكامل وفيه أنشد

ماء ولا كصدآء * مرعى ولا كالسعدان

وأنشد البكرى فقال

كصاحب صداء الذى ليس رائيا * كصداء ماء ذاقه الدهر شارب

ويروى فى هذا البيت كصيداء على مذهب ابن دريد والله أعلم والصدى الذى يجيبك بمثل صوتك فى الجبال وغيرها يقال صم صداه وأصم الله صداه أى أهلكه لان الرجل اذا مات لم يسمع الصدا منه شيئا فيجيبه ومنه قوله * صم صداها وعفا

رمها * وكذلك يقولون صممه بالعصا أي ضربه وصممه بحجر كما قالوا صم صداه ويقال للداهية صمي صمام مثل قطام أي زيدي ويقولون صمي ابنة الجبل نحو ما تقدم ويقولون صمت حصاة بدم أي ان الدماء كثرت حتى لو ألقيت حصاة لم يسمع لها وقع لانها لا تقع على الارض انما تقع على الدم ويقال هذا المعنى أراد امرؤ القيس بقوله * صمي ابنة الجبل * وهي الحصاة فرغ الكلام في الصاد

خرجت من شيء الى غيره * لكنه فن لقوم خصوص
لم أعد فيه العلم لكن من العلم الذي لم أعد فيه النصوص
فان يكن للعلم فص فذا * منه هداك الله فص الفصوص

تقدم في الشعر ذكر النصوص ودونك من ملح هذا الباب ما يسحر الالباب وهي الابيات أنشدنيها الشريف العثماني رحمه الله بالاسكندرية حماها الله يقولها بعض شعرائهم من رعاتهم لاحد أمرائهم في قضاتهم

قضاة زماننا أضحوا لصوصا * عموما في الخليقة لا خصوصا
يرون بأكل أموال اليتامى * كأنهم رووا فيها نصوصا
وحسبك انهم لو صافحونا * لسلوا من خواتمنا الفصوصا

ولي أنا من قطعة مطولة سببها اني كنت واقفا ذات يوم مع أحد الفقهاء فمر رجل من أبناء الدنيا فسلم عليه وتركني فقلت

كان السلام عموما * فالآن صار خصوصا
ان كنت تجهل هذا * أتلو عليك نصوصا
أف لدهر أراني * بعارضيك وبيصا
أبدى عليك رواء * ورونقا وبصيصا
لا ترتضي الطعم الا * درامكا وخبيصا
فصرت بعد بطينا * وكنت قبل خميصا
اذ نلت ذلك بعت الاصحاب بيعا رخيصا
جنبتنا فحسبنا * انا رجعنا لصوصا
يا من تعزز أقصر * ولا تكونن حريصا
ظننت وجدك تكسي * من العلاء قميصا
ان كنت تحسب عينا * نعد نحن فصوصا

وتقدم

وتقدم ان الرجل سلم على الفقيه وتركني وهذا منكر وقد جاء في الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بين يدي الساعة تسليم الخاصة وذكر أشياء غير هذا

*(فصل) الضاد هي أخت الظاء في الاطباق وأما في المخارج فيختلفان مخرج الضاد من أول حافة اللسان وما يليها من الاضراس ومخرج الظاء قد تقدم في بابها فأغنى عن اعادته ولا أعلم فيها كلاما أكثر من انه يجيء من شكلها كذا معربة ضادة فلان فلانا كما تقول شاقه وحاده وهو مظلوم ومقلوب ضاد ضدا في القرآن ويكونون عليهم ضدا وبقي انه ينبغي أن يفرق بينها وبين الظاء في النطق لئلا تنقلب المعاني في مثل ظل وضل ونعم ونضر وما أشبه ذلك ومثله محظورا ومحضورا ومحذورا فبالمخارج يتبين المعنى فكن بها تعنى

خرجت من شيء الى غيره * نفل ولكن هو كالفرض
ان لم يكن فرضا فعلم وهل * شيء كمثل العلم في الارض

(فصل) من فوائد هذا الباب تقدم صأصأ ومنه حديث عبيد الله بن جحش لعنه الله كان قد أسلم وهاجر مع المسلمين الى أرض الحبشة فتنصر بها ومات هنالك نصرانيا فكان اذا مر بالمسلمين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فقحنا وصأصأتم أي قد أبصرنا وأنتم تلتمسون البصر يضرب مثلا بولد الكلب الذي اذا اذا أراد أن يفتح عينيه للنظر صأصأ وكانت أم حبيبة بنت أبي سفيان رضي الله عنها تحت عبيد الله هذا فلما هلك خلف عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان لها من عبيد الله بنت تسمى حبيبة وبها كانت تكنى واسمها رملة فلما انقضت عدتها خطبها النجاشي على رسول الله صلى الله عليه وسلم فزوجها منه خالد بن سعيد ابن العاصي وهما بأرض الحبشة وأصدقها النجاشي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعمائة دينار ذكر أبو عمر بن عبد البر بسنده ان أم حبيبة بنت أبي سفيان رضي الله عنها قالت ما شعرت وأنا بأرض الحبشة الا برسول النجاشي جارية يقال لها أبرهة كانت تقوم على ثيابه ودهنه فاستأذنت علي فأذنت لها فقالت ان الملك يقول لك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب الي ان أزوجكه فقلت لها بشرك الله بالخير وقالت يقول لك الملك وكلي من يزوجك فأرسلت الى خالد بن سعيد فوكلته وأعطيت أبرهة سواري فضة كانتا علي وخواتيم فضة كانت في أصابعي سرورا بما بشرتني فلما كان العشي أمر النجاشي جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه

ومن هنالك من المسلمين يحضرون وخطب النجاشى فقال الحمد لله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار أشهد أن لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وانه الذى بشر به عيسى ابن مريم صلى الله عليه وسلم أما بعد فان رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب الى ان أزوجه أم حبيبة بنت أبى سفيان فأجبت الى ما دعا اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أصدقتها أربعمائة دينار ثم سكب الدنانير بين يدى القوم فتكلم خالد بن سعيد وقال الحمد لله أحمده واستعينه وأشهد أن لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون أما بعد فقد أجبت الى ما دعا اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوجته أم حبيبة بنت أبى سفيان فبارك الله لرسوله ودفع النجاشى الدنانير الى خالد بن سعيد فقبضها ثم أرادوا ان يقوموا فقال اجلسوا فان سنة الانبياء اذا تزوجوا ان يؤكل طعام على التزويج فدعا بطعام فأكلوا ثم تفرقوا انتهى وقع فى هذا الحديث ان النجاشى زوج أم حبيبة من النبى صلى الله عليه وسلم وجاء فى مسلم عن ابن عباس رضى الله عنهما ان أبا سفيان سأل ذلك من النبى صلى الله عليه وسلم قال كان المسلمون لا ينظرون الى أبى سفيان ولا يقاعدونه فقال للنبى صلى الله عليه وسلم يا نبى الله ثلاثة أعطنيهن قال نعم قال عندى أحسن العرب وأجمله أم حبيبة بنت أبى سفيان أزوجكها قال نعم وذكر أبو عمر أن النجاشى هو الذى زوجها من النبى صلى الله عليه وسلم بأرض الحبشة كما تقدم وان عثمان بن عفان هو الذى عقد نكاحها هنالك وان أبا سفيان اذ ذاك كان محاربا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولذلك لم يل انكاحها ولما بلغه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تزوجها وهى بأرض الحبشة وقيل له ان محمدا قد نكح ابنتك قال ذاك الفحل لا يقدع أنفه قال أبو عمر اختلف فى من زوجها وعقد عليها فقيل خالد كما تقدم وقيل عثمان وقيل النجاشى * تقدم فى أول هذا الحديث حبيبة بنت أم حبيبة ذكر أبو عمر فيها فائدة عجيبة وذلك انه ذكر عن الزهرى عن عروة عن زينب بنت أم سلمة عن حبيبة بنت أم حبيبة عن أمها أم حبيبة عن زينب بنت جحش قالت استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم من نومه محمرا وجهه وهو يقول لا اله الا الله ويل للعرب من شر قد اقترب قد اجتمع فى هذا السند أربع نسوة كلهن قد رأين النبى صلى الله عليه وسلم اثنتين من أزواجه أم حبيبة وزينب بنت جحش وثنتين ربيبتيه زينب بنت أم سلمة

وحبيبة بنت أم حبيبة ويجمع بين الخبرين ان يكون خالد وعثمان بن عفان زوجها من النبى صلى الله عليه وسلم لانها كانت ابنة عمته صفية بنت أبى العاص وكان النجاشى خاطبا والله أعلم وكان لعبيد الله بن جحش المتقدم الذكر أخ اسمه عبد الله ابن جحش وكان ابن أخت حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنهما وأخاه من الرضاعة وقتلا جميعا يوم أحد ودفنا فى قبر واحد رضى الله عنهما وهو الذى يقال له المجدع فى الله وسبب هذه التسمية ما حدث سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قال لقيت عبد الله بن جحش رضى الله عنه يوم أحد أول النهار فقال يا سعد هلم فلندع الله وليذكر كل واحد منا حاجته فى دعائه وليؤمن الآخر قال سعد فدعوت الله أن ألقى فارسا فأقتله وآخذ سلبه فقال عبد الله آمين ثم استقبل القبلة ورفع يديه الى السما وقال اللهم لقنى اليوم فارسا يقتلنى ويجدع أنفى وأذنى فاذا لقيتك غدا تقول لى يا عبدى فيم جدع أنفك وأذناك فأقول فيك يا رب وفى رسولك فتقول لى صدقت قل يا سعد آمين فقلت آمين ثم مررت به آخر النهار قتيلا مجدع الانف والاذنين وان أنفه وأذنيه معلقين فى خيط واحد ولقيت أنا فلانا من المشركين فقتلته وأخذت سلبه وأخته هى زينب بنت جحش زوج النبى صلى الله عليه وسلم وكانت تحت زيد ابن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى التى قال الله تعالى فيها لنبيه صلى الله عليه وسلم فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها وبذلك كانت تفخر على سائر أزواج النبى صلى الله عليه وسلم وتقول أنتن زوجكن أهلوكن من نبى الله عليه الصلاة والسلام وأنا زوجنى الله منه أو كما قالت وكانت أسدية خرج ثابت من حديث الشعبى انه أبصر رجلا من سليم وهو يلزم رجلا من بنى أسد بن خزيمة والسلمى يقول للاسدى هلم فلأنافرك المجد والاسدى يتفلت منه والسلمى يأبى أن يرسله فقال الشعبى يا أخا سليم الى فأقبل فقال أفيكم امرأة زوجها الله من السماء والسفير بينهما جبريل قال لا قال تلك منهم زينب بنت جحش أفيكم رجل أقسم على الله فأبره قال لا قال ذلك منهم عبد الله بن جحش أفيكم رجل كان يمشى فى الناس وهو يعلم انه من اهل الجنة قال لا قال ذلك منهم عكاشة بن محصن الاسدى أفيكم أول من بايع النبى صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية بيعة الرضوان قال لا قال ذلك منهم أبو سنان الاسدى رضى الله عنهم أجمعين المنافرة المحاكمة الى من يقضى بين القوم فى خصومة أو مفاخرة تقول نافرت فلانا الى فلان فنفرنى عليه أى غلبنى عليه

وقضى لى قال الاعشى

قد قلت شعرى فضى فيكما * واعترف المنفور للنافر

وكانت المنافرة أوّل ما استعملت انهم كانوا يسألون الحيا كم أيّنا أعز نفرا وفى القرآن من هذا أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا وجعلنا كم أكثر نفيرا والجماعة الانفار والنفر النفير ومنه قولهم لا فى العير ولا فى النفير يريدون نفير قريش الذين نفروا الى بدر ليمنعوا عير أبى سفيان وقوله فى الحديث السفير جبريل فالسفير الرسول تقول سفرت بين القوم اذا كنت بينهم رسولا أسفر سفارة وهم السفراء والسفرة أيضا وفى التنزيل بأيدى سفرة كرام بررة وكان عبد الله بن جحش المذكور قد أرضعته ثويبة جارية أبى لهب وهى أرضعت أيضا حمزة وأرضعت أيضا النبى صلى الله عليه وسلم ولكن لم يكن ذلك فى وقت واحد لان حمزة كان أكبر من أخيه العباس وكان العباس اذ ولد النبى صلى الله عليه وسلم ابن ثلاثة أعوام وكان عبد الله ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم أكبر من حمزة وممن جدع أنفه فى الحرب هدبة بن الخشرم ثم انه قدم للقتل فحضرت امرأته فقال

فان يك انفى قد أصيب جماله * فانى فى الصالحين بأجدعا

فلا تنكحى ان فرق الدهر بيننا * أغم القفا والوجه ليس بأنزعا

فقالت لقاتليه كذا وامنه ساعة ثم مضت ورجعت وقد جدعت أنفها فقالت أهذا فعل من له فى الرجال حاجة فقال الآن طاب الموت وتقدم أيضا وجاء منه فى الحديث من قول النبى صلى الله عليه وسلم اذ قالت له هند لقد أمسيت وما من أهل خباء أحب الى من ان يذلهم الله من أهل خبائك فقد أصبحت وما من أهل خباء أحب الى من ان يعزهم الله من أهل خبائك فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أيضا والذى نفسى بيده خرجه ثابت وقال معناه والله أعلم انه سيبلغ بك الله من الايمان ما تصيرين به الى اعلى من هذه الدرجة وترجعين فى هذه المقالة وأكثر منها * وتقدم ضاء وجاء منه فى الشعر قول العباس بن عبد المطلب يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم

من قبلها طبت فى الظلال وفى * مستودع حيث يخصف الورق

ثم هبطت البلاد لا بشر * أنت ولا مضغة ولا علق

بل نطفة تركب السفين وقد * ألجم نسرا وأهله الغرق

تنقل من صالب الى رحم * اذا مضى عالم بدا طبق

حتى احتوى بيتك المهيمن من * خندف علياء تحتها النطق

وأنت لما ولدت أشرقت الارض * وضاءت بنورك الافق

فنحن فى ذلك الضياء وفى النور * وسبل الرشاد نخترق

قال ابن قتيبة لم اسمع بهذه اللغة يعنى من صالب الا فى هذا الشعر وفيه لغة اخرى صلب ومثله فى التقدير سقم وسقم وبخل وبخل وتقدم اضاءة وفى الحديث منه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر والذين يلونهم على أشد كوكب فى السماء اضاءة الحديث والضوء والضياء هو المنتشر عن النور والنور هو الاصل للضوء ومنه مبدأه وعنه يصدر وفى التنزيل فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وفيه جعل الشمس ضياء والقمر نورا الان نور القمر لا ينشأ عنه من الضياء ما ينشأ عن الشمس لا سيما فى طرفى الشهر والدليل على ان النور يكون منه الضياء قول ورقة بن نوفل

ويظهر فى البلاد ضياء نور * يقيم به البرية أن تموجا

يقوله فى النبى صلى الله عليه وسلم وفى الحديث الصحيح الصلاة نور والصبر ضياء وذلك ان الصلاة عمود الاسلام وهى ذكر وقرآن وهى تنهى عن الفحشاء والمنكر فالصبر عن المنكرات والصبر على الطاعات هو الضياء الصادر من هذا النور الذى هو القرآن والذكر وفى أسماء الله تعالى النور من قوله تعالى الله نور السموات والارض ولا يجوز أن يكون الضياء من أسمائه تعالى نقلت هذا من كلام السهيلى رحمه الله وقد قيل فى قوله تعالى الله نور السموات والارض أى منورهما وقيل يعنى بنوره يهتدى من فيهما وقيل مثل نوره الذى أعطى المؤمن فى قلبه كمشكاة وهى الكوة التى فى البيت غير نافذة فيها مصباح يعنى السراج تفسير ابن عباس رضى الله عنهما وتقدم أضاءت ما حوله وفى حديث أنس بن مالك رضى الله عنه لما كان اليوم الذى دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أضاء منها كل شئ فلما كان اليوم الذى مات فيه أظلم منها كل شئ وما نفضنا ايدينا من التراب وانا لفى دفنه حتى انكرنا قلوبنا * ومن أضاء أيضا قول الله تعالى كلما أضاء لهم مشوا فيه يعنى البرق وهذا مثل ضربه الله تعالى للمنافقين المعنى اذا نزل القرآن بما يحبون مالوا اليه واذا نزل بما يكرهون نافقوا قاله ابن عباس

وقال قتادة اذا رأى المنافق رخاء قال أنا معكم واذا رأى شدة لم يصبر كما قال تعالى فى موضع آخر ومن الناس من يعبد الله على حرف أى على شك فان أصابه خير اطمأن به أى رخاء وعافية وان أصابته فتنة انقلب على وجهه ارتد كافرا وقيل نزلت هذه الآية فى قوم من الاعراب كانوا يقدمون على النبى صلى الله عليه وسلم فيسلمون فان أصابوا رخاء أقاموا وان نالوا شدة ارتدوا ونعوذ بالله من النفاق وسيء الاخلاق * ومن ملح هذا الباب ولا بد أن أنشدك فى الاضاء أيضا شعرا انتحاله سحرا وان لم يكن لقائله قدم فى القدم فهو محدث حدث انثر البلاغة من الجدث فحييت بعد الموت وأدركت بعد الفوت ذلكم الأديب ذو الابانه أبو بكر بن اللبانه وستري تحقيق ما أنشدت اذا أنشدت

حنيت جوانحه على جمر الغضى * لما رأى جمرا أضاء بذى الاضا

واشتم من ريح الصبا روح الصبا * فقضى حقوق الشوق فيه بأن قضى

والتف فى عبراته فحسبتها * من فوق عطفيه رداء فضفضا

قالوا الخيال حياته لو زاره * تلك الحقيقة قلتمو لو غمضا

وهذا البيت فى ذكر الخيال من السحر الحلال وله أيضا وسمى الخيال بغير هذا الاسم ذكر فيه الطيف ونحول الجسم فقال

لم يدر طيفك موضعى من مضجعى * فعذرته فى انه لا يطرق

من قطعة مطولة مدح فيها ناصر الدولة ومن أغرب بيت فيها

ضدان فيه لمعتد ولمعتف * السيف يجمع والعطاء يفرق

وأولها هلا تسالك على قلب مشفق * فترى فراشا فى فراش يحرق

وتقدم ضالون حيارى وفى القرآن العزيز قوله تعالى غير المغضوب عليهم ولا الضالين قيل المغضوب عليهم اليهود والضالون النصارى فان قيل أليس النصارى من المغضوب عليهم واليهود من الضالين فكيف صرف لفظ الغضب الى اليهود والضلال الى النصارى قيل له نطق بذلك القرآن العزيز وورد به الحديث قال الله تعالى فى قصة اليهود فباؤا بغضب على غضب وقال فى النصارى قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل وجاء فى الحديث ان رجلا سأل النبى صلى الله عليه وسلم وهو بوادى القرى من المغضوب عليهم قال اليهود قال ومن الضالون قال النصارى وخرج الترمذى عن عدى بن حاتم رحمه الله ان النبى

صلى

صلى الله عليه وسلم قال اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضلال فاذا صح هذا فمن سواه هاذى * وتقدم ص اختلاف أهل العلم هل فى ص سجدة أم لا فمنهم من قال انها توبة نبى ولم ير فيها سجودا ومنهم من رآه وهو الاشهر وخرج الترمذى بسنده الى ابن عباس رضى الله عنهما قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انى رأيتنى الليلة وأنا نائم كأنى أصلى خلف شجرة فسجدت فسجدت الشجرة لسجودى فسمعتها وهى تقول اللهم اكتب لى بها أجرا وضع عنى بها وزرا واجعلها لى عندك ذخرا وتقبلها منى كما تقبلتها من عبدك داود قال ابن عباس فقرأ النبى صلى الله عليه وسلم سجدة ثم سجد فقال ابن عباس فسمعته وهو يقول مثل ما أخبره الرجل عن قول الشجرة وفيه عن عائشة رضى الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى سجود القرآن بالليل سجد وجهى للذى خلقه وشق سمعه وبصره بحوله وقوته وخرج النسائى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم سجد فى ص وقال سجدها داود توبة ونسجدها شكرا وخرج أبو داود انه عليه الصلاة والسلام قرأ على المنبر ص فلما بلغ السجدة نزل فسجد وسجد الناس معه وكان ابن المسيب رحمه الله لا يدع قراءة ص كل ليلة فسئل عن ذلك فقال ما من عبد قرأها كل ليلة الا اهتز لها العرش وقد تقدم فى فضائل القرآن فى أول الكتاب * وتقدم ذكر اللصوص وأفيدك فى المعنى بحديث منصوص أسنده الثقات من أهل الآداب الى القاضى عبد الله بن العتاب قال أخبرنا سليمان بن اسحاق قال أخبرنا الفروى قال كنت جالسا عند عبد الملك ابن عبد العزيز الماجشون فجاءه بعض جلسائه فقال له يا أبا مروان أعجوبة قال وما هى قال خرجت الى حائطى بالغابة فلما أصحرت وبعدت عن بيوت المدينة عرض لى رجل فقال لى اخلع ثيابك فقلت وما يدعونى الى خلع ثيابى قال أنا أولى بها منك قلت ومن أين قال أنا أخوكم وأنا عريان وأنت مكتس قال قلت فالمواساة قال كلا قد لبستها أنت برهة فأريد أن ألبسها كما لبستها فقلت فتعرينى وتبدى عورتى قال ولا بأس بذلك قد روينا عن أنس بن مالك انه قال للرجل أن يغتسل عريانا بالعراء قلت فيلقانى الناس فيرون عورتى قال لو كان الناس يلقونك فى هذا الطريق ما عرضت لك قال فقلت له فأرا الظريف فاقدعنى حتى أمضى الى حائطى فأنزع الثياب وأوجه بها اليك قال كلا أردت أن توجه الى بأربعة أعبد

من عندك فيقبضوا على ويمضوا بى الى السلطان فيحبسنى أو يمزق جلدى ويطرح رجلى فى الفلقة قال فقلت كلا أنا أحلف بالايمان انى أفى لك بما وعدتك ولا أسوءك قال كلا فدروينا عن مالك انه قال لا تلزم الايمان التى يحلف بها اللصوص قال فقلت فأحلف انى لا أحتال فى ايمانى هذه قال هذه ايمان مركبة على ايمان اللصوص الباب فيها واحد قال فقلت له دع المناظرة بيننا فوالله لأوجهن بهذه الثياب طيبة بها نفسى قال فأطرق مليا ثم رفع رأسه فقال أتدرى فيم فكرت قال فقلت لا قال تصفحت اللصوص من عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى وقتنا هذا هل أجد لصا بنسيئة فلم أجده وأكره أن أبتدع فى الاسلام اخلع الثياب فخلعتها ودفعتها اليه

وذا فصل الفوائد قد تقضى * وآخذ بعد فى ألف وعين
وأخت العين غين سقت أيضا * لتحضر أختهما بأنور عينى
وعندى ان علمهما جميعا * ألذ لدى من ورق وعين

﴿باب الالف مع العين وأختها﴾

واع اع واغ اغ وواع * وعاو وعى وغل وغل

لم يستقم لى فى هذا الباب بيت على تأسيسه الا بعكوسه وما قام حتى دعمته ولا استقام حتى أعنته وأنشدت

وبعد ما وجدت غير هذا * فاسمعه انى لست من هاذى
واقنع وخذ من وابل رذاذا * وارض به مرفعا جذاذا

ومع هذا فان كان قد جاء وهو ملفق مرقوع فهو فى معناه موفق مرفوع يحتوى على عيون من العلوم وفنون من الفهوم وقد كنت أول ما فرضته وعلى نفسى عرضته قلت هذا بيت من الكلام قفر ليس فيه ما يقال وقد عراه بترفعا عندى ما يؤكل ولا يكال لكن قلت الكبير يحتال وان لم يجد ما يكتال يغتال والقرآن وحديث الرسول عليه الصلاة والسلام يصلحه حتى تصير بعد ان كنت تذمه تمدحه وها أنا ذا ان شاء الله أشرحه وأبسط ما انقبض منه وافتحه اما أع اع فصوت يخرج من الجوف مع تنفس وخرج البخارى عن أبى موسى رضى الله عنه قال اتيت النبى صلى الله عليه وسلم فوجدته يستن بسواك بيده يقول أع أع والسواك فى فيه كأنه يتهوع وذكر النسائى هذا الحديث وقال وهو يقول عاعا وللعرب ألفاظ مثل هذه وورد منها فى الحديث كثير سأذكرها فى آخر هذا الباب ما أمكن ان شاء الله

تعالى

تعالى واما اغ اغ فصوت الصبى الصغير حين يريد الكلام به يبدأ وربما يقال له ذلك وفى ذلك يقول الشاعر وكان له طفل يقوله

فلذة قلبى أمسها بيدى * اذا أراد الكلام قال أغ
لو وصف الواصفون كلهم * مقدار حبى له لما بلغوا

وأما واع فاسم فاعل من وعاه يعيه وعيا والواو أصلية وكذلك فى وعاو وعا المذكور فى البيت يقال وعيت العلم وأوعيت المتاع قال الشاعر

الخير يبقى وان طال الزمان به * والشر أخبث ما أوعيت من زاد

ووقع فى البخارى فى حديث كسوف الشمس قال هشام فلقد قالت لى فاطمة فأوعيت وذكر الحديث فعلى هذا يقال أوعيت العلم وكذا قال ابن قتيبة أوعيت العلم ووعيته والمشهور أوعيت المتاع فى الوعاء ووعيت العلم وقال الله عز وجل وجمع فأوعى وتعيها أذن واعية وتفسير أوعى أى جمع المال وجعله فى وعائه ومنع منه حق الله تعالى وهذه صفة الكافر دليله قوله تعالى الا المصلين والكفار لا يصلون والصلاة هنا المكتوبة قال ابن مسعود هو صلاتها لوقتها فأما تركها فكفر قلت وان كانت الآية فى الكفار كما قالوا ففى ضمنها تخويف للمسلمين لان من تشبه بقوم فهو منهم وقال تعالى والله أعلم بما يوعون قال مجاهد وغيره معناه يوعون فى أنفسهم قاله المهدوى وقال ابن عزيز يوعون يجمعون فى صدورهم من التكذيب بالقرآن وبنبوة محمد صلى الله عليه وسلم كما وعى المتاع فى الوعاء والوعى حفظ القلب ووعى عظمه اذا انجبر ويقال لا وعى لك عن ذلك أى لا تماسك ووعت المدة فى الجرح اذا اجتمعت والوعاء الصوت والوعاء الظرف الذى يجمع فيه الاشياء وقد يكنى به عن الصدر كما قال أبو هريرة رضى الله عنه حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاءين فأما أحدهما فبثثته فى الناس وأما الآخر فلو بثثته قطع هذا البلعوم خرجه البخارى وقال متصلا به البلعوم مجرى الطعام وكذا قال أبو عبيدة البلعوم مجرى الطعام فى الحلق وقد تحذف الواو فيقال بلعم مثل العلوج والعلج وقال غيره العلوج أيضا البياض الذى فى جحفلة الحمار وأنشد فى ذلك * بيض البلاعيم أمثال الخواتيم * والبلعمة الابتلاع والبلعم الرجل الكثير الاكل الشديد البلع للطعام والميم زائدة رجع الى قوله تعالى وتعيها أذن واعية معناه أى لتذكرها وتكون خبرا مسموعا ويقال

واعيــة حافظة ويقال رجل واعية دخلت التاء فيــه للمبالغة كما دخلت فى علامة ونسابة والواعية أيضا الصارخة والذى جاء فى الحديث من هذا انما هو الناعية بالنون منه قول عبد الله بن عتيك رضى الله عنه لا أبرح حتى أسمع الناعية قالها فى مقتل أبى الحقيق وقال أبو عمرو الهاعية والواعيــة الصوت الشديد والصــياح وكذلك وقع فى الدلائل من قول الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنــه اهريقة من حديث طويل فولى هاربا حتى لا أسمع لها واعية ولا ترى لها مقتلا الحديث قال ثابت الواعية الصراخ على الميت قال بعضهم ولم أسمعهم يشتقون منه فعلا وهو من الوعى وهو الجلبة والصوت فاذا ضاعفوا اشتقوا له فعلا فقالوا وعوع الكلب والمصدر الوعوعة والوعواع ويقولون خطيب وعوع كما قالت الخنساء * هو القرم والسكهين الوعوع * واذا نعتوا رجلا مهذارا قالوا وعواع وأنشد * تسمع للمرء بها وعواعا * بقى معكوس اع واغ التى فى البيت فشكلها عاوغا أما عا فقد تقدم فى حديث الناقة من قول النبى صلى الله عليه وسلم اذ كان يقول عاعا وقالوا عاعيت عاعاة وهو زجر الضأن اذا اقبلت له عا وقال المازنى فى ألف عاعيت مقلوبة عن واو وكذلك حاحيت * وأما مقلوب هــذه اللفظة حرف بين ألفين فشكلها اعا لا أعلم فيه شيئا الا زيادة قالوا أعاه الزرع وأعاه القوم وأعيه المال فهو معوه اذا أصاب ذلك كله العاهة وهى الآفة عافانا الله منها * وأما مقلوبه ألف بين حرفين عاع فمهمل فيما أظن وأما غاغ بالغين المنقوطة فلم أر فيه شيئا الا أنهم قالوا الغاغة ضرب من النبات يشبه الهربوة والغاغة من الناس وهم الكثيرون المختلطون وأما واع المتقدم فمعكوسه عاو اسم فاعل من عوى الكلب يعوى عواء وكذلك الذئب ويقال أيضا وعوع وعوعة وضغا يضغو ضغاء وتقول عويت الحبل عيا لويته ومن شكل هــذا الحرف غوى الرجــل يغوى غيا وغواية اذا انهمك فى الشر فهو غاو وأغواه غيره فهو غوى أصله فعيل قال الاصمعى لا يقال غيره وأنشد

فمن يلق خيرا يحمد الناس أمره * ومن يغو لا يعدم على الغى لائما

والمغواة حفرة الصائد والتغاوى التجمع والتعاون عــلى الشر من الغواية أو الغى وفى الحديث تغاووا عــلى عثمان فقتلوه أى اجتمعوا عليه ويقال أيضا تغابوا بالباء قاله الزبيدى والغوغاء الجراد بعد الدبا وقيل الغوغاء شبه البعوض الا أنه لا يعض ولا يؤذى والاغوية الداهيــة يقال وقع الناس فى أغوية أى داهيــة

والمغويات بفتح الواو مشددة جمع المغواة وهى حفرة كأنها بئر ومنــه من حفر مغواة وقع فيها وفى الحــديث من قول عمر رضى الله عنــه ان قريشا تريد أن تكون مغويات لمال الله ذكره الخطابى رحمــه الله وقال هى الحفيرة والوهــدة تكون فى الارض قال عوام الرواة يقولون مغويات ساكنة الغين مكسورة الواو وهو خطأ وبقى من الباب مقلوب غاو وغى الوغى أصوات الابطال فى الحرب التى يسمع صوتها ولا يفهم ما تقول أصحابها شبهت بوغى الذباب والبعوض ونحوها ومثله الغمغمة ويقال سمعت وغى القوم وحاهم قاله الاصمعى وقال أبو عمرو ومثله الوعى بعين غير معجمة بقى القافية عل وفعل العل والعلل الشربة الثانية وتسمى الاولى النهل قال الشاعر

يورد الصعدة حتى اذا * نهلت كان لها منه عل

الصعدة صــدر القناة يقول يطعن مرة ثم يعاود فيطعن أخرى ويقال القوم يعلون لابلهم عــلا وعللا والابل نفسها تعل عللا كل ذلك شرب بعد شرب وكــذلك سقى ابله عللا ونهلا أى سقية بعد سقية والعل أن يعرض الماء على الابل بعد سقيه الاول فان شربت فهى عالة وان أبت فهى قاصية ومن أمثالهم سمتنى سوم العالة أى لم تبالغ فى العرض على والمرأة تعل ولدها بشئ من المرق أو نحوه يجزئه عن اللبن والعــل الذى يزور النساء والعل القراد الضخم ورجل عل أى مسن نحيف شبيه بالقراد قاله صاحب العين وقال ابن دريد فى الجمهرة والعل الصغير الضئيل الجسم وان كان كبير السن وبذلك سمى القراد عــلا وأنشد * ولو ظل فى أوصالها العل يرتمى * وعل لغة فى لعل التى هى حرف يقرب من قضاء الحاجة ويقال أيضا حرف ترج وتوقع واذا جاءت فى الكلام عن الله عز وجــل فهى ان شاء الله تعالى واجب بمعنى ان الله عز وجــل يعطى ما وعــد فى مثل قوله تعالى لعلكم تهتدون ولعلكم تفلحون ولا يجب على الله سبحانه وتعالى شئ الا من طريق الثقة بقوله ووعــده الكريم ومن جهة اللطف والجود سبحانه وفى لعل لغات يقال عل ولعــل ولعلنا ولعن ولعنا ورعن ولغن بالغين المعجمة فى هذا وحده وبنو تميم تقول لعنك عوض لعلك قال الفرزدق

قفا يا صاحبى بنا لعنا * نرى العرصات أو أثر الخيام

قال الزبيدى لعــل أصلها عل واللام فيها زائدة كاللام فى لافعلن قال غيره وذلك

اضرب من المبالغة يريد التأكيد والله أعلم قال الاستاذ رحمه الله يجوز حذف نون الوقاية من لعلنى فتقول لعلى كما قال الله تعالى لعلى أرجع الى الناس بحذف النون وحسن ذلك كثرة حروف هذه الكلمة قال وقد حكى يعقوب ان من العرب من يخفض بلعل وهذا يؤكد حذف النون من لعلى وأحسن ما يكون حذف هذه النون فى ان ولكن وكان لاجتماع النونات وقد جاء حذف النون فى ليتنى كما قال ورقة

فياليتى اذا ما كان ذاكم * شهدت وكنت اولهم ولوجا

ولكنه غير مستحسن وهو فى لعل أحسن لقرب مخرج اللام من النون قال الشاعر

يقول اناس عل مجنون عامر * يروم سلوا قلت انى لما بيا

وذكر ابن جنى فى سر الصناعة قال أبو زيد لغة عقيل لعل زيد منطلق بكسر اللام الثانية وجر زيد وقال كعب بن سعد الغنوى

فقلت ادع أخرى وارفع الصوت جهرة * لعل أبى المغوار منك قريب

وقال قوم انما هو لعا لابى المغوار ولعا كلمة تقال للعاثر يراد بها الارتفاع والاقالة قال ابن أبى سلمى * ولا قائل اما عثرت لعا لكا * وقال أبو الحسن ذكر أبو عبيدة انه سمع لام لعل مفتوحة فى لغة من يجر بها فى قول الشاعر

لعل الله يمكننى عليها * جهارا من زهير أو أسيد

والعلة المرض وصاحبها معتل وعليل والعلة الحدث الشاغل عن الشئ كانه حدث شغله ثانيا عن شغلة الاول والعلة من الاعتلال جاء بعلة وجمعها علل وتعللت بكذا من هذا وتعللت أيضا لهوت والتعليل سقى بعد سقى وبنو العلات بنو الضرائر قال الشاعر

وهم لمقل المال أولاد علة * وان كان محضا فى العشيرة مخولا

قال ابن دريد ويمكن ان تكون سميت علة لانه عل بها على التى عنده وفى الحديث الانبياء أولاد علات أمهاتهم شتى ودينهم واحد والعلالة بقية اللبن وغيره وفى الحديث عن عمرة بنت حزم انها ذبحت لرسول الله صلى الله عليه وسلم شاة فأكل منها ثم توضأ للظهر وصلى ثم انصرف ثم أتى بعلالة من علالة الشاة فأكل ثم صلى العصر صلى الله عليه وسلم والعلعل الذكر من القنابر والعلعل اسم الذكر والعلعل

رأس الرهابة والرهابة عظم مشرف على البطن كطرف لسان الكلب واليعلول الغدير واليعاليل حبابات المطر واليعاليل أيضا من السحاب قطع بيض والواحد من هذا كله يعلول هذا عل وأماعل بالضم فمن هذا ابنيته لما لم يسم فاعله أو تأمر به تقول عل فيهما جميعا فان جعلت الواو من وعل أصلية جاء من شكله وعل وهى الاروى والجمع الوعول والاوعال وفى الحديث تظهر التحوت على الوعول أى يغلب الضعفاء من الناس أقوياءهم ويقال هم علية وعل واحد أى ضلع واحد قال الاصمعى الوعل المنجى يقال مالى عن ذلك وعل ووعى أى مالى منه بد وقال الفراء مالى عنه وغل بالغين المعجمة أى لجاء وتقول توعلت الجبل علوته مثل وقلته وسيأتى فى باب القاف ان شاء الله تعالى ومعكوس عل لع يقال امرأة لعة خفيفة الحركة مليحة عفيفة ورجل لعاعة يتكلف الالحان بالاصوات واللعلع السراب واللعاعة بصيصه والتلعلع التكسر وقد لعلعت عظمه اذا كسرته وتلعلع منها الجوع أى تضور والتلعلع التلألؤ وتلعلع الكلب اذا دلع لسانه عطشا ولعلع موضع ومنه قول مالك بن نمط عهدهم لا ينقض ما أقامت لعلع وما جرى اليعفور بصيلع فلعلع اسم بقعة أو جبل كما تقدم وصيلع الارض الملساء قال رؤبة

أقفر من أم اليمام لعلع * فبطن ذى قار فقار بلقع

واللعاعة بقلة وفى الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للانصار يوم حنين حين قسم الغنائم ولم يعط الانصار منها شيئا فكأنهم وجدوا من ذلك شيئا فى نفوسهم فقال أوجدتم يا معشر الانصار فى نفوسكم شيئا فى لعاعة من الدنيا تألفت بها قوما ليسلموا ووكلتكم الى اسلامكم ألا ترضون يا معشر الانصار أن يذهب الناس بالشاء والبعير وترجعوا برسول الله الى رحالكم وفى آخر الحديث فبكى القوم وقالوا رضينا بك يا رسول الله حظا وقسما وأما غل فعل يقال منه غل الرجل وأغل اذا غدر ويقال للخائن فى الفئ غل يغل غلا فهو غال والغلول الشئ المأخوذ من الغنيمة قبل القسمة يقال من الخيانة أغل يغل ومن الحقد غل يغل ومن الغلول غل يغل وفى الحديث ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم اخلاص العمل لله والطاعة لذوى الامر ولزوم الجماعة قال أبو عبيدة تروى يغل بالفتح من الضغن وتروى يغل بالضم من الاغلال وهى الخيانة قال الخطابى وكان حماد بن سلمة يرويه يغل بالتخفيف من وغل وأصل الغلول من الغلل وهو دخول الماء فى خلل الشجر

والخيانة تكون في خفاء من غير وجه الواجب كالغلال ومن هذا تقول غل الرجل يغل وانغل دخل بين الشجر ويقال غل البعير يغل غلة اذا لم يرو وغل فلان ابله اذا أساء سقيها والغل والغلة والغليل حرارة العطش في الجوف وربما سميت حرارة الحب أو الحزن غليلا تقول من العطش غل الرجل يغل على ما لم يسم فاعله فهو مغلول وقد تقدم ماله ال ولا غل والغلة بفتح الغين من غلة الدار وأغلت الضيعة أفادت غلتها قال الراجز

أقبل سيل جاء من أمر الله * يحرد حرد الجنة المغله

كذا وقع في النوادر وقوله * يحرد حرد الجنة المغله ان صح فله وجه وتكون المغلة من الغل معناه ذات غل وينشد في المعنى الاول قول زهير

فتغلل لكم مالم تغل لاهلها * قرى بالعراق من قفيز ودرهم

والغالة ما ينقطع من ماء البحر فيجتمع في موضع وأغلات في الاهاب اذا سلخته وتركت فيه لحما أو شحمة والغل جامعة تشد في العنق من قد أو حديد ومنه قولهم غل قمل للمرأة السيئة الخلق ومعناه انهم كانوا يغلون الاسير بالقد فيجتمع القمل في غله فيشتد اذاه له وجمع الغل اغلال قال الله تعالى اذ الاغلال في اعناقهم والسلاسل ويجمع أيضا على غلال وأنشد للفرزدق

وقد أطلقت كفاك من قيد بائس * ومن عقدة ما كان يرجى انحلالها

كثيرا من الايدي التي قد تكنفت * فككت وأعناقا عليها غلالها

ويروى انه لما نزل بعمرو بن العاص رضي الله عنه الموت وضع يده موضع الغلال من ذقنه ثم قال اللهم أمرتنا فتركنا ونهيتنا فركبنا ولا يسعنا الا مغفرتك فكانت تلك هجيراه حتى مات رحمه الله • والغل بالكسر الحقد ورجل مغل ذو غل من هذا قول الراجز • لو قتل الغل امرأ ألقته * والغلالة شعار يلبس تحت الثوب والغلالة من الدروع ويقال نعم غلول الشيخ هذا أي الطعام الذي يدخله جوفه لانه يقال غل فلان المفاوز اذا دخلها والغلغلة سرعة السير ورسالة مغلغلة محمولة من بلد الى بلد ومنه قول ابي قيس بن الاسلت

أبا راكبا اما عرضت فبلغن * مغلغلة بني لؤي بن غالب

وغلغلات من الغالية بمعني غلفت قال أبو نصر سألت الاصمعي هل يجوز تغللت من الغالية فقال ان أردت انك أدخلته في لحيتك وشاربك فجائز وأما غل بالضم

فقد

فقد دخل في هذا الباب وهو الامر من هذا الفعل ولا يحل الامر به ويجوز ان يخبر به على ما لم يسم فاعله وتريد به من الغل الذي في العنق تقدم في البيت وغل والواو للعطف فان جعلتها أصلية قلت وغل يغل وغولا اذا دخل على القوم في شرابهم فشرب معهم من غير ان يدعى اليه ووغل يغل وغولا اذا دخل في الشجر وتوارى فيه والواغل في الشراب مثل الوارش في الطعام قال

فاليوم أشرب غير مستحقب * اثما من الله ولا واغل

والوغل أيضا النذل من الرجال والوغل بكسر الغين السيئ الغذاء والايغال السير السريع والامعان فيه وتوغل في الارض اذا سار فيها فأبعد ويأتي من معكوسه لغو وقد تقدم الكلام فيه ومن مقلوبه ولغ بمعنى شرب وكذا جاء في الحديث اذا ولغ الكلب في اناء أحدكم ورواه مالك اذا شرب الكلب ولم يروه أحد كذلك غيره ويأتي منه غلو وسيأتي وغول ومنه قوله تعالى لا فيها غول جاء في التفسير لا تغتال عقولهم فتذهب بها ويأتي منها غول بالضم وقد تقدم بقي معكوس هذه اللفظة لغ أمر من ولغ الكلب يلغ ولوغا بقي معكوس أغل لغا في الحديث من هذا من قول النبي صلى الله عليه وسلم اذا تكلمت يوم الجمعة فقد لغيت ويروى لغوت وألغيت اللغي واللغو ما لا ينبغي من الكلام قال الله تعالى لا تسمع فيها لاغية يقال والله أعلم كلمة قبيحة فاحشة وكذلك لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما وقال تعالى واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه يقال لغي يلغى ولغا يلغو لغوا قال الشاعر

يارب أسراب حجيج كظم * عن اللغي ورفث التكلم

وقوله في الحديث ألغيت معناه أتيت باللغو كما يقال أفحش الرجل اذا أتى فاحشة أو أتى بها أو تكلم بفحش وأرفث اذا أتى بالرفث يقال فحش يفحش ويفحش في وزن رعف يرعف ويرعف واللغو أيضا نباح الكلب قال الشاعر

فقلنا للدليل أقم اليهم * فلا تلغى لغيرهم كلاب

واللغو أيضا ما لا يتثبت فيه من الكلام ومنه لغو اليمين ويقال أيضا ألغيت هذه الكلمة بمعنى رأيتها باطلا وكذلك ما يلغى من الحساب قال المازري قوله عليه الصلاة والسلام اذا قلت لصاحبك أنصت والامام يخطب فقد لغوت انما ذكر هذه اللفظة وهي لا تعد من الكلام الكثير وهي أمر بالمعروف فاذا لم يبحها فأحرى وأولى ان لا يباح ما سواها مما يكثر وليس بمعروف ومقلوب أغل أيضا غلا تقول غلا

النبت يغلو اذا ارتفع وقد تقدم وغلا الشئ يغلو ضد رخص واذكر هنا من الابيات ما أستحفظه لئلا أنساه قال الشاعر

واذا غلا شئ على تركته * فيكون أرخص ما يكون اذا غلا

قال آخر

يقولون لى لم بعت بالرخص منزلى * وقد علموا جارا هناك ينغص

فقلت لهم كفوا الملامة انما * بجيرانها تغلو الديار وترخص

ويقال ان المعرى كتب الى ابن حزم بهذا البيت

كف بخمس مئى فى الشرع قد وديت * ما بالها قطعت فى ربع دينار

فقال صيانة النفس أغلاها وأرخصها * خيانة المال فانظر حكمة البارى

بلغ البيت غيره فقال

بذاك سنة خير الناس قد وردت * فلا سبيل الى تعليل الآثار

وقد تقدم غلا النبت يغلو اذا ارتفع وتجاوز الحد ومنه الغلو فى الدين قال الله تعالى لا تغلوا فى دينكم أى لا تتعدوا فيه الحد ولى فى المكفرة

وقد علمت بان فيها الغالى * فيها الرخيص غدا لا الغالى

فرغ هذا بقى الكلام على العين والغين قد تقدم انهما من حروف الحلق ومن الحروف المجهورة والعين تتصرف على وجوه منها العين الباصرة وهى حاسة وهى مؤنثة وتصغيرها عيينة ومنه قيل للجاسوس ذو العيينتين والعين من الماء والعين من السحاب ما أقبل من ناحية القبلة والعين مطر أيام لا يقلع وعين الركبة نقرة فى مقدمها ولكل ركبة عينان وهما نقرتان فى مقدمها عند الساق والعين المال الناض والعين الجاسوس ولقيته عين عنة اذا رأيته عيانا ولم يرك وفعلت ذلك عمد عين اذا تعمدته بجد ويقين وعين الشئ خياره وعين الشئ نفسه يقال هو هو بعينه وهو هو وعينه ولا آخذ الا درهمى بعينه وفى المثل عينه فراره ولا أطلب أثرا بعد عين أى بعد معاينة ويقال ما بها عين تطرف أى أحد وفى الميزان عين اذا لم يكن مستويا ويقال أنت على عينى فى الاكرام والحفظ قال الله تعالى ولتصنع على عينى وتعين الشئ عليه لزمه وعين الشمس معروفة وعين شمس وعين صيد بلدان وعين موضع فى هذيل قال الشاعر

فالدر منخلج فأصبح طاتقا * ما بين عين الى نثات الاثأب

وعينان قرية بالبحرين قال الشاعر

* ونحن منعنا يوم عينين منقرا * وجبل عينين أيضا بأحد وعيون بلفظ الجمع أيضا جبل والعين المعاينة والعين الدينار والعين المال العتيد وعينت الرجل أصبته بالعين ورجل معين على النقص ومعيون على التمام قال عباس بن مرداس على التمام

قد كان قومك يحسبونك سيدا * واخال انك سيد معيون

وقد تقدم القول فى اخال بالكسر ولا تقل معان الا من الاعانة فانك تقول أعانك الله فأنت معان والله معين وأما معان فموضع ومنه قول المعرى * معان من أحبتنا معان * أى معمور بالناس واشتقاقه من المعاينة أى ان الناس يكثرون فيه فيعاين بعضهم بعضا وكذلك قال فيه بعض المفسرين هو المكان الذى يكثر فيه الحدق ولعل معانا هذا هو الموضع الذى بعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم جعفرا وأصحابه فأصيبوا به بموتة والله أعلم وقد تقدم حديثهم فى باب الراء وابنا عيان خطان يخطان فى الارض يزجر بهما الطير واذا علم ان القامر يفوز قدحه قيل جرى ابنا عيان ويقال تعين السقاء اذا بلى والسقاء عين ويقال السقاء العين[٣] هو الجديد وعين قربتك صب فيها الماء ويقال اذهب واعتن لى منزلا أى ارتده والعينة السلف وعينت الرجل وتعينت منه عينة والعينة عند الفقهاء خلاف هذا وهو ان يطلب الرجل من الرجل سلعة ليست عنده فيقول له اشترها من مالك بعشرة نقدا وهى لى باثنى عشر الى أجل فهذا لا يجوز ويقال بقرة عيناء واسعة العين وكذلك المرأة وعين للجميع واصله فعل بضم العين وفى التنزيل وحور عين معناه بيض عظام العيون الواحدة عيناء كما تقدم قال قتادة قرأ عبد الله بحور عين أى بيض يقال بعير أعين اذا كان أبيض يضرب الى الشقرة ورجل أعين وقد عين عينا والعين عظم سواد العين وأعيان الناس اشرافهم والاعيان اخوة يكونون لاب وأم وانهم اخوة لعلات وأولاد الرجل من الحرائر بنو أعيان وعان الدمع والماء عينا بالتحريك أى سال وشرب من عائن أى من ماء سائل والماء المعين الظاهر وفى القرآن قل أرأيتم ان أصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين أى ظاهر عن ابن عباس أى تراه العيون فهو مفعول وقيل هو من معن الماء اذا كثر ويقال معون ويجمع معين على معن مثل رغيف ورغف ويقال معن الماء يمعن معونا جرى وسال وأمعن أيضا وأمعنته أنا ومياه معنان والمعن فى غير هذا اليسير ومنه قول

[٣] بتشديد الياء كما فى القاموس

المعری * لا یقدرون منه علی معن * وفسره ابن السید فقال أی علی شئ
یسیر و یقال ماله سعن ولا معن أی ماله لا قلیل ولا کثیر فعین علی هذا فعیل والمیم
أصلیة و یقال معیون ومعین وعن ابن عباس أیضا المعین فمن یأتیکم بماء معین
عذب وقال قتادة والضحاك المعین الماء الجاری والغور الذاهب وقیل ان غورا
بمعنی غائر وذاهب وقد تقدم وکان بعض الشاکرین متی استقی ماء من البئر یقول
الحمد لله رب العالمین فقیل له فی ذلك فقال اذکر قول الله تعالی قل أرأیتم ان
أصبح ماؤکم غورا فمن یأتیکم بماء معین فاشکر الله تعالی اذ لم یصبح ماؤنا غورا
أو کلاما هذا معناه وکان بعضهم شهد به یقول بعد قراءة هذه السورة قل هو الله
أحد الی آخرها وقیل فی معین من قوله تعالی وآویناهما الی ربوة ذات قرار
ومعین مثل ما تقدم وقالوا الربوة دمشق وقیل بیت المقدس وقال کعب الاحبار
بیت المقدس أقرب الی السماء بثمانیة عشر میلا و یقال ربوة وربوة وربوة ورباوة ورباوة
وهو ما ارتفع من الارض من قولهم ربا اذا ارتفع وزاد ومنه الربا فی البیع وقیل
فی قوله تعالی و یمنعون الماعون انه الماء وقیل الزکاة وقیل الماعون المعلوم
عندنا من متاع الدار مما یستعان به والعین أهل الدار وجمع العین أعین وأعیان
قال الشاعر

والکننی أغدو علی مفاضة * دلاص کأعیان الجراد المنظم

و یقال أعین الحافر اذا بلغ الماء وکذلك أنهر وأمهی وأنبط والنبط الماء الذی
یخرج من البئر أول ما یحفر وبه سمی النبط لانهم أنبطوا المیاه أی استخرجوها
قاله الخطابی وجمع اعین أعیان ومقلوب عین نعی مصدر نعی ینعی نعیا ونعیانا والنعی
نداء الناعی و یکون أیضا للرجل المیت قال الهروی النعی الفعل والنعی الرجل
المیت والجمع نعایا مثل صفی وصفایا و بری و برایا والنعی اشاعة ذکر المیت قاله
المازری وقال الاصمعی کانت العرب اذا مات منهم میت له قدر رکب راکب
فرسا وجعل یسیر فی الناس و یقول نعاء فلانا أی انعه وأظهر خبر موته وهی
مبنیة علی الکسر مثل نزال ودراك والمنعی والمنعاة أیضا خبر الموت یقال ما کان
منعی فلان منعاة واحدة ولکن مناعی وفی الحدیث من هذا ان رسول الله صلی الله
علیه وسلم نعی النجاشی للناس فی الیوم الذی مات فیه وخرج بهم الی المصلی وصف
بهم وکبر أربع تکبیرات وجاء فی الحدیث فی قتل أبی رافع قال فما برحت حتی

سمعت

سمعت نعایا أبی رافع قال الخطابی رحمه الله کذا روی وانما هو فی حق الکلام
أن یقال نعاء أبا رافع أی انعوا أبا رافع کما قال شداد بن أوس یا نعاء العرب أی
انعوا کما یقال دراك أی ادرکوا کما تقدم و یقال استنعت الناقة اذا نفرت
واستنعی القوم نافرین تفرقوا قال الشاعر فی رثاء عثمان بن عفان رضی الله عنه

نعاء افضل العلم والحلم والندی * ومأوی الیتامی الغبر أسنوا وأجدبوا
وملجأ مهر ونبن یلفی به الحیا * اذا جلفت کحل هو الأم والأب

یقال هرأه البرد یهرؤه اذا اشتد علیه حتی کاد یقتله و یقال أهرأه لغة و یقال
هرأ کلامه اذا أخطأ فیه والهراء بالضم المنطق الخطأ وأنشد

لها بشر مثل الحریر ومنطق * رخیم الحواشی لا هراء ولا نزر

ومن مقلوبها ینعت الثمرة وأینعت وهی تینع ایناعا وینعا وفی التنزیل انظروا
الی ثمره اذا أثمر و ینعه فی التفصیل ینعه نضجه و بلوغه فهو مصدر وقیل هو جمع
یانع کتاجر وتجر وفی الحدیث ینعة ذکره الخطابی فی حدیث النبی صلی الله علیه وسلم
انه قال لعاصم بن عدی فی قصة الملاعنة ان ولدته أحیمر مثل الینعة فهو لأبیه الذی
انتفی منه وفسر الینعة قال خرزة حمراء والینع ضرب من العقیق معروف قال
وفی روایة ان جاءت به أحیمر کأنه وحرة وفسر الوحرة الوزغة فان حذفت النون من
العین فیقی عی یقال رجل عی وعیی بین العی وقد عیی عیا وأعیا الامر اذا لم یعرف
وجهه وفی مثل أعیا من باقل وقال ابن درید عیی بالشئ عیا اذا لم یطقه والعی ضد
البلاغة وقد تقدم فی أول الکتاب و یقال عی بالامر وعیی وعیوا بأمرهم بالتخفیف
مثل حیوا من الاستحیاء و یقال أیضا عیوا بالتشدید قال الشاعر * عیوا بأمرهم
کما * عیت ببیضتها الحمامة * و یقال قوم أعیاء وأعییاء وأعییت کللت وأعیا
الرجل فی المشی فهو معی والداء العیاء الذی لا دواء له والعیایا الفحل الذی
لا یهتدی للضراب وکذلك الرجل وفی حدیث أم زرع من هذا قول احدی النسوة
تصف زوجها عیایا طباقا کل داء له داء وأعیا حی بن حرم وفی أسد بن خزیمة أعیا بن
طریف وفی باهلة أعیا بن سعد ومقلوب عی یع قال صاحب العین الیعیعة والیعیاع
من أفعال الصبیان اذا رمی أحدهم الشئ الی الآخر قال یع ولا یجوز کسر الیاء
فی الیعیاع استثقالا للکسرة فیها فان حذفت الیاء من عی بقی ع أمر من وعا یعی
وقد تقدم هذا وغیره والمعایاة أن تأتی بکلام لا یهتدی له وتعایا الرجل اذا تعمد العی

وان كان بليغا وهو محمود فى بعض المواضع مثل تجاهل وان كان فطنا قال الشاعر

ليس الغبي بسيد فى قومه * لكن سيد قومه المتغابي

ويروى فى هذا الغبي والغبى وآخر البيت المتغابي والمتغانى وكذلك المتعامى والمتصامم ولى من قطعة فى الشيب

رمالك الشيب وبحلت من قريب * فأثبت فى مقاتلك السهاما
وصاح بك الرحيل فلا تصامم * وبصرك النذير فلا تعامى

فرغ الكلام فى النوعين من المقلوب والمستقيم فى الغين

خرجت من شئ الى غيره * والعلم بهما صرفوه نفع
وها أنا من بعد ذا راجع * للغين أبديه فقل رجع

وأما الغين بحرف تهجى كما تقدم والغين العطش تقول غنت أغين وغانت الابل مثل غامت والغين لغة فى الغيم وغين على قلبه فطى عليه وجاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال انه ليغان على قلبى حتى استغفر الله كذا وكذا مرة قد سماه فى الحديث كذا ذكره أبو عبيد فى كتابه الغريب قال انه يتغشى القلب ما يلبسه وقال عن بعض أهل العلم كأنه يعنى من السهو وكذلك كل شئ يغشاه حتى يلبسه وقد غين عليه وقد قال الاصمعى غينت السماء غينا ويقال غامت وهو اطباق الغيم السماء وأنشد * كأنى بين خافقتى عقاب * أصاب حمامة فى يوم غين انتهى كلامه وقال غيره الغين شجر ملتف واحدها غيناء أى خضراء كثيرة الورق ملتفة الاغصان والغينة الشجراء مثل الغيضة قال أبو العميثل الغينة الاشجار الملتفة بلا ماء فاذا كان بماء فهى غيضة والغينة بالكسر ما سال من الجيفة وغانت نفسه غثت ومن مقلوبه نغيت اليه نغية ألقيت اليه كلمة والمناغاة المغازلة والمرأة تناغى الصبى أى تكلمه بما يهوى والموج يناغى السماء اذا ارتفع وكذلك الجبل ويقال كلمت فلانا فما نغى بحرف أى ما نبس قال الفراء النغية مثل النغمة وقال الاصمعى مثله وسمعت منه نغية وهو الكلام الحسن قال الشاعر

لما سمعت نغية كالشهد * كالعسل الممزوج بعد الرقد

ومن مقلوبه أيضا غنى الرجل يغنى فهو غنى وتغنى والاسم الغنية ومن هذا قوله عليه الصلاة والسلام ليس منا من لم يتغن بالقرآن بمعنى يستغنى به وقد تقدم والغانية الشابة المتزوجة التى غنيت بزوجها وقد تكون التى غنيت بحسنها

وجمالها

وجمالها قال جميل

أحب الايامى اذ بثينة أيم * وأحببت لما أن غنيت الغوانيا

والغناء الكفاية والاجزاء وغنى الرجل يغنى من الغناء وهى الأغنية واحدة الاغانى وقال ثابت فى الدلائل وبه سال للغنى الغنا قال أبو زيد يقال مالك عنه غنان ولا غنى ولا مغنى ولا غنية وأنشد * أجد بعمرة غنيانها * وعمرة هذه أم النعمان ابن بشير وغنى رجل بالمدينة فى مجلس فيه النعمان * أجد بعمرة غنيانها * فقيل له اسكت فقال لا بأس به دعوه فما قال الاخيرا قال * وعمرة من سروات النساء تنفح بالمسك اردانها * وصدر البيت الاول

أجد بعمرة غنيانها * لتصرم أم شانها شانها

يقول أى هى على ما نحب والشعر لقيس بن الخطيم * رجع الكلام ومغنى الدار موضع الحلول وقد غنى بها أقام وفى القرآن كأن لم تغن بالأمس أى كأن لم تكن عامرة بالامس والمغانى المنازل كما قال الحريرى فأحسن رحمه الله

لعمرك ما تغنى المغانى ولا الغنا * اذا سكن المثرى الثرى وثوى به

ويقال للقوم قد تغانوا اذا استغنى بعضهم عن بعض قال المغيرة بن حسان

كلانا غنى عن أخيه حياته * ونحن اذا متنا أشد تغانيا

فان حذفت النون من غنى بقى غى ضد الرشاد وهو الضلال وفى القرآن وان يروا سبيل الغى يتخذوه سبيلا أى سبيل الكفر وقال ابن مسعود رضى الله عنه فى قول الله عز وجل فسوف يلقون غيا انه واد فى جهنم والغياية كل ما أظل الانسان فوق رأسه مثل السحابة والغبرة والظلة وفى الحديث من هذا تجىء البقرة وآل عمران يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان أو فرقان من طير صواف تحاجان عن صاحبهما يوم القيامة وقد تقدم ان معنى يجىء فى هذا وشبهه أى يجىء ثوابهما والله أعلم ويقال غايى فلان فوق رأس فلان بالسيف كأنه أظله به والغاية مدى الشئ والجمع غايا مثل ساعة وساع وآية وآى والغاية الراية يقال غييت غاية وأغييت اذا نصبتها عن أبي عبيد ويقال فلان لغية ضد لرشدة فرغ الكلام من المعكوس والمقلوب فى الغين فى فصلين بالغين غير فارغين

خرجت من شئ الى غيره * وغاية العلم فما تبلغ
يطلب بعض بعضه دائما * فيفرغ المرء ولا يفرغ

فصل من فوائد هذا الباب تقدم غوى واذكرلك هنا فائدة فى قوله تعالى وعصى آدم ربه فغوى فسره بعضهم قال غوى خاف وقال بعضهم بشم من اكل الشجرة وذهبوا الى انه من قول العرب غوى الفصيل يغوى غوى اذا لم يصب ريا من اللبن وهذا صحيح على هذا المعنى فى هذا المبنى وأما فى غوى الذى فى الآية فليس كاذكر ولا هو منه فى ورد ولا صدر وقد ذكر هذه الآية ابن قتيبة رحمه الله فنفى منها وأزال اللبس عنها قال فى قصة يونس عليه السلام فى حكاية الله تعالى عنه وذا النون اذ ذهب مغاضبا الآية يستوحش كثير من الناس من أن يلحقوا بالانبياء ذنوبا ويحملهم التنزيه لهم عليهم الصلاة والسلام على مخالفة كتاب الله واستكراه التأويل على أن يلتمسوا لألفاظه المخارج البعيدة بالحيل الضعيفة التى لا تخيل عليهم أو على من علم منهم انها ليست لتلك الالفاظ بشكل ولا لتلك المعانى بلفق كتأويلهم فى قول الله تعالى وعصى آدم ربه فغوى انه بشم من اكل الشجرة وذهبوا الى قول العرب غوى الفصيل اذا اكثر من اللبن حتى بشم وذلك غوى بكسر الواو يغوى غوى قال الشاعر يذكر قوسا

معطفة الأوصال ليس فصيلها * برازئها درا ولا ميت غوى

وأراد بالفصيل السهم يقول ليس يرزؤها درا ولا يموت بشما ولو وجدوا أيضا مثل هذا السنن فى عصى آدم ربه لركبوه وليس فى غوى شئ الا ما فى عصى من معنى الذنب لان العاصى لله التارك لأمره غاو فى حالته تلك والغاوى عاص والغى ضد الرشد كما ان المعصية ضد الطاعة وقد أكل آدم من الشجرة التى نهى عنها باستزلال ابليس وخديعته اياه بالله والقسم به انه لمن الناصحين حتى دلاه بغرور ولم يكن ذنبه عن ارصاد وعداوة وارهاص كذنوب أعداء الله فنحن نقول عصى وغوى كما قال الله تعالى ولا نقول آدم عاص ولا غاو لانه لم يكن عن اعتقاد متقدم ولا نية صحيحة كما تقول لرجل قطع ثوبا وخاطه قد قطعه وخاطه ولا تقول قاطع ولا خياط حتى يكون معاودا لذلك الفعل معروفا به اه كلامه وذكر الفصل بكماله وهذا أمر قد عفا الله عنه والتائب من الذنب كمن لا ذنب له على ان آدم عليه السلام لم يتعمد المخالفة وانما كان متأولا مع وسوسة الشيطان وقسمه له ولحواء انى لكما لمن الناصحين وجاء فى البخارى فى قوله تعالى وقاسمهما حلف لهما ولم يحلفا له وجاء فى بعض الاخبار قال آدم يارب ما ظننت ان أحدا يحلف باسمك حانثا وتأولا ان النهى وقع على شجرة

بعينها

بعينها الا على جميع الجنس فأكلا من غير الشجرة التى أمرا بها متأولين وقيل تأولا النهى على الندب وأنكر كثير من المتكلمين بأن يأتى نبى بمعصية وهو يعلم انها معصية والشجرة التى أكلا منها شجرة التين قاله ابن جريج وغيره وبذلك يتأول لمن رأى فى منامه تينا انه يفعل شيئا يكون فيه ندامة وقيل الكرمة قاله ابن مسعود وقيل السنبلة قاله ابن عباس والكلمات التى تلقى آدم من ربه فتاب عليه قوله تعالى ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين قاله مجاهد وغيره وقال ابن عباس ان آدم قال أى رب ألم تخلقنى بيدك قال بلى قال يارب ألم تنفخ فى من روحك قال بلى قال أى رب ألم تسكنى جنتك قال بلى قال أرأيت ان تبت وأصلحت أراجعى أنت الى الجنة قال بلى وقال وهب بن منبه ان الكلمات قول قاله آدم وهو سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا أنت عملت سوءا وظلمت نفسى فاغفر لى انك أنت خير الغافرين سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا أنت عملت سوءا وظلمت نفسى فتب على انك أنت التواب الرحيم قلت وهذا كله بقدر الله وقضائه وفيه تأنيس وتخويف أما التخويف بأن يقول العبد هذا آدم صفوة الله من خلقه وصفيه كما تقدم أخرج من الجنة بذنب واحد وكان فيها وكان ذنبه ما قد ذكره وأنا لم أدخلها ولى ذنوب كثيرة وأنا أطمع فيها ولولا ان القنوط كبيرة لقلت لا أدخلها ولكن أرجوها برحمة مولاى الكريم هذا وما أشبهه يخوف العبد به نفسه وفى مثل هذا المعنى أنشدوا

يا ناظرا يرنو بعينى راقد * ومشاهدا للامر غير مشاهد
تصل الذنوب الى الذنوب وترتجى * درك الجنان بها وفوز العابد
ونسيت ان الله أخرج آدما * منها الى الدنيا بذنب واحد

وأما التأنيس بأن يقول هل كانت توبة آدم عليه السلام الا عطية من ربه وهو ربى كما هو ربه وأرجو أن يغفر لى كما غفر له ويكثر من قول تلك الكلمات المتقدمة فما وصلت لنا الا لنقولها وما نقولها ان شاء الله الا وقد أراد أن يرحمنا برحمته ولا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون ولله شيخى أبو محمد عبد الحق اذ يقول

فلا تيأس له فلعل رحمى * ستدركه من الملك الرحيم
فتلحقه كما لحقت أباه * وقد قذفت به رجلا هموم

وستأتى القطعة بكمالها فى باب الواو ان شاء الله تعالى وقد خرج مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تحاج آدم وموسى فحج آدم موسى

فقال له موسى أنت آدم الذى أغويت الناس وأخرجتهم من الجنة فقال آدم أنت الذى أعطاه الله علم كل شئ واصطفاه على الناس برسالته قال نعم قال أفتلومنى على أمر قدر على قبل أن أخلق ومع هذا كله فان آدم عليه السلام لا يزال من ذنبه ذلك مشفقا ألا تراه يقول حين يسأل يوم القيامة أن يشفع للخلائق فيذكر خطيئته تلك فيقول نفسى نفسى وهو من هو فكيف بأمثالنا تاب الله علينا من الرذائل ونقلنا منها الى الفضائل انه غفور رحيم * وتقدم الغلول وهو الذى قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الغلول عار ونار وشنار على أهله يوم القيامة وترك الصلاة على رجل من أجل خرزات ما يساوين درهمين وجدت فى رحله وقال فيه صلوا على صاحبكم ومن أشد ما جاء فيه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا وجدتم الرجل غل فاحرقوا متاعه واضربوه وان كان الحديث قد ضعف من أجل راويه ففيه تخويف وقد جاء ان أبا بكر وعمر رضى الله عنهما حرقوا متاع الغال وضربوه وفى هذا الحديث أيضا اللين والسلامة فى الترك أكثر منها فى الاخذ فى أغلب الامور ولى من قطعة مطولة

وقد يلام الفتى فى الشئ يأخذه * وليس يلحقه لوم اذا تركه

وخرج أبو داود فى المراسيل ان النبى صلى الله عليه وسلم أتى بنطع من الغنيمة فقالوا يا رسول الله هذا لك تستظل به من الشمس قال أتحبون أن يستظل نبيكم بظل من نار وفى القرآن العزيز وما كان لنبى أن يغل الآية قال ابن عباس وغيره كانت فى الغنائم قطيفة حمراء ففقدت فقال بعض الناس لعل النبى أخذها فنزل وما كان لنبى أن يغل ومن يغلل الآية ومن قرأ يغل بضم الياء فمعناه يوجد غالا أو ينسب الى الغلول ويجوز أن يكون من اغللته اذا أخذت شيئا من المغنم بغير اذنه وخرج أبو داود عن ابن مسعود رضى الله عنه قال بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ساعيا ثم قال انطلق أبا مسعود لا ألفينك يوم القيامة تجئ على ظهرك بعير من ابل الصدقة له رغاء قد أغللته قال اذا لا أنطلق قال اذا لا أكرهك وفى الحديث لا اغلال ولا اسلال فالاغلال هذا والاسلال السرقة الخفية وقال الحسن معناه يخان وفيه التعظيم لخيانته وأن يعامل النبى صلى الله عليه وسلم بهذه المعاملة وان كانت الخيانة لا تجوز ولا تحل أن يخان نبى ولا غيره لكنها فى حق النبى أعظم لانتهاك حرمة النبوة ثم قال تعالى ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة يعنى يأتى به يحمله على رقبته وقد فسره عليه الصلاة والسلام بقوله لا ألفين أحدكم يجئ يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء يقول يا رسول الله أغثنى

فأقول لا أملك لك شيئا قد أبلغتك وقال مثل ذلك فى الفرس والشاة وفى النفس لها صياح وفى الرقاع تخفق وفى الصامت كل ذلك يقول فيه على رقبته ويقول لا أملك لك شيئا قد أبلغتك خرجه مسلم وغيره وقد فسره قوله تعالى أفمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله قال الحسن والضحاك أفمن لم يغل كمن غل وقيل هو عام فى الطاعات والمعاصى وقيل أفمن اتبع رضوان الله بالجهاد فى سبيله كمن باء بسخط من الله بالفرار منه رغبة عنه وتقدم النعى وان رسول الله صلى الله عليه وسلم نعى النجاشى للناس فى اليوم الذى مات فيه مات رحمه الله مسلما وكان كهفا للمسلمين فى حياته هاجروا اليه بأرضه فأكرمهم وأحسن جوارهم وقد تقدم فى باب الصاد كيف أصدق عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لأم حبيبة أربعمائة دينار ولما قدم أصحاب النجاشى على رسول الله صلى الله عليه وسلم كان هو يخدمهم بنفسه جزاء لفعل النجاشى بالمسلمين ومكافأة له وخرج الترمذى قال حدثنا محمد بن حميد الرازى حدثنا حكام بن مسلم وهارون بن المغيرة بن عنبسة عن أبى حمزة عن ابراهيم ابن علقمة عن عبد الله عن النبى صلى الله عليه وسلم قال اياكم والنعى فان النعى من عمل الجاهلية قال عبد الله والنعى اذان بالميت وفى الباب عن حذيفة حدثنا سعد ابن عبد الرحمن المخزومى حدثنا عبد الله بن الوليد العدنى عن سفيان الثورى عن أبى حمزة عن ابراهيم بن علقمة عن عبد الله نحوه ولم يرفعه ولم يذكر فيه والنعى أذان بالميت قال أبو عيسى وهذا أصح من حديث عنبسة عن أبى حمزة وأبو حمزة هو ميمون الأعور وليس بالقوى عند أهل الحديث قال أبو عيسى حديث عبد الله حديث غريب وقد كره بعض أهل العلم النعى والنعى عندهم أن ينادى فى الناس بأن فلانا مات ليشهدوا جنازته وقال بعض أهل العلم لا بأس أن يعلم أهل قرابته وأخواله وروى عن ابراهيم انه قال لا بأس أن يعلم الرجل قرابته قال أبو عيسى حدثنا أحمد ابن منيع حدثنا عبد القدوس بن بكير بن خنيس حدثنا حبيب بن سليم العبسى عن بلال بن يحيى العبسى عن حذيفة بن اليمان قال اذا مت فلا تؤذنوا بى أحدا انى أخاف أن يكون نعيا فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهى عن النعى قال هذا حديث حسن وتقدم العين وفى الحديث العين حق ولو كان شئ سابق القدر لسبقته العين وأمر النبى صلى الله عليه وسلم العائن أن يغتسل لمن عانه فقال واذا استغسلتم فاغسلوا وذكر مالك فى الموطأ حديث عامر بن ربيعة حين نظر الى سهل بن حنيف

يغتسل فقال ما رأيت كاليوم ولا جلد مخبأة فتلبط سهل مكانه فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له وقال فى آخره فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عامرا فتغيظ عليه فقال علام يقتل أحدكم أخاه الا بركت عليه اغتسل له فغسل عامر وجهه ومرفقيه وركبتيه وأطراف رجليه وداخلة ازاره فى قدح ثم صب عليه فراح سهل مع الناس ليس به بأس وقد وصف أبو عبيد رحمه الله صفة الاغتسال من العين وكيف العمل به فانظره فى كتابه وتقدم العين الجارحة وقد أكثر الشعراء فى وصفها فكل وصفها بالفتور والمرض وقد فهم المقصود والغرض قال جرير

ان العيون التى فى طرفها مرض * قتلننا ثم لا يحيين قتلانا
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك له * وهن أضعف خلق الله أركانا

ورأيت مكتوبا لشيخنا الفقيه أبى محمد عبد الوهاب رضى الله عنه يرد فى مكتوبه على شاعر قال فى محبوبه

تعلم نجارا فقلت لعله * تعلمها من نجر مقلته القلبا

هذا الشاعر أحرى أن يقال له نجر وأين رأيت من وصف مقلة بنجر لقد سلبها جمال الفتور والملاحة حتى نسبها الى أعمال أهل الفلاحة وان الذين لهم فى التشبب أجزل الحظ لن يصفوا المقل الضعيفات لذى اللحظ مثل هذا الخشن الجافى من اللفظ ووصف المقلة بغير النجر أحسن وأدخل فى الكلام المستحسن ثم ذكر تمام الرسالة ذات الفصاحة والجزالة وأنشدنى بعض الاصحاب لابى الفضل جعفر بن محمد بن شرف رحمه الله من قصيدة أولها

قامت تجر فضول العصب والحبر * ضعيفة الخصر والميثاق والنظر

وفى هذه القصيدة فى وصف السيف

ان قلت نارا أتبدو النار ملهبة * أو قلت ماء أيرمى الماء بالشرر

واذ وقع ذكر العين وهذا بابها فاسمع حكاية شريفة تيسرت اسبابها كان قتادة بن النعمان بن زيد وهو أخو أبى سعيد الخدرى لامه رضى الله عنهما قد قاتل يوم أحد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأصيبت عينه حتى وقعت على وجنته فأتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان لى امرأة أحبها وأخشى ان رأتنى تقذرنى فاخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده وردها الى موضعها وقال اللهم اكسه جمالا فكانت أحسن عينيه وأحدهما نظرا وكانت لا ترمد اذا رمدت

الاخرى

الاخرى وقد روى ان عينيه معا سقطتا فردهما النبى صلى الله عليه وسلم وبصق فيهما فعادتا تبرقان وفد رجل من ذريته على عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه فسأله من أنت فقال

أنا ابن الذى سالت على الخد عينه * فردت بكف المصطفى أيما رد
فعادت كما كانت لاول أمرها * فيا حسن ما عين ويا حسن ما رد

فقال عمر بن عبد العزيز * تلك المكارم لا قعبان من لبن * البيت أنشدت هذين البيتين الفقيه أبا محمد عبد الوهاب رضى الله عنه وكان مولعا بتبديل القافية فقال

فزينت بكف المصطفى ايما زين * وقال * فيا حسن ما خد ويا حسن ما عين

وقد تقدم فى باب النون عينان عينان لا عينان ناظرة البيتين وسمعت لفظة فيدا عجبتنى عن شاعر وصف الدمع وانه اذا نزع من لفظ الدمع العين صار دما فقلت فى ذلك المعنى وهو لزومى * يارب حل بينى * وبين ذا البين * أجرى من العين * دمعا بلا عين * فاسمى بلا مين * على بلا مين *
أراد عليل ومعنى بلا مين بلا شك وهذا الكلام فيه اغتصان واستغفر الرحمن من طغيان اللسان واكفر هذه الخرافات بذكر ما أودع الله فى العين من الآيات * ذكر بعض العلماء ان الله عز وجل بلطيف صنعه ركب العين على عشر طبقات مختلفة بعضها رطوبات وبعضها أغشية كانها نسج العنكبوت وبعضها كالمشيمة وبعض تلك الرطوبات كانها بياض البيض وبعضها كانها الجمر أو الجمد الشديد منى ولكل واحدة من الطباق العشرة صفة وصورة وشكل وهيئة وتدوير وتركيب لو اختلفت طبقة واحدة أو صفة لاختل البصر وعجز عنه الاطباء والكحالون وهكذا سائر الحواس على اشكال وصور ثم ان الله تعالى خلق تحت كل جفن عضلات ولها أوتار ورباطات متصلة باعصاب الدماغ بها يتم انخفاض الجفن الاعلى وارتفاع الجفن الاسفل وعلى كل جفن شعر رسود ونعمة الله فى اسودادها انه يجمع ضوء العين اذ البياض يفرق الضوء والسواد يجمعه ثم فى كل شعرة منها نعمتان أن لين أصلها وطمس رأسها ثم هذا كله جسد العين وبقى روحه الذى هو النور الذى فى الحدقة الذى يبصر به المبصرات فاذا فتح الرجل العين على محرم فقد كفر بفتح العين نعمة الله فى الاجفان ولا تقوم الاجفان الا بعين ولا العين الا براس ولا الرأس الا بجمع البدن

ولا البدن الا بالغذاء ولا الغذاء الا بالماء والارض والهواء والمطر والغيم والشمس والقمر ولا يقوم شئ من ذلك الا بالسموات والارض ولا تقوم السموات والارض الا بالملائكة فالكل كالشئ الواحد مرتبط البعض منه بالبعض ارتباط أعضاء البدن بعضها ببعض فاذا كفر أحد نعمة الله فى الوجود من منتهى الثريا الى منتهى الثرى لم يبق ملك ولا فلك ولا حيوان ولا جماد ولا نبات الا ويلعنه كان العالم بالله وبنعمه المطيع لله العامل بما أمر به يستغفر له كل شئ حتى الحوت فى الماء نعم ولا يتم نظر العين الا بالنور ولا يرى بذلك النور الا بنور آخر امامن شمس أو قمر أو نجم أو ضياء سراج أو مصباح * تقدم ذكر شعر الجفن وذكر ابن قتيبة ان شعر العين يعنى الهدب هو من الانسان فى الجفنين جميعا وليس ذلك لغيره والبهائم كلها والسباع انما لها شفر واحد فى الجفن الاعلى ثم ذكر فر وقافى الحيوانات فقال ركب ابن آدم فى رجليه وركب البهائم فى أيديها وكل طائر كفه فى رجليه قال وكل ذى جلد ينسلخ دون لحمه الا الانسان فلا ينسلخ الا واللحم يتبعه وقال ان البهائم كلها تسبح بغير تعلم الا ابن آدم قال ومن قطعت يده لم يحسن العدو وكذلك الطائر اذا قطعت رجلاه لم يحسن الطيران وكل هارب من حرب أو غيرها فانما يأخذ على يساره وقالوا كل حيوان يحرك فكه الاسفل دون الاعلى اذا أكل غير التمساح فانه يحرك فكه الاعلى ومن غرائبه انه لا مخرج له فاذا احتاج الى القاء ما فى جوفه خرج الى البر فتح فاه وقد سخر له طيرتا كل ما فى بطنه لان فاه فى نهاية من الكبر وقد خلق الله سبحانه لتلك الطيور رفى رؤسها شبه السفود أو الابرة قائما صلبا لئلا يطبق عليها التمساح فاه فهى تأكل مستأنسة ولا تخاف عدواه فسبحان الله أحسن الخالقين وانظر الى الطيور التى تسبح على الماء كيف خلق الله فى ارجلها بين أصابعها جلدة رقيقة تستعين بها على العوم ودفع الماء بأرجلها واذا مشت على الارض لا تضرها وانظر الى الطائر المعروف بالبلورج كيف خلق له آلة العيش من دواب الماء طويل المنقار والساقين وليس فيهما جلدة لانها لا تحتاج الى السباحة فى الماء

وفى كل شئ له آية * تدل على انه واحد

وقالوا ليس شئ من الحيوانات لذكوره ثدى فى صدره الا الانسان والفيل وليس فحل لذكره حجم ظاهر الا الانسان والكلب وقالوا ليس تجتمع الغيرة والزواج

فى الحيوان الا فى الانسان والقرد وقال عمرو بن ميمون زنت قردة فى الجاهلية فرجمها القرود ورجمتها معهم وقالوا ليس شئ تظهر اذناه لا يلد ولا تغيب أذناه الا يبيض ويروى ذلك عن على بن أبى طالب رضى الله عنه وقالوا كل الحيوان ينكح أنثاه بطنا لظهر الا ابن آدم فانه ينكح بطنا لبطن وكذلك القنفذ وقال ابن قتيبة عن النبى صلى الله عليه وسلم الديك الابيض صديقى وصديق صديقى وعدو عدو الله يحرس دار صاحبه وسبعة دور وكان عليه الصلاة والسلام يبيته معه فى البيت وقال الشيخ أبو عبد الله محمد بن قاسم بن عبد الرحمن بن عبد الكريم التميمى الفارسى مازلت بالاشواق الى حديث حدثنيه الطراز وقال الطراز مازلت بالاشواق الى حديث حدثنيه العثمانى رحمه الله والعثمانى هذا أحد أشياخى قرأت عليه بالاسكندرية رحمه الله أجزاء كثيرة والحمد لله وقال العثمانى مازلت بالاشواق الى حديث كتب به الى أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز يعرف بكالك الحنفى من مكة حرسها الله وسمعته من لفظ الشيخ أبى اسحاق ابراهيم بن المنفق بن ابراهيم السبتى أخبرنى به عنه قال مازلت بالاشواق الى حديث حدثنيه الشيخ الاديب أبو الرضا محمد بن يحيى الشعبى ببغداد رحمه الله قال مازلت بالاشواق الى حديث حدثنى به محمد بن الحسن بن ابراهيم الخفاف قال مازلت بالاشواق الى حديث حدثنا به عبد الله بن ابراهيم الدقاق قال مازلت بالاشواق الى حديث حدثنا به أبو عبد الله محمد بن ادريس بن عبد الله بن اسحاق ابن أخى عيسى الدلال المصرى بمصر فى درب الرقاصى قال مازلت بالاشواق الى حديث حدثنا به أبو طاهر خير بن عرفة بن عبد الله الانصارى قال مازلت بالاشواق الى حديث حدثنا به عبد المنعم بن بشير قال مازلت بالاشواق الى حديث حدثنا به ابن وهب قال مازلت بالاشواق الى حديث حدثنا به عبد الله بن سعيد قال مازلت بالاشواق الى حديث حدثنى به أبى قال مازلت بالاشواق الى حديث حدثنى به أبو الدرداء رضى الله عنه قال مازلت بالاشواق الى حديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول مازلت بالاشواق الى الديك الابيض منذ رأيت ديكا لله تحت العرش ليلة أسرى بى ديكا أبيض زغبه أخضر كالزبرجد وعرفه ياقوتة حمراء شرفها من جواهر وعينيه من ياقوتتين حمراوين ورجليه من ذهب أحمر فى تخوم الارض السفلى مطو يا من تحت الارض وتحت السموات وتحت

العرش وعنقه مثنى كالابريق الثانى أحسن شئ رأيته ومنقاره من ذهب يتلألأ
نورا فاذا كان فى ثلث الليل الاول نشر جناحيه وخفق بهما وقال سبحان ذى الملك
والملكوت يقول ذلك ثلاث مرات من أول الليل فاذا خفق خفقت الديوك فى الارض
وصرخت لصراخه فاذا كان فى ثلث الليل الاوسط فعل مثل ذلك وقال سبحان من
لا يسأم ولا ينام يقول ذلك ثلاثا فتجيبه الديوك فى الارض فاذا كان فى الثلث الاخير
فعل ذلك وقال سبحان من هو دائم قيوم سبحان من نامت العيون وعين سيدى لا تنام
سبحان الدائم القيوم سبحان من فلق الاصباح باذنه ويرى الليل الى خزائنه
لا اله الا هو سبحانه قال فاتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ديكا أبيض وقال
الديك الابيض صديقى وصديق صديقى وعدو عدو الله يحرس دار صاحبه وعشرا
عن يمينها وعشرا عن يسارها وعشرا من بين يديها وعشرا من خلفها وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يبيته معه فى البيت وروى عن يوسف بن مهران قال بلغنى ان
تحت العرش ملكا فى صورة ديك براثنه من لؤلؤ وصيصته من زبرجد أخضر فاذا
مضى ثلث الليل الاول ضرب بجناحيه وقال ألا ليقم القائمون فاذا مضى نصف
الليل ضرب بجناحيه وزقا وقال ألا ليقم المتهجدون فاذا مضى ثلثا الليل ضرب
بجناحيه وزقا وقال ألا ليقم المصلون فاذا طلع الفجر ضرب بجناحيه وزقا وقال الا ليقم
الغافلون وعليهم أوزارهم * وتقدم التصامم ومثله ما يحكى عن حاتم الاصم رضى الله
عنه انه لم يكن أصم ولكنه جاءته امرأة يوما تسأله فى مسئلة فخرج منها صوت
فاستحيت وانقبضت فقال ارفعى صوتك وجعل يستعيدها المسألة ويقول ارفعى
صوتك ففرج عن المرأة وزال روعها وقالت هو أصم فلقب الاصم واذ وقع ذكر حاتم
فازيدك من فضائله ذكر أبو حامد رحمه الله انه كان أعجميا ألكن يكنى أبا عبد
الرحمن ولكنه كان مهيبا وذكر عن أبى عبد الله الخواص وكان من أصحاب حاتم قال
دخلت الرى ومعنا ثلثمائة رجل وعشرون رجلا نريد الحج وليس مع أحد منهم
جراب ولا طعام قال فأضافنا رجل من التجار ليلة فلما أصبح قال لحاتم أريد ان أعود
فقيها الناس مريضا فقال حاتم عيادة مريض فيها فضل والنظر الى الفقيه عبادة
فدخل معه عليه وكان المريض محمد بن مقاتل قاضى الرى فلما انتهى الى الباب فاذا
هو بشرف حسنا فبقى حاتم متفكرا يقول يارب دار عالم على هذه الحالة ثم أذن لهم
فدخلوا فاذا بدار عالية واسعة وبزة ومتعة وستور ثم دخلوا الى المجلس الذى هو

فيه فاذا هو بفرش وطيئة وهو راقد عليها وعند رأسه غلام وبيده مذبة فقعد
الرازى وبقى حاتم قائما فقال له ابن مقاتل اجلس فقال لا أجلس قال لعل لك
حاجة قال نعم قال ما هى قال مسئلة أسألك عنها قال سلنى قال قم فاستو جالسا حتى
أسألك فاستوى قال حاتم علمك هذا من أين أخذته قال من الثقات حدثونى به قال
عمن قال عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عمن قال عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ورسول الله صلى الله عليه وسلم عمن قال عن جبريل عليه
السلام عن الله سبحانه قال ففيم اداه جبريل عن الله سبحانه الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم واداه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أصحابه واداه أصحابه الى الثقات
واداه الثقات اليك هل سمعت فى هذا العلم الذى ذكرت ان من كان فى داره أثاثا
وامتعة أكثر كان له عند الله عز وجل المنزلة أكثر قال لا قال فكيف سمعت قال سمعت
من زهد فى الدنيا ورغب فى الآخرة وأحب المساكين وقدم لآخرته كان له عند الله
عز وجل المنزلة قال له حاتم فأنت بمن اقتديت أبالنبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه
الصالحين رضى الله عنهم أم بفرعون ونمرود أول من بنى بالجص والآجر
يا علماء السوء مثلكم يراه الجاهل المكب على الدنيا الراغب فيها فيقول العالم على
هذه الحالة لا أكون أنا شرا منه وخرج من عنده فازداد ابن مقاتل مرضا وبلغ
أهل الرى ما جرى بينه وبين ابن مقاتل فقالوا له ان الطنافسى بقزوين أكثر بناء
منه فسار اليه متعمدا فدخل عليه فقال رحمك الله أنا رجل أعجمى أحب ان تعلمنى
مبدأ دينى ومفتاح صلاتى كيف أتوضأ للصلاة قال نعم وكرامة يا غلام هات اناء
فأتى به فتوضأ ثلاثا ثلاثا ثم قال هكذا فتوضأ فقال حاتم مكانك حتى أتوضأ بين يديك
فتوضأ حاتم وغسل الذراعين أربعا فقال له الطنافسى يا هذا أسرفت فقال له حاتم
فيماذا قال غسلت ذراعيك أربعا قال سبحان الله أنا فى كف من ماء أسرفت وأنت
فى هذا الجمع كله لم تسرف فعلم الطنافسى انه قصد ذلك دون التعلم ودخل البيت فلم
يخرج الى الناس أربعين يوما فلما انتهى حاتم الى مدينة رسول الله صلى الله عليه
وسلم سأل عنها أهل البلد فقالوا مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم قال فأين قصور
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقصور أصحابه رضى الله عنهم قالوا ما كانت لهم قصور
انما كانت لهم بيوت لاطئة بالارض قال حاتم فهذه مدينة فرعون فحمل الى
السلطان وذكروا له قوله فقال الوالى ولم ذلك فقال لا تعجل على أنا رجل أعجمى

غريب قلت أين قصر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقص القصة وأنتم عن تأسيتم أبرسول الله صلى الله عليه وسلم أم بفرعون فعرفوا عيبهم وتركوه رضي الله تعالى عنه ومثل التعامي المحمود ما يروى ان الربيع بن خيثم كان يختلف الى منزل ابن مسعود عشرين سنة لا تحسب جارية لابن مسعود الا انه أعمى لشدة غض بصره وطول اطراقه الى الارض بنظره وكان اذا دق عليه الباب تخرج اليه الجارية فاذا رأته قالت لعبد الله صديقك ذلك الاعمى قد جاء فكان ابن مسعود يضحك ويقول ويحك ذلك الربيع وكان ابن مسعود رضي الله عنه اذا نظر اليه يقول و بشر المخبتين الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم أما والله لو رآك محمد صلى الله عليه وسلم لفرح بك ومشى معه ذات يوم في الحدادين فلما نظر الى الاكوار تنفخ والى النيران تلتهب صعق وخر مغشيا عليه فقعد ابن مسعود عند رأسه الى وقت الصلاة فلم يفق فحمله على ظهره الى منزله فلم يزل مغشيا عليه الى الساعة التي صعق فيها حتى فاتته خمس صلوات وابن مسعود عند رأسه يقول هذا والله هو الخوف وكان الربيع يقول ما دخلت في صلاة قط فأهمني الا ما أقول وما يقال لي وقد جاء عن ابن عوف قال رأيت مسلم بن يسار يصلي كأنه وتد أي وتد وقد تقدم وكان القيسي ابن عقبة اذا قام الى الصلاة كأنه جذع حائط واذا سجد وقعت العصافير على ظهره لطول سجوده لله تعالى وكان عبد الله بن الحارث اذا سجد تواجب الفتيان فيضعون الشئ على ظهره فيذهب الرجل منهم الى الكلأ ويجيء وهو ساجد خرج هذا الحديث ثابت رحمه الله تعالى وقال معنى تواجب أوجب بعضهم على بعض كهيئة السباق وروى مسلم بن يسار عن زاذان انه كان اذا صلى كأنه جذع قد حفر له

مثل هذا الحديث يصلح يروى * وبه ينبغي لك ان تعتني
أين هذا من الذي قبل لكن * ذاك ايضا له هنالك معنى
خرجت من شئ الى غيره * والعلم من ذا كله أوسع
يطلب بعض بعضه وهو مع * ذا كله قارئه ينفع

﴿باب الالف مع الفاء والقاف﴾

واف واف واف وآفا * وفاء وقاء وفل وقل

هذا بيت لم يقم على أسه الا بعكسه فله حف وبه خف ولا تقل له أف فان له عليك معارف وعلى النفوس يخف تقول أف يئف أفا وقالوا يؤف اذا تأفف من كرب

أو ضجر ورجل افاف كثيرا لتأفف وتقول أففت الرجل قلت له أف يقال أف له وافا واف وأفه وأف بتسكين الفاء وأفى بياء ساكنة قال ابن السيد رحمه الله فيها ثمان لغات أف بضم الفاء وأف بفتحها وأف بكسرها ثم تدخل التنوين فتصير ستا والسابعة أفى مثل حبلى ممالة والثامنة أف ساكنة الفاء ويقال أف وتف لأف وسخ الاذن والتف وسخ الاظفار قال الشاعر

أفا وتفا لمن مودته * ان زلت عنه سويعة زالت
ان مالت الريح هكذا وكذا * مال مع الريح حيثما مالت

ويقال أتانا على أف ذلك وأففه وافافه أي ابانه وحينه وأوانه وجاء على تئفة ذلك مثل تعفة وهو تفعلة وفي القرآن العزيز ولا تقل لهما أف ولا تنهرهما قرئ في السبع أف بكسر الفاء والتنوين وأف بالكسر من غير تنوين وأف بالفتح غير منون أيضا وقرأ أبو السمال أف بالضم من غير تنوين وقد جاء في الكلام أف كما تقدم وهي كلمة تستعمل في الضجر خرجت مخرج الكلمة المحكية قال الاستاذ رحمه الله في أف وجهان أحدهما ان تكون من باب الاصوات مبنية كأنها تحكي صوت النفخ والثاني ان تكون معربة مثل تف يراد بها الوسخ ومعكوس أف فا والفاء من حروف التهجي ومخرجها من باطن الشفة السفلى واطراف الثنايا العليا وهي من الحروف المهموسة ومن المزلقة ولا عمل للسان فيها وانما عملها في التقاء الشفتين وكذلك الثاء والميم وتبدل بالثاء في مثل فوم وحرف وغير ذلك مما تقدم ذكره في باب الثاء والحمد لله ولها مواضع في النحو تكون زائدة في مثل قولك اخوك فرجل صالح وزيدا فاضرب وبجمل فامرر وقال الله تعالى وثيابك فطهر والرجز فاهجر حكى هذا ابن جني رحمه الله وللفاء عمل في العطف وتنصب في الاجوبة التي اختصت بها على ما ذكره النحويون مما يطول على ذكره وقد أحلت على الجمل وارحت الحمل لكن أزيدك فائدة يأتي من شكلها فاء فعل ماض من قوله تعالى فان فاؤا فان الله غفور رحيم وحتى تفيء الى أمر الله وبتفيأ ظلاله ومنه قول عمر رضي الله عنه اذا كان الفيء ذراعا ولا يكون الا بعد الزوال بخلاف الظل الذي يكون غدوة وعشية من أول النهار الى آخره وقد تقدم * ومن مضاعفه فأفا الرجل فهو فأفاء اذا كانت الفاء تغلب على لسانه وفي المحدثين بشر بن فأفاء خرج حديثه الدارقطني ويقال امرأة فأفاءة وتقول فيأت فاه اذا كتبتها والفيف المفازة لا ماء فيها والجمع

أفياف والفيفاء فعلاء منه وفلان سريع الفيئة مثل الفيعة والهاء فى فيئة عوض من اللام التى نقصت من وسطه * مقلوب هذا الحرف حرف بين ألفين أفاه والذى كان مرفوعا على اختلاف انواعه نصبته ان دخلت ألف الاستفهام على فاء قلت أفاء فلان وكذلك أفاء هذه أم قاف ومقلوبه أيضا ألف بين حرفين فاف يقال مافاف بخير وهوان يقول بظهر ابهامه على ظفر سبابته والفوف البياض فى اظفار الصبيان وبرد أفوف ومفوف وهو ضرب من عصب اليمن كذا ذكره صاحب العين فرغنا من الفا والحمد لله ألفا وقد أتينا بشرطنا مستوفى وقد بقى من شكل البيت وفا تقول وفا فلان بشرطه وأوفى مثله ووفى الشئ تم وكثر والوفى الوافى وأوفى على الشئ أشرف عليه وأوفاه حقه ووفاه أعطاه وافيا واستوفى نصيبه وتوفاه الله أى قبض روحه والوفاة الموت ووافى فلان أتى وتوافى القوم تتاموا وأوفى اسم رجل فرغ ذكر افاء لكن دون استيفاء

خرجت من حرف الى حرف * من أفصحتى صرت للالف
وها أنا أمشى كذا دائبا * حتى لآتى آخر الصف
والكل محتاج لشرح وقد * جئت به طوعا بلا عنف
والحمد لله على ذلكم * أهل الثناء للطف والعطف

وأما وقى المذكور فى البيت فان جعلت الواو أصلية فهو فعل معتل الاول والآخر مثل وعى ووشى وقد تقدم القول فيه تقول من هذا وقاك الله كذا بمعنى حفظك ودفع عنك وصرف قال الله تعالى فوقاه الله سيآت مامكروا فوقاهم الله شر ذلك اليوم وقال الشاعر * وقاهم جدهم ببنى أبيهم * وهذا كثير وتقول توق كذا بمعنى اتق وجاء منه فى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم توقه وتيقه وفى رواية قال لابى بكر رضى الله عنه توق وتيق قال وهذا على وجه الدعاء وتقديره وقاك الله وابقاك وأخرجه مخرج الامر كما قال الآخر عش حميدا والبس جديدا ومت شهيدا وكما قال بعض الشعراء * ياأمين الله عش أبدا * ويحتمل ان يكون توق المحارم انتصل الى بقاء الابد والهاء عماد كقوله تعالى فبهداهم اقتده واشباهه والوقاية والوقاية والوقاء ماوقيت به شيئا والتقاة والتقية الخوف قال الله تعالى الا ان تتقوا منهم تقاة وكذلك التقوى والتقى بمعنى وأصل التقوى الوقوى أبدلت التاء من الواو كما قالوا فى الوكلان التكلان وقول الرجل اتق الله معناه خف

الله تعالى يقال اتقى يتقى فأصله اوتقى على افتعل قلبت الواو ياء لانكسار ماقبلها وابدلت منها التاء وادغمت فلما كثر استعماله على لفظ الافتعال توهموا ان التاء من نفس الحرف فجعلوه تقى يتقى بفتح التاء مخففة ثم لم يجدوا له مثالا فى كلامهم يلحقونه به فقالوا اتقى يتقى مثل قضى يقضى قال الشاعر * ولا أتقى الغيور اذا رآنى * ومن رواه اتقى بقصر يلك التاء فعلى الاصل الاول فتقول على هذا اتق الله يارجل وللمرأة اتقى قال خراش بن زهير

تقوه أيها الفتيان انى * رأيت الله قد غلب الجدودا

ذكره هذا الجوهرى فى الصحاح ومن مقلوب وقى واق اسم فاعل منه وفى القرآن العزيز مالهم من الله من ولى ولا واق وفى الحديث قال رجل للنبى صلى الله عليه وسلم يارسول الله مم أصرف يمينى قال مما كنت منه صارفا ولدك غير واق ماله من مالك ولا متأثل من ماله مالا وان جعلت الواو زائدة للعطف بقى قاء فعل من القئ تقول قاء يقئ قيئا وتقيأ واستقاء وقد جاء منه فى الحديث كثير قال عليه الصلاة والسلام ان مثل العائد فى صدقته كمثل الكلب يعود فى قيئه وقد يقال تقيأت المرأة لزوجها تعرضت له وألقت نفسها عليه معكوس قاء آق يقال آق علينا فلان اذا أشرف والأيق الوظيف والاوق الثقل تقول ألقى علينا أوقه وفى الكلام الجمل بأوقه أى بثقله والاوقة هبطة يجتمع الماء فيها والجمع الاوق وقال الخطابى الآواق بالمد جمع أوق وسيأتى والاوقية معلومة مقلوب الكلمة حرف بين ألفين اقا لا أعلم فيه الاقاء اذا ادخلت عليه ألف الاستفهام وقالوا الاقاة شجرة مقلوبها أيضا الف بين حرفين قاق لا أعلم فيه شيئا الا حكاية صوت الدجاج اذا كرر الاان أبا منصور الثعالبى قال العشنق والعشنط المذموم الطول قال غيره ومثله القاق والقوق وقال صاحب العين العشنق الطويل العنق وفى حديث أم زرع زوجى العشنق ان انطق أطلق وان أسكت أعلق بقى الكلام على القاف وهو من الحروف المجهورة ومخرجها من مخرج الكاف والجيم والشين وقد تقدم اشتراكهما فى البدل فى قول الشاعر * ولا أكول لكدر الكوم كد غلبت * البيت وقد تقدم انه لا يجتمع القاف والكاف فى كلمة واحدة الا بحواجز وكذلك مع الجيم فلا يقال جق ولاقج الا انها قد دخلت على الشين لتغشى الشين فقالوا قش والقش مصدر قششت الشئ أقشه قشا واقتشاشا اذا

استوعبته والاسم القشش والقشاش ويقال قششت الشئ بيدى قشا اذا حككته حتى يتحات وألحقوا هذه الكلمة ببناء جعفر فقالوا قشقش وقالوا تقشقشت القرحة اذا جفت وبرأت وكانت قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد يسميان فى صدر الاسلام المقشقشتين لانهما ابرأتا من النفاق قال الشاعر

أعيذك بالمقشقشتين مما * تحاذره ومن شر العيون

والقشة الصبية الصغيرة والقشة أيضا القردة ويقال دويبة مثل الجعل وقال ابن دريد القشة ولد القرد الانثى لغة يمانية والذكر رباح والقش ردىء النخل نحو الدقل وشبهه والقشدة بالدال الزبدة * وجاء من لفظ قاف فى القرآن العظيم ق والقرآن المجيد جاء على هذا الشكل حرفا واحدا ولفظه يبنى على ثلاثة أحرف يستدل على ذلك باختلاف القراء فيه قراءة عيسى الثقفى قاف والقرآن المجيد بفتح الفاء وقراءة الحسن وابن أبى اسحاق قاف بكسرها وذلك لالتقاء الساكنين حركه احدهما بالفتح والآخر بالكسر كما تقدم فى صاد والقرآن فيحتمل أن يكون الفتح فى قاف نصبا باضمار فعل والكسر قسما والله أعلم ومعنى قاف معنى سائر الحروف المقطعة فى أوائل السور وقيل ان جواب القسم الذى هو والقرآن المجيد فى معنى الكلمة التى منها القاف تقديره قضى الامر والقرآن المجيد على مذهب العرب فى نطقهم بالحرف من الكلمة فيفهم منها معناها كما قال * قلت لها قفى فقالت قاف * وقد تقدم وقيل ان قاف والقرآن المجيد قسم بقوة قلب محمد صلى الله عليه وسلم حيث حمل الخطاب والمشاهدة ولم يؤثر ذلك فيه لعلو حاله وقيل اسم للقرآن وقيل ان ق جبل محيط بالارض ويروى بالدنيا من زبرجد أخضر ويروى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال هو جبل أخضر من زمردة خضرة السماء منه يقال الزمرذ بالذال المنقوطة وضم حروفه والزبرجد بالدال غير المنقوطة وفتح الزاى والباء والجيم ويكون قاف اسم فاعل من قفا يقفو اذا تبع كما يقال غزا يغزو وفى القرآن العظيم وقفينا على آثارهم قال ابن عزيز معناه اتبعنا وأصله من القفا تقول قفوت الرجل اذا صرت متبعا له فى أثره ويكون أيضا قفا يقفو قفوا بمعنى قذف ومنه حديث القاسم بن محمد بن أبى بكر لا حد الا فى القفو البين فسره أبو عبيد قال القفو القذف يقال منه قفوت الرجل أقفوه ومنه حديث حسان بن عطية حدثنا محمد بن كثير عن الاوزاعى عن حسان قال من قفا مؤمنا بما ليس فيه وقفه

الله

الله عز وجل فى ردغة الخبال حتى يجىء بالمخرج منه ومنه الحديث المرفوع نحن بنو النضر لا نتفى من أبينا ولا نقفو أمنا ويروى عن امرأة من العرب انه قيل لها ان فلانا قد هجاك فقالت ماقفا ولا اصا تقول لم يقذفنى واصا مثل قفا يقال منه رجل لاص قال العجاج

انى امرؤ عن جارتى عيى * عف فلا لاص ولا ملصى

يقول لا قاذف ولا مقذوف قال البكرى قال أبو زيد مثل لهم رب سامع عذرى لم يسمع قفوى يقال قفوته أقفوه قفوة وقفوا اذا قذفته بشر يضرب مثلا لمن يعتذر من شئ لم يعلم منه فيكون اعتذاره من ذلك الشئ تسميعا بنفسه وتقول قاف أثره مثل اقتاف واقتفى فهو مقتف وقفيت أثره مثل قفوت وأخذت بقوف رقبته ويقاف رقبته أى رقبته قال الشاعر * نجوت بقوف نفسك غيرانى * اخال بأن سيتيم أو تئيم * والقائف أحد القافة وهم الذين يميزون الآثار وفى حديث عائشة رضى الله عنها قالت دخل قائف ورسول الله صلى الله عليه وسلم شاهد الحديث واذ قد اجتمعت الفاء مع القاف فى هجاء قاف فلنجعلهما معا فى ثقاف فأقول لك أيها الثقف اللقف تلقف وثقف نفسر لك ثقف وقف وقفا قف وقفقف وقلفة وقفان وقفة * الثقف اللقف الخفيف الحاذق ويقال منه أيضا لقف ثقف فعنى لقف حسن التلقف لما يسمعه وثقف اذا كان ذا فطنة وفهم وفى حديث الغار يبيت عندهما عبد الله بن أبى بكر رضى الله عنهما وهو غلام شاب لقف ثقف قاله الخطابى قال ويقال رجل ثقف وامرأة ثقاف كما قالت أم حكيم بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جاورت أم جميل بنت حرب انى لحصان فما أكلم وثقاف فما أعلم وكلتانا من بنى العم ثم قريش بعد ذلك أعلم * وأما القف بالضم فموضع معروف جاء مفسرا فى الحديث فى الانصارى الذى كان يصلى فى حائطه بالقف واد من أودية المدينة وقف البئر وفى الحديث توسط قفها يعنى النبى صلى الله عليه وسلم قال الخليل القف ما ارتفع من الارض وصلبت حجارته والجمع القفاف وفى الحديث أيضا أتى نفر من اليهود فدعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى القف فى بيت المدراس خرجه أبو داود وأما القف بالفتح فهو ما يبس من احرار البقول وذكورها قال الاصمعى قف العشب اذا اشتد يبسه وكذلك الشجر يقال رعت الابل فيما شاءت من جفيف وقفيف وقف أيضا فعل قالت عائشة رضى الله عنها حين سألها بعض الصحابة هل رأى محمد ربه

قالت لقد قف شعرى مما قلت تعنى قام و يقال قفقف الرجل يقفقف من البرد اذا ارتعد واقشعر يقال سمعت للرجل قفاقف من البرد اذا اغتسل فقفقف وكذلك زفازف وزفزف وقد تقدم مالك تزفزفين فى أول الكتاب و يقال أقفت الدجاجة اذا كفت عن البيض وفى كتاب العين تقفقف الظليم جناحاه وفى الكتاب القفان الجماعة وقفان كل شئ جماعه واستقصاؤه وقال القاضى أبو الفضل عياض ومن هذا سميت القفة لجمعها ما جعل فيها وضمه وقال صاحب الجمهرة القفة وعاء تجعل فيه المرأة غزلها وشبهه ومنه والله أعلم سمى القفاف الذى يسرق بكفه لانه يجمع ويضم قال الشاعر * قفف بكفه سبعين منها * انتهى كلامه والقفاف فى غير هذا الذى يعمل القفف جمع قفة والقفة الشجرة البالية ومنه يقال كبر فلان حتى صار كأنه قفة ورأيت فى بعض النسخ القف بفتح القاف الشجر اليابس واحدته قفة بالفتح أيضا هذا كله بتقديم القاف فان قدمت الفاء قلت قد جاء رجل فقفاقة أحمق ورجل فقفاق مخلط قال والانفقاق انفراج دبر الكلب والفقفقة حكاية تحرك ذلك وأما القلفة بالضم فهى الغرلة قال الشاعر * قلفة طفل تحت موسى خاتن * وقلفها الخاتن قلفا قطعها وتزعم العرب ان الغلام اذا ولد فى القمر انفسخت قلفته فصار كالمختون قال الشاعر

انى حلفت يمينا غير كاذبة * لأنت أقلف الا ماجنى القمر

وفى الحديث من الغرلة يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلا يعنى غير مختونين قال الله تعالى كما بدأنا أول خلق نعيده والقلفة بالفتح والتحريك من الأقلف كالقطعة من المقطوع * معكوس قاف فاق تقول فاق فلان قومه يفوقهم اذا علاهم شرفا أو علما أو غير ذلك وهو مشتق من فوق كما يقال سما يسمو اذا ارتفع مشتق من السماء والفوق فوق القوس والفواق داء يأخذ فى الفائق وهو عظم فى العنق وقد فئق الرجل واكاف مفأق مفرج والفواق والفواق بضم الفاء وفتحها ما بين الحلبتين وهو أن تحلب الناقة وتترك ساعة حتى ينزل شئ من اللبن ثم تحلب ثانية وفى القرآن العزيز مالها من فواق وقرئ باللغتين معا ومعناه مالها من تأخير وقال الكلبى مالها من نظرة مأخوذ من فواق الناقة مستعار والفيقة مثله وفى حديث أم زرع وتشبعه ذراع الجفرة وفى بعض الروايات وترويه فيقة اليعرة وهى العناق وقيل الجدى قال والفيقة الدرة التى تجتمع بين الحلبتين قال امرؤ القيس * وأضحى

يسبح الماء من كل فيقة * البيت بقية القافية الفل القوم المنهزمون الواحد فل والجمع فلال وفلول والفليل ناب البعير المنكسر والفليلة الشعر المجموع والفليل الليف أيضا ومن شكله فل فعل تقول منه فللت السيف فلا اذا ثلمت حده وكل شئ ثلمته فهو مفلول وكذلك اذا رددته وقد يستعار فى غير السيف وبالسيف فلول جمع فلة قال الشاعر * بهن فلول من قراع الكتائب * والفل بالكسر القفر وجمعه افلال قال الراجز

قطعت بالعيس على كلالها * مجهولها والقفر من افلالها

والفل أيضا الارض التى لم تمطر يقال أفللنا اذا وطئنا أرضا فلا قال الراجز * حرقها حمض بلاد فل * ومن شكله فل مخففا من فلان وليس بترخيم اذ لو كان مرخما لقالوا يافلا ور بما قيل فل فى غير النداء قال أبو النجم * فى لجة أمسك فلانا عن فل * وفلان كناية عن أسماء الآدميين والفلانة كناية عن غير الآدميين وتصغير فل فلى وفلان فليان وقد جاء منه فى الحديث يقول الله تعالى لعبده أى فل ألم أكرمك * ومن مضاعفه فلفل لهذا الحب المعلوم ومعكوس فل لف تقول لف الشئ يلفه لفا اذا خلطه وأوطأه ومنه قولهم لففت الكتيبة بالاخرى اذا خلطت بينهما فى الحرب قال الشاعر

ولكم لففت كتيبة بكتيبة * ولكم كمى قد تركت معفرا

ومنه اللفيف من الناس وهم المختلطون لتداخل بعضهم فى بعض وفى التنزيل جئنا بكم لفيفا واللفيف أيضا الصاحب يقال فلان لفيف فلان أى صديقه وجاء فى الحديث من هذا عن احدى النسوة المذكورات فى حديث أم زرع انا اكل لف معنى اللف فى الاكل الاكثار منه والتخليط من صنوفه و يروى رف وهو كالأول قاله الهروى ويروى اقتف وهو قريب من هذا كله كله يتبعه و يستقصيه ويقال لفأت الريح السحاب عن السماء كشفته ولفأت اللحم عن العظم والتفأته والقطعة منه لفئة بتخفيف الفاء واللفاء التراب او القماش على وجه الارض ومن أسماء التراب أيضا الاثلب والكثكث يقال لمن يدعى عليه بالخيبة بفيه الكثكث والأثلب وبفيه الحجر واللفاء الشئ القليل ومن مضاعفه رجل لفلاف للثقيل اللسان وامرأة لفلافة ورجل لفلاف وامرأة لفلافة وامرأة لفاء الفخذين قال الشاعر

تساهم ثوباها ففى الدرع رادة * وفى المرط لفاوان ردفهما عبل

معنى تساهم تقارع وفى التنزيل فساهم فكان من المدحضين وقالوا رجل ألف ثقيل اللسان والالف أيضا العيي وهو أيضا الضعيف الواهن البطش قال الشاعر

رأيتكما يا ابنى عباذة دومتما * على مال الوى لاسنيد ولا ألف

ولا مال لى الا عطاف ومدرع * لكم طرف منه حديد ولى طرف

السنيد المسند الى قوم ليس منهم والعطاف الرداء وقد تقدم والعطاف أيضا تقوله العرب للسيف والمدرع الدرع يقول لكم ظبة السيف الذى أضربكم به ولى قائمه الذى بيدى ويقال الف الطائر رأسه جعله تحت جناحه ويقال حديقة لفة ولف والجمع الفاف وفى التنزيل وجنات الفافا أى بساتين ملتفة عن ابن عباس وغيره واحدها الف وقيل لف ولف جمع لفاء قال الكسائى واحده لفيف ومما جاء بالكسر لف القوم جماعتهم ويقال لف بالفتح فى هذا أيضا وجاؤا بلفهم ولفيفهم ومن لف لفهم ولفهم أى من اجتمع منهم قال الشاعر

سيكفيكم أودا ومن لف لفها * فوارس من جرم بن زبان كالاسد

ومن مضاعفه لفلف موضع قال الشاعر * والقوم بين لفلف وعالج * هما موضعان ومما يقرب من هذا الباب والف تقول والف الفرس يلف والفا وليفا وهو ضرب من عدوه والوا ومن نفس الكلمة وبرق وليف يبرق برقتين برقتين ومعكوس واف فلوه والصغير من أولاد الدواب وفى الحديث منه فى فضل الصدقة انها تقع فى يد الرحمن فيربيها لصاحبها كما يربى أحدكم فلوه أو فصيله ومن مقلوبه فول وهو الباقلاء ومما يقرب من هذا افواف وهو غطاء يغطى به الثياب قال العجاج

وسار رقراق السحاب فولفا * للبيد واعر ورى النعاف النعفا

النعاف جمع نعف وهو ناحية الجبل * فرغ قل وبقى قل القل القليل ومن كلامهم رماه الله بالقل والذل أى بالقلة والذلة ويقال قل الشئ يقل قلة وقلا فهو قليل وجمع قليل قلل مثل سرير وسرر وقوم قليلون وقليل قال الله تعالى واذكروا اذ أنتم قليل مستضعفون فى الارض ويقال الحمد لله على القل والكثر وأنشد الاصمعى لخالد بن قل

وقد يقصر القل الفتى دون همه * وقد كان لولا القل طلاع أنجد

وفى الحديث من هذا عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الربا وان كثر فانه يرجع

الى قل خرجه البزار والنجد ما ارتفع من الارض والجمع نجاد ونجود وأنجد يقال فلان طلاع الثنايا وطلاع أنجد اذا كان ساميا بمعالى الامور وجمع نجود أنجدة قال الشاعر

يغدو أمامهم فى كل مربأة * طلاع أنجدة فى كشحه هضم

وأول ما خطب الحجاج بالعراق قال لهم

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا * متى أضع العمامة تعرفونى

وقولهم لم يترك فلان قليلا ولا كثيرا قال أبو عبيدة انهم يبدؤن بالادون كقولهم العمران والقمران وربيعة ومضر وتميم وعامر ويقال للفقير قل ابن قل ويقال ذلك أيضا للذى لا يعرف هو ولا أبوه ويقال استقل فلان كذا أى استصغره واستحقره واستقل به أطاقه وفى القرآن العزيز حتى اذا أقلت سحابا ثقالا يعنى الريح حملت سحابا ثقالا بالماء يقال أقل فلان الشئ واستقل به اذا أطاقه وفلان لا يستقل بحمله قال

خلف العبء على ولى * أنا بالعبء له مستقل

قال ابن عزيز رحمه الله وانما سميت الكيزان قلالا لانها تقل بالايدى أى تحمل فيشرب فيها والقلة كوز صغير وهو عند العرب الحب العظيم قال صاحب كتاب العين والحب الخابية الكبيرة وقال ابن دريد والقلة التى جاءت فى الحديث مثل قلال هجر زعموا انها جرار عظام تسع القلة خمس قرب وما حواليها والقلة رأس كل شئ ومنه قلة الجبل وهى القطعة تستدير فى اعلاه ويقال لها القنة أيضا قال الشاعر * لمن الديار بقنة الحجر * وقلة الانسان رأسه وأنشد سيبويه * عجائب تبدى الشيب فى قلة الطفل * والقل بالكسر الرعدة عن أبى على ويقال أخذه القل اذا أصابته رعدة من فزع أو غيره فانتفض بسبب ذلك وجاء فى الحديث عن عائشة رضى الله عنها أخذتها حمى نافض فلعله من هذا والله أعلم والقلال بالضم القليل وبالكسر جمع قلة وقد يقال قلل قال حميد

فظللنا بنعمة واتكأنا * وشربنا الحلال من قلله

ومن مضاعف هذا الباب قلقل يقال رجل قلقل خفيف سريع وفرس قلقل كذلك والقلقلة التحرك وهى أيضا شدة الصياح والقلقل شجر له حب أسود يؤكل قال الشاعر * وحازت الريح يبيس القلقل * وفى مثل * دقك

بالمحاز حب الفلفل * والعامة تقول الفلفل بالفاء قال الاصمعي انما هو
بالقاف وهو أصلب ما يكون من الحبوب حكاه أبو عبيد والقلاقل والقلقلان نبتان
والقلقلاني طائر وقلقل الرجل في الارض بمعنى تصرف وذهب وجاء قال الشاعر
وقلقل يبغي العز كل مقلقل * ومعكوس قلقل لقلق اسم طائر وهو أيضا اللسان
واللقلقة واللقلاق شدة الصوت وفي البخاري من قول عمر بن الخطاب رضي الله
عنه في النهي عن البكاء دعهن ما لم يكن نقع أو لقلقة فاللقلقة الصوت والنقع الغبار
قال الله تعالى فأثرن به نقعا و يقال اللقلقة وقلقلة بمعنى وجاء في الحديث فرفع اليه
الصبي ونفسه تقلقل وفي رواية تقعقع ومعناه كما تقدم شدة الحركة والاضطراب وقع
في البارع كل شيء له عند تحريكه صوت فهو قعقعة مثل الاديم اليابس والسلاح
وقال ما يمي قعيقعان جبل بمكة الا بقعقعة السلاح فيه بقي من شكل هذه اللفظة قل
أمر من قال يقول وفي القرآن منه كثير قل هو الله أحد وقل أعوذ برب الفلق وقل
أعوذ برب الناس ومن شكله أيضا ال من القائلة وقد تقدم في الحديث قيلوا فان
الشياطين لا تقيل معكوس قل اق تقول الق دواتك اذا امرته ان يجعل فيها الليقة وهو
من لاق يليق ليقا ولاقها فهو لائق والدواة مليقة وأصله من اللصوق ومنه قولهم
لا يليق هذا بفلان أي لا يلصق به ولا يعلق حكى هذا عن أبي زيد وفيه لغة أخرى
أحسن من هذه ان تقول ألق دواتك وأنت مليق لها وهي ملاقة و يكون هذا من
ألاق يليق الاقة حدث الاصمعي قال قدمت على الرشيد في بعض قدماتي فاستبطأني
فقلت ما ألاقتني الارض حتى رأيت أمير المؤمنين فلما خرج الناس قال لي ما معنى
ألاقتني فقلت ما ألاقتني ما ألصقتني بها ولا قبلتني كذا رأيت في بعض الكتب ووقع
في الدلائل قول الاصمعي هذا ما لاقتني وفسره قال هو مثل قولهم فلان لا يليق
الدرهم حتى ينفقه أي لا يحبسه و يقولون ضيق ليق من لاقت الدواة اذا ألصقت
ولاقت المرأة عند زوجها أي لصقت بقلبه وانكر الاصمعي ضيق ليق وأجازه
أبو علي وقال يقال ما لاقت المرأة عند زوجها ولا عاقت أي لم تلتصق بقلبه كما تقدم
ومن شكل ألق ألق ما في يمينك تلقف في القرآن العزيز ومن الشكل الق وهي
الانثى من الذئاب وربما قالوا القة وجمعها الق وقالوا للقردة أيضا القة ولا يقال
للذكر الق ولكن قرد ورباح قال الشاعر * والقة ترغب رباحها * وفي الباب
اق وهو الصدع المستطيل في الارض * وفي الاخبار ان عبد الملك بن مروان

كتب الى الحجاج بن يوسف لا تدع خفا ولا لقا الا زرعته والخف واحد الاخافيق
وهو الجحر وفي الحديث ان رجلا وقصت به ناقته في أخافيق جرذان فمات رواه ابن
قتيبة أخافيق بالالف وفسره بالجحر ورواه أبو عبيد لخافيق باللام واحدها
لخقوق وفسره شقوق في الارض * ومن هذا الشكل لق تقول اللهم لق فلانا خيرا
والقناه سلاما وفي القرآن العزيز وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم أي يلقى
عليك فتلقاه وفي البيت وقل والواو زائدة وثم وقل والواو أصلية ولو احتجته
لاخذته وهو فعل من الافعال يقال منه وقل يقل وقلا للوعل اذا كان يتوقل
في الجبال أي يصعد قال يعقوب وعل وقل ووقل مثل حذر وحذر وقال غيره
يقال للفرس انه لحسن التوقل في الجبال أي حسن الدخول بينها وقد وقل
يقل وفرس وقل ووقلاء وفرس وقل ووقلة وفي المثل أوقل من عفر وهو ولد الاروية
والوقل بالسكون ثمر المقل وجاء في الحديث من هذه اللفظة في صلاة الخوف
وطائفة مستوقلوا العدو ذكره ثابت في الدلائل وفسره قال وهو قريب المعنى من
قوله مستقبل العدو الا ان التوقل أشد تأكيدا في المداناة ويجيء من مقلوب هذه
اللفظة ولق وهو الكذب وقرأت عائشة اذ تلقونه بالسنتكم ويجيء من مقلوبها
قول وقد تقدم ولقو وهو داء عافانا الله منه وهو اللقوة بالضم واللقوة بالكسر السريعة
في قول امرئ القيس * كأني بفتخاء الجناحين لقوة * ومن مضاعف اق
لقلق قال ابن دريد اللقلق اللسان والقبقب البطن والذبذب الفرج وأنشد شاهدا
على الذبذب عن أبي حاتم عن الاصمعي لأعرابي * لو أبصرتني والنعاس غالبي *
خلف الركاب نائسا ذباذبي * اذا لقالت ليس هذا صاحبي
قال صاحب العين الذبذب ذكر الرجل قلت ولعله أراد بالذباذب في البيت المذكور
الذكر والانثيين والاقفد قال في كتاب العين الذباذب أشياء تعلق من الهودج
تذبذب ومعنى نائسا محركا لان النوس الحركة ومنه قيل أبو نواس لانه كانت في رأسه
غدائر ينوسها أي يحركها * تقدم في تفسير القبقب انه البطن و يقال له أيضا
قبقبان وأنشد لا تغلبني على زادي فتعطله * في قبقبانك يا حتف العراقين
والقبقب أيضا خشب السرج والقبقب بالكسر ضرب من صدف البحر فيه لحم
يؤكل و يقال فرج قباقب اذا كان واسعا و يقال العام وقاب قابل وقباقب
للعام الثالث وقال خالد بن صفوان لابنه انك لا تفلح في العام ولا في القابل

ولا قاب ولا قباقب ولا مقبقب كل كلمة اسم للسنة بعد السنة وقالوا قب حكاية وقع السيف وقبيب قبة بنيتها * قد أوقفتك أعزك الله ايما ايقاف على حرف القاف وها أنا آخذ فى غيره أسأل الله من خيره

خرجت من شئ الى غيره * لكنه علم وصدق وحق

فاعمل به والحق يعلو ولا * يعلى وما لا يرتضى يمتحق

﴿فصل﴾ من الفوائد الزوائد قال مجاهد رحمه الله فى قوله تعالى ولا تقل لهما أف أى لا تستقذرهما كما لم يكونا يستقذرانك وقال عطاء لا تنفض يديك على والديك ولا تنهرهما أى لا تغلظ لهما وقل لهما قولا كريما أى سهلا لينا قال ابن المسيب قول العبد الذليل للسيد الفظ الغليظ واخفض لهما جناح الذل من الرحمة أى كن بمنزلة الذليل المقهور اكراما لهما وان فى أيديهما ولا تمتنع من شئ أحباه لهما ولما كان النفخ يشبه لفظ أف وقد سماه الله تعالى قولا استدل الفقهاء على ان من نفخ فى صلاته كان كالمتكلم ففسدت صلاته والاف والجناح هنا للاستعارة والمعنى البرهما بأمكن ما يقدر عليه وضرب المثل بقول أف ليدل به على ما فوقه وبر الوالدين من الفروض المؤكدة كما ان عقوقهما من الكبائر كيف وقد قال الله تعالى أن اشكر لى ولوالديك فعطف شكرهما على شكره وأى شئ بعد هذا ثم قال فى المشركين وصاحبهما فى الدنيا معروفا أى تصاحبا معروفا وفى الحديث عن أسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنهما قالت قدمت أمى وهى مشركة فاستفتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ان أمى قدمت وهى راغبة قال صلى أمك قال ابن عيينة فانزل الله فيها لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين قلت هذا فى حق الابوين الكافرين فكيف بحق المسلمين ومن يقوم بحقهما الا من وفقه الله لاسيما حق الام التى لها الثلثان من البر لقوله عليه الصلاة والسلام حين سأله الرجل من أبر يا رسول الله قال أمك قال ثم من قال أمك قال ثم من قال ثم أباك ثم أدناك فأدناك وفى رواية أخرى ثم أباك ثم أختك وأخاك ثم أدناك فأدناك وسأله آخر فقال يا رسول الله يدعونى أبى وأمى فى حال فمن أجيب منهما أولا قال أمك قال ثم من قال ثم أمك قال ثم من قال أمك قال ثم من قال أباك وروى أبو موسى قال شهدت ثلاثة من أهل اليمن مروا بابن عمر رضى الله عنهما يطوفون بالكعبة حاملى أمهاتهم على ظهورهم قد جعل كل واحد منهم كفله ككفل البعير فرأولهم

وهو

وهو يقول انى لها راحلة لا أذعر * اذا المطى نفرت لا أنفر

وحملت وأرضعتنى أكثر * الله أكبر والله أكبر

كذا رأيته فى الكتاب الذى نقلت منه مكسورا ولم أر وهو لا يتزن الا اذا قلت الله أكبر الا له أكبر قال يا ابن عمر قد جزيتها قال لا ولا جرعة واحدة ثم مر الآخر وهو يقول

صرت لها راحلة ذلولا * موطأ ألتمس السهولا

أدعها بالكف ان تميلا * أرجو بذاك نائلا جزيلا

ثم قال يا أبا عبد الرحمن هل جزيتها قال لا ولا بطلقة واحدة ثم مر الاخر وهو يقول

أحمل أمى وهى الحماله * ترضعنى الدرة والعلاله * هل يجزين والدا أفعاله *

ثم قال هل جزيتها فقال ابن عمر هل تجزى الوالدة ويروى ان رجلا بلغ به الكبر الى ان صار ابنه يحمله ويربيه ويغذوه كالطفل فقال له ابنه يوما يا أبة قد جزيتك تربيتك كما ربيتنى فقد استوينا فقال أبوه كلا قال وكيف ذاك قال الاب انى اذ كنت أربيك كنت أتمنى حياتك وأنتظر شبابك وأنت اليوم تتمنى موتى أو كما قال وفى الصحيح لا يجزى ولد والدا الا أن يجده مملوكا فيشتريه فيعتقه ومات ابن لبعضهم فوجد عليه وذكر من بره به قال ما أخذ عنى الشمس فى شتاء قط ولا الروح فى صيف قط ولا مشى بليل قط الا أمامى ولا بنهار الا خلفى ولا رقى سطحا قط وانا تحته * وسئل آخر عن وجده بابنه فقال ما رأيته قط فشبعت من رؤيته ولا غاب عنى قط الا اشتقت لرؤيته وكان بعضهم لا يأكل مع أمه برا بها فقيل له فى ذلك فقال أخاف أن أمد يدى الى شئ كانت تريد أن تأكله والباب فى هذا طويل والمستعمل له اليوم قليل ومن ذلك القليل ما قرأته بسنده ان الفقيه أبا اسحاق محمد بن القاسم بن شعبان القرطبى رضى الله عنه كان لا يخرج من منزله الا اذا أخذ رجل والدته فوضعها على خده وهو يقول اللهم انك قلت فى كتابك واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وانى قد خفضت لهما جناحى فاغفر لى يا أرحم الراحمين هذا فى حياتهما وأما بعد الموت فقد سأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هل بقى على شئ من بر والدى أبرهما به بعد موتهما فقال نعم الصلاة عليهما يعنى الدعاء والاستغفار لهما واكرام صديقهما وانفاذ عهودهما وصلة الرحم التى لا توصل الا بهما وهذه الفضائل قد استعملها

الأفاضل من الاوائل خرج مسلم من طريق عبد الله بن دينار عن ابن عمر انه كان اذا خرج الى مكة كان له حمار يتروح عليه اذا مل ركوب الراحلة وعمامة يشد بها رأسه فبيناهو ذات يوم على ذلك الحمار اذ مر به اعرابى فقال ألست ابن فلان قال بلى فأعطاه الحمار وقال اركب هذا والعمامة اشدد بها رأسك فقال له بعض أصحابه غفر الله لك أعطيت هذا الاعرابى حمارا كنت تروح عليه وعمامة كنت تشد بها رأسك فقال انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان من أبر البر صلة الرجل أهل ود أبيه بعد ان يولى وان أباه كان صديقا لعمر وروى الترمذى عن النبى صلى الله عليه وسلم رضاء الرب فى رضاء الوالد وسخط الرب فى سخط الوالد وروى ان رجلا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله دلنى على عمل أعمله قال هل لك والد و والدة قال نعم قال فانما يكفيك مع البر بالوالدين العمل اليسير ومثل هذا ما قال للرجل الذى سأله الجهاد فقال له ألك والدة قال نعم قال ففيهما فجاهد أو كما قال عليه الصلاة والسلام وسئل مالك رضى الله عنه عن الرجل لم يدرك أبويه أو أحدهما فقال لا بأس أن يقول اللهم ارحمهما كما ربيانى صغيرا قال وقد يكون الرجل مع أبيه ولا يربيه و يغيب عنه الزمن الطويل خرجه ثابت رحمه الله وخرج مالك فى الموطأ عن سعيد بن المسيب ان الرجل ليرفع بدعاء ولده من بعده وقال بيده نحو السماء فرفعها قيل رفعها داعيا لهما * ومما لى فى هذا المعنى وأردت زيارة والدى رحمهما الله تعالى يوما فلقينى بعض الاصحاب فى طريق البقيع فقال الى اين يا فلان فقلت وهو لزومى

بحيث أبى وأمى راقدان * ومالى بالذى بهما يدان
سوى انى أزورهما وأدعو * و يرفع بالدعاء الوالدان
وحسن الظن انهما معا فى الجنان منعمان مخلدان
وانى لاحق بهما هنا كم * برحمة من لبرهما هدانى
فحقق ياالهى الظن واقبل * دعاى فأنت من داعيك دان

وقد قال الناس فى هذا المعنى اشعارا كثيرة منها

زر والديك وقف على قبريهما * فكأننى بك قد نقلت اليهما
لو كنت حيث هما وكانا فى البقا * زاراك حبوا لا على قدميهما

من قطعة طويلة وغير ذلك تركت ذكره وقد جاء فى زيارة القبور فضل كبير وخير

كثير

كثير قال عليه الصلاة والسلام زوروا القبور فانها تذكر الموت وقال ما من أحد يمر بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه فى الدنيا فسلم عليه الا عرفه فرد عليه السلام ونوع من هذا ما جاء فى الرقائق حدثنا نعيم قال أخبرنا ابن المبارك قال اخبرنا عبد الله بن عبد الرحمن بن يعلى الثقفى قال أخبرنا عثمان بن عبد الله بن أوس ان سعيد ابن جبير قال له استأذن لى على ابنة أخى وهى زوجة عثمان وهى ابنة عمرو بن أوس فاستأذنت له عليها فدخل عليها ثم قال كيف يفعل بك زوجك قالت انه الى لمحسن فيما استطاع فالتفت الى ثم قال يا عثمان أحسن اليها فانك لا تصنع بها شيئا الا جاء عمرو بن أوس فقلت وهل يأتى الاموات أخبار الاحياء قال نعم ما من أحد له حميم الا و يأتيه أخبار أقاربه فان كان خيرا سر به وفرح وهنى به وان كان شرا ابتأس وحزن به حتى انهم يسألون عن الرجل قد مات فيقال ألم يأتكم فيقولون لقد خولف به الى أمه الهاوية ﴿فائدة فى الدواء﴾ ذكر عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما انه قال مرض الحسن أو الحسين رضى الله عنهما من حمى وانكسار فاغتم لذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس كئيبا فنزل عليه جبريل عليه السلام فقال له يا محمد الجبار يقرئك السلام و يقول لك اغتممت بمرض ابنك فهو يأمرك أن تطلب فى القرآن سورة لا فاء فيها فان الفاء من الآفة فتقرأ على اناء من ماء أربعين مرة فيغسل بذلك الماء يديه و رجليه وما بطن وظهر من بدنه بعد وجهه ورأسه فان الله يدفع عنه ما يجد ان شاء الله وأمر أمتك يا محمد يتداوون بهذا الدواء فانه من أفضل الدواء قال ابن عباس رضى الله عنهما وأنا وأهلى لا نشتكى شيئا الا نداوينا به قال الزهرى وأنا أتداوى به وآمر اخوانى بذلك ان كان فى الصيف فالماء البارد وان كان فى الشتاء سخن الماء فتداويت به وهى أم القرآن لا فاء فيها وتقدم المفوف وهو الذى تراه خيطا أبيض وخيطا أسود يستدل على ذلك بقول الشاعر

يامن لشيخ قد تجرد لحمه * أفنى ثلاث عمائم ألوانا
سوداء حالكة وسحق مفوف * وأجد لونا بعد ذاك هجانا
والموت يأتى بعد ذلك كله * وكانما يعنى بذاك سوانا

سوداء يعنى سواد شعره والهجان الابيض يعنى الشيب فلم يبق الا المفوف وهو شعرة بيضاء وأخرى سوداء كما تقدم والسحق الثوب الخلق ومن المفوف حديث كعب الاحبار يؤتى بالعبد يوم القيامة فترفع له غرفة مفوفة تفويفها لبنة من ذهب ولبنة

من فضة وأخرى من ياقوتة وأخرى من زبرجدة وأخرى من لؤلؤة لها سبعون بابا
يرى ما فى جوفها من خارج فيقول الله يا ابن آدم ما أعددت لها فيقول يارب ما أعددت لها
نعمة واحدة استوجبت حسناتى كلها فيقول الله تعالى ادخلها برحمتى خرجه
ثابت وقال المفوقة ذات التلوين وذكر نحوا مما تقدم من التفسير وتقدم الفيفاء
واذكرك هنا خطبة فيها ذكره كنت مرة بالبادية فجاءنا بها واعظ ظريف فجرى
ذكر الخطباء والخطب فحدث انه اجتاز مرة بقرية فحضر فيها الجمعة فلما حضرت
الصلاة وجاء الخطيب فصعد المنبر واذا به ناقص الخلق وذكر من صفته كذا وكذا
احتقره فقلت يقدر هذا ان يتكلم ما أراه فلما فرغ المؤذنون من الأذان قام
وضرب بعصاه المنبر ضربة ارتج منها المسجد وقال الحمد لله المنزه عن الحيف المتجلى
لخليقته بلا كيف مقدر الزمنين الشتاء والصيف أحمده فى اليقظة والطيف
وأشكره فوق شكر الضيف للضيف وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك
له شهادة أقطع من السيف وأشهد أن محمدا عبده ورسوله خير القبائل من قريش
ونصيف وعفيف وحليف صلى الله عليه وعلى آله ما قيل فى تصغير الشنف شنيف
ثم امتد فى الخطبة بأحسن لفظ وأبدع نظم فحدثت شيخنا الخطيب أبا محمد
عبد الوهاب بن على رضى الله عنه بهذا الحديث وكان امام الموضع وكان اذ ذاك
غائبا حين حدثنى الواعظ بهذه الحكاية فلما جاء يوم الجمعة سمعت أبا محمد عبد
الوهاب يخطب بعد رهذه الخطبة ثم ذيلها بكلام فى معناها وتقررها فقال ورضى
الله عن الامام المعدود فى الذين لا حزن عليهم فى الآخرة ولا خوف يا ابن آدم كيف
بك وكيف اذا عافتك الحياة كل عيف وعصفت عليك من المنون ريح
هيف وغودرت شلوا مقبورا فى عرصات الفيف (ومنها) فبادرايها المغرور
أملك فالعمر قصير كزورة طيف واخلص عملك فالناقد بصير لا يقبل الزيف
واعلموا رحمكم الله ان أكثر ما يدنى العبد من النار الفرج والجوف فأشعروا
قلوبكم الخشية لله والخوف واياكم والتسويف فانما أهلك من قبلكم سوف
جعلنا الله واياكم من المعتصمين به اذا مسهم من الشيطان طيف ثم لما جاءت الجمعة
الاخرى بدلها بعينها على حرف الباء فقال الحمد لله المنفرد بعلم الغيب المتطول بستر
العيب أحمده فى الشبيبة والشيب وأشكره فوق شكر الرياض للصيب وأشهد
أن لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة خالصة من الريب وأشهد أن محمدا عبده

ورسوله الرؤف بامته الناصح الحبيب صلى الله عليه وعلى آله ما عدّ فى السباق
صهيب ثم امتد كذلك الى آخرها وقد تقدم منها فى باب الباء من هذا الكتاب
أيها الناس توبوا الى صالح الاعمال أسرع توب والبسوا تقوى الله أسبغ ثوب
* وتقدم جبل ق وانه محيط بالدنيا وزاد مكى فى الهداية والسماء مقببة عليه وان
خضرة السماء والبحر منه وتقدم قف اسم فاعل من قفا يقفو والأمر منه اقف
وفى القرآن ولا تقف ما ليس لك به علم واذكرنى اقف أبياتا كتب بها الى
الفقيه الخطيب أبو محمد عبد الوهاب رضى الله عنه جوابا عن أبيات كتبت بها اليه
وكنت خارجا من البلد فى موضع لم يكن معى فيه قلم ولا مداد ولا كاغد فصنعت قلما من
عود وكتبت بمداد صنعته من فحم على ظهر شقف أخذتها من السقف فكتب الى

أتتنى قواف على ظهر شقف * حسان عليها الملاحة وقف
نظام ذكى اذا شئت أن * تبر بها جسمه قائل واقف
فلا طويت بسواه الفلا * ولا حدثت دون ذكراه حرف
تروقك منه حلى يا على * تلوح وتبدو على كل حرف

من قطعة مطولة لزومية وقد تقدم لى فى صفة العاصى ذى القلب القاسى لكل
سوء تابع وقاف ومع ما تنكره وقاف وقد تقدم القش وهو عند العامة متاع البيت
الدون وبعضهم يسميه الدبش ورأيت فى كتاب البهجة للشيخ أبى محمد عبد الحق
رحمه الله بيتا فى قطعة حسنة شيبية له أعجبتنى وصف فى ذلك الشعر الصالحين ثم قال

أولئك القوم ان عدّ الكرام فهم * واذ ترد دنياها نحن ذا دبش

وتقدم ذكر الاوقية وهى زنة أربعين درهما وجمعها أواق بغير مد كذا رويه
المحدثون قال الخطابى انما هو أواقى بياء مفتوحة مشددة غير مصروفة جمع أوقية
مثل أضحية واضاحى وبختية وبخاتى والعامة يقولون آواق بالمد ولآواق انما هو
جمع أوق وقال غيره مثله وزاد ان شئت خففت الياء فى الجمع والأواقى أيضا جمع
واقية قال الشاعر * ياعد يا لقد وقتك الاواقى * وأصله وواقى فواعل
الا انهم كرهوا اجتماع الواوات فقلبوا الاولى ألفا ولواقى أيضا الصرد وقد
تقدم * وكنت لا أغدو على واق وحاتم * والنش عشرون درهما وذلك
نصف أوقية والنواة زنة خمسة دراهم والدرهم المكى سبع وخمسون حبة وستة
اعشار حبة والرطل مائة درهم واحدة وثمانية وعشرون بالدرهم المذكور

والدرهم سبعة أعشار مثقال ودينار الذهب بمكة وزنه اثنان وثمانون حبة وثلاثة أعشار حبة من الشعير المطلق قال ذلك كله أبو محمد على بن أحمد هو ابن حزم رحمه الله وفسره على قول رسول الله صلى الله عليه وسلم المكيال على مكيال أهل المدينة والوزن على وزن أهل مكة وقد جاء ان الدينار أربعة وعشرون قيراطا قال ابن أحمد ووجدنا أهل المدينة لا يختلف منهم اثنان في ان مد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى تؤدى به الصدقات ليس اكثر من رطل ونصف ولا أقل من رطل وربع وقال بعضهم رطل وثلث قال وليس هذا اختلافا لكنه على قدر رزانة المكيل من البر والتمر والشعير وصاع ابن أبى ذئب خمسة أرطال وثلث وهو صاع رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى كلامه والوسق ستون صاعا من هذا وليس فيما دون خمسة أوسق صدقة وفى كتاب الصحاح الوسق بالكسر ستون صاعا والوسق بالفتح مصدر وسقت الشئ جمعته وحملته من قوله تعالى والليل وما وسق قال الخليل الوسق بالكسر حمل البعير والوقر حمل البغل والحمار ويقال وسقت الناقة وغيرها تسق وسقا اذا حملت فأغلقت رحمها على الماء فهى ناقة واسق ونوق وساق مثل نائم ونيام ووسقت الحنطة توسيقا أى جعلتها وسقا وسقا واستوسقت الابل اجتمعت قال الراجز

ان لنا قلائصا حقائقا * مستوسقات لو يجدن سائقا

وأوسقت البعير حملته حمله وأوسقت النخلة كثر حملها والفرق الذى جاء فى الحديث انه يسع ستة أمداد والعرق فى الحديث أيضا زنبيل يسع خمسة عشر صاعا والمد الذى قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم والبر بالبر مدى بمدى قال الخطابى المدى مكيال لأهل الشأم يقال انه يسع خمسة عشر مكوكا والمكوك صاع ونصف بصاع الحرمين المتقدمين وأما صاع أهل العراق فهو ثمانية ارطال قال الخطابى وهو صاع الحجاج صوّغه لما ولى العراق وكانت الولاة يتعملون الزيادة فى الصيفان ولما ولى خالد أضعف الصاع ستة عشر رطلا وكانوا يريدون التوسعة على الناس بذلك قال بعضهم فى ولاية سعيد العراق

يا ويلتى قد ذهب الوليد * وجاءنا مجوّعا سعيد * ينقص فى الصاع ولا يزيد *

ومن كتاب الصحاح المكوك واحد المكاكيك وهو ثلاث كيلجات والكيلجة من وسبعة اثمان من والمن رطل والرطل اثنتا عشرة أوقية والأوقية استار وثلث استار

والاستار

والاستار أربعة مثاقيل ونصف والمثقال درهم وثلاثة اسباع درهم والدرهم ستة دوانق والدانق قيراطان والقيراط طسوجان والطسوج حبتان والحبة سدس ثمن درهم وهو جزء من ثمانية وأربعين جزأ من درهم ومد هشام المذكور فى الموطأ مدان غير ثلث وهو الذى قال فيه مالك رحمه الله تعالى به تكون كفارة الظهار وهو المد الاعظم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ بالمد ويغتسل بالصاع وسمى المد مدا لانه قدر ما يمد الرجل يديه ويملأ كفيه طعاما وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ذكر أصحابه لو أن أحدكم أنفق ملء الارض ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه يريد نصفه ذكره الخطابى رحمه الله قال ورواه بعض أهل اللغة مدى بفتح الميم يريد الغاية يقال فلان لا يبلغ مدى فلان أى لا يبلغ شأوه ولا يدرك غايته ومما يقرب من المد المداد لهذا الذى يكتب به والمداد أيضا القدر والمثل وبذلك فسر الخطابى قول النبى صلى الله عليه وسلم مداد كلماته من قوله عليه الصلاة والسلام سبحان الله عدد خلقه وزنة عرشه ومداد كلماته قال يريد قدر كلماته أو مثلها فى العدد كثرة والمداد مصدر كالمد يقال مددت الشئ أمده مدا ومدادا قال الخطابى ومن هذا حديثه الآخر فى ذكر الحوض انه قال ينبعث فيه ميزابان من الجنة مدادهما الجنة أى تمدهما أنهار الجنة ويقال بنى القوم بيوتهم على غرار واحد وعلى مداد واحد أى على نسق واحد وأنشد * على غرار ومداد واحد * وتقدم أيضا ان مثل العائد فى صدقته كالكلب يعود فى قيئه وجاء فى حديث آخر مثل الذى يعطى عطية ثم يرجع فيها كمثل الكلب قاء ثم عاد فى قيئه سبب هذا الحديث ما خرج مسلم عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه حمل على فرس فى سبيل الله فوجده عند صاحبه وقد ابتاعه وكان قليل المال فأراد أن يشتريه فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فقال لا تشتره وان أعطيته بدرهم فان مثل العائد فى صدقته كمثل الكلب يعود فى قيئه وقال مالك فى الموطأ وظننت انه بايعه بدرهم برخص ورواه سفيان بن عيينة قال لا تشتره ولا شيئا من نتاجه هكذا فى المسند ورواه المزنى عن الشافعى عن سفيان وقال دعها حتى توافيك وأولادها جميعا وخرج أبو داود ان النبى صلى الله عليه وسلم قاء فأفطر وعن أبى هريرة رضى الله عنه انه عليه الصلاة والسلام قال من ذرعه القئ وهو صائم فليس عليه القضاء ومن استقاء فليقض ومن القئ حديث بكير بن الاشج انه كان فى

غزاة فاستيقظ من نومه فقال انى رأيت انى أدخلت الجنة فأسقيت فيها لبنا ولأ جرين
ذلك فاستقاء فقاء اللبن وكانوا فى موضع لا لبن فيه ثم نادى منادى أمير الجيش من قتل
قتيلا فله كذا فامتنع بكير من الخروج معهم وألقى سلاحه ثم فكر ساعة فأخذ
سلاحه وقال اللهم انك تعلم انى ما لهذا خرجت وأخذ سيفه فقاتل حتى قتل رضى الله
عنه ومن القىء أيضا حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه شرب لبنا من ابل
الصدقة على غلط ولم يعلم به فلما أخبر انه من الصدقة أدخل يده فى فيه فاستقاءه وفى
رواية انه لم يزل يعالج اخراجه رضى الله عنه من بطنه حتى ألقى من جوفه الدم وليس
بمنكر هذا من ورعه رضى الله عنه فقد كان يقسم الطيب بين يديه على نساء أهل
المدينة مما كان يؤتى به من الفىء وهو يغطى أنفه فقيل له فى ذلك فقال وهل ينتفع
منه الا بريحه ومن الورع ما حدثت عن رجل كان يسمر مع أصحابه فى بيت رجل
مريض وهو فى النزع فلما مات ذلك الرجل اطفأ هذا القنديل فقيل له فى ذلك
فقال من أراد أن يسمر فى الضوء فليأت بزيت من عنده وانما الزيت الذى
فى القنديل للايتام وما دام صاحب الزيت حيا سمرنا به فاذ قد مات فانما هو ميراث
هذا معنى كلامه * ومما يشبه حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه المتقدم فى القىء
ما يروى عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه حدث زيد بن أرقم قال كان لأبى بكر
مملوك فأتاه ليلة بطعام فتناول منه لقمة فقال له المملوك مالك كنت تسألنى كل ليلة
ولم تسألنى الليلة قال حملنى على ذلك الجوع من أين جئت بهذا قال مررت بقوم
فى الجاهلية فرقيت لهم فوعدونى فلما ان كان اليوم مررت بهم فاذا عرس لهم
فأعطونى قال أف لى كدت أن تهلكنى فأدخل يده فى حلقه فجعل يتقايأ وجعلت
لا تخرج فقيل له ان هذه لا تخرج الا بالماء فدعا بعس من ماء فجعل يشرب ويتقيأ
حتى رمى بها فقيل له يرحمك الله كل هذا من أجل هذه اللقمة قال لو لم تخرج الا مع
نفسى لأخرجتها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كل جسد نبت من
سحت فالنار أولى به فخشيت أن ينبت شىء من جسدى من هذه اللقمة وتقدم ذكر
القافة وان عائشة قالت دخل قائف ورسول الله صلى الله عليه وسلم شاهد وأسامة
ابن زيد وزيد بن حارثة مضطجعان فقال ان هذه الاقدام بعضها من بعض فسر
بذلك النبى صلى الله عليه وسلم وفى رواية وعليهما قطيفة وقد غطيا رؤسهما وبدت
أقدامهما وفى رواية كان اسم القائف مجزز المدلجى فاحتج بهذا الحديث من حكم

بقول القافة وقال ان النبى صلى الله عليه وسلم أثبته علما ولم ينكره ولو كان خطأ
لانكره لان فى ذلك قذف المحصنات ونفى الانساب وقال أبو داود وكان أسامة أسود
شديد السواد وزيد أبوه أبيض من القطن وكان أهل الجاهلية يقدحون فى نسبه
فلما قضى القائف بما تقدم سر بذلك النبى صلى الله عليه وسلم لان أهل الجاهلية
كانوا يصغون الى قول القائف واختلف العلماء فى القول بالقافة فنفاه أبو حنيفة
وأثبته الشافعى ونفاه مالك فى الحرائر وأثبته فى الاماء على المشهور عنه وقد روى
عنه اثباته فيهما جميعا ولكل واحد حجة مذكورة فى كتبهم وقد يسمى الذى يتتبع
الآثار أيضا قائفا وقافيا وقع فى حديث العرنيين فبعث النبى صلى الله عليه وسلم فى طلبهم
قافة فأتى بهم واشتقاقه من تتبع الاثر والاقتفاء انما أصله أن تمشى وراء من تطلبه
فتستقبل بوجهك قفاه ويكون هذا حقيقة واستعارة قال الله تعالى ثم قفينا على
آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم صلى الله على جميعهم وسلم وكان أسامة حب
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تقدم ذكره وكان يكنى أبا زيد وقيل أبا محمد وكان
ممن اعتزل الفتنة ولم يحضرها وأمه مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحاضنته
وكانت تكنى أم أيمن وهى بركة بنت ثعلبة وكانت قبل لابيه عبد الله بن عبد المطلب
وكان عليه الصلاة والسلام يقول أم أيمن أمى بعد أمى ويقال كانت لآمنة أم
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى التى هاجرت من مكة الى المدينة على قدميها
وليس معها أحد وذلك فى حر شديد فعطشت فسمعت حفيفا فوق رأسها فالتفتت
فاذا دلو قد أدليت لها من السماء فشربت منها فلم تظمأ أبدا وكانت تتعمد الصوم
فى حرارة القيظ لتعطش فلا تعطش وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزورها
والخليفتان بعده ولما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم بكت عليه بكاء شديدا فقيل
لها يا أم أيمن اتبكين على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت أما والله ما أبكى على
رسول الله صلى الله عليه وسلم الا أن أكون أعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب
الى ما هو خير له من الدنيا ولكن أبكى على خبر السماء انقطع وفى كتاب مسلم رحمه
الله من خبرها وفضائلها باب كبير رضى الله عنها وقد روى مثل ذلك من قصتها عن
أم شريك الدوسية رضى الله عنها انها عطشت فى سفر فلم تجد ماء الا عند يهودى
وأبى أن يسقيها الا أن تدين بدينه فأبت الا أن تموت عطشا فدلى لها دلو من السماء
فشربت ثم رفعت الدلو وهى تنظر ذلك ذكر هذا ابن اسحاق فى السيرة من غير

رواية ابن هشام وشبيه بهذه القصة ما جرى لأم شريك الاسدية احدى نساء قريش ثم احدى بنى عامر بن لؤى وكانت تحت أبى العكر الدوسى ووقع فى قلبها الاسلام وهى بمكة فأسلمت ثم جعلت تدخل على نساء قريش سرا فتدعوهن وترغبهن فى الاسلام حتى ظهر أمرها لأهل مكة فأخذوها وقالوا لولا قومك لفعلنا بك وفعلنا ولكنا سنردك اليهم قالت فحملونى على بعير ليس تحتى شئ موطأ ثم تركونى ثلاثا لا يطعمونى ولا يسقونى قالت فنزلوا بى منزلا وكانوا اذا نزلوا منزلا أوثقونى فى الشمس واستظلوا هم منها وحبسوا عنى الطعام والشراب فلا تزال تلك حالتى حتى يرتحلوا فالت فبينما هم قد نزلوا منزلا وأوثقونى فى الشمس واستظلوا هم منها اذا أنا بأبرد شئ على صدرى فتناولته فاذا هو دلو من ماء فشربت منه قليلا ثم نزع منى فرفع ثم عاد فتناولته فشربت منه حتى رويت ثم أفضت سائره على جسدى وثيابى فلما استيقظوا اذا هم بأثر الماء ورأونى حسنة الهيئة فقالوا الى انحللت فأخذت سقاءنا فشربت منه فقلت لا والله ما فعلت ولكن كان من الامر كذا وكذا فقالوا لئن كنت صادقة فهما قلت لدينك خير من ديننا فلما نظروا الى أسقيتهم وجدوها كما تركوها فأسلموا عند ذلك وأقبلت الى النبى صلى الله عليه وسلم ووهبت نفسها له بغير شئ فقبلها ودخل عليها صلى الله عليه وسلم ورضى عنها * تقدم فى هذا الفصل ان أسامة اعتزل الفتنة وقد اعتزلها جماعة منهم أهبان بن صيفى الغفارى ولما ظهر على بن أبى طالب على البصرة سمع بأهبان هذا فأتاه وقال له ما خلفك عنا يا اهبان قال خلفنى عنك عهد عهده الىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أخوك وابن عمك قال لى اذا تفرّقت الامة فرقتين فاتخذ سيفا من خشب والزم بيتك فأنا الآن قد اتخذت سيفا من خشب ولزمت بيتى فقال له على فأطع أخى وابن عمى رسول الله صلى الله عليه وسلم وانصرف عنه وكان فى موت أهبان هذا آية رواها جماعة ثقات لما حضرته الوفاة قال لاهله كفنونى فى ثوبين قالت ابنته فزدنا ثوبا ثالثا قميصا فدفناه فيه فأصبح ذلك القميص على المشجب موضوعا ذكر ذلك أبو عمر بن عبد البر رحمه الله تعالى وتقدم * فقف بعدّه سبعين منها * لم يذكر عياض رحمه الله غير صدر هذا البيت وهى أبيات ذكرها الرامهرمزى فى كتابه الفاصل بين الراوى والواعى المتقدم الذكر قال بسنده سئل الاعمش عن حديث فامتنع أن يحدث فلم يزالوا به حتى استخرجوه فلما حدث به ضرب مثلا فقال جاء قفاف الى

صيرفى بدراهم يريه اياها فوزنها فوجدها تنقص سبعين درهما فانشأ يقول

عجبت عجيبة من ذئب سوء * أصاب فريسة من ليث غاب
فقفّ بكفه سبعين منها * تنقاها من السود الصلاب
فان أخدع فقد يخدع ويؤخذ * عتيق الطير فى جو السحاب

وتقدم ذكر التقوى وهو اسم جامع لخلال الخير واجتناب الشر وقد فسره طلق ابن حبيب اذ قال لأصحابه زمن الفتنة اتقوها بالتقوى قالوا أجمل لنا التقوى قال التقوى عمل بطاعة الله على نور من الله رجاء رحمة الله والتقوى ترك معصية الله على نور من الله مخافة عقاب الله وقال فضالة بن عبيد لأن أعلم ان الله تقبل منى مثقال حبة من خردل أحب الىّ من الدنيا وما فيها لان الله عز وجل يقول انما يتقبل الله من المتقين وتقدم فل وبالسيف فلول خرج البخارى رحمه الله قال عروة ابن الزبير قال لى عبد الملك بن مروان حين قتل عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما يا عروة هل تعرف سيف الزبير قلت نعم قال فما فيه قلت فلة فلها يوم بدر قال صدقت * بهن فلول من قراع الكتائب * ثم رده على عروة قال هشام فاقمناه بيننا بثلاثة آلاف وأخذه بعضنا ولوددت انى كنت أخذته وكان سيف الزبير محلى بفضة وكان سيف عروة كذلك وقد تقدم ذكر سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم والبيت الذى فيه بهن فلول للنابغة وأوّله

ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم * بهنّ فلول من قراع الكتائب

من قصيدة مطوّلة ومن الفل بالفتح الذى هو من قبل الدهر ما يروى عن الشافعى رضى الله عنه قال كنت فى مجلس فجاء اعرابى ومعه ابنه فذهب ابنه يتكلم فقال له على رسلك ثم قال إنا قوم أبناء سبيل وأنضاء سفر وفل سنة فرحم الله من أعطى من سعة وواسى من كفاف قال فحل له رجل درهما فأعطاه فذهب ابنه يتكلم فقال له على رسلك أجلك من غير أن يتملك ذكره ثابت رحمه الله وقال الفل هم القوم المفلولون وفلات الشئ أفله كسرته قال الراجز

عجبز عارضها منفل * طعامها اللهنة أو أقل

قال أبو زيد يقال للطعام الذى يتعلل به القوم قبل الغذاء السلفة واللهنة يقال لهنوا القوم تلهينا وسلفوهم تسليفا ومن الفل بالكسر وهى الارض التى لا نبات فيها قول عبد الله بن رواحة يصف العزى وهى شجرة كانت تعبد

شهدت ولم اكذب بأن محمدا * رسول الذى فوق السموات من عل
وان التى بالجزع من بطن نخلة * ومن دانها فل من الخير معزل

ويروى ومن دونها يعنى الصنم المنصوب حول العزى وتقدم الفلة والفلة وقالوا من قل ذل ومن أمر فل فقل معلوم وأمر معناه كثر من قوله تعالى واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها معناه كثرناهم فان الله لا يأمر بالفحشاء وفى الحديث من هذا خير المال سكة مأبورة وفرس مأمورة أى كثيرة النتاج والنسل ومنه قول أبى سفيان عند هرقل لقد أمر أمر ابن أبى كبشة انه يخافه ملك بنى الاصفر وبنو الاصفر هم الروم ويقال هرقل على وزن دمشق وهرقل على وزن خندف قاله صاحب الصحاح ومن الفل ما حكى ان أبا طالب بن عبد المطلب خطب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى تزويج خديجة بنت خويلد فقال الحمد لله الذى جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسماعيل وجعل لنا بلدا حراما وبيتا محجوجا وجعلنا الحكام على الناس ثم ان محمد بن عبد الله بن أخى لا يوزن به رجل من قريش الا رجح به برا وفضلا وكرما وعقلا ومجدا ونبلا وان كان فى المال قل فانما المال ظل زائل وعارية مسترجعة وله فى خديجة بنت خويلد رغبة ولها فيه مثل ذلك وما أحببتم من الصداق فعلى * وتقدم شطر البيت * وقلقل يبغى العز كل مقلقل * هو لجبل بن جوال التغلبي كذا وقع فى السيرة وصوابه الثعلبى لانه من بنى ثعلبة بن سعد قال هذا الشعر يوم قتل حيي بن أخطب فى بنى قريظة وكانوا دون الالف وكان سيدهم أتى به مجموعة يداه الى عنقه بحبل فلما نظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أما والله مالمت نفسى فى عداوتك ولكنه من يخذل الله يخذل ثم أقبل على الناس وقال أيها الناس انه لا بأس بأمر الله كتاب وقدر وملحمة كتبها الله على بنى اسرائيل ثم جلس فضربت عنقه فقال جبل بن جوال المذكور

لعمرك مالام ابن أخطب نفسه * ولكنه من يخذل الله يخذل
فجاهد حتى أبلغ النفس عذرها * وقلقل يبغى العز كل مقلقل

وممن قتل يومئذ الزبير بن باطا وكان يكنى أبا عبد الرحمن وكان قد من على ثابت بن قيس بن شماس فى الجاهلية يوم بعاث فلما أمر النبى صلى الله عليه وسلم بقتل بنى قريظة وفيهم الزبير المذكور وهو شيخ كبير جاءه ثابت بن قيس فقال يا أبا عبد الرحمن هل تعرفنى قال وهل يجهل مثلى مثلك قال له انى قد أردت أن أجزيك

بيدك عندى قال ان الكريم يجزى الكريم ثم أتى ثابت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انه قد كانت للزبير على منة وقد أردت أن أجزيه بها فهب لى دمه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو لك فأتاه فقال له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وهب لى دمك فهو لك فقال شيخ كبير لا أهل له ولا ولد فما يصنع بالحياة فأتى ثابت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بأبى أنت وأمى يا رسول الله امرأته وولده قال هم لك قال فأتاه فقال قد وهب لى رسول الله صلى الله عليه وسلم أهلك وولدك فهم لك قال أهل بيت بالحجاز لا مال لهم فما بقاؤهم على ذلك فأتى ثابت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ماله قال هو لك قال له ثابت فقد أعطانى رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك فهو لك قال أى ثابت ما فعل الذى كان وجهه مرآة صينية تتراءى فيها عذارى الحى كعب بن أسد قال قتل قال فما فعل سيد الحاضر والبادى حيي بن أخطب قال قتل قال فما فعل مقدمتنا اذا شددنا وحاميتنا اذا فررنا عزال بن شموال قال قتل قال فما فعل المجلسان يعنى بنى كعب ابن قريظة وبنى عمرو بن قريظة قال ذهبوا قتلوا قال فانى أسألك يا ثابت بيدى عندك الا ألحقتنى بالقوم فوالله ما فى العيش بعد هؤلاء من خير فما أنا بصابر قبلة دلو ناضح حتى ألقى الأحبة فقدمه ثابت فضرب عنقه فلما بلغ أبا بكر الصديق رضى الله عنه قوله ألقى الاحبة قال يلقاهم والله فى نار جهنم خالدا فيها مخلدا وكانت قريظة اثر الخندق وكانوا قد ظاهروا قريشا ونقضوا العهد بينهم وبين النبى صلى الله عليه وسلم فلما رجعت قريش عن الخندق أمر النبى صلى الله عليه وسلم مناديا فنادى من كان سامعا مطيعا فلا يصلين العصر الا فى بنى قريظة فحاصرهم النبى صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين ليلة حتى نزلوا على حكم سعد بن معاذ رضى الله عنه فحكم فيهم بقتل المقاتلة وسبى الذرية وكان أول فىء وقعت فيه السهمان وأخرج منه الخمس وفيه أسهم للخيل للفرس سهمان ولفارسه سهم وللراجل من ليس له فرس سهم وكانت الخيل يومئذ ستة وثلاثين فرسا وبعث النبى صلى الله عليه وسلم بسبايا منهم الى نجد فاشترى له بها خيل وسلاح وفيهم أنزل الله عز وجل وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا الى وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطؤها وكان الله على كل شىء قديرا وتقدم اللقلق اللسان وفى الحديث منه من كفى شر لقلقه وقبقبه وذبذبه دخل الجنة وقال الحسن رضى الله عنه اذا أفلت الشارب من ثلاث

فقد كرها وفي الحديث من حفظ ما بين فقميه ورجليه دخل الجنة

وذا فصل الفوائد قد تقضى * وآخذ بعد في سين وشين
واذكر فيه ما أدري فمالي * سوى الرحمن ربي من معين

﴿باب الالف مع السين والشين﴾

واس وآس واس واس * واش واش وسل وشل

تقول أس البناء يؤسه أسا وتأسيسا وهو أسه وأساسه وأصل الرجل أساسه وأسه أيضا ومثل من أمثالهم ألحقوا الحس بالاس والحس في هذا الموضع الشر يقول ألحقوا الشر بأصل من عاديتم قال الراجز في أس البناء

وأس مجد ثابت وطيد * نال السماء فرعه المديد

وقالوا لم يزل فلان على أس الدهر مجنونا أي لم يزل يعرف بالجنون وربما قالوا في هذا على است الدهر فأبدلوا من احدى السينين تاء وأس الدهر فيه ثلاث لغات الضم والفتح والكسر أي على قدم الدهر ووجه الدهر ويقال أس الشاة يؤسها أسا اذا زجرها وقال لها اس اس وجمع الاس اسس والاسس لغة في الاس وجمعه الآساس قاله صاحب العين وقال الزبيدي الاساس جمع أس والاسس جمع اساس والتأسيس في الشعر ألف تلزم القافية مثل قوله * كليني لهم يا أميمة ناصب * لا بد من هذه الالف في جميع القصيدة وان جاء شيء من غير التأسيس كان عيبا وهو الوسس والاس بقية الرماد بين الاثافي وما تفرق من علامات الدار الخربة وفي القرآن العزيز لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه وأما الآس فالريحان من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم من عرض عليه ريحان فلا يرده وقد تقدم انه الرند وقال ابن دريد فأما الآس المشموم فاحسبه دخيلا على العرب وقد تكلمت به العرب الفصحاء قال الهذلي

تالله يبقى على الايام ذو حيد * بمشمخر به الظيان والآس

وقد تقدم البيت والظيان شجر وقيل ياسمين البر وقيل الآس بقية العسل في موضع النحل كما هي باقي التمر في الجلة قرسا و باقي السمن في النحي كعبا وقال قوم بل هو ذرق النحل على الصفا وآثار ما يقطر من العسل ذكر ذلك يونس قال صاحب العين والآس شيء من العسل تقول ما أست منه شيئا أي ما استخرجت ولا أثرت فيه وبقي خارج البيت آس واحد الاساة وهم الاطباء وسيأتي اس من زجر الضأن واس

وهس وقال الزبيدي اس كلمة يقولها راقي الحية فتخضع واس بمعنى اعط وعوض والاوس العوض ويقال من العطية أست الرجل أوسا اذا أعطيته ومنه قول الحريري * أس أرملا اذا عرا * وقد تقدم أيضا وأوس من أسماء الذئب وتصغيره أويس وبه سمي الرجل أو بالعطية كما تقدم والأوس والخزرج قبيلتان من سكان المدينة شرفها الله تعالى ورضي عنهم وأوس أيضا زجر العنز والبقرة وجاء أس بمعنى اخلف علي وعزني ويقال أسيته بمعنى عزيته فتأسى والآسية السارية والجمع الاواسي مخففا قال النابغة

فان كنت قد ودعت غير مذمم * أواسي ملك أثبتتها الاوائل

وربما ثقلوها أواسي والواحدة آسي وهي الاساطين فوزنه فاعول اذ ليس في الكلام فاعيل الا آمين قال الشاعر * فشيد آسيا فيا حسن ما عمر * وأما أش ففعل تقول أش القوم يؤشون أشا اذا قام بعضهم الى بعض وتحركوا وهذا القيام للشر لا للخير قاله ابن دريد وقال وأحسب ان شاء الله انهم قالوا أش على غنمه يؤش مثل هش ولم أقف على حقيقة ذلك وتفسير أهش بها على غنمي يعني العصا أضرب بها الاغصان على غنمي لتأكل ورقها والله أعلم وذكر أبو عبيد في تفسير حديث علقمة بن قيس رحمه الله انه كان اذا رأى من أصحابه بعض الاشاش وعظهم وعظهم وقال يزيد الهشاش فجعل الهاء همزة مثل هرقت الماء وأرقت وهو أن يهش الانسان للشيء يشتهيه وقال صاحب العين الاش والاشاش الاقبال على الشيء بنشاط وهو يؤشه والهشاش الاشاش معكوس البيت

وساء وشاء وساء وسأ * وشاء وشاء وسل وشل

أما ساء ففعل تقول منه ساء يسوء ضد سر يسر اذا أبهج وفي القرآن العظيم ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا وسيئت وجوه الذين كفروا وسيء بهم ويقال استاء فلان اهتم وفي الحديث من هذا ان رجلا قص على رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤيا فاستاء لها قال أبو عبيد معناه افتعل من المساءة كما تقول اغتم من الغم وأما شاء فمعناه أراد وهو أيضا فعل تقول شاء يشاء وعقيدة المسلمين ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وما تشاؤن الا أن يشاء الله وأما وساء فاسم فاعل من الفعل المتقدم تقول ساء في الشيء يسوء فهو ساء قال البطليوسي في معشراته

اصخ نحو وعظ الواعظين ولا تبل * بمحسن خطب مبهج و بساء

وأماسأ مهموز فحكى لهو دعاء الحمار الى الماء قاله صاحب العين وقال في موضع آخر في مضاعفه سأسأت بالحمار اذا قلت له سأ ليحتبس وسأساء الحمار لطهره وساسان اسم كسرى وسوسان معروف ويقال سوسن وهو أعجمي وأما شاء فاسم فاعل أيضا من شاء يشاء شيئا وجمع شئ أشياء غير مصروف وأصله عند الاخفش اشيياء أفعلاء حذفت الهمزة التى هى لام وفتحت الياء من أجل الالف وأصله عند الخليل شيآء جمع على غير واحده مثل شعراء استثقلوا الهمزتين في آخره فقلبوا الاولى الى أوله فقالوا أشياء كما قالوا أعقب لعقباء وانيق لنيقات فصار تقديره لفعاء يدل على صحة ذلك انه لا يصرف وانه يصغر على أشيآء ويجمع على اشاوى وأصله اشاءى فقلبت الهمزة ياء فاجتمعت ثلاث ياآت فحذفت الوسطى وقلبت الآخرة ألفا وأبدلت من الاولى واوا كما قالوا أتيته أتوة ويجمع أيضا على اشايا واشياوات وقال الكسائى اشياء مثل فرخ وافراخ تركوا صرفها لكثرة الاستعمال وقالوا كل شئ بشيئة الله مثل شيعة وتصغير شئ شيئ لا يقال شوى وانما سمى شيئا الا ان الله تعالى شاءه ان يكون فكان هو فى معنى مشئ كما قالوا درهم ضرب الامير أى مضروب الامير ووزن شئ فعل قاله الزبيدى وأما شاء فاسم لجماعة الغنم كما يقال الجامل والباقر لجماعة الابل والبقر قال أبو طالب * ليظعننا فى أهل شاء وجامل * وتجمع الشاء أيضا على شوى ولا واحد له من لفظه ولا تنظر الى لفظ الشاة لان لام الفعل فيها هاء بدليل قولك شويهة في التصغير وفى الجمع شياه ومن مضاعفه شأشأت بالحمار زجرته للمضى فقلت شؤشؤ ويقال شأشأ وما يتزن ولو احتجنه أدخلته فى البيت وشاعلى ان الواو أصلية تقول وشا الحائك الثوب يشيه وشيا ووشا النمام الكذب ينمى وشاية ومما يشبه الشكل مما لا يتزن شأى بتقديم الهمزة ومعناه أعجب تقول شآ فى الشئ أعجبنى قال الشاعر * حتى شآها كليل موهنا عمل * البيت وقال آخر

قان الحمول فما شأونك نقرة * ولقد أراك تشاء للاظعان

أى تطرب ومعنى شأونك أطربنك ويقال شأى العير وشاءه بمعنى اذا شاءه وسآه بالسين المهملة وتقديم الهمزة مقلوب ساء قال حسان رضى الله عنه

لقد لقيت قريظة ما سآها * وما لقيت لذل من نصير

ويكون شأى أيضا بمعنى سبق ومنه الشأو الغاية البعيدة * بقى مقلوب البيت

حرف بين ألفين مثل أساء زيد اساءة ضد أحسن والسوأى ضد الحسنى وزنهما معا فعلى والسوء اسم جامع لجميع الآفات والسيئة ضد الحسنة أى الحالة الحسنة والسيئة وأصل السيئة سويئة قلبت الواو ياء وادغمت وفى القرآن العزيز للذين أحسنوا الحسنى أى الحالة الحسنى وكذلك السوأى أى المنزلة السوأى وفى المثل أساء سمعا فأساء جابة قال أبو عبيد كذا حكى فى المثل جابة بغير ألف وأصله اجابة ومن شكل مقلوبه أيضا آسى فعل من قوله تعالى فكيف آسى على قوم كافرين معناه أحزن والاسى الحزن قال الشاعر * فقلت لها ان الأسى يبعث الأسى * اذا فتحت الالف قصرت تقول منه اسى اذا حزن فهو اسيان وامرأة أسيا من نسوة أسايا واذا كسرت الالف مددت فقلت اساء وهو الدواء قال الشاعر

أسيت لما ولى ولا ينفع الاسى * ولا يتقى كلم الردى باساء

أى بدواء والاساء أيضا الاطباء جمع الآسى مثل الرعاء جمع الراعى قال الشاعر

هم الآسون أم الرأس لما * تواكلها الاطبة والاساء

والاساة الاطباء أيضا واحده آس مثل رام ورماة والاسى بالضم مقصور جمع اسوة بالكسر ويقال أسوة بالضم أى قدوة يؤتسى بها وجمعها اسى واسى وتقول أسا فلان فلانا فى المصيبة فتأسى بمعنى عزى فتعزى وآساه بالمد من المواساة فتأسى * وأما اشاء منقوطا فعنى شاء أدخلت عليه ألف الاستفهام واشاء مهموز ممدود النخل الصغار واحدها اشاءة والهمزة فيها منقلبة عن ياء لان تصغيرها اشى مقلوب البيت ألف بين حرفين ساس الطعام يساس سوسا واساس واستاس أيضا وساس الدابة يسوسها سياسة وهم الساسة وساس فلان قومه مثله والساس عثة تقع فى الطعام والثياب ويقال لها أيضا السوس والسوس اسم بلدة وأما شاس فاسم رجل شاس بن قيس مشهور وتقول شاس يشوس شوسا اذا عرف فى نظره الغضب ومنه قيل رجل أشوس وفرس كذلك قال الشاعر

على ان العتاق من المطايا * حسين به فهن اليه شوس

ومعنى حسين حسسن لغة فى أحسسن وهى شاذة * بقى الكلام على قافية البيتين أما سل فمن قولك سل فلان السيف من غمده يسله سلا اذا انتضاه وسل أمر منه ويقال فى هذا أيضا استله من غمده وفى الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم استل من قبل رأسه وأبو بكر وعمر رضى الله عنهما وسل مبنى لما لم يسم فاعله

وسل نفسك من كذا قال امرؤ القيس * فدع ذا وسل الهم عنك بجسرة *
وسل أمر من سال يسال بغير همزة كما تقول نام ينام ونم فى الامر وقد تقدم قول
حسان رضى الله عنه * سالت هذيل رسول الله فاحشة * قال الاستاذ رحمه الله
ليس على تسهيل الهمزة فى سألت ولكنها لغة بدليل قولهم سايل القوم واذا
كانت لغة فى سأل فيلزم أن يكون المضارع يسيل ولكن حكى يونس سلت تسال
مثل خفت تخاف وهو عنده من ذوات الواو وقال الزجاج الرجلان يتسايلان وقال
النحاس والمبرد يتساولان وهو مثل ما ذكر يونس قال صاحب العين العرب قاطبة
تحذف الهمزة من سل فى الامر فاذا وصلت بالفاء والواو قالوا فاسئل واسئل
وقال ابن قتيبة أنت مخير فى ذلك ان شئت قلت بلا همز ولا ألف بعد الفاء
وكذلك وسل وان شئت قلت سأل بالالف والهمز وتقول رجل سؤول اذا كان كثير
السؤال وتقدم سال سايل تقول سال الماء وغيره يسيل سيلا وسيلانا وأساله غيره
ومسيل الماء معروف وجمعه مسايل ومسل ومسلان وأمسلة مثل رغيف ورغفان
وأرغفة وأما السل بالكسر فهو الداء المعروف وكذلك السلال وقد سل وأسله
الله فهو مسلول وهو شاذ وهذا الداء الذى يعرف بداء البطن وهو من شر الادواء
عافانا الله من كل ذلك قال الشاعر

ومولى كداء البطن ليس بظاهر * فيشفى وداء البطن من شر صاحب

ويقال السحاف السل ورجل مسحوف أى مسلول يقال رماه الله بالسحاف قال أبو
على هو وجع يأخذ بين الكتفين وينفث صاحبه مثل العقب والاسلال السرقة
الخفية وقد تقدم لا إسلال ولا إغلال وفسره بعضهم لا اسلال السرقة والرشوة
وكذلك السلة وفى بنى فلان سلة أى سرقة وقد تقدم الخلة تدعو الى السلة وسلة
السيف دفعته قال الشاعر ان تلقنى اليوم فانى عله * هذا سلاح كامل وأله
* وذو غرارين سريع السله * وكذلك يقال فرس سريع السلة وهو دفعته فى سباقه
يقال خرجت سلته على الخيل والسلة أيضا كالجونة قال (ع) وقال ابن دريد وأما السلة
التى يعرفها الناس فلا أحسبها عربية والسلالة الولد وهو السليل والانثى سليلة
وقوله تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين قال قتادة فنسل آدم من طين
وقال غيره انما قيل لآدم سلالة لانه سل من كل تربة ويقال للولد سلالة أبيه وهو فعالة
من السل وفعالة تأتى للقليل من الشئ نحو القلامة والنخالة وقيل ان السلالة

انما

انما هى نطفة آدم صلى الله عليه وسلم وآدم طين لانه خلق منه والسليل أيضا
دماغ الفرس والسليل السنام والسلسلة معروفة وجمعها سلاسل وفى القرآن
سلاسلا وقرئ سلاسل بغير صرف وهو الاظهر ومن صرف فلان هذا الجموع لما
أشبهت الآحاد جمعت جمعها فخرجت فى حكم الآحاد فصرفت والسلسل والسلسال
والسلاسل الماء العذب المتسلسل فى الحلق لعذوبته وصفائه ويقال معنى تسلسل
الماء اذا جرى أو ضربته الريح صار كالسلسلة وشئ مسلسل متصل بعضه ببعض
ومنه سلسلة الحديث قال أبو عبيد السلاسل رمل منعقد بعضه على بعض وقال
البكرى السلسل اسم جبل من الدهناء والسلسل أيضا ماء بلد من جذام وبه
سميت غزوة ذات السلاسل والسلسبيل اسم عين فى الجنة وصرف لانه رأس آية
سميت بذلك لان السلسبيل الشراب السهل اللذيذ وهو فعلليل من السلاسة قاله
المهدوى رحمه الله والسلاة شوك النخل والجمع سلاء وفى حديث ابى الجوزاء
فى قوله تعالى ليس لهم طعام الا من ضريع لا يسمن ولا يغنى من جوع قال السلاء
قال وكيف يسمن من يأكل الشوك ذكره ثابت وفسره كذلك بشوك النخل وقال
عكرمة وسئل عن هذه الآية فقال هو الشبرق وشجرته ذات شوك لاطئة الى
الارض اذا كان الربيع سمتها قريش الشبرق فاذا هاج العود سموها الضريع
والسلا فى البطن معلوم مقصور مفتوح وهى المشيمة حيث يكون الولد ومن أمثالهم
انقطع السلا فى البطن اذا ذهبت الحيلة يقال بلغ السكين العظم ويقال أيضا وقعوا
فى سلا جمل أى فى أمر صعب والجمل لا يكون له سلا وانما هو كما يقولون أعز من
الابلق العقوق والابلق الذكر ولا يكون عقوقا انما هو طلب ما لا يمكن وكذلك
بيض الانوق وهى الرخمة وذلك انها تضع بيضها فى شواهق الجبال وحيث لا يصل
اليه أحد وقيل الاناث من النسور وسيأتى فى أمثال العامة طلب منى لبن الطير
كافه الصعب الذى لا يتأتى * والسلاء بالمد والكسر ما أذيب من الزبد تقول
سلأت السمن أذبت زبده قال الشاعر

ان السلاء الذى ترجين طثرته * قد بعته بأمون ذات تبغيل

طثرته ما صار على رأسه من دسمه وخثورته أنشده ثابت وقال والسلاء اسم السمن
ما دام طريا والسلاء بالفتح المصدر والسلاء بالضم والمد وتخفيف اللام طائر تقدم
ومن شكله أسل يقال الاسل شجر ويقال كل شجر له شوك طويل فشوكه أسل

وتسمى الرماح أسلا وأسلة اللسان مستدقه وكذلك الذراع ورجل أسيل الخد اذا كان لين الخد طويله وكل مسترسل أسيل وقد أسل بالضم أسالة وقولهم فلان على اسال من أبيه أى على شبه واخلاق وعلامات هذا اسل وسل بالسين وأما بالشين المنقوطة فتقول شل فلان القوم يشلهم شلا وشللا وشلولا اذا طردهم طردا قال ابن دريد الطرد بالفتح وهو مصدر وهى أربعة طرد طردا ورقص رقصا وحلب حلبا وحلب حلبا والمثل للسائر انك اتحلب حلبا لك شطره وشل الحمار أتنه والراعى إبله اذا طردها وحمار مشل كثير الطرد وكذلك الرجل والشلل الطرد وهو أيضا لطخ يصيب الثوب فيبقى أثره ويقال للرجل اذا عمل فأحسن لا شلل ويقال لمن أجاد الرمى أو الطعن لا شللا ولا عمى ولا شل عشرك وتقول شلت يده تشل شللا ويد شلاء قال * ورجل رمى فيها الزمان فشلت * ويقال لا شلال بالكسر لانه شبه بالامر ويقال أشل الله يده اشلالا ويقال فى الدعاء لا تشلل يدك ولا تكلل وقد شللت يدك يا رجل بالكسر والرجل أشل ومن هذا الشكل أشل هذا الشئ بمعنى ارفعه وفى الحديث عن عون الله بن جعفر قال فأخذ بيدى فأشلها يعنى النبى صلى الله عليه وسلم ولبعض العلماء من المتأخرين وقد كبر

خانت عهودى يدى ورجلى * فلبس خطو وليس خط

كل على كل من يلينى * أشال كالثقل أو أحط

والشلل موضع والشلة النية والامر البعيد حيث انتوى القوم قال الشاعر

* مواضع شلة وهى الطروح * والشليل مسح أو حلس يطرح على عجز البعير تحت الرحل والشليل أيضا ثوب يلبس تحت الدرع ويقال الشليل الدروع القصيرة والجمع اشلة والشليل أيضا من الوادى حيث يسيل معظم الماء ومن مضاعفه رجل شلشل بالضم خفيف العمل وشول أيضا قال الشاعر

وقد غدوت الى الحانوت يتبعنى * شاو مشل شلول شلشل شول

والشلشلة قطران الماء وماء ذو شلشل وشلشال * معكوسها من اللفظتين اللتين بغير نقط لس النبت اذا أمكن ان تلسه الماشية أى ترعاه واللس تناول الدابة الحشيش واسم ذلك النبات اللساس بالضم قال الشاعر * فى باقل الرمث وفى اللساس * ويقال ألست الارض اذا طلع أول نباتها وأما بالشين فلم يأت منه الا اللشلشة وهو كثرة التردد عند الفزع يقال جبان لشلاش * بقى مخرج هذين

قوله بالفتح يريد فتح الثانى والمصادر التى جاءت محركة الثانى ذكرها المؤلف ماذكره وجعلها فى المزهر ستة واستدرك الفقير زيادة عليها نحو عشرة قاله نصر

الحرفين أما السين فمن حروف المعجم ومن حروف الزوائد ومخرجها من وسط اللسان مما هو منخفض الى الطرف وكذلك الزاى والصاد وقد تقدم الاشتراك بينها ثلاثتها فى البدل فى صراط وسراط وزراط وهى من الحروف الرخوة ومن المهموسة وكذلك السين ومن عمل السين انها تخلص الفعل للاستقبال تقول سنفعل وزعم الخليل انها جواب ان قال ابو زيد من العرب من يجعل السين تاء وأنشد يا قبح الله بنى السعلات * عمرو بن يربوع شرار النات

ليسوا أعفاء ولا أكيات * يريد الناس وأكياس قال ومن العرب من يرد كاف المؤنث سينا فيقول أبوس يريد أبوك وأمس عوض أمك ومنهم من يزيد على الكاف سينا فيقول مررت بكس ونزلت عليكس فاذا وصلوا حذفوها لان الحركة وهؤلاء يقال لهم الكسكسة وهم من هوازن وأما ما يحكى عن سحيم من قوله

فلو كنت وردا لونه لعسقتنى * ولكن ربى سانى بسواد

فانما قلب الشين سينا فى عسقتنى وسانى لضعف عبارته عن الشين وليست تلك بلغته انما هى كاللثغ قال أبو عبيد قولهم فلان لا يحسن سينه يريدون شعبة من شعبه وهى ثلاث شعب وفى القرآن وشجرة تخرج من طور سيناء ومعنى سيناء الحسن وكذلك قيل فى سينين الحسن وقيل سينا جبل بالشأم وهو طور أضيف الى سيناء وهو شجر وكذلك طور سينين قال الاخفش السينين شجر واحدتها سينينة وقرئ سيناء وسيناء بالفتح والكسر والفتح أجود فى النحو لانه بنى على فعلاء قال والكسر ردىء فى النحو لانه ليس فى ابنية العرب فعلاء ممدودا مكسورا الاول غير مصروف الا ان تجعله اعجميا وقال أبو على انما لم يصرف لانه جعل اسما للبقعة فاذا نزعت الياء من سين بقى سن من السن الذى هو الطريق ومنه اشتقاق السنة ويقال سن عليه التراب أى صبه ومنه قول عمرو بن العاص رضى الله عنه فاذا مت فسنوا على التراب سنا أى صبوا وقال البخارى فى قوله تعالى من حمأ مسنون أى مصبوب وقيل متغير منتن ولا سن اسم فاعل من اسنه يأسنه اذا أخذه بأسنانه ووقع فيه وعنفه مشتق من اللسان ومخرج الشين من اللهاة وتشترك مع السين فيما تقدم ومن العرب من يبدل كاف المؤنث شينا فى الوقف وهم ربيعة وهم الكشكشية يفعلون ذلك حرصا على البيان لان الكسرة الدالة على التأنيث فيها تخفى عند الوقف فقالوا عليش ومنش ذكر هذه اللغة الخطابى وقال هم بكر وبها قرأ من قرأ ان الله اصطفاش وطهرش

روى ان معاوية قال يوما أى الناس افصح فقام رجل من السماط فقال يا أمير المؤمنين قوم ارتفعوا عن فراتية العراق وتياسروا عن كشكشة بكر وتيامنوا عن عنعنة تميم وليس فيهم غمغمة قضاعة ولا طمطمانية حمير قال من هم قال قومك قريش ومنهم من يجرى الوصل مجرى الوقف فيبدل أيضا قال شاعرهم وهو المجنون

فعيناش عيناها وجيدش جيدها * سوى عن عظم الساق منش دقيق

أراد عيناك وجيدك وأراد بعن ان وهى لغة معروفة فى قيس وهى التى يقال لها عنعنة قيس على وجه الذم لها وقرأ قارئهم فعسى الله عن يأتى بالفتح يريد ان يأتى بالفتح وينشد فيقول

فعيناك عيناها وثغرك ثغرها * وجيدك الا انها غير عاطل

وربما ادخلوا كاف الخطاب معها كما قال

اذا دنوت جعلت تنئيش * وان نأيت جعلت تدنيش

وان تكلمت حشت فى فيش * حتى ترقى كزقيق الديش

أراد الديك فشبهه بكاف خطاب المؤنث فأبدله منه ومن كلامهم اذا اعياش جاراتش فاقبلى على ذى بيتش ومن العرب من يلفظ بهذه الكاف بين الجيم والشين وذلك من اللغات المرغوب عنها المالم يتهيأ له ان يفرد الجيم ولا الشين * وقد تقدم القول فى الجمع بين القاف والشين فى كلمة واحدة مثل قش وقد ابدلوا الشين من الجيم فى قول الراجز * أرالك اذحبل الوصال مندمش * أى مندمج ومن شكل شين شين خلاف الزين والمشانى المقابح واذازالت الباء بقى شن القربة البالية وقد تقدم وشن عليهم الغارة وأشن اذا فرقها عليهم من كل وجه وشن الماء أيضا صبه وفى الحديث اذاحم أحدكم فليشن عليه الماء البارد ومن الشعر ثلاثا فرق بعض أهل اللغة بين شن وسن فقال فى شن المنقوطة هو فيما افترقت اجزاؤه والسين المهملة فيما لم تفترق تقول شننت الدرع على نفسى وشننت عليهم الغارة والشنين قطران الماء مثل الشلشلة وقد تقدم قال الراجز * يامن لدمع دائم الشنين * وماء شنان بالضم متفرق والشنانة ما يقطر من قربة أوشجر والشنان لغة فى الشنآن قال الشاعر

وما العيش الا ما تلذ وتشتهى * وان لام فيه ذو الشنان وفندا

والشنش التشنج واليبس فى جلد الانسان والشنان البغض والعدا وهو الشانى المبغض وفى القرآن ان شانئك هو الابتر فان أزلت النون الاولى بقى شان وهو الامر والحال وقد تقدم فى فصل فوائد الراء قوله تعالى كل يوم هو فى شان وتقدم أيضا الشأن واحد الشؤون وهى مجارى الدمع قال ابن السكيت الشأنان عرقان ينحدران من الرأس الى الحاجبين ثم الى العينين ويقال لاشأن شأنهم أى لا أفسدت أمورهم ويقال اشأن شأنك أى أعمل ما تحسنه وشأنت شأنه أى قصدت قصده وما شأنت شأنه أى ما اكترثت به ولى مقطوعة مطولة حصرت فيها لفظ شأن وقطعة أخرى التزمت فيها ما شأنى وجواب الخطيب على امثل ذلك انظر جميع ذلك فى كراسة اللزوم فى التكميل ان شاء الله تعالى والشنشنة الخلق والطبيعة قال الشاعر * شنشنة أعرفها من أخزم * وأما قولهم تنشمت منه علما وتنسمت فليس واحد من الحرفين بدلا من صاحبه بل لكل واحد معنى أما تنشمت فهو من قولهم نشمت فى الامر أى ابتدأته ولم أوغل فيه وكذلك تنشمت منه علما أى ابتدأت بطرف من العلم من عنده ولم أتمكن منه ومعنى تنسمت فكانه من النسيم أى استروحت منه خبرا فعلمته وانه تلطف فى التماس العلم منه شيئا فشيئا كهبوب النسيم ومقلوب شن نش وهو عشرون درهما وقد تقدم وذكر أبو عبيد حديث عمر رضى الله عنه انه كان ينس الناس بعد العشاء بالدرة ويقول انصرفوا الى بيوتكم وأنكر ينش بالشين وقال عن بعض أهل العلم انما هو ينس بالسين يقول يسوق الناس والنس هو السوق قال فان كان هذا الحرف محفوظا فهو تصحيف بين على هذا الحديث ولكنى أحسبه ينوش وهذا قد يقرب فى اللفظ من ينش ومعنى النوش صحيح ههنا انما هو التناول يقول يتناولهم بالدرة قال الله تعالى وأنى لهم التناوش من مكان بعيد اذا لم يهمز فهو من التناول ومنه قيل يتناوش القوم فى القتال وكل من انلته خيرا أو شرا فقد نشته ومنه حديث على حين سئل عن الوصية فقال نوش بالمعروف يعنى ان يتناول الميت الموصى له بالشئ ولا يجحد ماله وقد يكون نش بمعنى غلا من الغليان خرج أبو داود عن أبى هريرة رضى الله عنه قال علمت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصوم فتحينت فطره بنبيذ صنعته فى دبا ثم أتيته به فاذا هو ينش فقال اضرب بهذا الحائط فان هذا شراب من

لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر وبما يمكن التطرق الى شرحه اذه ومن الشكل وشل
و وسل على ان الواو فيهما اصلية أما وشل فهو الماء القليل المتحلب تقول وشل الماء
يشل وشلا وجبل واشل يقطر منه الماء وجمع الوشل أوشال ومن أمثالهم وهل
بالرمل أوشال ووقع في السيرة وكان الحمى حي حوه وبه وشل يهبط من جبل
قال الشاعر

ان الذين غزوا بقلبك غادروا * وشلا بعينك لا يزال معينا

وقوله * اقرأ على الوشل السلام وقل له البيت * فهو اسم جبل عظيم بناحية
تهامة ومقلوب وشل شول وهي النوق التي جف لبنها وارتفع ضرعها الواحدة
شائلة على غير قياس وأما الشائل فهي الناقة التي تشول بذنبها أي ترفعه للقاح
ولا لبن لها أصلا والجمع شول ومن مقلوبه أيضا شلو وهو العضو من أعضاء اللحم
وفي الحديث أئتني بشلوها الايمن واشلاء الانسان أعضاؤه بعد البلى والتفرق ونو
فلان أشلاء في بني فلان أي بقايا فيهم وشلية بقية وجمعها أشلايا قال أبو زيد يقال
ذهبت ماشية بني فلان وبقيت لهم شلية ولا يقال الا في المال وأما وسل بالمهملة
ففعل تقول منه وسل الى ربه وسيلة اذا تقرب بعمله اليه والوسيلة المنزلة عند الملك
وقيل هي المحبة و يقال أيضا توسل الى ربه بوسيلة فالتوسل والتوسيل واحد
والتوسل في غير هذا السرقة يقال أخذ فلان ابلي توسلا أي سرقة والواسل
الراغب الى الله تعالى قال لبيد

أرى الناس لا يدرون ما قدر أمرهم * بلى كل ذي دين الى الله واسل

فرغ الكلام في السين والشين وللحريري رحمه الله مصنفة رسالة فيها نظم ونثر
في كل كلمة منها سين وأخرى كذلك سماها الشنشنة وهي في آخر المقامات

خرجت من شئ الى غيره * كذلك الحبر الرئيس النفيس
ينتخب العلم على انه * في ذاك ترويح لهدى النفوس

﴿فصل﴾ من الفوائد الزوائد تقدم قوله تعالى لمسجد أسس على التقوى من
أول يوم أحق ان تقوم فيه اختلف العلماء فيه فقالت طائفة هو مسجد المدينة
وشاهد هذا القول ما روى أبو سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
سئل عن المسجد الذي أسس على التقوى فقال هو مسجدي هذا وقال قوم هو
مسجد قباء وشاهد هذا القول ما في ضمن الآية من قوله تعالى من أول يوم وأول

مسجد

مسجد أسسه رسول الله صلى الله عليه وسلم هو مسجد قباء وكان عليه الصلاة
والسلام أول من وضع حجرا في قبلته ثم جاء أبو بكر بحجر فوضعه ثم جاء عمر بحجر
فوضعه الى حجر أبي بكر ثم أخذ الناس في البنيان وفي الخطابي عن الشموس بنت
النعمان قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بنى مسجد قباء يأتي بالحجر قد
صهره الى بطنه فيضعه فيأتي الرجل يريد أن يقله فلا يستطيع حتى يأمره ان يدعه
ويأخذ غيره ومعنى صهره ألصقه و يقال أيضا أصهره ومنه اشتقاق الصهر في
القرابة وأتم عمار رحمه الله هذا المسجد وهو الذي جمع الحجارة له وهو أول مسجد
بني في الاسلام وفي أهله نزلت فيه رجال يحبون ان يتطهروا فهو على هذا القول
المسجد الذي أسس على التقوى في بني عمرو بن عوف ولهم قال النبي صلى الله عليه
وسلم ما هذا الطهور الذي اثنى الله عليكم فذكروا الاستنجاء بالماء بعد الاستجمار
بالحجارة فقال هو ذاكم فعليكموه قال الاستاذ رحمه الله بعد ان ذكر هذا الكلام
وليس بين الحديثين تعارض كلاهما أسس على التقوى غير ان قوله سبحانه من أول
يوم يقتضي انه مسجد قباء لان تأسيسه كان في أول يوم من حلول رسول الله صلى الله
عليه وسلم دار هجرته والبلد الذي هو مهاجره وهو أول التاريخ الذي اتفق عليه
عمر والصحابة رضي الله عنهم لانه الوقت الذي أعز الله فيه الاسلام والحين الذي
أمن فيه النبي صلى الله عليه وسلم وأسس المساجد وعبد الله آمنا كما يحب فوافق
رأيهم هذا ظاهر التنزيل وكانوا أعلم الناس بالتأويل رضي الله عنهم أجمعين وعلى
هذا فليس يحتاج في قوله تعالى من أول يوم الى اضمار كما قدره بعض النحو بين من
تأسيس أول يوم فرارا من دخول من على الزمان ومن تدخل على الزمان قال الله
تعالى لله الامر من قبل ومن بعد انتهى كلامه * وتقدم آس جاء منه في الحديث
في حديث قيلة الطويل الذي خرجه أبو بكر بن أبي شيبة وغيره ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال أيغلب أحيدكم على أن يصاحب صويحبه في الدنيا معروفا
فاذا حال بينه و بين من هو أولى به منه استرجع ثم قال رب آسني ما أمضيت وأعني
على ما أبقيت و رواه الخطابي رب أسني وقال معناه عوضني وأنشد * أسني فقد
قلت رفاد الاوس * ويقال أنا أستئيس الله منك اخا أي استبدله منك أخا والله
مستآس أي معتاض وأنشد * وكان الاله هو المستآسا وقوله في الحديث
أحيدكم تصغير أحدكم وكذلك صويحبه تصغير صاحب وقوله استرجع هو قول

الرجل انا لله وانا اليه راجعون وكذلك قولهم هيلل حكاية عن لا اله الا الله وسبحل حكاية عن سبحان الله وحمدل عبارة عن الحمد لله وحوقل عبارة عن لا حول ولا قوة الا بالله وجعفل اذا قال جعلنى الله فداك ودمعز اذا قال أدام الله عزك وطبقل اذا قال أطال الله بقاءك وربما قالوا فى هذه طلبق وقد تقدم بأبأ اذا قال بأبى أنت ويقال فداءك بالمد والهمز وبكسر الفاء فاذا فتحت الفاء قصرت فقلت فدا الشوفدى لك ويقال حوقل الشيخ حوقلة وحيقالا اذا كبر وفتر عن الجماع قال الراجز

يا قوم قد حوقلت أو دنوت • وبعض حيقال الرجال الموت

ويروى حيقال وتقدم أويس تصغير أوس وبه سمى أويس القرنى سيد التابعين رضى الله عنهم جاء فى الخبر عن أبى هريرة رضى الله عنه قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حلقة من أصحابه قال ليصلين غدا معكم رجل من أهل الجنة قال ابو هريرة فطمعت أن أكون أنا ذلك الرجل فغدوت فصليت خلف النبى صلى الله عليه وسلم وأقمت فى المسجد حتى انصرف الناس وبقيت أنا وهو فبينما نحن كذلك اذ أقبل رجل اسود متزر بخرقة فجاء حتى وضع يده فى يد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال يا نبى الله ادع الله لى فدعا النبى صلى الله عليه وسلم له بالشهادة وانا لنجد منه ريح المسك الاذفر فقلت يا رسول الله أهو هو قال نعم انه لمملوك لبنى فلان قلت أفلا نشتريه فتعتقه يا نبى الله قال وأنى ذلك ان كان الله يريد أن يجعله من ملوك الجنة وسادتهم يا أبا هريرة ان الله يحب من عباده الاصفياء الاخفياء الابرياء الشعثة رؤسهم المغبرة وجوههم الخمصة بطونهم من كسب الحلال الذين اذا استأذنوا على الامراء لم يؤذن لهم وان خطبوا المتنعمات لم ينكحوا وان غابوا لم يفتقدوا وان حضروا لم يدعوا وان طلعوا لم يفرح بطلعتهم وان مرضوا لم يعادوا وان ماتوا لم يشهدوا قالوا يا رسول الله كيف لنا برجل منهم قال ذاك أويس القرنى قالوا وما أويس القرنى قال أشهل ذو صهوبة بعيد ما بين المنكبين معتدل القامة آدم شديد الادمة ضارب بذقنه الى صدره رام ببصره الى موضع سجوده واضع يمينه على شماله يتلو القرآن يبكى على نفسه ذو طمرين لا يؤبه له متزر بازار صوف ورداء صوف مجهول فى أهل الارض معروف فى السماء لو أقسم على الله لابر قسمه ألا وان تحت منكبه الايسر لمعة بيضاء ألا وانه اذا كان يوم القيامة قيل للعباد ادخلوا الجنة ويقال لاويس قف فاشفع فيشفعه الله فى مثل عدد ربيعة ومضر وجاء فى خبر آخر أبين من

هذا وأطول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يكون فى أمتى رجل يقال له أويس القرنى يدخل فى شفاعته عدد ربيعة ومضر لو أقسم على الله لابره فمن لقيه بعدى فليقرئه منى السلام فقال على بن أبى طالب رضى الله عنه يا رسول الله أفنا من يلقاه قال نعم أنت وعمر بن الخطاب فاذا رأيتماه فاقرئاه منى السلام واسألاه أن يستغفر لكما فقال على يا رسول الله وما علامته قال هو رجل أصهب أشهل ذو طمرين أبيضين له أم وقد كان به بياض فدعا الله عز وجل فأذهبه عنه الا مقدار الدينار أو الدرهم لا يؤبه به مجهول فى الارض معروف فى السماء قال ابن عباس رضى الله عنهما فلما كان فى زمن عمر رضى الله عنه قدم عليه أهل الكوفة فقال لهم هل تعرفون رجلا من أهل اليمن يقال له أويس القرنى فقال رجل نعم يا أمير المؤمنين غير انه رجل يسخر منه وأهل الكوفة يهزؤن به فتنفس عمر الصعداء وقال ويحك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرنا بخبره وقص عليهم ما قاله عليه الصلاة والسلام ثم قال عمر واشوقاه الى النظر اليه قال فسكت الكوفيون وأخفوا ذلك فى نفوسهم فلما رجعوا الى الكوفة نظروا الى أويس بغير العين التى كانوا ينظرون بها اليه وجعلوا يسألونه أن يستغفر الله لهم فقال لهم يا قوم قد كنتم قبل اليوم تسخرون منى وتهزؤن بى فما الذى بدا لكم فاخبروه بما أخبرهم به عمر رضى الله عنه فقال لهم أستغفر لكم وأنشدكم الله أن لا تسخروا بى ولا تذكروا ما قال لكم عمر رضى الله عنه لاحد قالوا لك ذلك ثم غاب ولم ير بالكوفة وجعل عمر رضى الله عنه يسأل عنه الرفاق عشر سنين فلم يسمع له خبرا حتى كان آخر حجة حجها عمر فسأل عنه كما كان يسأل فوثب اليه رجل وقال يا أمير المؤمنين انك قد أكثرت السؤال عن أويس وما فينا من اسمه أويس الا ابن أخ لى وأنا عمه غير انه أخمل ذكرا قال فسكت عمر وظن انه ليس الذى يريده ثم قال له يا شيخ فأين ابن أخيك هذا أهو معنا بالحرم قال نعم غير انه فى أراك عرفة يرعى ابلا لنا قال فاستوى عمر بن الخطاب وعلى بن أبى طالب رضى الله عنهما على حمارين لهما وسارا الى اراك عرفة وجعلا يتخللان الشجر فاذا هما بأويس فى طمرين من صوف أبيض قد صف بين قدميه قائما يصلى وقد رمى ببصره الى موضع سجوده وألقى يديه على صدره فقال عمر لعلى رضى الله عنهما ان كان فهذا هو وهذه صفته ثم نزلا وشدا حماريهما الى أراكة فلما سمع أويس حسهما أوجز فى صلاته فتقدما اليه وسلما عليه فقال وعليكما السلام

ورحمة الله وبركاته فقال له عمر من أنت يرحمك الله قال راعى ابل أو أجير قوم قالا لا نسألك عن الرعاية ولا عن الاجارة فما اسمك قال عبد الله قالا قد علمنا ان أهل السموات والارض كلهم عبيد الله عز وجل فما الذى سمتك به أمك قال يا هذان ماذا تريدان قالا وصف لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرفناك بصفتك فبكى أويس بكاء شديدا وقال لهما عسى أن يكون ذلك غيرى فقالا له وأخبرنا عليه الصلاة والسلام ان تحت منكبك الايسر لمعة بيضاء فأوضحها لنا فأوضح منكبه فاذا اللمعة تحته فابتدرا اليه وجعلا يقبلانه وسألاه أن يستغفر لهما فقال ما أخص باستغفارى نفسى ولا واحدا من بنى آدم ولكنه فى البر والبحر للمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات يا هذان من انتما قال على هذا عمر أمير المؤمنين وأنا على بن أبى طالب فقال جزاكما الله عن هذه الامة خيرا وبدا منهما الفرح والاستبشار فقالا له وأنت جزاك الله عن نفسك خيرا ثم قال له عمر مكانك رحمك الله حتى أدخل مكة فآتيك بنفقة وفضل كسوة من ثيابى فقال يا أمير المؤمنين لا ميعاد بينى وبينك ولا أعرفك ولا تعرفنى بعد اليوم وما أصنع بالنفقة والكسوة أما ترى على ازارا من صوف ورداء من صوف متى ترى انى أخرقهما أما ترى نعلى مخصوفتين متى ترى أبليهما وقد أخذت من رعايتى أربعة دراهم فمتى ترانى أنفقها يا أمير المؤمنين ان بين يدى عقبة لا يقطعها الا كل مخف فأخف يرحمك الله فلما سمع عمر كلامه ضرب بيديه الى الارض ونادى بأعلى صوته ألا ليت عمر لم تلده أمه ليتها عقرت لم تعالج حمله وولى عمر وعلى رضى الله عنهما نحو مكة وساق أويس الابل لاصحابها وخلى عن الرعاية وأقبل على العبادة حتى لحق بالله عز وجل وكان فى موته عبرة قال عبد الله بن سلمة غزونا أذربيجان زمن عمر بن الخطاب ومعنا أويس القرنى فلما رجعنا مرض فمات فنزلنا فاذا قبر محفور وماء مسكوب وكفن وحنوط فغسلناه وكفناه وصلينا عليه ودفناه فقال بعضنا لبعض لو رجعنا فعلمنا قبره فرجعنا فاذا لا قبر ولا أثر وله فضائل كثيرة اختصرتها رضى الله عنه وتقدم قول الله تعالى ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا اعرابه ساء مثلا مثل القوم والذى نزلت فيه وضرب مثله بالكلب هو بلعم بن باعورا وكان مجاب الدعوة يعلم اسم الله الاعظم وكان من مدينة الجبارين وقيل من اليمن فلما أقبل موسى فى بنى اسرائيل يريد قتالهم سأل الجبارون بلعم بن باعورا أن يدعو على موسى فقام

ليدعو فتحول لسانه بالدعاء على أصحابه فقيل له فى ذلك فقال لا أقدر على أكثر مما تسمعون ولكنى أرى أن تخرجوا اليهم بنسائكم فان الله يبغض الزنا فان وقعوا فيه هلكوا ففعلوا فوقع بنو اسرائيل فى الزنا فأرسل الله عليهم الطاعون فمات منهم سبعون ألفا ودعا عليه موسى عليه السلام أن ينسيه الله اسمه الاعظم فنسيه وكان هو قد دعا قبل ذلك أن لا يدخل موسى مدينة الجبارين فاستجيب له وقال عبد الله بن عمر نزلت فى أمية بن أبى الصلت كان قد قرأ الكتب وكان يخبر الناس بصفة رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث فلما بعث كفر به ومعنى فانسلخ منها نزع منه العلم الذى كان يعلمه * والشئ يذكر بالشئ * قال قوم بالزنا الملك وقال آخرون بتركه الملك خرج الترمذى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان الكفل من بنى اسرائيل لا يتورع من ذنب عمله فأتته امرأة فأعطاها ستين دينارا على أن يطأها فلما قعد منها مقعد الرجل من امرأته ارتعدت وبكت فقال ما يبكيك أأكرهتك قالت لا ولكنه عمل ما عملته قط وما حملنى عليه الا الحاجة قال اتفعلين أنت هذا وما فعلته اذهبى فهى لك وقال والله لا أعصى الله بعدها أبدا فمات من ليلته فأصبح مكتوبا على بابه ان الله قد غفر للكفل ومثل الذى تحول لسانه بالدعاء على قومه ما يحكى ان أحد الملوك أمر بقتل رجل فقال له المأمور بقتله وهو وزيره حتى تكتب لى بذلك خط يدك وكان ذلك الرجل محبوسا فلما أراد أن يكتب يقتل فلان فحول الله خطه فكتب يطلق فلان فقال الوزير ذلك الطلق بك فقال وما هو قال أمرتنى بالطلاقه قال أرنى فأراه خطه بذلك فاغتاظ وقال والله ليقتلن ثم قطع ذلك الكتاب وأراد أن يكتب والله ليقتلن فكتب والله ليطلقن فأخذ الوزير البطاقة وجعل يشكره فقال وماذا لك ويحك قال أقسمت ليطلقن قال أرنى فأراه المكتوب بذلك فرق الكتاب وقال والله ليطلقن والله ليطلقن على رغم أنفى قلت وهذا موضع

من ينجه الله فذاك الذى * ينجو والا فهو الهالك

وتقدم قوله تعالى وما تشاؤن الا أن يشاء الله ولله مشيئة قديمة وللعبد أيضا مشيئة يخلقها الله له لكنها تابعة لمشيئة الله تعالى وقد تقدم هذا وان شئت سميتها ارادة وعليها يقع الثواب والعقاب مع القدر السابق والارادة المتقدمة من الله تعالى ولذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم لا يقل أحدكم ما شاء الله وشاء فلان ولكن

قولوا ما شاء الله ثم ما شاء فلان فانظر قوله عليه الصلاة والسلام ثم كيف تعطى التعقيب على مذهب العرب ومعرفتهم بتنزيل الكلام قلت فاذا كانت مشيئة الله تعالى سابقة وارادته متقدمة فلم يبق الا التسليم والتفويض لله والرضى بقضائه وأقل من ذلك الصبر الذى اليه ترجع شئت أو أبيت ولله القائل

وانى ان لم ألزم الصبر طائعا * فلا بد منه مكرها غير طائع

وقد تقدم وأذكرنى هذا المعنى أبياتا قلتها اذ مات أبى رحمه الله تعالى

من كان ذا إلف وفارقه * فلقد أصيب بأسهم الحزن
لا سيما ان كان صاحبه * قد قابل الاحسان بالحسن
لكن الى الصبر الرجوع فهو * حصن منيع أيما حصن
والصبر عند الحرب فى الصدمة الاولى والاقل ما يغنى
أما الرضا من لم ينله فقد * أشفى على الحرمان والغبن
فارض بما يأتيك من قدر * أو فاصطبر تفض الى الامن
ما بعد ما سميت منزلة * الا لاهل الضعف والجبن

ولله الذى يقول   شربوا بكاس الرضى * فغذتهم تحف النعيم
صبروا على مر القضا * ورضوا بأحكام الحكيم
فهم الذين هموهمو * أهل المودة فى القديم
عذب العذاب بحبهم * فعذابه فيهم نعيم

قلت درجة الرضى رفيعة وهى الاعلى من أهل الهامية كذلك من رضى رضى الله عنه ومن سخط سخط الله عليه ولى فى هذا المعنى من شعر مطول أوله

قد قسم الله الخطط * بين الورى بلا غلط
فواحد فيها علا * وآخر فيها هبط
وفيهم من قد دنا * وفيهم من قد شحط
وكل ذا قدره الله * وذا فى اللوح خط
فارض بما أراده * وشاء من رفع وحط
ولا تكلف غير ذا * فتقع فى الشطط
فان رضيت فالرضى * وان سخطت فالسخط
فما أراد كائن * هذا هو الحق فقط

لا باسط لما ذوى * لا قابض لما بسط
لا دافع لما قضى * من قال غير ذا سقط

انظرها فى التكميل * أهل الرضاء هم الذين يتلذذون بالبلاء ويقولون ضرب الحبيب لا يوجع وهذا لا يكون الا لاهل المحبة وقال الجنيد رضى الله عنه قلت لسرى السقطى رضى الله عنه هل يجد المحب ألم البلاء قال لا قلت وان ضرب بالسيف قال وان ضرب بالسيف سبعين ضربة ضربة على ضربة وقال بعضهم أحببت كل شئ يحبه حتى لو أحب النار أحببت الدخول فى النار وقال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ما بقى لى فرح الا فى موقع قدر الله تعالى وضاع لبعض الصوفية ولد صغير ثلاثة أيام فقيل له فى ذلك لو سألت الله تعالى أن يرده عليك فقال اعتراضى عليه فيما قضى أشد من ذهاب ولدى ولى فى هذا المعنى

قضاء الله ينفذ لا محاله * فلا تكثر على القدر المقاله
وسلم وارض أو فاصبر والا * سقطت فسل من الله الاقاله
فان لم تقو تعمل ذا ولا ذا * جهلت وأى داء كالجهاله

وكان عبد الله بن مسعود رضى الله عنه يقول ما أبالى اذا رجعت الى أهلى على أى حال أراهم أبسراء أم بضراء وما أصبحت على حال فتمنيت انى على سواها وكان يقول لأن ألحس جمرة أحرقت ما أحرقت وأبقت ما أبقت أحب الى من أن أقول لشئ كان ليته لم يكن أو لشئ لم يكن ليته كان ولى فى هذا المعنى

تشبث بالقضاء ولا تبالى * سقطت على حشايا أو نبال
فربك عالم بمصالح الخلق فاسكن لا تسكن رث الحبال
وسلم للذى يدرى مكاييل ماء البحر مع وزن الجبال

وأيضا   اذا كنت يا مولاى عنى راضيا * فما ان أبالى أى شئ أصابنى
ولكن عسى ان كان ضر اذا أعطنى * على حمله صبرا والا فعافنى

وبدلت هذه القافية فقلت

اذا كنت يا مولاى عنى راضيا * فما ان أبالى بعد ذا كيف أسقط
ولكن اذا عافيتنى ورزقتنى * على ذا الشكرا كانت النفس تنشط

وبقيت هنالك نكتة فى مثل قول عبد الله بن مسعود ليته لم يكن انما كرهه لمن يقوله على جهة الاعتراض على القضاء والسخط له والتبرم به بل يلحظ من باطنه ان

الخير فيما يصنع الله تعالى وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون وقد جعل الله تعالى في المكروه خيرا كثيرا فقال فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا روى عن بعض الصحابة رضى الله عنهم انه كان يقول اذا استخرت الله في أول يومى ما أبالى ما أصابنى في آخره ويروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه قال في الحجة التى انصرف منها ولم يحج بعدها الحمد لله الذى لا اله الا هو معطى من شاء لقد كنت في هذا الوادى يعنى ضجنان أرعى ابلا للخطاب وكان فظا غليظا يتعبنى اذا عملت ويضربنى اذا قصرت وقد أصبحت وليس بينى وبين الله عز وجل أحد أخشاه ثم تمثل بهذه الابيات فقال

لا شئ مما ترى تبقى بشاشته * يبقى الاله ويودى الاهل والولد
لم تغن عن هرمز يوما خزائنه * والخلد قد حاولت عاد فما خلدوا
ولا سليمان اذ تجرى الرياح له * والانس والجن فيما بينها ترد
أين الملوك التى كانت لعزتها * من كل أوب اليها وافد يفد
حوض هنالك مورود بلا كذب * لا بد من ورده يوما كما وردوا

وقال الخطابى رحمه الله جاء في الحديث لا يضر الغبط كما لا يضر الشجر الخبط وفسره الغبط مصدر غبطت الرجل أغبطه غبطا اذا كان له يسار ونعمة فتمنيت أن يكون لى مثل ذلك وهذا غير مكروه ما لم تتمن فقده منه وزوال النعمة عنه اليك وانما المكروه من ذلك والمذموم منه الحسد وهو أن تتمنى زوال نعمته وانتقالها اليك والخبط أن تشد أغصان الشجرة ثم تضرب بعصا ليتحات ورقها يقول كما لا يضر هذا أصول الشجر لان ورقها مستخلف فكذلك الغبط لا يضر صاحبه لانه انما يسأل الله من فضله انتهى كلامه قلت فاذا كان التمنى من العبد أن لا يكون ولا يخلق على جهة الحذر والاشفاق مما يتوقع في الآخرة من الاهوال مع احتقاره لقلة عمله وفرط الخوف على نفسه فقد تمنى ذلك فضلاء ما الحون أعلاهم أبو بكر الصديق رضى الله عنه قال وقد أبصر طائرا على شجرة طوبى لك يا طائر تأكل الثمر وتقع على الشجر لوددت انى ثمرة تنقرها الطير وأبو حفص عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول وأخذ تبنة من الارض ليتنى هذه التبنة ليتنى لم أكن شيئا ليت أمى لم تلدنى ليتنى كنت نسيا منسيا وسمع رجلا يقرأ هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا فقال عمر يا ليتها تمت وغير هؤلاء كثير تمنوا ان لم يكونوا قال بعضهم

ليتنا لم نخلق وليتنا اذ خلقنا لم نمت وليتنا اذ متنا لم نبعث وليتنا اذ بعثنا لم نحاسب وليتنا اذ حوسبنا لم نعذب وليتنا اذ عذبنا لم نخلد * وذكر الحسن بن أبى الحسن البصرى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يخرج رجل من النار بعد ألف سنة قال الحسن ليتنى كنت ذلك الرجل هذه حالة القوم وهم من هم كيف بأمثالنا ونحن نحن لا قوة الا بالله لكن قد صدق الذى يقول وقد سئل ما بال العمال أكثر الناس خوفا والبطالين أكثر الناس أمنا فقال من أى شئ تعجب ذلك لكثرة علم أولئك وجهل هؤلاء لقد قال رحمه الله حقا من خاف شيئا عمل على التخلص منه وقال بعض الحكماء حكمة هداه الله لها خف الله خوفا يشغلك عن الرجاء فان الرجاء يشغلك عن الخوف وما أشبه حالنا يا أخى بما قاله بعض العلماء وعلم من حيث أتينا وبما دهنا قال رضى الله عنه ثلاثة استهوت العامة وأعظمت الشبهة على أكثر الخاصة أولها الاسلام لم يزل الشيطان والضعف يلهجانه الحمد لله على الاسلام ومات فلان على الاسلام والجنة للمسلمين حتى ربما خرج كثير الى الاتكال على لفظ الشهادتين وأضربوا عن العمل رأسا والثانى باب الرحمة وباب الكرم والمغفرة لم تزل الخدع والوساوس تكررها حتى أنسينا العقاب جملة وصار أحدنا يقتحم الذنوب ويتقاحم على المعاصى ولا يشك انه من المتوكلين على رحمة الله ويقول الله غفور رحيم ورحمة الله أكثر من ذنوبنا والثالث الرجاء فانه استدرجنا الهوى وغرور اللعين به حتى ذهب عنا الخوف مرة وتصور للمذنب والمخلط انه لا شك من أهل الرجاء الممدوح أهله والمغفرة وبابها انما هى لاهلها واطالبها وافطالها والخائف من عقوبة ذنبه المستقيل من زلته المتنصل من جنايته وأما من طلب المغفرة وسأل الرحمة والتجاوز وهو مقيم على اقترافه واتباع شهواته فهذا متمن على الله متحكم عليه ولا خلاف بين المؤمنين ان أسباب رضوان الله تعالى هى طاعاته وأسباب سخطه هى معاصيه فمن زعم ان الرجاء مع الاصرار صحيح فليزعم ان طلب الربح في الفقر وقدح النار في البحر صحيح وانما تكلم العلماء في ان الجائز الممكن أن يغفر الله الذنب اذا شاء وان كان قد توعد عليه فان لصاحب الحق تركه ومن صفات الكريم الوفاء بالوعد والتجاوز عن الوعيد فاما أن يقول أحد ابتداء ان الله تعالى وعد المغفرة للمصرين فأعوذ بالله ولو كان ذلك كذلك لكان اذنا لهم واباحة لركوب المعاصى وهذا هدم للنبوات كلها ونقض للشرائع بأسرها وفي الحديث

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله وفى القرآن العزيز ان رحمة الله قريب من المحسنين وقد فسر النبى صلى الله عليه وسلم الاحسان فقال ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وقال الحسن رضى الله عنه ان قوما ألهتهم أمانى المغفرة حتى خرجوا من الدنيا وليست لهم حسنة يقول أحسن الظن بربى كذب لو أحسن الظن بربه لأحسن العمل وتلا قوله تعالى وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين وكتب أبو عمير المنه ورى الى بعض اخوانه أما بعد فانك قد أصبحت تأمل بطول عمرك وتتمنى على الله الأمانى بسوء فعلك وانما تضرب حديدا باردا وقال الشاعر يتغنى ويسلى نفسه بما يتمنى

منى ان تكن حقا تكن أحسن المنى * والا فقد عشنا بها زمنا رغدا

ومن التمنى الكاذب قول الراجز

غنبا أرجيه ظنون الاظنن * أمانى الكركم اذقال اسقنى

ذكره ابن قتيبة وقال وهذا انما يقول الناس منى الكمون ذكره فى حديث النبى صلى الله عليه وسلم بينا هو وجبريل يتحدثان تغير وجه جبريل عليه السلام حتى عاد كأنه كركمة وقال الكركمة واحدة الكركم وهو الزعفران انتهى كلامه ومن أسماء الزعفران أيضا الايدع قال الراجز * كما اتقى المحرم حج الايدعا * والكلام أيضا فى هذا الفن طويل والحق ثقيل الا على القليل وبعد فمثل هذا الباب يفرح أولوا الالباب ويسر به الاحباب لانه لباب اللباب وتقدم ذكر السوسان ولا أعرفه بالالف وأنشدنى الفقيه أبو عبد الله بن الفخار رحمه الله لاحد قضاة الاندلس وقد أتى بامرأة بيضاء وقع عليها رجل أسود فقال

رأيت غرابا على سوسنه * وذلك دليل لسوء السنه

فيا مرود الآبنوس افتخر * ويا مكحل العاج زدمهونه

وتقدم اساء سمعا فأساء جابة قال أبو عبيد قائله سهيل بن عمرو قال ذلك لابن له يحكى انه قال له انسان يوما أين أمك بفتح الالف يريد أين تؤم فظن انه يقول أين أمك فقال ذهبت تشترى دقيقا فقال سهيل أساء سمعا فأساء جابة فلما انصرف الى زوجته أخبرها بما قال ابنها فقالت أنت تبغضه فقال أشبه امرؤ بعض بزه فأرسلها مثلا لم يذكر أبو عبيد اسم الابن ولا اسم أمه وذكره غيره قال اسمه أنس وأمه

الحنفاء

الحنفاء بنت أبى جهل يقال انه نظر يوما الى رجل على ناقة يتبعها خروف فقال لابيه يا أبت أذلك الخروف من تلك الناقة فقال صدقت هند بنت عتبة وكانت قالت حين خطبها فلم تنكحه ان جاءت منه حليلته بولد أحمقت وان أنجبت فعن خطأ وسهيل هذا والد أبى جندل الذى تقدم ذكره وهند هذه هى امرأة أبى سفيان بن حرب أسلمت هى وزوجها عام الفتح وجاءت مع نسوة من قومها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو واقف على الصفا وعمر بن الخطاب رضى الله عنه يكلمهن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أخذ عليهن ان لا يشركن بالله شيئا قالت هند قد علمت أن لو كان مع الله غيره لاغنى عنا فلما قال ولا يسرقن قالت وهل تسرق الحرة فلما قال ولا يزنين قالت هل تزنى الحرة يا رسول الله فلما قال ولا يعصينك فى معروف قالت بأبى أنت وأمى ما أكرمك وما أحسن ما دعوت اليه فلما سمعت ولا يقتلن أولادهن قالت ربيناهم صغارا حتى قتلتهم أنت وأصحابك كبارا يوم بدر قال فضحك عمر من قولها حتى مال رضى الله عن جميعهم وتقدم ذكر آسنى وفى حديث أنس بن مالك رضى الله عنه قال قدمت على أبى عبيدة بن الجراح رضى الله عنه فأنزلنى فى ناحية بيته وامرأته فى ناحية وبيننا ستر قال فكان يحلب الناقة فيجىء بالاناء فيضعه فى يدى فقال له رجل أتنزل هذا فى ناحية بيتك مع امرأتك فقال

أراقب فيه قبر من لو لقيته * سلمها لآسانى على كل مركب

قوله آسانى أى جعلنى اسوته فيه ومعنى قوله أراقب فيه يعنى انه يراقب فيه النبى صلى الله عليه وسلم لمكان الانصار منه ووصيته بهم ومكان أنس بن مالك من خدمته صلى الله عليه وسلم وأول هذا المثل ما يروى عن هشام بن عروة عن أبيه قال لما قدم بابن محمد بن أبى بكر وابنته ضمتهما عائشة رضى الله عنها لها فلما شبا وقويا على انفسهما قالت عائشة لاخيها عبد الرحمن بن أبى بكر وكان شقيقها انى أظنك قد وجدت فى نفسك من توليتى عليك أمر ولدى أخيك ولم يكن ذلك لشئ تنكره انما كرهت أن يلى نساؤك منهما قبيح أمر الصبيان وقد قويا على انفسهما فضمهما اليك وكن لهما كما كان جبة بن الغرب فانه غزا غزوة وخلف ابنى أخيه عند أهله فرجع وقد هزلا وقشبا فسألهما عن حالهما فأرياه قعبا مشعبا وقالا كانت تغوتنا فى هذا فأرسل الى عشيرته فقال أشهدكم ان غنمى وابلى ورقيقى لابنى أخى فغضبت امرأته وضربت بينها وبينه حجابا وجعلت تكشف مرة وتتحجب أخرى فأنشأ يقول

لجئنا ولجت هذه في التغضب * ولاظ حجاب بيننا بالتجنب
وخطت بعودي اثمد جفن عينها * لتفتنني أوشد ما حب زينب
وكان اليتامى لا تسد شعورهم * عداباً لهم في كل قعب مشعب
فقلت لعبدينا أريحا عليهما * سأجعل بيتي بيت آخر مغرب
رحمت بني سعدان اذ قل مالهم * وحق لهم مني ورب المحصب
أحابي به من لو أتيت لماله * حريباً لآساني على كل مركب
أخي والذي ان أدعه لعظيمة * يجبني وان أغضب الى السيف يغضب
فقلت خذوها دونكم ان عمكم * هو اليوم أولى منكم بالتكسب

وتقدم ذكر العثة وجاء منه في الحديث ان أبا بكر الصديق رضي الله عنه كتب الى خالد بن الوليد رضي الله عنه بعد أن فتح اليمامة أما بعد فقد صغر عندي هذا الفتح مصيبتي بالمهاجرين والانصار وعث على بكاء الحي على القتيل ولو كنت قتلت الرجال وسبيت العيال كففت البواكي وشفيت الحزن وقوله عث يعني أفسد كما تصنع العثة بالصوف والجلد وجمعها عث وتقدم ذكر السلسلة وفي القرآن العظيم منها ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه قيل هو من المقلوب ومعناه اسلكوها فيه جاء في الخبر انها تدخل من دبره وتخرج من منخريه وفي آخر تدخل من فيه وتخرج من دبره ثم يسحبون في الحميم أي يجرون ثم في النار يسجرون أي توقد بهم فهم وقودها كما قال تعالى وقودها الناس والحجارة قيل حجارة الكبريت ولما نزلت هذه الآية ثم في سلسلة قال أبو الدرداء قد نجاك الله من نصف السلسلة بالايمان فاجتهد أن ينجيك الله من النصف الآخر بالحض على طعام المسكين ومعنى طعام المسكين في الآية محمول على تقدير حذف المضاف وتقديره ولا يحض على الطعام طعام المسكين كانت أم الدرداء هذه امرأة أبي الدرداء وقد تقدم ان اسمها خيرة وكانت خيرة عند اسمها رضي الله عنها وقع في الجاهلية ان أم الدرداء قالت اللهم ان أبا الدرداء خطبني فتزوجني في الدنيا اللهم فأنا أخطبه اليك وأسألك أن تزوجنيه في الجنة فقال لها أبو الدرداء فان أردت ذلك وكنت الاولى فلا تتزوجي بعدي قال فمات أبو الدرداء وكان لها جمال وحسن فخطبها معاوية فقالت والله لا أتزوج زوجا في الدنيا حتى أتزوج أبا الدرداء ان شاء الله في الجنة قلت واذ وقعنا في هذا الباب فلنذكر من هذا النوع في هذا الكتاب والشيء يذكر بضده كما

يذكر

يذكر بنده يروى ان امرأة من بني يشكر كانت عند ابن عم لها يقال له غسان مات عنها بعدما سألها عما تصنع بعده فقال وكان اسمها أم عقبة

أخبري بالذي تريدين بعدي * والذي تضمرين يا أم عقبه
تحفظيني من بعد موتي لما قد * كان مني من حسن خلق وصحبه
أم تريدين ذا جمال ومال * وأنا في التراب في سجن غربه

فقالت والله لا أجيبك بكذب ولأجعلنه آخر حظي منك وأنشدته

قد سمعت الذي تقول وما قد * يا ابن عمي تخاف من أم عقبه
أنا من أحفظ النساء وأرعاه * لما قد أوليت من حسن صحبه
سوف أبكيك ما حييت بنوح * ومراث أقولها وبندبه

فلما سمعها أنشأ يقول

أنا والله واثق بك لكن * احتياطاً أخاف غدر النساء
بعد موت الازواج بالخير من عو * شر فارعي حقي لحسن الوفاء
انني قد رجوت أن تحفظي العهد * فكوني اذ مت عند الرجاء

ثم اعتقل لسانه فلم ينطق حتى مات فلم تمكث بعده الا قليلا حتى خطبت من كل جانب ورغب فيها الازواج لاجتماع الخصال الفاضلة فيها فقالت مجيبة لهم

سأحفظ غسانا على بعد داره * وأرعاه حتى نلتقي يوم نحشر
واني لفي شغل عن الناس كلهم * فكفوا فما مثلي بمن مات يغدر
سأبكي عليه ما حييت بدمعة * تجول على الخدين ثم هي تنهمر

فلما تطاولت الايام تناست عهده وقالت من مات فقد فات فأجابت بعض خطابها فتزوجها فلما كانت الليلة التي أراد الدخول بها أتاها آت في منامها فقال

غدرت ولم ترعي لبعلك حرمة * ولم تعرفي حقا ولم تحفظي العهدا
ولم تصبري حولا حفاظا لصاحب * حلفت له بتا ولم تنجزي الوعدا
غدرت به لما ثوى في ضريحه * كذلك ينسى كل من سكن اللحدا

فلما سمعت هذه الابيات انتبهت مرتاعة كأن غسان معها في جانب البيت وأنكر ذلك من حضرها من نسائها فأنشدتهن الابيات فأخذن معها في حديث لينسينها ما هي فيه فتغفلتهن وأخذت مدية فلم يدركنها حتى ذبحت نفسها فقالت امرأة منهن

لله درك ماذا * أفنيت من غسان

قتلت نفسك حزنا * يا خيرة النسوان
وفيت من بعد ما قد * هممت بالعصيان
وذو المعالي فخور * لسقطة الانسان
ان الوفاء من الله لم يزل بمكان

ومن هذا الباب ما يروى ان البعيث ضرب على سويد بن مقرن وكان قد نظر الى امرأته فبكى ونظرت اليه فبكت فقال لها ما يبكيك فقالت له وما يبكيك أنت قال ذكرت موتي وتزوجك بعدي فأبكاني ذلك قالت وذلك والله أبكاني فتعاهدا فلما خرج لوجهه مات فلم تزل زوجته باكية وكثر خطابها وعزمت عليها أمه فأسعفتها وتزوجت فلما كانت ليلة اهدائها أغفت فرأت زوجها الاول أخذ بعضادتي الباب وهو يقول

حييت سكان هذا البيت كلهم * الا الرباب فاني لا احييها
قد كنت أحسبها للعهد حافظة * حتى تموت وما جفت مآقيها
استبدلت بدلا غيري وقد علمت * ان القبور تواري من ثوى فيها

فانتبهت وقصت ذلك على أمها فصبرتها ثم أغفت ثانية فرأته وهو يقول

كانت لنا خلة ترضى مودتها * في النائبات ولا نخشى تعديها
أمست عروسا وأمسى منزلي جدثا * تحت التراب واني لا ألاقيها
الله يعلم اني لم أقل سفها * فيما زعمت واني لا ألاقيها

فانتبهت وقالت والله لا أجمع رأسي ورأس هذا أبدا فاختلعت منه ولم تزل باكية حتى ماتت رحمهما الله وفي ضد هذا ما يروى ان رجلا كانت له جارية يحبها وتبغضه فسامته البيع فباعها ثم ندم وأنشد

نأت الغداة بوصالها غدار * فدموع عينك ما تجف غزار
استبدلت بك صاحبا وتوانسا * وكذا الغواني وصلهن جبار

وفي مثل ما تقدم ينشد

وان هي أعطتك الليان فانها * لآخر من خلانها ستلين
وان حلفت لا ينقض النأي عهدها * فليس لمخضوب البنان يمين

ويروى * وان حلفت لا تقبلن يمينها * ورأيت هذا البيت منفصلا عن هذين البيتين ويحتمل أن يكون قائلها واحدا والله أعلم وهو

تمتع بها ما ساعفتك ولا تكن * عليك شجا يؤذيك حين تبين

وذكر

وذكر عن الحسن المدائني انه قال احتضر رجل من العرب فنظر الى ابنه يدب بين يديه واسمه معمر وأم الصبي عند رأسه جالسة فقال

واني لأخشى ان أموت وتنكحي * ويقذف في أيدي المراضع معمر
وترخى ستور دونه وقلائد * ويشغلكم عنه خلوق ومجمر

قال فما لبث ان مات وتزوجت وصار معمر الى ما ذكر * ويروى عن عبد الله بن عكرمة قال دخلت على عبد الرحمن بن الحارث بن هشام أعوده فقلت له كيف تجدك فقال أجدني والله للموت وما موتي علي بأشد من أم هاشم أخاف أن تتزوج بعدي فحلفت له انها لا تتزوج بعده فغشي وجهه نور ثم قال الآن فلينزل الموت متى شاء ثم مات فلما انقضت عدتها تزوجت عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه فقلت

فان لقيت خيرا فلا يهنيها * وان تعست فلليدين وللفم

قال فبلغها ذلك فكتبت الي بلغني ما تمثلت به وما مثلي ومثل أخيك الا كما قال الشاعر

وهل كنت الا والها ذات ترحة * قضت نحبها بعد الحنين المرجع
فدع ذكر ما قد وارت الارض شخصه * وفي غير من قد وارت الارض فاطمع

قال فبلغ مني ذلك كل غيظ فحسبت حسابها فاذا هي قد عجلت وبقي عليها من عدتها أربعة أيام فدخلت على عمر فأعلمته فانتقض النكاح ومن هذا النوع ما يروى ان امرأة من العرب تزوجت رجلا فكانت تحبه ويحبها وجدا شديدا وتعاقدا ان لا يتزوج الباقي منهما فلما مات الرجل تزوجت فلامها أهلها على نقض عهدها فقالت

فقد كان حبي ذاك حبا مبرحا * وحبي لذا اذ مات ذاك شديد
وكانت حياتي عند ذاك حياته * وحبي لذا طول الحياة يزيد
فلما مضى عادت لهذا مودتي * كذاك الهوى بعد الذهاب يعود

ومثل هذا ما حكي من امرأة تزوجت بعد زوجها وبعد عهود كانت بينهما ومواثيق وكان اسمه سعدا فلما ابتنت بعد زواجها كان من قولها والله ما جئت شيئا فريا ولا كان سعد نبيا ولقد تزوجت بعده كفوا رضيا وذكرت من هذه الاوصاف كثيرا اختصرتها * وتقدم المسألة وجاء في الحديث من ذكرها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو ان رصاصة مثل هذه وأشار الى مثل الجمجمة أرسلت من السماء الى الارض وهي مسيرة خمسمائة سنة لبلغت الى الارض قبل الليل ولو انها ارسلت

من رأس السلسلة لسارت أربعين خريفا الليل والنهار قبل ان تبلغ أصلها أو قعرها نعوذ بالله من جميع سخطه قال كعب ان حلقة من السلسلة مثل جميع حديد الدنيا وجاء من لفظ السلسلة أيضا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من آدمى الا وفى رأسه سلسلتان سلسلة الى السماء وسلسلة الى الارض فاذا تواضع رفعه الله بالسلسلة التى فى السماء واذا تجبر وضعه الله بالسلسلة التى فى الارض وتقدم ذكر السل وانه من شر الادواء أعاذنا الله منه جاء منه فى الحديث خرج الترمذى عن زيد بن أرقم أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نتداوى من ذات الجنب بالقسط البحرى والزيت قال أبو عيسى وذات الجنب يعنى السل ويقال أول من مات من السل الياس بن مضر بن نزار قال الشاعر

ولو كان داء الياس بى وأعاننى * طبيب بأرواح العقيق شفانيا

وفى هذا البيت شاهد لمن قال ان الياس كان به ذلك الداء وفيه أيضا شاهد لمن يقول فيه هو الياس بألف مهموزة من أوله مثل النبي عليه السلام انما هو اليأس ضد الرجاء وقد اختلف فى ذلك وربما قالوا اذا الياس بألف مقطوعة يضرب به المثل فى الامر المعضل ويحتمل ان يكون الشاعر اضطر فقال الياس وهو يريد اليأس بالهمز من أوله ثم حذف الهمز من أوله ومن وسطه وقد تقدم فى أول الكتاب لهذا نظائر والحمد لله وقال عروة بن حزام

بى الباس أو داء الهيام شربته * فاياك عنى لا يكن بك ما بيا

وعروة هذا من عذرة وهو أحد من قتله العشق قال من رآه لقد أضنى حتى لم يبق منه الا جلد على عظم وبه يضرب المثل فى الضنى والضعف قال بعض المحدثين يصف فرواله قد تمزق من طول القدم وآل أمره من النفقة فى ترقيعه الى العدم

أودت بذات يدى فروية أرنب * كفؤاد عروة فى الضنى والرقة

تقدم بيض الانوق وتفسيره وأنشدنى الحافظ رحمه الله بالاسكندرية فيما قرأت عليه من فوائد أبى القاسم الادريسى رضى الله عنه قال أنشدنا شعبة بن الحسن الرودانى أنشدنا أبو الحسن على بن الحسن الاديب لبعض أهل الأدب فقال

تغربت أسأل من عن لى * من الناس هل من صديق صدوق

فقالوا عزيزان لا يوجدان * صديق صدوق وبيض الانوق

قال الادريسى سألت بعض أهل الأدب ما معنى الانوق قال الاناث من النسور

وتقدم ذكر عمرو بن العاص رضى الله عنه وقوله لابنه عبد الله سن على التراب سنا كان رضى الله عنه لما حضرته الوفاة بكى فقال له ابنه عبد الله لم تبكى أجزعا من الموت قال لا والله ولكن لما بعده فقال لقد كنت على خير فجعل يذكر صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفتوحه بالشام فقال عمرو تركت أفضل من ذلك شهادة ان لا اله الا الله انى كنت على ثلاثة اطباق ليس منها طبق الا عرفت نفسى فيه كنت أول شئ كافرا فكنت أشد الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلو مت حينئذ وجبت لى النار فلما بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت أشد الناس حياء منه فما ملأت عينى من رسول الله صلى الله عليه وسلم فلو مت حينئذ قال الناس هنيئا لعمرو اسلم وكان على خير ومات فرجى له الجنة ثم تلبثت بالسلطان وأشياء فلا أدرى أعلى أم لى فاذا مت فلا تبكين على ولا تتبعنى نائحة ولا نار وشدوا على ازارى فانى مخاصم وسنوا على التراب سنا فان جنبى الايمن ليس بأحق بالتراب من جنبى الايسر ولا تجعلن فى قبرى خشبة ولا حجرا واذا واريتمونى فاقعدوا عند قبرى قدر نحر جزور وتقطيعها أستأنس بكم وقد وصى القاسم بن محمد رضى الله عنه ابنه بمثل هذا اذ أصابه الموت بين مكة والمدينة حاجا أو معتمرا قال لابنه سن على التراب سنا وسو على قبرى والحق باهلك واياك ان تقول كان وكان وقريب من حديث عمرو بن العاص فى التجلد عند الموت قول عمر بن الخطاب رضى الله عنه عند موته لما طعن بعث اليه لبن فشربه فخرج من طعنته فقال الله أكبر فجعل جلساؤه يثنون عليه فقال ان من غرتموه لمغرور وددت انى أخرج منها كما دخلت فيها لو كان لى اليوم ما طلعت عليه الشمس وغربت لافتديت به من هول المطلع قال ابن عمر رضى الله عنه ثم غشى عليه فأخذت برأسه فوضعته فى حجرى فأفاق ورأسه فى حجرى فقال ضع رأسى بالارض كما أمرتك فقلت وهل الارض وحجرى الا سواء يا ابتاه قال ضع رأسى بالارض لا أم لك فاذا قبضت فأسرعوا بى فانما هو خير تقدمونى اليه أو شر تضعونه عن رقابكم * وتقدم ذكر الوسيلة وجاء فى القرآن العزيز منها يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة وقع فى البخارى كان ناس من الانس يعبدون ناسا من الجن فأسلم الجن وتمسك هؤلاء بدينهم وفى التفسير يعنى ان المعبودين يبتغون القربة الى ربهم كانه يقول كيف يعبد من هو محتاج الى غيره حتى يتوسل اليه بعمل صالح فالمعبود على

الحقيقة هو الله الذى لا يحتاج الى غيره * وأما الوسيلة فقد فسرها النبى عليه الصلاة والسلام فى حديث مسلم عن عبد الله بن عمرو انه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علىّ فانه من صلى علىّ صلاة صلى الله عليه بها عشرا ثم سلوا الله لى الوسيلة فانها منزلة فى الجنة لا تنبغى الا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل الله لى الوسيلة حلت له الشفاعة وخرج العقيلى فى كتابه المسمى بعلل الحديث من طريق أبى هريرة هذا الحديث وفيه وقيل وما الوسيلة يا رسول الله قال أعلى درجة فى الجنة لا ينالها الا رجل واحد وأرجو أن أكون أنا هو وسمعت بعض أشياخى يقول هذه الصلاة الموعود عليها هذا الثواب العظيم هى التى علم أصحابه كيف هى اذ سألوه فقالوا أمرنا الله أن نصلى عليك يا رسول الله فكيف نصلى عليك قال فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تمنينا انه لم يسأله وكان السائل بشير بن سعد ثم قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم فى العالمين انك حميد مجيد والسلام كما قد علمتم * وهنا نكتة لطيفة يصلح الوقوف عليها فى قوله عليه الصلاة والسلام انك حميد مجيد لم خص هذين الاسمين من بين أسمائه تعالى دون غيرهما فأول ما ينبغى أن تعلم ان الصلاة من الله هى الرحمة فى قوله تعالى هو الذى يصلى عليكم وملائكته فصلاته على عباده رحمته اياهم وصلاة ملائكته عليهم الدعاء لهم وسكوت النبى عليه الصلاة والسلام كان على ما يقال استحياء اذ كان فيه معنى المدح له والثناء عليه ثم لم يجد بدا من طاعة الله وامتثال أمره فقال ما تقدم وقيل انما سكت ليتخير ما يقول فقال قولوا فذكر الصلاة كما تقدم وتشبيه الصلاة بصلاة ابراهيم من بين الانبياء عليهم الصلاة والسلام وقوله فيها انك حميد مجيد انتزعه من قوله تعالى رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت انه حميد مجيد فسأل النبى عليه الصلاة والسلام من ربه صلاة مثل الصلاة التى صلاها على خليله ابراهيم اذ أمره ربه عز وجل أن يتبعه فقال ملة أبيكم ابراهيم وقال سبحانه وتعالى يثنى على ابراهيم عليه السلام ان ابراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين شاكرا لانعمه اجتباه وهداه الى صراط مستقيم وآتيناه فى الدنيا حسنة وانه فى الآخرة لمن الصالحين ثم قال بعد هذه الاوصاف الجميلة والاخلاق الحميدة ثم أوحينا اليك أن اتبع ملة ابراهيم حنيفا

وما

وما كان من المشركين ففعل صلى الله عليه وسلم ما أمر به واقتدى به فى كل شئ حتى فى الختان والخفاض جاء فى الحديث ان ابراهيم عليه السلام أول من اختتن وأول الناس رأى الشيب واختتن بالقدوم مثقلة ويروى مخففة وهو بالتثقيل موضع وبالتخفيف الآلة التى للنجار واختتن عليه السلام وهو ابن ثمانين سنة وأما الخفاض فهو فى النساء وأول من فعل ذلك سارة امرأة ابراهيم عليه السلام غضبت على هاجر ام ولده وهى أم اسماعيل عليه السلام فحلفت أن تقطع منها ثلاثة أعضاء فأمرها ابراهيم عليه السلام ان تثقب أذنيها وتخفضها ففعلت فبر قسمها وصارت سنة فى النساء بعدها وامتثلها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك امتثل صلى الله عليه وسلم أمر الله فى الصلاة عليه وذكر الآل كما ذكر أهل البيت فى الآية وقال انك حميد مجيد كما فى الآية مع ما فى هاتين اللفظتين من خفى الالطاف فى السؤال وسؤال الادب مع أبيه ابراهيم لم يطلب زيادة عليه تصريحا لكن أومى اليه بذكر هاتين اللفظتين لان المجد فى اللغة الزيادة والكثرة تقول العرب فى كل الشجر نار واستمجد المرخ والعفار يعنى ان النار من الحطب وفيه فاذا حك بعضه ببعض خرجت منه النار وأما فى هاتين الشجرتين المرخ والعفار فكثير جدا أكثر من غيرهما الا انهما رخوان بمنزلة الطلح عندما يحكا يسرع خروج النار منهما وغيرهما أصلب فربما أبطأ ذلك وقيل العفار الزند الاعلى والمرخ الزند الاسفل فعرض عليه الصلاة والسلام بذكر المجد كأنه قال وأنت ربى تزيد من شئت وتكثر له وأنت مع ذلك المحمود على هذه النعمة وغيرها اذ لفظ حميد يقتضى ذلك وقد يكون أيضا حميد بمعنى حامد لافعال من أطاعه فقد قيل ذلك وأما المجيد فقد قيل فيه الكريم وقيل الكثير الخير وهو راجع الى هذا يقال امجدت للدابة العلف أى أكثرته مع ما فى ضمن المجد من الجلال والعظمة ولذلك قالوا الماجد الكثير الشرف فتأدب نبينا عليه الصلاة والسلام مع أبيه ابراهيم عليه السلام وتواضع فرفعه الله وبلغه غاية الكرامة والشرف فى الدنيا والآخرة أول ذلك ان سماه محمدا اشتقاقا من اسمه تعالى الذى هو الحميد كما هدى له الشاعر المجيد اذ يقول

وشق له من اسمه ليجله * فذو العرش محمود وهذا محمد

وسماه أيضا أسماء كثيرة منها أحمد وهو مذكور فى القرآن مصرح بلفظه وكذلك محمد فأحمد افعل مبالغة من صفة الحمد ومحمد مفعل مبالغة من كثرة الحمد

فهو أجل من حمد وأفضل من حمد ومعه لواء الحمد ويبعثه الله المقام المحمود ويفتح عليه محامد هنالك لم يفتحها على أحد من خلقه وسمى أمته الحمادين وانزل عليه سورة الحمد وسن لنا ان نقول عند انقضاء الامور الحمد لله رب العالمين كما يقوله أهل الجنة وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين وكذلك نقول نحن عند الفراغ من الاكل والشرب حتى عند الرجوع من السفر آيبون تائبون لربنا حامدون الى غير ذلك مما هو مذكور في الاخبار قلت وقد نالت بركة هذا الاسم من تسمى به حتى خرج البزار اذا سميتم محمدا فلا تضربوه ولا تحرموه وفي رواية غيره اذا سميتم محمدا فعظموه ووقروه وبجلوه ولا تذلوه ولا تحقروه وقال ما من مائدة وضعت وحضر عليها من اسمه أحمد أو محمد الا قدس الله ذلك المنزل في كل يوم مرتين وفي حديث من رزق ثلاثة من الولد فلم يسم أحدهم محمدا فهو من الجاهلين وفي رواية فقد جفاني واغرب من هذا ما روى عن الله عز وجل انى استحيى ان أعذب بالنار من اسمه محمد على اسم حبيبي محمد قلت وأنت يا من لم تسم بهذا الاسم ولا باسم نبي من الانبياء عليهم الصلاة والسلام لا تياس فان اسمك المؤمن وقد جاء في الخبر ينادي غدا مناد أن كل من هو سمي نبي من الانبياء من المؤمنين فليدخل الجنة فيبقى أقوام من المؤمنين فيقال لهم من أنتم فيقولون نحن لم يوافق اسمنا اسم نبي فيقول الله تعالى أنا المؤمن وأنا سميتكم المؤمنين فيدخلهم الجنة وقد جرأني هذا الخبر على ان قلت ابياتا في هذا المعنى فلتكن ممن بها تعنى وهي

يا أيها المؤمن لا تيأسن * ان كنت لم تسم بذي التسميه
فان مولاك اسمه مؤمن * فاشكر ولو رائحة التسويه
مؤمن مؤمن مؤمن * أنت ومولاك وذا تهنيه
فافرح ولا تحزن فذا كله * أنس وما يتقى تسليه
الحمد لله على كل ذا * فاعدده بالآلاف لا بالميه

وقد تقدم في ذكر البنات قول الرجل الصالح للذي ولدت له بنت فاغتم لذلك ما سميتها قال فاطمة قال آه آه اذ سميتها فاطمة فلا تشتمها ولا تضربها وتقدم أيضا قول ابن عمر سميت فلانا على اسم فلان وفلانا على اسم فلان وذكر قوما صالحين والله لا يضيع أجر المحسنين المجتهدين ولكل امرئ ما نوى (رجع) الى بقية خبر محمد صلى الله عليه وسلم وروى عن عثمان بن أبي العاص عن أمه أم العاص واسمها فاطمة بنت

عبد

عبد الله الثقفية قالت حضرت ولادة رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأيت البيت حين ولد قد امتلأ نورا ورأيت النجوم تدنو حتى ظننت انها ستقع على ذكره أبو عمرو في كتاب النساء وذكره الطبري أيضا في كتاب التاريخ وفي تفسير بقي بن مخلد أن ابليس رن أربع رنات حين لعن وحين أهبط وحين ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم وحين أنزلت أم القرآن وهي فاتحة الكتاب وولد رسول الله صلى الله عليه وسلم مسرورا معذورا يعني مختونا مقطوع السرة يقال عذر الصبي واعتذر اذا ختن وكانت أمه تحدث انها لم تجد حين حملت به ما تجده الحوامل من ثقل ولا وحم ولا غير ذلك ولما وضعته وقع الى الارض مقبوضة أصابع يديه مشيرا بالسبابة كالمسبح بها وذكر ابن دريد انه ألقيت عليه جفنة لئلا يراه أحد قبل جده فجاء جده والجفنة قد انفلقت عنه ولما قيل له ما سميت ابنك فقال محمدا فقيل له كيف سميته باسم ليس لاحد من آبائك ولا قومك فقال اني أرجو أن يحمده أهل الارض كلهم وذلك لرؤيا رآها عبد المطلب ذكرها علي القيرواني العابر في كتاب البستان قال كان عبد المطلب قد رأى في منامه كأن سلسلة من فضة خرجت من ظهره لها طرف في السماء وطرف في الارض وطرف في المشرق وطرف في المغرب ثم عادت كأنها شجرة على كل ورقة منها نور واذا أهل المشرق والمغرب يتعلقون بها فقصها فعبرت له بمولود يكون من صلبه يتبعه أهل المشرق والمغرب ويحمده أهل السماء والارض فلذلك سماه محمدا مع ما بشرت به أمه حين قال لها الملك انك قد حملت بسيد هذه الامة فاذا وضعتيه فسميه محمدا الحديث وولدته ليلة الاثنين في ربيع الاول لاثنتي عشرة ليلة خلت منه وقيل للعاشر وقيل لثمان قبل قدوم الفيل بخمسين يوما وقيل بأربعين وقيل بشهر ونبئ يوم الاثنين في ربيع الاول لثمان مضين منه سنة احدى وأربعين من عام الفيل ودخل المدينة في ربيع الاول يوم الاثنين الثاني منه وتوفي يوم الاثنين أول يوم من ربيع الاول ووافق مولده من السنين الشمسية نيسان الذي سمته العجم ابريل وولد بالغفر من المنازل وهو مولد النبيين ولذلك قيل خير منزلتين في الابد بين الزبانا والاسد ومات أبوه وهو حمل في بطن أمه وهو الصحيح وقيل مات أبوه وهو في المهد ابن سبعة أشهر وقيل ابن شهرين وقيل غير ذلك وأنشدوا رجزا لعبد المطلب يقوله لابنه أبي طالب أوصيك يا عبد مناف بعدي * بموتم بعد أبيه فرد * فارقه وهو ضجيع المهد *

وكان بينه وبين أبيه عبد الله فى السن ثمانية عشر عاما وكانت عاتكة بنت عبد المطلب توأمة عبد الله أبيه وماتت آمنة بالابواء موضع بين مكة والمدينة وقد تقدم ذكر ذلك ولم يستكمل له سبع سنين وكان عند جده عبد المطلب الى ان مات ولرسول الله صلى الله عليه وسلم ثمان سنين ثم كفله عمه أبو طالب كما وصاه أبوه ولما ولد دخل به عبد المطلب الكعبة يعوذه ويقول

الحمد لله الذى أعطانى * هذا الغلام الطيب الاردان
قد ساد فى المهد على الغلمان * أعيذه بالبيت ذى الاركان
من حاسد مضطرب العنان * حتى أراه بالغ البيان

أنت الذى سميت فى القرآن * فى كتب ثابتة المثانى * أحمد مكتوب على اللسان *

نقلت أكثر هذا من كتاب الاستاذ رحمه الله قلت وما عسى ان أذكر وقد ألف القاضى أبو الفضل عياض رحمه الله فى اخباره وفضائله ديوانا فى مجلدين وذلك قليل فى حقه عليه الصلاة والسلام ومن عجائب ذلك الكتاب انه ذكر فيه انه شاع عند العرب قبل وجوده عليه الصلاة والسلام بميلاده ان نبيا يبعث اسمه محمد علم ذلك من قبل احبار يهود وما يجدونه فى كتبهم من صفته ووقته فسمى قوم من العرب أبناءهم محمدا رجاء ان يكون كل واحد منهم ذلك النبى والله أعلم حيث يجعل رسالته وهم ستة محمد بن احيحة بن الجلاح الأوسى ومحمد بن مسلمة الانصارى ومحمد بن براء البكرى ومحمد بن سفيان بن مجاشع ومحمد بن حمران الجعفى ومحمد بن خزاعة السلمى لا سابع لهم ثم حمى الله كل من تسمى به ان يدعى النبوة أو يدعيها أحد له أو يظهر عليه سبب يشكك أحدا فى أمر نبينا صلى الله عليه وسلم حتى جاء ولم ينازعه أحد فى نبوته من هؤلاء ولا غيرهم الا من جهة التكذيب به حسدا او بغيا كما أخبر الله تعالى فى كتابه العزيز وما كان من السخيف أبى ثمامة باليمامة الذى عواره باد لكل حاضر وباد فى كل محفل وناد الى يوم التناد وما وفرت فى ذكر هذا اللعين من كاغد ومداد فلننقه بالاصوع والامداد فى ذكر هذا النبى محمد الهاد ولنجتهد فى ذلك غاية الاجتهاد كما بدء والى الرشاد صلى الله عليه وعلى آله ما شدا فى السرشاد وسلم تريدون أن تسمعوا ذكره أجيبوا يا من حضر فصلوا عليه باجمعكم وحينئذ تسمعون الخبر أنشدنى الفقيه أبو محمد عبد الحق رحمه الله ببجاية لنفسه يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال

بشر من بنى آدم مولود * فى مضر الحمراء معدود
جاء به الله على غرة * والناس فى الكفر عباديد
أرسله من خيرهم محتدا * من حيث للعلياء تشييد
من حيث ماء الجود مستعذب * غمر وظل العز ممدود
من هاشم الخير ومن زهرة الـ * منتخب الغر الصناديد
أشرقت الارض لاتيانه * فاخضر من مبعثه العود
صلى عليه الله من مرسل * مادام تسبيح وتمجيد
وعل يوم الحشر اكبادنا * حوض له فى الحشر مورود

قوله فى الشعر عباديد أى فرق ذاهبون فى كل وجه وكذلك العباديد العبابيد والنسبة اليه عباديدى قال سيبويه لانه لا واحد له وواحده على فعلول أو فعليل أو فعلال فى القياس وقوله فى مضر الحمراء قيل له الحمراء لانه لما مات أبوه نزار أخذ مضر من تركته الذهب وهى تؤنث ولونها أحمر وأخذ أخوه ربيعة بن نزار الخيل فقيل له ربيعة الفرس ولما وقف الخطيب أبو محمد رحمه الله على هذه القطعة قال فى عروضها القطعة التى تقدم بعضها فى أول الكتاب وهى

للعرب الفضل على الناس * وخيرها أولاد الياس
والنضر منظور الى فضله * ثم قريش عز هارامى
والسادة الغر بنو هاشم * خيارها فى الجود والباس
والمصطفى خير بنى هاشم * وخير مبعوث الى الناس
أحمد ذو النور الذى ضاق عن * وصف علاه كل قرطاس
أرسله الله الى خلقه * والشرك فيهم رافع الراس
فلم يزل يدعو الى ربه * فى لطفه لان به القاسى
حتى غدا الشيطان ذا رنة * من دولة الشرك على ياس
صلى عليه الله أعدادما * أوجد من نفس وأنفاس
وأصبح الدين رفيع الذرى * ثابت اركان وتأساس

ولما رأيت أنا هذا الخبر المزداد تحرك ما فى قلبى من الوداد وأجريت أبا زياد مع الغر الجياد فقلت

قد قلت قولا ابتغى أجره * من ملك رحمته تطلب

في القرشي الهاشمي الذي * يقصر في مدحته المطنب
محمد المنتخب المصطفى * من مثله أو منه من يقرب
خير الورى أحمد من نوره * ضاء به المشرق والمغرب
فانفتحت سبل الهدى منذ بدا * ولاح صبح وانجلى غيهب
وكل نور كان من قبله * مذ جاء ذا حق له يغرب
كذلك الشمس اذا ما بدت * هل قمر يبصر أو كوكب
طابت به طيبة ميتا وقبل ابتهجت حياته يثرب
أرسله الله لنا رحمة * والكفر في ظلمته يحطب
يخبط عشواء ابادي سبا * كل الى ما شاءه يذهب
لا يتقي شرا ولا يرتجي * خيرا وكل رأسه يركب
فجمع الله به شملنا * بعد شتات أمره معطب
وأصبح الناس به اخوة * أبوهم الاسلام نعم الأب
ذاك أبو القاسم ماذا عسى * يحصي لساني أو يدي تكتب
والبحر لو كان مدادا وما * في الارض اقلام بها يكتب
لم نبلغ العشر ولا عشره * من وصفه هيهات لا تعجبوا
فهو حبيب الله وهو الذي * في جاهه تطمع يا مذنب
وصاحب الحوض الرواء الذي * أمته منه غدا تشرب
اذ ليس ماء لهم غيره * والشمس من أوجههم تقرب
والنار قد جيء بها بعضها * يحطم بعضا جرها ملهب
ووضع الميزان والخطب اذ * ذلك هول مفزع مرعب
يومئذ ليس لنا ملجأ * الا الى الله ولا مهرب
ولا شفيع غير ارساله * وهو على أعدائه يغضب
كل رسول منهم قائل * نفسي نفسي عتقها يطلب
وهو ينادي أمتي أمتي * ربي مالي غيرهم مطلب
هذا الى أشياء لم أحصها * يعجز عنها اللقن المسهب
فمن يقل ما شاء فيه يقل * حقا وما أحسبه يكذب
كل لساني وانتهت طاقتي * ولم أصل بعض الذي أرغب

خلت عن مدحته للدعا * عسى دعائي عنه لا يحجب
فليس مثلي مادحا مثله * لا لا ولا العير الذي يركب
صلى عليه الله من سيد * ما تطلع الشمس وما تغرب
وآله طرا وأزواجه * وصحبه الا قرب فالاقرب
عليهم من ربهم كلهم * مني السلام الاكثر الاطيب
ما نجم الطلع من اكمامه * واطلع النجم وضا كوكب
ويغفر الله لنا انه * رحمته سطوته تغلب

قلت كيف لا أفرح بهذا النبي ويكثر عند مدحه والصلاة عليه طربي وقد جاء تمامنه البشرى ان من صلى عليه واحدة صلى الله عليه بها عشرا ومن كرامته على مولاه وسيده ما خرج البزار في مسنده بسنده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى وكل بقبري ملكا أعطاه أسماع الخلائق فلا يصلي علي أحد الى يوم القيامة الا بلغني باسمه واسم أبيه هذا فلان ابن فلان قد صلى عليك صلى الله عليه وعلى آله وعلى ذلك الملك وسلم والحمد لله على هذه النعمة الكبرى وجاء عنه صلى الله عليه وسلم انه قال أنا أول الناس خروجا اذا بعثوا وأنا قائدهم اذا وفدوا وأنا خطيبهم اذا انصتوا وأنا شفيعهم اذا حبسوا وأنا مبشرهم اذا ابلسوا لواء الكرم يومئذ بيدي ومفاتيح الجنة بيدي وأنا أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر يطوف على ألف خادم كأنهم لؤلؤ مكنون ذكره ثابت رحمه الله وقال اذا أبلسوا أي اذا أيسوا من كل خير ومن بركة الصلاة عليه ما خرج الترمذي بسنده الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال الدعاء موقوف بين السماء والارض لا يصعد منه شيء حتى يصلى على نبيك صلى الله عليه وسلم * تقدم في الشعر المسهب وهي من نوادر الكلام يقال مسهب بالفتح ولا يقال مسهب بالكسر ولم يأت منه الا قولهم رجل ملفج وهو الذي قد افتقر من كثرة الديون ورجل محصن كذا نقلته من بعض كتب أهل اللغة ملفج والذي جاء في الحديث مفرج وفسر بنحو هذا التفسير وأما ابن السيد فقال الاسهاب كثرة الكلام صوابا كان أو خطأ وتختلف الصفة منهما فان كان اكثاره مع اصابة قيل رجل مسهب بكسر الهاء وان كان اكثاره مع خطأ من خرف وذهاب عقل قيل رجل مسهب بفتح الهاء والفعل منهما جميعا أسهب على صيغة فعل الفاعل وهو نادر على غير قياس * وتقدم ذكر يثرب قال الاستاذ رحمه

الله أما يثرب فاسم رجل نزل بها أوّلا من العماليق فعرفت باسمه وهو يثرب بن قاين بن عبيد بن مهلاييل بن عوض بن عملاق بن لاوذ بن ارم وفى بعض هذه الاسماء اختلاف وبنو عقيل هم الذين سكنوا الجحفة فأجحفت بهم السيول وبذلك سميت الجحفة فلما حلها رسول الله صلى الله عليه وسلم كره لها هذا الاسم أعنى يثرب لما فيه من لفظ التثريب وقال من قال يثرب فليقل المدينة وقال يسمونها يثرب ألا وهى طيبة وفى حديث عنه عليه الصلاة والسلام ان الله تعالى سمى المدينة طابة قال بعض أهل اللغة طابة مأخوذة من الطيب قال يعقوب يقال هو الطيب والطاب فان قلت وكيف كره أسماء ذكرها الله تعالى فى القرآن وهو المهتدى بكتاب الله وأهل أن لا يعدل عن تسمية الله قلنا ان الله سبحانه وتعالى انما ذكرها بهذا الاسم حاكيا عن المنافقين اذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا فنبه بما حكى عنهم انهم قد رغبوا عن اسم سماها الله به ورسوله وأبوا الا ما كانوا عليه فى جاهليتهم والله سبحانه قد سماها المدينة فقال غير حاك عن أحد ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الاعراب الآية وفى الخبر عن كعب الاحبار قال انا نجد فى التوراة يقول الله للمدينة يا طابة ويا طيبة ويا مسكينة لا تقبلى الكنوز أرفع أحاجيرك عن أحاجير القرى وقد روى هذا الحديث عن على بن أبى طالب رضى الله عنه يرفعه وروى أيضا ان لها فى التوراة أحد عشر اسما المدينة وطابة وطيبة والمسكينة والجابرة والمحبة والمحبوبة والقاصمة والمجبورة والعذراء والمرحومة وروى فى معنى قوله تعالى وقل رب أدخلنى مدخل صدق انها المدينة وأخرجنى مخرج صدق انها مكة وسلطانا نصيرا الانصار وذكر أبو عبيد البكرى فى المعجم بعض هذه الاسماء وقال القاصمة قصمت الجبابرة وقال فيها وهى جابرة والأيمن وبندر وهى الدار كما قال تعالى والذين تبوّؤا الدار والايمان ونسب ذلك كله الى أبى عمر بن عبد البر رحمه الله وذكر أيضا فى أسماء البلدان يترب بتاء بنقطتين من فوق وقال قطرب هى قرية بين اليمامة والوسم وقال قال القاسم بن سلام يقال يترب وأترب بالهمز ويقال يترب أرض بنى سعد وكان أبو عبيدة ينشد قول الاصمعى

وعدت وكان الخلف منك سجية * مواعيد عرقوب أخاه بيثرب

و يقول بيثرب بالثاء المثلثة قال وهو خطأ وقال ابن دريد اختلفوا فى عرقوب فقيل

هو من الأوس فيصح أن يكون على هذا يثرب وقيل هو من العماليق فعلى هذا يكون يترب لان العمالقة كانت من اليمامة الى وبار و يترب هنالك قال وكانت العماليق أيضا بالمدينة قال و يقال يترب أيضا لبنى سعد كذا فى المعجم ورأيت فى كتاب تاج اللغة وصحاح العربية من تأليف أبى نصر اسماعيل بن حماد الجوهرى الفارابى رحمه الله و يترب بفتح التاء موضع قريب من اليمامة وأنشد البيت وضبطه بيترب لان العمالقة كانت من اليمامة وكان عرقوب هذا من العمالقة أتاه أخ له يسأله شيئا فقال له اذا أطلع نخلى فلما أطلع قال اذا أبلح فلما أبلح قال اذا أزهى فلما أزهى قال اذا أرطب فلما أرطب قال اذا صار تمرا فلما صار تمرا جذه من الليل ولم يعطه شيئا فضرب به المثل فى خلف الوعد وأوّل التمر طلع ثم خلال ثم بلح ثم بسر ثم رطب ثم تمر وكذلك يقال للنبت أوّل ما يطلع نجم ثم فرخ ونصب ثم أعصب ثم سبل ثم سنبل ثم أحب والف ثم أسفى ثم أفرك ثم أحصد

رأيت من الجفاة كرالمدينه * وتزكى مكة وبها السكينه

وكنت تزيلها فرحلت عنها * فأشواقى لذلكم ركينه

فوا أنا اذا سأذكرها ونفسى * لذكراها بشوق مستكينه

ألا لله أيام غنينا * بها ومكانه فيها مكينه

تقدم القول فى مكة و بكة شرفها الله تعالى ولى فيها وفى ذكر البيت أبيات فى قصيدة مطوّلة قلتها فى طريق الحج فوق المائة منها

عذلت وأنت معذور لعمرى * لانك لم تر البيت الحراما

ولم ترمكة الغرّاء يوما * ولم تشهد مشاهدها العظاما

قال البكرى من أسمائها صلاح وأنشد * واتيانى صلاحا الى صلاح *

قال وقال حرب بن أمية لابى مطر الحضرمى يدعوه الى نزول مكة

أبامطر هلمّ الى صلاح * فتكفلك الندامى من قريش

وتسكن بلدة عزت قديما * وتأمن أن يزورك رب جيش

قال وقال كراع من أسماء مكة الرأس وأنشد

وفى الرأس آيات ان كان ذا حجا * وفى مدين العليا وفى موضع الحجر

وقال أيضا العرش اسم لمكة والقادس اسم للبيت الحرام سمى بذلك من التقديس والتطهير وقال المطرز عن الفضل من أسماء مكة المقدسة والناسة بسينين

مهملتين وأم رحم قال وقال الخطابى من أسمائها الباسة لانها تبس من ألحد فيها ويقال لها أيضا الناسة بالنون لانها تنس من ألحد فيها أى تطرده والنس الطرد وقال تسمى أيضا كوثى ببقعة بها تسمى كوثى وهى محلة بنى عبد الدار ولما أن ذكرت مكة والمدينة بما تقدم أردت أن ألحق بهما أيضا أسماء زمزم فقلت

لعمرك ان تركى زمزمالا * أسميها لمن باب العقوق
وكيف وماؤها بردت منه * أوارا قى أحر من الحريق
وأرجو من سقاية هذا ان * سيسقينى كذلك من الرحيق
أزمزم ما أنا أسميك أيضا * لما قدمت عندى من حقوق
وما المحمود الا الله ربى * ورب الكل والبيت العتيق

قال البكرى زمزم بئر بمكة معروفة وفيها لغات زمزم وزمزم بتشديد الميم وكسر الزاى الثانية وهى الشباعة بتشديد الشين المعجمة وتشديد الباء أخت التاء والعين المهملة وهى ركضة جبريل عليه السلام وحفير عبد المطلب وسميت زمزم لان عبد المطلب أرى فى منامه احفر زمزم وقال بعضهم انما هى مشتقة من قولهم ماء زمزوم وزمزام أى كثير وقال أبو اسحاق الحربى سميت زمزم لتزمزم الماء فيها وهى حركته والزمزمة الصوت تسمع له دويا وفى الحديث انها هزمة جبريل أى ضرب برجله فنبع الماء والهزمة تطامن فى الارض والهزائم الآبار الكثيرة الماء قال الطرماح أنا الطرماح وعمى حاتم * والبحر حين تكسر الهزائم و يروى فى الحديث انها همزة جبريل بتقديم الميم على الزاى كما أتى فى مبتدا حديث الوضوء ان جبريل همز للنبى صلى الله عليه وسلم بعقبه فى الوادى فنبع الماء وروى الجرمى من طريق حميد بن هلال عن عبد الله بن الصامت عن أبى ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم زمزم طعام طعم وشفاء سقم نقلت هذا من معجم ما استعجم ومن غيره من قوله عليه الصلاة والسلام ماء زمزم لما شرب له وان شربته تستشفى به شفاك الله عز وجل وان شربته لشبعك أشبعك الله وان شربته لقطع ظمائك قطعه وهى هزمة جبريل وسقياء الله تعالى اسماعيل قلت وأما أنا فقد جربت هذا فوجدته صحيحا على انى لم أشرب به الا على يقين من هذا وتصديق بالحديث والحمد لله وأما عمق البئر فذرعت الحبل الذى كنت استقى به فوجدته عشر قامات وأما طعم الماء ساعة يخرج من البئر فيخيل اليك انه ماء شيب

بلبن

بلبن حار رطب لبن ليس فيه مرارة فاذا برد بما وجدت فيه قليل مرارة لكن مع ذلك فعليه كنت أفطر وبه كنت أتبرك ولقد رأيت بركته والحمد لله على جميع نعمه

﴿فصل﴾ وتقدم أيضا فى الشعر الذى ذكر العير وهو الحمار فلنذكر بعض ما فيه من الاخبار كان المصطفى المختار صلى الله عليه وسلم على شرفه يركب الحمار خرج الترمذى عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال كان صلى الله عليه وسلم يعود المرضى ويشهد الجنازة ويركب الحمار ويجيب دعوة العبد وكان يوم بنى قريظة على حمار مخطوم بحبل من ليف عليه اكاف من ليف وخرج أبو داود عن بريدة قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشى جاء رجل ومعه حمار فقال يا رسول الله اركب وتأخر الرجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أنت أحق بصدر دابتك منى الا ان تجعله لى قال فانى قد جعلته لك فركبه وفى الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما افتتح خيبر أصاب بها حمارا فسأله النبى صلى الله عليه وسلم فكلمه الحمار بقدرة الله عز وجل وقال اسمى زياد بن شهاب فسماه النبى صلى الله عليه وسلم يعفورا وقيل عفيرا وكان يوجهه الى دور أصحابه فيضرب عليهم الباب برأسه ويستدعيهم ولما مات النبى صلى الله عليه وسلم تردى فى بئر جزعا وحزنا فات وهذا قليل من معجزاته وآياته التى دونها الناس فى الدواوين وما شئت منها الصحف ويكفيه كرامة وفضيلة المنزلة المعروفة بالوسيلة التى جلبت هذه الكلمات بسببها نفعنا الله بها قال الخطابى رحمه الله سمى حماره اليعفور لعفرة لونه والعفرة حمرة يخالطها بياض يقال اعفر ويعفور واخضر ويخضور واصفر ويصفور واحمر ويحمور وقال الشاعر * غير ان شطى دجلة اليخضور * ويروى ان الحمار قال للنبى صلى الله عليه وسلم أنا زياد بن شهاب وقد كان فى آبائى ستون حمارا كلهم ركبه نبى فاركبنى أنت قلت ليس فى ركوب الحمار من عار اذ ركبه المصطفى المختار وأصحابه الاخيار وقد تقدم حديث حمار عبد الله بن عمر رضى الله عنهما خرج الاصبهانى فى كتاب الامثال انه قال كان خالد بن صفوان والفضل بن عيسى الرقاشى يختاران ركوب الحمير على ركوب البراذين ويجعلان أبا سيارة لهما قدوة أما خالد فان بعض اشراف البصرة تلقاه فرآه على حمارة فقال ما هذا المركب فقال عير يحمل الرحلة ويبلغ العقبة ويقل داؤه ويخف دواؤه ويمنعنى ان أكون جبارا فى الارض أو أكون من المفسدين ولولا ما فى الحمار من المنفعة ما امتطى أبو سيارة

ظهر عير أربعين سنة وأما الفضل بن عيسى فانه سئل أيضا عن ركوبه الحمار فقال لانه أقل الدواب مؤنة وأكثرها معونة وأسهلها جماحا وأسلمها صريعا واخفضها مهوى واقربها مرتقى ترى راكبه وقد تواضع بركوبه ويسمى مقتصدا وقد أسرف فى ثمنه ولو شاء عميلة بن خالد أبو سيارة ان يركب فى الموسم جملا مهريا أو فرسا عربيا لفعل ولكنه امتطى عيرا أربعين سنة فسمع كلامه اعرابى فعارضه فقال ان الحماران وقفته أدلى وان تركته ولى كثير الروث قليل الغوث سريع الى الفرارة بطىء فى المفازة لا تودى به الدماء ولا تمهر به النساء ولا يحلب فى الاناء وأبو سيارة المتقدم الذكر رجل من عدوان اسمه كما تقدم عميلة بن خالد كان له حمار اسود أجاز عليه الناس من المزدلفة الى منى أربعين سنة وكان يقف فيقول أشرق ثبير كيما نغير ويقول خلوا الطريق عن أبى سياره * وعن مواليه بنى فزاره * حتى يجيز سالما حماره * ويقول * لاهم انى تابع تباعه * ان كان اثم فعلى قضاعه * ويقول * لاهم مالى فى الحمار الاسود *

أصبحت بين العالمين أحسد * أفق أبا سيارة المحسد

من شر قال حاسد اذ يحسد * ومن اذاة النافثين فى العقد

وقال الخطابى كان حمار أبى سيارة أتانا عوراء رسنها ليف وهى التى يضرب بها المثل فيقال أصح من عير أبى سيارة وكان يقول اللهم حبب بين نسائنا وبغض بين رعائنا واجعل المال فى سمحائنا يريد بقوله بغض بين رعائنا لانهم اذا تحابوا اجتمعوا فى المرعى فأضر ذلك بالماشية واذا تباغضوا افترقوا فرعت انعامهم واتسعوا فى المرعى وخرج ثابت من حديث الشعبى قال كان رجل يشهد المواسم فلا يزيد على هذا الدعاء اللهم اصلح بين نسائنا وأفسد بين رعائنا واجعل المال عند خيارنا قال فقيل له انك لو دعوت بغير هذا فان الناس لا يدعون بهذا فقال الناس لا يدرون انه اذا أصلح بين نسائنا يصلح الذى بيننا واذا أفسد بين رعائنا دل بعضهم على بعض واذا كان المال فى خيارنا فاصابتنا عسرة عادوا علينا ومما قيل فى ركوب الحمار

وما عن رضا كان الحمار مطيتى * ولكن من يمشى سيرضى بما ركب

وفى ركوب الحمار التواضع لركوب رسول الله صلى الله عليه وسلم اياه وخرج الترمذى رحمه الله عن النبى صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من كبر ولا يدخل النار من كان فى قلبه مثقال حبة من ايمان

ثم

ثم خرج بعد ذلك حديثا عن نافع عن جبير بن مطعم عن أبيه قال يقولون فى التيه وقد ركبت الحمار ولبست الشملة وقد حلبت الشاة وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من فعل هذا فليس فيه من الكبر شى وقد جاء ذكر الحمار فى القرآن مفردا ومجموعا قال الله تعالى كمثل الحمار يحمل اسفارا وقال تعالى والخيل والبغال والحمير لتركبوها وقال كانهم حمر مستنفرة ويجمع أيضا على حمر بسكون الميم وحمران وأحمرة والانثى أتان وربما قالوا احمارة وفى الحديث من ذكره كثير وجاء فى صفة حمار الدجال لعنه الله وله حمار يركبه عرض ما بين أذنيه أربعون ذراعا وقال عليه الصلاة والسلام وذكر الدجال ولا يسخر له من المطايا الا الحمار واذكر لك هنا بعض فصل جزل كتب به الى الفقيه الخطيب أبو محمد رضى الله عنه وقد كلفنى ان اشترى له حمارا وقال من صفته ان يكون مليح الثبات صحيح الشبات فسيح الوثبات يشعر بالمشير وذى الايماء ويصبر على قلة الشعير والماء فى كلام طويل جميل اختصرته فكتبت اليه أنا أيضا والحديث يجر بعضه بعضا ادام الله سعادتك كما جعل الخير عادتك طلبتنى بحمار لا يوجد فى هذه الديار قليل العثار اذا الغبار ثار ينجى من الورطات فى زمان النقعات سليم الشفة وسيم الصفة من نعمته كذا وكذا يصبر على الكد والاذى ويرضى باليسير من الشعير ويقنع بالهواء من الماء ويفهم المراد بالغمز لا بالهمز ثم حضرت فى التقاضى فقلت هذه مسئلة تمسخ القاضى فى كلام كذلك طويل تقبل آخره

يفتح الله فى طريق الحمار * طرق الجد غير طرق الحمار

سوف أسعى وأجهد النفس فيه * واخوض الغمار بعد الغمار

وأسوم التجار من بدوى * أو جناوى أسود أو غمارى

فاذا ساقه الاله فقولوا * رحم الله مشترى ذا الحمار

والرسالتان بكمالهما فى التكميل استغفر الله مما لا يرضاه وأسأله الخير فيما قضاه وامضاه

خرجت من شى الى غيره * والصمت عنه لو قضى أسلم

لكن ما جئتك بكفارة * عنه حديث ساقه مسلم

فيه حمار دائر بالرحى * يا رب سلم انك الاكرم

خرج مسلم بسنده الى اسامة بن زيد رضى الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله

عليه وسلم يقول يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى فى النار فتندلق أقتاب بطنه فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى فيجتمع اليه أهل النار فيقولون يا فلان مالك ألم تك تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر فيقول بلى كنت آمر بالمعروف ولا آتيه وانهى عن المنكر وآتيه اللهم اجعل ما اثبت فى هذا الكتاب من قولك الحق الفصل وكلام رسولك الصادق الجزل كفارة لما فيه من قولى الهزل ان ذلك عليك سهل وأنت لذلك أهل يا من هو على كل شئ قدير وبالاجابة جدير

خرجت من شئ الى غيره * افرش طورا ثم قد أعرش
كذلك الكيس فى علمه * يشرق أحيانا وقد يعطش
يستنزل العلم ولو للسعار * طار ومن تحت الثرى ينبش
حتى اذا جمع اشتاته * واستنبط الرى لمن يعطش
ظل ينادى الماء لله يا * قوم اكرعوا ثم اشربوا وانتشوا

وذا فصل الفوائد قد تقضى * وآخذ بعد فى ألف وهاء
فدونك فاستمعه نهو علم * وان العلم نور ذو بهاء

باب الالف مع الهاء

وآه وآه وآه وها * وهاء وهاء وهل وهل

وهذا البيت أيضا لم أقدر على تقييده الا بمعكوسه ومستقيمه فعوّل على الكلام والسلام أما الثلاثة الاول فصوت المتأوّه وذكرها ابن عزيز آه وذكر معها أوه وأوّه وأو وأوّاه وقال هى خمس لغات فى التأوّه حين فسر قوله تعالى ان ابراهيم لحليم أواه منيب قال أواه دعاء ويقال كثير التأوّه أى التوجع شفقا وفرقا والتأوّه ان يقول أوه وذكر باقى الكلمات وذكر صاحب العين آه كلمة توجع يقال تأوّه وتهوّه اذا تفجع وآه بوه اذا قال أوه قال الشاعر

فأوه لذكراها اذا ما ذكرتها * ومن بعد أرض دونها وسماء

وجاء فى الحديث من أواه قوله عليه الصلاة والسلام للرجل الذى دفنه بالليل وأسرجه بسراج رحمك الله ان كنت لأوّاها تلاء للقرآن وقد تقدم وجاء من هذا فى العلم اذا تثاءب أحدكم فليضع يده على فيه ولا يقل آه آه فان آه من الشيطان كذا رأيته فى بعض الكتب آه وأما الذى ذكره البخارى فانه هاه وسيأتى ذكره فى هذا الباب ان شاء الله تعالى والآهة التحزن يقال تأوّه الرجل آهة وآهة وقال الشاعر

اذا ما قمت ارحلها بليل * تأوّه آهة الرجل الحزين

كما قال أبو مرة المكى

آه من الحب آه من كبدى * ان لم أمت فى غد فبعد غد

ويقال أوهة لك فى موضع مشقة وهم وحزن ويقال أوّه من كذا على معنى التذكر والحزن وللخطيب أبى محمد رحمه الله من قطعة

أحسن الله لى عزاى بنفسى * ثم أوه ان كان يحسن أوه

وقد تعرب هذه اللفظة وتجرى بوجوه الاعراب قال الشاعر فاحسن

أواه أواه وكم ذا أرى * أكثر من تكرار أوّاه
مالى حول لا ولا قوة * الحول والقوة لله

وجاء فى الحديث من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الذى ابتاع التمر بالتمر متفاضلا أوه عين الربا ومن شكل واه واه والواو من نفس الكلمة والواهى الضعيف وفى التنزيل فهى يومئذ واهية أى ضعيفة وفى الحديث المؤمن واه راقع يعنى الذى يذنب فيصير بمنزلة السقاء الواهى الذى لا يمسك الماء شبه الزال الخاطى به والراقع الذى يتوب فيرقع ما وهى بالتوبة يقال للسقاء اذا تفتق خرزه قد وهى يهى ومعكوس واه هاو أى ساقط يقال هوى يهوى اذا سقط وفى القرآن العزيز والنجم اذا هوى أى سقط على مذهب من جعل النجم واحد النجوم وقيل فى النجم انه الثريا والعرب تسجع بها تقول اذا طلع النجم غديه ابتغى الراعى شكيه وذلك فى زمن الصيف والشكية زقيق صغير يحمل فيه الماء وقد تقدم وتقول فى ضده فى الشتاء اذا طلع النجم عشيه ابتغى الراعى كسيه ومن قال النجم هنا القرآن فمعنى هوى نزل أو هوى به جبريل عليه السلام وقوله تعالى والنجم والشجر يسجدان والنجم ما كان من النبات على غير ساق والشجر ما كان على ساق وقوله تعالى ومن يحلل عليه غضبى فقد هوى أى هوى فى النار والهاوية اسم من اسماء جهنم وهو الباب الاسفل منها تهوى بأهلها من أعلاها الى أسفلها نعوذ بالله من عذابه والهوى فى السير المضى والسرعة هوت الوحشية اذا عدت وقال الخطابى يقال هوى يهوى هويا بالفتح اذا هبط وهويا بالضم اذا صعد وقوله تهوى به الريح أى تمر به فى سرعة والهواء ممدود غير مهموز الفضاء ما بين السماء والارض وقوله تعالى وأفئدتهم هواء أى لا تعى شيئا ولا تعقل وقال ابن عرفة وأفئدتهم هواء مفسر فى قوله تعالى اذا قلوب

لدى الحناجر فهذا اعلام ان القلوب قد فارقت الافئدة فالافئدة هواء لا شيء فيها والهواء المتخرق قال غيره هواء بين الصدر والحلق فلا تخرج من الحلق ولا ترجع الى الصدر وجاء عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال هواء خالية من كل خير وقال أبو عبيدة وكذلك كل شيء اجوف وخاوفهو عند العرب هواء وأنشد

كأن الرحل منها فوق صعل * من الظلماء جؤجؤه هواء

أي ليس لعظمه مخ والهوى مقصور هوى الحب تقول هوى يهوى هوى قال أبو جعفر النحاس في المعاني الهوى في القرآن مذموم والعرب لا تستعمله الا في الشر فأما في الخبر فيستعملون الشهوة والنية والمحبة انتهى كلامه وجاء من الهوى في الحديث قول عائشة رضي الله عنها للنبي صلى الله عليه وسلم حين أنزل الله عليه ترجي من تشاء منهن وتؤوي اليك من تشاء الآية والله ما أرى ربك الا يسارع لك في هواك واذا أضفت الهوى اليك قلت هواي مثل نفاي ومن العرب من يقول هوي وقد تقدم قفي قال الشاعر

سبقوا هوي وأعنقوا لهواهم * فتخرموا ولكل جنب مصرع

وهذه لغة هذيل تقول مضى هوي من الليل على وزن فعيل أي هزيع والهواهي الاباطيل والهوهاءة بالمد الرجل الاحمق فان زدت ألفا على هوى جاء منه أهوى مثل قوله تعالى والمؤتفكة أهوى معناه أسقط يقال هوى زيد وأهواه الله أي أسقطه كما فعل جبريل بمدائن قوم لوط عليهما السلام رفعها بجناحه حتى سمع أهل السماء نباح الكلاب وصراخ الديكة ثم قلبها وقال البخاري أهوى ألقاه في هوة وقال غيره المؤتفكة المنقلبة والهوة الحفرة القصيرة ويقال لها مهواة وفي الحديث اذا غرستم فاجتنبوا هوي الارض فانها مأوى الهوام وجمع هوة هوى وجمع مهواة مهاوي ولي من هذه اللفظة أبيات لزومية وقد تقدمت

فاحذر طريق المعاصي * فان فيها مهاوي

وكل من سار فيها * فانه ثم هاوي

وللهوى هوة من * هوى بها فهو ثاوي

اتركه رأسا أخي لا * تركن اليه وتاوي

معكوس آه هاء هي حرف هجاء ومن حروف الحلق ومن الحروف الرخوة ومن الحروف الزوائد وقد أفردت لها القول في كم من موضع تزاد في آخر الباب

والحمد لله وهي للتنبيه في قوله هاء زيدا اذا ناديته وأختها الهمزة لانك تقول في النداء أزيد وكثيرا ما تفعل العرب هذا يقولون أرقت الماء وهرقت وأم والله وهم والله حولوا الهمزة هاء لقرب المخرج والمراد بالهاء التي للتنبيه ايقاظ الغافل وتنبيهه لسماع الكلام الوكيد كما جعلوا في كلامهم ألا استفتاحا وأما بعد توطئة للكلام الذي بعده نعم والنداء نفسه يقولون يا فلان اسمع كذا وكذا وليس بعده دامته فيحتاج الى استدعائه وكذلك قولهم أعزك الله كان كذا وكذا مع ما في ذلك من حسن الادب ولين القول وسأ وهأ من زجر الابل وهاء بمعنى دعابها ويكون للاجابة وقال ابن قتيبة هأهأت بها للعلف وقد تقدم في باب الجيم عند ذكر جأجأت بها اذا دعوتها للشرب وهي مثل ذلك ومما جاء في القرآن من ها التي للتنبيه ها أنتم على اختلاف القراء فيه منهم من قرأها أنتم بالمد والهمز كما تقدم ومنهم من قرأها أنتم بالهمز غير ممدود على مثل هعنتم ومنهم من قرأها انتم بغير همز واشباع الهاء فمن قرأها أنتم جاء به على الاصل دخلت ها التي للتنبيه على أنتم ويجوز أن تكون الهاء مبدلة من همزة ودخلت الالف بين الالف والهمزة كما دخلت في أنتم ووجه من حذف الهمزة اذا قدرها للتنبيه انها قد اتصلت بالكلمة حتى صارت كأنها كلمة واحدة ومن قرأها أنتم على مثال هعنتم حذف الالف لكثرة الاستعمال وذكرا كثر ذلك المهدوي رحمه الله وكذلك الهاء في هذا وهذه وغير ذلك جعلوها للتنبيه ولذلك قال النابغة

ها ان تا عذرة الا تكن نفعت * فان صاحبها قد تاه في البلد

العذرة المعذرة ومنه المثل يأبى الحقين العذرة الحقين الوطب المملوء قد حقن رأسه والوطب زق اللبن والهاء ضمير المؤنث واذا وقفت على تاء التأنيث في مثل قائمة وقاعدة وقفت بالهاء وتجيء في آخر الكلمة للندبة وسيجيء الكلام عليها في آخر هذا الباب ان شاء الله تعالى وتكون للسكت في مثل قوله تعالى لم يتسنه وفبهداهم اقتده وقد ذكر عياض رحمه الله في هذا المعنى فصلا جزلا أعجبني فكتبته هنا قال في كتاب حديث أم زرع المتقدم الذكر وقع في بعض الروايات اذنيه وعضديه وفرعيه واليه وهذه هاء السكت الملحقة في الوقف وانقطاع الصوت وبعضهم يسميها هاء الاستراحة وهي تلحق الاسماء والافعال والحروف لثلاث علل لصحة الحركة التي في آخر الكلمة قبلها وتبيينها كقوله غلاميه وماليه

ولم يغيّره ولم يتسنّه عند بعضهم وانه بمعنى نعم ولعله وابنه واشباه هذا ولتمام الكلام
المنقوص واستقلاله بها كقوله عمه ولم يره ولا تسنه والوجه الثالث للحاجة عند
مدّ الصوت قبلها في آخر الكلمة وذلك في النداء والندبة وقد ألحقوها في الاسماء
غير المتمكنة اذا كان قبلها الف لضعف الالف نحو هناه وهاه ولاه ولم يفعلوا ذلك
في المتمكنة وبعد الحكايات فقالوا ضربتكه وضربته وأبيه وغلاميه وغلاماياه قال
وقال المهدوي في قوله تعالى لم يتسنه معناه لم يتغير وقال مجاهد لم ينتن قال ويجوز أن
يكون أصله من سانيته مساناة أي عاملته سنة بعد سنة أو من سانهت فان كان من
سانيت فأصله يتسنى فسقطت الالف للجزم وأصله من الواو بدليل قولهم سنوات
والهاء فيه للسكت وان كان من سانهت فالهاء لام الفعل وأصل سنة على هذا سنهة
وعلى القول الاول سنوة وقيل هو من أسن الماء اذا تغير وكان يجب على هذا أن
يكون يتأسن. قال أبو عمرو الشيباني هو من قوله تعالى حمإ مسنون والمعنى لم يتغير
قال الزجاج وليس كذلك لان قوله مسنون ليس معناه متغيرا وانما معناه مصبوب على
سنة الارض وأصله على قول الشيباني يتسنن فأبدلت احدى النونين ألفا كراهية
التضعيف فصار يتسنى ثم سقطت الالف للجزم ودخلت الهاء للسكت وقرأ حمزة
بحذف الهاء من يتسنه في الوصل وكذلك اقتده في الانعام وماليه وسلطانيه
في الحاقة وما أدراك ماهيه في القارعة وحذفها فيهن ابن محيصن وسلام ويعقوب
وزادوا كتابيه وحسابيه وحذف الكسائي من ذلك في يتسنه واقتده واثبتها
الباقون فيهن في الحالين غير ان ابن ذكوان يصل الهاء بياء في اقتدهي وهشام
بكسر الهاء من غير صلة فمن حذف الهاء من القراء في الوصل فهو الاصل لانها
للوقف تتبين بها الحركة ومن اثبتها اجرى الوصل على الوقف وقدّر الوقف عليها
وحذف الكسائي الهاء في يتسنه واقتده خاصة على الجمع بين اللغتين وكسر
الكسائي الهاء من اقتده على انها ضمير المصدر كأنه قال اقتد الاقتداء وحذف
الصلة على تقدير الياء التي كانت قبل الهاء لان سقوطها عارض ولو كانت موجودة
لحذفت الصلة معها واثبات الصلة مراعاة للفظ لان الهاء قبلها كسرة والياء
معدومة في اللفظ انتهى كلامه قلت وقد ذكرت لك في باب النون كيف تزاد الهاء ثم
تبدل تاء للضرورة وجاء في الحديث من ذكر الهاء لاها الله ذا يروى بالهمز وتركه
وقال أبو عثمان المازني من قال لاها الله اذا فقد أخطأ انما هو لاها الله ذا أي

ذا يميني وذا قسمي وقال بعضهم ذا صلة وقال أبو حاتم يقال في القسم لاها الله ذا
والعرب تقول لاها الله بالهمز والقياس ترك الهمز والمعنى لا والله هذا ما أقسم به
فادخل اسم الله بين ها وذا والله أعلم * وأما هاء وهاء فقد وردتا في الحديث في قوله
عليه الصلاة والسلام التمر بالتمر ربا الا هاء وهاء وكذلك قال في الشعير والبرّ وغير
ذلك معناه والله أعلم الا حاضرا بحاضر بحيث تأخذ وتعطي لان هاء كلمة تستعمل عند
المناولة تقول هاء وهاء يا رجل فيقول ما أدري ما هاء معناه خذ وتناول تأمر بها
ولا تنهى وتقول ما أهاتيك بمعنى ما أعاطيك وكذلك تنبه على ما لم يسم فاعله فتقول
ما أهاء أي ما أعطي وفي الحديث عن مجاهد قال انكم مكتوبون عند الله بأسمائكم
وسيماكم وحلاكم ومجالسكم ونجواكم فاذا كان يوم القيامة قيل يا فلان
ابن فلان ها نورك ويا فلان بن فلان لا نور لك وفي الحديث سأل سائل رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاذا بتمرة عابرة فقال خذها ولو لم تأتها لأتتك وجاء في الحديث من
قول الحارث البكري اذ قدم على النبي صلى الله عليه وسلم ومعه عجوز فقال في كلام
كثير وها هي ذه بالباب قال ثابت وفيها لغة اخرى عن أبي زيد قال تقول العرب
ها هو ذه للمرأة احتسابا بالهاء وقال سمعت رجلا من غني يقول حين قال ابن فلان
هاهوذا بفتح الهاء مع الواو وتشديد الواو وسمعت رجلا من بني تميم يقول هاهوذا
بفتحها من غير تشديد ويقال هاء بالمد بمعنى التلبية وتكون أيضا بمعنى النداء وقد
تقدم ومنه قوله تعالى هاؤم اقرؤا كتابيه قال ابو زيد المعنى تعالوا وقال بعض أهل
اللغة أصل هاؤم هاكم أبدلت الكاف همزة وقال يعقوب تقول هاء يا رجل
وهاؤما يا رجلان وهاؤم يا رجال وهاء يا امرأة مكسورة الالف وهاؤما يا امرأتان
وهاؤن يا نساء وفيه لغة اخرى ها يا رجل مثل خف وللاثنين هاآ مثل خافا وللجمع
هاؤا وللمرأة هائي بياء وللمرأتين هاآ وللجميع هئن مثل خفن وفيه لغة ثالثة
هاء يا رجل بهمزة مكسورة وللاثنين هائيا وللجميع هائين وتقول هات يا رجل
وللاثنين هاتيا وللجميع هاتوا وللمرأة الواحدة هاتي وللمرأتين هاتيا وللجميع
هاتين ويقال هات لا هاتيك وهات ان كانت بك مهاتاة وقال الخليل أصل هات من
آت فقلبت الالف هاء ويقال هاء الرجل بنفسه الى المعالي اذا نهض نحوها ويقال
هيهيت بالابل هيهاة وهيهاء اذا زجرتها فقلت ها وهيا وهي كما تقدم وقيل كان من
نسل آدم عليه السلام هيّ فانقرض نسله ويقال هيّ ابن بيّ وهيان بن بيان اسم

من لا يعرف ويقال له أيضا بهل بن بهلان وأنشد * لكنّ قائله بهل بن بهلانا *
ويقال له أيضا صلمعة بن قلمعة وتقول رجل هوهاة جبان أحمق وهياه من أسماء
الشياطين وقولهم ياهيّ مالى كلمة أسف وتلهف وأنشد فقال

ياهيّ مالى من يعمر يفنه * مرّ الزمان عليه والتقليب

والهيئة الشارة تقول فلان حسن الهيئة والهيئة وتقول هئت للامر أهيء هيئة
وتهيأت تهيؤا بمعنى وهيهات كلمة معناها البعد وفيها لغات هيهات هيهات بفتح التاء
وهى قراءة السبعة وقرأ ابن القعقاع هيهات هيهات بالكسر وقرأ عيسى الثقفى
هيهاتٍ هيهاتٍ بالتنوين وقرأ عيسى الهمدانى هيهاتْ هيهاتْ بالاسكان قاله المهدوى
وفسر هذه اللفظة بأنها البعد يقال هيهات ماقلت وهيهات لما قلت أى البعيد
ماقلت والبعد لما قلت فمن فتح التاء فتحها اتباعا للالف والفتحة التى قبلها وهو عنده
اسم واحد يؤدى عن البعد والمراد فيها التعريف كأنه قال البعد البعد ومن سكن
حمل الوصل على الوقف واذا لم يكن بعد هيهات لام رفع مابعدها بالابتداء كما قال
الشاعر هيهات هيهات العقيق وأهله * وهيهات خل بالعقيق أواصله
ويقال هيهات هيهات وأيهات أيهات وأيهان أيهان وآيهات آيهات وآيهان آيهان
حكاه المهدوى أيضا بالهاء عن اللحيانى ويوقف على آخرها بالتاء كما يوقف على
بيتات ويوقف أيضا بالهاء على مثال علقاه ويقى مقلوب هى المتقدم وذلك به حكاية
الراعى للابل المهيه مهيها تقول يهيهت بالابل اذا دعوتها فقلت ياهياه واذا وصلت (قوله المهيه اسم فاعل كمحدث)
قلت ياهياه ومنهم من ينصب الهاء (رجع الكلام الى الهاء) قد تأتى هاء حكاية
صوت المتثائب جاء منه فى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله يحب
العطاس ويكره التثاؤب فاذا عطس فحمد الله فحق على كل مسلم سمعه أن يسمته
يقال سمته بالسين المهملة مأخوذ من السمت وهو القصد والمحجة وهو أحسن قاله
ثعلب وقال أبو عبيد بالشين أعلى فى كلامهم واكثر وأما التثاؤب فانما هو من
الشيطان فليرده مااستطاع فاذا قال ها ضحك منه الشيطان خرجه البخارى عن
أبى هريرة رضى الله عنه (مقلوب احدى كلمات البيت) حرف بين ألفين اها كلمة توجع
وهى آه المتقدمة أمر بتها كما تقول آه فتقول من هذا آهاً زيدو يحتمل أن يكون من
واها أبدلت الواو همزة مثل ماتقدم فى هاز يدو أز يدو هرقت وأرقت قال الشاعر

واهاً لريا ثم واهاً واها * ياليت عيناها لنا وفاها

بثمن نرضى به أباها

كذا وقع فى الدلائل عيناها وهى لغة لبعض العرب وقد تقدم الكلام على ذلك فى قوله
تعالى ان هذان لساحران وأهاء فعل من قولك هئت أهاء اذا تهيأت والهيء على
وزن فعيل الحسن الهيئة واهاً اهاً حكاية صوت الضاحك قال الشاعر * اهاً اهاً عند
زاد القوم ضحكتهم * وتدخل ألف الاستفهام على هاء فتقول أهاء كتبت أم تاء
مقلوبها أيضا ألف بين حرفين ها كلمة وعيد وهاه أيضا حكاية للنوح وهاه أيضا
حكاية للضحك وتقول هى للمرأة وهو للرجل وهو حكاية المهو وهى وتقول وهوه الكلب
فى صوته وكذلك الرجل وحمار وهواه يوهوه حول عانته مشفقا لها العانة جماعة حمير
الوحش كما يقال لجماعة الظباء والبقر اجل ولجماعة النعام خيط ولجماعة
الجراد رجل ولجماعة القطا والنساء سرب وقد تقدم دبر وثول وخشرم ولوب ونوب
لجماعة النحل وقد استقصى أبو محمد بن قتيبة رحمه الله هذا الباب فانظره فى أدب
الكاتب وقال صاحب كتاب العين الثول لا واحد له من لفظه * تقدم اها بقى إيه كلمة
استزادة واستنطاق وقد تنون فيقال ايه حديثا وكان الاصمعى رحمه الله يقول لحن
ذو الرمة فى قوله وقفنا فقلنا إيه عن أم سالم * ومابال تكليم الديار البلاقع
كان ينبغى أن يقول ايه قال يعقوب تقول للرجل اذا استزدته من عمل أو حديث ايه
بغير تنوين فان وصلت قلت ايه حديثا بالتنوين وقول ذى الرمة ايه عن أم سالم ولم
ينون وصل لانه نوى الوقف واذا اسكت الرجل وكففته قلت ايها عنا وقد لا تنون
وتقول ايه بمعنى حسبك وتقول أيهت بالرجل صوتّ به ومنه حديث ابن قيس قال سئل
ملك الموت عن قبض الارواح فقال أؤيه بها كما يؤيه بالخيل فتجيبنى خرجه ابن قتيبة
وقال التأييه الدعاء يقال أيهت للفرس فأنا أؤيه بها تأييها وأيه بفلان ادعه وهيه
أخت ايه فى الوزن والمعنى غير ان هيها كثيرما تستعمل ساكنة * بقيت القافية هل
وهل وقد تقدم هل المطر وانهل وتقول هل الهلال وأهل هلا واهلالا ودفع الاصمعى
هل وقال لا يقال الا أهل وأهللنا نحن اذا رأينا الهلال وأجاز أبو زيد هل الهلال
وأهل رثوب هل اذا كان رقيقا وامرأة هل اذا تفضلت فى ثوب واحد فى بيتها قال
الشاعر فتاة تزين البيت إمّا تفضلت * وان قعدت هلا فأحسن بها هلا
وتقول أهل المحرم بالحج أو بالعمرة اهلالا وتهلل الرجل فرحا والتهليل قول
لا اله الا الله وهلل الرجل اذا قالها وقد بنوا منها هيلل كما قالوا حيعل وحوقل وقد

تقدم التهابل أيضا والهال الفزع والجبن وهال البعير اذا استقوس هزالا واستهل الصبي اذا صرخ عند سقوطه والهلال معلوم يسمى بذلك أول ليلة والثانية والثالثة ثم يقال قمر بعد ذلك الى آخر الشهر وتسمى العرب الهلال شهرا قال الشاعر

أبدأن من يجد على ثقة * والشهر مثل قلامة الظفر

يريد الهلال ويقال بدأت وابدأت بمعنى واحد وقال ابن دريد أبدأت من أرض الى اخرى أبدئ ابداء اذا خرجت منها الى غيرها وكان أبوزياد الاعرابى اذا رأى الهلال أخذ عود الخد دطرفه وأشار اليه وقال عود عد عنا شرك أيها الشهر ذكر هذا الخطابى رحمه الله فى تفسير قوله عليه الصلاة والسلام صوموا الشهر وسره أى مستهل الشهر وقال العرب تسمى الهلال شهرا كما تقدم والرجل يهل اذا نظر الى الهلال والهلية الارض يستهلها المطر والهاهل السم القاتل وثوب مهلهل وهلهال سخيف النسج ويقال انما سمى الشاعر مهلهلا لانه أول من رقق الشعر وقد تقدم ثوب هل اذا كان رقيقا ويقال ماء هلاهل صاف كثير وهاهلت أدركه أى كدت أدركه وما جاء بهلة ولا بلة أى بما يفرح به تقدم أهل ومن شكله أهل من قوله تعالى وما أهل لغير الله ومعناه ذكر غير اسم الله تعالى على ذبحه وأهل زيد لكذا أى جعل اهلاله ومنه أهل الرجل وهم زوجته وقريبه وقبيله وجمعه أهلون وآهال وأهلات ومكان آهل ومأهول ذو أهل واتأهل التزوج * انقى هل كلمة استفهام فاذا جعلته اسما أعربته وشددته قال الخليل قلت لأبى الدقيش هل لك ثريدة كأن ودكها عيون الضياون فقال أشد الهل وأوحاه وتأتى هل بمعنى قد فى قوله تعالى هل أتى على الانسان حين من الدهر قال سيبويه رحمه الله وقيل هل هنا بمنزلة همزة الاستفهام تقديره أأتى على الانسان والانسان هنا آدم عليه السلام وفى قوله انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه بنو آدم وقال البخارى هل تكون جحدا وتكون خبرا وهى فى هل أتى على الانسان خبر وقال غيره تكون هل شرطا وتوبيخا وأمرا مثل قوله تعالى فهل أنتم منتهون وتدخل لا على هل فتكون تحضيضا تقول هلا فعلت كذا وكذا كما تقول لولا ولكن يشترط أن لا يكون للولا جواب فحينئذ تكون بمعنى هلا كما قال تعالى فلولا كان من القرون من قبلكم فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا فلولا ان كنتم غير مدينين فلولا اذا بلغت الحلقوم فلولا كانت قرية آمنت فهذا كله بمعنى هلا وكذلك قول الشاعر فى هذا

المعنى

تعدون عقر النيب أفضل مجدكم * بنى ضوطرى لولا الكمى المقنعا

أى فهلا تعدون الكمى الشجاع المقنع بالحديد ومثل لولا لوما فى قوله تعالى لوما تأتينا بالملائكة يريد هلا تأتينا فاذا رأيت للولا جوابا فليست بهذا المعنى نحو قوله تعالى فلولا انه كان من المسبحين للبث فى بطنه الى يوم يبعثون فهذه لولا التى تكون لامر يمتنع لوقوع غيره وبعض المفسرين يجعل لولا فى قوله تعالى فلولا كانت قرية آمنت بمعنى لم أى فلم تكن قرية نفعها ايمانها عند نزول العذاب الا قوم يونس وكذلك قوله تعالى فلولا كان من القرون من قبلكم أولو بقية أى فلم يكن قال هذا كله ابن قتيبة رحمه الله فان خففت هلا ونونتها جاء منه هلا ومعناه التسكين ومنه قول عبد الله اذا ذكر الصالحون فحيهلا بعمر يعنى أسرع بذكره ومعنى هلا أسكن عند ذكره حتى تنقضى فضائله وقالت ليلى

أعيرتنى داء بأمك مثله * وأى حصان لا يقال لها هلا

أى اسكنى للزوج وتكون أيضا هلا للحث والاستعجال وهو قريب مما تقدم هنا وقد تقدم فى أول الكتاب أيضا طرف منه يقال حى هل للثريد ومعناه هلم الى الثريد فتحت ياؤه لاجتماع الساكنين وبنيت حى مع هل اسما واحدا مثل خمسة عشر وسمى بها الفعل فيستوى فيه المذكر والمؤنث والواحد والجمع فاذا وقفت عليه وقفت حيهلا والالف لبيان الحركة كالهاء فى قوله تعالى كتابيه وحسابيه لان الالف من مخرج الهاء وهلا أيضا من زجر الخيل قال الشاعر * تعلمها حى وهلا وأرحب * ومعكوس هل له ضمير الغائب وله بعملك أمر من ولى وجاء من هذه اللفظة فى المضاعفة اللهلهة مثل النهنهة وأصل نهنهة نههة بثلاث هاآت فأبدلوا الوسطى نونا من أجل النون الاولى وللفرق بين فعال وفعل واللهله السراب واللهله أيضا القبيح الوجه واللهله أيضا المكان المستوى الذى ليس به علم قال رؤبة

ومخفق فى لهله ولهله * فى مهمه أطرافه من مهمه

أعمى الهدى بالجاهلين العمه * به تمطت غول كل ميله

بنا حراجيج المهارى النفه * يجذبنه بالهوع والتأوه

والميله البلاد التى توله الانسان أى تحيره يقال ماء موله وموله للذى أرسل فى الصحراء فذهب والموله العنكبوت * تقدم فى القافية وهل والواو للعطف فان جعلتها أصلية جاء منه وهل ووهلا اذا فزع وفى الحديث لقيته أول وهلة يقال وهلت أوهل وهلا

كما تقدم اذا فزع وكل انسان اذا رأى شيئا لم يكن رآه قبل ذلك فانه يرتاع له أدنى ارتياع كأنه يقول لقيته أول فزعة فزعتها اللقاء الانسان وفى الحديث أيضا فقمنا وهلين من صلاتنا أى فزعين والمستوهل الوهل الضعيف القلب الجبان ويقال وهل بمعنى فلق وتقول كلمت فلانا فذهب وهلى الا الى فلان وكذلك ماوهلت الى فلان وفى الحديث من قول النبى صلى الله عليه وسلم رأيت فى المنام انى اهاجر الى أرض بها نخل فذهب وهلى الى انها اليمامة أو الهجر فاذا هى المدينة يثرب قال الاصمعى يقال وهل يهل وهولا اذا ذهب وهمه اليه قال أبو زيد الوهل باسكان الهاء النسيان والخطأ والغلط ومعكوس وهل لهو وهو معروف تقول لها يلهو لهوا اذا اشتغل بطرب أو نحوه وفى الحديث بئس العبد عبد سها ولها ونسى المقابر والبلى ولهيت عن الشئ انصرفت عنه تقول من هذا الهى يلهى ومن هذا الحديث من أشفق من النار لهى عن الشهوات ومصدره لهيا ولهيانا وألهانى كذا اشغلنى من قوله تعالى ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر ومنه قول عمر رضى الله عنه ألهانى الصفق بالاسواق واللهو مكروه شاغل عما هو أنفع منه ولا يقع اسمه فى القرآن الا فى موضع الذم والعرب لا تستعمله الا فى الشر فأما فى الخير فيستعملون فيه الشهوة والنية والمحبة وجاء فى القرآن فى مثل قوله تعالى واذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا اليها قيل فى تفسير اللهو ههنا انه الطبل والطبل أيضا فى غير هذا الخلق يقال ما أدرى أى الطبل هو أى أى الناس والطبل الاصل قال لبيد * يستعملون بن خيار الطبل * وقد يسمى الولد لهوا أيضا كما قيل فى تفسير قوله تعالى لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا قيل هو الولد وقيل المرأة والتقدير ذا لهو فى القولين وقد يكنى عن النكاح باللهو وقال امرؤ القيس * كبرت وان لا يحسن اللهو أمثالى * وقد جاء اللهو فى القرآن مقرونا باللعب مقدما عليه لهو ولعب ومؤخرا عنه لعب ولهو وقد انظمت فى ذلك بيتين يعرف بهما المقدم من المؤخر وتقدم فى أول الكتاب * بقى من الكلام فى لهو لفظة فعلة التى هى لهة اذا لم تنونها فهى ضمير المؤنث ادخلت عليها اللام كما قال الله عز وجل لها ما كسبت فاذا نونتها جاء منها لهى جمع لهاة اللهاة أقصى الفم والجمع اللهى كما قال الشاعر * فقلت لها ان اللهاة تقتضى اللهى * واللهاء أيضا العطاء واحدته لهوة ولهية ومن لهى الذى هو اللهو قال الشاعر يلغز

وجارية من آل حمس رأيتها * لها ولد من زوجها وهى عاقر

يريد لعب ولد من زوجها ومقلوب وهل هول وهو المخافة يقال هالنى الامر يهولنى هولا وجمعه أهاويل ووقع فى الحديث من هذا اللفظ جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكا اليه أهاويل يراها فى المنام فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أويت الى فراشك فقل أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه ومن همزات الشياطين وان يحضرون والتهاويل جميع التهويل وهو ما هالك والتهاويل أيضا زينة الوشى والتصوير وأصله فى نور البقل من الالوان من الحمرة والصفرة يقال هولت المرأة اذا تزينت بلباس أو حلى قال الشاعر

وعازب قد علا التهويل جنبته * لا ينفع النعل فى رقراقه الحافى

يصف نباتا والجنبة ما يكبر فى أصول الشعب من قبل المطر يقول لا ينتفع الحافى بنعله لانه انما يمشى على الربيع فلا يضره الحفاء وتقول أمر هائل ولا تقل مهول وكان بعض العلماء يقول فلان هول من الهول وينكر قول الناس هول من الاهوال وينشد * ان المكارم يغشى دونها الهول * وقال أبو زيد يجمع الهول على أهوال وهؤول وأنشد رحلنا من بلاد بنى تميم * اليك ولم تولدنا الهؤول * وقد قيل هيل الرجل فهو مهال فرغ القول فى الهول والهالة دائرة القمر وهالة اسم امرأة وكذلك كان اسم هالة بنت خويلد بن أسد أخت خديجة زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى عنها ومن مقلوب وهل أيضا وله يقال ولهت المرأة ولها وولهت تله اذا ذهب عقلها لفقد حبيبها فهى واله ووالهة وموالهة والولهان اسم شيطان يولع الانسان بكثرة صب الماء عند الوضوء وقال النبى صلى الله عليه وسلم ان للوضوء شيطانا يقال له الولهان فاتقوا وسواس الماء وقد تقدم ذكر التهويل نسأل الله التهوين بقى الكلام فى الهون والهون والهين والمهين * أما الهون فالهوان من قوله تعالى فاليوم تجزون عذاب الهون تقول أهنت الرجل واستهنت به وكذلك قالوا فى قوله تعالى أيمسكه على هون أى على هوان وكذلك قرأها عيسى بن عمر أيمسكه على هوان وقال هوان وهون واحد وقرأها الاعمش أيمسكه على سوء وقال أبو جعفر النحاس وقد ذكر هذا التفسير والقراءة لغة قريش الهون والهوان بمعنى واحد وكان بعض بنى تميم يجعل الهون مصدر الشئ الهين والهون بالفتح السكينة من قوله تعالى وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا قال مجاهد

يمشون بالسكينة والوقار قال الحسن علماء حلماء ويقال تكلم فلان على هينته
وقال صاحب العين رجل هون حقير وقال بعضهم الهوينا تصغير الهونى والهوين
تصغير الاهون كقولك الاكبر والكبرى والادون والدنيا وأما الهين فمخفف من
هين كميت من ميت ولين من لين قال ابن الاعرابى العرب تمدح بالهين اللين مخففا
وتذم بهما مثقلا وقال غيره هما سواء والاصل التثقيل ثم خفف وتكادان لا تفارق
هذه اللفظة أختها أعنى قولهم فلان هين لين وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم
المؤمنون هينون لينون قال الذى شرح هذا الخبر هينون لينون بجزم الياء لان
كسر الياء صفة مذمومة للمؤمنين ثم ذكر حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال أوحى الله عز وجل الى نبيه ألا أخبرك بمن يحرم على النار أو قال بمن
تحرم عليه النار كل هين لين سهل قريب وفى الحديث الاول بعد قوله هينون
لينون كالجمل الانوق ان قيد انقاد وان أنيخ على صخرة استناخ وأنشد
شاهدا على هينون لينون بالتسكين لبعضهم

هينون لينون أيسار ذوو يسر * سوّاس مكرمة ابناء ايسار

قوله فى هذا البيت ابناء ايسار قال بعضهم هو مثل قول الآخر متمم ايسار فى قوله

انى أتمم ايسارى وأمنحهم * شتى الايادى وأكسو الجفنة الادما

الايسار يسهام الجزور وكان من ميسر أهل الجاهلية ينحرون الجزور ويضربون
عليها بالقداح وهى عشرة لسبعة منها انصباء وثلاثة لا شئ لها بل يكون على من
خرجت له غرم ثمن الجزور كله ولا يدخل فى هذا الفعل منهم الا الكرماء وأهل
الثروة والجدة وكانوا يتمدحون بذلك فان نقص واحد من عدد القوم وقام به قائم من
البقية سمى متمما وشرف بهذا الاسم فى قومه لانه يتحمل سهمه وسهم الغائب
أو الناقص منهم ولا يعطل ذلك الفعل ويقولون للقداح اذا لم تتم على عدد الرجال
قد توحدت حتى يتمها الشريف منهم وفى ذلك يقول سيدهم

واقد شهدت اذا القداح توحدت * وشهدت عند الليل موقد نار

واحدا سماء القداح التى لا سهم لها المنيح واحد القداح التى لها سهام المعلى
ولذلك قال الشاعر

فسهمى من قطيعته المعلى * وسهمى من مودته المنيح

وقد تقدم البيت مع قولهم عن المقمور ربق سهمه فى الشمال وهذا أمر قد نسخه

الاسلام وأبطله فلا يحتاج اليه أكثر من انك اذا سمعت البيت علمت معناه وقد
جاء منه فى الحديث الفاظ ومعانى منها قول على رضى الله عنه وذكر حديثا طويلا
ان المسلم ما لم يغش دناءة يخشع لها اذا ذكرت ويغرى به لئام الناس كالياسر الفالج
ينتظر فوزه من قداحه فالياسر الفالج هو الذى له السهم الفائز وهو الظافر
وهو الياسر وهو القامر وجمعه ايسار ويسر ويسارون ومعناها كلها الآخذ
الغالب وضده المقمور والمحروم والمغبون * فرغ الكلام وانتهى فى الهاء تبقى
فى كم من موضع تزاد قال أهل اللغة تزاد فى كلام العرب على سبعة أضرب أحدها
للفرق بين الفاعل والفاعلة نحو ضارب وضاربة والثانى للفرق بين المذكر
والمؤنث نحو امرؤ وامرأة والثالث للفرق بين الواحد والجمع نحو تمر وتمرة
وبقر وبقرة والرابع لتأنيث اللفظة وان لم يكن تأنيثها حقيقة نحو غرفة وقربة
والخامس للمبالغة نحو علامة ونسابة وهذا امدح ونحو هلباجة وفقفاقة وهذا اذم فما
كان مدحا يذهبون به الى تأنيث الغاية والنهاية والداهية وما كان ذما يذهبون به
الى تأنيث البهيمة ومنه ما يستوى فيه المذكر والمؤنث نحو رجل ملولة وامرأة ملولة
والسادس ما كان واحدا من جنس يقع على الذكر والانثى نحو دجاجة وبطة
وحية والسابع تدخل فى الجمع لثلاثة أوجه أحدها ان تدل على النسبة نحو
المهالبة والثانى على العجمة نحو الموازجة والجواربة وربما لم تدخل فيها الهاء
كقولهم كيالج والثالث ان تكون عوضا من محذوف نحو المرازبة والزنادقة
والعبادلة وهم عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير رضى الله
عنهم وتكون الهاء عوضا من الواو الذاهبة من فاء الفعل نحو عدة وصفة
وعوضا من الواو والياء الذاهبة من عين الفعل نحو ثبة ومن لام الفعل نحو
مائة وبرة

خرجت من شئ الى غيره * أسألك اللهم من خيره
لكن من فن لفن ومن * علم الى علم سرت فى سيره

وان أردت التزام الهاء الاصلية فقل

خرجت من شئ الى غيره * لكن من علم لما يشبهه
من كان يقظانا يزد يقظه * وان يكن نومان ذا ينبهه

﴿فصل﴾ من الفوائد الزوائد تقدم قول أبى محمد رحمه الله تعالى * أحسن الله لى

عزاي بنفسي * البيت وسبب قوله ذلك ان الفقيه أبا محمد عبد الحق أنشدني لنفسه

ضحك الشيب فوق رأسي فأغرب * اذرآني ذهبت في غير مذهب
هو ينعى الحيّ في الحين نفسي * وأنا جانبا أخوض والعب
واذا لم تناد الا جمادا * فمن العيّ ما تروم وتطلب

من قطعة آخرها

أحسن الله لي عزاي بنفسي * ان يكن يحسن العزاء لمذنب

فلما رآها أبو محمد عبد الوهاب رضي الله عنه بدل قوافيها فقال

ضحك الشيب فوق رأسي وقهقه * اذرآني ذهبت في كل مهمه

وآخر البيت الآخر * وأنا جانبا أقول لهمه * وآخر البيت الثالث * فمن العي ما به تتفوه * والبيت الآخر

أحسن الله لي عزاي بنفسي * ثم أوّه ان كان يحسن أوّه

ومن أغرب ما رأيت في أوّه قول أبي الجهم بن حذيفة ذهبت يوم اليرموك أطلب ابن عم لي بين القتلى ومعي ماء فوجدته وبه رمق فقلت له أسقيك من الماء فأشار اليّ نعم فاذا رجل من القتلى يقول آه آه فأشار اليّ ان انطلق بالماء اليه فأتيته فاذا هو هشام بن العاصي فقلت له أسقيك فسمع آخر يقول آه فأشار اليّ هشام ان انطلق اليه فأتيته فاذا هو قد مات فرجعت الى هشام فاذا هو قد مات ثم توجهت الى ابن عمي فوجدته قد مات وهذا غاية الايثار والجود كما قال الشاعر وهو أجود بيت قالته العرب

يجود بالنفس ان ضن الجواد بها * والجود بالنفس أقصى غاية الجود

وقد تقدم البيت ومن الايثار ما روي ان أحد الفقراء الصادقين اهدى اليه رأس فقال أخي فلان أحق به فاهداه اليه فقال هذا الفقير المهدى اليه أخي فلان أحق به ثم بعثه اليه وقال الآخر كذلك وقال الآخر كذلك فما زال الرأس يدور من دار الى دار حتى دار سبعة من الدور ثم رجع آخر ذلك الى الذي أهداه أول مرة ومثل هذا اعترى لبضعة وثلاثين رجلا قسموا أرغفة معدودة وأطفؤا السراج وأظهروا الاكل ثم رفعت الكسر فاذا هي كما كانت ما اكل منها أحد شيئا ايثارا لصاحبه ولا تستغرب هذا فقد حدثت عن شيخي الفقيه أبي محمد عبد الحق رحمه الله وكان دون أهل انه اشترى أضحية لنفسه

فجاءه بعض الفقراء وكان ذا عيال فشكا حاله اليه فدفع اليه الاضحية فحملها الى منزله وذلك قبل العيد بأيام ثم جاءه ذلك الفقير وكان يدل عليه فقال له يا فقيه اني أبيع أضحيتك قال له ولم قال المرأة أدخلت عليّ هذا الرأي فقالت يا رجل الطما للناعراة وأرى أن تبيع تلك الاضحية وتكسو بثمنها هؤلاء الاطفال فلابدّ في العيد أن نعطي لحما أو نستغني عنه فكسوة الاولاد أوكد وأبقى فقال أبو محمد رحمه الله فأنا أحق بأضحيتي من غيري اشتريتها بكذا وكذا فخذ ثمنها فدفعه اليه ثم قال له منزلي ضيق فأمسكها عندك الى يوم العيد آخذها منك ان شاء الله فلما كان يوم العيد قال لذلك الفقير اذبحها وارسل اليّ منها اليد يكفي وأطعم سائرها عيالك ففعل رحمه الله فهذا معنى الحكاية والحمد لله وله فضائل كثيرة حدثني عنه بعض الطلبة انه احتاج يوما الى دراهم يشتري بها كتابا فقيل له قد توفر من الدراهم التي تعطى للمسجد باسم الزيت كذا وكذا فخذها فقال هذا ابقى علينا ليس بيننا وبين ربنا غير هذه الركيعات التي نصلي فنأخذ عليها أجرا وكان هو الامام في المسجد رحمه الله وقد لقيته أنا واستحييت أن أسأله عن مثل هذا فأخذته عمن حدثني بذلك عنه ممن أثق به ومن الايثار ما قاله ابراهيم بن أدهم رضي الله عنه حين قدم عليه شقيق من خراسان كيف تركت الفقراء من أصحابك قال تركتهم ان أعطوا شكروا وان منعوا صبروا فقال ابراهيم هكذا كلاب بلخ عندنا فقال له شقيق فكيف الفقراء عندكم يا أبا اسحاق فقال الفقراء عندنا ان منعوا صبروا وان أعطوا آثروا فقبل رأسه وقال صدقت يا استاذ ومن الايثار ما فعل كعب بن مامة وذلك انه سافر في ركب فنفد ماؤهم الا يسيرا فكانوا يقسمونه بالحصاة يجعلونها في الاناء ويصبون عليها الماء حتى يغمرها ويتداولونه وكان الى جانب كعب رجل من النمر بن قاسط فجعل كلما جاءت نوبة كعب نظر اليه النمري فكان كعب يقول للساقي اسق أخاك النمري ففعل ذلك مرارا حتى نفد الماء وسقط كعب ميتا وكعب ضرب به المثل في الجود كما قال الشاعر

فما كعب بن مامة وابن سعدى * بأجود منك يا عمر الجوادا

ذكر الخطابي ان تلك الحصاة اسمها المقلة ذكر ذلك حين فسر بيت الفرزدق

فلما تصافنا الاداوة أجهشت * اليّ غضون العنبري الجراضم

وقال التصافن أن يطرح في الاناء حجر ثم يصب فيه من الماء ما يغمره لئلا يتغابنوا

وقد مدح الله أقواما بالايثار فقال ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة قيل ان سبب هذه الآية ان رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فبعث الى نسائه فقلن مامعنا الا الماء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يضم أو يضيف هذا فقال رجل من الانصار أنا فانطلق به الى امرأته فقال اكرمى ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ماعندنا الاقوت صبياننا فقال هيئى طعامك وأطفئى سراجك ونومى صبيانك اذا أرادوا عشاء فهيأت طعامها وأصلحت سراجها ونومت صبيانها ثم قامت كأنها تصلح سراجها فأطفأته فجعلا يأكلان فباتا طاويين فلما أصبح الرجل غدا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ضحك الله الليلة أوعجب من فعالكما فأنزل الله عزوجل ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة خرجه البخارى من طريق أبى هريرة رضى الله عنه ووقع فى التحصيل ان الرجل الفاعل لذلك هو أبو طلحة الانصارى وقال أبو هريرة نزل هذا فى ثابت بن قيس نزل برجل من الانصار يقال له ابو المتوكل فلم يكن عند أبى المتوكل الاقوته وقوت صبيته الحديث وقد تقدم ذكر ضحك الله والحمد لله ونوع من هذا ماروى عن أبى الدحداح الانصارى رضى الله عنه وكان من أفاضل الانصار لما حض الله تعالى المؤمنين على الصدقة فى قوله تعالى من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة قال يارسول الله ربنا يستقرض منا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليعظم بذلك ثوابكم فقال يارسول الله والله ماأملك غير حائطى وقد جعلته لله عزوجل وأرضى بثوابه ثم مضى الى الحائط وفيه امرأته وصبيانه فصاح من خارجه بامرأته خذى بأيدى الصبية فاخرجى فانى سمعت الله يستقرض خلقه ليعظم بذلك ثوابهم فأقرضته حائطى فقالت له امرأته لاتقبل ولا تقال ربح بيعك وأخذت بيد الصبية وخرجت والنخل موقرة رطبا وزهوا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كم من عذق مذال فى الجنة لأبى الدحداح وفى رواية انه عليه الصلاة والسلام قال له ابشر ياأبا الدحداح فان الله قد أضعف لك ذلك فى الجنة بألف ألف قال فمضى أبو الدحداح وأخرج أولاده من الحائط وجعل يخرج التمرة من يد هذا ومن فم هذا ومن حجر هذا ومن كم هذا ويضعها فى الحائط وأنشأ يقول

ياأم دحداح هداك الهادى * الى سبيل الخير والرشاد
بينى من الحائط وسط الوادى * فقد مضى قرضا الى التناد

أقرضته الله على اعتمادى * طوعا بلامن ولا ارتداد
الارجاء الضعف فى المعاد * ان التقى والبر خير زاد

وتقدم قولهم فى ابتداء الكلام أعزك الله ولقد ظهر لى معنى حسن فى قول العامة عنك وعمن دونك حتى لهج به بعض الناس حتى دخل فى تضاعيف كلامه مرارا ويكاد لاتتكلم العامة بشئ الا وله أصل ومعنى علمه من علمه وجهله من جهله فأعملت فكرى فى هذه اللفظة أى عنك وعمن دونك فرأيت انها كلمة قالها والله أعلم من خاطب رجلا كبيرا أوعالما فكأنه يقول فى كلامه هذا الذى أحدثك به ليس بالطلا ولكنه حق أحدثك به عن العلماء عنك وعن غيرك واستحيي أن يواجهه بهذا فقال عنك وعمن دونك يعنى انك أعلم من غيرك فحسن أدبه معه ولم يقل عنك وعمن دونك فيقوله الناس ولا يلقون له بالا كما يقولون للغائب اذا قدم على السلامة وأصله الحمد لله على السلامة وكذلك كيف أصبحت وكيف أمسيت وكأن الاصل فيه على مايروى انما قيل ذلك فى طاعون عمواس اذ كان يظهر الطاعون من جسم من قضى انه يموت فكانوا يتساءلون اذا التقوا عنه وقيل انما ذلك سؤال عن أعمالهم الباطنة من طريق الآخرة أو يكون سؤال نية فنسخ ذلك وصار الى قول مجرد لانية فيه ولا عقد شبيه باللغو والى غير ذلك أشياء مثل هذه كثيرة نسأل الله السلامة مما لايرضاه منا فينبغى للرجل اذا سأل أخاه أن يكون له نية فى ذلك كما فعل عمر بن الخطاب رضى الله عنه اذ سأل الرجل فقال له كيف أنت فقال أحمد اليك الله فقال عمر ذلك أردت منك وخرج أبو عمر بن عبد البر عن عائشة رضى الله عنها قالت جاءت عجوز الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال لها كيف حالكم كيف كنتم بعدنا قالت بخير بأبى أنت وأمى يارسول الله فلما خرجت قلت يارسول الله تقبل على هذه العجوز هذا الاقبال قال انها كانت تأتينا أيام خديجة وان حسن العهد من الايمان وكان عيسى عليه السلام اذا قيل له كيف أصبحت قال أصبحت لا أملك ماأرجو ولا أستطيع دفع ماأحاذر وأصبحت مرتهنا بعملى والخير كله فى يدى غيرى فلا فقير أفقر منى وقال الشاعر

كيف أصبحت كيف أمسيت مما * ينبت الود فى فؤاد الكريم

وقيل لبعضهم كيف أصبحت فأنشد

أقول بخير ولكنه * كلام يدور على الالسن

وقيل لشريح القاضى كيف أصبحت فقال أصبحت ونصف الناس على غضبان يريد ان الناس صنفان محكوم له ومحكوم عليه فأحدهما راض والآخر ساخط وكان الربيع بن خيثم اذا قيل له كيف أصبحت قال أصبحنا ضعفاء مذنبين نستوفى أرزاقنا وننتظر آجالنا وكان أبو الدرداء رضى الله عنه اذا قيل له كيف أصبحت يقول أصبحت بخير ان نجوت من النار وكان سفيان يقول أصبحت أشكو من ذا الى ذا وأذم ذا الى ذا وأفر من ذا الى ذا وقيل لأويس القرنى كيف أصبحت فقال كيف يصبح الرجل اذا أصبح لا يدرى انه يمسى واذا أمسى لا يدرى انه يصبح وقيل لمالك بن دينار كيف أصبحت قال أصبحت فى عمر ينقص وذنوب تزيد وقال غيره أصبحت لا أرضى حياتى لمماتى ولا نفسى لربى وقال آخر أصبحت آكل رزق ربى وأطيع عدوه ابليس وقيل لآخر كيف أصبحت فقال ما ظنك برجل يرتحل كل يوم الى الآخرة مرحلة وقال آخر أصبحت اشتهى عافية يوم الى الليل فقيل له ألست الايام كلها فى عافية قال عافية يوم لا أعصى الله فيه وقال حاتم الاصم لحامد اللفاف كيف أنت فى نفسك قال سالما معافى قال يا حامد السلامة من وراء الصراط والعافية فى الجنة وقيل لآخر ما حالك قال وما حال من يموت ثم يبعث ثم يحاسب وقال ابن سيرين لرجل كيف حالك قال وما حال من عليه خمسمائة درهم وهو معيل فدخل ابن سيرين منزله فأخرج ألف درهم فدفعها اليه فقال خمسمائة درهم اقض بها دينك وخمسمائة درهم عد بها على عيالك ولم يكن عنده غيرها ثم قال والله لا أسأل أحدا عن حاله بعد هذا أبدا ومن أحسن ما روى فى هذا ما خرج أبو نعيم فى كتاب الحلية ما روى عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لى كيف أصبحت يا معاذ فقلت أصبحت بالله مؤمنا فقال ان لكل قول مصداقا ولكل حق حقيقة فما مصداق ما تقول قلت يا نبى الله ما أصبحت صباحا قط الا ظننت انى لا أمسى ولا أمسيت مساء قط الا ظننت انى لا أصبح ولا خطوت خطوة الا ظننت انى لا أتبعها اخرى وكأنى أنظر الى كل أمة جاثية تدعى الى كتابها معها نبيها وأوثانها التى كانت تعبد من دون الله وكأنى أنظر الى عقوبة أهل النار وثواب أهل الجنة قال عرفت فالزم وقريب من هذا المعنى وشبيه به ما خرج ابن المبارك فى الرقائق ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للحارث بن مالك كيف أنت أو ما أنت يا حارث فقال مؤمن يا رسول الله فقال مؤمن حقا

قال

قال مؤمن حقا قال فان لكل قول حقيقة فما حقيقة قولك قال عرفت نفسى من الدنيا فأسهرت ليلى وأظمأت نهارى وكأنى أنظر الى عرش ربى وكأنى أنظر الى أهل الجنة يتزاورون فيها وكأنى أسمع عواء أهل النار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مؤمن نور الله قلبه * رجع القول الى قولهم أعزك الله من هذا فى القرآن قوله تعالى عفا الله عنك لم أذنت لهم قال أبو محمد مكى هذا افتتاح كلام بمنزلة أصلحك الله وأعزك الله قال عون بن عبد الله أخبره بالعفو قبل أن يخبره بالذنب وحكى السمرقندى عن بعضهم ان معناه عافاك الله يا سليم القلب لم أذنت لهم قال ولو بدأ النبى صلى الله عليه وسلم بقوله لم أذنت لهم لخيف عليه أن ينشق قلبه من هيبة هذا الكلام لكن الله تعالى برحمته أخبره بالعفو حتى سكن قلبه ثم قال له لم أذنت لهم بالتخلف حتى يتبين الصادق فى عذره من الكاذب قال وفى هذا من عظيم منزلته عند الله ما لا يخفى على ذى لب ومن اكرامه اياه وبره به ما ينقطع دون معرفة غايته نياط القلب وقال نفطويه ذهب ناس الى ان النبى صلى الله عليه وسلم معاتب بهذه الآية وحاشاه من ذلك بل كان مخيرا فلما أذن لهم أعلمه الله انه لو لم يأذن لهم لقعدوا لنفاقهم وانه لا حرج عليه فى الاذن لهم وهذا باب كبير فى كراماته وفضائله اختصرت وأخطأت اذ سارعوا وأبطأت وكثروا وقصرت وطولوا واختصرت

لكن أضفه الى الفضل قبله يتزيد
والكل نقطة ماء * من بحر فضل محمد

وتقدم المثل أبى الحقين العذرة وأصله ان اعرابيا أتى قوما فاستسقاهم لبنا فاعتلوا عليه فنظر الى الوطب مملوءا فقال هيهات بأبى الحقين العذرة وقد تمثل به معاوية رضى الله عنه خرج ثابت انه قال يا معشر الانصار بم تطلبون ما قبلى والله لقد كنتم قليلا معى كثيرا على ولعلكم حذاى يوم صفين حين رأيت المنايا تلظى فى أسنتكم حتى اذا أقام ما حاولتم ميله قلتم ارع فينا وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم هيهات يأبى الحقين العذرة * وتقدمها وهاولى من لفظها أبيات كتبت بها الى الفقيه الخطيب أكرمه الله وكان لامرأتى قبل قريب له ثلاثون درهما بقية من مبيع وكنت أنا وهو واسطة بينهما فطل فى القضاء وألحت فى الاقتضاء فكتبت اليه بهذا الشعر وهو لزومى بقافيتين

لك الفضل شيع من الفضة * ثلاثين دالا وراء وهاء

ومما فقد كدت بالقصة * أغطى فجل كباءوها

وان تسألنى من قصتى * فجاهى لذى امرأنى قدوها

شكته فذحبدت قصنى * حذوت وقد خففت حذوها

وقبل هذه الابيات وبعدها كلام وله على ذلك جواب مذكور فى غير هذا الكتاب وهو مما يستظرف ويستملح وتقدم التثاؤب ويقال ماتثاءب نبى قط ولا احتلم لان ذلك أيضا من الشيطان ويذكر ان رجلا من الصالحين ماجامع قط فى يقظة ولا منام وأول بلوغه رأى فى المنام كأنه أعطى مفتاحا وعرض عليه قفل فقيل له افتحه ففعل فأنزل وكان ذلك الاول والآخر الى أن مات رحمه الله وأما الجشاء فانه مكروه أيضا لانه يتولد عن كثرة الاكل وقد تجشأ رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له كف عنا جشاءك فان اكثر الناس شبعا فى الدنيا أطولهم جوعا فى الآخرة أو كما قال صلى الله عليه وسلم وقد تقدم وتجشأ رجل أمام أحد العلماء فقال له هذا الطعام الذى تجشأت منه دعوت عليه أحدا يعنى يأكل معك قال لا قال فجعله الله حبنا وقد اذا القداد وجع فى البطن والحبن انتفاخ البطن وفى الحديث حبين وهو تصغير أحبن والاحبن الذى به السقى يقال سقى بطنه سقيا وقال أبو زيد الاسم السقى وقد استسقى بطنه استسقاء ومن كتاب التاج قال كان ابن أحمر قد سقى بطنه فقال

اليك اله الخلق أرفع رغبتى * عياذا وخوفا أن تطيل ضمانيا

قال والضمان والضمانة الزمانة والمرض يقال ضمن الرجل بالكسر ضمنا فهو ضمن أى زمن وفى الحديث من اكتتب ضمنا بعثه الله ضمنا أى من كتب نفسه فى ديوان الضمنى والزمنى وقال الشاعر فى الزمانة

ان تكتبوا الزمنى فانى لزمن * من داخل القلب رداء مكمن

ويقال حبن بطنه يحبن حبنا فأما الحبن بالكسر فنحو الدمل والخراج وجمع الحبن حبون وهى الدماميل وفى الحديث رخص رسول الله صلى الله عليه وسلم فى دم الحبون يعنى الدماميل وكان عطاء يصلى وهو فى ثوبه خرجه الدارقطنى وعلل الحديث وجاء فى الحديث من ذكر الدمل لا تكرهوا أربعة فانها الأربعة لا تكرهوا الرمد فانه يقطع عرق العمى ولا تكرهوا الزكام فانه يقطع عرق الجذام ولا تكرهوا السعال فانه يقطع عرق الفالج ولا تكرهوا الدماميل فانها تقطع

عرق

عرق البرص خرجه أحمد بن عدى وخرج ثابت فى الدلائل من طريق عائشة رضى الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول مامن آدمى الا وفى رأسه عرق من الجذام تنعر فاذا هاج بعث الله عليه الزكام فلا تداووا منه وفسره عن ابن الاعرابى قال يقال عرق عاص ونعار لا ينقطع خرجه فى حديث عبد الملك بن مروان انه قال للزهرى ان كان للثلاب نعار فى الفتنة قال قلت يا أمير المؤمنين قل كما قال العبد الصالح قال أجل لاتثريب عليكم وقال عن الاصمعى ما كانت فتنة الا نعر فيها يقال فلان نعار الصوت اذا صوت ينعر ونعر الجرح اذا فاض منه الدم ينعر وينشد * ضرب دراك وطعان ينعر *

وخرج الترمذى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعلمهم من الحمى والاوجاع كلها أن يقول بسم الله الكبير أعوذ بالله العظيم من كل عرق نعار ومن شر حر النار ويروى عرق يعار بالياء ومن لفظها ماخرج ثابت رحمه الله ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه ضرب رجلا بالدرة فنادى يا آل قصى فقال أبو سفيان يا ابن أخى اوغيرك اليوم نادى قصيا لا أثلك منهم الغطاريف فقال له عمر اسكت لا أم لك فقال ها ووضع السبابة على فيه قال الغطاريف السادة واحدهم غطريف قال رؤبة * وجهلت وجه الملك الغطريف * ومن لفظها ماخرج ابن أبى الدنيا وهو فى روايتى عن ابن مؤمن رضى الله عنه قراءة عليه بسنده عن مجاهد قال أردت حاجة فبينا أنا فى الطريق اذ جاءنى حمار قد أخرج عنقه من الارض فنهق فى وجهى ثلاثا ثم دخل فأتيت القوم الذين أردتهم فقالوا ما لنا نرى لونك قد حال فأخبرتهم الخبر فقالوا ما نعلم من ذلك قلت لا قالوا ذلك غلام منا من الحى وتلك أمه فى ذلك الخباء وكان اذا أمرته بشئ شتمها وقال ما أنت الا حمارة ثم نهق فى وجهها وقال ها ها فمات يوم مات فدفناه فى ذلك القبر فما من يوم الا وهو يخرج رأسه فى الوقت الذى دفناه فيه فينهق الى ناحيته ثلاث مرات ثم يدخل ومن باب الهاء ماخرج الدارقطنى ان الاعمش مر برجل مؤذن يدغم الهاء فيقول أشهد أن لا اله الا اللا وأشهد أن محمدا رسول اللا فقال لا يؤذن لكم من يدغم الهاء ورواه مسندا عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ولا يصح والموقوف هو الصحيح وتقدم ايه وهيه ومنه ماقال عمر بن الخطاب لعمرو بن العاص رضى الله عنهما وقد أنشده

ان القضاة ان أرادوا عدلا * قال عمر ابه لله أبوك قال * وأحكموا بالقول منهم فعلا *
فقال عمر ابه لله أبوك فقال * كانوا كفيت قد أصابوا محلا * قال
فأعجب ذلك عمر رضى الله عنه قلت حق لعمر أن يعجبه قول عمرو فى هذا الشعر ومن
لا يعجبه المطر وبه قضاء الوطر ألم تسمع أيها الواعى قول الراعى

وحديثها كالقطر يسمعه * راعى سنين تتابعت جدبا
فأصاخ يرجو أن يكون حيا * ويقول من فرح أيا ربا

وقال آخر وكان الجدب قد مسه بذكر قلبه ونقمه

فقلت لعل الله يرسل رزقه * فيضحى كلانا قاعدا يتنعم
كأنى أمير المؤمنين من الغنى * وأنت مريرى كأنك جعفر

ومن لفظ هيه ما خرج ثابت رضى الله عنه ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه وفد عليه وفد نصفهم بين يديه صفوفا وجعل يتصفحهم بعينيه فأومأ بيده لرجل منهم أن تعال فأتاه فقال له عمر هيه وكان اذا أراد أن يشار عليه بالامر قال هيه فقال الرجل هيه فقال عمر هيه فقال الرجل هيه فقال عمر قم فأخذ مقامه من الصف ثم جعل يتصفحهم بعينيه فدعا آخر فأتاه فقال له عمر هيه فقال هيه يا أمير المؤمنين سل فلنخبرك قال هيه قال هيه قال قم فقام فأخذ مقامه من الصف ثم جعل يتصفحهم بعينيه فاذا شاب طوال معروف حسن الوجه فتفرس فيه الخير قال فأومأ اليه بيده أن تعال قال فأتاه فجثا وحسر عن ذراعيه فقال له عمر هيه فقال هيه والله يا أمير المؤمنين ما وليت أمر هذه الامة لسبق كان منك فى الاسلام ولكنها بلية ابتليت بها ولو أن شاة ضلت بشط الفرات لسئلت عنها يوم القيامة قال فانكب عمر على وجهه فما زال يبكى حتى ابتل ما حوله ثم رفع رأسه فقال ويحك أعد على فما صدقنى أحد منذ وليت هذا الامر غيرك فأعاد عليه قال وبكى عمر أشد من بكائه حتى اذا سرى عنه رفع رأسه فقال ويحك أنت تأكل لحمها وأنا أسأل عنها يوم القيامة قال نعم يا أمير المؤمنين لانك راع وكل راع مسؤل عن رعيته والشاة فى رعيتك قال وكانت عليه أشد من الاولى والثانية فانكب يبكى حتى ظننا ان نفسه تخرج حتى قال بعضنا لبعض ليت هذا الشاب لم يدخل اليوم وذكر باقى الحديث وجاء فى حديث النبى صلى الله عليه وسلم من هذه اللفظة عن عمرو بن الشديد عن أبيه قال ردفت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما قال هل معك من شعر أمية بن أبى

الصلت شئ قلت نعم قال هيه فأنشدته بيتا فقال هيه ثم أنشدته بيتا فقال هيه حتى أنشدته مائة بيت وفى رواية أخرى قال استنشدنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه قال فلقد كاد ان يسلم فى شعره خرجه مسلم وقد تقدم القول فى الشعر وما يحرم منه وما يحل وأزيدك هنا فصلا تهتدى به على ذلك وتستدل خرج الترمذى فى الشمائل عن عائشة رضى الله عنها قال قيل لها هل كان النبى صلى الله عليه وسلم يتمثل بشئ من الشعر قالت كان يتمثل بشعر ابن رواحة ويقول * ويأتيك بالاخبار من لم تزود * كذا ورد فى الشمائل وجاء فى غيرها انه كان يقول * ويأتيك من لم تزود بالاخبار * وبعد هذا البيت * ويأتيك بالاخبار من لم تبع له * بتاتا ولم تضرب له وقت موعد * البتات متاع البيت قاله أبو عبيد وفى الحديث لا يحظر عليكم البتات ولا يؤخذ منكم عشر البتات ويقال البتات الزاد والجهاز وجمعه أبتة وقع فى الدلائل قال الخليل بن أحمد فى قول النبى صلى الله عليه وسلم * هل أنت الا اصبع دميت * وفى سبيل الله ما لقيت * الرجز المشطور والمنهوك ليسا من الشعر قيل فما هما قال أنصاف مسجعة قال فلما ردوا عليه قال لأحتجن عليهم بحجة ان لم يقروا بها كفروا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يجرى على لسانه الشعر قال وكان النبى صلى الله عليه وسلم يقول

ستبدى لك الايام ما كنت جاهلا * ويأتيك من لم تزود بالاخبار

فقد علمت ان النصف الاول الذى جرى على لسانه لا يكون شعرا الا بتمام نصفه الثانى على لفظه ووزنه وقد قال عليه الصلاة والسلام

هل أنت الا اصبع دميت * وفى سبيل الله ما لقيت

فهذا على المشطور ولو كان شعرا ما جرى على لسانه فان الله تعالى يقول وما علمناه الشعر وما ينبغى له ان هو الا ذكر وقرآن مبين انتهى كلامه * قلت ومما يشبه قول الخليل من انه كان ربما نطق بانصاف مسجعة كما تقدم ما جاء عنه صلى الله عليه وسلم انه قال يوم أحد اذ قال أبو سفيان أعل هبل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا تجيبوه فقالوا يا رسول الله ما نقول قال قولوا * الله أعلى وأجل * وقال لهم لما قال أبو سفيان أيضا ان لنا العزى ولا عزى لكم * فقال لهم صلى الله عليه وسلم قولوا * الله مولانا ولا مولى لكم * ومما يشبه قوله عليه الصلاة والسلام ويأتيك من لم تزود بالاخبار فى انه كان عليه الصلاة والسلام لا يقيم وزن

الشعر انشاده قول الاعشى * وهن لمن غلب شر غالب * وقاله الاعشى * وهن شر غالب لمن غلب * وكذا يتزن وقد تقدم هذا مع قول السامع له اشهد انك رسول الله لقول الله تعالى فيه وما علمناه الشعر وما ينبغى له وخرج موسى بن عقبة فى المغازى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغه قول عباس بن مرداس

فأصبح نهبى ونهب العبيد بين عيينة والاقرع

دعاه فقال يا عباس أنت القائل فأصبح نهبى ونهب العبيد * بين الاقرع وعيينة فقال أبو بكر رضى الله عنه بين عيينة والاقرع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ضرك بأيهما بدأت بالاقرع أو بعيينة فقال أبو بكر رضى الله عنه بابى أنت وأمى لا والله ما أنت بشاعر ولا راوية ولا ينبغى لك وكان عباس هذا قد قال هذا الشعر لما لم يعطه رسول الله صلى الله عليه وسلم من غنائم حنين كما أعطى غيره ثقة منه بايمانه ورضاه بما أعطى فلما لم يرض قال شعره المتقدم فيه البيت فلما قال ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقطعوا عنى لسانه فأتى به الى الغنائم فقيل له خذ منها ما شئت فقال عباس وانما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقطع لسانى بالعطاء بعد ان تكلمت فتكرم ان يأخذ منها شيئا فبعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بحلة فقبلها ولبسها وقد تقدم طرف من ذكر عباس وشجاعته وكرم أخلاقه وقوله فى البيت ونهب العبيد النهب اسم ما يؤخذ من القسم فى الغنيمة والعبيد اسم فرسه رضى الله عنه وأما ما روى عن مسروق وقد سئل عن بيت شعر فسكت عن آخره وقال ما أحب أن يكتب فى صحيفتى بيت شعر وقد تقدم هذا فيحتمل أن يكون البيت مما لم يرضه والله أعلم والا فقد خرج ثابت فى الدلائل بسنده قال سمعت صعصعة بن سلامة يقول لاصحابه سأحدثكم ببيت من الشعر فجعلوا ينظرون ويقولون ما نصنع بالشعر فقال

فان تنج منها تنج من ذى عظيمة * والا فانى لا إخالك ناجيا

قال فما رأيتهم بكوا من موعظة قط بكاءهم منه وأيضا فقد كان صلى الله عليه وسلم يستنشد الشعر ويسأل عنه كما تقدم وقال مرة لعبد الله بن رواحة رضى الله عنه قل شعرا تقتضيه الساعة وأنا أنظر اليك فقال من غير روية * انى تفرست فيك الخير أجمعه * الابيات المذكورة فى السير حتى انتهى الى قوله * فثبت الله ما آتاك من حسن * تثبيت موسى ونصرا كالذى نصروا * فقال له عليه الصلاة

والسلام

والسلام وأنت فثبتك الله يا ابن رواحة وروى أبو هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد * ألا كل شئ ما خلا الله باطل * وقد تقدم أيضا وخرج البخارى عن البراء بن عازب رضى الله عنه قال لما كان يوم الاحزاب وخندق رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيته ينقل من تراب الخندق حتى وارى عنى الغبار جلدة بطنه وكان كثير الشعر فسمعته يرتجز بكلمات ابن رواحة ويقول

اللهم لولا أنت ما اهتدينا * ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينة علينا * وثبت الاقدام ان لاقينا

وعن أنس رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم دخل مكة فى عمرة القضاء وابن رواحة يمشى بين يديه وهو يقول

خلوا بنى الكفار عن سبيله * خلوا فكل الخير فى رسوله

الابيات فقال له عمر بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى حرم الله تقول شعرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خل عنه يا عمر فلهى أسرع فيهم من نضح النبل وعن جابر بن سمرة رضى الله عنه قال جالست رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر من مائة مرة وكان أصحابه رضى الله عنهم يتناشدون الشعر ويتذاكرون أشياء من أمر الجاهلية وهو ساكت وربما تبسم معهم ولما أنشده كعب

ان الرسول لنور يستضاء به * مهند من سيوف الله مسلول

نظر الى أصحابه كالمعجب لهم من حسن القول وجودة الشعر وأنشد صلى الله عليه وسلم قول عنترة

ولقد أبيت على الطوى وأظله * حتى أنال به كريم المأكل

فقال صلى الله عليه وسلم ما وصف لى اعرابى فأحببت ان أراه الا عنترة وتقدم عن عائشة رضى الله عنها انها كانت لا ينزل بها شئ الا أنشدت فيه شعرا وقدمت الخنساء على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قومها بنى سليم فأسلمت وكان عليه الصلاة والسلام يستنشدها ويعجب بشعرها فكانت تنشده وهو يقول هيه يا خناس وهو يومى بيده صلى الله عليه وسلم وكانت الخنساء تقول فى أول أمرها البيتين والثلاثة حتى قتل أخوها لابيها صخر فأكثرت من الشعر وأجادت فمن قولها فيه أعينى جودا ولا تجمدا * ألا تبكيان لصخر الندا

ألا تبكيان الجرىء الجميل ساد عشيرته أمردا .

وفيه تقول من أبيات لها

أشم أبلج تأتم الهداة به * كأنه علم فى رأسه نار

وبلغ من وجدها بأخيها صخر هذا انها عميت من البكاء عليه ولما أسلمت قيل لها فى البكاء فقالت كنت أبكيه من القتل فأنا أبكى له اليوم من النار وكانت تلبس عليه من الحزن صدارا من شعر ودخلت على عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها وعليها ذلك الصدار من الشعر فقالت لها عائشة ان هذا القبيح قبض النبى صلى الله عليه وسلم فما لبست هذا قالت ان له قصة قالت فأخبرينى قالت زوجنى أبى رجلا وكان سيدا معطاء فذهب ماله فقال لى الى من يا خنساء قلت الى صخر أخى فأتيناه فقسم ماله شطرين فأعطانا خيرهما فجعل زوجى يعطى ويحمل حتى نفد ماله فقال الى من قلت الى أخى صخر فقسم ماله شطرين فأعطانا خيرهما فقالت امرأته أما ترضى أن تعطيهما النصف حتى تعطيهما أفضل النصفين فأنشأ يقول

والله لا أمنحها شرارها * ولو هلكت قددت خمارها
واتخذت من شعر صدارها * فذلك الذى دعانى الى ان لبست هذا

ذكر أهل اللغة ان الصدار بكسر الصاد ثوب صغير يلى الجسد وفى المثل كل ذات صدار خالة أى من حق الرجل ان يغار على كل امرأة كما يغار على محرمه وذكر الخطابى رحمه الله قال ثعلب يقال الصدار الشوذر والاتب والعلقة وقال الاصمعى الاتب البقيرة وهو ان يؤخذ برد فيشق ثم تلقيه المرأة فى عنقها من غير كمين ولا جيب وأنشد

منعمة بيضاء لودب محول * من الذر فوق الاتب منها لأثرا

ومن شعرها الغريب البعيد القريب

جززنا نواصى فرساننا * وكانوا يظنون أن لا تجزا
ومن ظن ممن يلاقى الحروب * بان لا يصاب فقد ظن عجزا
نضيف ونعرف حق القرى * ونتخذ الحمد ذكرا وكنزا
ونلبس فى الحرب سرد الحديد * وفى السلم خزا وعصبا وقزا

الخز الذى يشوبه وبر الخزز وهو ذكر الارانب والا فليس خزا وجمع الخز خزان مثل صرد وصردان والقز ثوب حرير قائم صلب وطعمه بقطن والعصب ثياب تصنع

فى

فى اليمن كانها غرقئ البيض يكتب فيها الصلابتها وملاستها وخرج البكرى ان الخنساء بيناهى ليلة تنشد الشعر الذى لمسلمة بن مزيد الذى أوله

أقول لنفسى فى الخلاء ألومها * لك الويل ماهذا التجلد والصبر

وفى هذا الشعر

وهون وجدى اننى سوف اغتدى * على اثره حقا وان نفس العمر

فهى ترده وتبكى أخاها صخرا فهتف بها هاتف من مؤمنى الجن يا خنساء قبضه خالقه واستأثر به رازقه وأنت فيما تفعلين ظالمة وفى البكاء عليه آثمة واجمع أهل العلم بالشعر انه لم تكن امرأة قبلها ولا بعدها أشعر منها حتى ان بعض العلماء وذكر عنده شعر النساء قال ما قالت امرأة شعرا قط الا ظهر الفتور فى قولها قيل له فالخنساء قال تلك امرأة كان لها أربع خصى وصدق كانت الخنساء مع ذلك من الشجعان وقد تقدم خبرها مع بنيها يوم القادسية فى باب الطاء ومن أحسن ما رأيت لفضل جارية المتوكل وكانت شاعرة أديبة تجالس الرجال وتناشد الشعراء فقال المتوكل لعلى بن الجهم قل بيتا وطالب فضلا باجازته فقال ابن الجهم

لاذ بها يشتكى هواها * فلم يجد عندها ملاذا فقالت
ولم يزل ضارعا اليها * تهطل اجفانه رذاذا
فعاتبوه فزاد نضوا * ومات وجدا فكان ماذا

فطرب المتوكل ولا ينكر الشعر فى هذا الزمان من النساء فعندى جزء من شعر تقية بنت الخطيب المحدث أبى الفرج غيث بن على بن عبد السلام الارمناوى وعليه خط يدها اجازتنى فيه ولولدى بثغر الاسكندرية أرخته بجمادى الآخرة سنة اثنتين وستين وخمسمائة والجزء بخط ابنها الفقيه أبى الحسن على بن حمدون رضى الله عنهما كان يقرأ معنا على الحافظ السلفى رحمه الله فسألته ان يكتب لى من شعر أمه تقية المذكورة ففعل وكتب لى الاجازة المذكورة عليه بخطها وكانت شاعرة محسنة فى ذلك الجزء قصيد مطول تمدح فيه الحافظ المذكور أوله

أعوامنا قد أشرقت ايامها * وعلا على ظهر السماك خيامها
والروض مبتسم بنور أقاحه * لما بكى فرحا عليه غمامها
والنرجس الغض الذى احداقه * ترنو فيفهم ماتقول خزامها
والورد يحكى وجنة محمرة * انحل من فرط الحياء لثامها

وشقائق النعمان فى وجناته * خالات مسك خالها رقباءها

وكذا وكذا ولم تزل تصف النبات وازهاره فى كلام مطول مستملح الى ان دخلت الى مدح الحافظ فقالت

ياصاح قم لسعادة قد أقبلت * وتنبهت بعد الكرى نوامها

واجمع خوالطرنا النجلى فكرنا * لما تجرد للقريض حسامها

مدح الامام على الانام فريضة * فخر الائمة شيخها وهمامها

الحافظ الحبر الذى شهدت له * أرض العراق بفضله وشآمها

واندفعت كذلك بقول رائق يفسك ماتقدم الى آخر القصيد الى غير ذلك من اشعار كقطع ازهار ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم وأنا أيضا أقول

خرجت من شئ الى غيره * أمشى بلا خوف ولا تقيه

أحكى أحاديث رجال سادة * اعراضهم طاهرة نقيه

حتى انتهى الامر الى الخنساء * ثم بعدها آل الى تقيه

ابنة غيث شيختى أكرم بها * فانها مثل اسمها تقيه

ثم بقيت بعد ذا كم أعزلا * لم يبق فى كنانتى بقيه

لكن بقى نابغة الجعدى * فلنذكره أيضا انه بقيه

وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانشده شعرا فقال له أجدت لا يفضض الله فاك قال فبقى على المائة وكان فاه البرد المنهل ترف غروبه وفى رواية أخرى فما سقطت له سن الا ثغرت مكانها سن قال وكان فى الشعر الذى أنشده

علونا السماء عفة وتكرما * وانا لنرجو فوق ذلك مظهرا

قال فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الى أين المظهر يا أبا ليلى قلت الى الجنة يارسول الله قال أجل ان شاء الله ثم أنشده

فلا خير فى حلم اذا لم تكن له * بوادر تحمى صفوه ان يكدرا

ولا خير فى جهل اذا لم يكن له * حليم اذا ما أورد الامر أصدرا

قال أجدت لا يفضض الله فاك فسره الخطابى عن ابن الاعرابى قال معناه لا يكسر الله أسنانك التى فى فيك ثم حذف لعلم المخاطب كما يقال ياخيل الله اركبى أى ياركاب خيل الله اركبى ومثله وأشربوا فى قلوبهم العجل أى حب العجل قال وفيه لغتان لا يفضض الله فاك ولا يفض الله أراد لا يجعل الله فاك فضاء لا سن فيه والبرد

المنهل هو الذى سقط لوقته وفيه بياضه ورونقه وترف غروبه معناه تبرق وتتلألأ ويقال رف الثغر يرف قال عمر بن أبى ربيعة

يرف اذا تفتر عنه كأنه * حصى برد أو اقحوان منور

ومثله ورف يرف وريفا قاله ابن السيد وغروبه ماؤه وأشره ومعنى ثغرت يريد طلعت يقال فغر الورد اذا تفتق ومنه فغر الفم وهو فتحه قال ويجوز أن يكون ثغرت أى طلع ثغره والفاء تبدل من الثاء مثل جدث وجدف وقد تقدم من هذا كثير ومعنى المنهل المنصب يقال هل السماء بالمطر هلا واهل انهلالا وهو شدة انصبابه وسيأتى فى قافية هذا البيت ان شاء الله تعالى أكثر من هذا ورواه ابن قتيبة وقال لم تنقص له سن قال ومعناه لم تسقط ويعبر عن السن بالفم يقال سقط فم فلان فلم تبق له حاكة اذا سقطت اسنانه واسم النابغة هذا عبد الله بن قيس بن كعب بن ربيعة ويكنى أبا ليلى كما تقدم وهو القائل لامرأته حين خرج غازيا

باتت تذكرنى بالله قاعدة * والدمع ينهل من شأنيهما سبلا

يابنت عمى كتاب الله أخرجنى * عنكم وهل أمنعن الله مافعلا

ماكنت أعرج أو أعمى فيعذرنى * أو ضارعا من ضنى لم يستطع حولا

فان رجعت فرب الناس يرجعنى * وان لحقت بربى فاتخذ بدلا

أخرج هذا الخبر بعض أهل العربية شاهدا على ان الكتاب الفرض والحكم والقدر وأنشد البيت * يابنت عم كتاب الله أخرجنى البيت * وقال يقال فى غير هذا كتبت كتبا وكتابا وكتابة والواحد كتاب والجمع كتبة وكتب والكتاب الكتبة جمع الكاتب قال والمكتب والكتاب واحد والجمع الكتاتيب والمكاتب والكتب الخرز كتبت القربة خرزتها وأصله الجمع ومنه كتبت البغلة اذا جمعت بين شفريها ومنه قول الشاعر * واكتبها باسيار وذلك عنى الحريرى بقوله

وكاتبين وما خطت أناملهم * حرفا ولا قرؤا ماخط فى الكتب

وعاش النابغة أبو ليلى الى أيام ابن الزبير بمكة ومدحه بشعر فقال له عبد الله ابن الزبير يا أبا ليلى الشعر اهون وسائلك عندنا ولك فى مال الله حقان حق لرؤيتك رسول الله صلى الله عليه وسلم وحق لشركتك أهل الاسلام فى فيئهم وكان رضى الله عنه يسكن البادية خرج هذا الخبر عنه شيخنا أبو الطاهر السلفى فى المداسيات له وذكر انشاده للنبى صلى الله عليه وسلم الشعر المتقدم وقال فى آخره فقال

له رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدث لا يفضض الله فاك مرتين تقدم من شعر
الخنساء في أخيها صخر * أشم أبلج تأتم الهداة به * كأنه علم في رأسه نار *
ووقع في العقد * وان صخرا لتأتم الهداة به * البيت تمثلت به سودة بنت
عمارة الهمدانية حين وفدت على معاوية وقد رأيت ان أثبت كلامها في هذا
الكتاب اذ وقع ذكرها لفصاحتها ووفائها ولمدحها على بن أبي طالب ولمدح على
همدان بقوله رضي الله عنه

ولو كنت بوابا على باب جنة * لقلت لهمدان ادخلوا بسلام

وقد تقدم هذا البيت ووعدت ان أذكر حديث همدان فليس له الا هذا المكان
حدث عامر الشعبي رحمه الله قال وفدت سودة بنت عمارة بن أسد الهمدانية على
معاوية فاستأذنت عليه فأذن لها فلما دخلت عليه سلمت فقال لها كيف أنت
يا ابنة الاسد قالت بخير يا أمير المؤمنين قال لها أنت القائلة لأخيك

شمر كفعل أبيك يا ابن عمارة * يوم الطعان وملتقى الاقران
وانصر عليا والحسين ورهطه * واقصد لهند وابنها بهوان
ان الامام أخا النبي محمد * علم الهدى ومنارة الايمان
فقد الجيوش وسر أمام لوائه * قدما بأبيض صارم وسنان

قالت يا أمير المؤمنين مات الرأس وبتر الذنب فدع عنك تذكار ما قد نسي قال هيهات
ليس مثل مقام أخيك ينسى قالت صدقت والله يا أمير المؤمنين ما كان أخي خفي المكان
ولا ذليل المقام ولكن كما قالت الخنساء

وان صخرا لتأتم الهداة به * كأنه علم في رأسه نار

وبالله أسأل أمير المؤمنين اعفائي مما استعفيته منه قال قد فعلت ثم قال ما حاجتك
قالت يا أمير المؤمنين انك أصبحت للناس سيدا ولأمورهم متقلدا والله سائلك عما
افترض عليك من حقنا ولا تزال تقدم علينا من ينهض بعزك ويبطش بسلطانك
يحصدنا حصاد السنبل ويدوسنا دوس البقر ويسومنا الخسيسة ويسلبنا الجليلة
هذا ابن ارطاة قدم بلادي فقتل رجالي وأخذ أموالي ولولا الطاعة لكان فينا عز
ومنعة فاما عزلته فشكرناك واما لا فعرفناك فقال اياي تهددين بقومك والله لقد
هممت ان أردك اليه على قتب أشرس فينفذ حكمه فيك فسكتت ثم قالت

صلى الاله على روح تضمنه * قبر فاصبح فيه العدل مدفونا

قد حالف الحق لا يبغي به بدلا * فصار بالحق والايمان مقرونا

قال ومن ذاك قالت على بن أبي طالب رضي الله عنه قال ما أرى عليك منه أثرا قالت
بلى أتيته يوما في رجل ولاه صدقاتنا فكان بيننا وبينه ما بين الغث والسمين فوجدته
قائما يصلي فانفتل من الصلاة ثم قال برأفة وتعطف ألك حاجة فأخبرته خبر الرجل
فبكى ثم رفع يديه الى السماء وقال اللهم انى لم آمرهم بظلم خلقك ولا بترك حقك
ثم أخرج من جيبه قطعة من جراب فكتب فيها بسم الله الرحمن الرحيم قد
جاءتكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم
ولا تعثوا في الارض مفسدين بقية الله خير لكم ان كنتم مؤمنين وما أنا عليكم
بحفيظ اذا أتاك كتابي هذا فاحتفظ بما في يديك حتى يأتي من يقبضه منك والسلام
فعزله والله يا أمير المؤمنين ما خزمه بخزام ولا ختمه بطين فقال معاوية اكتبوا
بالانصاف لها والعدل عليها قالت الي خاصة أم لقومي عامة قال ما أنت وغيرك قالت
هي والله اذا الفحشاء واللؤم ان كان عدلا شاملا والا يسعني ما يسع قومي قال هيهات
علمكم ابن أبي طالب الجراءة على السلطان وغركم قوله * فلو كنت بوابا على باب
جنة * لقلت لهمدان ادخلوا بسلام * وقوله

ناديت همدان والابواب مغلقة * ومثل همدان سني فتحة الباب
كالهندواني لم تفلل مضاربه * وجه جميل وقلب غير وجاب

اكتبوا لها بحاجتها وكان من حديث همدان ما حدث البراء بن عازب رضي الله
عنه قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد الى أهل اليمن يدعوهم
الى الاسلام فكنت فيمن سار معه فاقام عليهم ستة أشهر لا يجيبوه الى شيء فبعث
النبي صلى الله عليه وسلم على بن أبي طالب وامره ان يقفل خالدا ومن اتبعه
الا من أراد البقاء مع على فيترك قال البراء فكنت فيمن تعقب مع على فلما انتهينا
الى أوائل اليمن بلغ القوم الخبر فجمعوا له فصلى بنا على الفجر فلما فرغ صفنا ثم
تقدم بين أيدينا فحمد الله وأثنى عليه ثم قرأ عليهم كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاسلمت همدان كلها في يوم واحد وكتب بذلك على رضي الله عنه الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فلما قرأ كتابه خر ساجدا ثم جلس فقال السلام على همدان
السلام على همدان وبايع أهل اليمن على الاسلام ولما أسلموا قدم وفدهم على
رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم مالك بن نمط فلقوه مقبلا من غزوة تبوك فقال مالك

ابن نمط يارسول الله نصية من همدان من كل حاضر وباد أتوك على قلص نواج متصلة بحبائل الاسلام لا تأخذهم فى الله لومة لائم من مخلاف خارف ويام وشاكر أهل السود والقود اجابوا دعوة الرسول وفارقوا الالهات والانصاب عهدهم لا ينقض عن سنة ماحل ولا سوداء عنقفير ما أقام لعلع وما جرى اليعفور بصلع فكتب لهم النبى صلى الله عليه وسلم هذا كتاب من محمد رسول الله لمخلاف خارف وأهل جانب الهضب وحقاف الرمل مع وافدها ذى المشعار مالك بن نمط ومن أسلم من قومه ان لهم فراعها ووهاطها وعزازها ما أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة يأكلون علافها ويرعون عفاءها لنا من دفئهم وصرامهم ما سلموا بالميثاق والامانة ولهم من الصدقة الثلب والناب والفصيل والفارض والكبش الحورى وعليهم فيه الصالغ والقارح * قوله فى هذا الحديث النصية وهم المختارون والمخلاف الاقليم وخارف ويام قبيلتان ولعلع جبل واليعفور ولد البقرة وصلع الصخرة البارزة المستوية والفراع أعالى الجبال والوهاط المطمئنة والعزاز ما صلب من الارض وعلافها جمع علف والثلب من الابل الذكر الذى قد تكسرت أسنانه والصالغ من البقر والغنم الذى قد كبر وتناهت سنه والعفاء من الارض ما ليس لاحد فيه شئ ودفئهم يعنى ابلهم وشياههم والصرام النخل لانه يصرم أى يجنى وأصل الصرم القطع والكبش الحورى قال ابن قتيبة أراه منسوبا الى الحور وهى جلدة تتخذ من جلود المعز ومن جلود بعض الضأن * واذ وقع ذكر همدان فاذكر لك حكاية رجل من أفاضل تلك البلدان حكى ان المهدى بيناه يمشى ببغداد اذ وقع فى حجره سهم فيه أربع رياشات مكتوب فى الرياش الاول

أتطمع فى الحياة الى التناد * وتحسب ان مالك من معاد
ستسأل عن ذنوبك والخطايا * وتسأل بعد ذلك عن العباد

وفى الرياش الثانى مكتوب

هى المقادير تجرى فى أعنتها * فاصبر فليس لها صبر على حال
يوما تريش خسيس الناس ترفعه * دون السماء ويوما تخفض العالى

وفى الرياش الثالث

يا راقد الليل مسرورا بلذته * ألهتك فى نومك الآمال والبطر
وساعدتك الليالى فاغتررت بها * وعند صفو الليالى يحدث الكدر

وفى الرياش الرابع مكتوب همدان فارتاع لذلك وجمع العلماء والفقهاء

والوزراء وأعلمهم بذلك فقالوا ينبغى أن يكون فى حبسك رجل من أهل همدان قد حبس ظلما فدعا غلاما له يدعى بدرا فقال له طف فى الحبس فطاف فيه فاذا شيخ قائم يصلى فى غل وكبل وهو يتلو اذ الاغلال فى اعناقهم والسلاسل يسحبون فى الحميم ثم فى النار يسجرون فقال له ياشيخ أوجز فى صلاتك فأوجز فقال له أين بلدك قال همدان فحمله حتى أدخله على المهدى فرحب به وقربه وقال له ياشيخ ما قصتك فقال استعملت علينا فلانا فبلغه عن ضيعة لى نفيسة فسألنى فيها فأبيت عليه فعمد الى فكبلنى وغلنى وكتب بى وأرسلنى فصرت فى السجن فقال له المهدى قد عزلنا صاحبك عنك وقد استعملناك على همدان وقد أمرنا لك بعشرة آلاف دينار وقد حكمناك فى صاحبك وقد رددنا اليك ضيعتك فقال أما الولاية فلست أصلح لها وأما العشرة الآلاف فأنا غنى عنها وأما ضيعتى فقد قبلتها وأما صاحبى فقد عفوت عنه فقيل له لم عفوت عنه وقد نزل بك منه ما نزل قال لانى سمعت الله عز وجل يقول وسارعوا الى مغفرة من ربكم ثم قرأ الى والله يحب المحسنين فأحببت أن أكظم غيظى وأعفو عمن ظلمنى وأحسن الى من أساء الى حتى استكمل هذه الخصال التى وعد الله بها قال فاحضر أحد مجلسه الا شكر ما كان من فعله * وقريب من هذه الحكاية ما روى ان جارية لجعفر بن محمد كانت تصب على يديه الماء فأصاب الابريق جبهته فآلمه ألما شديدا وتبينت الجارية ذلك فيه فقالت يامولاى والكاظمين الغيظ قال قد كظمت غيظى قالت والعافين عن الناس قال قد عفوت عنك قالت والله يحب المحسنين قال أنت حرة لوجه الله تعالى ولك ألف درهم * ومثل هذه الحكاية ما روى ان أحد الملوك جاءه خادم بطعام فسقطت نقطة من القصعة على يد الملك فآذته فنظر الى الخادم نظر الغضبان فعلم انه يقتله فرمى القصعة من يده وكسرها فقال له هبك تعذر على النقطة التى سقطت من يدك على خطأ فما عذرك فى كسر القصعة قال علمت انك تقتلنى فيقال قتله فى نقطة فأردت أن أعظم ذنبى حتى لا تلام فى قتلى فعفا عنه لأدبه ولم يقتله * وتقدم الهلال وجاء فى تفسير قوله تعالى وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل هو المحو الذى فى القمر وفضلت عليه الشمس بضيائها وكانت الشمس والقمر عند نزول آدم عليه السلام سواء فلم يعلم وقت البيع والشراء ولا أوقات الصوم والحج وغير ذلك فأمر الله جبريل أو ملكا يغطى القمر بجناحه آخر الشهر ويكشفه قليلا قليلا من أوله * وفى كتاب ابن سلام محى من ضوء

القمر من مائة جزء تسعة وتسعون جزأ وبقى جزء واحد ويروى ان جبريل أمرّ جناحه على القمر فصارت ثلث اللطخة فيه ونقص من جرمه وبقى جرم الشمس على حاله الاول وتقدم الرجل يهل اذا رأى الهلال ومعناه يرفع صوته بالذكر والدعاء فمن الادب فى ذلك والسنة ان يقول الرجل اذا رأى الهلال ما روت عائشة رضى الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا رأى الهلال لم يشر اليه بيده وكان يقول هلال يمن وهلال بركة اللهم أهله علينا باليمن والايمان والسلامة والاسلام والهدى والمغفرة والتوفيق لما تحب وترضى والنجاة مما يسخط وروى طلحة رضى الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رأى الهلال قال اللهم أهله علينا بالامن والايمان والسلامة والاسلام هادين مهتدين غير ضالين ولا مضلين ربنا وربك الله * وروى أنس رضى الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رأى الهلال قال رشدا آمنت بالذى خلقك فعدلك تبارك الله أحسن الخالقين * انظر هذا الكلام الذى كان يقوله عليه الصلاة والسلام ما أقربه من الرشاد وألصقه بالفؤاد أين هو من قول الاعرابى أبى زياد عود عد عنا شرك أيها الشهر ما أقبحه واقساه وابعده من الخير واقصاه قال الخطابى وذكر قول أبى زياد المتقدم وقال أيضا رحمه الله وكان من دعاء العرب اذا رأوا الهلال قالوا لا مرحبا بمحين يحل الدين ويقرب الحين وهذا نوع منه أيضا والشر يشبه بعضه بعضا فالحمد لله الذى انقذنا بمحمد عليه الصلاة والسلام من الضلالة وعصمنا من الجهالة صلى الله عليه وعلى آله وسلم ما طلع هلال وسمع اهلال ومن ملح الهلال قول الشاعر

للناس فى الشهر هلال ولى * من وجهها فى كل يوم هلال

وقد تقدم وهما بيتان فى باب الجيم وقال الشاعر

لقد زاد الهلال الىّ حبا * عيون تلتقى عند الهلال
اذا ما لاح وهو شفى صغير * نظرن اليه من خلل الحجال

هذا فى القناعة من المحبوب حسن جميل ومنه قول جميل

اقلب طرفى فى السماء لعلها * يوافق طرفى طرفها حين تنظر

وأقنع منه قول قيس بن ذريح

أليست لبينى تحت سقف يكنها * واياى هذا اذناًت لى نافع

وبلبسنا

ويلبسنا الليل البهيم اذا دجا * ونبصر ضوء الفجر والفجر ساطع

وقال المغلوط فى هذا المعنى فأجاد لولا انه أخنى

وما نلت منها محرما غير انها * اذا هى بالت بلت حيث تبول

واحسن من هذا كله واندر قول جحدر

أليس الليل يجمع ام عمرو * وايانا فذاك بنا تدانى
نعم وترى الهلال كما أراه * ويعلوها النهار كما علانى

وكان جحدر هذا لصا فوقع عليه الحجاج فسجنه وقال وهو فى السجن قصيدته التى فيها هذان البيتان وهى من غرر القصائد انشدنيها بعض الاصحاب أولها

تؤوّبنى فبت لها كنيعا * هموم ما تفارقنى حوان
هى العوّاد لا عوّاد قوم * أطلن عيادتى فى ذا المكان
اذا ما قلت قد أجلين عنى * ثنى ريعانهن على ثانى
أليس الله يعلم ان قلبى * يحبك أيها البرق اليمانى

ومنها

وعما هاجنى فازددت شوقا * بكاء حمامتين تجاوبان
تجاوبتا بلحن أعجمى * على غصنين من غرب وبان
فكان البان أن بانت سليمى * وفى الغرب اغتراب غير دانى

أليس الليل يجمع أم عمرو * البيتين وبعدهما

فما بين التفرق غير سبع * بقين من المحرم أو ثمان
فيا أخواى من كعب بن عمرو * أقلا اللوم ان لم تنفعانى
اذا جاوزتما شعفات حجر * وأودية اليمامة فانعيانى
وقولا جحدر أمسى رهينا * يحاذر وقع مصقول يمان
يحاذر صولة الحجاج ظلما * وما الحجاج ظلام لجان

الى آخرها وكان آخر أمره ان ارسل عليه الحجاج أسدا قد جوّعه ثلاثا فبطش جحدر بالاسد فقتله فعفا عنه الحجاج ووصله وجعله فى صحابته لما رأى من جرأته وشدته وروى انس أيضا قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رأى الكوكب منقضا قال اللهم صوّبه وأصب به وأعوذ بك من شر ما يتبعه الشيطان وكان عليه الصلاة والسلام اذا رأى السحاب قال اللهم صيب رحمة لا صيب عذاب وكان اذا رأى سحابا مقبلا من افق من الآفاق ترك ما هو فيه وان كان فى الصلاة حتى يستقبله

فيقول اللهم انا نعوذ بك من شر ما ارسلت به فان امطر قال اللهم صيبا نافعا وان كشفه الله ولم يمطر حمد الله على ذلك وكان يقول اذا سمع صوت الرعد والصواعق اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك وحديث الموطأ الذى يرويه مالك عن عامر بن عبد الله بن الزبير عن أبيه انه كان اذا سمع الرعد ترك الحديث وقال سبحان الذى يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ثم يقول ان هذا الوعيد لاهل الارض شديد وجاء فى غير الموطأ سبحان ما يسبح الرعد له ومن مراسيل أبى داود عن عبيد الله بن أبى سعد ان قوما سمعوا الرعد فكبروا فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سمعتم الرعد فسبحوا ولا تكبروا ومنها عن سليمان بن عبد الله بن عويمر قال كنت مع عروة بن الزبير فأشرت بيدى الى السحاب فقال لا تفعل فان النبى صلى الله عليه وسلم نهى ان يشار الى المطر وخرج الترمذى عن ابن عباس رضى الله عنهما فى حديث طويل ان اليهود سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أشياء ذكرها فى الحديث منها انهم قالوا اخبرنا عن الرعد ما هو قال ملك من الملائكة موكل بالسحاب بيده مخاريق من نار يسوق بها السحاب حيث شاء الله قالوا صدقت فما هذا الصوت الذى يسمع قال زجره بالسحاب اذا زجره حتى ينتهى الى حيث أمر قالوا صدقت وذكر باقى الحديث ﴿فائدة﴾ قال الاستاذ رحمه الله وربما قالت العرب سبحان ما يسبح الرعد له فقولهم ما يسبح قال أهل اللغة ما تقع على ما لا يعقل فالجواب ان ما قد تقع على من يعقل بقرينة وهو الابهام والمبالغة فى التعظيم والتفخيم قال الله تعالى ولا أنتم عابدون ما أعبد فعبر بما ههنا عن البارى سبحانه لان من جلت عظمته حتى خرجت عن الحصر وعجزت الافهام عن كنه ذاته وجب ان يقال فيه هو ما هو وكما قالوا سبحان ما يسبح الرعد له ومثله قوله تعالى والسماء وما بناها فكان المعنى ان شيئا بناها لعظيم أو ما أعظم بناءها أو ما أعظمه من شىء لهذا فيا أعظمه ومن هذا القبيل فى قصة آدم عليه السلام لما خلقت بيدى انتهى كلامه وكان عليه الصلاة والسلام يقول عند الريح اللهم انا نسألك من خير هذه الريح وخير ما فيها وخير ما أمرت به ونعوذ بك من شر هذه الريح وشر ما فيها وشر ما أرسلت به وقال لا تسبوا الريح فاذا رأيتم ما تكرهون فقولوا اللهم انا نسألك

من خير هذه الريح وذكر الحديث الى آخره ولعن رجل الريح عند النبى صلى الله عليه وسلم فقال لا تلعن الريح فانها مأمورة وانه من لعن شيئا ليس له بأهل رجعت اللعنة عليه وجاء فى الريح عن أبى ذر رضى الله عنه ان الله تعالى خلق فى الجنة ريحا بعد الريح بسبع سنين وان من دونها بابا مغلقا فانما يأتيكم الروح من خلل ذلك الباب ولولا ذلك الباب لأذرت الريح ما بين السماء والارض وهى فيكم الجنوب وهى عند الله الازيب والحروج أيضا من أسماء الجنوب وقال ابن عباس رضى الله عنهما ما راحت جنوب قط الا سال فيها واد ماء رأيتموه أم لم تروه والرياح أربعة الجنوب وهى عندنا القبلية والشمال وهى الجوفية والقبول وهى الشرقية وهى الصبا وتأتى من مطلع الشمس والدبور وهى الغربية وهى التى قال فيها النبى صلى الله عليه وسلم نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور وهى العقيم ولا تلقح شيئا وهى تحت الارض الرابعة وانما أرسل عليهم منها قدر منخر ثور وسنذكر كيف خلق الله من الريح الجنوب فرسا انظره فى باب الهاء والالف ان شاء الله * ومن أسماء الشمال محوة سميت بذلك لانها تمحو السحاب نحو السماء هذا قول الاصمعى وقال أبو زيد هى الدبور وأنشدا جميعا

قد بكرت محوة بالعجاج * فدمرت بقية الرجاج

ومن أسماء الجنوب النعامى قال الهذلى

تريه النعامى فلم يعترف * خلاف النعامى من الشام ريحا

وكل ريح جاءت بين مهبى ريحين فهى نكباء سميت بذلك لانها تنكب عن مهاب هذه الاربع والريح جند من جنود الله تعالى ينفع الله بها ويضر كما تقدم تكون على قوم عذابا وعلى قوم رحمة وقد جعل الله فيها من المنافع ما لا يحصى كثرة وجعل فيها أيضا من المضار كثيرا وهى فى نفسها خلق من خلقه لا تضر ولا تنفع حتى تؤمر ألم تسمع قوله تعالى تدمر كل شىء بأمر ربها وقد يضر الله بغير الريح قال الله تعالى وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير وهى من آيات الله كما قال الله ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات وآيات الله يخوف الله بها عباده والانسان خلق ضعيف ومع ضعفه كثير الذنوب فكيف لا يفزع لكن فى العلم وفى العلماء أنس خرج مسلم رحمه الله فى كتابه هاجت ريح حمراء بالكوفة فجاء رجل ليس له هجيرى فقال ألا يا عبد الله بن مسعود جاءت الساعة قال فقعد وكان

متمسكنا فقال ان الساعة لا تقوم حتى لا يقسم ميراث ولا يفرح بغنيمة وقد تقدم ان قبل الساعة أشراطا وعلامات ودلالات فما دامت لا تظهر فنى الامر تأخر ولقد أتانا بما لفه سنة احدى وثمانين وخمسمائة كاب من أهل مصر زعموا ان أهل الهند بعثوا اليهم به وارتاعت له نفوس الضعفاء من العوام والنساء حتى خرج بعض العوام الى البادية وترك داره بالمدينة وناديه واحتفروا تحت الارض سربا وأنفاقا وأعدوا فيها أنواتا وأرزاقا ليتحصن الداخل فيها ويستريح من مضرة تلك الريح التى خوفهم بها صاحب ذلك الكتاب الافاك الكذاب وكان نصه

كونوا على حذر بنى وانتظروا * كواكب الخمس فى الميزان تقترن
بعد الثمانين عاما فالقران بدا * فلا تغرنكم الاشغال والمهن
وبعدها تهب الريح عاصفة * تبيد بعض بنى الدنيا وماسكنوا
تحصنوا الى كهوف من جبالكم * شهرا اذا ما أتاكم ذلك الزمن
فليس ينجى الورى منها اذا ظهرت * من المنون حصون الارض والمدن
فان أعش وشهدت الحال كنت لهم * نوحا اذ انتشبت فى عصره السفن
وان أمت فافعلوا ماقد أمرتكم * جهرا فان جميع الخلق ما فطنوا
كونوا على حذر عامين وانتظروا * فانها آفة فى الارض تمتحن

وبعد هذا الشعر البارد مانصه عليك وارد وهو انه صح عندنا خبر هذا الطوفان واجتماع الكواكب فى الميزان فدل على خراب جميع البلدان بالجملة ولا يبقى على وجه الارض جدار ولا شجرة قائمة الا تذهب من شدة الريح وتكون هذه الريح من نصف ليلة الاثنين الى نصف يوم الاربعاء من اليوم التاسع والعشرين من جمادى الآخرة سنة ثنتين وثمانين ولا تبقى مدينة الا يعمها الرمل وقد استعد أهل الهند بحفر الغيران فى الارض الصلبة ويكون مع هذه الريح الخسف والزلازل وهى ريح سوداء لها هبوب عظيم * ولما أتتنا هذه الرسالة تغير لها كاتقدم قلوب كثير من العوام التى تأتى بالطوام ولم يشكوا انه حق وانه هلاك هذا الخلق الا من عصمه الله من أهل العلم والدين ممن لا يعبأ بكلام المنجمين الملحدين ولما أرسلت الى وفتحتها وأمعنت النظر فيها وتصفحتها رأيتها فى الظاهر آفة وفى الباطن سخافة وخرافة وان ذلك الشعر الفاتر ينبى عن قائله انه كافر لادعائه علم الغيب الصحيح وهذا هو

الكفر الصريح وذكر فى شعره القبيح اهلاك الخلق بالريح وشبه نفسه فى ذلك الكلام بنوح على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام فقلت أرد عليه ذلك القول وأسكن قلوب الناس من ذلك الهول ولله المنة والطول وبيده القوة والحول

سبحان من يعلم الاشياء قاطبة * فعنده يستوى الاسرار والعلن
هو العليم الخبير الحى جل فلا * يعروه سهو ولانوم ولاوسن
ويعلم الغيب لم يطلع برينه * عليه فهو لديه الدهر مختزن
حتى النبيون لايدرون مابعد * الابوحى فهم ان يعلموا فمن
وهذه حكمة لولم تكن فسدت * أمورنا واعترانا الضعف والوهن
فأنت يا أيها الهندى فهت بما * يرده العقل والقرآن والسنن
أخبرت أن ستهب الريح عاصفة * تبيد بعض بنى الدنيا وماسكنوا
يكون يوم كذا من شهر عام كذا * كذبت أنت لعمر الله مفتتن
سميت نفسك نوحا يا جهول فنح * وليكثر الهم ماقلت والحزن
قلت القران وخليت القران ولم * تحفل به ويك هذا الخسر والغبن
جعلت للنجم تأثيرا فأنت به * مصدق والقول الله ممتهن
تركت آخر اقتمان وقلت اذا * كواكب الخمس فى الميزان تقترن
كان الزلازل والريح الشديدة والخسف العظيم وكان الهلك والمحن
من أين يامدع للغيب تعلم ذا * شعرر كيك بجهد النفس يتزن
نطقت بالكفر فاسكت فض فوك فما * تصغى لماقلته من باطل أذن
ترى الرسول مضى لم يدر ذلك أم * درى ولم يخبر الصحب الذين فنوا
أم الصحابة لم تخبر بذلكم * للتابعين وكل القوم مؤتمن
حاشاهم أن يكونوا كاتمين لما * فيه صلاح لنا قبح أم حسن
أولم يكن ناصح للناس بعدهم * من ذلك الوقت حتى جاء ذا الزمن
وجئت أنت من ارض الهند تنصحنا * لا كنت من ناصح فى نصحه فتن
لايعلم الغيب الا الله منفردا * أما النبيون لولا الوحى ما فطنوا
هذا اعتقادى وأهل الحق كلهم * وهو السبيل القويم الرحب والسنن
آمنت بالله ربى والنبى وكذبت النجوم ومن بشأنهن عنوا
من كان بالشام منهم والعراق ومن * بالسند والهند أو من ضمه وطن

يقول ذلكم ابن الشيخ يوسف والله الموفق والهادى له المنن

ولما رأى الناس هذا الذى قلته وفى هذا الكتاب نقلته استبشروا بذلك فرحا وازال الله وله الحمد عنهم به ترحا ثم لما أتى ذلك الوقت الذى سمى لهم ذلك الكذاب وقى الله عبده ذلك العذاب قلت أيضا شاكرا لله الملك الوهاب

يا أيها الناس اشكروا ربكم * لم يك لا خسف ولا ريح
وكذبة الهندى لم تتفق * وكان ما قد قاله الريح
تعسا له من كاذب مفتر * لسانه حركه الريح
وحافر القرية افاكه * اذ هزه ذلكم الريح
صدق كذابا فلا حجة * أدلى بها بل قوله الريح
فظل يبغى نفقا فى الثرى * ليحتمى ان هبت الريح
هيهات ريح الموت آتية * لا بد وان لم تأته الريح
الحمد لله الذى عنده الخير ومن رحمته الريح
يرسلها بين يدى غيثه * بشرى لنا اما جنوب الريح
ليست كما قال هلاكا كما * أهلك عادا قبلنا الريح
آمنت بالله الذى يفعل الاشياء لا الكوكب والريح
ما تملك الانجم دفعا ولا * نفعا ولا ضرا ولا الريح
ماهى الا فى السما زينة * تحملها الافلاك لا الريح
ويهتدى من ظلمات بها * فى البر والبحر ولا ريح
وللشياطين رجوم ومن * قال سوى ذا قوله الريح

فائدة فى الريح قال ابن السيد ذكر يعقوب ان الريح قال أراد الشاعر بالريح الرياح فوضع الاسم المفرد موضع الجمع كقوله تعالى ان الانسان لفى خسر ويجوز أن يكون الريح جمع ريحة وهو لغة فى الريح وهو من الجمع الذى بينه وبين واحده هاء التأنيث نحو سدر وسدرة وقد قالوا ريح كما قالوا سدر قال الراجز * أجدل ضار يوم كل وريح * وقرأ بعض القراء وأرسلنا الريح لواقح واذ وقع ذكر القران فيما تقدم فانظر كيف كان مذهب الصالحين فى ذلك قيل لعمر بن عبد العزيز رضى الله عنه وهو يريد أن يخرج الى سفر ما أحسن القمر الليلة قال فرفع رأسه فنظر فقال تقول مقارنا انا لسنا ننظر فى ذلك خرجه ثابت رحمه الله وقال القران هو الذى

تسميه العرب المكالحة قال قد كالح القمر اذا نزل فقارن المنزلة ولم يعدل عنها وكانت العرب يكرهون ذلك قال والقمر يقارن الثريا مرتين فى السنة عند انصرام البرد قال الشاعر

اذا ما قارن القمر الثريا * لخامسة فقد ذهب الشتاء

وذلك يكون اذا انحدرت عن وسط السماء الى ناحية المغرب فقارنت القمر فى الليلة الخامسة من الشهر فحينئذ يذهب البرد ويطيب الزمان وكذلك أيضا يقارنها الخامسة من الشهر عند انصرام الحر قال الشاعر

اذا ما قارن القمر الثريا * لخامسة فقد ذهب المصيف
خرجت من شئ الى غيره * وطاب لى القول فطال الكلام
لكننى أكمل من بعد ذا * باب الهلال المبتدا والسلام

قال ابن السيد ان الهلال يتصرف فى كلام العرب على عشرين معنى والقمر على ستة معان والكوكب على خمسة والنجم على ستة قال صاحب العين ان الهلال بقية الماء فى الحوض والهلال قطعة من الرحا والهلال الحية الذكر وذكر صاحب كتاب التاج الهلال كذا وكذا الى ما تقدم وزاد والهلال السنان الذى له شعبتان يصاد به الوحش * واذ جرى ذكر الحيات فاسمع فيها أيضا حكايات لان هذا الكتاب فيه موائد منصوبة للفوائد فانعم بها أيها الوارد وادع للولد والوالد * ذكر فى فضائل عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه بينما هو يمشى بأرض فلاة فاذا حية ميتة فكفنها بفضلة من ردائه ودفنها فاذا قائل يقول يا سرق أشهد لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لك ستموت بأرض فلاة فيكفنك ويدفنك رجل صالح فقال من أنت يرحمك الله فقال رجل من الجن الذين سمعوا القرآن من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبق منهم الا أنا وسرق وهذا سرق قد مات وذكر ابن سلام من طريق أبى اسحاق السبيعى عن أشياخه عن ابن مسعود انه كان فى نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى عنهم يمشون فرفع لهم اعصار ثم جاء اعصار آخر أعظم منه ثم انقشع فاذا حية قتيل فعمد رجل منا الى ردائه فشقه وكفن الحية ببعضه ودفنها فلما جن الليل اذا امرأتان تسألان ايكم دفن عمرو بن جابر فقلنا ما ندرى من عمرو بن جابر فقالتا ان كنتم ابتغيتم الاجر فقد وجدتموه ان فسقة الجن اقتتلوا مع المؤمنين منهم فقتل عمرو بن جابر وهو الحية التى رأيتم وهو من النفر الذين استمعوا القرآن من محمد صلى الله عليه وسلم ثم ولوا الى قومهم منذرين * ونوع من هذا اعترى

أمية بن أبى الصلت واسم أبى الصلت ربيعة بن علاج الثقفى وكان ممن يأتيه الجن خرج فى عير لقريش مسافرين فمرّت بهم حية فقتلوها فلما عترضت لهم حية تطلب بثارها وقالت قتلتم فلانا ثم ضربت الارض بقضيب فنفرت الابل فلم يقدروا عليها الا بعد عناء شديد فلما جمعوها جاءت وضربت الارض فنفرتها فلم يقدروا عليها الى نصف الليل حتى جاءت فنفرتها حتى كادوا يهلكوا عطشا وعناء وهم فى مفازة لا ماء فيها فقالوا لأمية هل عندك غناء أو حيلة قال لعلها ثم ذهب حتى جاوز كثيبا فرأى ضوء نار على بعد فاتبعه حتى أتى على شيخ فى خباء فشكا اليه مانزل به وبصحبه وكان الشيخ جنيا فقال اذهب فاذا جاءتكم فقل باسمك اللهم سبعا فرجع اليهم وقد أشرفوا على الهلاك فلما جاءتهم الحية قالوا ذلك فقالت تبّا لكم من علمكم فذهبت وجمعوا ابلهم وكان فيهم حرب بن أمية جد معاوية فقتلته بعد ذلك الجن بثار تلك الحية وقالوا فيه

وقبر حرب بمكان قفر * وليس قرب قبر حرب قبر

وقد أسلمت عاتكة أخت أمية هذا وخبرت عنه بخبر ذكر عبد الرزاق انها جاءت الى النبى صلى الله عليه وسلم فحدثته انها رأت وهى فى اليقظة نسرين نزلا على سقف بيتها وفيه أمية أخوها نائما فشقا السقف ونزل أحدهما على أمية فشق صدره وحشاه بشئ ثم أصلحه وعرج فقال له النسر الآخر هل وعى قال نعم قال وهل زكا قال لا فلذلك كان ينطق بالحكمة فى اشعاره ويذكر التوحيد ويعظم الرب ويذكر الجنة والنار فلما قتل من قتل من أشراف قريش بكاهم ورثاهم وحقد على الاسلام وحرم التوفيق وفيه أنزل الله تعالى واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين وكان قد قرأ التوراة والانجيل فى الجاهلية وكان يعلم بأمر النبى صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه فطمع أن يكون هو فلما بعث الله نبيه صلى الله عليه وسلم وصرفت النبوّة عن أمية حسد وكفر وهو أوّل من كتب باسمك اللهم ومنه تعلمت قريش وقدمت الفارعة بنت أبى الصلت أخت أمية على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت ذات عفاف وجمال فقال لها أتحفظين من شعر أخيك شيئا فأخبرته خبره ومارأت منه وقصت عليه قصته فى شق جوفه واخراج قلبه ثم صرفه بمكانه وهو نائم ثم أنشدته من قوله قصيدة أوّلها

باتت همومى تسرى طوارقها * أكف عينى والدمع سابقها

ومنها

ما أرغب النفس فى الحياة وان * تحيى قليلا فالموت لاحقها

يوشك من فرّ من منيته * فى بعض غراته يوافقها

من لم يمت غبطة يمت هرما * للموت كأس والمرء ذائقها

وقال عند موته

ان تغفر اللهم تغفر جما * واى عبد لك لا ألما

ثم قال

كل عيش وان تطاول دهرا * صائر مرة الى أن يزولا

ليتنى كنت قبل ماقد بدالى * فى قلال الجبال أرعى الوعولا

ثم مات فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم يافارعة كان مثل أخيك كمثل الذى آتاه الله آياته فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ذكر هذا أبو عمر ابن عبد البرّ رحمه الله وذكر غيره ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كاد أمية ابن أبى الصلت يسلم وذكر ابن أبى الدنيا عن رجل من التابعين ان حية دخلت عليه فى خبائه تلهث عطشا فسقاها ثم انها ماتت فدفنها فاتى من الليل فسلم عليه وشكر وأخبر ان تلك الحية كانت رجلا من جنّ نصيبين اسمه زوبعة * وقد قتلت عائشة رضى الله عنها حية رأتها فى حجرتها دخلت عليها وهى تقرأ القرآن فأتيت فى المنام فقيل لها انك قتلت رجلا مؤمنا من الجنّ الذين قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لو كان مؤمنا ما دخل على حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل ما دخل عليك الا وأنت متقنعة وما جاء الا ليسمع الذكر فأصبحت عائشة فزعة فاشترت رقابا فأعتقتهم وفى رواية أمرت باثنى عشر ألفا فجعلتها فى سبيل الله رضى الله عنها وقد جاء فى الحيات من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم من رأى فى بيته من هذه الحيات شيئا فليحرّج عليه ثلاثا فان رآه بعد ذلك فليقتله فانما هو كافر ذكره الترمذى وقال أبو ليلى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ظهرت الحية فى المسكن فقولوا لها انا نسألك بعهد نوح وبعهد سليمان بن داود ان لا تؤذينا فان عادت فاقتلوها وخرج أيضا عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتلوا الحيات واقتلوا ذا الطفيتين والابتر فانهما يلتمسان البصر ويسقطان الحبل وقد جاء انه نهى بعد ذلك عن قتل حيات البيوت وهى العوامر وهى تتمثل فى صورة الحية فلا تقتل حتى تؤذن قال مالك أحب ان تنذر عوامر البيوت ثلاثة أيام ولا تنذر فى الصحارى ويروى عن عبد الله بن المبارك انما يكره من قتل الحيات التى تكون دقيقة كأنها فضة ولا تلتوى فى مشيتها وقال النضر بن شميل الابتر من الحيات

صنف أزرق مقطوع الذنب لا تنظر اليه حامل الا ألقت ما فى بطنها ومعنى يلتمسان البصر يطمسانه ويذهبانه وحديث الموطأ الذى ذكر فيه الفتى الذى وجد امرأته قائمة بين البابين فأهوى اليها بالرمح ليطعنها وأدركته غيرة فقالت لا تعجل حتى تدخل وتنظر ما فى بيتك فاذا هو بحية منطوية على فراشه فركز فيها رمحه ثم خرج بها فنصبه فى الدار فاضطربت الحية فى رأس الرمح وخر الفتى ميتا فما يدرى أيهما كان أسرع موتا الحية أم الفتى فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان بالمدينة جنا قد أسلموا فاذا رأيتم منهم شيئا فآذنوه ثلاثة أيام فان بدا لكم بعد ذلك فاقتلوه فانما هو شيطان وللحيات أسماء كثيرة منها الارقم الذى جاء فى الموطأ وهو اذا كالارقم ان يترك يلقم وان يقتل ينقم ومنها الاسود وهو العظيم منها وجمعها أساود والانثى أسودة كأرمل وأرملة وجاء منه فى الحديث وذكر الفتن لتعودن فيها أساود صبا يضرب بعضكم رقاب بعض ويقال أسود سالخ لانه يسلخ جلده كل سنة والانثى كما تقدم اسودة ولا يقال فيها سالخة وقال بعض العلماء امش خلف الاسد والاسود ولا تمش خلف المرأة وقد تقدم الشجاع الشجعم والاخزم الحية الذكر وتقدم الايم ويقال فيه أيضا أيم بالتشديد قال ع

توق النساء على عفة * ليجزيك الواحد القيم
فأبكارهن ابتكار البلا * وأيمهن هى الأيم

يريد الحية ولابى محمد بن سابق فى توصله الى المآرب انسياب الايم ويلج فى توسله على الكواعب أبواب الخيم وقد تقدم قبل انظره بكماله فى التكميل وقد تقدم فى الحديث أبو بترة حية خبيثة وبترة اسم ابليس وكذلك جاء فى الحديث الآخر ان الحباب اسم رجل فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله وقال الحباب اسم شيطان وقال المبرد الحباب حية بعينها وأنشد لعمر بن أبى ربيعة

ونفضت عنى العين أقبلت مشبه الحباب وركنى خيفة القوم أزور

قال الاصمعى الحباب الحية وانما قيل الحباب اسم شيطان لان الحية يقال انها شيطان وانما كره رسول الله صلى الله عليه وسلم اسم الحية لخبثها وغائلتها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغير الاسم القبيح بالاسم الحسن وقد غير عدة اسام ومن أحسن ما رأيت فى ذلك البيت الذى يروى

أرب يبول الثعلبان برأسه * لقد ذل من بالت عليه الثعالب

كذا

كذا رواه جميع الرواة الثعلبان بضم الثاء واللام وكذا قال الكسائى وأنشد البيت وقال الثعلب معروف والانثى ثعلبة والذكر ثعلبان كما تقدم ورواه أبو حاتم الرازى فى كتابه الزينة الثعلبان بفتح الثاء واللام تثنية ثعلب وذكر ان بنى سليم كان لهم صنم يعبدونه وكان له سادن يقال له غاوى بن ظالم فبينا هو يوما جالس اذ أقبل ثعلبان يشتدان فشغر كل واحد منهما رجله فبال على الصنم فقال يا بنى سليم والله ما يعطى ولا يمنع ولا يضر ولا ينفع * أرب يبول الثعلبان برأسه * البيت ثم كسر الصنم وفر وأتى النبى صلى الله عليه وسلم فأسلم فقال له ما اسمك قال غاوى بن ظالم فقال لا أنت راشد بن عبد ربه قال الراوى فهذا الخبر يوجب أن يكون الثعلبان على التثنية * واذ خرجنا من الحيات الى الثعلب فلنذكره فى هذا الكتاب الثعلب أيضا طرف الرمح الداخل فى جبة السنان والثعلب مخرج ماء المطر من جرين التمر وقد جاء فى الحديث هذا كذا وداء الثعلب علة معروفة يتناثر منها الشعر وأرض متعلبة بكسر اللام ذات ثعالب وثعالة أيضا اسم الثعلب وقد تقدم قل ان عاب سلمى * أنت عندى كثعاله * وممن غير اسمه سعد الخيل اليهودى باع من النبى صلى الله عليه وسلم آصعا من شعير الى أجل ثم جاءه يتقاضاه قبل الاجل وأراد بذلك اختباره ليعلم أهو نبى فلا يغضب فان كان غير ذلك فيرد عليه لانه أغضبه بأن قال له انكم بنى عبد المطلب قوم مطل فهم به عمر لاغلاظه فأمره النبى صلى الله عليه وسلم أن يقضيه ويزيده فقضاه عمر العدة المسماة ثم أخذ يزيده فقال سعد الخيل مالى عندكم غير هذا فقال عمر قد أمرنى أن أزيدك كذا وكذا لاغلاظك له فقال سعد والله لا آخذ منها شيئا وانى أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فأتى به عمر الى النبى صلى الله عليه وسلم وأخبره بالحديث وذكر سعد ما قصد اليه من الاختبار فقال له النبى صلى الله عليه وسلم أنت سعد الخير وتم على اسلامه وحسن عمله والحمد لله * ووقع فى الحلية عن ابن مسعود رضى الله عنه قال كنا عند النبى صلى الله عليه وسلم فأقبل راكب حتى أناخ عند النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انى أتيتك من مسيرة تسع أنضيت راحلتى وأسهرت ليلى وأظمأت نهارى لأسألك عن خصلتين أسهرتانى فقال له النبى صلى الله عليه وسلم ما اسمك فقال أنا زيد الخيل قال بل أنت زيد الخير فسل فرب معضلة قد سئل عنها فقال أسألك عن علامة الله فيمن يريده وعن علامته فيمن لا يريده فقال النبى صلى الله

عليه وسلم كيف أصبحت قال أصبحت أحب الخير وأهله ومن يعمل به فان عملت به أيقنت بثوابه وان فاتني منه شئ حننت اليه جوارحي فقال النبي صلى الله عليه وسلم هذه علامة الله عز وجل فيمن يريد ولو أرادك بالاخرى لهيأك لها ثم لم يبال في أي واد هلكت * رجع الكلام بعد هذه الحكايات الى ذكر الحيات قال علقمة بن قيس من قتل حية فقد قتل كافرا وقال عبد الله بن عمر الحيات من ذرية ابليس ولكنهن مسخن وما سالمناهن منذ حاربناهن فمن تركهن تقية فليس منا وفي الحديث من خشي منهن فليس منا وان الله يحب الشجاعة ولو على قتل حية وأمر بقتلهن حتى في الصلاة * تقدم ذكر الشيطان والجن أما الشيطان فاسم لكل مارد من الجن والانس قال الله عز وجل شياطين الانس والجن وقال في كراهية الشيطان كأنه رؤس الشياطين وانما سمي شيطانا لبعده عن الخير وسمي الجن جنا لاستتارهم عن أعين الناس وفي الجن فسقة ومؤمنون كما تقدم وقال عليه الصلاة والسلام ان بالمدينة جنا قد أسلموا وقد جاء في اسلام الجن غير ما حديث والقرآن يدل عليه في قوله تعالى انا سمعنا قرآنا عجبا يهدي الى الرشد فآمنا به وخرج ابن أبي شيبة بسنده الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ما منكم من أحد الا وقد وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة وعن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج من عندها ليلا قالت فغرت عليه فرأى ما أصنع فقال مالك يا عائشة أغرت فقلت ومالي لا يغار مثلي على مثلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أوقد جاءك شيطانك قلت يا رسول الله أومعي شيطان قال نعم قلت ومع كل انسان قال نعم قلت ومعك يا رسول الله قال نعم ولكن الله أعانني عليه حتى أسلم ويروى أسالم أي اسلم منه وفي رواية فلا يأمرني الا بخير وذكر في معنى قوله تعالى وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن ان حجاج بن علاط السلمي قدم مكة في ركب فأجنهم الليل في واد مخوف موحش فقال له الركب قم خذ أمانا لنفسك ولاصحابك فجعل يطوف بالركب ويقول

أعيذ نفسي واعيذ صحبي * من كل جني بهذا النقب
* حتى أؤوب سالما وركبي *

فسمع قارئا يقرأ يا معشر الجن والانس ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والارض فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان الآية فلما قدم مكة أخبر كفار قريش

بما سمع فقالوا صبأت يا أبا كلاب ان هذا يزعم محمد انه أنزل عليه قال والله لقد سمعته وسمعه هؤلاء معي ثم أسلم وحسن اسلامه وهاجر الى المدينة وابتنى بها مسجدا فهو يعرف به وحجاج هذا هو والد نصر بن حجاج الذي قيل فيه

أم لا سبيل الى نصر بن حجاج *

وكان نصر هذا من أحسن أهل زمانه صورة فهو يتمامر أة ودنفت من الوجد به ثم لهجت بذكره حتى صار ذكره هجيراها فمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه ذات ليلة بباب دارها فسمعها تقول البيت الذي تقدم شطره فقال أما ما كان عمر حيا فلا ثم قال من هذه المتمنية فلما عرف خبرها وأصبح أحضر المتمنى فلما رآه بهره جماله فقال أنت تمناك الغانيات في خدورهن لا أم لك أما والله لازيلن عنك رداء الجمال فدعا الحجام فحلق جمته ثم تأمله فقال أنت محلوقا أحسن فقال وأي ذنب لي في ذلك فقال صدقت الذنب لي ان تركتك في دار الهجرة ثم أركبه جملا وسيره الى البصرة فاعترى نساء البصرة منه مثل ذلك وضرب المثل بلفظة عمر فقيل أصبى من المتمنية ولما خشيت المرأة التي سمع منها عمر أن يبدر منه اليها شئ كتبت اليه أبياتا

قل للامام الذي تخشى بوادره * مالي وللخمر أو نصر بن حجاج
اني منيت أبا حفص بغيرهما * شرب الحليب وطرف فاتر ساجي
ان الهوى زمه التقوى فحبسه * حتى أقر بالجام واسراج
لا تجعل الظن حقا أو تبينه * ان السبيل سبيل الخائف الراجي

فبكى عمر رضي الله عنه وقال الحمد لله الذي حبس الهوى التقوى وكتب نصر بن حجاج الى عمر من البصرة سلام عليك يا أمير المؤمنين

لعمري لئن سيرتني وحرمتني * فما نلت من عرضي عليك حرام
أإن غنت الذلفاء يوما بمنية * وبعض أماني النساء غرام
ظننت بي الامر الذي ليس بعده * بقاء فمالي في النداء كلام
ويمنعني مما تقول تكرمي * وآباء صدق سالفون كرام
ويمنعها مما تمنت صلاتها * وحال لها في قومها وصيام
فهاتان حالانا فهل أنت راجعي * فقد جب مني غارب وسنام

فقال عمر رضي الله عنه أما ولي الامارة فلا واشتد على أم نصر غيبة ابنها عنها فتعرضت لعمر بين الاذان والاقامة فقعدت له على الطريق فلما خرج يريد صلاة

العصر قالت يا أمير المؤمنين لأخاصمنك بين يدي الله عز وجل ثم لاخاصمنك أبيت عبد الله وعاصم الى جنبيك وبيني وبين ابني المفاوز والفيافي والجبال فقال لها يا أم نصر ان عبد الله وعاصما لم تهتف بهما العواتق في خدورهن قال وانصرفت ومضى عمر الى الصلاة قال وأبرد رضي الله عنه الى البصرة بريدا وأقطع نصر بالبصرة دارا ومالا * وشبيه بهذا الباب ما يروى ان سليمان بن عبد الملك كان شديد الغيرة فسمع مغنيا حسن الصوت فأرسل اليه فعاقبه فقيل له في ذلك فقال ان الفرس ليصهل فتستودق له الرمكة وان الفحل ليخطر فتضبع له الناقة وان التيس لينب فتستحرم له العنز وان الرجل ليغني فتشبق اليه المرأة ويحكي في من ذلك قوله عليه الصلاة والسلام رويدا يا أنجشة لا تكسر القوارير يعني ضعفة النساء وقد تقدم وحديث سليمان هذا ذكره الخطابي رحمه الله ولم يذكر ما عاقبه به قيل قال اخصوهم وذكر أنهم كانوا جماعة سمع غناءهم في معسكره فقال عمر بن العزيز رضي الله عنه انها مثلة وطلب اليه فخلى سبيلهم * تقدم ان الحجاج بن علاط سمع قراءة الجن وممن كلمته الجن سعيد بن المسيب رضي الله عنه نظر ذات يوم في المسجد فلم ير فيه أحدا ممن يعرفه فنادى بأعلى صوته

ألا ذهب الحماة وأسلموني * فوا أسفي على فقد الحماة

هم كانوا الثقات لكل أمر * وهم زين المحافل في الحياة

تولوا للقبور وخلفوني * فوا أسفي على موت الثقات

فأجابه هاتف من ناحية المسجد يسمع صوته ولا يرى شخصه

فدع عنك الثقات وقد تولوا * ونفسك فابكها حتى الممات

وكل جماعة لابد يوما * يفرق جمعهم وقع الشتات

فقال له سعيد بن المسيب من أنت يرحمك الله فقال أنا رجل من الجن كان في هذا المسجد تسعين رجلا فأتى الموت على جماعتنا كما أتى على جماعتكم ولم يبق منا أحد غيري كما لم يبق منكم أحد غيرك ونحن يا أبا محمد لاحقون بهم عن قريب قال ابن المسيب ولقد لقيته بعد ذلك بمكة وظهر لي وسلم علي ثم لم أره بعد ذلك وتقدم ان الحباب اسم للحية والحباب أيضا الحب قال الشاعر

فوالله ما أدري واني لصادق * أداء عراني من حبابك أم سحر

على انه يروى من جنابك أي من ناحيتك ويروى أيضا من حبابك بكسر الحاء

والحباب

والحباب بفتحها معظم الماء كما قال طرفة

يشق حباب الماء حتى وهابها * كما اقتسم الترب المفايل باليد

والحباب أيضا طرائق الماء وقيل هي النفاخات التي تعلوه ويقال لها اليعاليل أيضا واحدتها حبابة وبها سميت المرأة قال امرؤ القيس * سمو حباب الماء حالا على حال * والحباب بالكسر جمع حب وهي الجرة العظيمة كالخابية وفي حديث أبي أيوب رضي الله عنه انكسر حب لنا وذكر الحديث وكيف جعل ينشفه بقطيفة لهم خيفة أن يقطر على رسول الله صلى الله عليه وسلم منه شيء وكان في غرفة ورسول الله صلى الله عليه وسلم في البيت تحتهم حتى نقله الى الغرفة واستراح ويقال حبابك ان تفعل كذا أي غايتك والحبب تنضد الاسنان قال طرفة

واذا تضحك تبدي حببا * كرضاب المسك بالماء الخصر

والحباحب اسم رجل بخيل كان لا يوقد الا نارا ضعيفة مخافة الضيفان فيضرب به المثل حتى قالوا نار الحباحب كما قال * ويوقد بالصفاح نار الحباحب * وقيل الحباحب ذباب يطير بالليل كأنه نار قال الكميت * كنار أبي حباحب والظبينا * وربما جعلوا الحباحب اسما للنار كما قال الكسعي * ما بال سهمي يوقد الحباحبا * والكسعي أيضا له خبر طويل وكذلك أبو الحباحب أمره مهول وهذه المعاني ان تتبعت تسلسلت وتنزلت فليس الا قطع هذه الاسباب والرجوع الى بقية الباب

خرجت من الهلال الى سواه * ولا عتب كذا كان اشتراطي

ولكن لم أزل من علم الا * لآخر كي أزيدك في النشاط

وفي الحيات طول في جسوم * كذلك حديثهن الى الشطاط

ألم تره انتهى حتى الى ابن العلاط مع امتداد وامتطاط

الى نصر الى الغيران فيه * وقفت وعنده انحل ارتباطي

وقد بقيت بقية ان تسلني * أنلها وهي تفسير العلاط

العلاط وسم على عنق البعير عرضا فان كان ذلك طولا فهو السطاع وفي الصدر الصدار وفي الجنب الجناب وعلى الكشح الكشاح وفي الوجه الخباط وعند مجرى الدمع المدماع وأنشد

يا من لعين لا ينام ماعا * قد ترك الدمع بها مدماعا

ومن وسمهم المعلوم قيد الفرس قال الشاعر * كوم على أعناقها قيد الفرس * وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أوس بن عبد الله بن حجر الاسلمى أن يسم ابله فى أعناقها قيد الفرس ووصفها أوس حلق حلقتين ومد بينهما مدا وتقدم النسيان وهو موكل بالانسان كما قال الله تعالى ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما وقال وما أنسانيه الا الشيطان أن أذكره وقال النبى صلى الله عليه وسلم فى آدم عليه السلام فنسى فنسيت بنوه وقال عن نفسه عليه الصلاة والسلام انما أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون فاذا نسيت فذكرونى وقال بعض العلماء علمت مالم يعلم أحد ونسيت مالم ينس أحد قبضت على لحيتى لأقطع ما تحت يدى فقطعت ما فوقها وأنشدنى العثمانى لبعضهم فى النسيان

أفرط نسيانى الى غاية * لم يدع النسيان لى حسا
فصرت مهما عرضت حاجة * مهمة ضمنتها الطرسا
وصرت أنسى الطرس فى راحتى * وصرت أنسى اننى انسى

قال قتادة رضى الله عنه حفظت مالم يحفظ أحد ونسيت مالم ينس أحد حفظت القرآن فى سبعة أشهر وقبضت لحيتى وأنا أريد قطع ما تحت يدى فقطعت ما فوقها وقال أيضا ما سمعت قط شيئا الا حفظته ولا حفظت قط شيئا فنسيته ثم قال يا غلام هات نعلى قال هما فى رجليك وقيل لاشعب قد أدركت الناس فما عندك من العلم قال حدثنى عكرمة عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لله على عبده نعمتان ثم سكت أشعب فقيل له وما النعمتان قال نسى عكرمة واحدة ونسيت أنا الاخرى * وتقدم اللهو والمقصود انه مذموم الا فى مواضع خصصها الشارع قال النبى صلى الله عليه وسلم لا تحضر الملائكة من لهوكم الا الرهان والنضال وقال عليه الصلاة والسلام ليس من اللهو الا ثلاثة تأديب الرجل فرسه وملاعبته أهله ورميه بقوسه فهذه المباحة من اللهو واذا نظرت اليها رأيتها تدعو الى طريق الآخرة لا الى الدنيا التى سماها الله تعالى لعبا ولهوا أما تأديبه فرسه فللركوب والعدى والوثوب فى وجوه الاعدا وقد جاء فى فضل الخيل وارتباطها ما يبعث النفوس على نشاطها قال الله تعالى ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وقال عليه الصلاة والسلام الخيل معقود فى نواصيها الخير الى يوم القيامة الاجر والغنيمة خرجه مسلم زاد البزار والغنم بركة

وزاد الطحاوى والابل عز لاهلها وفى الخبر ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يأمر الاغنياء باتخاذ الغنم والفقراء باتخاذ الدجاج (رجع) قلت هذا فى الغز وقد تكون الغنيمة أيضا فى نسلها كما قال الخيل لثلاثة ذكر فيها ورجل ربطها تغنيا وتعففا ولم ينس حق الله فى رقابها ولا ظهورها ومعلوم ان الظهور فى الذكور ومنه النسل كما يكون فى بطون الاناث فهذا كله غنيمة وقد قال وفرس مأمورة أى كثيرة النتاج ومن بركتها وغنيمتها ما خرج النسائى عن جبل الاشجعى قال غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض غزواته وأنا على فرس لى عجفاء ضعيفة فلحقنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال سر يا صاحب الفرس قلت يا رسول الله عجفاء ضعيفة ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم مخفقة كانت معه فضربها بها وقال اللهم بارك له فيها قال فلقد رأيتنى ما أملك رأسها ان تقدم الناس ولقد بعت من بطنها باثنى عشر ألفا قلت واسم الفارس والفروسية أشرف من الراجل والرجولية وكفى ان شبع فرسه وريه وبوله وروثه فى ميزان صاحبه فى الآجلة وله فى العاجلة من السهام سهمان وقد بلغ سهم عطية بن قيس فى فرس أخذه من صاحبه على النصف مائتى دينار وأخذ صاحبه مثلها وكفى بالفرس شرفا ان أشرف الخلق المصطفى صلى الله عليه وسلم رئى يمسح وجه فرسه بردائه ولما سئل عن ذلك قال انى عوتبت الليلة فى الخيل وقال عليه الصلاة والسلام ارتبطوا الخيل وامسحوا بنواصيها واعجازها وقال لا تقصوا نواصى الخيل ولا معارفها ولا اذنابها فان اذنابها مذابها ومعارفها ادفاؤها ونواصيها معقود فيها الخير قال ولا تقودوا الخيل بنواصيها فتذلوها وقال ابن عباس رضى الله عنهما أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلاث ذكر فيها وان لا ننزى حمارا على فرس وعمار وبنته وقرأته على الحافظ بالاسناد الصحيح المتصل الى سلمان رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من رجل مسلم الا حق عليه ان يرتبط فرسا اذا أطاق ذلك وجاء فى الحديث ان الله يحب النكل على النكل بتحريك الكاف يعنى الرجل القوى الجلد المجرب على الفرس القوى المجرب ويقال رجل نكل بالتسكين ونكل بالفتح مثل شبه وشبه كأنه ينكل به اعداؤه والنكل واحد الانكال المذكورة فى القرآن فى قوله تعالى ان لدينا انكالا يعنى قيودا ولى من شعر مجنس

خوفت نفسى عقاب الاله * وحر الجحيم وأنكالها

فزادت عتوا فعاقبتها * وكان عقابي انسكى لها

قلت واذا كان الفرس في منزلة ان يعاتب فيه المصطفى صلى الله عليه وسلم كيف لا يؤدب و يعلم نعم وأنت يا صاحبه مضطر الى تدريبه فتدرى به والى تجربته فتجرى به والى تسبيبه فتسبى به والى تسريبه فتسرى به ألم تسمع الى قول الفارس النبيل

عوّدوه مثل ما عوّدته * دلج الليل وايطاء القتيل

ووقع في شرح الشهاب لابي القاسم ابراهيم بن الوراق عن وهب بن منبه قال لما أراد الله ان يخلق الخيل قال للريح الجنوب اني خالق منك خلقا أجعله عزا لاوليائي ومذلة لاعدائي وجلالا لاهل طاعتي فقبض قبضة من ريح الجنوب فخلق منها فرسا فقال سميتك فرسا وجعلتك عربيا الخير معقود بناصيتك والغنائم تحاز على ظهرك وجعلتك تطير بلا جناحين فانت للطلب وانت للهرب ذكره في تفسير قوله عليه الصلاة والسلام الخير معقود في نواصي الخيل وفي رواية الى يوم القيامة وفي أخرى وأهلها معانون عليها والمنفق عليه كباسط يده بالصدقة وجاء في تفسير قوله تعالى الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار نزلت في علف الخيل * قال بعض العلماء دخلت على تميم الداري رضي الله عنه وهو أمير على بيت المقدس وهو ينقي شعير الفرسه ثم قام به حتى يعلقه عليه فقلت لو أعطيت هذا غيرك فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من نقى شعيرا الفرسه كتب الله له بكل شعيرة حسنة وفي الكتاب المذكور عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال اذا استعصت دابة أحدكم وكانت شموسا فليقرأ في أذنها أفغير دين الله يبغون وأما قوله عليه الصلاة والسلام وملاعبته أهله فقد تقدم في فضل التزوج والمباضعة ما فيه كفاية والملاعبة مقدمة الجماع وتقدم ذكر النية في الزواج وانه لتكثير النسل ولأن يخرج من ظهر الانسان من يقول لا اله الا الله و يعبد الله و يقرأ كتابه و يغزو في سبيل الله فيحبه الله كما قال الله تعالى ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا الآية و يقاتلون في سبيل الله فيقتلون و يقتلون وغير ذلك كثيرا وهذا سليمان بن داود عليه السلام يقول لاطوفن الليلة على تسعين امرأة كلها تأتي بفارس يقاتل في سبيل الله وأبوه داود الذي مدحه نبينا عليهما الصلاة والسلام فقال عنه وكان لا يفر اذا لاقى ومحمد صلى الله عليه وسلم يقول وجعل رزقي تحت ظل رمحي فانظر هممهم ونياتهم كيف كانت وهم من هم صلى الله عليهم وسلم

وقد جاء في فضل الجهاد ما تنقطع دونه الاكباد روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تمنى ان يقاتل في سبيل الله فيقتل ثم يحيي ثم يقتل قالها ثلاث مرات وجاءه عليه الصلاة والسلام رجل فقال له اخبرني بعمل أدرك به عمل المجاهد في سبيل الله فقال له كم مالك فقال ستة آلاف قال لو أنفقتها في طاعة الله تعالى لم تبلغ غبار شراك المجاهد خرجه ثابت رحمه الله وقال عن أبي زيد في قول الناس وطلبت فلانا فما شققت غباره أي لم أدركه ولم ادخل في غباره وأنشد

أرأيت يوم عكاظ حين رأيتني * تحت العجاج فما شققت غباري

وسأله آخر أي العمل أفضل قال ايمان بالله وجهاد في سبيل الله قال فأي العبادة أفضل قال أنفسها قال أفرأيت ان لم أجد قال فتعين الصانع وتصنع للاخرق قال أفرأيت ان لم استطع قال فدع الناس من شرك فانها صدقة تصدق بها على نفسك وسيأتي تفسير الصانع والاخرق ان شاء الله تعالى (رجع) وأما قوله عليه الصلاة والسلام ورميه بسهمه فانه حض على الرمي في غير ما حديث وفي غير ما موطن قال في حديثه الجامع لهذه المعاني الثلاثة ان الله عز وجل يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر في الجنة صانعه يحتسب في صنعته ومنبله والرامي به فارموا واركبوا وأن ترموا أحب الي من ان تركبوا ليس من اللهو الا ثلاثة تأديب الرجل فرسه وملاعبته أهله ورميه بقوسه ومن ترك الرمي بعد ما علمه فانه نعمة تركها أو قال كفرها وفي حديث آخر من علم الرمي ثم تركه فليس منا وقد عصى وخرج النسائي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من رمى بسهم في سبيل الله فبلغ العدو أو لم يبلغ كان له كعتق رقبة وخرج مسلم عن عقبة بن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ستفتح عليكم ارضون و يكفيكم الله فلا يعجز أحدكم ان يلهو بأسهمه وعنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر يقول وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ألا ان القوة الرمي ألا ان القوة الرمي ألا ان القوة الرمي وقال لسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ارم فداك أبي وأمي وخرج مسلم أيضا عن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه ما جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أبويه لاحد غير سعد بن مالك ومالك هذا هو المكنى بابي وقاص وفي حديث آخر كان رجل من المشركين قد أحرق في المسلمين فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ارم فداك أبي وأمي قال فنزعت له بسهم ليس فيه نصل فأصبت جنبه فسقط وانكشفت عورته

فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نظرت الى نواجذه وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيه السهم ليس فيه نصل فيقول ارم بهذا ويناوله بيده الشريفة صلى الله عليه وسلم فشأن الرمى ايضا وكيد وأمره عتيد وفى قصيدتى المطولة التى صنعتها فى الجهاد المذكورة فى غير هذا الكتاب من ذكر الرمى ما أذكره لك هنا وأولها

ألا ياحبذا خفق البنود * ولبس السابغات من الحديد
ومشى فى المهامه والفيافى * الى أرض الاعادى بالجنود

وفيها

ألا ياصاح هذا الغزو فانهض * اليه فذا من الرأى السديد
وقوسك خذ ونبلك ثم واخرج * ولاترض فى القوم القعود
وكن بالرمى مغتبطا وفاخر * به فذكانه سعد السعود
ألم تسمع أعدوا ما استطعتم * لهم من قوة قول الودود
وفسرها النبى الرمى فاعلم * وكرره لعشاه العتيد
وما فدى امرأقط غير سعد * وذلكم الفخار بلا مزيد
وقال ارمه فداك أبى وأمى * وناوله السهام بلا حديد
فشمر عن ذراعك وارم حتى * تكسر فى الرماية كل عود

الى آخرها وهى فوق المائة بيت تقدم فى الحديث انه لم يفد غير سعد وقد ورد فى الحديث أيضا انه جمع أبويه للزبير بن العوام رضى الله عنه فيحتمل ان يكون حديث على قبل هذا والله أعلم وكان أبو طلحة الانصارى رضى الله عنه أيضا راميا واسمه زيد بن سهل شهد مع النبى صلى الله عليه وسلم بدرا والمشاهد كلها وهو الذى يقول

أنا أبو طلحة واسمى زيد * وكل يوم فى سلاحى صيد

قتل يوم حنين عشرين رجلا وأخذ أسلابهم وكان النبى صلى الله عليه وسلم قد قال يوم حنين من قتل كافرا فله سلبه وكان يجثو بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الحرب ويقول نفسى لنفسك الفداء ووجهى لوجهك الوقاء ثم ينثر كنانته بين يديه وقال النبى عليه الصلاة والسلام لصوت أبى طلحة فى الجيش خير من مائة رجل وكان النبى عليه الصلاة والسلام يرفع رأسه من خلف أبى طلحة ليرى مواقع النبل فكان أبو طلحة يتطاول بصدره يقى به رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول نحرى دون نحرك وكانت تحته أم سليم بنت ملحان رضى الله عنها ولما توفى النبى

صلى الله عليه وسلم سرد الصوم أربعين سنة وركب البحر غازيا فدفن بجزيرة سنة احدى وخمسين وهو ابن سبعين سنة رضى الله عنه * رجع الكلام الى معنى اللهو قلت فانظر هداني الله واياك للصلاح فى أى موطن اللهو مباح وأى شئ منه عليه الصلاة والسلام أباح اباح والله منه تعليم الخيل المعدة للقتال وتعليم الرمى بالقسى والنبال وملاعبة الاهل للنسل والولد والانتسال وهذه كلها خلال حلال لا يقوم بها الا الابطال من الرجال حض فيه عليه الصلاة والسلام على الجهاد الذى هو متماد مع كل بر وفاجر الى يوم التناد وندب فيه الى الرمى بالسهام الذى فيه من الاجر أوفر السهام ودعا الى ملاعبة النساء لايجاد الاولاد المظهرين للاجتهاد فى الجهاد ففى هذه المواطن أباح اللهو نعم وفى اشباه ذلك مما هو والسهو مثل العرس الذى يشهر به النكاح الحلال الذى هو ضد الزنا السر بين النساء والرجال حتى قال عليه الصلاة والسلام وسأل عن الانصار وكان لهم عرس أما كان لهم لهو فان اللهو يعجبهم ولم يقل ذلك فى غير العرس للمعنى المذكور والله أعلم وكذلك لعب الحبشة بالحراب فى المسجد وذلك أيضا فيه ضرب من تعليم الحرب واباح اللهو أيضا للصغار من النساء المقصورات مثل عائشة رضى الله عنها اذ كانت تلعب بالبنات وهى طفلة وقال لها يوما والحبشة يلعبون فى المسجد تشتهين قالت فقلت نعم فاقامنى خلفه خدى على خده حتى اذا مللت قال اذهبى وحدثت عائشة رضى الله عنها بهذا الحديث وقالت فى آخره فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن الحريصة على اللهو وفى الحديث نعم لهو المرأة مغزلها وتقدم ذكر داود عليه السلام وانه كان لا يفر اذا لاقى وحين ذكر هذه اللفظة لعبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما فى حديث الصيام قال عبد الله من لى بهذا يارسول الله يريد الشجاعة والله أعلم وشجاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهورة وفى الكتب مسطورة كان فى الدنو من العدو واذا اشتد الباس ادنى الناس قال أصحابه رضى الله عنهم كنا اذا اشتد البأس اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يكن أحد ادنى الى العدو منه وان الشجاع منا للذى يحاذى به وأصحابه الذين يقولون هذا عنه كانوا والله اشجع الناس حمزة عمه وعلى ابن عمه وأبو دجانة وسلمة بن الاكوع ومن لا يحصى عدة من أهل النجدة والشدة مثل الضحاك بن سفيان الكلابى الذى كان وحده يعد بمائة فارس أمره النبى صلى الله عليه وسلم يوم حنين على بنى سليم وكانوا

نحو ثلاثمائة فاخبرهم عليه الصلاة والسلام انهم ثمو انيه ألفا ومثل ذلك يروى عن عباس بن مرداس انه كان يعد بثمانمائة فارس وان هذا الخبر كان يوم حنين وفوق هؤلاء في الحرب سيف الله خالد بن الوليد رضى الله عنه الذى أقبل من العراق بريد الشأم في ألف فارس فهزم الروم وهم أربعمائة ألف و يكفيه شرفا وشجاعة تسميته بسيف الله الى قيام الساعة و بحق من كانت له نفس أبية لم يرهب المنية ومن علم انه لا ينجو مما قدر عليه لم يبال ما ساقه الله اليه كم تعرض رضى الله عنه للشهادة فلم ينلها واستهدف للسلاح ولم يبلها وآخر ما قال لما احتضر بحمص شهدت زهاء مائة زحف وما في جسدى موضع شبر الا وفيه ضربة أو طعنة أو رمية ثم أنا ذا أموت كما يموت العير فلا نامت أعين الجبناء وكان الزبير بن العوام والمقداد ابن الاسود وخارجة بن حذافة القرشي من فرسان قريش يعدل كل واحد منهم ألف فارس يذكر ان عمرو بن العاص كتب الى عمر بن الخطاب رضى الله عنهما يستمده بثلاثة آلاف فارس فامده بخارجة هذا والزبير بن العوام والمقداد بن الاسود رضى الله عنهم وخارجة هذا هو الذى قتله الخارجي على أنه عمرو بن العاص وكان عمرو قدمه ذلك اليوم لصلاة الصبح للقضاء السابق فلما علم ذلك الخارجي قال اردت عمرا وأراد الله خارجة وكان ثلاثة من الخوارج من أهل العراق تعاهدوا عند الكعبة على قتل معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص وحبيب ابن مسلمة فكان من أمرهم ما كان ذكر هذا الخبر ابن عبد البر في تاريخه وذكر أبو العباس في الكامل عوض حبيب بن مسلمة على بن أبي طالب وقال ان الخوارج هم الذين ائتمروا على ذلك فانتدب لعلي رضى الله عنه عبد الرحمن بن ملجم لعنه الله وانتدب الحجاج بن عبد الله الصريمي وهو البرك لمعاوية وزادويه مولى بنى العنبر بن عمرو بن تميم لعمرو بن العاص واجمعوا على ان يكون في ليلة واحدة ليلة احدى وعشرين من رمضان فأتى ابن ملجم الى الكوفة واخفى نفسه فلما كانت الليلة المذكورة وكان قد ساعده على ذلك رجل من أشجع يقال له شبيب اعتورا الباب الذى كان على منه يدخل وكان على رضى الله عنه يخرج مغلسا يوقظ الناس للصلاة فخرج فضربه شبيب بالسيف فأخطأه وضربه ابن ملجم لعنه الله على صلعته فقال على فزت ورب الكعبة شأنكم بالرجل فحمل ابن ملجم على الناس بسيفه فأفرجوا له وتلقاه المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب بقطيفة فرمى بها

عليه

عليه واحتمله فضرب به الارض وأما شبيب فأفلت ومكث على رضى الله عنه يومين ومات في آخر اليوم الثالث رحمه الله وكان على رضى الله عنه يؤتى اليه بابن ملجم فيقال له قد سمعنا من هذا فيك مقالة فاقتله فيقول ما قتلني بعد و يقول مرة أخرى كيف أقتل قاتلى فلما ضربه قال على ان أعش فالامر الى وان أصب فالامر لكم وان آثرتم ان تقتصوا فضربة بضربة وان تعفوا أقرب للتقوى وقال عبد الله بن جعفر للحسن ادفعه الى اشفى نفسى منه فدفعه اليه فقتله وكان على رضى الله عنه اذا رأى ابن ملجم يقول

أريد حياته و يريد قتلى * عذيرك من خليلك من مراد

وكان يقول

أشدد حيازيمك للموت * فان الموت لاقيكا

ولا تجزع من الموت * اذا حل بواديكا

وقد تقدم هذا وأما الحجاج فضرب معاوية فأصاب صلبه فقطع منه عرق النكاح فلم يولد لمعاوية بعد ذلك فقطع يديه و رجليه فاقام بالبصرة فبلغ زيادا انه قد ولد له فقال أيولد له وأمير المؤمنين لا يولد له فقتله واتخذ معاوية المقصورة وأما زادويه فقتل خارجة على انه عمرو كما تقدم * رجع الخبر وان طال الى ذكر الابطال قلت هؤلاء هم الرجال في الحقيقة لفظا ومعنى و بمثل هذه الطريقة ينبغي ان يعنى و يتلو هذه العصابة في الفضل أولوا الكرم والبذل كما قال أوس بن حجر

مطاعين في الهيجا مطاعيم في القرى * اذا اصفر آفاق السماء من القرس

القرس البرد الشديد وفوق هؤلاء كلهم العلماء والحكماء النبلاء مصابيح الدين وقدوة المهتدين كما قال بعض العلماء الناس ثلاثة أصناف أهل العلم وأهل السخاء وأهل الحرب ولى في هذا المعنى

الناس هم ثلاثة * فواحد ذو درقه * وذو علوم دارس * صحيفة وورقه

ومنفق في واجب * ذهبه و ورقه * ومن سواهم همج * لا ودك لا مرقه

قلت جمع هذه المناقب على بن أبي طالب رضى الله عنه وتقدم مكانه من العلم فيما مضى ومحله في الدين المحل المرتضى كان من شأنه رضى الله عنه وأرضى انه كان لكل صلاة يتوضا وقد تقدم أيضا انه حاز فضلين في الكرم والبذل والجود والفضل لم ينلهما أحد سواه بعد ولا قبل وهما تقديمه الصدقة بين يدى نجوى الرسول ليسمع وايثاره الخاتم للمسكين وهو يركع وأما شجاعته و بسالته وطاقته

وجزاالله فقد طبقت الآفاق وسارت بها الرفاق وبقى ذكرها الى يوم التلاق ويكفيه ما اشتهر عنه وانتشر من الخبر يوم خيبر * خرج رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خرجنا مع على بن أبى طالب حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم برايته فلما دنا من الحصن خرج اليه أهله فقاتلهم فضربه رجل من يهود فطرح ترسه من يده فتناول على بابا كان عند الحصن فترس به نفسه فلم يزل فى يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه ثم ألقاه من يده حين فرغ فلقد رأيتنى فى نفر معى سبعة أنا ثامنهم نجهد على ان نقلب ذلك الباب فما نقلبه وفيه قال النبى صلى الله عليه وسلم لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله يفتح الله على يديه ليس بفرار فكان كما قال النبى صلى الله عليه وسلم وقد تقدم فى وصفه أيضا رضى الله عنه انه كان اذا استعلى الفارس قده واذا اعترضه قطه وكانت درعه صدرا بلا ظهر فقيل له فى ذلك فقال اذا وليت فلا وألت أو كما قال يعنى انه كان لا يولى ظهره أبدا والموأل والموئل المرجع وفى حديث آخر كانت ضربات على ابكارا اذا استعلى قد واذا استعرض قط قوله ابكارا يقال ضربة بكر أى قاطعة لا تثنى * تقدم ذكر الهمج وجاء فى حديث على رضى الله عنه سائر الناس همج رعاع قال الليث الهمج كل دودة تتفقأ عن ذباب أو بعوض واشباه ذلك وقال الجوهرى الهمج ذباب صغير يسقط على وجوه الغنم والحمير وأعينها وهو جمع همجة ويقال أيضا للرعاع من الناس الجهال الحمقى همج تشبيها به والهمج أيضا الجوع قاله ابن خالويه قال وقد يسمى به البعوض لانه اذا جاع عاش واذا شبع هلك وقولهم همج هامج تأكيد كما قالوا ليل لايل وأبد آبد ودهر داهر وليلة ليلاء ويوم أيوم ونهار انهر وساعة سوعاء وربما قالوا دهارير وأنشد

وبينما المرء فى الاحياء مغتبط * اذا هو الرمس تعفوه الاعاصير
حتى كأن لم يكن الا تذكره * والدهر أيتما حال دهارير

أى شديد وأنشد فى الهمج الهاجج لابن حلزة

بينا الفتى يسعى ويسعى له * تاح له من أمره خالج
يترك ما رقح من عيشه * يعيش فيه همج هامج

وأنشد

وأنت يا ذا الذهن الصقيل * عذرا لانى طولت قيلى
نسيت نفسى فطال طرسى * وطاب فى نظمه مقيلى
هذا خفيف على هين * وذاك فى حيز الثقيل

لكن

لكن اليه الرجوع كرها * الله ربى منه مقيلى
خرجت من شئ الى غيره * وذلك الغير هو الانفع
لكنه حق بلا مرية * وربما القلب به يخشع
وذلك الآخر لا رقة * فيه ولا عين به تدمع
لكنها يا صاحبى نية * خرجت منها واليها أرجع

﴿باب الالف مع الواو﴾

وأو وأو وآو وأو * ووأوأ واوا وول وول

هذا البيت قد اجتمعت فيه الواوات من كل الجهات كأنهم سمعوا بالغزو فجمعوا من الحضر والبدو شيوخ حرب واولو طعن وضرب قد تقوست ظهورهم من الهرم واشبهوا قوم عاد وارم قد جلب كل الفه وصاحبه فألفه وأمامه أوقفه كانه رمح ثقفه والكل يطلب منى التيسير أو التفسير فقلت التفسير انفع فافتح أذنيك واسمع قد تقدمت لفظة أو وانها كلمة تأوه مع أوه واخواتها وأما أو فان صاحب كتاب العين ذكر انه يقال أو من كذا على معنى التحزن قال وتقول أوه لك كقولك أولى لك وجاء فى تفسير أولى لك فأولى انه وعيد على وعيد قاله قتادة وقال أقبل أبو جهل يتبختر فأخذ النبى صلى الله عليه وسلم بيده فقال أولى لك فأولى فقال ما تستطيع أنت ولا ربك لى شيئا انى لأعز من بين جبليها فضرب الله عنقه يوم بدر وقال ابن عباس قال له النبى صلى الله عليه وسلم ذلك قبل ان ينزل به القرآن ثم نزل به القرآن وقيل ان المعنى الذم أولى لك من غيره فحذف لكثرة الاستعمال قال الاصمعى معنى أولى له أى قاربه ما يهلكه أى نزل به وقال الشاعر

فأولى ثم أولى ثم أولى * وهل للدر يحلب من مرد

وقيل فى قوله تعالى فأولى لهم أى وليهم المكروه وتقول أولاك الله خيرا أى أصابك به وقلت

وذاك الذى أولاك مولاك ان تزد * تزاد فزد شكرا ولا تك جاحدا

وقبل هذا البيت

اذا كنت فى دنياك يا صاح زاهدا * وفى طلب الاخرى مجدا مجاهدا
فأنت على خير وتلك كرامة * فكن شاكرا لله ربك حامدا

وذاك الذى البيت ومن هذا الشكل أولى تأنيث أول والجمع أول والألوة العود

الذى يتبخر به ويقال فيه أيضا ألوة بالضم وفى الحديث فى صفة أهل الجنة مجامرهم الالوة جعلنا الله منهم بكرمه * وأما آو فاسم فاعل من أوى يأوى كان آت اسم فاعل من أتى يأتى وفى القرآن العزيز اذ أوى الفتية الى الكهف وسيأتى آوى بالمد وأما أو فمن حروف العطف وتكون بمعنى حتى فى قولك لاضربنك أو تقوم وبمعنى كى وبمعنى الى وشاهده من الكلام ما تقدم واستشهد صاحب الجمل بقول امرئ القيس * نحاول ملكا أو نموت فنعذرا * ويبعد فى هذا الموضع معنى كى لانه لم يحاول الملك ليموت والله أعلم وتكون للشك تقول رأيت زيدا أو عمرا وتكون للتخيير بين الشيئين كقوله تعالى فاطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة وقوله تعالى ففدية من صيام أو صدقة أو نسك أنت فى جميع هذا بالخيار ما فعلت منه أجزأ عنك وربما كانت بمعنى واو النسق كقوله تعالى فالملقيات ذكرا عذرا أو نذرا وقوله تعالى لعله يتذكر أو يخشى وقوله تعالى لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكرا هذا كله عند المفسرين بمعنى واو النسق وأما قوله تعالى وارسلناه الى مائة ألف أو يزيدون فان بعضهم ذهب الى ان معناه بل يزيدون على معنى التدارك وكذا قوله تعالى وما أمر الساعة الا كلمح البصر أو هو أقرب وقوله تعالى فكان قاب قوسين أو ادنى قال ابن قتيبة وليس كما تأولوا وانما هى فى جميع هذه المواضع بمعنى واو النسق وارسلناه الى مائة ألف و يزيدون وما أمر الساعة الا كلمح البصر وهو أقرب فكان قاب قوسين وأدنى قال ابن أحمر

قراعنكما شهرين أو نصف ثالث * الى ذا كما قد غيبتنى غيابيا

قال وهذا البيت يوضح لك معنى الواو أراد قرى شهرين ونصفا ولا يجوز ان يريد قرى شهرين بل نصف ثالث وقال قرا بفتح القاف وكسرها وذكر ابن سلام فى قوله تعالى فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا ان معناه بل أشد والله أعلم وثم أيضا أو يقال لها المصنفة ذكرها أبو محمد مكى بن أبى طالب القيسى فى الهداية عن بعض العلماء فى قوله تعالى كونوا هودا أو نصارى تهتدوا قال المعنى صنف هودا وصنف نصارى * وأما وأو أواوا فمعناه كتب واوا وصنع واوا يقال وأوأ بالهمز كراهية اتصال الواوات والياآت لان تأليف الواو من واو وياء وواو ويو فاذا صرفوا منها فعلا قالوا وأوأت ولم يقولوا ويويت كراهية اجتماع ما ذكر

ولم

ولم يفعلوا ذلك فى الظاء وقالوا ظيبت ظاء وقالوا فى تصغير واو ويية ومنهم من يقول فى واو وو فيحذف الياء لان أصلها كما تقدم ويو ومنهم من عوض منها ألفا وهو الاكثر فقال واو فاذا صرف منها فعلا قال كما تقدم وأو أواوا وبذلك سمى الواوا الشاعر الدمشقى وهو معروف واذ وقع ذكر الواوا والذى فى البيت جلبه فاذكر لك هنا حديثا به غاية كتبت الى بعض الطلبه

خل ودع حسناء رود * ذات الحلى ذات البرود
ذات الدلال والنهود * وقل لموف بالعهود
يا من غدا كابن العميد * فى النظم والنثر الفريد

من شعر مطول آخره * دو دو دوودودود * وهذا كمثل ما تقدم من البديع الذى جمع من الالتزام انه لا مخلوط ولا منقوط ولم يزد على حرفين دال و واو وهو مع ذلك ينعكس وتفسيره انه كان عندنا رجل معروف يقال له دودو فاخبرت عنه انه دو أى أصابه داء وهو مع ذلك وداى صاحب ود ود أى حبيب وظننت انه لا يقدر على مثله فكتب الى

ومن ظن ممن يلاقى الحروب * بان لا يصاب فقد ظن عجزا
قل للالى فى علمهم * والفضل منهم قد شأوا
هل فيكم مذيل * أو الرجال قد مضوا
لبيت شعر حكته * وجزت فيه ما حكوا
وأو أواوا وأوى * واوا وآوى وأووا

يقول صنع واوا وانضم وضم اليه واوا هذا الحرف ويقال من هذا الحرف أوى زيد الى عمرو انضم اليه قال الله تعالى اذ أوى الفتية الى الكهف وآوى غيره اليه قال الله تعالى آوى اليه أبويه أى ضمهما اليه وهذا الالتزام صعب اذا لم يقيد فكيف وقد اجتمع فيه من اللزوم ما تراه * تقدم رود وهى من النساء الشابة الحسنة ويقال لها أيضا راد ورادة وروده قال أبو زيد هما مهموزان والراد أصل اللحى والرود مثله وراد الضحى ارتفاعه ويقال ريح رادة بغير همز وريدة وريدانة للتى تكون لينة الهبوب من تاج اللغة * واغرب من هذا أرسلت اليه نصف بيت من هذا النوع وهو * أدردد ارأراد دردا * تفسيره هذا الرجل الذى هو أدرد وهو الذاهب الاسنان دار أى عالم أراد امرأة دردا مثله وفى هذا خمسة أنواع من اللزوم لا خاط ولا نقط وفى كل كلمة ألف ودال والرابع الوزن والخامس العكس

وهو أصعبها وظننت كذلك انه يعجز عنه فلم يفعل بل أجاب بالعجاب قال * ادردر اردردا * لولا انه نقص الالف فى دروا الشرط ان لا تخلو كلمة من ألف ودال وراء ووصلته أنا ولم أنقص منه شيئا مما ان أردته تقف عليه فيما جمعته من هذا النوع من قولى فى جزء يحتوى على عجائب من نفائس البديع وغرائب من التجنيس والترصيع يشبه ما قاله الحريرى وغيره وسقت ما لم يذكروه مما يستلطف و يستملح و يستظرف ان يلح والحمد لله على ما أعطى ومنع وأسأله الصفح فهو أولى من صفح وقد خرجت من هذا الغرض بهذا الذى اعترض وها أنا اليه تائب ومن الذنوب ان شاء الله تائب ومعكوس أو وا وهو حرف من حروف النداء وأكثر ما يدخل فى الندبة وسيأتى ان شاء الله تعالى وان همزت ألف واجاء منه وأى فعل من الوأى الذى هو العدة تقول وأيت له على نفسى وأيا أى ضمنت له عدة وفى الموطأ من قول أبى بكر رضى الله عنه من كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وأى أو عدة فليأت الحديث يحتمل ان تكون أو للشك معناه قال وأى أو قال عدة ويحتمل ان يكون تكريرا لما اختلف اللفظ كما قال * تحلت بلون السام والذهب المحض * وذلك معروف من مذهبهم كما يجمعون الشئ ثم يفردون بعضه لفضله كما جاء فى الحديث وصام الناس وصام معاوية وفى القرآن العزيز من هذا كثير كقوله تعالى فيهما فاكهة ونخل ورمان والنخل والرمان من الفاكهة لكن أفردهما بالذكر لفضلهما ومثله من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال وتقول من هذا الفعل فى الامر للواحد المذكر إ يا زيد كذا وللاثنين إيا وللجميع إووا وللانثى إى وللجميع إين وقياسه وشى يشى ووعى يعى وفى الحديث من الوأى من حديث وهب قال قرأت فى الحكمة ان الله تعالى يقول انى قد أويت على نفسى ان أذكر من ذكرنى خرجه ابن قتيبة وقال قوله أويت غلط الا ان يكون مما قلب والصحيح وأيت وهو الوعد يقول جعلت وعدا على نفسى والوأى من الدواب السريع المعتدل الخلق وجمعه وأيات تقول ناقة وآة مثل وعاة وجمل وأى اذا كان شديدا قويا قال الشاعر * كل وآة ووأى ضافى الخصل * وأما وا الذى للندبة المتقدم فانهم يقولون وازيداه واعمرو على معنى التفجع والبكاء وربما زادوا بعد تمام الاسم ألفا لمد الصوت وربما زادوا هاء للوقف فقالوا وازيداه واعمراه يدعوه بأشهر أسمائه وأكبرا لانه * بقى الكلام فى معكوس البيت ألف بين حرفين مثل واو

وقد

وقد تقدم فيه الكلام وانه يقال فى واو وو بغير ألف وهى من حروف العطف ومن عملها انها تنصب الفعل المستقبل بعدها اذا أردت بها غير معنى العطف وشاهده ما ذكر أبو القاسم وغيره من قولهم لا تأكل السمك وتشرب اللبن على المعنى الذى قصدوه من النهى عن الجمع بينهما اذ لو لم يرد هذا الجزم وشاهده من الموزون

لا تنه عن خلق وتأتى مثله * عار عليك اذا فعلت عظيم

وقال

أخرجت من واو وقنون * ان الحديث لذو شجون
بقيت لنا منه بقايا * فاسمعوها أى بنون

تكون الواو أيضا للعطف والجمع بين الشيئين و بمعنى مع فى قولهم استوى الماء والخشبة وتسمى أيضا واو الثمانية وواو الحال وغير ذلك مما ذكره النحويون وقال المهدوى رحمه الله فى قوله تعالى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع أى اثنين اثنين وثلاثا ثلاثا وجاء ذلك على بدل ثلاث من مثنى ولذلك عطف بالواو ولو جاء بأو لجاز ان لا يكون لصاحب المثنى ثلاث وكذلك قوله تعالى أولى اجنحة مثنى وثلاث ورباع أى اثنين اثنين وقال البخارى رحمه الله فى كتابه هى فى الموضعين بمعنى أو وقال المهدوى ليس قول من قال من المبتدعة الجهلة ان هذه الآية أحلت نكاح تسع نسوة بشئ يشتغل بالرد عليه لان العرب لا تدع ان تقول تسعة وتقول اثنان وثلاثة وأربعة هذا خلف من الكلام وهو من الابتداع وأما مقلوب الكلمة حرف بين ألفين مثل أوى على مذهب من كتبه بالالف للضرورة اذ أصله الياء لانك تقول أويت الى المنزل آوى أويا وإواء قال الله تعالى سآوى الى جبل تقدم أوى فلان الى فلان بالقصر بمعنى انضم وتقدم الشاهد عليه من القرآن اذ أوى الفتية وفأووا الى الكهف على انهم قالوا فى هذا الفعل الغير المتعدى آوى بالمد والاول أفصح وأما آوى المتعدى فممدود تقول منه آوى زيد عمرا يؤويه ايواء وأواه أيضا بغير مد عن أبى زيد والافصح لغة القرآن آوى اليه أخاه وآوى اليه أبويه وفصيلته التى تؤويه وتؤوى اليك من تشاء وتقول تأوت الطير تجمعت وطير أوى وتقول أوى زيد لعمر أوية وأية وتأوية وماوية وأويا اذا رق له واشفق عليه قال الشاعر * ولو اننى استأويته ما أوى ليا * وجاء منه فى الحديث انه كان يفتح رجليه عند البول حتى نأوى له واصل إية إوية فادغموا الواو فى الياء وابن آوى دويبة والجمع بنات آوى والمأوى كل مكان يأوى اليه شئ ليلا

أو نهارا وفى الحديث عن ابن عباس رضى الله عنهما قال سألنا كعبا عن جنة المأوى قال أما جنة المأوى فجنة فيها طير خضر ترتعى فيها أرواح الشهداء والايوان والاوان قال صاحب العين شبه ازج مسدود الوجه * وذو أوان موضع بينه وبين المدينة ساعة من نهار ونزل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم من تبوك وذكر أبو عبيد البكرى انه بلد اسمه أوان على لفظ الاوان من الزمان وذكر خبرا يدل على انه ذو أوان المذكور والاوان من الزمان فهو الحين والجمع آونة وقد تقدم آن يئين فعل يفعل من الاوان والاونات جانبا الخرج والآن أصلها الاوان فحذفت ولزمها الالف واللام للتعريف وكذلك ابان أصلها أى أوان فجعلتا بمنزلة اسم واحد بعد ان حذفتا * بقيت القافية ول وول هما واحد فى اللفظ ويختلفان فى المعنى أحدهما ولى بمعنى أعرض وأدبر والآخر من الولاية التى هى الامارة على ما سيأتى ان شاء الله تعالى ولكن سكنت ول للقافية والوقف وكلاهما امر من ولى يولى وفى القرآن العزيز فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره أى نحوه وتلقاءه وعليه انشدوا

* أقول لأم زنباع أقيمى * صدور العيس شطر بنى تميم *

يعنى تلقاءهم وقوله فول هو من ولى بمعنى فر من قوله تعالى خبرا عن موسى عليه السلام ولى مدبرا ولم يعقب وتقول ولى فلان هاربا ومنهزما ويكون أيضا بمعنى التولية تقول ولى فلان فلانا على كذا بمعنى ملكه وكذلك تولى تكون بمعنى أعرض وصد فى قوله تعالى أفرأيت الذى تولى واذا تولى سعى فى الارض ليفسد فيها وكذلك ولى فى قوله تعالى ولى مستكبرا كأن لم يسمعها أى أعرض وأدبر واستولى بمعنى صار تقول استولى فلان على كذا أى صار فى يده وملكه كما قال *سبق الجواد اذا استولى على الامد * ومن خفيف ولى ومضاعفه ولول يقال ولولت المرأة اذا دعت بالويل وولول اسم سيف كان لعبد الرحمن بن خالد بن الوليد وأنشد ابن عتاب يوم الجمل * انا ابن عتاب وسيفى ولول * قال هو اسم سيف كان لابيه ومعكوس ول لو وفيه معنى التمنى المتعب المعنى وفيه أيضا معنى الشرط وهو حرف أيضا يدل على امتناع الشئ لامتناع غيره تقول لو قدم زيد لنلت من خيره فزيد ما قدم وخيره عدم وأقرب منه لولا لولا وهو حرف يدل على امتناع شئ لوجود سواه تقول لولا زيد لاكرمتك فزيد موجود والاكرام مفقود وعلى كل حال

فانهما فى أغلب الاحوال الا المحال ولا يحصل منهما فى المآل الا الآل لاسيما لو فهى عند الناس حرف سو واختهما فى العنا وقلة الغنا ليت وان شككت فانشد هذا البيت فتصدق شئت أو أبيت

ليت شعرى مسافر بن أبى عمرو وليت يقولها المحزون

وقال آخر ألا يا ليتنى والمرء ميت * وما يغنى عن الحدثان ليت

وقال آخر وجمع بين لو وليت فى شطر بيت * ان لوا وان ليتا عناء *

ولو هذه هى لو بعينها اذا جعلتها اسما أعربتها وشددتها وقال الشاعر فاغرب وزاد مع لو اهل وأعرب

سبقت مقادير الاله وحكمها * فأرح فؤادك من لعل ومن لو

وقال الآخر ولكن أهلكت لو كثيرا * وقبل اليوم عالجها قدار

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذم لو استعن بالله ولا تعجز وان أصابك شئ فلا تقل لو انى فعلت كذا لكان كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فان لو تفتح عمل الشيطان واللو فى غير هذا من قولهم فى المثل فلان لا يعرف الحو من اللو أى لا يعرف ما حوى مما لوى *قلت لكل مقام مقال وبالنيات تفسد أو تصلح الاعمال قد تنفع لو فى بعض الاوقات بحسب اختلاف النيات يقول الانسان لو قضى الله شيئا لكان ويقول اذا عمل الشر لو وفقنى الله لهدانى الى الخير فقد تصل هذا من قوته وحوله ووكل الامر الى أهله وقد قال عليه الصلاة والسلام لو استقبلت من أمرى ما استدبرت لما سقت الهدى وجاء عن أنس خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى عن أنس انه قال ما بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حاجة قط فلم تقض الا قال يا بنى لو قدر شئ كان وان كان بعض أزواجه تقول لو فعلت كذا وكذا مالك فعلت كذا وكذا فيقول دعوه ما يكون الا ما أراد الله عز وجل فهذا الضرب من القول يحمد الله صاحبه سالم وقائله ان شاء الله غانم وقد حصلت له التسلية ومن حوله وقوته التبرية * فرغ هذا وقد تقدم الكلام فى لولا فى باب هلا ومشاركتها اياها فى التحضيض ورفعهما الهما ألا ولوما من الحضيض بقى معرفة مخرج الواو ويخرج عنها ويستراح منها فاعلم أيها الحبيب ان مخرجها مخرج الباء والميم وذلك من بين الشفتين وقد مرت قبل ذلك مذكورة وان جميعها من الحروف المجهورة وقد تقدم أيضا الكلام فى مخرج اللام وتقدم اشتراك

الواو مع الهمزة فى مثل اكاف ووكاف ووشاح واشاح
خرجت من شئ الى غيره * والكل فى تفسير ذى الواو
لكنه علم ونفع الى القارى والسامع والراوى

﴿فصل﴾ من الفوائد الزوائد تقدم فى أول الباب ذكر عاد ارم ورأيت فى ذلك كلاما أعجبنى فأخرته الى هنا كما شاء الهنا * قال مجاهد رحمه الله ارم أمة وقال قتادة قبيلة من عاد وقال محمد بن كعب هى مدينة الاسكندرية وقال المقبرى هى دمشق وقيل كانت مدينة موجودة فى وقتها ثم عدمت وقيل ارم هو سام بن نوح عليه السلام وقيل أبو عاد وعاد بن ارم بن عوص بن سام بن نوح عليه السلام ومعنى ذات العماد أى ذات الطول عن ابن عباس رضى الله عنهما وقال قتادة كانوا عمادا لقومهم وقال ابن زيد احكام البنيان وقال الضحاك المعنى ذات القوى الشداد وقيل الضمير فى مثلها للقبيلة أو للمدينة قال هذا المهدوى رحمه الله ووقع فى كتاب قوت القلوب قيل لأبى يزيد بلغت جبل قاف قال جبل قاف أمره قريب الشان فى جبل كاف وجبل عين وجبل صاد قيل وما هذه قال هذه جبال محيطة بالارضين السفلى حول كل أرض جبل بمنزلة قاف محيطة بهذه الارض الدنيا وهو أصغرها وهذه أصغر الارضين قيل لأبى يزيد دخلت ارم ذات العماد فقال دخلت ألف مدينة لله فى ملكه أدناها ذات العماد ثم عددها التبت وتاويل وتاريس وجابلق وجابرس ومنسك ولعل قائلا يقول فقد قال الله تعالى فى وصفها لم يخلق مثلها فى البلاد قيل معناه فى بلاد اليمن لانهم خوطبوا بها فى بلادهم كما قال الله تعالى أو ينفوا من الارض يعنى أرض بلدهم فذات العماد مدينة عاد فى أرض اليمن ما بين أبين والشحر يقال لها سور له ألف باب ما بين البابين فرسخ مركبة على أعمدة الذهب والفضة والياقوت والزبرجد فيها مائة ألف عمود من ذلك كانت الجن اصطنعتها لعاد بن شداد بن سام بن نوح عليه السلام استخرجت الجن هذه العمد من قعور البحار وكان قد سخرت له الجن قبل سليمان عليه السلام بأربعة آلاف عام تجتمع فى هذه المدينة طائفة من الابدال ايالى الجمع والاعياد يقال فيها صناديق من حجارة طول كل صندوق عشرة اذرع فيها قبور الانبياء أجدادهم صحيحة باقية الى يومنا هذا وهى محجوبة عن أبصار العباد وقد كان سهل رحمه الله يزورها فى كل جمعة هذا نص الكتاب وذكر فى هذا الكتاب

عجائب وغرائب منها فى صفة الاولياء ان الدنيا كلها خطوة للولى وان وليا لله تعالى خطا خطوة واحدة خمسمائة عام رفع رجله على جبل ق والاخرى على جانب الجبل الآخر فعبر الارض كلها وذكر غير هذا من هذا النوع وذكر فى آخر الفصل فلا تنكرون من جميع ما ذكرنا شيئا فتقصر أقل انصبة المؤمنين من علم القدر واليقين لان للمؤمنين أنصبة من العلوم منها المشاهدة لما وصفنا على التحقيق ومنها الذوق والقبول والتصديق وأقل انصبة المؤمنين من علم المعرفة ان لم يشهد فلا يجحد وان لم يعرف فلا ينكر ويكون معه له التسليم لاهله وليس بعد هذا امكان ومن أعجب ما رأيت لهذه الطائفة انه كان بعضهم اذا دخل رمضان دخل بيته وقال لامرأته طينى على الباب فتفعل وتترك منه كوة تعطيه كل ليلة منها رغيفا فاذا كان يوم العيد فتحت الباب فوجدت فى زاوية البيت الثلاثين رغيفا بحسبها لم ينقص منها شئ وأخبرت انه بقى تلك المدة لم يأكل ولم يشرب وبقى بوضوء واحد الى أن خرج نقلت هذا من تأليف أبى حامد رضى الله عنه ومن أسهل ما وجدت فى كتاب القوت وأقربه انه ذكر المقامات العشرة التى أولها التوبة وآخرها المحبة ثم قال ويعطى الله العبد بأداء الفرائض واجتناب المحارم مقاما من مقامات اليقين يرفعه الى عليين وربما أعطاه بجماعة مقامات اليقين كلها ان أراده بها فنقله مولاه باليقين الذى تولاه به فاذا نقله لم يخف عليه لان التنقيل يضطره الى الانتقال على كل حال والمشاهدة تحكم عليه بالافعال وربما بلغ الله العبد بحسن الظن به والطمع فيه جميع ما ذكرناه وربما أعطاه ذلك كله بخلق من أخلاق الربوبية يخلقه به وربما أعطاه كل ذلك بشئ واحد يتركه له أو يؤثره به فلا ييأس عبد من فضل مولاه فان السيد كريم نقلت هذا من كتاب القوت وكذلك ذكر ارم ذات العماد الا يسيرا نقلته من غيره ووقع فى كتاب الحلية عن بكر بن خنيس ورأى قوما يتعبدون فقال لسعيد بن المسيب يا أبا محمد ألا تتعبد مع هؤلاء القوم فقال يا ابن أخى انها ليست بعبادة قلت له فما العبادة قال التفكر فى أمر الله والورع عن محارم الله وأداء فرائض الله عز وجل وكان يقول من حافظ على الصلوات الخمس فى جماعة فقد ملأ البر والبحر عبادة وكان سعيد هذا رحمه الله يسرد الصوم وحج أربعين سنة وصلى الغداة بوضوء العتمة خمسين سنة وقال ما فاتتنى التكبيرة الاولى منذ خمسين سنة وما نظرت فى قفا رجل فى الصلاة منذ خمسين سنة ودعى الى نيف

وثلاثين ألفا ليأخذها فقال لاحاجة لى فيها وكان لا يقبل من أحد شيئا لا دينارا ولا درهما ولا شربة ماء وكان يقول الدنيا مذلة وهى الى كل نذل أميل وأنذل منها من أخذها بغير حقها وطلبها بغير وجهها ووضعها فى غير سبيلها وقال أبو حامد وقد ذكر نوعا مما تقدم ولا تعجبن من هذا فان الله قادر على ما يشاء وهذا مريض تراه لا يأكل شهرا وهو حى يعيش والمريض على كل حال أضعف من القوى وأما الذى يموت جوعا فذلك أجله حضره كالذى يموت شبعا وتخمة قال ولقد بلغنى عن أبى سعيد الخراز رحمه الله انه قال كان حالى مع الله تعالى أن يطعمنى فى كل ثلاثة أيام فدخلت البادية فمضت على ثلاثة أيام ما طعمت فلما كان اليوم الرابع وجدت ضعفا فجلست مكانى فاذا هاتف يقول يا أبا سعيد أيما أحب اليك سبب أو قوى قلت لا القوى فقمت من وقتى وقد استقللت فمشيت اثنى عشر يوما لا طعمت ولا وجدت أذى لذلك وقال أبو حامد رحمه الله والله سبحانه وتعالى قادر على ما يشاء وان شاء أقام بنية عبده بطعام وشراب أو بطين وتراب أو بتسبيح وتهليل كالملائكة وان شاء بدون هذا كله فليس مطلوب العبد الا القوام والقوة للعبادة وبهذا المعنى قويت الزهاد والعباد على الاسفار وطى الليالى والايام فمنهم من لم يأكل عشرة أيام ومنهم من لم يأكل شهرا أو شهرين وهو على قوته ومنهم من كان يستف الرمل فجعله الله له غذاء نحو ما ذكر عن الثورى رضى الله عنه انه نفدت نفقته بمكة فمكث خمسة عشر يوما يستف الرمل وقال أبو معاوية الاسود رأيت ابراهيم بن أدهم رضى الله عنه يأكل الطين عشرين يوما وعن الاعمش قال قال ابراهيم التيمى ما أكلت منذ شهر قلت منذ شهر قال ولا شهرين الا أن انسانا ناشدنى على عنقود من عنب فأكلته فأنا أشتكى بطنى قال يوسف بن الشيخ العجب من الثورى اذ كان يستف الرمل وهو بمكة هلا شرب من ماء زمزم فيكفيه كما فعل أبو ذر رضى الله عنه فقد جاء فى الصحيح انه أقام بمكة خمسة عشر ثلاثين بين يوم وليلة ليس له طعام الا ماء زمزم قال فسمنت عليه حتى تكسرت عكن بطنى قلت فهذه عطايا من الله عز وجل لا وليائه أهل خدمته قلت هذا قبل أن أعلم العلة فى تركه الشرب من ماء زمزم وذلك ان القوم كانوا يتورعون عن طعام أو شراب فيه أدنى شبهة ولما كان الدلو والحبل الذى يستقى به الماء من زمزم من قبل السلطان تورعوا عن تناوله وقيل لابراهيم بن أدهم رضى الله عنه وهو بمكة وكان لا يشرب من ماء زمزم ألا تشرب من ماء زمزم فقال لو كان لى

دلو لشربت وقال أبو عبد الله بن الجلاء أعرف من أقام بمكة ثلاثين سنة لم يشرب من ماء زمزم الا ما استقاه بركوته ورشائه وكان بشر الحافى لا يشرب من الانهار التى احتفرتها الظلمة والطف أبعضهم سراجا أشعله غلامه من بيت ظالم ويروى عن ذى النون المصرى انه كان محبوسا جائعا فبعثت اليه امرأة صالحة من طيب مالها طعاما فلم يأكل منه واعتذر بأنه جاء على طبق ظالم أى على يدى السجان فهذا الذى حمل أولئك الفضلاء من أهل الورع والدين على أكل الطين وهو تهم لشهوا تهم على اهوا تهم كما حكى ان مالك بن دينار رضى الله عنه مكث بالبصرة أربعين سنة فلم يصح له أن يأكل من تمرها أو رطبها حتى مات ولم يذقه وكان اذا انقضى وقت الرطب يقول يا أهل البصرة هذا بطنى ما نقص منه شئ ولا زاد فى بطونكم وكانوا يستسهلون الورع وكان سفيان الثورى رضى الله عنه يقول ما رأيت أسهل من الورع ما حاك فى صدرك تركته وقال ابن الجلاء من لم يصحبه التقى فى فقره أكل الحرام النص وقال يونس بن عبيد الورع الخروج من كل شبهة ومحاسبة النفس فى كل طرفة ﴿فصل﴾ * تقدم ذكر أبى ذر رضى الله عنه واسمه جندب ابن جنادة كان من أكابر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أسلم بعد أربعة فكان خامس المسلمين ولما بلغه مبعث النبى صلى الله عليه وسلم قدم عليه مكة فأقام بها خمسة عشر ثلاثين بين ليلة ويوم ولم يكن له طعام الا ماء زمزم قال فسمنت عليه حتى تكسرت عكن بطنى وذكر انه لقيه على بن أبى طالب رضى الله عنه وسأله عن مقدمه فأخبره انه يريد الاجتماع مع النبى صلى الله عليه وسلم وحينئذ قال له على اتبعنى حتى تدخل معى مدخلى فانى ان رأيت شيئا أخافه عليك قمت كأنى أريق الماء وان مضيت فاتبعنى كما تقدم ثم دخل على النبى صلى الله عليه وسلم فقال له السلام عليك يا رسول الله قال فكنت أول من حياه بتحية الاسلام فقال وعليك السلام من أنت قلت رجل من غفار فعرض على الاسلام فأسلمت وشهدت أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ارجع الى قومك وأخبرهم واكتم أمرك عن أهل مكة فانى أخشى عليك فقلت والذى نفسى بيده لاصرخن بها بين أظهرهم فخرج حتى أتى المسجد فنادى بأعلى صوته أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فثار القوم اليه فضربوه حتى أضجعوه وأتى العباس فانكب عليه فأنقذه منهم ثم عاد من الغد الى مثلها

وضربوه فأنقذه العباس ثم لحق بقومه ثم قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
بالمدينة فلما رآه النبى صلى الله عليه وسلم وهم فى اسمه فقال أنت أبو نملة قال أنا أبو
ذر قال نعم أبو ذر وذكر تمام الخبر وجاء فى فضله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال فيه ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء أصدق لهجة من أبى ذر ومات
بالربذة رضى الله عنه * رجع الكلام بعد ذكر هؤلاء الزهاد العباد الى بقية
خبر ارم ذات العماد وقع فى كتاب الممالك والمسالك انه وجد فى الاسكندرية عمود رخام
عليه مكتوب بالقلم المسند وهو القلم الاول من أقلام حمير أنا شداد بن عاد سددت
بذراعى الواد وقطعت عظيم العماد من الجبال والاطواد وبنيت ارم ذات العماد
التى لم يخلق مثلها فى البلاد وأردت أن ابنى هاهنا كارما وأنقل اليها كل ذى قدم
من جميع العشائر والامم فأصابنى ما أعجلنى وعما ذهبت اليه قطعنى حال طال
مع وقوعها همى وشجنى وقل نومى وسكنى فارتحلت من هذه الدار لا لقهر جبار
ولا لخوف جيش جرار ولكن لتمام المقدار وانقطاع الآثار وسلطان عزيز جبار
فمن رأى أثرى وعرف خبرى وطول عمرى ونفاذ بصرى وشدة حذرى فلا يغتر
بالدنيا بعدى ﴿فصل﴾ واذ قد ذكرت ما قال الناس فى ارم ذات العماد من الغرائب
فانى أذكر ما شاهدته بالاسكندرية من العجائب فعلى هذه الاخبار بنيت هذه
عجائب الاسكندريه
الاسفار لان فيها تنفيسا للنفوس من البوس وترويحا للارواح من العبوس وكل
يتفق مما أولاه مولاه وأبدا أعاذ كره مؤلف كتاب الفتوح أخبر ان عمرو بن العاص
لما افتتح الاسكندرية كتب الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه أما بعد فانى افتتحت
مدينة لا أصف ما فيها غير انى أصبت فيها أربعة آلاف منية بأربعة آلاف حمام
قال ووجدت فيها اثنى عشر ألف بقال يبيعون البقل الاخضر وأربعين ألف يهودى
عليهم الجزية وأربعمائة ألف ملهى للملوك وقيل كان بالاسكندرية فيما أحصى
من الحمامات اثنا عشر ألف ديماس أصغر ديماس فيه سبعة آلاف مجلس كل
مجلس يسع جماعة هذا نصه وأما أنا فأخبرنى مخبر بالاسكندرية ان داخل سورها
أربعة آلاف مسجد وقال آخر ستة آلاف وان خارجها ألف مسجد وكان ذلك اذ
دخلتها سنة احدى وستين وخمسمائة وهى أصغر مما كانت أولا اذ بناها الاسكندر
باضعاف كثيرة رأيت بخارجها على نحو ميل منها بابا عظيما أعنى بناء باب قد تهدم
ما حوله وبقى على قارعة الطريق بقبلتها يقال من ذلك المكان كانت المدينة أولا

وأما منار تماقبتها وبين المدينة نحو ميل أيضا أو أكثر بجنوبيها وهى فى جزيرة
صغيرة فى الماء وقد بنى منها الى البر رصيف فى الماء طوله ستمائة ذراع أو أزيد وعرضه
عشرون ذراعا وارتفاعه فوق الماء ثلاثة أذرع فاذا هاج البحر غطى الماء ذلك
الممشى ولكنه بحر لين بسبب الجزيرة والاحجار التى حول ذلك الموضع فيمشى
الماشى عليه فى الماء الى الكعبين أو نحو ذلك فاذا انحسر الماء مشى فى اليبس والمنارة
فى آخر الجزيرة وهى مربعة كل وجه خمسة وأربعون باعا والبحر يكثر فى الممشى
الذى حول البناء من جهة الشرق والجنوب منه وبين الجدار اثنا عشر ذراعا
وارتفاعه من الماء الى الهواء ذلك المقدار الا أنه من جهة البحر أوسع أعنى أول
البناء الذى على الحجارة تحت الماء كأنه جبل ثم كلما طلع البناء ضاق حتى يرتفع على
وجه الارض ويبقى بينه وبين جدار المنارة القدر المذكور أولا وقد أحكم الصاقه
وبناؤه وأفرغ بالرصاص فى أقفال من حديد تمسك ذلك الكدان المنحوت الذى
كل كدانة منه أطول من لوح البناء وأغلظ من عرضه وهذا البناء الذى أصفه
محدث لانه كان قد انهد ذلك الجانب فبنى أحسن من البناء القديم وفى الحائط الذى
يلى البحر من جهة الجنوب كتابة بالخط القديم لا أدرى ما هو وليست كتابة بقلم انما
هى صور وأشكال من حجارة صلبة طوال سود قد أدخلت فى الكدان وقد
اكل البحر هواء الكدان فبرزت الحروف اصلا لانها طول الالف منها فوق
الذراع ورأس الميم قد خرج من البناء كدور فم البرمة الكبيرة وهكذا أكثر تلك
الحروف على هذا الشكل وباب المنارة مرتفع عن الارض قد بنى له ممشى طوله نحو
مائة باع وتحت الممشى قبة قسى شبه القنطرة يدخل الفارس تحت القوس منها ولو
رفع يده ما أدرك السمك فى الكبار منها وعددها ستة عشر قوسا أولها قصير ثم كلما
مضى ارتفع حتى يتصل آخرها بالباب وهو أرفعها سمكا ودخلنا على الباب فمشينا
نحو أربعين باعا فوجدنا على اليسار بابا مغلقا لم ندر ما فيه ومشينا نحو ستين باعا
فوجدنا بابا مفتوحا فدخلنا من بيت الى بيت ثمانية عشر بيتا سوى الزقاق التى يمشى
فيها وهى بيوت ينفذ بعضها الى بعض وحينئذ علمنا ان جوفه فارغ وانما عددنا
من عن يمين الزقاق ويساره ومشينا ستين باعا فوجدنا أربعة عشر بيتا ومشينا
أربعة وعشرين باعا فوجدنا سبعة عشر بيتا ومشينا خمسة وخمسين باعا وانتهينا
الى الحزام الاول وليس هنالك درج انما هى أرض مرتفعة قليلا تدور بجبل

عظيم نجد عن يمينك غلظ الحائط الذى لا ندرى قدره وعن يسارك المحل الذى
فيه البيوت المذكورة كأنك تمشى فى زقاق سعته سبعة أشبار وفوق الرأس
سقف ألواح من حجارة رأينا اذا طلعنا فارسا يهبط وآخر يصعد حتى التقيا
فى الطريق ولم يضيق أحدهما على الآخر فلما انتهينا الى الحزام الاول ذرعنا منه
الى الارض بشريط فى طرفه حجر فوجدناه احدى وثلاثين قامة وستارة حائط نحو
من قامة وقام فى الوسط نحل مثمن فى كل وجه عشرة أبوع وبينه وبين الستارة
خمسة عشر شبرا وغلظ الستارة سبعة أشبار وتسعة أشكل على هذا الحرف
من الأم التى نقلت هذا منها لانى كتبت هنالك هذا كله ومضيت اليه بالمداد
والكاغد والشريط حتى لا أسقط منه شيئا فانه عجب وأى عجب والله خلقكم
وما تعملون وأكثر ظنى انه تسعة ورأس هذا الحزام أضيق من أسفله فدخلنا فى
جوفه ومشينا خمسة عشر باعا ووجدنا درجات رقينا فيها ثمانية عشر درجة وانتهينا
الى الحزام الاوسط فذرعناه بالشريط فوجدنا منه الى الحزام الاول خمسة عشر
قامة وقام فى وسط ذلك الفضاء نحل آخر مدور غلظه أربعون باعا وبينه وبين
الستارة تسعة أشبار ونصف فدخلنا فيه أيضا وصعدنا احدى وثلاثين درجة
وانتهينا الى الحزام الثالث فذرعنا منه الى الحزام الاوسط أربع قامات وفى
وسطه مسجد يفتح على أبواب أربعة كالقبة ارتفاعه فى الهواء نحو ثلاث قامات
وغلظه عشرون باعا وأمامه ستارة غلظها شبران ومنها الى المسجد خمسة أشبار
فجميع بيوته التى دخلناها سبعة وستون بيتا سوى الاول المقفل يقال ان فيها
مهاوى تنفذ الى البحر وطول المنارة على هذا الحساب ثلاثة وخمسون قامة ومن
الارض الى ماء البحر خمس وتحت الماء الظاهر نحو القامة أو أكثر ترمى بالحجر من
أعلاه فلا يقع الى الارض حتى يمس فى الحائط لسعة أسفله وضيق أعلاه وانما
بنى هنالك ليستدل به على البلد السائرون اليه فى البحر وتوقد فى أعلاه النار لاهل
المراكب لئلا يضلوا ولقد فاتتنا رؤيته فلم نقدر ندخل مرسى البلد وكان رئيسنا
أيضا لم يكن دخله قبل ذلك فخلفناه وراءنا وأدخلتنا الريح فى موضع ليس فيه
مرسى ثم سلم الله بعد أن أشفينا على الهلكة وخرجت النقا القطائع من البلد
فأدخلونا البلد يوما آخر وكانت العافية والحمد لله * فرغ حديث المنارة وأغرب
من هذا حديث السارية بقبلى البلد خارجا منه بنحو ميل موضع مرتفع شبه الاكمة

والربوة

والربوة يقال انه مسجد سليمان بن داود عليهما السلام طوله مائتان وثلاثة
وعشرون باعا وعرضه مائة باع قد دارت به مائة سارية فى القبلة منها خمس عشرة
وفى الجنوب كذلك وفى المشرق خمس وثلاثون وفى الغرب كذلك غلظ كل سارية
سبعة عشر شبرا وطولها نحو الخمسين شبرا بين كل ساريتين ثمانية عشر شبرا
تذرع بالشريط غلظ السارية ثم تمده بينها وبين التى تليها فتجده سواء الاقدر الشبر
والسوارى الاربع التى فى الاركان قد نحتت على شكل ساريتين وركن محدد
من حجر واحد غلظ كل واحدة من الاربع ثلاثون شبرا كل سارية على قاعدة
مربعة الاسفل مدورة الاعلى على شكل السارية وكلها من لون واحد مثل لون
السوارى ليست شديدة الحمرة بل تضرب الى الصفرة قليلا على رأس كل سارية
رأس أمفرد مدور على غلظ السارية الا أن أعلاه أوسع شيئا من أسفله وهذا
المسجد فى البراح ليس عليه سقف ولا كان عليه قط والله أعلم الا أن قبلته سقف
فيه بلاط واحد فيما أظن بسوارى دون تلك المذكورة مثل سوارى بلادنا
أو أغلظ وصنع له محراب يصلى فيه من مشى اليه لانه فى فضاء ليس حوله عمران
الآن والعجب العجاب ان امام الصف الشرقى منه داخل المسجد سارية عظيمة بينها
وبين الصف مقدار عشرين ذراعا على قاعدة من حجر واحد مربعة من اللون
المذكور ارتفاع القاعدة فى الهواء ستة عشر شبرا وفى كل وجه منها عشرون شبرا
ثم جعلت عليها قاعدة أخرى مثلها فى الصفة والسعة واللون نصفها مربع مثل
التى تحتها ونصفها مدور على شكل السارية التى عليها ارتفاع هذه القاعدة
الاخرى فى الهواء ثمانية أشبار قد أحكم الصاقها بالرصاص وأتقن خرط المدور
منها ونحت المربع غاية الاتقان ثم السارية العظيمة فوق ذلك كله غلظها ثمانية
وثلاثون شبرا لا يدرى قدر ارتفاعها الا أن الصبيان يأتون اليها ويرمونها بالحجارة
أيهم يوصل حجره أعلاها وما رأيت من بلغه وعليها رأس من حجر يضرب الى
الصفرة واسع الاعلى قد صار عليها كالطبق واتقن نحته وتخريمه وله شعب
تنظر الى الارض شبه الاكاب فى نهاية من التخريم والاتقان وهو حجر صلد لكنه
محكم الصنعة والسارية فى غاية الاعتدال والصفاء ولا أدرى ما معنى تلك السارية
وحدها فى ذلك الموضع ليست فى الوسط ولا ثم امارة لموضع اخرى ولا من حيث
جلبت ولا كيف أقيمت وما حول الاسكندرية جبل يقرب منها يقال ان الجن

صنعت ذلك لسليمان عليه السلام أو لعل ذلك من عهد عوج وأصحابه وهو حجر يبقى بقاء الأبد والله أعلم قال يوسف ذكرت حديث هذه السارية بمالقة حرسها الله تعالى فى عام اثنين وستمائة بعد رؤيتى اياها بنحو من أربعين سنة فذكر لى رجل من أصحابى من الحجاج من أفاضل الناس قال حدثنى كذلك رجل صالح ثقة ان أحد الرماة بالاسكندرية جنى جناية فعمد الى تلك السارية فرمى أعلاها بسهم قد ربط فى فوقه خيطا طويلا فتجاوز سهمه السارية والخيط على رأسها وطرفه فى الارض حيث وقع السهم والطرف الآخر من الجهة الاخرى من حيث رمى ثم ربط فى هذا الطرف خيطا آخر أقوى منه وربط فى طرفه شريطا وفى طرف الشريط حبلا قويا ثم جبذ ذلك كله من الجهة حيث سقط السهم ثم أوثق طرف الحبل فى أسفل السارية وتعلق به من الجهة الاخرى حتى استوى على رأس السارية واذا به مقور شبه الحوض وفيه ماء المطر وطلع ومعه بعض قوت وأقام ثم واجتمع الناس اليه ورأوا عجبا ولم يعلموا كيف كانت تلك الحيلة فى صعوده الى ذلك الموضع وبلغ ذلك الوالى فاستغرب وأمر بالعفو عنه وانزاله آمنا وحينئذ حدثهم بحيلته هذا معنى كلامه والله أعلم وهذا ممكن فلقد حدثنى ابنى عبد الله انه رأى فى بلاد بغداد ايوانا لبعض الملوك المتقدمين فى نهاية من الارتفاع وفيه قبة عظيمة وبدا خلها على قمة الرأس حلقة فضة ملصقة بالسقف ظاهرة فلم يقدر أحد على أخذها حتى جاء رجل من الغز فرماها بسهم فى فوقه خيط مثل ما تقدم ثم قوى ذلك الخيط بغيره وبغيره ثم جبذه جماعة من الجهتين جبذة أسقطوا تلك الحلقة وأخذوها * رجع الكلام الى بقية الخبر وبحرى صف السوارى المذكورة باب المسجد وفيه عجب أيضا العضادة منه من حجر واحد طوله خمسون شبرا وعرضه سبعة أشبار فى الوجه الذى يكون عن يمينك اذا دخلت وفى الذى عن شمالك كذلك وحرف الحجر أربعة أشبار ونصف والى جانبها عن يمينك عضادة اخرى كذلك من حجر واحد على صفتها وكذلك عن يسارك بينهما فى الارض ثلاثون شبرا على العضادتين عتبة من حجر واحد تملك رأس العضادتين من ناحية داخل المسجد وكانت على العضادتين الاخريين اللتين يليان البراح من خارج المسجد عتبة اخرى كذلك من حجر واحد لكنها سقطت وانكسرت على ثلاث قطع طولها مكسورة أربعون شبرا وعرضها ثمانية أشبار وحرفها كذلك

قد خرج لها تكفيف وزرف فيها كتاب وسوسانات وتخريم عجيب وفى طرفها من ههنا وههنا كلبان كبيران قد خرم فيهما من التخريم ما يستغرب به من رآه وهو مع ذلك فى نهاية من الصفا والصقالة تضرب فيها بيدك أو بحجر فتسمع له صوتا غريبا وامام ذلك مقدار عشرين باعا قائمة اخرى فى الهواء وقد سقطت اختها من الجانب الآخر فانكسرت على نصفين طولها خمسة وخمسون شبرا فى عرض ثمانية أشبار وحرفها كذلك كأنه كان فصيلا امام الباب وتحت الباب دهليز عظيم قد أفضى بالكدان كهيئة البيت العظيم وداخله سرب يدخل تحت المسجد لا أدرى ما طوله ولا الى أين ينفذ يقال ان المسجد كله على بيوت وزنقات ويظهر ذلك من بعض مواضع السوارى المقلوعة لانهم يقلعونها ويقطعون منها أحجار الارض والبدود وينقل من كدانه كثير الى اصلاح ما كان فيه وهى فى المنارة المذكورة قبل وفى رصيفها وذلك التراب فى الاكمة المذكورة حيث المسجد المذكور ليس خلقة انما هو منقول اليها غطى به ما بنى هنالك من تلك الاشياء وستر به أسس السوارى والكدان والله أعلم ولما رأيت هذه العجائب والآثار استغربتها ثم تفكرت فى القوم الذين كانوا قبلنا مثل قوم عاد الذين كانوا كما قال الله تعالى كأنهم أعجاز نخل خاوية فقلت عمل تلك السارية وأعظم منها فى حقهم قليل وقد جاء فى قصة الجبارين ان موسى عليه السلام لما بعث اليهم الاثنى عشر نقيبا ليختبروه خبر القوم رآهم رجل من الجبارين فأخذهم فى كمه مع فاكهة كان يحملها من بستانه وجاء بهم الى الملك فنثرهم بين يديه وقال له ان هؤلاء يريدون قتالنا فقال لهم الملك ارجعوا الى صاحبكم فأخبروه خبرنا ذكر ذلك المهدوى رحمه الله فى التحصيل ومن غيره يروى انه كان يدخل فى فم الرجل منهم اثنان من قوم موسى عليه السلام ويحمل العنقود من عنبهم خمسة من قوم موسى ويسع قحف الرمانة اذا فرغت خمسة رجال ويحمل حبة العنب رجل من قوم موسى عليه السلام وذكر حمزة بن محمد المصرى قال رأيت بالاسكندرية ضرس انسان عند قصاب يزن به اللحم زنته حديث عوج
ثمانية ارطال وقال المهدوى أيضا فى التحصيل حديث عوج من طريق وهب لما نظر عوج الى عسكر موسى وكان أكثر من مائتى ألف اقتلع صخرة من الارض على قدرهم واحتملها ليرسلها عليهم فبعث الله الهدهد ومعه قطعة من ماس فأداره على الصخرة تلقاء رأسه فسقط موضع التقوير فى عنقه وضربه موسى عليه السلام

بعصاه في العرق الذي تحت كعبه فخر ميتا وقال أبو عبيد البكري في كتاب
المسالك والممالك ان عصا موسى عليه الصلاة والسلام كان طولها عشرة أذرع
وكان طوله مثل ذلك ووثب عشرة أذرع ولم يلحق من عوج الا عرقوبه فقتله وأقامه
جسرا على النيل يعبر الناس والدواب عليه مدة طويلة وفي حديث آخر انهم
جروه بألف عجلة وألف ثور كل يوم نصف ميل الى أن طرحوه في بحر القلزم وقيل
قطعوه قطعا وجروه الى البحر وكان قد عمر الى زمن فرعون ولم يغرقه الطوفان
ولا بلغ ماؤه الا بعض جسده وكان قد طلب السفينة ليغرقها فمنعها الله منه وكان
اذا وقف صارت السحابة له مئزرا جاء في هذا الخبر أن طول عصا موسى عليه السلام
كانت عشرة أذرع وتقدم في أول الكتاب ان طولها كان اثني عشر ذراعا والله
أعلم وأما أم عوج عناق ولدتها أمها حواء عليها السلام مفردة بغير ذكر مشوهة
الخلقة لها رأسان ولها في كل يد عشرة أصابع وفي كل اصبع ظفران وذكرها
علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقال هي أول من بغى وعمل الفجور وعملت السحر
وولدت عوجا الجبار فدعا عليها آدم عليه السلام وأمنت حواء فأرسل الله عليها
أسدا أكبر من الفيل فقتلها وأراح منها العباد وقال النقاش في قصة جالوت ان
البيضة التي كانت على رأسه كان فيها ثلثمائة رطل وان داود عليه السلام هو الذي
قتله باذن الله تعالى ولما دنا من جالوت وجنوده وهم سبعون ألفا أو يزيدون
وجالوت قائم دونهم قد ستر الشمس قال له جالوت وقد ازدراه وحقره ما جاء بك
يا شقي قال جئت لأقتلك قال وكيف تقتلني ولو بصقت عليك لغرقتك بصاقي
ولو وضعت عليك سنان رمحي لأهلكتك ان فيه ثمانمائة رطل قال له داود اني قاتلك
قال له ارجع ويحك فاني أراك ضعيفا ولا أرى لك قوة ولا أرى معك سلاحا ارجع
فاني أرحمك فقال داود أنا أقتلك باذن الله تعالى فقال جالوت بأي شئ تقتلني وقد
قمت مقام الاشقياء ولا أرى معك الا عصاك هذه هلم فاضربني بها ما شئت وهي
عصاه التي كان يرد بها غنمه قال داود أقتلك باذن الله بما شاء الله فتقدم جالوت ليأخذه
بيده مقتدرا عليه في نفسه وكان داود قد استودع ربه غنمه في الجبل وقال آتي
الناس وأطالع اخوتي وهم سبعة مع طالوت فمر على حجر فقال يا داود خذني فاني
حجر هارون الذي قتل به كذا وكذا فأخذه فألقاه في مخلاته ثم مر بحجر آخر فقال
يا داود خذني فانا أقتل جالوت الجبار ثم مر بحجر آخر كذلك فألقاه في مخلاته فلما

دنا من جالوت صير الله الحجارة الثلاثة حجرا واحدا فرماه به وألقت الريح البيضة
عن رأسه فوقع في دماغه حتى خرج من أسفله وانهزم الصفان منهم كما قال تعالى
فهزموهم باذن الله وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء
واتبعهم المسلمون يقتلونهم ويأسرونهم ودخل طالوت بمن معه الارض المقدسة
وملك مشارقها ومغاربها وكان داود قد قال لطالوت تجعل لي نصف ملكك ونصف
مالك ان قتلت جالوت الجبار قال لك ذلك عندي وأزوجك فلانة ابنتي فلما قتله جاء
يطلبه بما وعده فأعطاه سيفه وزوجه ابنته وسأله أن يعطيه نصف ملكه فهم أن
يفعل فلامه جبابرة بني اسرائيل وأغروه به حتى غضب لداود جماعة من أهل الدين
وقاموا معه لينصروه فعدا عليهم طالوت وقتلهم ثم انه ندم وطلب التوبة فأخبر ان
توبته أن يلقى العدو ويقدم بنيه أمامه وكانوا عشرة فيقاتلون حتى يقتلوا عن آخرهم
ويقتل هو آخرهم ففعل وقدم ولده واحدا بعد واحد حتى قتلوا عن آخرهم وقتل
هو آخرهم الحديث قال وذكروا عن كعب ان الذي قتل جالوت من الجبابرة جبار
كان يبلغ رأسه السحاب وأعطى الله مملكة بني اسرائيل لداود وكان وعد الله
مفعولا وهذا الحديث اختصرته وكان طويلا قلت فاذا كان عوج وغيره على ما تقدم
من وصفه فكيف يعجز أحدهم من أن يرفع تلك السارية وأعظم منها بكفه ثم يهدم
ذلك البناء بأجمعه بأصبعه ويخلق الله تعالى ما لا نعلم والله أعلم وصلى الله على سيدنا
محمد وعلى آله وصحبه وسلم * وتقدم ذكر الندبة وهو أمر مكروه في الاسلام وكان أهل
الجاهلية يفعلونه وقد حرم في جملة ما حرم من النوح خرج مسلم من طريق المغيرة
ابن شعبة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من نيح عليه فانه يعذب
بما نيح عليه يوم القيامة وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ان الميت ليعذب ببكاء الحي عليه وفي لفظ آخر ان الميت
ليعذب ببكاء أهله عليه وقد أنكرت عائشة على عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين
روى هذا الحديث فقالت يرحم الله أبا عبد الرحمن أما انه لم يكذب على رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولكنه نسي أو أخطأ والله تعالى يقول ولا تزر وازرة وزر
أخرى وذكرت الحديث بكماله وانه كان في يهودية بكاء عليها أهلها وأنكرت عائشة
أيضا على أبي هريرة رضي الله عنهما حين حدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان امرأة عذبت في النار من جراء هرة ربطتها لا هي أطعمتها ولا هي سقتها حتى

ماتت فقالت له يا أبا هريرة أنت الذي تحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا وذكرت الحديث بكماله فقال أبو هريرة رضي الله عنه سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت عائشة ان المؤمن أكرم على الله من أن يعذبه من جراء هرة ان المرأة مع ذلك كانت كافرة يا أبا هريرة اذا حدثت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فانظر كيف تحدث * ورجع الكلام الى ذكر عمر قلت ويحتمل حديث عمران يقال اذا كان من سنة الميت ومن غرضه أن يناح عليه بمثل هذا أو كان من سيرته أن يسمعه من أهله وهو حي ولا يغيره ولا ينكره على من يفعله فذلك وزر احتمله يعذب به في قبره فقد خرج البخاري عن النعمان بن بشير قال أغمي على عبد الله بن رواحة فجعلت اخته عمرة تبكي عليه وتقول واجبلاه واكذا واكذا تعدد عليه فقال حين أفاق ما قلت شيئا الا وقيل لي أنت كذا وفي طريق آخر فلما مات لم تبك عليه فان كان من سنة هذا الميت وعادته الزجر عن مثل ذلك والكراهية له ممن سمعه ونيح عليه بمثل هذا فان ذلك ان شاء الله لا يضره ويتعلق الوزر بقائله والاثم بفاعله لا سيما ان كان مع ذلك صوت ونوح كما قال عليه الصلاة والسلام ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية وقد ورد النهي عن النوح في غير ما حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك ورد عن الصحابة والتابعين كراهة ذلك يروى ان الحسن بن أبي الحسن رضي الله عنه كان في جنازة فيها نوائح ومعه سعيد بن المسيب رضي الله عنهم فهم سعيد بالانصراف فقال له الحسن ان كنت كلما رأيت قبيحا تركت له حسنا أسرع ذلك في دينك ولكل مقام مقال يحتمل أن يكون الحسن قد شرع في تجهيز ذلك الميت أو غسله أو في شئ كان أهم عليه وأخف من سماع ذلك النوح ومع ذلك فلم يرضه وانما تركه لما لم يقدر على تغييره أو لئلا يفوته من أمر الميت ما هو أعود عليه من الانصراف عن الجنازة كما أراد سعيد بن المسيب أن يفعل والله أعلم ولا تغتر بفعل عائشة رضي الله عنها اذا التدمت يوم موت رسول الله صلى الله عليه وسلم فانها كانت صغيرة وقد عابت ذلك على نفسها فقالت فمن سفهي وحداثة سني اني وضعت رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم من حجري وقمت ألتدم مع النساء وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توفي في حجرها وبين سحرها ونحرها ويروى انها رضي الله عنها قالت حين مات عليه الصلاة والسلام هذه الابيات

قد كنت ذات حمية ما عشت لي * أمشي البراح وكنت أنت جناحي
فاليوم أخضع للذليل وأتقي * منه وادفع ظالمي بالراح
واذا دعت قمرية شجنا لها * يوما على فنن دعوت صباحي

وقع هذا في الدلائل وأنشدنيها بعض الاشياخ وزاد فيها

وأغض من طرفي وأعلم انه * قد مات خير فوارسي وسلاحي
حضرت منيته فأسلمني العزا * فتمكنت جمر الغضا بجراحي
نشر الفراش على ريش جناحه * فظللت بين سيوفه ورماح
من ذا يؤمل أن يعيش مخلدا * والموت بين غدوه ورواح
يا رب صبرني على ما حل بي * مات النبي وانطفا مصباحي

سمعت بعض أشياخي رحمه الله يقول معنى قولها وأدفع ظالمي بالراح تخبر انها ليست لها حيلة الا أن ترفع يدها بالدعاء الى الله تعالى تدعو على من ظلمها وقال غيره انما معناه انها ليس لها سلاح وانما تتقي بيديها فعل الضعيف القليل الحيلة قلت قد رثي رسول الله صلى الله عليه وسلم بمراث كثيرة كلها لا تنفع ولا تفي بالذي لو عقد فيه لان مصيبته في كل حين تتجدد وفي كل وقت تتردد ولا يجد ذلك على الحقيقة الا كل مؤمن ذي كبد رقيقة محب بكل قلبه لا يستطاع على صرفه عن ذلك ولا قلبه وقد علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف العزاء اذا عظمت الارزاء فقال ليعزي المسلمون في مصائبهم بالمصيبة بي صلى الله عليه وسلم فمن تعزى به في مصابه على كثرة أو مصابه فهو المسلم بشهادة الرسول والا فما أدري ما أقول وما أحسن هذا البيت ولعله كان في المصطفى ليت

والصبر يحسن في المواطن كلها * الا عليك فانه مذموم

ما أصدق ما أخرج هذا الشاعر من فيه لو كان فيه وقال غيره

وقد كان يدعى لابس الصبر حازما * فقد صار يدعى حازما حين يجزع

وترك الجزع أحمد الا على أحمد صلى الله عليه وسلم وشرف ومجد وكرم وقال آخر وفيه لعمر الله بعض السلو عن الميت وللقلب بعض الهدو بهذا البيت

وهون ما ألقى من الوجد أنني * أجاوره في داره اليوم أو غدا

قلت وجائز اليوم للانسان اذا سمع كلاما فيه استحسان قصد لانه شخصا كريما عليه أن يقصد به من هو أولى به منه ويصرفه اليه كما قال عمر بن الخطاب رضي الله

عنه وقد أنشد قول عنترة

ولقد أبيت على الطوى وأظله * حتى أنال به كريم المأكل

قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك سمع أبو بكر الصديق رضى الله عنه ابنته عائشة رضى الله عنها تقول وقد دخلت عليه وهو مريض فتمثلت

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه * ثمال اليتامى عصمة للارامل

فقال أبو بكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق رضى الله عنه فى هذا الخبر صدقا قيل ذلك فى رسول الله صلى الله عليه وسلم حقا وأنا أقول عندما سمعت قول الشاعر

اذا لم أنافس فى هواك ولم أغر * عليك ففى من ليت شعرى أنافس

ما أولى هذا ان يقال فى حق رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تقدم طرف من هذا فى باب الذال ومن أحسن ما قيل فى العزاء

لكل شئ اذا فارقته عوض * وليس لله ان فارقت من عوض

وقال آخر اذا أبقت الدنيا على المرء دينه * فما فاته منها فليس بضائر

ومن المشهور الجزع على ما فات من أعظم الآفات وانما الجزع والاشفاق قبل وقوع الامر المحتوم فاذا وقع فليس الا الرضا والتسليم والله أعلم ﴿فصل﴾ يتضمن بعض الاخبار عن موته صلى الله عليه وسلم وموت أبى بكر وعمر رضى الله عنهما على حد الاختصار خرج ثابت رحمه الله فى حديث العباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عكرمة توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين فحبس يومه وليلته والغد حتى دفن من الليل وقالوا لم يمت ولكن عرج بروحه كما عرج بروح موسى فقام عمر خطيبا فجعل يتوعد المنافقين ويقول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ما مات ولكن عرج بروحه كما عرج بروح موسى لا يموت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تقطع أيدى أقوام وألسنتهم وجعل يتكلم حتى أزبد شدقاه فقال العباس أى قوم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات فانه بشر أى قوم ادفنوا صاحبكم فهو أكرم على الله من ان يميته اماتة ويميتكم اماتتين لهو أكرم على الله من ذلك ادفنوه فان كان الذى تقولونه كما تقولون فليس على الله بعزيز أن يبحث عنه التراب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ما مات حتى ترك السبيل نهجا واضحا أحل الحلال وحرم الحرام ونكح وطلق وحارب وسالم ما كان كراعى غنم

يتبع بها صاحبها رؤس الجبال يخبط عليها بمخبطه ويمدر حوضها بيده ما نصب ولا أدأب من رسول الله صلى الله عليه وسلم يا قوم ادفنوا صاحبكم وجعلت أم أيمن تبكى يومئذ فقيل لها يا أم أيمن تبكين على رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت اما والله ما أبكى على رسول الله صلى الله عليه وسلم الا أكون أعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب الى ما هو خير له من الدنيا ولكن أبكى على خبر السماء وقد انقطع * قوله يخبط عليها الخبط الهش وكذا فسر به قوله تعالى قال هى عصاى أتوكأ عليها وأهش بها على غنمى أى أضرب بها الاغصان على غنمى لتأكله والمخبط العصا ومن الاختباط حديث عمر رضى الله عنه قال كنت أرعى ابلا للخطاب وكان فظا غليظا وكنت أرعى أحيانا وأختبط أحيانا فأصبحت ليس فوقى الا الله رب العالمين ثم قال

لا شئ مما ترى تبقى بشاشته * يبقى الاله ويودى المال والولد

ويروى انه لما قبضت روحه الطيبة صلى الله عليه وسلم سطعت رائحة طيبة لم يجدوا مثلها قط وسمعوا حفيف اجنحة الملائكة وقال أنس رضى الله عنه لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم اجتمع أصحابه يبكون حوله اذ دخل عليهم رجل طويل شعر المنكبين فى ازار ورداء يتخطى الناس وهم لا يعرفونه حتى أخذ بعضادتى باب البيت وبكى مع الباكين ثم أقبل على أصحابه رضى الله عنهم وقال ان فى الله عز وجل عزاء من كل مصيبة وعوضا من كل فائت وخلفا من كل هالك فالى الله فأنيبوا وبنظره اليكم فانظروا فان المصاب من حرم الثواب ثم ذهب فقال أبو بكر لعل هذا الخضر صاحب نبينا جاءنا يعزينا وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال دخلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دنا الفراق وهو فى بيت أمنا عائشة رضى الله عنها فلما نظر الينا دمعت عيناه ثم قال مرحبا بكم حياكم الله آواكم الله نصركم الله أوصيكم بتقوى الله وأوصى بكم الله انى لكم منه نذير مبين الا تعلوا على الله فى عباده وبلاده وقد دنا الأجل والمنقلب الى الله والى سدرة المنتهى والى جنة المأوى فاقرؤا أنفسكم منى ومن دخل فى دينكم بعدى منى ومن اخواننا السلام * وفيما روت عائشة رضى الله عنها انها قالت بينما رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم على منكبى اذ مال رأسه نحو رأسى وخرجت من فيه نطفة باردة وقعت على نحرى فاقشعر لها جلدى وظننت انه غشى عليه

فسجينه ثوبا واستأذن عمر بن الخطاب والمغيرة بن شعبة فجذبت الحجاب وأذنت لهما
فنظر اليه عمر فقال واغشيتاه ما أشد ما غشي على رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم خرجا فقال المغيرة مات رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر كذبت ما مات
ولا يموت حتى يفني الله عز وجل به المنافقين وأخذ بقائم سيفه وقال لا أسمع أحدا
يقول مات رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ضربته بسيفي هذ ثم جاء أبو بكر رضي
الله عنه فأتاه من قبل رأسه فقبل جبهته ثم قال وانبياه ثم رفع رأسه ثم حدره فقبل
جبهته ثم قال واخليلاه ثم خرج الى المسجد وعمر يكلم الناس فحمد الله أبو بكر وأثنى
عليه ثم قال ان الله عز وجل يقول وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل الى آخر
الآية ثم قال انك ميت وانهم ميتون ثم قال أيها الناس من كان يعبد الله فان الله حي
لا يموت ومن كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات قال عمر رضي الله عنه فكأني والله
لم أقرأ هذه الآيات ثم اعتذر من مقالته الاولى وقال حملني على ذلك اني كنت أقرأ
وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم
شهيدا فوالله ان كنت لأظن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سيبقى في أمته حتى
يشهد عليها بآخر أعمالها فهو الذي دعاني الى ما قلت ثم قال الناس يا صاحب
رسول الله مات رسول الله قال مات قالوا يا صاحب رسول الله من يغسله قال رجال
من أهل بيته الادنى فالادنى قالوا فاين تدفنونه قال في البقعة التي قبض الله فيها
فلم يقبضه الا في أحب البقاع اليه ثم قال أيها الناس ان الله عز وجل أعز محمدا
صلى الله عليه وسلم حتى أقام دين الله وأظهر أمر الله وبلغ الرسالة وجاهد في سبيل
الله وقد ترككم على الطريقة الواضحة والمنهاج القويم فاتقوا الله أيها الناس
واعتصموا بدينكم وتوكلوا على ربكم فان دين الله قائم وكلمته تامة وان الله ناصر لمن
نصر دينه وان كتاب الله بين أظهرنا وهو الشفاء والنور وبه هدى الله نبينا صلى الله
عليه وسلم ان سيوف الله لمسلولة ما وضعناها بعد وانا لمجاهدون من خالفنا كما جاهدهم
نبينا صلى الله عليه وسلم ثم انصرف وكانت وفاته عليه الصلاة والسلام يوم الاثنين
عند الزوال لغرة ربيع الاول ودفن يوم الاربعاء في موضع فراشه وقال مالك
في الموطأ دفن يوم الثلاثاء والله أعلم وغسله علي بن أبي طالب في قميصه وكان العباس
واسامة يناولانه الماء وراء الستر قال علي فما تناولت منه عضوا وأردت قلبه
الا انقاد كأنما يقلبه معي الرجال ثم كفنه في ثلاثة أثواب بيض سحولية ليس فيها

قميص

قميص ولا عمامة ثم وضعه حيث توفي فصلى عليه الناس أفذاذا من غير امام دخل
أبو بكر وعمر ومعهما نفر من المهاجرين والانصار قدر ما يسع البيت ووقفا حيال
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته
فقال الحاضرون مثل ما قالا ثم قالا نشهد أن قد بلغ ما أنزل الله ونصح لامته وجاهد
في سبيل الله حتى أعز الله دينه وتمت كلمته وآمن به وحده لا شريك له اللهم اجعلنا
من الذين يتبعون النور الذي أنزل معه واجمع بيننا وبينه حتى تعرفنا به
وتعرفه بنا فانه كان بالمؤمنين رؤوفا رحيما لا نبتغي بالايمان بدلا ولا نشتري به ثمنا
فيقول الناس آمين فيخرجون ويدخل آخرون حتى صلى الرجال والنساء والصبيان
ونزل معه في قبره صلى الله عليه وسلم العباس وعلي وقثم بن العباس وشقران
ويقال من الانصار أوس بن خولي رضي الله عنهم ● ولما توفي أبو بكر رضي
الله عنه دفن الى جنبه من خلفه قال علي رضي الله عنه سمعت أبا بكر الصديق رضي
الله عنه عند وفاته وقد دعاني وقال لي يا حبيبي يا أبا الحسن قد دنا الاجل وحضرت
الوفاة فاذا انا مت فغسلني وكفني واحملني الى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم
وليتقدم رجل يقول يا رسول الله أبو بكر بالباب فان انفتح بغير مفتاح فأدخلوني
والا فادفنوني بين قبور المسلمين قال علي فلما قبض فعلت ما أمر به ثم حملته وكنت
أول من طرق الباب ثم قلت ما أمر فوالله ثم والله لقد تنفضت الاقفال دون مفتاح
وفي الموطأ ان اسماء بنت عميس زوجته غسلته والله أعلم ثم دفن الى جنبه عليه
الصلاة والسلام كما تقدم ولما حضرت الوفاة عمر قال لابنه عبد الله رضي الله عنهما
ائت عائشة وقل لها ان عمر يقرئك السلام ويقول لك انا قد نهينا ان ندخل
بيوتكن الا باذن أفتأذنين لي ان أدفن في بيتك قال عبد الله فأتيتها وقلت ذلك
فبكت حتى علا بكاؤها ثم قالت نعم فأتيته فأخبرته فقال يا بني اني أرى المرأة أذنت
لي وهي تظن اني أبقى فاذا أنا مت فاغسلني وكفني فاذا حملتني فقدم السرير
ثم قل لها هذا عبد الله عمر يستأذن على الباب فان أذنت فادفني مع صاحبي وان
أبت فاخرجني الى البقيع ففعل ما أمره به فأذنت له فدفن معهما قالت عائشة
رضي الله عنها كنت أدخل البيت الذي فيه القبر فأقول انما هو أبي وزوجي فأضع
خماري الى ان دفن عمر فوالله ما دخلت البيت الا مشدودة علي ثيابي حياء من
عمر رضي الله عنه ● وتقدم لاثنه عن خلو وأتى مثله البيت هذا بيت مليح المعنى

صحيح المبنى وأحسن منه من عمل به ومثله

فلا تجزعن من سيرة أنت سرتها * فأول راض سيرة من يسيرها

وفى القرآن العزيز أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وقد تقدم الحديث فى الرجل الذى يلقى فى النار فتندلق أقتاب بطنه فيدور بها كما يدور الحمار بالرحا فيجتمع اليه أهل النار فيقولون يا فلان مالك ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر فيقول بلى قد كنت آمر بالمعروف ولا آتيه وانهى عن المنكر وآتيه خرجه مسلم ومن أمثال العرب تعظعظ ثم عظ وربما قالوا لا تعظ وتعظعظ أى لا تعظ الناس وعظ نفسك ومثله يا طبيب طب نفسك ومن أمثال العامة عجبا للحجاج يعظ الحسن ومن الشعر فى ذلك

وغير تقى يأمر الناس بالتقى * طبيب يداوى والطبيب مريض

ومثله نصف بيت * ومن العجائب أعمش كحال * ويروى ان الله تعالى أوحى الى عيسى عليه السلام ان عظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس والا فاستحى منى وقبل البيت الاول لا تنه عن خلق الخ

يا أيها الرجل المقوم غيره * هلا لنفسك كان ذا التقويم
ابدأ بنفسك فانهها عن غيها * فاذا انتهت عنه فأنت حكيم
فهناك يقبل ما تقول ويقتدى * بالعلم منك وينفع التعليم
تصف الدواء لذى السقام من الضنا * كيما يصح به وأنت سقيم
وأراك تلقح بالرشاد عقولنا * نصحا وأنت من الرشاد عديم
لا تنه عن خلق وتأتى مثله * عار عليك اذا فعلت عظيم
واذا عتبت على السفيه ولمته * فى كل ما يأتى فأنت مليم

وتقدم أوى بمعنى رق يقال أويت لفلان أشفقت عليه ورأيت حكاية فيها هذه اللفظة فسقتها من أجلها ولما فى ضمنها من العظة * روى انه كان فى بنى اسرائيل ملك يفتن الناس على أكل لحوم الخنازير فأتى بامرأة من بنى اسرائيل يقال لها سارة وسبعة بنين لها فدعا أكبرهم فقرب اليه لحم الخنزير فقال كل فقال ما كنت لآكل شيئا حرمه الله على ابدا فأمر به فقطع يديه ورجليه ثم قطعه عضوا عضوا حتى قتله ثم دعا الذى يليه فقال له كل فقال ما كنت لآكل شيئا حرمه الله على أبدا فأمر بقدر من نحاس فلئت زيتا ثم أغليت حتى اذا غلت ألقاه فيها حتى قتله ثم دعا

الذى يليه فقال كل فقال انت أذل وأقل وأهون على الله من أن آكل شيئا حرمه الله على أبدا فضحك الملك وقال أتعلمون ما أراد بشتمه اياى أراد أن يغضبنى فأعجل فى قتله وليخطئنه ذلك فأمر به فحز جلد عنقه ثم أمر به أن يسلخ جلد رأسه ووجهه فسلخوه حيا ولم يزل يقتل كل واحد منهم بلون غير قتل أخيه حتى بقى أصغرهم فالتفت اليه والى أمه فقال لها الملك لقد أويت لك مما رأيت فانطلقى بابنك فاحملى به وأريدى على ان يأكل لقمة واحدة فيعيش لك قالت نعم فخلت به فقالت يابنى اعلم انه كان لى على كل رجل من اخوانك حق ولى عليك حقان وذلك انى أرضعت كل رجل منهم حولين فمات أبوك وأنت حمل فنفست بك فأرضعتك لضعفك ورحمتى اياك أربعة أحوال فلى عليك حقان فأسألك بالله وحقى عليك الا ما صبرت ولم تأكل شيئا مما حرم الله عليك فلا ألقى اخوتك يوم القيامة ولست فيهم فقال الحمد لله الذى أسمعنى هذا منك فانما كنت أخاف أن تريدينى على أكل ما حرم الله على ثم جاءت به الى الملك فقالت هذا قد أردته وعرضت عليه فأمره الملك أن يأكل فقال ما كنت لآكل شيئا حرمه الله على فقتله وألحقه باخوته ثم قال لأمهم ويلك مما رأيت اليوم ويحك فكلى لقمة واحدة ثم أمتع بك ما شئت وأعطيك ما أحببت تعيشين به فقالت جمعت ثكلا من ولدى ومعصية من ربى فلو حييت بعدهم ما أردت ذلك وما كنت لآكل ما حرم الله على أبدا فقتلها وألحقها ببنيها * قلت هذا كان فى بنى اسرائيل دينا يدينونه فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم جاءنا بالرخصة وأجاز للرجل عند الاكراه ان يعصى بلسانه ويؤمن بقلبه كما قال تعالى الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان وقال ابن مسعود رضى الله عنه سلوا الله العافية فلستم بأصحاب بلاء ان كان الرجل ممن قبلكم يوضع المنشار على رأسه بالكلمة يقولها فلا يقولها فيشق بين اثنين * وعن الحسن قال أخذ مسيلمة رجلين من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فقال لاحدهما أتشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله قال نعم قال فتشهد انى رسول الله قال انى أصم فقتله وقال للآخر أتشهد أن محمدا رسول الله قال نعم قال فتشهد أنى رسول الله قال نعم فخلاه فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أما الاول فأخذ بالفضل فهنيئا له وأما الآخر فأخذ بالرخصة فلا تباعة عليه وقال ابن مسعود ما كلام أتكلم به يدرأ عنى سوطا أو سوطين الا تكلمت به وعن الحسن كل شئ أعطى الرجل بلسانه اذا خاف على نفسه الشرك فما دونه من

طلاق أو إعتاق أو غيره فليس عليه فيه شيء بعد أن يخاف على نفسه

وذا فصل الفوائد قد تقضى * وآخذ بعد في ألف ولام
فأنظم منهما بيتا ومن بعد أشرحه بميسور الكلام

﴿باب اللام ألف﴾

ولاء ولاء ولاء ولاء * ولاو لأو لآل لأل

أما ولاء فالواو فيه أصلية ومنه حديث النبي صلى الله عليه وسلم إنما الولاء لمن أعتق وقال الولاء لحمة كلحمة النسب ويجب به الميراث ونهى عليه الصلاة والسلام عن بيع الولاء وعن هبته وأصله من القرابة لأنه من ولي أي قرب والولي منه ومنه قوله تعالى الله ولي الذين آمنوا قال الحسن ولي هداهم وتوفيقهم وسيأتي ذكر الولي والمولى بعد هذا إن شاء الله تعالى والولاء يكتب في عقود العتق يقال بعد ذكر العتق فلا سبيل لأحد عليه إلا سبيل الولاء ومن أحسن ما رأيت في عقد عتق أمر بكتبه أعرابي فقال للكاتب اكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب كتب عن محمد الثعلبي لغلامه ميمون إنك كنت عبد الله فوهبك لي وقد وهبتك لواهبك والجواز على الصراط وقد كنت أمس لي وأنت اليوم مثلي لا سبيل لي عليك إلا سبيل الولاء * ورأيت مثله لأعرابي آخر أمر الكاتب فقال اكتب ولا تعد ما أملي عليك هذا كتاب من عبد الله بن عقيل لأمته ؤؤة إني قد أعتقتك لوجه الله الكريم ولاقتحام العقبة ولا سبيل لي عليك ولا لأحد إلا سبيل الولاء والمنة علي وعليك من الله واحدة ونحن في الحق سواء ولما أخبر بذلك الرشيد أمر أن يعتق عنه ألف عبد ويكتب لهم مثل هذا الإنشاء * والولاء الموالون يقال هم ولاء فلان قال الشاعر * رعموا أن كل من صرف العير موال لنا وإنا الولاء * وأما ولاء الثاني فالواو للعطف ولاء جمع لأى وهو الثور وتصغيره لؤى قاله ابن الأنباري وبه سمي الرجل بالهمز ومن قال لوى فعلى تسهيل الهمزة فإن نسبت إلى لؤي قلت لؤوي ومنه الحديث الذي رويناه أن عائشة قالت نظر عمر ابن الخطاب رضي الله عنه إلى سهيل بن عمرو اللؤوي فقال هذا رجل يفر من السودد وتأبى إلا أن تلزمه ذكره ثابت رحمه الله مستشهدا به على أن السودد يؤنث وهو جائز ويذكر أيضا قال الشاعر * هل المجد إلا السودد العود والندى * ورأب الثأى والصبر عند المواطن * وفسر السودد العود فقال يعني به السودد القديم يريد تعظيمه

ثم قال والعود الجمل المسن وقد تقدم هذا مع البيت قبله في باب تاب في أول الكتاب (رجع) وقال أبو حنيفة اللأى هي البقرة وقال سمعت أعرابيا يقول بكم لأيك هذه وقال ابن قتيبة إن اللأى يجمع على ألآء وزن العاع وجاء في الحديث من قول أبي هريرة رضي الله عنه أحب إلي من شاء ولاء فجاء في كلامهم لاء على مثال باقر وجامل وآبل لذي الإبل وأما ولاء بكسر الواو وهي أصلية فمعناه تباع أي يلي ويتبع بعضها بعضا تقول من هذا واليت بين الشيئين أوالي ولاء أي تابعت وافعل هذه الأشياء على الولاء أي التتابع وجاء منه في الحديث عن عائشة رضي الله عنها قالت ما شبع آل محمد صلى الله عليه وسلم من خبز ثلاث ليال ولاء حتى قبضه الله إليه فلما قبضه الله إليه صب علينا الدنيا صبا وأما ولا فالواو للعطف بقي لا الحرف الذي للنفي وقد تقدم الكلام عليه في باب مقلوب الي وانه وانه وأما ولاو فالواو للعطف ولاو اسم فاعل من لوى الحبل يلويه ليا إذا عطفه وحرفه وكذلك الخبر والكلام قال الشاعر

وسائل عن خبري لويت * فقلت لا أدري وقد دريت

وقد تقدم وفي القرآن العزيز لووا رؤسهم وإن تلووا أي تحرفوا ومعنى يلوون ألسنتهم يحرفونها وأصلها من اللي وهو الفتل ومنه المطل ومنه وإن تلووا في أحد القولين فمن قرأ تلوا جاز أن يكون منه ويكون أصله تلووا بواوين قلبت الأولى همزة لانضمامها وألقيت حركة الهمزة على اللام وحذفت الهمزة وجاز أن يكون من الولاية أي تلوا أمور الناس أو تعرضوا أي تتركوا ويقال لويت الدين ليانا وقد يقال في هذا أيضا ليا وفي مثل لي كنعاس الكلب أي مطل دائم وجاء في الحديث لي الواجد يحل عقوبته وعرضه فقوله لي معناه مطل وهذا الخبر يفسر قوله في الحديث الآخر مطل الغني ظلم إن الإنسان إذا وجد فهو غني فإن مطل فهو ظالم تحل عقوبته أي حبسه إن امتنع من الأداء وعرضه أن يقول صاحب الحق فلان يمطلني ويسوفني وما أشبه ذلك مما لا يوقعه في محظور وأما الممطول الغني فخرج من أن يقال فيه تحل عقوبته وعرضه كما تأوله بعضهم إن الغني يكون الممطول يريد زعم أن الإنسان إذا مطل غنيا فقد ظلم فكيف إذا مطل فقيرا وهذا حق وحسن لأن المطل لا يحل إلا من ضرورة سواء كان صاحب الحق غنيا أو فقيرا لولا أن الحديث يرده قال كيف وقد جاء نصا لي الواجد ظلم وفي المطل لغات منها

اللي وقد تقدم والمعك تقول مطلني ولواني ومعكني وكذلك دالكني مدالكة وفي الحديث من هذا قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم هل يدالك الرجل امرأته قال نعم اذا كان ملفجا يعني معدما ويدالك يماطل وفي الحديث المطل ظلم الغني وعامة الخلف في الدين وأكذب الناس الصنع نعم وسوف معناه والله أعلم ان الصانع يقول نعم وسوف ولا خشية ولا خوف ويعد ويخالف ويكذب ويحلف ومنه حديث حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنه وقيل له ان الدجال قد خرج فقال كذبة صناع ان الدجال لو خرج لقتله الصبيان بالخزف ولكنه يخرج في خفقة من الدين واختلاف من الناس قوله في الحديث الصنع قال أبو زيد يقال رجل صنع اليد من قوم صنع الايدي ومن العرب من يقول رجل صنع اليدين بكسر الصاد من قوم صنع الايدي وامرأة صناع اليد في نسوة صنع الايدي وفي الحديث ان زينب بنت جحش كانت امرأة صنعاء رضي الله عنها وضده هذا الاخرق الذي لا يحسن العمل ومنه الحديث يعين الصانع ويصنع للاخرق يقال من هذا امرأة خرقاء ومنه المثل خرقاء وجدت صوفا وقال رجل لاعرابي أما تستحيي ان تكون أمك نساجة قال انما كنت أستحيي ان تكون خرقاء لا تنفع أهلها والصنيع المصنوع يقال فرس صنيع للذي قد صنعه أهله بحسن القيام عليه وفي حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه لو ان لابن آدم واديين من مال ثم مر بسبعة أسهم صنع كلفته نفسه ان ينزل فيأخذها فقال رجل فابتعه فقال سعد اني لاخشى ان ... خرجه ثابت وقيل الصنع هي التي قد أجيد صنعها (رجع) وأنشد ابن الاعرابي شاهدا على قوله لويت غريمي ألويه ليا وليانا

تطيلين لياني وأنت ملية * وأحسن يا ذات الوشاح التقاضيا

قال والياء في ليا واو قلبت ياء وكذلك قال الزبيدي وأنكر على من قال لويا وقال هذا محال ولا بد من الادغام ولي من قطعة لزومية كتبت بها الى القاضي أبي فلان بعد كلام

أشكو اليك بني فلان انهم * مطل وفي مطلي ذوو تلوين
هب انهم يلوونني ويماطلو * ن فأنت يورك فيك لم تلويني

انظرها بكمالها في التكميل ومن الليان قولهم في المثل الاخذ سلجان والقضاء ليان أي ان الاخذ سهل يسوغ في الحلق بسرعة والقضاء مطل ومنه قيل للسيف سلجان اذا كان ماضيا يقطع بسهولة ومثل المثل الاول الاخذ سريط والقضاء

ضريط سريط من سرطت اذا بلعت وضريط مفهوم وتقول لوى فلان رأسه الى كذا ولوى عنقه اليه ومن أحسن ما أحفظه من الشعر في هذا المعنى ما أنشدنيه الفقيه أبو محمد عبد الحق ببجاية لنفسه رحمه الله

ولا تلو نحو الجزع رأسا فانه * بامثالك ما يلوى اليه معوّد

من قطعة أوّلها

تملت من الدنيا ولم تصح عن هوى * وغرك أن قالوا فلان مسوّد
وحلت بك البلوى ولم ترعاندا * ولو قلت وارأساه عادك عوّد

وفي آخرها يقول

فهالصباح الشيب لاح وانما * برأسك منه للمنية مقود
فشمر ذيول الغي واناعن الهوى * لعلك تسمو عندها وتسوّد

ولا تلو البيت وتقول لويت عن الامر والتويت عنه وألويت بالشئ ذهبت به ومنه يقال ألوى بهم الدهر اذا ذهب بهم ولويت الحبل لية واحدة وقرون لي أي ملتوية واللوية ما أخرت المرأة مما يؤكل وهي تلوى ليا وألوى الرجل بثوبه الواء رفع به يديه ويقال في مثله لوح به تلويحا ولمع به لمعا وأخفق به اخفاقا كله واحد وفي الحديث من هذا الجعلات تلمع الينا وخرج ثابت رحمه الله الالفاظ المتقدمة وحدث بسنده عن حارثة قال حلم حالم بالكوفة انه من صلى في مسجد الكوفة غفر له فاجتمع الناس في المسجد فأتى عبد الله فخرج فزعا حتى أتى المسجد فوقف بباب المسجد فجعل يلوي ويلمع بثوبه ويقول اخرجوا لا تعذبوا فانما هي نفخة من الشيطان انه لا نبي بعد نبيكم ولا كتاب بعد كتابكم قال ثابت ويقال في غير هذا ألوى القوم اذا بلغوا ألوى الرمل وقد ألوى البقل فهو ملو اذا صار لويا وهو الذي بعضه فيه نداوة وبعضه يابس ومن معنى حديث عبد الله هذا ما روي عن عمر رضي الله عنه انه رأى ناسا ينثالون فقال ما بالهم قيل مكان صلى فيه نبي فقال انما هلك من كان قبلكم حين اتبعوا آثار أنبيائهم وتركوا أمر دينهم اينما أدركتكم الصلاة فصلوا فان الارض كلها مسجد خرجه ثابت أيضا وقال انثال عليه جماعة من الناس وانكالوا وانهالوا وانقضوا اذا أتوه وتتابعوا عليه وتهافتوا ومن معنى الاتباع وترك الابتداع ما كان مالك رضي الله عنه ينشد كثيرا

وخير أمور الدين ما كان سنة * وشر الامور المحدثات البدائع

وكان أيضا يقول عليك من الامر بما كان ضاحيا بينا يقال قد ضحا لك الطريق فضحوا وضحوا اذا بدا لك ويقال ضحى يضحى كما فى القرآن وقد رأى ابن عمر رجلا فى الحج قد جعل ظلالا على محمله فقال اضح لمن أحرمت له يعنى ابرز الى الضحى وقال الرياشى رأيت البهلول فى يوم شديد الحر ضاحيا فقلت له يا أبا الفضل هلا استظللت فان ذلك توسعة للاختلاف فيه فانشد

ضحيت له كى استظل بظله * اذا الظل أضحى فى القيامة قالصا
فوا أسفا ان كان سعيك باطلا * و ياحسرتا ان كان حجك ناقصا

ولى فى هذا المعنى آمر بالاتباع وانهى عن الابتداع وهو فى معنى قول مالك فلا يم لكن هالك

عليك من امر الدين ما كان واضحا * ودع مشكلات الامر عنك بمعزل
وأهل التقى والفضل كن تابعا لهم * وان رحلوا فارحل وان نزلوا انزل
وحافظ على الامر القديم و وله * عليك وعنك المحدث البدع فاعزل

وقلت أيضا

عليك من الطرق المجمعة نجوة * وخل ثنيات الطريق المخادعا
وحيث مضى الجم الغفير امض يافتى * ولاتلفين فذا من القوم خادعا
وخذ من أمور الدين ما تستطيعه * وسر فيه سيرا ساكن الجاش وادعا
فان لم تكن تقوى على الخير فلتكن * عن الشر يا هذا النفس قارعا
وهذى وصاتى ان قبلت تكن بها * لأنف عدو الله ابليس جادعا

و يقال رجل ألوى للمنفرد وامرأة ليا والالوى الشديد الخصومة ومنه * ألا رب خصم فيه ألوى رددته * واللواء ممدود لواء الامير وجمعه ألوية ومنه * بسقط اللوا بين الدخول فحومل * وألوى بالتنوين مصدر قولهم ماألوت ان أفعل ذلك ألوى أى ما تركت ان أفعل ذلك وقد تقدم ألوت وما جاء منه فى الحديث فى باب الا والحمد لله ولاوى اسم رجل وكذلك لوى واللأى البطء قال * فلأيا عرفت الدار بعد توهم * وقال فلأيا بلأى ما حملنا وليدنا * وما فى قوله ما حملنا زائدة وبذلك يفهم معناه وقال البكرى لأى موضع ببلاد بنى مزينة وقال أوس بن حجر * تأبد لأى منهم فعتائده * وقد تقدم فى أول الكتاب قولهم فلان لا يعرف الحى من اللى وفسر والحمد لله * ومما يقرب من اللى الليا وهو حب يشبه الحمص شديد البياض يكون

بالحجاز

بالحجاز يؤكل عن أبى عبيدة وفى الحديث دخل عليه معاوية وهو يأكل لياء مقشى يعنى مقشرا فاذا وصفت المرأة بالبياض قيل كأنها لياة والليا مقصورا الارض البعيدة من الماء وأما لآو فهو اسم فاعل من أوى يأوى فهو آو واذا انضم أواذا أشفق ورق كما تقدم وأما معكوس هذه الالفاظ اعنى ولا ولا فهو لا وولا وومعكوس هاتين اللفظتين وال وسيذكر ان شاء الله تعالى * بقى من معنى هذا البيت ولى وولى يعنى وال ومولى أما ولى فعل تقول ولى يلى ولاية بالكسر وهى الامارة وجاءت على وزنها ولاية بالفتح على وزن صداقة وكرامة وهى معناها وفى القرآن العزيز هنالك الولاية لله الحق قرئت بالفتح والكسر ذكرها المهدوى ولم يفرق بينهما وكذلك قرئ الحق والحق روى عصمة عن أبى عمرو الحق أى فى ذلك الموطن الولاية لله الحق وحده لا يملكها سواه فحينئذ يؤمنون بالله وحده و يتبرؤن مما سواه ويجرون الحق على انه صفة لله عز وجل والمعنى لله ذى الحق كما قال ثم ردوا الى الله مولاهم الحق ومن رفع الحق جعله نعتا للولاية ومعنى وصفها بالحق انها لا يشوبها غيره ولا يخاف فيها ما يخاف فى سائر الولايات من غير الحق ومن نصب الحق فعلى اضمار أعنى ومن جعل العامل فى هنالك قوله منتصرا أجاز الوقف على هنالك وابتدأ الولاية لله الحق على الابتداء والخبر فى المجرور وقولهم فلان ولى مال اليتيم هو من هذا وولى هذا أى تبعه وقرب منه ومنه قولهم غدا و بعد غد والذى يليه وقال تعالى قاتلوا الذين يلونكم من الكفار ومنه ولاية البيت الحرام والولاية بالفتح أيضا مصدر المولى والمولى الولى ومصدره الولاء المتقدم الذكر والمولى الناصر فى قوله فاعلموا ان الله مولاكم أى ناصركم و وليكم والمولى قال ابن عرفة على ثمانية أوجه المعتق والمعتق والولى والاولى بالشئ وابن العم والصهر والجار والحليف وقال المهدوى فى قوله تعالى وانى خفت الموالى من ورائى يعنى العصبة عن مجاهد والسدى وغيرهما وقال أبو عبيدة يعنى به العم وفى رواية يعنى بنى العم وقيل انما خاف ان تنقطع النبوة من نسله وتصير فى عصبته فى غير ولد يعقوب وزكرياء من ولد يعقوب فدعا زكرياء ربه تعالى ان يهب له ولدا يرث العلم والحكمة والنبوة لان ذلك اذا صار الى ولده لحقه من الفضل أكثر مما يلحقه اذا صار الى ولد غيره كما قال النبى عليه الصلاة والسلام اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث علم يورثه أو ولد صالح يدعو له أو أصل يحبسه وفى رواية أخرى أو صدقة جارية عليه والمعنى سواء وفى حديث آخر ان الرجل ليرفع له بدعاء ولده من بعده فدعا زكرياء عليه السلام ربه تعالى ان يكون الذى يرث علمه بعده

الذى يخرج من صلبه فيكون تقدير الآية على هذا وانى خفت الموالى ان يصير اليهم العلم والحكمة من بعد موتى ولأن يصير ذلك فى ولدى أحب الىّ وأفضل وتقدم من قرأ وانى خفت الموالى من ورائى فكان المعنى قلة الموالى من ورائى أى من بعدى وقل من يقوم بالدين فسأل وليا يقوم به ولم يرد يرث مالى وانما أراد يرث علمى وحكمتى ونبوّتى لان النبى صلى الله عليه وسلم قال انا معاشر الانبياء لانورث ما تركناه صدقة وقال أبو على القسرى فى قوله تعالى وانى خفت الموالى من ورائى ان الخوف لا يكون من الاعيان فى الحقيقة وانما يكون مما يؤول منها اما اذا قال القائل خفت الله عز وجل وخفت الموالى وخفت الناس فالمعنى فى ذلك خفت عقاب الله وخفت عقوبة الموالى وخفت شماتة الناس وكذلك خفت الموالى من ورائى أى خفت تضييع بنى عمى بحذف المضاف والمعنى تضييعهم الدين والمراد هم له فسأل ربه عز وجل وليا يرث نبوته وعلمه لئلا يضيع الدين كما تقدم ولا يجوز أن يظن بنبى الله ان يقول انى أخاف ان يرثنى بنو عمى وعصبتى ما فرض الله لهم من المال اذ لو كان ذلك جائزا فى أموال الانبياء أعنى الميراث فكيف ولا يورثون الا فى الحكمة كما قال تعالى وورث سليمان داود يعنى نبوته وحكمته وانما حمل زكريا عليه السلام على قوله ذلك لما خشى من تبديل الدين والمراد هم له وقتل الانبياء عليهم السلام (رجع) ومن المولى الذى هو الولى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فى على رضى الله عنه من كنت مولاه فعلى مولاه أى من أحبنى وتولانى فليتوله ومن المولى الذى هو الولى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم أيما امرأة نكحت بغير اذن مولاها فنكاحها باطل أى بغير اذن ولى ومن المولى قوله عليه الصلاة والسلام اللهم انى أسألك غناى وغنا مولاى قال أبو عبيد كل ولى للانسان فهو مولاه مثل الأب والأخ وابن الأخ والعم وابن العم وسائر العصبة ومن المولى الذى هو الاولى قوله تعالى مأواكم النار هى مولاكم وبئس المصير أى هى أولى بكم ومن المولى الذى هو الناصر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه يوم أحد اذ قال أبو سفيان بن حرب ان لنا العزى ولا عزى لكم فقال عليه الصلاة والسلام قولوا الله مولانا ولا مولى لكم أى ناصرنا وقال تعالى ذلك بان الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم أى لا ولى لهم وقال تعالى يوم لا يغنى مولى عن مولى شيئا أى ولى عن وليه شيئا اما بالقرابة واما بالتولى لانه يكون بهذا

وبهذا كما قال الشاعر

موالى حلف لا موالى قرابة * ولكن قطينا يسألون الاتاويا

والنسبة الى المولى مولوى ولى من قطعة طويلة منها

وارض بالرحمن مولى * فعسى يرضاك عبدا

لعلك تقول أليس الكل عبيد الله أليس قد قال الله تعالى ان كل من فى السموات والارض الا آتى الرحمن عبدا فاذا قلت هذا قيل لك اقرأ وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما والذين كذا والذين كذا الى آخر أوصافهم فهؤلاء الذين مدحهم الله وهم أهل محبته من عباده كما يقول الانسان لمن يحب من ولده انت ولدى حقا وهؤلاء هم الذين يتولاهم الله ورسوله كما قال تعالى الله ولى الذين آمنوا وقال ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقال تعالى ان وليى الله الذى نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين أمر الله تعالى نبيه عليه الصلاة والسلام ان يقول هذا الكلام أى قل يا محمد ان وليى الله فلا أخاف غيره بعد ان قال له قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون أى اجهدوا جهدكم علىّ ولا تؤخرون ان وليى الله الذى نزل الكتاب وقرئ هذا الحرف ان ولى الله بياء واحدة مفتوحة وقرئ أيضا ان ولى الله بياء واحدة مكسورة على حذف الياء التى هى لام الفعل وادغام الياء التى قبلها فى ياء الاضافة ولا يصح ادغام التى هى لام الفعل لانها قد أدغمت فيها ياء فعيل قاله المهدوى رحمه الله وقرئ أيضا ان ولى الله بالاضافة يعنى به جبريل عليه السلام وخبر ان قوله الذى نزل الكتاب ومن أسماء الله تعالى الولى ويقال للمتقى من عباده الولى كما قال تعالى ان أولياؤه الا المتقون والتقوى اسم يجمع أفعال البر كلها وقد تقدم ذلك جعلنا الله منهم بكرمه واذكرنى الولى بيتا كان عندى مينا أنشدنيه الفقيه الخطيب أبو محمد عبد الوهاب رضى الله عنه ذات يوم ونحن فى المسجد الجامع بمالقة حرسها الله تعالى يوم جمعة وقد رأى كثرة الناس فقال

كم بالمدينة من ولى * غفر الاله له ولى

ثم قال لى أجزه فقلت

أكرم به لوانه * يعطى الولاية ما ولى

فقال لى سبحان الله وفوق كل ذى علم عليم ما ظننت ان ثم غيره ثم زدت بيتا آخر وهو

يقفوا العبادة كلما * يقفو لوسمى ولى

ومعنى فقفو يتبع كما تقدم والوسمى من اسماء المطر سمى بذلك لانه يسم الارض بالنبات والولى المطر الذى يتبع الوسمى تقول منه وليت الارض وليا والولى البعد والولى أيضا القرب قاله أبو عبيد والاصمعى فى الغريب ويقال فى الولى الذى هو المطر ولى بالتسكين فعل وفعيل وجمعه أولية والنسبة اليه ولوى كما قالوا علوى لانهم كرهوا الجمع بين أربع ياآت فحذفوا الاولى وقلبوا الثانية واوا وقالوا يتيم مولى عليه بفتح الميم وكسر اللام وتشديد الياء لا غير والولية تأنيث الولى والولية أيضا الحلس كذا قال صاحب العين والذى رأيت ان الولية شبه البرذعة والحوية وجمعها ولايا وأنشد

كالبلايا رؤسها فى الولايا * مانحات الخدود حر السموم

والبلايا جمع بلية وهى الناقة التى كان أهل الجاهلية يعقونها عند قبر صاحبها اذا مات * بقى مقلوب ولى ويل عافانا الله منه قال الاصمعى ويل تقبيح وفى الحديث ويل للمالك من المملوك وويل للمملوك من المالك وويل للغنى من الفقير وويل للفقير من الغنى وويل للشديد من الضعيف وويل للضعيف من الشديد وفى القرآن العزيز ولكم الويل مما تصفون وقال تعالى ويل للمطففين وويل لكل همزة فويل لهم مما كتبت أيديهم وغير ذلك قال أهل التفسير عن ابن عباس رضى الله عنهما الويل العذاب وعنه انه واد فى جهنم وروى نحوه عن النبى صلى الله عليه وسلم وقال النبى عليه الصلاة والسلام ان العرافة حق ولا بد للناس من العرافة ولكن العرفاء فى النار ان فى جهنم بحرا يقال له الويل يصعد فيه العرفاء وينزلون فيه وفى الحديث أيضا ان فى جهنم واديا يقال له جب الحزن تتعوذ منه جهنم كل يوم مائة مرة يسكنه القراء المراؤن بأعمالهم وعن عثمان رضى الله عنه انه جبل فى النار وعن ابن عباس أيضا هو ما يسيل من صديد أهل النار وعن الاصمعى القبح وعن عطاء بن يسار الويل واد فى جهنم لو سيرت فيه الجبال لانماعت خرجه ثابت رحمه الله وقال يقال انماع واماع أدغمت النون فى الميم وساق حديث النبى صلى الله عليه وسلم لا يكيد أهل المدينة أحد بسوء الا انماع كما ينماع الملح فى الماء واصل الويل الهلاك يقال لكل من وقع فى هلكة ويل له قاله المهدوى وقال صاحب العين الويلة الفضيحة وويلت فلانا أكثرت له من ذكر الويل ويقال له الويل ويلا وائلا ويقال جمع الويل ويلات وأنشدنى الفقيه أبو محمد عبد الحق لنفسه

ببجاية

ببجاية حماها الله تعالى

لو الويلات من ذنب حديث * وآخر فى صحيفته قديم
تمادى فى الغواية واستمرت * مريرته على الحنث العظيم
ومن بعض الاله فما له من * صديق فى الوجود ولا حميم
فلا نبأس له فلعل رحمى * ستدركه من الملك الرحيم
فتلقاه كما لقيت أباه * وقد قذفت به رجلا هموم
وانى فيه منتظر رجائى * بذا الغفار جوت سوى الكريم

وقد تأتى ويل بمعنى التحسر والتفجع قال الله تعالى حكاية عن ابن آدم الذى قتل أخاه يا ويلتى أعجزت ان أكون مثل هذا الغراب قال الاصمعى الويل قبوح والويح ترحم وويس تصغيرهما أى دونهما وقال غيره مثله وزاد ويقال ويحا وقال سيبويه ويح زجر لمن أشرف على الهلكة وويل لمن وقع فى الهلكة وقال ابن عرفة فى قوله تعالى فويل لهم الويل الحزن يقال تويل الرجل اذا دعا بالحزن وأنشد

تويل ان مددت يدى اليه * وكانت لا تعلل بالقليل

وقالوا فى قوله تعالى يا ويلنا كل من وقع فى هلكة دعا بالويل فهذا تحسر وكذلك قولهم يا عجبا أى يا أيها العجب هذا وقتك وفى الحديث ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لعمار ويح ابن سمية تقتله الفئة الباغية علم صلى الله عليه وسلم ما ينزل به من القتل فتوجع له وقد كثرت هذه اللفظة فى كلامهم وجرت على ألسنتهم فيقولون ويحه وويل أمه بألف وويلمه بغير ألف ولا يريدون به وقوع الامر ولا الدعاء بما عليه كما يقولون قاتله الله ما أشعره وهذا أقرب الى المدح منه الى الذم ألم تسمع قول الشاعر

فهو لا تنمى رميته * ماله لا عد من نفره

وكذلك يقولون لا أب لك ولا أم لك يريدون لله درك ومثله قول الشاعر

هوت أمه ما يبعث الصبح غاديا * وماذا يؤدى الليل حين يؤوب

ظاهره أهلكه الله وباطنه لله دره وقريب من هذا المعنى فى رسالة البديع فأتى فيها بالغريب البديع قال رحمه الله وقد يوحش اللفظ وكله ود ويكره الشئ وليس منه بد هذه العرب تقول لا أب لك للامر اذا اهم وويل لأمه ولا يريدون الذم وقاتله الله اذا تم ولالباب فى هذا الباب ان ينظروا الى القول وقائله فان كان وليا فهو الولاء وان خشن وان كان عدوا فهو البلاء وان حسن * قلت وهذا الكلام منه رحمه الله

حسن قطاب وهو فصل الخطاب وقد قالوا فى هذا المعنى واليه يرجع ضرب الحبيب لا يوجع وقال الشاعر وهو من أحسن ما قيل فى هذا المعنى وبه يستشهد من به يعنى

فعين الرضى عن كل عيب كليلة * ولكن عين السخط تبدى المساويا

وعندى ان أحسن منه قول الآخر

ويقبح من سواك الفعل عندى * وتفعله فيحسن ذاك منكا

﴿فصل﴾ ومما يشبه ما تقدم فى كثرة الاستعمال قولهم لا أب لك تستعمله العرب عند الحث على الطلب فتقول للامير وللخليفة انظر فى أمور رعيتك لا أبا لك وقد كثر عندهم استعماله حتى قال أحد جفاتهم

رب السماء مالنا ومالكا * قد كنت تسقينا فما بدا لكا

أنزل علينا الغيث لا أبا لكا

وهذا العربى لم يقصد السب وانما جرى على عادة آبائه وما أحسن العلم والعلماء يروى ان سليمان بن عبد الملك سمع اعرابيا ينشد هذا الشعر فقال صدق أشهد انه لا أب له ولا أم ولا صاحبة انظر ما أحسن هذا الجواب كيف رد الاعرابى من الخطأ الى الصواب وقد كره بعض العلماء ان يقول الرجل لا أم لك ولا أبا لك حتى كره ان يقول لا أب لشانيك وهذا القول يروى عن ابى البخترى انه كرهه مخرجه ثابت رحمه الله وقال هو كناية عن قولهم لا أب لك قال والشانى هو المبغض وفى القرآن العزيز ان شانئك هو الابتر قيل هو القليل الخير قال يعقوب الابتران العبد والعير سميا بذلك لقلة خيرهما واللام فى لا أبا لك مقحمة لا يعتد بها لان أصله لا أباك قال الشاعر

أبالموت الذى لا بد انى * ملاق لا أباك تخوفينى

وأغرب من هذا وأعز ما قال الآخر لبعض قومه

ابنى عقيل لا أبا لأبيكم * انى وان بنى كلاب أكرم

وقد أسقطوا النون عند اللام ولا تسقط الا عندها قالوا لا عبدى لك ولا كمى لك لان اللام زائدة كالمقحمة لا يعتد بها فكانه قال لا عبديك ولا كميك والله أعلم

﴿فصل﴾ ومما يشبه ما تقدم أيضا قولهم تربت يداك وجاء من ذلك فى الحديث قوله عليه الصلاة والسلام لأم سلمة رضى الله عنها تربت يداك ولعائشة رضى الله عنها تربت يمينك قال المازرى تأوله مالك رضى الله عنه على انه دعاء لهما بالاستغناء لما يبعد فى نفسه ان يدعو عليهما بالفقر وتربت بمعنى استغنت ذكره عيسى بن دينار وقال غيره انما معناه افتقرت من العلم فى هذه المسألة لانه يقال ترب

الرجل

الرجل اذا افتقر واترب اذا استغنى قال ابن عرفة أراد تربت يداك ان لم تفعل ما أمرتك قال ابن الانبارى معناه لله درك اذا استعملت ما أمرتك واتعظت بعظنى قال الهروى وذهب الى انه لم يقصد بهذه الالفاظ الذم قوله عليه الصلاة والسلام فى حديث خزيمة أنعم صباحا تربت يداك يدل على انه ليس بدعاء عليه بل هو دعاء له وترغيب فى استعمال ما تقدمت الوصاة به الا تراه قال أنعم صباحا ثم أعقبها بتربت يداك والعرب تقول لا أب لك ولا أم لك يريدون لله درك وأنشد البيت المتقدم

﴿فصل﴾ ومما يشبه مما تقدم قول سلمة بن الاكوع رضى الله عنه * فاغفر فداء لك ما اقتفينا * قال المازرى وقع فى بعض النسخ * فاغفر لنا فداك ما اقتفينا * وهذه الرواية سالمة من الاعتراض وأما فداء لك فانه لا يقال للبارى سبحانه فديتك ولا أفدى البارى لان ذلك انما يستعمل عند مكروه يتوقع حلوله ببعض الاشخاص فيحب شخصا آخر ان يحل به ويفديه منه ولعل هذا وقع عن غير قصد كما يقال قاتله الله وكما قال صلى الله عليه وسلم تربت يمينك وويل امه مسعر حرب أو يكون فيه ضرب من الاستعارة لان الفادى لغيره قد بالغ فى رضى المفدى حين بذل نفسه فى محابه فكان المراد فى هذا الشعر انى أبذل نفسى فى رضاك والله أعلم والى هذا المعنى ذهب الاستاذ أبو القاسم السهيلى رحمه الله قال فى هذه المسألة قوله فاغفر فداء لك قبل ان الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم أى اغفر لنا تقصيرنا فى حقك وطاعتك اذ لا يتصور ان يقال لله تعالى مثل هذا الكلام وذلك ان معنى قولهم فداء لك أى فداء لك أنفسنا وأهلونا وحذف الاسم المبتدأ لكثرة دوره فى الكلام مع العلم به وانما يفدى الانسان بنفسه من يجوز عليه الفناء وأقرب ما قيل فيه من الاقوال الى الصواب انها كلمة يترحم بها عن محبة وتعظيم فجاز ان يخاطب بها من لا يجوز فى حقه الفداء قصد الاظهار المحبة والتعظيم له وان كان أصل الكلمة ما ذكرنا فرب كلمة ترك أصلها واستعملت كالمثل فى غير ما وضعت له أولا كما جاؤا بلفظ القسم فى غير موضع القسم اذا أرادوا تعجبا واستعظاما الأمر كقوله صلى الله عليه وسلم فى حديث الاعرابى من رواية اسماعيل بن جعفر أفلح وأبيه ان صدق ومحال ان يقصد عليه الصلاة والسلام القسم بغير الله تعالى لا سيما برجل مات على الكفر وانما هو تعجب من قول الاعرابى والمتعجب منه مستعظم ولفظ القسم فى أصل وضعه لما يعظم فاتسع فى اللفظ حتى قيل على هذا الوجه وقال الشاعر

فان تك ليلى استودعتنى أمانة * فلا وأبى أعدائها لا أخونها

لم يردان يقسم بأبى أعدائها ولكنه ضرب من التعجب وقد ذهب أكثر شراح الحديث الى النسخ فى قوله أفلح وأبيه ان صدق قالوا نسخه قوله عليه الصلاة والسلام لا تحلفوا بآبائكم وهذا قول لا يصح لانه ثبت انه صلى الله عليه وسلم كان يحلف قبل النسخ بقوم كفار و يقسم بغير الله وما أبعد هذا من شيمه صلى الله عليه وسلم تالله ما فعل هذا قط ولا كان له بخلق وقال قوم رواية اسماعيل بن جعفر مصحفة وانما هو أفلح والله ان صدق وهذا أيضا منكر من القول واعتراض على الاثبات العدول فيما حفظوا وقد خرج مسلم فى كتاب الزكاة قوله صلى الله عليه وسلم لرجل سأله أى الصدقة أفضل فقال وأبيه لتنبأنه وفى رواية وأبيك لأنبئنك أو قال لأخبرنك وذكر الحديث وخرج فى كتاب البر والصلة قوله لرجل سأله من أحق الناس بأن أبره أو قال ان أصله فقال وأبيك لا تنبئن لتصل أمك ثم أباك ثم أدناك فأدناك فقال فى هذه الاحاديث كما ترى وأبيك فلم يأت اسماعيل بن جعفر اذا فى روايته بشئ منكر ولا بقول بدع والذى ذكرناه ليس من باب الحلف بالآباء كما قدمنا ولا قال فى الحديث وأبى وانما قال وأبيه أو وأبيك بالاضافة الى ضمير المخاطب أو الغائب وبهذا الشرط يخرج عن معنى الحلف الى معنى التعجب الذى ذكرناه انتهى كلامه رضى الله عنه ونشأت هنا مسألة هل يجوز لأحد ان يقول لآخر فداك أبى وأمى ام لا قال بعض أشياخى ان قال ذلك فى النبى صلى الله عليه وسلم فحسن نفديه بأنفسنا وآبائنا وأمهاتنا وبأموالنا وبأكثر من ذلك ان أمكن وأما فى غير النبى صلى الله عليه وسلم فذلك عقوق فى حق الوالدين اللهم الا ان كان أبواه كافرين وهو مسلم فجائز ان يفدى المسلم بكل كافر كائنا من كان هذا معنى كلامه والحمد لله وأما وال وهو معكوس لا والمتقدم فاسم فاعل من ولى فهو وال من الامارة أو من النصرة والمنع كما قال تعالى وما لهم من دونه من وال جاء فى التفسير أى يمنعهم من عذاب الله وقيل هو بمعنى ولى يتولاهم من دون الله قال المهدوى وال وولى كقادر وقدير وولى من الملغزة اللزومية التى تقدم بعضها

كم من غنى وكم من وال * أمسى وما إن له من وال

قيل نزلت وما لهم من دونه من وال فى عامر بن الطفيل وأربد بن قيس حين أرادا الغدر برسول الله صلى الله عليه وسلم فاصاب الله عامرا بالطاعون فمات وأرسل الله

على أربد صاعقة فاحرقته وجمله وقد تقدم كيف أرادا الغدر برسول الله صلى الله عليه وسلم فى أول الكتاب وقيل نزلت فى يهودى قال للنبى صلى الله عليه وسلم اخبرنى من أى شئ ربك أمن لؤلؤ أم ياقوت فجاءت صاعقة فاحرقته * ومن مقلوب وال أول نقيض آخر وهو من أسماء الله تعالى قال تعالى هو الاول والآخر ومعنى أول ليس قبله شئ سبحانه وقد تقدم ذكره وقال ابن عباس رضى الله عنهما معنى الاول لم يكن له سابق ومعنى الآخر لا غاية له ولا نهاية ومن شكل وال وأل ومعنى وأل لجأ تقول منه وأل يئل وألا وؤلا ووئيلا والوأل والموئل الملجأ وكذلك الموال ويقال لا وأل زيد أى نجا ومنه قول على رضى الله عنه وكانت درعه صدرا بلا ظهر فقيل له فى ذلك فقال اذا وليت فلا وألت أى ان هربت فلا نجوت وقال الشاعر

وقدتهم للحرب ثم خدعتهم * فلا وألت نفس عليك تحاذر

والوالة ابعار الغنم وقد أوأل المكان اذا كثر ذلك فيه ومن هذا الشكل أوأل وهو أصل اوّل المذكور وزنه أفعل مهموز الوسط قلبت الهمزة واوا وأدغم يدلك على ذلك قولهم أولى منك والجمع الاوائل والاوالى أيضا على القلب وقيل أصله ووأل فوعل فقلبت الواو الاولى همزة ولم تجمع على أواول لاستثقال الجمع بين واوين بينهما الف الجمع ومن شكل أوأل أوال بفتح الالف قرية يقال لها صنعاء سميت باسم بانيها وهو صنعاء بن أوال بن عبير بن عابر بن شالخ كما سميت خيبر باسم خيبر بن قانية وبدر وهى بئر احتفرها بدر بن قريش رجل من بنى غفار فسميت به وكذلك يثرب وقال الشاعر يذكر أوال

عمد الحداة بها لعارض قرية * وكأنها سفن بسيف أوال

نخرج من هذا أن أوال على البحر ويشهد لهذا ما ذكر أبو عبيد البكرى أنظره فى فصل الفرائد من هذا الباب ومن شكل هذه الحروف اذا الفقت أولى لك من قوله تعالى أولى لك فأولى معناه التهدد أى وليك المكروه وتقول العرب لكل من قارب الهلكة ثم أفلت أولى لك أى كدت تهلك كما روى أن اعرابيا كان يوالى رمى الصيد فيفلت منه فيقول أولى لك ثم رمى صيدا فقاربه فأفلت منه فقال

فلو كان أولى يطعم القوم صدتهم * ولكن أولى يترك القوم جوّعا

ومثل هذا ما قال أهل مكة للحجاج بن علاط اذ جاءهم مسلما وحدث عن النبى صلى الله عليه وسلم بخبر يسرهم من انه هزم وأصحابه وكذا وكذا فكانت منه حيلة حتى أخذ

كل ما كان له بركة ثم انطلق فلما تبينت لهم حيلته قالوا أفاتنا الخبيث أولى له انظر حديثه فى السيرة بقية القافية لآل لآل أما الآل فجمع اوّوة وأصله لآلئ حذفت الهمزة من آخره للضرورة وفيه عيب آخر وذلك انه كان ينبغى ان يكون لآلئا بالنصب لانه مفعول باسم الفاعل الذى هو لاو ولكنه خرج مخرج قول الشاعر * لعلى أرى باق على الحدثان * وخرج باق مخرج قول النابغة * ردت عليه أقاصيه * قال صاحب العين صاحب اللؤلؤ يقال له لآل وقال الزبيدى فيه خلاف منهم من أجازه ومنهم من ردّه وهو من غير لفظ لؤلؤ ولم يقل أكثر قالت ولعله من قولهم لألأ الثور بذنبه اذا حركه ولمع به أو من لألأت النار وتلألأت اذا أضاءت وكذلك النجم والله أعلم وتقول ما أفعله مالألأت الفور أى بصبصت بأذنابها ولا واحد للفور من لفظها وأما الآل فانه أراد لآلى أى أهلى فحذف ياء الاضافة للقافية كما حذفت فى قوله تعالى ولى دين وفخق وعيد واليه متاب وذلك كثير فى القرآن حذفت لاجل رؤس الآى ومما أرويه فى اللام الف بالسند أيها الولد ماقرأته على الحافظ رحمه الله قال أنشدنا أبو عبد الله محمد بن ابراهيم بأرجان قال أنشدنى أبو الحسن بندار بن الحسين الشيرزى

أألف القائم سر عجيب * وقيام اللام أيضا كالألف
فاذا ما اجتمعا واعتنقا * صار حرفا واحدا لام الف

وأنشدنى لنفسه من قطعة آخرها

فلاطفنى وعانقنى * عناق اللام للالف

انظر ما بكمالها فى التكميل تقدم لالأ ولى من الكلام المعكوس فى لام ألف لالألا لالألا تفسيره لالأ بذنبه لأى أى وهو الحمار الوحشى لالا أى قال لالاو كأنه استفهمه ألالا فأجاب لالا

خرجت من شئ الى غيره * لكن من الاولى الى الاولى
وكامعلم وقد سقت من * ذلك ما يسره المولى

﴿فصل﴾ من الفوائد تقدم لا وقد ذكرت الشعراء فى أشعارهم لفظة لا فى المدح والذم قال أحدهم يذم

تعود من بخله قول لا * فما يلفظ الدهر الا بلا
وما هال الله يرجو الثواب * ولكن من حب لا هللا

وقال آخر يمدح كأنك فى الكتاب وجدت لالا * محرمة عليك فما تحل
وقال الآخر قد اجمع الناس على بغض لا * ولست أنسى أبدا حب لا
لانى قلت له سيدى * تحب غيرى أبدا قال لا

وقال بشار فيها ثم أبطل عملها

واذا قلت لها جودى لنا * خرجت بالصمت عن لا ونعم

قال مروان بن أبى حفصة قلت لبشار وقد أنشدنى هذا الشعر هلا قلت خرست بالصمت عن لا ونعم فقال لو كنت فى عقلك لقلته أتطير على من احب بالخرس وهذا البيت من قصيدة له وهى من أحسن ما قال واولها

لم يطل ليلى ولكن لم أنم * ونفى عنى الكرى طيف ألم

سئل أبو عمرو بن العلاء من أبدع الناس بيتا فقال الذى يقول * لم يطل ليلى ولكن لم أنم * ومن غرر هذه القصيدة

رفهى عبدة عنى واعلمى * اننى يا عبد من لحم ودم
ان لى جسما ضعيفا ناحلا * لو توكأت عليه لانهدم

وكان بشار هذا من عجائب الدنيا خلق أكمه وهو يشبه التشبيهات التى لم يسبق اليها انما لا يدركها البصير وكان فطنا كيسا كان ذات يوم جالسا وبين يديه طبق فيه تفاح وبيده قضيب فخرج عليه بعض من يدل عليه فأخفى خطوه أشد ما قدر عليه حتى كان أخفى من خطو الذر ثم أهوى بيده الى تفاحة منها فضربه بالقضيب ضربة كاد يكسر يده فلشدة الوجع قال لعن الله من يقول انك أعمى قال فأين عين البصيرة يا أحمق وكان يقول أنا أشعر الناس لانى قلت اثنى عشر ألف قصيدة فلو اختير من كل قصيدة بيت لكملت اثنا عشر ألف بيت ومما قيل فى قثم بن العباس رضى الله عنهما لم يدر ما لا و بلى قد درى * فعافها واعتاض منها نعم وهذه القصيدة أيضا أولها

عوفيت من حل ومن رحلة * يا ناق ان قربتنى من قثم
انك ان بلغتنيه غدا * احيا لى اليسر ومات العدم
فى باعه طول وفى وجهه * نور وفى العرنين منه شمم
لم يدر ما لا البيت أصم عن ذكر الخنا سمعه * وما عن الخير به من صمم

ومن أحسن ما قيل فى لا قول اعرابية ترثى ولدها

تحلونهم عنده سماحا * ولم تطب قط لا بفيه

وقبل هذا
يا جبلا كان ذا امتناع * وركن عز لآمليه
يا نخلة طلعها هضيم * يقرب من كف مجتنيه
يا دهر ماذا أردت مني * أخلقت ما كنت أرتجيه

وآخرها
أمنك الله كل روع * وكل ما كنت تتقيه

وأول المرثية
هل خبر القبر ساكنيه * أم قد تمشى بزائريه
أو هل تراه أحاط علما * بالجمل المستكن فيه
لو يعلم القبر من يواري * تاه على كل ما يليه

وهي طويلة وأحسن من هذا كله وأصح ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه ما سئل عن شيء قط فقال لا وقالوا الكريم صوت لسانه نعم وصوب بنانه نعم قال الشاعر

قبحت لا من أجل ان * صورت خلقة الحلم
انها تذهب الجميل * وتأبى على الكرم
واذا أنت قلت لا * يئس الحر من نعم

الحلم محركا المقراض اذا فتح أشبه اللام ألف

ومما يشبه به موت كبار الرجال تسيير الجبال ومن أحسن ما قيل فيه قول ابن بسام يرثي عبد الله بن سليمان فقال

قد استوى الناس ومات الكمال * وصاح صرف الدهر أين الرجال
هذا أبو القاسم في نعشه * قوموا انظروا كيف تسير الجبال

أخذ هذا المعنى من قول ابن الرومي يرثي محمد بن نصر

أودى محمد بن نصر بعدما * ضربت به في فضله الامثال
ملك تنافست العلى في عمره * وتنافست في يومه الآجال
من لم يعاين سير نعش محمد * لم يدر كيف تسير الاجبال

قلت وكثيرا ما يوصف الرجل العظيم بالجبل لعلوه وامتناعه ولذلك يقولون في نعي الميت وندبته واجبلاه واسنداه وقالت عائشة رضي الله عنها اذ مات رسول الله صلى الله عليه وسلم * قد كنت لي سندا ألوذ ظله * الابيات وقد تقدمت في الباب قبل هذا وتقدم أن البلايا جمع بلية وهي الناقة التي كان أهل الجاهلية يعكسونها عند قبر صاحبها اذا مات أي يربطونها معكوسة الرأس الى ما يلي كلكلها او بطنها ويقال الى مؤخرها مما يلي ظهرها او ربما حفروا لها حفرة فجعلوها فيها او يقولون

انه يحشر عليها راكبا ومن لم يفعل معه هذا حشر راجلا وهذا على مذهب من كان منهم يقول بالبعث بعد الموت وهم الأقل وأوصى رجل ابنه عند الموت بهذا فقال

لا أعرفن أباك يحشر مرة * عدوا يخر على اليدين وينكب

فكانوا يتقبون الولايا وهي البرادع ويلقونها في أعناق البلايا وهي النوق ويعقلونها عند قبر صاحبها حتى تموت جوعا وعطشا وقال الشاعر

وعطل قلوصي في الركاب فانها * ستبرد أكبادا وتبكي بواكيا

هدم أمر أهل الجاهلية الاسلام فقال عليه الصلاة والسلام لا عقر في الاسلام قال عبد الرزاق كانوا يعقرون عند القبر يعني ببقرة أو شيء ذكره أبو داود وقال محمد بن سعيد فسر احمد بن حنبل هذا الحديث فقال كانوا في الجاهلية اذا مات منهم السيد عقروا على قبره فنهى النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك قال محمد بن سعيد فأخبرت أبا عمر وهلال بن العلاء الرقي فأعجب بقول أحمد وأنشد

واذا مررت بقبره فاعقر به * كوم الهجان وكل طرف سابح

ثم قال لي عقر في الجاهلية على قبر ربيعة بن مكدم وفي الاسلام على قبر المغيرة بن المهلب عقر عليه كعب بن أبي ثور وقال بعض العلماء ممن شرح اشارات البخاري رحمه الله وفقهه انظر كيف ترجم البخاري باب من لم ير كسر السلاح عند الموت وساق حديث أبي عمرو بن العلاء رضي الله عنه ما ترك النبي صلى الله عليه وسلم الا سلاحه وبغلته البيضاء وأرضا جعلها صدقة قال الشارح كانت الجاهلية اذا مات سلطانهم أو كبيرهم هدموا سلاحه وعقروا دوابه فلذلك ترجم البخاري بهذه الترجمة لانه عليه الصلاة والسلام ترك بغلته وسلاحه غير مهدوم ولا شيء الا صدقة في سبيل الله وجاء في الحديث من ذكر الولايا نهي أن يجلس الرجل على الولايا قيل سميت بذلك لانها تلي ظهر البعير * تقدم أوال وذكر أبو عبيد البكري في المسالك والممالك ان أوال جزيرة في خليج يخرج من البحر الحبشي ويعرف هذا الخليج ببحر فارس وهذه الجزيرة فيها بنو معن وكثير من العرب وذكر ان الاوال أيضا دابة في البحر ولعل هذه الجزيرة المعروفة باوال سميت بتلك الدابة والله أعلم وذكر ان هذه الدابة في خليج يتصل بأرض الحبشة طوله خمسمائة ميل وعرضه مائة ميل وليس في البحار أهول منه وموجه أعمى لا يتكسر ولا يظهر منه زبد كتكسر أمواج سائر البحار يرتفع موجه ارتفاع الجبال الشواهق ثم ينخفض كأخفض ما يكون من الاودية

وفيه يكون السمك المعروف بالاوال طول السمكة أربعمائة ذراع الى الخمسمائة بالذراع العمرى وهو ذراع أهل ذلك البحر وربما هدأ البحر فيظهر طرف من جناحه كالشراع العظيم وينفخ الصعداء بالماء فيذهب الماء فى الجو أكثر من غلوة سهم ويحشر بذنبه وأجنحته السمك الى فيه وقد فغر فاه فتهوى الى جوفه جريا فاذا بغت هذه السمكة بعث الله اليها سمكة نحو الذراع تدعى الانك فتلصق بأصل أذنها أو ذنبها فلا يكون لها منها خلاص حتى تضرب برأسها وتموت فتطفو فوق الماء فتكون كالجبل العظيم وذكر ان العنبر شئ يتكون فى قعور البحار تتكون أنواع القطر والكمأة فربما ابتلع منه هذا الحوت المعروف بالاوال فيقتله فيطفو وله ناس يرصدونه من الزنج فيطرحون فيه الكلاليب ويشقون عن بطنه فيخرجون العنبر منها يعنى متغير الرائحة

(باب الالف مع الباء)

وآى وأى وإى إى وأى * وآ وآ وآه وأيل أيل

هذا البيت آخر الابيات ولم يجئ ولم يأت الا باحتيالات فيها بعض احتمالات وماقام حتى دعمته ولا استقام حتى أعنته

وبعد ماوجدت غير هذا * فاسمعه انى لست ممن هاذى

واقنع وخذ من وابل رذاذا * ورض به موقعا جذاذا

واعلم بأن هذا الشأن عسير غير يسير فعول على التفسير ومرمع من يسير اما آى فجمع آية ويجمع أيضا آيات وآياء قال الشاعر

لم يبق هذا الدهر من آيائه * غير اثافيه وارمدائه

وقد تقدم فى جمع الرماد والآية العلامة وكذلك قال ابن عزيز رحمه الله آيات علامات وعجائب أيضا وآية من القرآن كلام يتصل الى انقطاعه وقيل آية جماعة حروف يقال خرج القوم بآيتهم أى بجماعتهم يعنى لم يدعوا وراءهم شيئا وتكون آية بمعنى عبرة كما قال تعالى ان فى ذلك لآية أى عبرة لمعتبر والله أعلم وتقول أييت به وتأييت بالمكان انتظرت وتلبثت والتئية الانتظار ومنه قولهم ليست الدنيا منزلة تئية أى منزل تلبث وتقول تأييت عليك انصرفت على تؤدة وأييت بالابل قلت لها ايا ايا فى الزجر قاله صاحب العين وأما أى فاسم يستفهم به يقال أيهم أخوك واياضربت وقد جاء فى القرآن مرفوعا فى قوله تعالى قل أى شئ أكبر شهادة

قل الله شهيد بينى وبينكم وجاء فى الحديث مرفوعا منونا فى قول النبى صلى الله عليه وسلم لرجل قد سأله من أبر قال أمك قال ثم أى قال أمك قال ثم أى كررها كذلك مرارا منونة وقال قوم أصلها البناء على الضم لانها بمنزلة الذى وماذا الا انها خالفتها فى جواز الاضافة فأعربت لذلك وجاءت فى القرآن أيضا منصوبة فى قوله تعالى وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون فأى منصوب بينقلبون لان الاستفهام له صدر الكلام ولا يعمل فيه ماقبله وكذلك أيما الأجلين قضيت منصوبة بقضيت وما مؤكدة والاجلين مخفوض بالاضافة وقرئ فى الشاذ أيما الاجلين بالتخفيف لان الياء ثقيلة على انفرادها فكيف اذا ضعفت وقوله تعالى أياما تدعوا مثله منصوبة بتدعوا وما مؤكدة وتدعوا مجزوم بالشرط وقيل ان ما بمعنى أى كررت لاختلاف اللفظ وقال الزجاج أى الاسماء تدعوا ادعوتم الله أو الرحمن فكلاهما اسمان لله عز وجل ويلزم على هذين القولين أن لا تنون ايا وان تكون مضافة الى ماقال ذلك المهدوى وجاءت فى القرآن أيضا مخفوضة فى قوله تعالى فبأى آلاء ربكما تكذبان وتأتى أى أيضا نعتا فتقول فلان رجل أى رجل وكذلك تجريه فى الخفض والنصب هذا المجرى وقرئ فى الشاذ ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا قراءة معاذ بن مسلم ومعناه عنده لننزعن من كل شيعة الأعز فالاعز منهم كأنه يبدأ بالتعذيب بأشدهم عتيا ثم الذى يليه وعلى قراءة الرفع ثم لننزعن من كل شيعة الذين يقال لهم أيهم أشد على الرحمن عتيا هذا أقرب ماقيل فيه وقيل غير ذلك والله أعلم بما أراد من ذلك ويقال فى المثل لا يدرى اى من اى أى لا يعرف هذا من هذا وأما إى إى فانما أردت إى وإى فلما لم يتزن حذفت الواو ضرورة فإى الاولى بمعنى نعم أو بلى وقد توصل باليمين فيقال إى والله قال الله عز وجل قل إى وربى انه لحق واحتجت طائفة من أهل العلم بهذه الآية على جواز اليمين اذا تحقق الانسان حقه ولم يدخل فيه شك وينشد فى ذلك

يمين امرئ آلى وليس بكاذب * ومافى يمين بتها صادق وزر

هذه إى الاولى وأما إى الثانية فقد تقدم فى باب الواو من الو أى تقول للانثى إى لزيد اذا أمرتها أن تعده بوعد أو هبة وأما أى فحرف من حروف النداء تقول أى زيد كما تقول فى معكوسها يازيد على ان بعضهم اختار أن ينادى بأى من كان قريبا وبيا من كان بعيدا وذلك لامتداد الصوت بيا وقصره بأى والله أعلم وهذه

اللفظة أعنى أى هى التى ألغزفيها الحريرى فى مقاماته فقال وما العامل الذى يتصل آخره بأوّله ويعمل معكوسه مثل عمله يعنى يا اذ معكوسها أى وتكون أى أيضا بمعنى العبارة عن الشئ والتفسير له وأما آ آ آ فكلمة ترجيع فى صوت المغنى وكتبتها ان شئت بألفين مهموزا آ آ آ بين ممدودتين لانه لا فرق بين آ ا وبين يا ولا فكما تكتب يا بألف ولا بلام الف كذلك تكتب آ اما ألف أيضا الا أنهم كرهوا اجتماع الالفات فجعلوا بدلا من الالف الاخرى مدّة معترضة عليها قال صاحب كتاب تاج اللغة وذكر الالف فقال آ احرف يمدّ ويقصر فاذا مددت نوّنت وكذلك سائر حروف الهجاء هذا نصه وصورته عنده فكتبته أنا فى البيت بالوجهين لاقامة الشكل كما كتبت ذات الياء بالالف اذ فيه رخصة وجواز وهذه الحروف انما هى عبارة عن الاصوات وصور تعرف بها وهذا النوع من الترجيع لا يكون الا فى حروف المدّ واللين الثلاثة الالف والواو والياء التى بها يكون الترجيع وعنها تصدر اللحون فى الغناء وقد تقدّم ذكر بعض ذلك فى أوّل الكتاب وجاء فى الترجيع حديث خرجه البخارى رحمه الله عن عبد الله بن مغفل المزنى قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على ناقته أو جمله وهى تسير به وهو يقرأ سورة الفتح أو من سورة الفتح قراءة لينة يقرأ وهو يرجع وذكر فى طريق اخرى صفة الترجيع فقال آ ا آ ا آ ا ثلاث مرّات وآ امن زجر الخيل كذا وقع فى مختصر العين ورأيت فى الطرّة أ وأو بالضم ولا أدرى بأيهما تزجر منهما وتقول أزيد أقبل فالالف حرف نداء وهى مقصورة مفتوحة ينادى بها القريب دون البعيد فان جعلتها اسما مددتها ونوّنتها فتقول آ ء كما تقول باء وياء حرف من حروف التهجى مثلها وآء شجر يقال هو شجر السرح واحدتها آ أة وتصغيرها أويئة قال الشاعر

أصلك مصلم الاذنين أجنى * له بالسى تنوم وآء

معنى أجنى صار له جنى فى هذا الشجر والسىّ اسم أرض أو موضع وهذا بكسر السين وتشديد الياء والسىء بالهمز وبفتح السين وتخفيف الياء اللبن القليل قبل أن تجتمع الدرة قال زهير * كما استغاث بسىء فزغيطلة * الفز ولد البقرة والغيطلة أمه وقيل الغيطلة شجر ملتف والتنوم جمع تنومة وهو شجر ينبت حبا دسما وفى الحديث فى خسوف الشمس يقول الراوى فأضاءت كأنها تنومة أى صارت الشمس كلون هذه الثمرة والارالك أيضا يثمر حبا اسود وهو البرير

واحدتها بريرة وبه سميت المرأة بريرة والبرير أيضا ثمر الغضى والكباث الاسود منه والسيّئ بكسر الياء ضد الحسن قال الله تعالى ولا يحيق المكر السيّئ الا بأهله وقد يخفف هذا فيقال سى كلين وهين قال الشاعر * ولا يجزون من حسن بسىء * على وزن شىء وآء أيضا أصوات قال الشاعر

ان تلق عمرا فقد لاقيت مدرعا * وليس من همه ابل ولا شاء

فى جحفل لجب لجم صواهله * بالليل يسمع فى حافاته آء

يى معكوس أى تقدم انه ياوانه من حروف النداء وفيها ثلاث لغات يا وياء ويا وبقى الكلام عليها وهى حرف من حروف التهجى ومخرجها من وسط اللسان بينه وبين ما حاذاه من الحنك الاعلى وتقدم أيضا انها احدى حروف المد واللين الثلاثة التى هى أمهات الزوائد لان منها الحركات ولا تخلو الكلمة الخماسية من بعضها وكثير من الرباعى والملحق بالسداسى خاصة فتزاد الياء أوّله فى مثل يضرب ويربوع ويرمع وهى حجارة رقاق رخوة ويلمع وهو السحاب ويشبه به الكذوب قال الشاعر

اذا ما شكوت الحب كيما تثيبنى * بودّى قالت انما أنت يلمع

وتزاد ثانية فى مثل زينب وحيدو ثالثة فى مثل رغيف ورابعة فى قنديل وتزاد فى التصغير وفى آخر النسب وبعض العرب يجعلها اذا كانت مشددة جيما فى النسب وغيره فيقولون فى بصرى بصرج وفى كوفى كوفج كما قال الراجز

خالى عويف وأبو علج * المطعمان اللحم بالعشج * وبالغداة فلق البرنج

أراد على والعشى والبرنى وهو ضرب من التمر من طيبه ويقولون أيل وأجل وتقدم انها من حروف النداء وجاءت فى مواضع من التنزيل يارب ياقوم يا أبت وقد تحذف يا فى النداء كما قال الله تعالى يوسف أعرض عن هذا رب قد آتيتنى من الملك وتكون الياء أيضا صلة وتمكنة للضمير فى عليهى والبهى فى قراءة ابن كثير ومن هذه لغته من العرب وتكون للاضافة فى غلامى وثوبى يقول ذلك الرجل والمرأة ولك أن تفتحها وان شئت سكنتها ولك أن تحذفها فى النداء خاصة فتقول ياقوم وياعباد تكتفى بالكسرة وقد يقال ياقوم بالضم وياقوم بالفتح وياقوم بالسكون فان كانت بعد الالف فتحت لا غير نحو عصاى ورحاى وكذلك ان جاءت بعد ياء الجمع كقوله تعالى وما أنتم بمصرخىّ وأصله بمصرخينى سقطت النون للاضافة فاجتمع ساكنان فحرّكت الثانية بالفتحة لانها ياء المتكلم ردّت الى أصلها وكسرها بعض

القرآء وتكون علامة للتأنيث نحو افعلى وتفعلى وتكون زائدة فى المواضع التى ذكرت فى القرآن عن ورش وقالون وغيرهما رضى الله عنهم ومن أغرب الزوائد قوله تعالى والليل اذا يسر وأروى فيه حديثا غريبا قرأت على الشيخ الفقيه أبى محمد العثمانى رحمه الله تعالى قال حدثنى أبو الحسن على بن المؤمل فيما يروى من فوائد أبى محمد الحسين بن محمد بن أحمد النيسابورى قال سمعت أبا عبد الله الفارسى رحمه الله يقول سمعت الشيخ أبا القاسم الحسن بن حبيب المفسر يقول سمعت أبا محمد عبد الله بن محمد الفانى يقول سمعت أبا سعيد الضرير يقول سأل المؤرج سعيد بن مسعدة الاخفش عن قوله تعالى والليل اذا يسر ما العلة فى سقوط الياء منه وانما تسقط عند الجزم فقال لا أجيبك مالم تبت على باب دارى مرة قال فبت على باب داره مرة ثم سألته فقال اعلم ان هذا مصروف عن جهته وكل ما كان مصروفا عن جهته فان العرب تبخس حظه من الاعراب نحو قوله تعالى وما كانت أمك بغيا أسقط الهاء لانها مصروفة من فاعل الى فعيل قلت وكيف صرفه قال الليل لا يسرى وانما يسرى فيه وكما تكون الياء زائدة كذلك تكون أصلية فى أول الكلمة مثل يوم وفى وسطها مثل بيت وفى آخرها مثل أتى وتكون فى أول الكلمة وفى آخرها مثل يد أصلها يدى وليس فى الكلام مثله وقد يبدلون الياء فى مواضع كثيرة من النون فى مثل تظنيت والاصل تظننت ومن الضاد فى مثل تقضى البازى والاصل تقضض وكمال البيت * تقضى البازى اذا البازى كسر * وقبله * اذا الرجال ابتدروا الباغ بدر * ومن الميم قالوا أيما فى أما ومن السين فى مثل حسيت والاصل حسست وفى العدد قالوا هذا سادى يريدون سادس وأنشد * فزوجك خامس وأبوك سادى * ويقولون جاء فلان خامسا وخاميا وسادسا وساديا خرج ثابت رحمه الله عن العمرى قال خطب رجل امرأة مثقاة فقيل له قد مات عنها خمسة أزواج ومات عنك أربع فقال على ذلك أتزوجها وانشأ يقول

بويزل أعوام اذاعت بخمسة * ونفسى ان لم تتق الله ساديا
ومن قبلها غيبت فى الترب أربعا * وخامسة أعتدها فى رحابيا
كلانا لكل مشرف لغنيمة * يراها ويقضى الله ما كان قاضيا

فلم تلبث الا يسيرا حتى ماتت فاستويا خمسة خمسة قال والمثقى الذى يصاب بنسائه

والمثقاة التى تصاب بأزواجها وقيل المثقاة التى تزوجها امرأتان سواها وهى ثالثتهما شبهت بأثافى القدر وتبدل أيضا الياء ألفا فى مثل قولهم رمح أزنى والاصل يزنى منسوب الى ذى يزن وقالوا أثربى لان النسبة الى يثرب يثربى وقالوا أزلى أى قديم وأصله من قولهم للقديم لم يزل فلما أرادوا النسبة لم يستقم الا باختصار فقالوا يزلى ثم أبدلت الياء ألفا لانها أخف وفى المحدثين يزداد ويقال فيه أيضا ازداد وقالوا يبريق وأبريق الرمل ويسروع وأسروع دودة واليرقان والارقان ورجل يلد وألد للخصم ويلمعى والمعى للذكى ويعصر وأعصر وقد تقدم ارندج ويرندج الجلد الاسود ويقال هو كل ما هاس وصقل ويلمم والملم ويلنجوج وألنجوج العود الذى يتبخر به وقالوا المير أناديد وياديد مفترقة بمعنى أبابيل وعظاية وعظاءة وصلاية وصلاءة وعباية وعباءة ذكر ذلك ابن قتيبة رحمه الله وقد تشبع الكسرة فيتولد منها ياء اما للوزن فى الشعر واما للتأكيد فأما التى للوزن فمثل قوله * الم يأتيك والانباء تنمى * ومثل قوله

اذا العجوز غضبت فطلق * ولا ترضاها ولا تملق
واعمد لاخرى ذات دل مونق * لينة المس كمس الخرنق

يروى ولا ترضاها بالالف ويروى ولا ترضها بدون ألف وقد أجازوا اثبات الياء كما تقدم وان كان الفعل مجزوما وعليه قراءة ابن كثير فى بعض الروايات انه من يتقى ويصبر وكذلك قالوا فى ألم يأتيك اثبت الياء للضرورة وردها الى الاصل وكذلك قالوا فى المثل أعط القوس باريها على حد قوله * ردت عليه أقاصيه * وقال الاعشى

فآليت لا أرثى لها من كلالة * ولا من حفا حتى تلاقى محمدا

صلى الله عليه وسلم وقد فعلوا أغرب من هذا أجروا الياء مجرى الحرف الصحيح فحركوها على حسب الاعراب ولكنهم جعلوها شاذا فقال الشاعر

قد كاد يذهب بالدنيا ولذتها * موالى ككباش العوس سحاح

وقال جرير

فيوما يجارين الهوى غير ماضى * ويوما ترى منهن غولا تغول

وقال ابن الرقيات

لا بارك الله فى الغوانى هل * يصبحن الا لهن مطلب

وقال آخر

ما ان رأيت ولا أرى فى مدتى * كجوارى يلعبن فى الصحراء

وقد فعلوا فى الواو والالف مثل ذلك أثبتوهما فى حال الجزم كما فعلوا فى الياء فى ألم يأتيك قالوا فى الواو

هجوت زبان ثم جئت معتذرا * من هجو زبان لم تهجو ولم تدع

وقال * أبى الله أن أسمو بأم ولا أب * وأنشدوا في اثبات الالف كان لم تراقبلى
أسيرا يمانيا * على من رواه كذلك ومن رواه تراسترآح من الضرورة ومثله
* وما أنس لا أنساه آخر عيشتي * ومثله ولا ترضاها كما تقدم قال المازني يجوز في
الشعر ان تقول زيد يرميك برفع الياء و يغزوك برفع الواو وهذا القاضي بالتنوين
فتجرى الحرف المعتل مجرى الصحيح من جميع الوجوه في الاسماء والافعال لانه
الاصل وأما اشباع الياء للتأكيد فمثل قولهم فعلتيه وصنعتيه وقيل في هذا انها
لغة لبعض العرب يدخلون الالف في كاف المذكر فيقولون أعطيتكاه بدون
أعطيتكه ويدخلون الياء في المؤنث فيقولون أعطيتكيه وعلى هذه اللغة جاء حديث
أبي بكر الصديق رضي الله عنه حين قال لابنته عائشة رضي الله عنها في مرضه حين
حضرته الوفاة جلس فتشهد ثم قال أما بعد والله يابنيتاه ان أحب الناس الى غنى
بعدى لانت وان أعز الناس على فقرا بعدى لانت وانى كنت نحلتك جداد
عشرين وسقا من مالى فوددت والله لو كنت خرصتيه وجذذتيه وانما هو اليوم
مال وارث وانما هما أخواك وأختاك فقالت عائشة والله لو كان لى ما بين كذا
وكذا لرددته ذكر هذا المعنى يونس وأنكره أبو حاتم على ما أورده معناه ثابت رحمه
الله وأما المقلوب ألف بين ياءين فلا أعلم فيه شيئا الا اذا وصلته بهاء في مثل يا أيها
الناس وهي ها تنبيه ملازمة لأى في النداء لان النداء موضع تنبيه فلحقته ها وأى
اسم مفرد منادى لزمتها المذكورة في قولك يا أيها الرجل ايذانا بأن الرجل هو
المقصود بالنداء والرجل صفة لأى وقال الاخفش الاقيس أن يكون الناس في يا أيها
الناس صلة لأى وقيل لزمتها لأى عوضا من الاضافة اذ اصلها ان تضاف الى
الاستفهام وأما المقلوب يا بين ألفين أيا فقد جاء في النداء كثيرا ينادى بها القريب
والبعيد وأى ينادى بها القريب وتقدم ان أيا من زجر الابل وربما قالوا أيا أيا
قال الشاعر اذا قال حاديهم أيا ايا اتقيته * بمثل الذرا مطلنفئات العرائك
وأى اذا كان منه وياقلت أيا وكذا أيا ما تدعو وأياء الشمس ضوؤها كذا رأيت
بالمد والفتح والكسر في أصل عتيق وفي طرته اياء الشمس مكسور والاول مقصور
وربما أدخلوا معه الهاء فقالوا اياة الشمس واذا فتح مد وقد يكسر و يمد كما تقدم
و يقال أيضا اياة الشمس وأيا الشمس بهاء و بغيرهما بالكسر والقصر في الوجهين
جميعا ينسب ذلك الى الزجاج وأما إيا فقال المهدوى رحمه الله في قوله تعالى اياك نعبد

إيا عند الخليل اسم مضمر أضيف الى ما بعده للبيان لا للتعريف وموضع الكاف
جر وقال المبرد هو اسم مبهم أضيف للتخصيص لا للتعريف قال وللكوفيين فيه
ثلاثة أقوال الاول ان الكاف من اياك وما يحل محلها ضمائر لم تقم بأنفسها
اذ لا تنفرد ولا تكون الا متصلة بالافعال فجعلت إيا لها عمادا والثانى ان إيا اسم
مضمر يكنى به عن المنصوب زيدت اليها الحروف علامات يعرف بها الغائب والحاضر
والمتكلم والثالث ان اياك بكماله اسم مضمر وقال الزجاج ايا اسم مظهر خص به المضمر
يضاف الى سائر المضمرات ولا خلاف بين القراء السبعة في اياك وقراءة الفضل
الرقاشى بفتح الهمزة وتشديد الياء قال وهي لغة معروفة وقراءة عمرو بن فائد بكسر
الهمزة وتخفيف الياء ووجهه كراهية التضعيف مع ثقل الياءين والهمزة
والكسرة وقد جاء تخفيف ايا ورب وان قال بعض النحويين ان ايا مضاف لما بعده
واستدل على ذلك بقولهم اذا بلغ الرجل الستين فاياه واياالشواب فاضافوه الى
الشواب وخفضوها وتقول إياك وان تفعل كذا ولا تقل اياك ان تفعل بغير واو
وتكون للتحذير تقول اياك والاسد وهو بدل من فعل كأنك قلت باعد الاسد
ولا تقول هياك بدل إياك كما يقال هراق عوض أراق قال الشاعر
فهياك والأمر الذى ان توسعت * موارده ضاقت عليك مصادره
ومما يقرب من هذا الفصل وى خفيفة معناها التعجب تقول وى لك و وى لعبد
الله و في القرآن العزيز من هذا ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء و يقدر
ويكأنه لا يفلح الكافرون قال صاحب التحصيل قال سيبويه سألت الخليل عن
ويكأن فزعم ان قوله وى مفصولة من كأن والمعنى انهم نبهوا فقيل لهم أما يشبه أن
يكون عندكم ذلك كذا وأنشد سيبويه
ويكأن من يكن له نشب يحبب ومن يفتقر يعش عيش ضر
وقال جماعة من المفسرين منهم قتادة ومعمر أولم تعلم وقيل المعنى أولا ترون ان الله
يبسط الرزق وحكى ان اعرابية قالت لزوجها اين ابنك فقال وى كأنه وراء البيت
أى أما ترى انه وراء البيت وروى قتيبة عن الكسائى انه يقف في وى كأن الله وفي
وى كأنه على وى و يبتدئ بكأن الله وروى الحلوانى عن الدورى عنه موصولة
كالجماعة وروى ابراهيم بن اليزيدى عن أبيه عن أبي عمرو انه يقف في ويلك و يبتدئ
ان الله قال الكسائى وى صلة وفيه معنى التعجب ومن قال و يلك و يقف فمعناه

أعجب لان الله يبسط الرزق وأعجب لانه لا يفلح الكافرون وينبغى أن تكون
الكاف كاف خطاب لا اسما لان وى ليست مما تضاف وقيل المعنى تنبهك بأن الله
فحذف وقيل المعنى ويلك انه وأنكره بعض النحويين وقال لو كان كذلك لكان بالكسر
وقال بعضهم التقدير ويلك اعلم انه فاضمر اعلم ومثل مذهب من وقف على ويك قول
الشاعر وهو عنترة ولقد شفى نفسى وأبرأ سقمها * قول الفوارس ويك عنتر اقدم
وانما كتبت متصلة لانها لما كثر استعمالها جعلت مع ما بعدها كشئ واحد
ومعكوس وى مكررا بؤبؤ وهو طائر من الجوارح يشبه الباشق وجمعه بآبى وهذه
اللفظة تنعكس أيضا فى الشكل فتكون سواء مع عكسها قال الشاعر

حفظ المهيمن بؤبؤى ورعاه * مافى البآبى بؤبؤ شرواه

ومعنى شرواه مثله فرغ الكلام فى الباء بقيت القافية وايل ايل أما ايل بالسكون
فخطأ انما يقال ايل وايل ويقال له بالفارسية كوزن قال الشاعر

فعض الحصى ان كنت أصبحت راغما * بابلك واكدده بدردرك الايل

والايل أيضا بالضم جمع ايل وهو اللبن الخاثر مثل قارح وقرح قال الفرزدق

وكان خاثره اذا ارتثوا به * عسل لهم حلبت عليه الايل

وقال النابغة * وقد شربت من آخر الليل ايلا * ولما لم أجد ايلا فى الكلام
سألت عنه من عرفت من الاعلام فقالوا انه من الصفة لا الموصوف وليس ايل
بمعروف ودعتنى الضرورة اليه أثبته ونبهت عليه وحذرت منه ان يقع فيه مغتر
أو يتبعه مضطر وأما أنا فجعلته كالتتمة وكملت به بيته ولا تظنن انى لم أجد سواه
ولا عرفت الا اياه بل لم أعوض بلا مرض كنت أجعل مكانه لفظة ايل لكن
أجللت هذه اللفظة ان أذكرها فى هذا المكان اذ هى من صفة الربوبية كما فسرها
العلماء فى جبريل وميكائيل عليهما السلام وقد تقدم وأنا أجل مولاى الله تعالى
من ان أذكر اسما من أسمائه أو ملكا من ملائكته الا باجلال واكرام والتزام
أدب واحترام وكنت أقول أيضا لو أردت وايل وايل الاول ترخيم ايلة البلد المشهور
الذى على شاطئ البحر فى منتصف ما بين مصر ومكة شرفهما الله تعالى وثم ايلة
أيضا شعبة من رضوى وهو جبل رفيع قاله البكرى والثانى مخفف ايل موضع قبل
أربك من ديار غنى كذا ضبطه البكرى فى المعجم وقال ايل بفتح أوله وتشديد ثانيه
وأنشد للشماخ تربع أكناف القناة فصارة * فأيل فالماوان فهو زهوم

ذكره فى باب الهمزة والباء قال البكرى وقد رأيته فى كتاب موثوق به آيل بمد
الهمزة على بناء فاعل ولعلهما لغتان قال ووقع فى كتاب الامالى لأبى عبيدة
فأدركوا عميرين الحباب برأس الايل بكسر الهمزة وفتح الباء ولعله موضع آخر
انتهى كلامه وانا لو أردت ان أقول فى ايل الاول ايلا وأخففه كما يخفف هين ولين
وأدخله فى الوزن لفعلت وجاز ذلك على مذهبهم ولو أردت أيضا لقلت إيل فعل
مبنى لما لم يسم فاعله من آل الامير رعيته أصلحها وقد تقدم قد أتانا وايل علينا
ولكنى ذكرت ماذكرت وأنكرت ما أنكرت وما غششت ولا مكرت وحمدت ربى
وشكرت فرغ ما انتحته هذه اللفظة من الكلام وأخرجته من الالتزام واعذرنى فانى

أغرت على صوافيكا * وغرت على قوافيكا
فطرت مقصار يشى * وغرت على خوافيكا
وقلت الآه مثلى * لصاحبها عوافيكا
وتدرى أنت ماقلبى * عليه قد انطوى فيكا
وما جمعت فى ايل * وفى أول بوافيكا
ولم أقصد لاحصرها * فما نقصى كوافيكا
ودونك سيدى شعرا * قوافى الكل وافيكا

رجع الكلام الى ايل من شكله ايل اسم موضع ولعله غير ماذكر البكرى وقع
فى كتاب فتوح الشام فسار خالد بن سعيد رضى الله عنه من تيماء حتى نزلوا فيما بين
ايل وزبد والقسطل ومن شكله أيضا آيل معناه صائر وراجع ومنه قول
الشاعر * بالمرء والمرء اليه آيل * هذا كله بالياء وأما ان أردت بالباء مثل ابل
وابل والثاء مثل أثل وغير ذلك فقد تقدم فى أول الكتاب فى أبوابه والحمد لله فرغ
هذا بقى معكوس القافية ليا من قوله تعالى ليا بألسنتهم وطعنا فى الدين وقد تقدم
تفسيره ومن مقلوبها أيضا الى من قوله تعالى ثم الى مرجعكم ومن مقلوبها الأى
وهو البطء وقد تقدم ومثله لأى أدخلت لام الجر على أى ومن مقلوبها ايال قال
الشاعر * ألا يا لقومى للسفاهة والجهل * أراد يا آل فحذف وخفف ومن مضاعف
بل يليل موضع قال البكرى قال الزبير هو واد يدفع فى بدر وأنشد

عمرو بن عبد كان أول فارس * جزع المزاد وكان فارس يليل

والمزاد هو الموضع الذى احتفر فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم الخندق

وكان عمرو بن عبد ود اقتحم الخندق يوم الاحزاب ودعا الى المبارزة وجعل يقول

ولقد بححت من النداء * لجمعهم هل من مبارز

من شعر له فبرز اليه على بن أبى طالب رضى الله عنه فقتله فى حديث طويل قد تقدم وقريب من هذا اللفظ ايليا وانها ثلاثة اسماء ايليا وبيت المقدس والمسجد الاقصى وهو المذكور فى القرآن فى سورة سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير يعنى عبده محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم وعلى آله الرهط الابر الاكرم والحمد لله على ما علم وله الشكر على ما ألهم ﴿فصل﴾ من الفوائد تقدم فى قوله تعالى قل إى وربى انه لحق ان طائفة من أهل العلم احتجت بهذه الآية على جواز اليمين اذا تحقق الانسان حقه ولم يدخله فيه شك ورسول الله صلى الله عليه وسلم كان أبر الناس وأورع الناس وكثيرا ما كان يحلف فى الاشياء وكانت يمينه لا ومقلب القلوب وكان يحلف أيضا والله وكان يقول والله لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيرا منها الا كفرتها وأتيت التى هى خير وربما قال إلا فعلت الذى هو خير وكفرت عن يمينى صلى الله عليه وسلم وقد جاء عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ان رجلا من أهل المغرب أتاه فقال والله يا أمير المؤمنين لتحملنى فنظر عمر اليه فقال وأنا أحلف بالله لا أحملك فأظنها قد رددها ثلاثين أو قريبا من ثلاثين مرة فقال الرجل والله انه لمال الله والله انك لأمير المؤمنين والله لقد أذمت بى راحلتى والله انى لابن السبيل أقطع منى والله لتحملنى فقال له عمر كيف قلت فأعاد عليه فقال والله ان المال لمال الله والله انك لمن عيال الله والله انى لأمير المؤمنين وان كانت أذمت بك راحلتك لا أتركك للتهلكة والله لاحملنك قال فأعادها حتى حلف ثلاثين يمينا أو زاد يمينا أو يمينين ثم قال لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيرا منها الا ابتغيت خير اليمينين قوله أذمت يقال اذمت ركائب القوم اذا تأخرت عن جماعة الابل ولم تلحق بها وهو مأخوذ من قولهم أذم الرجل اذا فعل ما يذم عليه وكذلك أذممته اذا اصادفته مذموما ومثله ما حدثت حليمة بنت أبى ذؤيب السعدية أم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرضاعة وذكرت عن أتانها قالت فلقد أذمت بالركب حتى شق ذلك عليهم ضعفا وعجفا ثم رجعت وركبت أتانى تلك وحملته عليها أعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوالله لقطعت بالركب ما لا يقدر عليه شئ من حمرهم ذكر ذلك ثابت رحمه الله وجاءه رجل فقال ان ابلى قد نقبت ودبرت فاحملنى فقال عمر كذبت فوالله ما بابلك نقب

ولا

ولا دبرة فولى الرجل وهو يقول * أقسم بالله أبو حفص عمر * ما مسها من نقب ولا دبر فاغفر له اللهم ان كان فجر * فسمعه عمر فقال اللهم صدق وأخذ بيده وقال له ضع عن راحلتك فوضع فاذا هى نقبة عجفاء دبرة فانطلق فحمله على بعير وزوده وكساه وخلى عنه وكان رضى الله عنه وقافا مع الحق رجاعا اليه لا تأخذه فى الله لومة لائم وربما يتحيل عليه المتحيل فيما يتحيل فيجده فطنا حذرا لم تنفع صاحب ذلك حيلته ولا وارته تورية بل كشفه الحق لانه كان من المتقين ينظر بنور اليقين وجاءه رجل عراقى يوما فقال احملنى وسحيما وأراد ان يحمله وزقه على بعض تلك النعم فقال له عمر نشدتك الله أسحيم زق قال نعم وقد ذكر فى سحيم هذا سحيما عبد بنى الحسحاس وشعره الذى خلصه من يد النخاس وكان حلو الطبيعة فقال حين أراد سيده جندل أن يبيعه وكان قد توجه به الى الشأم فسمعه ينشد فى بعض الايام

وما كنت أخشى جندلا أن يبيعنى * بمال ولو أمست أنامله صفرا
أخوكم ومولى بيتكم وربيبكم * ومن قد ثوى فيكم وعاشركم دهرا
أشوقا ولما تمض لى غير ليلة * فكيف اذا سار المطى بنا شهرا

فضمه جندل الى صدره حين سمع شعره ولم يبعه عمره * رجع الكلام الى اليمين جاء فى الحديث من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب رضى الله عنه حين سمعه يحلف بأبيه فنهاه عن ذلك وقال من كان حالفا الحديث واليمين بغير الله على هذا مكروه بل أكثر من مكروه خرج أبو داود عن سعد بن عبيدة قال سمع عبد الله بن عمر رجلا يحلف لا والكعبة فقال له ابن عمر انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من حلف بغير الله فقد أشرك قال هذا فيمن حلف بالكعبة فكيف اذا حلف بما يتنزه ذكره كما خرج أبو داود رحمه الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حلف بملة سوى الاسلام كاذبا متعمدا فهو كما قال وفى رواية أخرى من حلف فقال انى برئ من الاسلام فان كان كاذبا فهو كما قال وان كان صادقا فلم يرجع الى الاسلام سالما وعن بريدة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حلف بالامانة فليس منا فان قلت فقد أقسم الله فى كتابه بالتين والزيتون وبالسماء والطارق وغير ذلك فالجواب ان ليس فوق الله عظيم فيقسم به فلذلك أقسم بمخلوقاته وقد جاء فى الحديث انه أقسم بصفاته فقال بعزتى وجلالى لأفعلن كذا وفى حديث آخر أقسم بنفسه فقال فبى

حلفت وأيضا فلا يقاس الله بخلقه سبحانه وتعالى ومن أهل العلم من تورع من اليمين جملة ورأوا أن يتركوا حقوقهم ولا يحلفون وقيل لبعضهم لم لا تحلف فقال أخاف ان يصيبنى قدر من الله تعالى وقع لحينه الذى كان يقع ولا بد حلفت أولم أحلف فيقال انما أصابه هذا من أجل يمينه هذا معنى ما قال وحديث الموطأ اختصم زيد بن ثابت وابن مطيع فى دار كانت بينهما الى مروان بن الحكم وهو أمير على المدينة فقضى مروان على زيد بن ثابت باليمين على المنبر فقال له زيد بن ثابت احلف له بمكانى فقال مروان لا والله الا عند مقاطع الحقوق قال فجعل زيد يحلف ان حقه لحق و يأبى أن يحلف على المنبر قال فجعل مروان بن الحكم يتعجب من ذلك وتقدم ذكر القراءة بالترجيع وقد تكلم العلماء بالقراءة اليوم بهذا النوع من الترجيع فكرهه بعض وأجازه بعض فمن أجازه احتج بهذا الحديث ومن كرهه فلسد الذريعة لئلا يشبه بالغناء الملحن باللحون والنغمات المغنية فيرجع هذا الى معنى السماع الذى هو على قوم حرام ولقوم مباح وقد كان السماع قديما من عمل الفضلاء والصالحين ولكن على شرط أن يكون من أهل الوجد و يجد بذلك شوقا أوحزنا أوخوفا و يكون السماع أيضا مع أهله ممن هذا أيضا حاله كما قال بعضهم عن تركه فقيل له فى ذلك فقال ممن قيل فانت قال مع من والذى يسمع لشهوة وهوى فهذا صاحب لهو ولاعب فهو عليه حرام نعم وضرره عليه أقرب من نفعه لانه يزيد بلاء كما قيل الغناء ينبت النفاق فى القلب وقد جاء فى الحديث ان الغناء حرام وأجور المغنيات واثمانهن حرام وجاء فى تفسير قوله تعالى ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله قال الغناء وقيل غير ذلك والله أعلم وجاء فى الحديث أيضا عن النبى صلى الله عليه وسلم أخوف ما أخاف على أمتى الشهوة الخفية والنغمة الملهية قلت وقراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح سورة الفتح انما كانت على وجه الشكر لله تعالى على نعمة نيله وتذكرة آيته عليه اذ خرج من مكة مستخفيا خائفا منفردا مع أبى بكر الصديق وعامر بن فهيرة خادمه وما فى الطريق ودليله مالا غير ثم دخلها يوم الفتح ظاهرا آمنا غالبا على البلاد والعباد فى عشرة آلاف من أصحابه سوى من بقى بالمدينة وغيرها ممن لم يقدم معه فأى نعمة أكبر من هذه مع انه عليه الصلاة والسلام كان يرتل القرآن و يتمكث فيه و يرتله ويقطعه كما جاء حرفا حرفا وأيضا فلم ترد عنه تلك القراءة قبل ذلك اليوم ولا بعده اذ كان يوم سرور

وفرح وأمن ومع ذلك فانه تواضع لربه عز وجل كما حدث عنه أصحابه انه لما انتهى الى ذى طوى وقف على راحلته معتجرا بشقة برد حبرة حمراء وانه ليضع رأسه تواضعا لله عز وجل حين رأى ما أكرمه الله به من الفتح حتى ان عثنونه ليكاد يمس واسطة الرحل فمن كانت هذه حالته فكيف ترى كانت قراءته وأين كان يحول قلبه ثم فى نفس الحديث ما يستشهد به على ان تلك القراءة لم تكن عادته ولا عادة أصحابه وذلك قول الراوى وهو معاوية بن قرة عن ابن مغفل المتقدم لولا أن يجتمع الناس عليكم لرجعت كما رجع ابن مغفل ثم لم يحدث معاوية بعد اذ سئل كيف كان ترجيعه أن يحكى لهم ذلك فانه علم والعلم لا يحل منعه فقال آ ا آ ا آ ا ثلاث مرات كما تقدم ثم أغرب من هذا انه قد صارت هذه الطريقة اليوم مشهورة فأشبهت ما نشأت عندنا ناشئة يتشبهون بالصوفية وهم طفيلية خرج ثابت رحمه الله فى الدلائل عن عبد الله بن عمر عن رجل من أهل الشام قال لاصحابه دعونى أنعت لكم الاكل قالوا له نعم قال اذا أكلت فابرك على ركبتيك وأغمض عينيك وافتح فاك وافرج ما بين أصابعك وأعظم لقمتك واحتسب نفسك قال عبد الله بن دينار كما سمعت ابن عمر حدث بهذا الحديث قط فبلغ قول الشامى واحتسب نفسك الا ضحكت وفى مثل هذا يقال يرحمك الله يا قتيل يده ومثله قول الشاعر

فضيف عمرو وعمرو يسهران معا * عمرو لبطنته والضيف للجوع

واذ وقعنا فى هذا الباب فلا نخلى من ذكر الطفيليين والصوفيين هذا الكتاب أما الصوفية فقد ذكر الشيخ الامام الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن اسحاق الاصبهانى رحمه الله اشتقاق هذه اللفظة قال رحمه الله فاما التصوف فاشتقاقه عند أهل الاشارات والمنبئين عنه بالعبارات من الصفاء والوفاء والقياد واشتقاقه من حيث الحقائق التى أوجبت اللغة فانه منتقل من أحد أربعة أشياء من الصوفانة وهى بقلة زغباء قصيرة أو من صوفة وهى قبيلة كانت فى الدهر الاول تجيز الحاج وتخدم الكعبة أو من صوفة القفا وهى الشعرات النابتة فى مؤخره أو من الصوف المعروف على ظهر الضأن فان أخذ التصوف من الصوفانة التى هى البقلة فلاجتزاء القوم بما يوجد الله عز وجل بصنعه ومن به عليهم من غير تكلف خلقه فاكتفوا به عما فيه للآدميين صنع كما كتفاء البررة الطاهرين من جملة المهاجرين فى مبادى اقبالهم وأول أحوالهم وأورد الشيخ رحمه الله ها هنا على

ذلك حديث سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه مسندا حيث يقول والله انى لاول العرب رمى بسهم فى سبيل الله عز وجل ولقد كنا نغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومالنا طعام نأكله الا ورق الحبلة وهو السمر حتى تقرحت أشداقنا وحتى ان أحدنا ليضع كما تضع الشاة ماله خلط وان أخذ من الصوفة التى هى القبلة فلان الصوفى فيما كفى من حاله ونم من باله وأعطى من عقباه وخفض من حظ دنياه أحد أعلام الهدى لعدولهم عن الموبقات واجتهادهم فى القربات وذكر كلاما حسنا من هذا النوع وساق الشاهد على ذلك بأحاديث كثيرة اختصرتها وان أخذ من صوفة القفا فمعناه ان المقصود معطوف به الى الحق مصروف به عن الخلق لا يريد به بدلا ولا يبتغى عنه حولا وساق الشاهد على ذلك بأحاديث كثيرة أيضا اختصرتها منها ماذكره بسنده الى بكير بن عبد الله المزنى رضى الله عنه قال لما ألقى ابراهيم فى النار جأرت عامة الخليقة الى ربها فقالوا يارب خليلك يلقى فى النار فأذن لنا أن نطفئ عنه قال هو خليلى ليس لى فى الارض خليل غيره وأنا ربه ليس له رب غيرى فان استغاث بكم فأغيثوه والا فدعوه وجاء ملك القطر فقال له مثل ذلك ورد عليه الله مثل ذلك فلما ألقى فى النار دعا ربه عز وجل فقال الله عز وجل يانار كونى بردا وسلاما على ابراهيم قال فبردت يومئذ على أهل المشرق والمغرب فلم ينضج بها كراع وفى رواية أخرى لما جىء بابراهيم عليه السلام فخلعوا ثيابه وشدوا قماطه ووضع فى المنجنيق بكت السماء والارض والجبال والشمس والقمر والعرش والكرسى والسحاب والريح والملائكة كل يقول يارب ابراهيم عبدك بالنار يحترق فأذن لنا فى نصرته فقالت النار وبكت يارب سخرتنى لبنى آدم وعبدك ابراهيم يحرق بى فأوحى الله اليهم انه عبدى اياى عبد وفى جنبى أوذى ان دعانى أجبته وان استنصركم فانصروه فلما رمى استقبله جبريل عليه السلام بين المنجنيق والنار فقال السلام عليك يا ابراهيم أنا جبريل ألك حاجة فقال أما اليك فلا حاجتى الى الله ربى فلما قذف فى النار كان سبقه اسرافيل فسلط النار على قماطه وقال الله تعالى يانار كونى بردا وسلاما على ابراهيم فلو لم تخلط بالسلام لهلك فيها بردا وفى رواية انه لما بصر بالنار قال حسبنا الله ونعم الوكيل وفى رواية عن المنهال بن عمرو قال أخبرت ان ابراهيم لما ألقى فى النار كان فيها اما خمسين أو أربعين يوما قال ما كنت أياما وليالى قط أطيب عيشا منى اذ كنت فيها ووددت ان عيشتى وحياتى كلها مثل

عيشى اذ كنت فيها وان أخذ من الصوف المعروف فهو لاختيارهم للبس الصوف اذ لا كلفة للآدميين فى انباته وانشائه وان النفوس الشاردة تتذلل بلبس الصوف وتكسر نخوتها وتكبرها به لتلزم الذلة والمهانة وتعتاد البلغة والقناعة وقد ذكرنا شواهده فى كتاب لبس الصوف مجردا وقد كثرت اجوبة أهل الاشارة فى ماهيته بأنواع من العبارة جمعناها فى غير هذا الكتاب وأقرب ماأذكره ماحدثت عن جعفر بن محمد الصادق رضى الله عنه انه قال من عاش فى ظاهر الرسول فهو سنى ومن عاش فى باطن الرسول فهو صوفى وأراد جعفر بباطن الرسول اخلاقه الطاهرة واختياره للآخرة فمن تخلق باخلاق الرسول وتخيرها واختارها فرغب فيما فيه رغب وتنكب عما عنه نكب وأخذ بما اليه ندب فقد صفا من الكدر وصفى من العكر ونجا من الغير ومن عدل عن سنته ونهجه وسعى لبطنه وفرجه كان من التصوف خاليا وفى التجاهل ساعيا فى كلام كثير اختصرته تلت هذا اشتقاق الصوفى وأما اشتقاق اسم الطفيلى فقد قال بعض العلماء وأنشد لبعضهم قول طفيلى

نحن قوم اذا دعينا أجبنا * ومتى نس يدعنا التطفيل

فنقل علنا دعينا فغبنا * أو أتانا فلم يجدنا الرسول

نسب الطفيلى الى الطفل لانه من طبعه أن يأخذ الطعام حيث وجده ومتى رآه ولا يبالى لمن هو ولا من صاحبه وقيل هو منسوب الى رجل من الكوفة من بنى غبد الله بن غطفان كان يقال له طفيل الاعراس وطفيل العرائس وكان يأتى الولائم من غير أن يدعى اليها وكان يقول وددت ان الكوفة بركة مصهرجة فلا يخفى على منها شئ والعرب تسمى الذى يأتى الوليمة ولم يدع اليها الراشن يقال رشن الرجل اذا تطفل وتسمى الذى يتحين وقت الطعام فيدخل على القوم وهم يأكلون الوارش وتسمى الذى يتشمم الطعام ويحرص عليه الارشم قال الشاعر

فتى حملته أمه وهى ضيفة * فجاءت بيتن للضيافة أرشما

أى لما حملت به وهى ضيفة خرج ولدها محبا للضيافات حريصا على الطعام واذكرك حكاية عجيبة أيها الولد مختصرة السند حدث نصر بن على الجهضمى قال كان فى جوارنا طفيلى فكنت اذا دعيت الى مكان ركب بركوبى ومضى معى فدعانى جعفر بن سليمان أمير البصرة فركبت وركب الطفيلى معى فقلت والله لافضحنه اليوم فلما أحضرت المائدة وجلسنا عليها أقبلت على الطفيلى وقلت

حدثنا درست بن زياد عن أبان بن طارق عن نافع عن ابن عمر ان النبى صلى الله عليه وسلم قال من لم يجب الدعوة فقد عصى الله ورسوله ومن مشى الى طعام لم يدع اليه دخل سارقا وخرج مغيرا قال فأقبل الطفيلى على وقال استعجبت لك أبا عمرو تروى مثل هذا الحديث على مائدة الامير ولعله لا يحضرها أحد الا وهو يظن انك تقصده به أما علمت ان درست بن زياد كذاب متروك الحديث عند أصحاب الحديث وان أبان بن طارق كان يمشى فى السكك تلعب به الصبيان أين أنت من حديث أبى عاصم النبيل عن ابن جريج عن أبى الزبير عن جابر عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال طعام الواحد كافى الاثنين وطعام الاثنين كافى الثلاثة قال فكأنى ألقمت حجرا فما أجبت فلما خرجنا أقبل الطفيلى على وقال

ومن ظن ممن يلاقى الحروب * أن لا يصاب فقد ظن عجزا

وتقدم الشعر الذى هو

اذا العجوز غضبت فطلق * ولا ترضاها ولا تملق

واعمد لأخرى ذات دل مونق * لينة الملمس كمس الخرنق

لله در هذا الشاعر لقد أظهر للفتيان فى النسوان المناسك والمشاعر وصرح بالجائز من مجانبة العجائز دل على ذات الدل من الصغار ولم يرض بالمقام على الذل والصغار لنفسه خطب وفى حبله حطب وكأنه كان يحفظ قول النبى صلى الله عليه وسلم لجابر بن عبد الله رضى الله عنهما أين أنت من العذارى ولعابها فاشتاق الى رشف رضابها ولعابها وسمع أيضا قولهم ان العجوز مهرمة فهرب حتى قبل ما أهرمه وقد ذكرنى ان العجوز مهرمة بيتا لى من قطعة مطولة سببها ان الأستاذ السهيلى رحمه الله لما قرئ عليه ما قال الحريرى فى مقاماته وقد أنشد

سم سمة تحمد آثارها * فاشكر لمن أعطى ولو سمسمه

والمكر مهما اسطعت لا تأته * لتقتنى السودد والمكرمه

قال الحريرى بعد هذين البيتين انهما أسكتا كل نافث وأمنا ان يعززا بثالث فقال الأستاذ قد جاء من عززهما بثالث ورابع وخامس وسادس وسابع وقال قطعة مثل ما قال الحريرى ولما بلغنى ذلك سألنيها بعض الطلبة فكتبها الى فلما أعطانيها قلت ان نظرت اليها لم أستطع معارضتها فخبأتها وقلت فى العروض والقافية والصنعة ثمانية أبيات ثم نظرت فى قول الأستاذ رحمه الله فوجدتنى قد وافقته فى قافيتين من الأبيات وانفردت عليه بسائرها فما قاله الأستاذ رحمه الله

والمهر

والمهر مهر العرس لا تغله * فانه مهما غلا مهرمه

من دمه صان بحرز التقى * لم يخش من لوم ولا مندمه

الى سائرها وقلت أنا فى هاتين القافيتين

ومهر مهضوم الحشا أعطه * واترك عجوزا انها مهرمه

وبعد أبيات

من دمه اهراق اذا ما غزا * فذاك لا تلحقه مندمه

وقبل هذا البيت لى

وسل مهزوزا على كافر * للسفك تلقى للعدا سلمه

ما سل مهزوم على قرنه * حساما الا ربنا سلمه

ان كل مهزول القرى لم يلم * لا تمه يأثم ان كلمه

من دمه اهراق البيت وبقية الأبيات مع أبيات الأستاذ مذكورة فى التكميل وتقدم حديث أبى بكر الصديق رضى الله عنه ووقع فى الموطأ بلفظ آخر وفيه قالت عائشة فقلت يا أبت والله لو كان لى كذا وكذا التركته انما هى أسماء فمن الأخرى فقال ذو بطن بنت خارجة أراها جارية وجاء فى تفسير هذا الحديث ان بنت خارجة هذه هى حبيبة بنت خارجة بن زيد الأنصارى فذكر ان أبا بكر رضى الله عنه رأى رؤيا ان الذى فى بطن حبيبة جارية فكان كذلك وسمتها عائشة أم كلثوم وتزوجها طلحة بن عبد الله وقوله فى الحديث انما هما أخواك وأختاك أما أخواها فعبد الرحمن شقيقها وأمهما أم رومان وأسماء أيضا منها وهى ذات النطاقين تزوجها الزبير بن العوام وابنه منها عبد الله أول مولود ولد فى الاسلام وقد تقدم ذكره وكيف قتله الحجاج وأما الأخ الآخر فمحمد بن أبى بكر رضى الله عنه وأمه أسماء بنت عميس كانت قبل أبى بكر تحت جعفر بن أبى طالب ثم لما قتل عنها تزوجها أبو بكر فلما مات تزوجها على بن أبى طالب وولدت من كل رجل منهم ولدا اسمه محمد فافتخروا يوما وعلى بن أبى طالب جالس فقال كل واحد منهم أبى خير من أبيك فقال لأمهم أسماء اقضى بينهم فقالت ما رأيت كهلا قط خيرا من أبى بكر وما رأيت شابا قط خيرا من جعفر فقال على لابنه فكل أبوك سائر القوم قالت له أسماء ان ثلاثة أنت أخسهم لخيار فقال صدقت ولو قلت غير هذا لمقت ومقت قال الاصمعى الفسكل الذى يأتى فى الحلبة آخر الخيل وهو أيضا السكيت ويقال فسكل الرجل اذا أتى متأخرا ومن خيل الرهان السابق وهو أولها ثم المصلى قيل له ذلك لانه يجعل جحفلته على صلا السابق وصلاه حول ذنبه والصلا أيضا وسط الظهر ومنه قيل صلى فلان لانه يحنى صلاه ثم يقال للثانى والثالث لا أسماء لهما الى آخرها وهو السكيت أو الفسكل

كما تقدم وما أحسن السبق فى الخير اذا عدمت الخيل كما قال بلال رحمه الله وقد سئل
عن مسابقة حضرها فقيل له من سبق قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل فمن
صلى قال أبو بكر فقال الرجل انما أعنى فى الخيل فقال بلال وأنا أعنى فى الخير واذ وقع
ذكر الخيل فاعلم ان الخيل الفرسان شاهده قول الله تعالى واجلب عليهم بخيلك
ورجلك أى بفرسانك ورجالتك والخيل أيضا الخيول شاهده قول الله تعالى والخيل
والبغال والحمير لتركبوها والخيالة أصحاب الخيول ﴿فصل﴾ ومما كتب به الى
الفقيه الأستاذ أبو محمد القرطبى وفقه الله واياى اذ سألته عن ابل بيتان أغرب فيهما
ولى قوافيهما وهما

سألتنى ياامامى * علما هل اذ كرأبلا
وقد كددت عليها * وهمى فأومى لى أبلا
فكتبت اليه بعد كلام وسلام * ناديت جمع حروف الهجاء فيكن ابلا *
أوهل رأيتها لى * فأومأ الكل اى لا
فقالت الواو خذنى * أنا من الباء أولا
ان لم تصدقن سل هل * قد نهت بالحق أولا
فقلت أصنع ماذا * قالت دع ابلا اخذا ولا
فقلت أحببت ابلا * قالت فأولى وأولى

بقى من ملح هذا الباب ما حكى ان رجلا فاجرا عارض امرأة فاضلة فقالت له ما اسمك
فقال فلان بن زانة فقالت وددت ان لى باء أجعلها فى اسم أمك فقال لها أحد من
حضر ترى فلانا اليهودى سماه أهله خيبرا خذى منه الباء فاجعلها حيث شئت
فقالت قد جعلتها فى زانة فصارت زانية وجعلت خيبرا خيرا هذا معنى الخبر ذكره ابن
قتيبة فى عيون الاخبار وأكفر هذا الخبر القبيح بخبر من جنسه مليح ذكر أهل
الاخبار ان يحيى بن زكريا عليهما السلام كان اسمه حى وكانت سارة اسمها يسارة
فلما وهب الله لها اسحاق حول الياء من اسمها الى حى فصار يحيى وصار اسمها
سارة وهذا مذكور فى كتب التفاسير والاخبار والله أعلم بذلك وأستغفر الله
مما لا يرضاه * بقى من الشرط أن أبين بالشكل والنقط جميع الاثنى عشر بيتا
التى قبل الشعر الاول وبعده المذكور فى أول الكتاب اذ الشعر قد تبين بالتفسير
ويسر أمره بحمد الله أحسن تيسير والابيات

أخى أجىء بقيل ثقيل * مهيب مهيب بطل بطل

هذا بين ومعنى مهيب بضم الميم هو من أهاب بالشئ اذا صاح به وقد تقدم بطل ومعناه

بمعنى هدر والبطل الشجاع * كلام كلام وباء وثناء * بخدر بخدر مدل مدل *
يعنى بالكلام الثقيل المتقدم يريد به العلم وهو صعب يقول كلام كلام وباء وثناء هذا
هجاء ليث بخدر وهو موضع الاسد وبخدر معلوم ومدل من ادلى بحجته اذا بينها ومدل
من الادلال

بنى بنى بأنى بانى * خلال حلال تحل بحل

هذا بين ومعنى تحل من الحلال ضد الحرام ومعنى بحل حسب لغة مشهورة قال
الاخفش هى ساكنة أبدا يقولون بجلك كما يقولون قطك الا أنهم لا يقولون بجلنى
كما يقولون قطنى ولكنهم يقولون بجلى وبجلى أى حسبى

بقيد بقند بعود بعود * بعيد بعيد المحل المجل

القند عصارة قصب السكر وهو الذى ذكر الحريرى رحمه الله ابتعت القند
وقصدت به سمرقند يقال سويق مقنود ومقند اذا لت بالقند يقول فى البيت هذا
الكلام بقيدك القند وهو فيه مستعار لان للعلم اذا فهم حلاوة عند ذائقها
لا تعدل بها حلاوة ويعود عليك بعائدة والعود تثنية الأمر تقول كان ذلك عودا بعد
بدء والعود أيضا أشياء غير هذا وقد تقدم فى أول الكتاب ومعنى بعيد بعيد المحل
المجل مفهوم أى يصير الغريب الدار مجلا أى معظما لمعرفته وعلمه

بجد بجد بقد بقد * يوشى يوشى بكل بكل

تقدم الكلام فى الحد أنه الفرق بين الشيئين وكذلك العلم ومعنى بقد يقد يقدر تقديرا
معتدلا كما قال الشاعر * فتى قد قد بالسيف لا متضائل * البيت وآخر البيت مفهوم

أخال أخالك يقول بقول * بعيب بغيب يخل بخل

وهذا أيضا بين أخال بمعنى أظن ويقال فيه أيضا إخال بكسر الالف ذكره صاحب
كتاب الفصاح ويخل من الاخلال والخل الصاحب وقد تقدم

تزيد يزيد كلامى كلامى * وعمرو عمرو فقل فقل

يزيد منادى وكلامى جراحى وكلامى مبتدأ وعمرو خبره ومعناه تقول يا يزيد كلامى
وعمر عزيز قليل ممتنع وليس كذلك فقل هو

كثير كبير معين معين * لغات لغات كفل كفل

وهذا أيضا بين ولغات من اللغو وقد تقدم القول فى قل وهذه الابيات الاول وأما
الأخر فهى

فرغنا فرغبا ترب ترب * يمين يمين بحل بخل

الرغباء والرغبى الرغبة اذا ضممت قصرت واذا فتحت مددت وفى حديث التلبية
والرغباء اليك والعمل يروى بالوجهين ومعنى ترب تنم أى يزاد فيها تقول ربيت النعمة

عند فلان تممتها أو زدت فيها وقد تقدمت هذه اللفظة بشرحها قبل والرب الله تعالى ذو الربوبية والرب المربى وقد تقدم هذا وأزيدك هنا فائدة يقال ربا الغلام فى حجر فلان يربو مثل دعا يدعو ويقال فيه أيضا ربى يربا على مثال عمى يعمى ويقال رباه يربيه تربية وربته يربته تربيتا قال الراجز

والقبر صهر ضامن زميت * ليس لمن ضمنه تربيت

وقيل فى قوله تعالى فى أحد القولين اذهب أنت وربك أى مربيك وهو هارون لانه كان أسن منه بثلاث سنين ومات قبل موسى وعاش مائة وسبع عشرة سنة وعاش موسى بعده ثلاث سنين وتوفى وقد استكمل عمر أخيه هارون صلى الله عليهما وسلم ومعنى يحل بخل أى ينزل بضعيف والخل الضعيف وقد تقدم وكذلك المن فسر أيضا

خليل جليل حسيب حسبت انى آتى مصل مضل

معناه أنت كذا وكذا أو قل معناه يامن هذه صفته تظن انى أجىء وأنا مصل مضل والمصلى من خيل الحلبة الذى يكون خلف السابق وقد تقدم فى الباب قبله ومعنى مضل اسم فاعل من ضل الطريق اذا لم يهتد له يقول ياهذا لا تحسب انى أتيت فى شعرى على هذه الصفة * كبير كبير بطين بطئ * وجاف وحاف يعل يعل * أى جئت فى البطء كبير مكبور عظيم البطن وهو حاف من الحفا وجاف من الجفا يعل يعل أى يعلل وقد تقدم فى العل انه الشئ الذى تعلل به المرأة ولدها ليجتزئ به عن اللبن أى انى لم آت هكذا

أبيت أتيت أمام إمام * ورائى ورائى المدل المذل

أبيت من الاباء أى لم أرد بل جئت ورائى ناظر خلفى المدل بحذفه وبنبله ذليلا لانى سبقته فى هذه الطريقة فيكون المذل حالا ومن شرط الحال ان تكون نكرة ولكنهم قد أجازوها معرفة لكن على تأويل النكرة قالوا ادخلوا الاول فالاول أى متفرقين وقد جاء فى التنزيل من نوع هذا فى قراءة خارج السبع لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل فالاعز فاعل يخرجن والاذل حال أى ذليلا حكى الله هذه المقالة عن عبد الله بن أبى ابن سلول رأس المنافقين وأبى الله الا ان تكون العزة لله ولرسوله وللمؤمنين ولما بلغت هذه المقالة ابنه عبد الله بن عبد الله ابن أبى وكان من الفضلاء وأهل الدين جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أنت والله يارسول الله الاعز وهو الاذل أو كما قال وكان ذلك فى غزاة فلما وصل رسول الله

صلى

صلى الله عليه وسلم الى المدينة من تلك الغزاة وقف عبد الله بن عبد الله بن أبى لأبيه فى الطريق وقال والله لاتدخل المدينة حتى يأذن لك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم بدخوله ويروى عنه انه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم بلغنى انك تريد قتل أبى فان كنت تريد ذلك فمرنى بقتله فوالله لئن أمرتنى بقتله لاقتلنه فانى لأخشى يارسول الله ان قتله غيرى ان لا أصبر عن طلب الثار فأقتل به مسلما فأدخل النار وقد علمت الانصار انى من أبر أبنائها بأبيه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا ودعا له وقال له بر أباك ولا يرى منك الاخيرا * فرغ تفسير الابيات وبعد هذا فانى أقول أعزك الله هذه الابيات كما تراها ان كان اللزوم مراها فاستملك بعراها خذ معناها وارحل عن مغناها واحذر من اضطراره اللزوم والوزن الى أن يجمع بين السهل والحزن ولا تعنف ولا تفند وقل أيها السيد ماقرب من جيد فهو جيد والا فخذ نفسك بالتدريب ودع التثريب بقى البيت المتقدم الذى كلماته كلها نوع واحد فيها أنا أشكله ليتضح مشكله وهو

تصبح تصح تضح بصبح * تصبح نضيح نضيج نصح

تفسيره تصبح تسمع أصاخ استمع من قوله صلى الله عليه وسلم ومامن دابة فى الارض الا وهى مصيخة يوم الجمعة تصح من الصباح نضيح فعيل مثل دهين من الدهن وفى الحديث ينضح طيبا بصبح وقت الصبح تصبح معناه كل أواشرب صباحا وفى الحديث من تصبح كل يوم بسبع تمرات عجوة لم يضره ذلك اليوم سم ولا سحر ومنها الحديث أيضا الصبحة تمنع الرزق أى نوم ذلك الوقت يمنع من طلب المعاش وقد قال عليه الصلاة والسلام اللهم بارك لأمتى فى بكورها وفى حديث أم زرع وأرقد فأتصبح ومعنى نضيج نضيح بلبن مطبوخ منضج الضيح اللبن الممزوج بالماء ويقال له أيضا ضياح وخضار وشهاب ومجاح وسمار ومذق ومذيق ومذوق فاذا كان خالصا قيل محض وصريح قال الشاعر

نولها الصريح اذا شتونا * على علاتنا ونلى السمارا

يريد خيله يعنى انه يؤثرها باللبن الخالص ويشربه والممزوج بالماء ومن المحض والضيح قول الشاعر * أمحضانى واسقيانى ضيحا * والصريح والمحض الخالص من كل شئ وهذا البيت الذى تقدم لى له اخوة مثله وأبيات تتضمن كلمات من غير شكلها كذلك من جنس واحد وقد تقدم ذكرها فى أول الكتاب وأجب

من بعضها بعض من رآها وقد ذكرت ذلك وسواه فى كراسة البديع من التكميل والحمد لله رب العالمين وأستغفر الله الغفور الرحيم وأنت فلا تظنن هذا الكلام المنتقى سهل المرتقى بل هو عندى أغرب من العنقا وأبعد منالا من نجوم البلقا الا على من يسره الله تعالى عليه وسهله وأقامه له وأهله فان كنت فى ريب من هذا أو شك فالتجربة هى المحك اسبر واخبر تعلم أو اقبر واسترسلم وأنا قد فرغت من مقالتى وأعذتها من بطالتى وأتيت على قدر مقدرتى وقدمت معذرتى وأقول

أستغفر الله مما * ذكرت لغوا وسهوا
وأنت ان كان هذا الكلام عندك لهوا
خذ ما أردت ومالا * تريد فاتركه رهوا
وقل سواه ولا تثن عنه عطفك زهوا

خرجت من شئ الى شئ * أنشر ما غيب فى الطى
والحمد لله وسبحانه * من عالم مقتدر رحى

اللهم اهدنا سبل السلام ياذا الجلال والاكرام ونجنا من الظلمات الى النور انك أنت العزيز الغفور وقد كمل الكتاب بعون الملك الوهاب وبكماله فرغت الحروف وتفرغت الظروف ونفد ما فى العروف ولم يبق الا الوقوف بباب الملك الرؤف والرغبة الى الرحمن العطوف أن يمن علينا منه بمعروف اللهم من علينا بمعروفك يا أكرم الأكرمين واغفر لنا ذنوبنا ياخير الغافرين وارحمنا برحمتك يا أرحم الراحمين وصل على نبيك وصفيك محمد خاتم النبيين وعلى آله وازواجه الطاهرين وارض عن الصحابة أجمعين وعن التابعين لهم باحسان الى يوم الدين

قد تم بعونه تعالى طبع هذا الكتاب المشحون بنفائس الآداب وهو أحد الكتب التى تطبع على ذمة جمعية المعارف البالغ قدرها ١١٠٠ تحت حماية الوزير الافخم والمشير المعظم سعادة محمد توفيق باشا ولى عهد الخديوية المصريه لازال ملحوظا بالعنايات الالهيه وبهمة سعادة محمد عارف باشا وكيل تلك الجمعيه وذلك بالمطبعة الوهبيه بتصحيح الفقير مصطفى وهبى فى أوائل شهر ربيع الثانى سنة ١٢٨٧ من الهجرة النبويه على صاحبها أزكى التحية